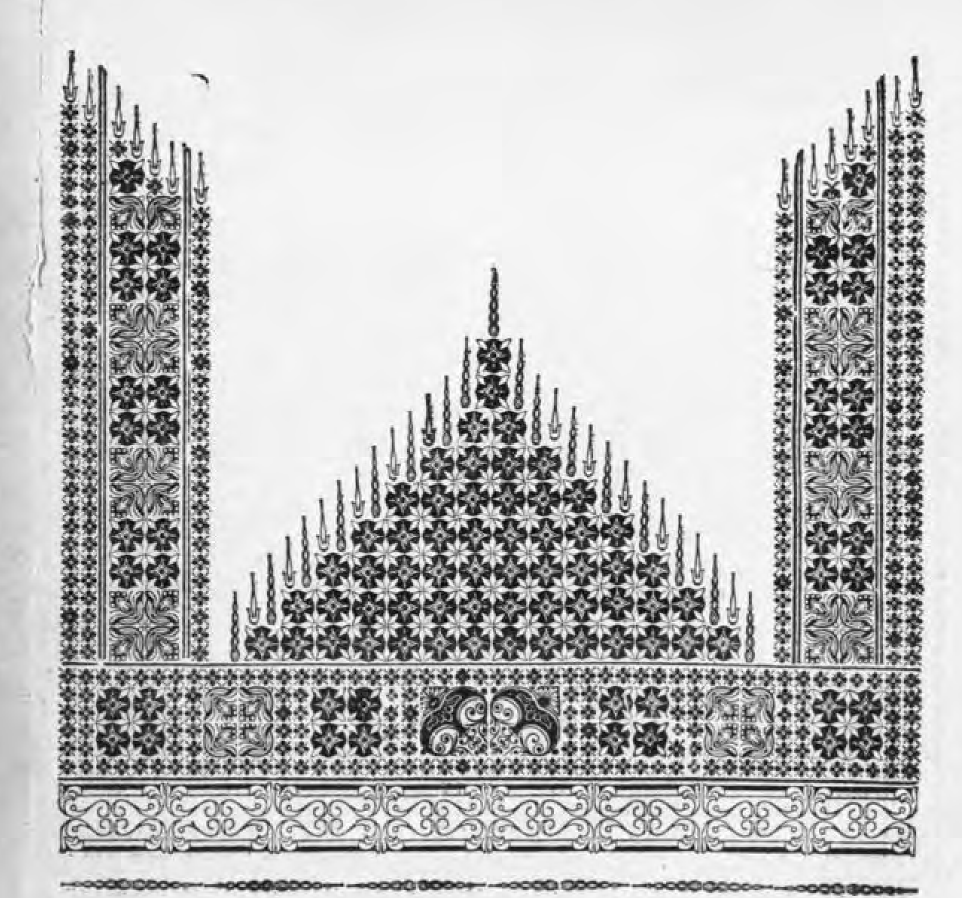


تفسير
القديس يوحنا فم الذهب
على انجيل مار متى
البشير

طبع بمطبعة الوطن سنة ١٦٠١ للشهداء

الموافق سنة ١٨٨٤ افرنجيه



بسم الاب والابن والروح القدس اله واحد

تفسير بشارة انجيل القديس متى المصطفى الانجيلى أحد الاثنى عشر رسل ربنا يسوع المسيح له المجد الى الابد آمين شرح الاب الفاضل القديس العظيم انبا يوحنا لسان الذهب بطريرك مدينة القسطنطينية وليس هو لسان الذهب العسجد بل بالحرى لسان الروح القدس الامجد بركة قائله وشارحه تقف مع جميعنا وتوقفنا على فهم ما سطر فى هذا المصحف الشريف الذى هو ينبوع الماء الحي المروى لكل ظمآن والمشبع لكل جائع لكلام الله لان من روى منه لا يعطش الى الابد كما يقول ربنا له المجد آمين

المقالة

المقالة الأولى

وهى فاتحة الكتاب المقدس بركة قائلها تشمل جميعنا الى الابد آمين

قد كان الواجب علينا الاغناء من الكتب الى معونتها بل قد كان أليق بنا أن نمتلك عيشة نقية يكون محلها المحل الذى تكونه نعمة الروح بدلا من اتخاذ مصاحف لانفسنا وعلى نحو ما نكتب هذا المصحف بالمداد تنكتب قلوبنا بالروح القدس فاذ كنا قد أبعدنا عنا وأضعنا منا هذه النعمة فهيهات أن تتغير قلوبنا حتى لو خضنا الغمار أو طفنا البحار ولعمرى ان الله عز وجل قد أوضح بأقواله التى قالها وببرياه التى أبدعها ان الطريقة الاولى كانت أفضل نفعا وبيان ذلك ان الله سبحانه وتعالى ناجى نوحا وابراهيم وأيوب وموسى ليس بكتبه ولكنه ناجاهم بذاته اذ وجد قوى ادراكهم نقية ولما سقط رهط العبرانيين كله فى قاع الرذيلة بعينه احتاجوا حينئذ الى الكتب والى اللوحين والى الادكار بفرائضها ولم يحتج الى هذا الادكار فى عهد القديسين الذين فى العتيقة لكن قد احتاج اليه الناس الذين فى الحديثة ليذكر به المذكرون ويبصره المبصرون ولعمرى ان الله المتعالى المجد لم يعط رسله فريضة مكتوبة لكنه وعدهم أن يعطيهم بدلا من الكتب نعمة روحه لانه قال لهم ان ذاك الروح يذكركم كلما قلته لكم ولكى تعلم ان هذا الروح كان أفضل من الكتب كثيرا اسمع ما يقوله بلسان نبيه قائلا ساقطع لكم عهدا جديدا واجعل شريعتى فى داخلكم واكتبها على قلوبكم وتكونون كلكم متعلمين من الله والرسول بولس يبين عظم مقدار هذه الموهبة فيقول

انما أخذنا شريعة ليس فى لوحين حجرية لكنا أخذناها فى ألواح قلبية لحمية فاذ انحرفوا مع تمادى الزمان وزاغ بعضهم بسبب اعتقاداتهم وجميع بعضهم الى ترف معاشهم وسوء اخلاقهم احتاج أيضا الى تذكيرهم من كتبه فتأمل اذا فى الذين كان يجب عليهم أن يعيشوا عيشة نقية حالها فى الفضل حال من لم يحتج معها الى الكتب وتفطن فى سوء مذهبهم ما أعظمه فاذا أضعنا تلك الكرامة واحتجنا الى الكتب فالواجب الانستعمل هذا الدواء الثانى أيضا الا بخوف فى اداء واجبه لان احتياجنا الى الكتب ان كان من انحرافنا ولم يكن من انجذابنا بنعمة الروح فتأمّل أية جناية تجب على من لا يشاء أن ينال بعد هذه المعونة لكنه يعتبر الكتب موضوعة باطلا وجزافا اذ تحل به العذابات على ذلك أعظم تقديرا فنحتاج حتى لا يصيبنا هذا المصاب أن نصغى الى الاقوال المقولة المكتوبة بابلغ أصغا ونعرف كيف أعطيت الشريعة العتيقة وكيف تحوّلت الشريعة الحديثة ولعلك تسأل كيف أعطيت حينئذ تلك الشريعة ومتى واين فاجيبك بانها أعطيت بعد هلاك المصريين وفى البرية وفى طور سينا وكان الدخان والنار صاعدين من الجبل وصوّت البوق بصوت شديد والرعود والبروق متواصلة عند دخول موسى النبى فى الضباب بعينه ولم يكن هذا الحال فى الشريعة الجديدة لانها لم تعط لنا فى برية ولا فى جبل ولا بدخان وظلام وغتام وضباب لكنها وافت الينا نهارا وكان الذين قبلوها كلهم جلوسا فى بيت وكانت أفعالها كلها بهدوّ جزيل وذلك ان الذين كانوا أصعب انقيادا من غيرهم الى خيال جسمانى احتاجوا الى قفر جبل ودخان وبوق ضارب وغير هذه مما يشابهها وأما الذين كانوا أعلى طبقة من غيرهم الخاضعين لسيدهم المستعلين فوق هامة الاجسام فلم يحتاجوا الى صنف من هذه الاصناف وان كان صار

في

فى وقت حلول الروح القدس صوت لهم فلم يكن ذلك لاجل الرسل بل انما
صار لاجل اليهود الحاضرين الذين لاجلهم ظهرت الالسن من نار لانهم ان كانوا
قد قالوا بعد ذلك ان هؤلاء مملؤون سلافة فلو لم يروا امارا وا لقالوا أكثر
من ذلك والحاصل ان فى وقت الشريعة العتيقة لما طلع موسى الى الطور
نزل الله تقدست أسماؤه على هذه الجهة وهاهنا لما تطلع طبيعتنا الى العرش
الملوكى تحل الروح القدس علينا على هذا الحال فلو كان الروح القدس
اقل منزلة مما هو عليه لما كانت افعاله الكائنة أعظم الافعال وأعجبها
وبيان ذلك ان هذه الالواح أفضل من ذينك اللوحين كثيرا والفضائل
التى فعلوها ابهى اشراقا وذلك ان الرسل ما انحدروا من الطور ومثل موسى
حاملين بأياديهم لوحين حجريين لكنهم حملوا الروح القدس فى تمييز
فهمهم وفاضوا اكثر من الكنوز الثمينة الشريفة وفاضوا ينبوعا متدفقة
اعتقادات ومواهب وكافة الخيرات وعلى هذا الحال جالوا فى الدنيا صائرين
بالنعمة مصاحف وشرائع ذات نفوس وعلى هذه الصفة اجتذبوا الى الايمان ثلثة
آلاف فى يوم واحد وعلى هذه الطريقة استمالوا محافل المسكونة عندما كان
الهنا يخاطب بلسان رسله الذين اقتربوا اليهم فاذا امتلى متى من الروح
القدس كتب ما كتبه متى ذاك العشار لاننى لا أخجل اذ دعوته
بصناعته ولا اذا دعوت غيره بصنائعهم لان هذا المعنى يوضح نعمة الروح
اكثر ايضاحا ويوضح فضيلة أولئك أعظم ايضاحا ولعمرى انه سمى تصنيفه
على جهة الواجب بشارة لانه جاء مبشرا كل سامعى مناداته الاعداء الجالسين
فى الظلام بزوال العذاب عنهم وبحل خطاياهم وبالعدل والقداسة والفداء
وبالنبوة بالوضع وبميراث السماء وبالتقرب لابن الله فاية بشارة كانت
فى وقت من الاوقات عديلة لهذه البشارة بشرتنا ان الاله فى الارض
والانسان فى السماء وقد صارت البرايا مختلطة فالملائكة يجولون مع

الناس والناس قد شاركوا الملائكة وغيرها من القوّات التي في العلو وقد
زال البعد ونقض حائط السياج وحصلت مصالحة الهنا لطبيعتنا وأمسى
ابليس المحتال مخزيا وجنوده يتهاربون والموت مربوطا والفردوس مفتوحا
واللعنة منفية والخطيئة مفقودة والضلالة مطرودة والصدق سائدا ومعرفة
الدين المهذب مزروعة في كل مكان ونامية وسيرة الذين في العلو في
الارض مغروسة وتلك القوات العلوية يخاطبوننا بمجاهرة والملائكة جائلون
في الارض بمداومة ورجاء النعمة المأمولة فاض بكثرة ولهذه العلة دعى
الرسول ما صنفه بشارة بناء على ان غير هذه الاشياء كلها انما هي أقوال
فقط خالية من أفعالها كقولك سعة الاموال جسامة الاقتدار الرئاسات
ومغاوي الشرف والكرامات وغير هذه من الاشياء المظنونة عند الناس انها
خيرات وأما النعم التي وعدنا بها الصيادون فدعيت بأخلص الصدق
والتحقيق بشائر ليس من جهة انها خيرات حقيقية فقط غير متزعزعة وهي
فائقة على رتبتنا لكن لانها مع ذلك دفعت الينا بأسهل مأخذ وأيسر مرام
لاننا ما كدينا ولا عرقنا ولا تعبنا ولا شقينا ولكن الهنا أحبنا فأخذنا
ما أخذناه ولسائل ان يسألنا ما الغرض في ان تلاميذ ربنا كان هذا
العدد عددهم فكتب من الرسل اثنان فقط واثنان من تلاميذهم
أحدهما كان لبولس تابعا والآخر كان لبطرس تلميذا فكتبا مع يوحنا ومتى
انجيلهما فنجيبه انهم ما عملوا شيأ على جهة المباهاة والتفضيل لكنهم عملوا كلما
عملوه على ما دعت الحاجة اليه ولعله يستخبرنا أيضا فيقول فما رأيك أفما كان
يكفي لبشير واحد أن يقول كلما قالوه فنجيبه قد كان يكفي ولكن اذا كان
الذين كتبوها أربعة ليس في زمان واحد بعينه ولا في أماكن هي هي بأعيانها
ولا صاحب أحدهم الآخر ولا خاطبه ثم نطقوا بكل ما نطقوا به كأنه قد برز
من فم واحد ألا يكون ذلك برهانا عظيما على صدقهم ولعله يعترض علينا قائلا قد

ورد في قولهم خلاف ماذكرت اذ يمكن ان يعترض عليهم بأنهم يختلفون في ضروب
كثيرة من كلامهم فنجاوبه ان هذا المعنى بعينه دلالة قوية على صدقهم لانهم لو
كانوا قد توافقوا في ايضاح ماقالوه باستقصاء واصل الى الزمان والمكان والى
ألفاظهم بأعيانها لما صدقهم أحد من أعدائهم وساقه هذا المحال الى القول
بانهم لما التأموا كتبوا ما كتبوه من تواطؤ انساني لان تواطؤهم بهذه الكيفية
لا يكون من بساطتهم فالاختلاف الموهوم وجوده الآن في فصول يسيرة
من أقوالهم يزيل عنهم كل شبهة على اننا نحتج احتجاجا نيرا عن حسن مذهب
ونية الذين كتبوها ولئن كانوا قد أخبروا عن زمان أو مكان بلفظ مختلف
فهذا لا يشين حقيقة ماقالوه وهذه الالفاظ اذا أمعنا النظر في فحواها نرى انها
تدل على صدق مايخولنا الله من معونته ونسألكم ان تتصفحوا ذاك المعنى
مما ذكرناه فنقول انهم في المعاني التي تلائمنا وتشتمل على حياتنا وتضم
مناداتهم فلا يوجد البتة واحد منهم قد خالف الآخر فيها ولا خلفا يسيرا
وان سألت وماهي هذه المعاني أجبتك هي كقولك ان الاله صار انسانا انه
صنع عجائب انه صلب انه دفن انه قام انه صعد الى السماء انه مزمع ان يحاكم
الكل انه أعطانا وصايا مخلصه انه لم يفرض فرضا ضد الشريعة العتيقة
انه ابن انه وحيد انه خالق انه من جوهر أبيه بعينه وما أشبه ذلك فاننا
نجدهم في هذه المعاني متفقين اتفاقا كثيرا وان لم يذكر كل واحد منهم هذه
العجائب كلها بان ذكر أحدهم هذه العجائب ووصف غيره تلك الجرايح فلا
يقلقنك ذلك لانه لو كان أحدهم ذكر كافتها لكان عدد باقيهم فضلة زائدة
ولو كان كتبها كلهم متباينة مختلفة يبطل أحدهم قول صاحبه فيها لما ظهر
برهان على اتفاقهم فلهذا السبب وصفوا أكثرها شيوعا وقال واحد واحد
منهم خبرا أنفرد به خصوصا لئلا يخطر بوهمك انها فضلة طريحة على بسيط
معناها تفيدنا باستقصاء ماقيل فيها وتصفح صدقها أما لوقا الرسول فقد

ذكر العلة التى بعثته الى ما كتبه لانه قال ليحصل لك يا ثاوفيلاس صحة
الكلام الذى علمت به ومعنى ذلك لكى اذا اتصل ادكارك بها تمتلك تحققها
وتلبث فى تحقيقها اما يوحنا الرسول فصمت عن العلة فى كتابته لانه قال قولا
كأنه قد اتى به من فوق ومن السموات الينا ولكن اذ كان مطمح نظر الثلثة
المبشرين ان يشرحوا ويثبتوا أعمال تدبير ربنا وكانت معتقدات لاهوته قد
غطيت بسبب الصمت عنها أقبل هو اذ حركه المسيح بعد ذلك على هذه الجهة
الى تصنيف بشارته وهذا المعنى واضح من وصفه بعينه ومن مقدمات
بشارته لانه ما ابتدأ من أسفل على حذو الثلثة الاخرين لكنه ابتدأ من
فوق معتمدا من استحسنه ولهذا المعنى نظم كل ما اعتمده كتابا وليس هو أعلى
من الآخرين فى مقدمات بشارته فقط لكنه مع ذلك أعلى قولا منهم فى بشارته
كلها ويقال ان متى الرسول حضر عنده الذين آمنوا من اليهود وطلبوا منه ان
يمن عليهم بكتابة بشارته فما كان قد قاله لهم بالفاظه خلفه عندهم مكتوبا فى
سطور كتابه وانه دون بشارته بلغة العبرانيين ومرقس الرسول اذ توسل اليه
تلاميذه بمصر عمل هذا العمل بعينه فلهذه العلة اذ كان متى غايته أن يكتب
بشارته للعبرانيين ولم يرغب ان يكتب شيأ أكثر من ان ربنا كان من ابراهيم
وداود ولوقا الرسول اذ كان غرضه غرض من يخاطب كافة الناس مخاطبة مشاعة
صاعد كلامه الى أعلى منزلة الى ان أوصله الى آدم وأما متى ابتدأ من كون
التجسد لان اليهودى لم يرض الآن ان يعلم ان المسيح كان ولدا لابراهيم
ولداود وأما لوقا فما اعتمد هذا المعتمد لكنه بعد ان ذكر اشيأ كثيرة غير
هذه حينئذ شرع فى وصف النسبة واتفاقهم فنحن نحققه من المسكونة
التى قبل أهلها ما قالوه ومن أعداء الحق بأعيانهم وذواتهم وبيان ذلك ان
بدعا كثيرة فى الدين ظهرت بعد أولئك الرسل وذهب أهلها الى أراء
مضاده لما قالوه فبعضهم قبل كافة ما قاله الرسل وبعضهم حذف مما قاله

الرسل

الرسل أجزاء من باقى أقوالهم وعلى هذه الجهة أجازها بعض أصحاب هذه البدع فلم تقبل الشيع التى قالت اضداد ماقاله الرسل كافة ماقالوه لكنها قبلت من قولهم الجزء الذى توهمت انه يلائمها ولا الشيع التى قبلت بعض ماقالوه انفردت وفصلته من الجزء الاخر فان الاجزاء المقطوعة من جسم القول لاتخفى لكنها تنطق بمناسبتها لجسم القول كله وكما انك اذا أخذت من جنب الشخص الحى جزءا من أجزائه تجد فى ذلك الجزء كافة الاصناف التى منها تركب ذلك الجسم الحى كله وهى العصب والعروق والعظام والعضلات والدم وتجد على مايقول البعض وضوح تلك الهيئة بجملتها فكذلك نبصر فى الكتب ونعاين فى كل جزء من أقوالها مناسبة كافة جسمها بنوع واضح وان اختلاف فهو ظاهر وهذا الرأى قد سبق حل استبحامه لانه قال ان كل مملكة تنقسم على ذاتها فلن تثبت وفى هذا المعنى الآن نتبع قوة الروح عند تمكينها عند الناس فهل ينتج لهم بهذه الحوادث الصغار ضرر اذا قاموا بالافعال التى تدعو الضرورة اليها أكثر من غيرها فيكون كل واحد من الرسل كتب بشارته فى الموضع الذى كان مقيما فيه فهذا مما لايجب ان نتعاند فيه تعاندا شديدا وأما من جهة كون ان أحدهم لم يخالف الآخر فى شئ فسأتكفل بايضاحه فى المصنف كله وأنت بتعليلك باختلافهم تعمل هذا العمل عينه على هذا المثال فان أمرتنى ان أقول أقوالا واحدة بأعيانها وفنونها من الالفاظ لا أقدر لان المتباهين بفلسفتهم وبصناعة خطابتهم هم كثيرون منهم من كتب كتبا كثيرة فى وصف معان هى هى بأعيانها ولم يختلفوا فقط فى بسيط لفظهم لكنهم قالوا اقوالا اضدادا أحدهم فيها صاحبه وذلك بان يقول قائل منهم أقوالا ثم يتصدى له آخر يزيف أقواله أما أنا فلا اقول صنفا من هذه الاقوال ولا قدرة لى ان أؤيد احتجاجى من

غباوة أولئك لانني لست أشاء ان أؤيد الصدق من الكذب لكنني أسأل عن
ذلك المعنى بارتياح قائلا كيف صدق الناس كلام الرسل عند اختلافه وكيف
ضبطه من سمعه وكيف اندهلوا اذ قالوا أقوالا متضاددة وكيف صدقوا ونادوا
فى كل صقع من المسكونة مع ان الشهود لما قالوه كانوا كثيرين وأعداؤهم
ومحاربوهم كانوا كثيرين ولا يخفى انهم لم يكتبوا أقوالهم فى زاوية وطمروها
فيها لكنهم بسطروها فى اسماع كل الناس فى كل صقع من الارض والبحر
وثبتوها وقرروها وأعداؤهم حاضرون كما تقرأ الان بحضرتهم وما فتن أحد
منهم ولا صنف شيئا يشبه ما قالوه وذلك على جهة الواجب جدا لان قدرة الهية
ألهمتهم بهذه الاقوال واذاعتها عند كافة الناس وأحكمهم والا فلو لم يكن
هذا الحال حالها فكيف تفلسف العشار والصياد العاريان من العلم بالكتب
بهذه الاقوال وأمثالها وذلك ان الاقوال التى لم يستطع الذين فوق درجتنا
ان يتخيلوها ولا فى نومهم فى وقت من أوقاتهم تلك وعد بها هؤلاء وحققوها
بكافة تحقيقهم وأيقانهم ليس عندما كانوا قاصرين لكن بعد استكمال
عزمهم وما حققوها عند اثنين من الناس أو عشرين ولا عند مائة وألف
وربوات لكنهم استعطفوا بها مدنا وأمما وجوعا وأرضا وبحرا وروما وعجما
والمسكونة كلها وذلك فى أشياء تفوق طبيعتنا جدا لانهم صرفوا النظر عن
الارض وخاطبونا بأقوال كلها فى وصف الاشياء التى فى السموات
واستوردوا لنا حياة غير هذه وعيشة غير عيشتنا هذه فكل ما قالوه يخالف الغنى
والفقر والحرية والعبودية والحياة والموت والدنيا وسيرتها ليس مثل
أفلاطون الذى ألف ذلك المذهب الموجب للضحك وزينون وقس عليه
كل من كان قد كتب سيرة اخترعها وألف شرائع افترضها لان هؤلاء الحكماء
كلهم خاطبونا من هذه الجهة ان روحا خبيثا وشيطانا وحشيا محاربا لطبيعتنا لم
يزل للعفة عدوا ولحسن الترتيب معاندا فاعلا فوق وأسفل افعاله كلها واتخذهم

في

فى آلة وصار ينطق بهم وبيان ذلك اذ جعلوا النساء مشتركات بين كافة الرجال وعروا الابكار وساقوهن الى موقف الصراع لمشاهدة الناس واخترعوا بدعاء مموهة وخلطوا أفعالهم كلها وبلبلوها وأحالوا حدود طبيعتنا وغيروها فالذى يسوغ ان يقال فيهم سوى أن أفعالهم كلها اختراعات من الشياطين فان أقوالهم التى قالوها منحرفة عن طبيعتنا وتشهد بذلك طبيعتنا بعينها لنا اذ لا تحتمل ماقالوه وشرعوه وهذه الفرائض لم يفترضوها باضطهادات نالتهم ولا بحوادث من الخطر ولا بحروب صارت لهم لكنهم كتبوها بثقة آمنين وبكافة حريتهم وجملوها بألفاظ كثيرة وأنحاء شتى الأن الصيادين كتبوا فرائضهم حين كانوا مطرودين مضروبين وفى الخطر مروطين وقبلتها الاغنياء والحكماء والعبيد والاحرار والملوك والجند والعجم والروم بكافة الود والموالاة لهم ولا وجه لك ان تقول لما كانت فرائضهم هذه حديثة العهد فى الارض تيسر لكل الناس قبولها غير اننا نقول ان فرائض الرسل أجل من ذلك كثيرا لان أولئك الفلاسفة ما تخيلوا أسم البتولية ولا فى نومهم ولا الزهد فى المقتنى ولا الصوم ولا غير هذا من الملكات العالية الان المعلمين الذين عندنا لا يحضون على قلع الشهوة فقط ولا يعاقبون على الفعل فقط بل يوجبون عقاب من نظر وتفوه بالخنا وضحك ضحكا خارجا عن ترتيبه ويهذبون سيرتنا ويمنعون صياحنا وينهون بالاستقصاء عن أصغر الزلات وأحقرها وأوعبوا المسكونة كلها من غرس البتولية وهذه الفرائض ساعدت الناس ان يتفلسفوا فى وصف الله تقدس اسمه وفى خليقته التى فى السموات التى لم تخطر ببال أحد منهم فى وقت من أوقاته وكيف كان يمكن لاولئك الفلاسفة الذين ألهوا البعوض والوحوش الدابة على الارض وغيرها مما هى أشد هوانا منها واخترعوا الها صورة حتى يحصلوا فى عقلهم الملكات الجليلة ومع ذلك فهذه الاعتقادات العالية قد

قبلتها الناس وصدقوها وزهرت ونمت وأما اعتقادات أولئك الفلاسفة فبادت وتلاشت و زالت وصار ملاشاتها أسهل من ملاشاة مناسج العنكبوت عند انتقاضها وذلك على جهة الواجب جدا لان الشياطين اشترعوا هذه الشرايع وكذلك اشترعوها بالحيلة والفسق فاحدثت ظلاما كثيرا وتعبا جزيلا لان ما حدث من حوادث هذا المذهب المضحك الذى أفنى فيه افلاطون الفيلسوف اصحاحات لاتحدى حتى يمكنه ان يبين ماهى الصحية الفضلى ولكن مع اسهابه فى الكلام وأقواله التى قالها فى هذا المعنى صارت أكثر استبهاما وان كان قد اخترع لفظا موافقا فقد أفقده فيما بعد حيث لم يكن للناس نافعا لانه اذ كان الفلاح والحداد والبنا ومدبر السفينة وغيرهم ممن يتعايشون من صناعة أيديهم يلزم ان يترك صناعته واتعابه الجائزة ويفنى سنين عددها كذا وكذا ليتعلم ماهى الصناعة الجائزة فانه قبل ان يتعلم ذلك ربما دهمته مجاعة ينقطع بها أجله من الدنيا اذ انه لم يتعلم صنفا من باقى اصناف العلم النافعة فيجلب لعمره موتا غاصبا هذا بخلاف فرائضنا فان المسيح الهنا علمنا السجايا الفضلى اللائقة الملائمة والفضائل كلها على حدة معناها بألفاظ يسيرة بينه حروفها فقوله أحيانا ان الشريعة والانبياء متضمنان فى هاتين الوصيتين وهما حب الله وحب القريب وقوله أحيانا مهما أردتم ان يعمله الناس بكم اعملوه أنتم بهم فان هذا هو الناموس والانبياء وهذه كلها واضحة عند الفلاح والعبد والمرأة الارملة والصبى ذاته فمن البين الواضح انه يتيسر لهم تعلمها وتعليمها الان أقوال الحق هذا الحال حالها ونهاية الاعمال تشهد بذلك لان كافة المؤمنين تعلموا الاعمال الواجبة وما تعلموها فقط لكنهم مع ذلك تمثلوا بها واشاعوا ذكرها ليس فى المدن فقط ولا فى الاسواق التى فى أوساطها لكن فى أعالى الجبال أيضا

لانك تبصر هناك الفلسفة موجودة بكثرة وترى صفوف الملائكة لامعة
فى جسم انسانى وتعاين فى تلك المواضع سيرة السموات ظاهرة لان الصيادين
كتبوا الناس سيرة ليست باعمال صبيانية على ما أوعزبه أولئك الفلاسفة
ولم يشرعوا أن يكون المكث فى الفضيلة سنين كذا عديدة لكنهم على
بسيط معناهم خاطبوا كل سن بحسب قوته لان شرائع الفلاسفة هى أشبه
بالعاب للصبيان واما شرائع الرسل فهى حقائق الاعمال وجعلوا السماء
موضعا لهذه السيرة وحققوا ان الهنا هو الصانع لها ومشترع الشرائع
الموضوعة هناك وعلى هذا الايليق ان تكون جوائز هذه السيرة أوراق شجر
الغار ولاز يتونا بريا ولا طعاما فى قصر الملك ولا تماثيل من النحاس ومن الجوائز
الباردة الحقيرة لكن جوائزها حيوة ابدية وان يصير أهلها بنين لله وان
يجولوا مع الملائكة ويقفوا لدى العرش الملكى ويكونوا مع المسيح دائما
وقواد جيش هذه السيرة هم عشارون وصيادون وخياميون ليسوا عائشين
لأمد يسير لكنهم أحياء فى كل حين ولهذا السبب يمكنهم ان ينفعوا بعد
وفاتهم المتمسكين بها أعظم المنافع وهذه السيرة لها حرب ليس معتبرا عند
الناس فقط لكن حربها يزيل الشياطين وتلك القوات العارية عن الاجسام
فلهذه العلة صار لاهلها رئيس قواد ليس واحدا من الناس ولا من الملائكة
لكنه الهنا بعينه وأسلحة هؤلاء الجند تشابه طبيعة حربهم لانها ليست معمولة
من جلد وحديد مصقول لكنها معمولة من الحق والعدل والامانة والفلسفة
كلها فاذا كان هذا المصحف قد كتب فى وصف هذه السيرة وقد اقدمنا
الان على شرح معانيه فينبغى لنا ان نصغى اليه بابلغ الاصغاء بل بالحرى
نصغى الى متى الذى يخاطبنا بوصف هذه السيرة فان الاقوال التى يقولها
ليست أقواله لكنها كلها أقوال المسيح المشترع هذه السيرة فينبغى ان
نصغى اليه ليمكننا ان نمكث فى هذه الطريقة ونتلألأ مع الذين سلكوا فيها

سالفا وانتظروا تلك الاكاليل المفقودة ولعمرى ان هذا القول يظنه كثيرون انه سهل الفهم وان أقاويل الانبياء صعبة لكنهم انما يجهلون عمق هذا الكلام من جهة هواجس الجسم المخزونة فيه فلذلك أسألكم ان نقتبعه بحرص كثير ليمكننا ان ندخل الى لجة الاقوال المكتوبة واذ تقدمنا المسيح فى هذا المدخل فهو يسهل لنا الطريق ونتضرع اليه ان يكشف لنا سر هذا القول باسرع تعليم ومن المعلوم ان القرآءة تسبق المعرفة فى الكتب الاخرى فهكذا نحن يجب علينا فى شرح كلامه تعالى ان نقسمه اقساما لاجل سهولة الشرح لان المعانى المطلوبة كثيرة مختلفة لاننا اذا نظرنا فى مقدمات بشارته نتحير فيها أولا من أجل نسبة يوسف وكونه للمسيح أبا وثانيا لكونه لا يتضح لنا ان المسيح متناسل من داود مادام أجداد مريم التى ولدمنها مجهولين لان البتول ماحسبت نسبتها وثالثا كونه حسب نسبة يوسف الذى لم يعمل فى المولد شيأ والبتول التى هى أمه لم يوضح من هم أباؤها وأجدادها وأباء أجدادها ويوجد شئ آخر وهو ماهو غرضه من تقدم حساب النسبة بالرجال ثم ذكره النساء ايضا ولماذا لم يدرج ضمن هذه النسبة كافة النساء بل تجاوز النسوة المتهذبات فانه أعرض عن سارة ورفقة ومن كانت شبيهة بهما وادخل الى وسط نسبته المشهورات بالرذائل فقط ككونه ذكر من كانت زانية فاسقة وزواجها مغايرا للشريعة ومن كانت قبيلتها أعجمية غير قبيلة اسرائيل مثل ثامار وراعوث فراعوث جنسها يخالف جنس اسرائيل وامرأة اوريا زانية وثامار أفسدت المهتم بها وما أفسدته بشريعة التزويج لكنها سرقت مخالطته حيث تظاهرت بزى زانية وأمرأة اوريا الا يجهلها من يعرف فعلها لاجل اهلان جرأتها الاان البشير أهمل النسوة الآخر

وأدخل

وأدخل هؤلاء وحدهن فى حساب النسبة فان كان واجبا عنده ان يذكر النساء
فقد كان يجب ان يذكر جملتهن وان كان قد استصوب ان لا يذكر جملتهن بل
بعضهن فقد كان واجبا ان يذكر النسوة المشهورات بالفضيلة ولا يذكر المشهورات
بخطاياهن أرأيتم كم يجب علينا من الاصغاء والتصفح الان فى مبادى
البشارة ولعمرى ان مبادى أقواله أبين من غيرها ولعل البحث عن عدد
الاسماء يوجد عند كثيرين من الناس فضلة زائدة بأن يقال لاى سبب ترك
ثلاثة ملوك وتجاوزهم فان قيل انه صمت عن تسميتهم بالنظر لكونها أسماء أناس
ملحدين جدا فنقول اذا كان الامر كذلك كان يجب ان لا يذكر غيرهم ممن
طريقته طريقتهم لان هذا المطلوب هو غير ذلك لانه ذكر أربعة عشر قبيلة
وما وصل أربعة عشر جيلا فى القسم الثالث الى هذا العدد ولاى سبب فعل ذلك
اذا كان لوقا الرسول ذكر أسماء غير هذه الاسماء وما ذكر ولا هذه كلها بأعيانها
لكنه ذكر أسماء أكثر منها ومتى قد ذكر أسماء اقل عددا مما ذكر لوقا وغيرها
مع انه انتهى الى يوسف الذى انتهى اليه لوقا أرأيتم كم يحتاج من سهر ليس
لحل معانى كلامه فقط لكن لنعرف ما نحتاج ان نحله وتترجه لان ليس لهذا
فائدة صغيرة وما هو ان نعرف و يمكنا ان نجد ما يستبهم علينا ويوجد أشكال آخر
وهو كيف اليصابات كانت مناسبة لمريم وهى لاوية القبيلة

العظـــــــــــــة

فى انه يجب علينا أن نسمع شرحه بافاقة وتيقظ ولكن لئلا نشوش ذهنكم
بكثرة الاقوال ينبغى أن يقف ههنا كلامنا وذلك لان علمنا بالمعانى المطلوبة
فقط كاف لانهاضنا فان عشقتم حلها وشرحها فيا حبذا ذلك
لاننى اذا رأيتكم ناهضين الى التعليم تائقين اليه اعتمد ان أورد لكم حلها
وشرحها واذا رأيتكم تتثاءبون وما تصغون فسأضن عليكم بالمطالب

وجعلها خاضعة للشريعة الشريفة لانه قال لا تعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا دررکم قدام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها وان سألت ومن هو الذي يدوسها أجيبك انه هو الذي لا يحسب هذه الاقوال مكرمة مشرفة وان قلت ومن هو أشقى ممن لا يحتسبها شريفة واكرم من غيرها قلت لك انه ليس الذي يخولها فراغا بقدر المقدار الذي يخوّله للنسوة الزانيات في الملاعب الشيطانية لان هناك يمكث كثيرون منكم طول نهارهم ويعطون أشياء كثيرة من مقتنياتهم لعدم الحياء ويتمسكون بما يسمعونه باستقصاء في حفظه ويحفظونه لفساد نفوسهم واذا كان الله عز اقتداره في هذا الموضع يخاطبهم لا يحتملون أن يثبتوا حينا يسيرا فمن هذا لا يمكنك ولا يكون لك لياقة للسماء لان سيرتنا واصلة الى الالفاظ على ان الله تقدس ذكره لاجل هذا التهاون يوعدنا بجهنم لا ليلقينا فيها لكن لينهضنا الى الهروب من هذه العادة الذميمة لاجل تهاوننا في الاصغاء ونحن نعمل بخلاف ذلك اذ نسمع ونحذر في كل يوم من الطريق المؤدية الى المهالك والله تقدس ذكره يوعز الينا ليس لان نسمع أقواله فقط لكنه يأمرنا مع ذلك أن نعمل ما يقوله لنا وما يجوز ان نسمعه فقل الى متى نعمل ما يأمرنا به ونمارس افعاله اذ كنا لا نحتمل استماع أقواله في هذه الوصايا لكننا نتضجر من المقام ههنا ونغتم ومدى ذلك يسير جدا مع اننا اذا تكلمنا نحن في أشياء باردة وفارغة ورأينا الجلوس معنا لا يصغون الينا نعتبر ان فعلهم هذا مسبة لنا فنحن نغيظ الهنا اذا خاطبنا في هذه المحامد وما جرى مجراها وتهاوننا بما يقوله والتفتنا الى ناحية أخرى ولكن متى الرسول الشيخ الذي قد جال أرضا كثيرة يصف لنا بكافة الاستقصاء عدة مراحل البلدة السمائية واوضاع مدنها واشكالها ومراتبها وأسواقها ونحن لا نعرف مقدار ابتعادنا من المدينة التي في السموات فان عرفنا مسافة بعدنا اجتهدنا اذا ان نقطع بعدها الان تلك

المدينة

المدينة فليست بعيدة منا بمقدار ما بين وسط السماء و بين الارض
فقط لكن ابتعادها منا أبعدوأ كثر من ذلك اذا توانينا كما اننا اذا حرصنا
نصل الى أبوابها فى لحظة من الزمان مع بعدها القاص هذا الان مسافات هذه
المدينة ليس من شأنها أن تقطع بطول المسافة لكنها تقطع بعزم اخلاق
السائر اليها ولعمرى انك تعرف أخبار الدنيا باستقصاء معرفتك الحديثة منها
والقديمة وتقدر أن تعدد الرؤساء الذين تجندت لهم فيما سلف من زمانك
وتعرف منشأ الجهاد وماهية الجوائز وهذه الاشياء لاتجديك نفعا وماقد تخيلت
فى نومك ولا فى وقت من أوقاتك من قد صار فى هذه المدينة رئسا أو من قد
صار فيها أولا أو ثانيا أو ثالثا أو كم زمان الواحد منهم أو ما الذى أحكمه
وعمله الواحد منهم والشرائع الموضوعة فى هذه المدينة لاتصبر أن تصغى
لها ولا تحب ان تسمع آخرين يصفونها فقل لى كيف تتوقع أن
تنال الخيرات التى قد وعدت بها اذا كنت لاتصغى الى ماقيل فى
وصفها لكننا ان كنا لم نصغ فيما سلف فينبغى أن نصغى الآن وذلك
لاننا زمعون اذا شاء الله أن ندخل الى مدينة ذهبية أكرم من كافة الذهب
فينبغى لنا أن نتأمل فى أساستها وأبوابها المركبة من الجوهر الاسمنجونى ومن
اللؤلؤ وذلك اننا رأينا منى الرسول مقتادا اليها مكرما ودخلنا الان فى بابه
ونحتاج الى حرص كثير فاذا لم نصغ اليه نطرد من هذه المدينة و بيان
ذلك ان هذه المدينة أجل المدن الملوكية قدرا وظاهر فضلها جدا
وليست منقسمة الى سوق والى قصر ملك مثل المدن التى عندنا لكن المنازل
كلها التى فيها قصور ملوكية فينبغى أن نفتح أبواب تمييز فهمنا
وسمعنا ونعزم أن نسلك بخشوع كثير فى دهاليزها ساجدين للملك الذى فيها فان
الدخول فيها فجأة تريع معاينها و بما ان أبوابها الآن مغلقة لدينا فاذا رأيناها
مفتوحة وانفتاحها هو جل المطالب فسنبصر البرق الذى فى باطنها كثيرا

لان هذا العشار المرشد بالحاظ الروح يوعدك بان يريك كافة أسرارها
و يريك اين مجلس ملكها وكيف جنده يقفون لديه واين ملائكته واين
رؤساء ملائكته وماهو الموضع الذى قد عين فى هذه المدينة للاحداث
من أهلها واية هى الطريق الموصلة الى هنالك وماهى النهاية التى
قد حصلها المتصرفون هنالك أولا والتى قد حصلها الذين بعد أولئك
والتى قد حصلها الذين بعد هؤلاء وماهى مواكب تلك الجموع وماهى
طبقات الرؤساء وكم هى فرق الجند ولا ندخلن بقلق ورجفة بل
ندخل بهيبة ووقار لانه اذا كان يصير صمت كثير فى ديوان الملك حين تقرأ
فيه كتبه فينبغى لنا كلنا أن نتوقر ونخشع اكثر فى هذه المدينة جدا وان
ننتصب قياما فى أنفسنا وفى اسماعنا فانها ليست كتب انسان ارضى بل هى
كتب سيد الملائكة نتوقع قرأتها هاهنا فاذا روضنا ذواتنا هذا التروض
فستهدينا نعمة الروح بعينها باستقصا كثير ونصل الى عرش الملك بعينه
وننال كافة الغبطة الصالحة بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى له
المجد والعز والاكرام والسجود مع ابيه الصالح والروح القدس الرب المحيي
الان والى أبد الابدين آمـــــين

المقالة الثانيـــة

كتاب كون ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن ابرهيم

أتراكم قد تذكرتم التوصية التى أوصيناكم بها سالفا اذ سألناكم أن
تسمعوا جميع ما يقال بكافة الصمت والهيبة لاننا اليوم مزمعون ان
نسلك فى الدهاليز الجليلة فلذلك أعدت تذكيركم بالتوصية لانه اذا كانوا اليهود
لما عزموا ان يقتربوا الى جبل متقد بنار وضباب وظلام وغتام والاليق ان

يقال

يقال لم يقتربوا اليه لكنهم كانوا يبصرون هذه الحوادث ويسمعونها من بعد ناريخ
وقد أوعز اليهم قبل ذلك بثلثة أيام ان يعتزلوا عن حرمهم وان يغسلوا ثيابهم
وان يكونوا فى رعدة وخيفة هم وموسى معهم فالاولى بنا نحن ان نعمل هذا
العمل أكثر من أولئك عندما دعينا ان نسمع أقوالا هذا محل جلالتها ولسنا
نقف فى البعد من جبل مدخن لكننا معزومون ان ندخل الى السماء عينها
فنحتاج ان نظهر فلسفة أكثر فضلا ولا نغسلن ثيابنا لكن نحتاج ان نغسل ثوب
نفوسنا ونتبرأ من كل خلطة عالمية لاننا لم نبصر ضبابا ولا دخانا ولا غماما لكننا نبصر
ملكنا عينه جالسا على كرسى مجده الفائق الوصف وملائكته ورؤساء ملائكته
وقوفا بحضرته ومحافل القديسين مع تلك الربوات الممتنع تحديدها الان مدينة
الهنا التى هذه الصفة صفتها حاوية كنيسة الابكار وأرواح الصديقين
وموسم الملائكة ودم النضوح الذى به انتظمت البرايا كلها وقبلت السماء
ماهو من الارض وقبلت الارض ماهو من السماء ووردت السلامة المأثورة عند
الملائكة والقديسين فى هذه المدينة ووقف علم الصليب الجليل وغنائم
المسيح ونواجم طبيعتنا وأمتعة ملكنا وهذه كلها نعرفها من الاناجيل
باستقصاء وصفها فاذا الحقتنا بهدو واجب يمكننا ان نطوف بك فى كل صقع منها
ونريك أين قد طرح الموت مماتا وأين الخطية معلقة وأين الذخائر الكثيرة
من هذه الآثار البديعة مخزونة وتبصر المغتصب مكتوفا هناك وكثرة الاسرى
تابعة له وتبصر المعقل الذى منه خرج فى الزمان السابق ذلك الشيطان النجس
الى كافة المواضع وتعاين مطامير اللص ومغائره مفتحة فيما بعد لان ملكنا
حضر هنا لك لكن لا تتضجر أيها الحبيب لانك لو وصف لك واصف حربا
محسوسة وشرح لك ظفراتها وغلباتها لما كنت تشبع من وصفه بل ولا كنت
تقدم أكلك وشربك قبل حديثه فان كان ذلك الحديث مأثورا فهذا الوصف
أليق وأوجب ان يكون مأثورا تفطن فيما تسمعه ما أعظم مقداره كيف

نزل الهنا من سمواته ومن كراسى ملكه ووصل الى الارض والى الجحيم بعينه ووقف فى هذه المواقف وكيف جربه ابليس المحال والاولى ان يقال انه ماجرب عيانا الهاعار يالكنه جرب الهاستترافى طبيعة انسانية والاعجب من هذا هو انك تبصره قدحل بموته موتنا وتعاين لعنته أزالت لعنة الناموس وبالحوادث التى تأيدبها ابليس المحتال تعاين اغتصابه منقوضا فسبيلنا ان ننهض ولانرقد فهاهذا الابواب مفتوحة لنا فينبغى لنا ان ندخل فيها بحسن الترتيب ونهاب اذا سلكنا فى هذا الحين فى دهاليز البشارة بعينها وان سألت ماهى هذه الدهاليز أجبتك هى كتاب كون يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم وربما تقول مامعنى ماتقرله أتعدنا بأن تخاطبنا بوصف ابن الله الوحيد وتذكر داود وهو رجل كائن بعد كثرة من الاجيال وتقول انه أب المسيح ووالده فأقول لك امسك قليلا ولا تطلب ان تعرف كافة الغوامض وتتصفحها دفعة واحدة لكن تتصفحها قليلا بهدو اذا انك واقف بعد فى الدهاليز عند الابواب بأعيانها فمامعنى اسراعك الى الغوامض ولم تتأمل أبلغ تأمل ماهو خارج الاسرار الغامضه مع انى لست أصف لك ذلك المولد والاليق ان أقول ولا يمكننى ان أصف المولد الذى بعد ذلك لان ذلك المولد هو فوق الوصف والشرح واماهذا فقدذكره لك قبلى أشعيا النبى لانه لما نادى بتألمه وباهتمامه الجزيل بالمسكونة كلها الذى صاروا لى أين انحدر هتف على هذه الجهة بصوت عظيم بهى قائلا وأما جيله فمن يصفه فالكلام عندنا الآن ليس هو فى وصف ذلك المولد لكن كلامنا فى وصف المولد الذى أسفل الكائن فى الارض بشهود كثيرين وكلامنا فى وصف هذا المولد اذا قبلنا نعمة الروح انما هو بحسب امكاننا ان نقول ونصفه لاننا عاجزون عن ان نبين هذا المولد بالبيان الكافى والايضاح الوافى واذا سمعت هذا المولد فلا تظنه على ماتسمع صغيرا لكن انهض بتمييز فهمك واذهب فى الحال اذ سمعت ان

الاله

الاله جاء الى الارض وذلك ان هذا المولد كان على هذا المثال عجيبا بديعا حتى ان الملائكة وقفوا من تلقا محامد صفاته هذه الجليلة يعلون مديح الفوائده منبثين أهل المسكونة وهذا فقد ادهش الانبياء منذ اعلى الدهر اذ انه ظهر على الارض وتصرف مع الناس ولعمرى انه لامر يفوق العقل جدا ان يسمع ان الاله العديم الوصف أو الجد أو الفهم المعادل لابيه جاء الى مستودع البتول وتكون من امرأة وامتلك والده داود وابراهيم ولا غرابة فى ذكرى داود وابرهيم بل الغريب كونه ولد من أولئك النسوة الزوانى اللواتى ذكرهن الآن مثل راحاب وغيرها فاذا سمعت هذه الاقوال فانهض ولا تتأخر ولا تتوهم فيه توهما دنيئا لكن استعجبه لهذه العلة بعينها كثيرا لانه لم يزل ابنا لله الازلى ابنا خالصا له فاحتمل ان يدعى ابنا لداود ليجعلك ابنا لله استجاز ان يكون له عبدا أى بالسياسة ليجعل السيد أبا لك ايها العبد أرأيت الاناجيل أية فوائدها الان منذ مباديها فان شككت فى وصف أحوالك فصدقها من أحواله فان أعظم الاشياء امتناعا على الفكر الانسانى ان يصير الاله انسانا فذلك أكثر امتناعا من ان يصير الانسان ابنا لله فاذا سمعت أن الله هو ابن داود وابراهيم فلا ترتابن بعد ذلك فى انك أنت ابن آدم تكون ابن الله لانه ما ذلل ذاته تذليلا هذا مقداره باطلا لولا انه قصد ان يعلينا لانه ولد بذات الجسم لتولد أنت بذات الروح ولد من امرأة ليكف ان تكون ابن امرأة ولهذه العلة كان مولده مزدوجا مولدا مناسبا لنا وفائقا على مولدنا لان ولادته من امرأة هى ولادة قد عارضة له وأما حقيقة ولادته فهى ليست من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله فتلك ولادة فائقة علينا اذ سبق فاظهر بها المولد المنتظر ان يكون لنا الذى عزم ان يهبه لنا من الروح القدس وكافة افعاله الاخر هذا الحال حالها وذلك ان جميع هذه المعجبة معجبته لانه حاز فعلا من الجحيم العتيق باصطباغه من يوحنا النبى وامتلك فعلا

من الجسم الجديد بهبوط الروح عليه ومثلما يقف وسيط بين اثنين قد انفصل
أحدهما عن صاحبه ويبسط كلا يديه ويضمهما الى المواخاة فكذلك فعل ربنا
اذ قرن العتيقة بالحديثة واقرن طبيعته الالهية بطبيعتنا الانسانية وقرن
خواصه بخواصنا أرأيت برق المدينة كم بلغ منذ قد لمع بشعاعه منذ البدء كيف
ارتك فى الحين ملكها مختفيا كان فى جيشه واعمرى أن الملك لا يظهر هنالك
بين عسكره مبينا رتبته لكنه يترك ديباجته وتاجه وربما لبس شكل جندى
وانما يعمل هذا العمل لئلا يعرف فيجتذب اليه محاربيه الا أن ملكنا عمل
فى اتخاذه صورتنا بخلاف ذلك لئلا يعرف فيجعل عدونا أن يهرب من مصارعته
ويرجف أصحابه كلهم لانه شاء أن يخلصنا ولم يشأ أن يرعبنا ويدهشنا ولهذه
العلة سماه فى الحين بهذه التسمية وهى يسوع لان هذا الاسم وهو يسوع ليس
هو يونانيا لكنه يدعى يسوع بلغة العبرانيين الذى يترجم فى لغة أهل
غلاطية مخلص ومعنى تسميته مخلص من تخليصه شعبه أرأيت كيف
رفع جناح السامع اذ خاطبه بما قد ألفه وأظهر لنا كأنا بهذين الاسمين ما يزيد
على تأملنا الان هذين الاسمين كلاهما معرفتهما عند اليهود كثيرة واذ كانت
المحامد الأمول كونها عجيبة تقدمت رسوم الاسمين حتى تسبق من
أعلى الزمان فتزيل كل ارتجاف يتوالد من تجدد ابداءهما وبيان ذلك أن
القائد بعد موسى الذى ادخل شعب اسرائيل الى أرض الموعد يدعى
يسوع أرأيت الرسم فانظر الى الحق ذاك يسوع ادخل أولئك الى أرض
الموعد وهذا يسوع ادخلنا الى السماء والى النعم الصالحة التى فى السموات
ذاك اقتادهم بعد وفاة موسى وهذا اقتادنا بعد أن كمل الشريعة وأبطلها
ذاك كان محله محل قائد الشعب وهذا منزلته منزلة ملك الكل ولكن لئلا
اذا سمعت يسوع ترتاب لاجل اتفاق الاسم استثنى بان قال يسوع المسيح ابن
داود لان ذاك يسوع لم يكن ابنا لداود لكنه كان من قبيلة أخرى ولسائل

يسأل

يسأل باى معنى سمى بشارته كتاب ميلاد يسوع المسيح على أن هذا الكتاب لم يحتو على مولده فقط لكنه قد اشتمل على تدبيره كله فنجيبه لان هذا المولد رأس سياسته كلها وصار لنا ابتداء الفوائد الصالحة كلها واصلها وكما أن موسى سمى كتابه كتاب كون السماء والارض مع أنه لم يخاطبنا بوصف السماء والارض لكنه تكلم فى وصف البرايا كلها التى فيما بينهما فكذلك هذا الرسول سمى الكتاب من هامة المحامد التى أحكمها لان كون الاله صار انسانا كاملا يفوق على كل رجاء وأمل فاذا كان هذا يتبعه كل ما صار بعده على نظامه وسياقه ولعله يستخبرنا فلاجل أى معنى لم يقل ابن ابراهيم و بعده ابن داود فنجيبه انه لا يصح على ماظنه البعض بان يصعد من أسفل الى فوق والا فقد كان فعل فى ترتيب النسبة مافعله لوقا فالآن قد عمل بخلاف ذلك وانما ذكر داود أولا لانه كان مقدما فى أفواه كافة أهل ذلك الوقت لاجل شرفه وجلالته ومن قرب زمانه لانه لم يكن قد استكمل عمره قديما كابرهيم ولئن كان الله قد وعدهما كليهما لكنه قد صمت عن ذلك من طريق أنه قديم الزمان وقدم اسم هذا من جهة أنه محدث جديد حتى يتذكره كافة أهل عصره وهم يقولون فيما بعد أليس هذا من نسل داود ومن بيت لحم الضيعة حيث كان داود يأتى المسيح ولم يسمه أحدهم ابن ابرهيم بل كلهم كانوا يسمونه ابن داود لان هذا داود كان مذكورا عند جماعتهم أكثر من ابرهيم من أجل زمانه كما سبقت فقلت ولاجل مملكته وعلى هذه الجهة أكرموا الملوك الذين ملكوا بعد داود وكانوا يسمونهم كلهم من نسل داود ولعمرى أن حزقيال وأنبياء كثيرون غيره قالوا لهم سيجىء داود وينهض ولم يقولوا هذا القول عن نفس داود الذى استكمل عمره لكنهم قالوه عن وصف الذى هو أفضل منه وقد قال الله لحزقيا الملك لاعضدن هذه المدينة لاجلى ولاجل داود ابنى وقال لسليمان انه لاجل داود لست أفصل ملكك فى

حياتك لان شرف هذا الرجل كان عظيما عند الله وعند الناس فلهذا السبب
جعل البشير الابتداء فى الزمن بمن كان أعرف من غيره ويصعد بعد ذلك
الى الاب محتسبا فضله زائدا بان ساق كلامه الى من كان أعلى عند اليهود قدرا
لان فضل هذين هو أوفر من غيرهما فدا ود افضل بالنظر الى انه نبي وملك
وابراهيم اعظم بالنظر الى أنه رئيس الآباء ونبي ولسائل يسأل قائلا فمن أية
جهة يستبين لنا انه من داود وهو لم يولد من رجل بل ولد من امرأة فقط
والبتول أمه لم تحسب نسبتها فكيف نعرف انه ابن داود فنجيبه ان هذه
القضية فيها مبحثان وهما لاى معنى لم تحسب نسبة أمه وما الغرض فى
أن البشيرين ذكرا يوسف ولم يكن له فى مولده سببا فأحد هذين المبحثين يظهر
فضله زائدة والمبحث الآخر تدعو الحاجة اليه فأحدهما يلزمنا ضرورة
فنقول أولا كيف البتول من داود فالجواب اسمع المنا قائلا لجبرائيل
أن ينطلق الى بتول مخطوبة لرجل اسمه يوسف والبتول من بيت داود وقبيلته
فمن هذه الجهة يتضح أن يوسف أيضا كان من تلك القبيلة لان الشريعة
كانت لا تجوز لاحد من تابعيها أن يتزوج من ناحية أخرى لكن يتزوج
من قبيلته بعينها ويعقوب رئيس الاباء سبق فقال انه لا يزول القضيب
من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب
فهذه النبوة تدل على أنه كان من قبيلة يهوذا وبالنتيجة انه من نسل داود
ولقائل يقول أن يهوذا ما كان لها جنس واحد فقط الذى هو جنس
داود ولكن قد كان لها أجناس كثيرة أخرى فنتج من ذلك أنها ربما تكون
من قبيلة يهوذا ولا تكون أيضا من جنس داود فالذلا تقول هذا القول
نفى البشير ذلك بقوله وهى من بيت داود وقبيلته وان شئت أن تعرف
هذا المعنى من جهة أخرى فلا يغرب علينا غير هذا البرهان وذلك
أنه ما كان يجوز لاحدهم أن يتزوج من قبيلة أخرى بل ولا من عشيرة

ليست مناسبة له فينتج من ذلك اننا اذا اسندنا الى البتول قوله من بيت داود وقبيلته يتضح ماقيل ويتحقق وان نسبناه الى يوسف فيصدق عليه ايضا لان يوسف ان كان من بيت داود وقبيلته فما أخذ امرأة من قبيلة غير قبيلته وان قلت وماذا يكون ان كان قد خالف الشريعة من هذا الوجه أجبتك لهذا السبب سبق فشهد أن يوسف كان عدلا وبارا حتى لا تقول عنه هذا القول لكن اذا عرفت فضيلته تعرف ذلك المعنى أنه ما كان يخالف الشريعة لان من كانت هذه الحالة حالته في لينه وخلوه من مرض عزمه حتى أنه لما اضطرته التهمة لم يؤثر أن ينهض الى عقوبة البتول كيف كان يخالف الشريعة لان من تفلسف أزيد تفلسفا من الشريعة اذ اخلاها سرا كان فعل متفلسف فائق على الشريعة فكيف كان يعمل عملا يتجاوز فيه الشريعة ولا يضطره الى ذلك ولا علة من العلل الا ان البرهان على أن البتول كانت من جنس داود واضح من هذه الاقوال فالضرورة اذا اضطرنا أن نقول لاي غرض ما حسب البشير نسبتها لكنه حسب نسبة يوسف ولماذا فعل ذلك أجبتك لانه ما كان لليهود عادة ولا شريعة أن يحسبوا نسبة النساء فلكي يحفظ هذه العادة ولا يظن به أنه ينقضها من مبادي نظامه ولكون معرفة البتول ظاهرة ايضا فلهذا السبب صمت عن ذكر أجدادها وحسب نسبة يوسف لكون نسبه واصلا اليها فلو كان حسب نسبة البتول لكان قد ارتاى أن يبدع بدعة جديدة ولو كان صمت عن يوسف لما كنا عرفنا أجداد البتول فلكي نعرف المغبوطة من كانت ومن أين كانت وتبقى فرائض الشريعة ثابتة لا تتزعزع حسب نسبة خطيبها وأرانا أنها من بيت داود واذ استبان هذا المطلوب وتبرهن فقد تبرهن معه أن تكون البتول من عشيرته بالنظر الى ان هذا الصديق على ما سبقت فقلت لم يستجز ان يخطب امرأة من عشيرة غير عشيرته وقد يوجد عندي كلام غير هذا

أقوله هو أغمض سرا من هذا الاجله صمت هو من ذكر أجداد البتول قد
ضربت عنه صفحا وفى هذا القدر كفاية

العظـــــــــــــــــــــــــــــــه

انه يجب علينا ان نتأمل المقروات علينا من الكتب المقدسه أعظم تأمل
لانها تنفعنا أعظم نفعا ولما كشفنا لكم من مبادى البشارة ما قد ذكرنا
فلئلا نطول عليكم فى هذا الموضع كلامنا نقف ونضبط الآن ما قد
انكشف لنا باستقصاه كقولك لم ذكر داود أولا لم سمى كتاب البشارة كتاب
كون يسوع المسيح كيف مولده مشاع له ولنا وعديم ان يكون مشاعا بينه
وبيننا كيف يستبين ان مريم هى من داود ولاى معنى يحسب نسبة يوسف
ويصمت عن أجداد البتول فاذا حفظتم هذه الفوائد فستجعلونى شديد
العزم وأوفر نشاطا وان نبذتم المنافع ظهريا واقلعتموها من انفسكم
فتثبطون همتى وتجعلونى فيما بقى أكثر تكاسلا لان الارض اذا
أفسدت البذور الاولى المزروعة فيها الاختيار فلاحها ان يهتم أيضا بها
فلهذا السبب اتضرع اليكم ان ترددوا هذه الاقوال فى أنفسكم لانكم من
اهتمامكم بها وبأمثالها يحصل فى النفس منكم عادة صالحة مخاصة عظيم نفعها
لاننا اذا اهتممنا بهذه الفوائد يكان نرضى الهنا وتكون أفواهنا نقية من
الشتائم ومن الاقوال القبيحة والوقيعات وتتلى ألفاظا روحانية ونكون
مرهوبين عند الشياطين ونردع لساننا بهذه الالفاظ الجليل قدرها أسلحة
تصونه ونستجذب الينا نعمة الهنا أكثر كثيرا ونجعل البصيرة فينا أحد
مما كانت بصرا لانه لهذا السبب أبدع لنا عيونا وفما وسمعا لتخدمه أعضاؤنا
كلها ولنتكلم أقواله ولنعمل أعماله ولنسبحه تسبيحات دائمة ولنرفع له صنوفا
من الشكر ننقى بهذه التسابيح فطنتنا وكان جسمنا اذا تمتع بهواء نقى تدوم

صحته أكثر أوقاته فكذلك انفسنا اذا تنعمت بهذه الاقوال وأمثالها
تكون أكثر تفلسفا أماترى عينى جسمنا اذا ابتلتا فى الدخان من شأنهما ان
يدمعا دائما واذا ابتلتا فى هواء لطيف ولاحظتا البساتين والعيون والجنان
يكونان أحد بصرا أوفر صحة على مثالها تكون عين نفسنا لانها اذا رتعت
فى بستان الاقاويل الالهية الروحية تكون نقية صافية حاد انظرها واذا
جالت فى دخان الاشياء العالمية تدمع وتبكى مرارا كثيرة هنا وهناك لان
الاشياء البشرية تشبه دخانا ولهذا السبب قال قائل قد فنيت أيامى كفناء
الدخان الان مراد قائل هذا القول الاشارة الى ان مدى زماننا قصير ممتنع
ثبوته ولكننى أنا أقول انه ينبغى ان أتخذ أقواله هذه ليس فى هذا المعنى وحده
بل اريد بها عيشة زماننا المزعجة لان ليس قصر مدتنا يضر نفسنا
ويكدرها مثل اضرار الهموم العالمية وكثرة شهواتها لان هذه هى احطاب
هذا الدخان وكما ان النار اذا استمدت مادة رطبة من المواد المبلولة
تثير دخانا جزيلا فكذلك تكون منزلة هذه الشهوة الشديدة الملهبة
اذا تناولت نفسا رطبة منحلة تولد دخانا عظيما فلذلك نحتاج الى ندى
الروح ونسيمه لنخمد النار ونفرق الدخان ونجعل فكرنا طائرا لانه
لا يتهيأ ولا يتيسر للمثقل بالشرور ان يطير الى السماء فيا حبذا لو شمرنا
عن ساعد جدنا امكننا ان نقطع هذه الطريق والاليق بان نقول أننا
ولا على هذه الجهة يمكنا ان نقطعها أن لم نتخذ جناح الروح فان كنا نحتاج
الى تمييز فهم خفيف ونعمة روحية لنرتقى الى ذلك العلو فاذا لم نقتن شيأ من
هذه لكنا نجتذب الينا اضدادها ونتحمل ثقلا شيطانيا فكيف
يمكنا ان نطير اذا بلغ ثقل احمالنا هذا المبلغ وقد صار هذا الحال حالنا
حتى لو وزن أحد الناس بعيار عدله أقوالنا لوجد بالجهد فى الربوات
من أقوالنا العالمية مائة مثقال من ألفاظ روحية والاليق ان نقول انه ما كان

بحد ولاذرة أفاهنا اذ نحن وضحك انما ذلك عبدا ونستعمله فى الاعمال
الضرورية أكثر أوقاته ومع اننا قد امتلكنا أفواها فلا نستعملها فى لحن
تسبيحنا نظير ما نستعمل عبدنا لكنا نستعملها فى خلاف ذلك فى أشياء
قد عدمت ان تكون ملائمة لنا خارجة عن الاعتدال وليتنا استعملناها
فى افعال خارجة عن الاعتدال فقط بل نحن الآن نستعملها فى أقوال
ضارة وفى ألفاظ ليست ملائمة لنا لان الاقوال التى نتكلم بها لو كانت
ملائمة لنا لكانت على كل حال محبوبة عند الهنا فالان انما نتكلم الاقوال
التى يهجسها لنا ابليس المحال اذ نضحك أحيانا ونتكلم أقوالا مضحكة
أحيانا ونلعن حينا ونشتم ونحلف حينا ونخبث ونكذب ونتعب أحيانا
ونهذى بما لا ينفع أحيانا ونهذر أقوال العجائز أكثر أوقاتنا ونورد الى وسط
كلامنا كل ما لم يخصنا قل لى من منكم الواقفون ههنا يمكنه ان يقول
مزمورا واحدا اذا طولب بذلك أو اصحاحا من الكتب الالهية لا يوجد ولا
واحد منكم وليس هذا وحده مستصعبا فقط لكن أصعب من ذلك انكم
على هذا المثال متمادين فى توانيكم عن الاقوال الروحية وأسرع من النار فى
الاقوال الشيطانية وبيان ذلك انه لو أراد مريد ان يمتحنكم فى أغانى ابليس
المحتال وفى الحان الزناة المسكرة لوجد كثير منكم يعرفها باستقصاء ويصفها
بلذة كثيرة ولو سألكم سائل عن سبب تماديكم فى هذه الهفوات لقال أحدكم لست
أنا واحد من الرهبان لكننى قد امتلكت امرأة وصبيان وأنا مهتم بمنزلى وأنا
أجيب قائل هذا القول ان هذا الكلام هو الذى قد أفسد كل أوهامكم
لتوهمكم ان قرأة الكتب الالهية انما تجب على أولئك الرهبان وحدهم
وليس الامر هكذا بل أنتم الذين تحتاجون اليها أكثر من أولئك كثيرا لان
المتصرفين فى وسط العالم المصابين كل يوم بجراحات أولئك السقماء
يحتاجون الى الادوية أكثر احتياجا منهم فمن ظن ان قرأة الكتب

فضلة

فضلة زائدة فهو أشر كثيرا ممن لا يقرأ وهما لان هذه الاقوال ناتجة
من وسوسة شيطانية أما قد سمعتم بولس الرسول قائلا ان هذه الكتب
كلها انما كتبت لتعليمنا وأنت اذا احتجت ان تمسك الانجيل لا تختار ان تلمسه
بيدين غير مغسولتين أفلا تعتبر الاقوال المخزونة فى باطنه ضرورية لازمة
جدا فلهذا السبب صارت أحوالنا كلها منعكسة ما فوق أسفل وبالعكس
لانك اذا شئت ان تعرف مقدار الفائدة الحاصلة من الكتب فافحص
ذاتك ماذا تصير اذا سمعت المزامير وماذا تؤول اليه اذا سمعت غناء
شيطانيا وكيف يكون حالك فى مقامك فى الكنيسة وكيف يكون
عزمك فى جلوسك فى مشهد اللعب فتجد فرقا عظيما بين هذه النفس وبين
تلك النفس على انها نفس واحدة ولهذا قال بولس الرسول ان المعاشرات
الردية تفسد الاخلاق الجيدة لهذا السبب نحتاج الترابيع الى ان تتقاطر علينا من
الروح لان هذا الفرق هو الذى نمتاز به على البهائم على اننا بسبب رذائلنا
الاخرى منحطون دونها كثيرا هذا هو غذاء أنفسنا هذا زينتنا هذا وقايتنا
كما ان اعراضنا عن استماع الكتب مجاعة لانفسنا وفسادها فكذلك اقبالها
اليها هو غذاء لها لانه قال سأعطيهم جوعا لا من خبز وعطشا لا من ماء لكننى
سأدفعهم الى جوع من استماع كلام ربهم فما أشقى من لم يكن هذا العزم
عزمه اذ كان ما قده ول الله فى حاله وأحله محل تعذيب فان عدم الاصغاء
هو عمل شرير تجتذبه أنت الى هامتك بايثار ذاتك وتورد الى نفسك جوعا
صعبا وتجعلها أشد من كل ضعيف ضعفا لانك من أقوالك فى طباعك
تقدر ان تفسد وان تخلص فامتناعك عن القراءة يخرج نفسك الى الغيض
ومداومة القراءة أيضا تجعلها وديعة والكلام القبيح من شأنه ان يشعلها الى
الشهوة والكلام المملوء طهارة ووقارا يقودها الى العفة فان كان الكلام على
بسيط لفظه يملك قوة هذا مبلغها فقل لى كيف تزدرى بالكتب لان الوعظ

ان كان يقتدر هذا الاقتدار فالعظات اذا كانت بالروح فهى أحق وأليق ان تقتدر كثيرا لانها تلين النفس العمياء أكثر من النار وتجعلها ملائمة للمحامد الحسنة كلها اذ تحثها بأقوال الكتب الالهية وعلى هذا الحال تسلم بولس الرسول أهل مدينة قرنثية لما كانوا متشامخين ملتهبين بالصلف فكبحهم وجعلهم أوفر وداعة من غيرهم لانهم بالافعال التى كان يجب عليهم ان يخجلوا منها او يتستروا بها كانوا يتباهون كثيرا بها لكنهم اذ تسلموا رسالته أسمع ندمهم الذى شهد لهم به معلمهم بعينه على هذه الجهة قائلا ان اغتمامكم هذا الذى كان بقصد ارضاء الله كم حرصا افتعل فيكم واعتذارا واستقالة وغيرة وانتصارا وعلى هذه الطريقة نثقف لساننا ونقوم ابناءنا واصدقاءنا ونجعل أعداءنا أصدقاءنا وعلى هذه الكيفية صار أعظم الناس المحبين لله أفضل من غيرهم وبيان ذلك ان داود بعد خطيئته لما تأثر من أقوال ناثان النبي انساق الى تلك التوبة الزائد حسنها ورسل ربنا على هذه الطريقة صاروا ما صاروا واجتذبوا المسكونة كلها فان قلت وما الفائدة اذا سمعت ولا أعمل ما يقال لى أجبتك ان الفائدة من استماع الكتب ليست بقليلة لانك من سماعها انلوم نفسك وتتحسر وتجئ فى وقت من أوقاتك الى فعل ما يقال لك فأما من لا يعلم انه قد أخطأ فمتى يكف عما اجترمه ومتى يلوم نفسه فلا تتهاونن باستماع الكتب الالهية فان الهواجس التى تحضنا على هذا التهاون هى من وسوسة شيطانية لا تتركك ان تبصر الكنز لئلا تستفيد منه الثروة الجليلة لهذا السبب يقول لنا ان استماع الشرائع الالهية ليس بشئ لكيلا يحصل لنا العمل اذا عرفناه من الاستماع واذ قد عرفنا حيلة عدونا الخبيثة فينبغى لنا ان نحصن ذواتنا من كل جهة حتى اذا تحصنا بهذه الاسلحة نلبث ناجين ولا نقع فى اشراكه ونرمى رأس ذلك العنيد ونكال على هذا الجهاد بجوائز الظفر البهية ونرزق الحظوظ الصالحة المأمولة بنعمة

ربنا

ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى له المجد والعز والاكرام والسجود يليق للاب معه والروح القدس الرب المحيي الآن والى أبد الآبدين آمين

(المقالة الثالثة)

كتاب كون يسوع المسيح بن داود بن ابراهيم

هذه محاورة ثالثة والغوامض التى فى مبادى البشارة لم نحلها بعد فاذا أصبت فيما قلته من ان ماهية هذه المفهومات غويصة جدا ولنذكر الان ما بقى منها وان سألت فما هو الغرض المطلوب الآن أجبتك ان الغرض بيان سبب ادخال نسبة يوسف مع انه لا دخل له فى المولد وقد ذكرنا فيما سلف علة واحدة فوجب علينا أن نذكر الآن العلة الاخرى التى هى أغمض سرا من تلك وافوق وصفا وان سألت ماهى هذه العلة أجبتك أنه ماشاء أن يكون وقت ميلاد المسيح من بتول اضحا عند اليهود قبل انخاض الطلق لكن لا تنزهلوا من عجيب ما قلته فان الكلام ليس هو كلامى لكنه كلام آبائنا الافاضل الاماثل لانه ان كان قد ستره من الابتداء أفعالا كثيرة اذ سمى ذاته ابن الانسان وما كشف لنا فى كل موضع معادلته لابيه كشفا بينا فما معنى استعجابك ان كان قد ستر ميلاده هذا اياه مدبرا بفعل عظيم عجيب فان قلت وأى فعل عجيب هو هذا أجبتك هو تنزيه البتول وافتداؤها من تهمة خبيثة لان هذا لو كان واضحا من الابتداء عند اليهود لكانوا رجموا البتول بالحجارة وحكموا أنها فاسقة لانهم ان كانوا قد بجحوا واظهروا وقاحة من أجل الافعال الاخر وجد كثيرا ما يشبهها فى العتيقة وعلى هذا لما اخرج ربنا شياطين قالوا ان به شيطانا وحين شفا أقواما فى يوم السبت قالوا انه مضاد لله مع أن السبت قد نقضوه فى أوقات كثيرة سالفة فلو كان قبل هذا ما الذى كانوا قد استبقوه وما قالوه لانهم كانوا قد حازوا كل وقت قبل

هذا مجاهداً معهم فما تقدم فى وقت من الاوقات فعلا هذا المحال حاله لانهم ان
كانوا مع مشاهدتهم آياته ومعجزاته كانوا يسمونه أيضاً ابناً ليوسف فكيف
كانوا يصدقون قبل آياته أنه من بتول فلاجل هذه العلة حسبت نسبة
البتول بيوسف وصفت ولما كان يوسف عدلاً ورجلاً باراً احتاج الى منبه
كبير حتى يحتمل ما حدث فاحتاج الى ملاك منبه له والى نظر فى أحلامه والى شهادة
من الانبياء فكيف كان يمكن لليهود وهم أشرار مفسودون مع محاربتهم له هذا
الحرب أن يقبلوا هذه التهمة لان هذا الحادث الغريب الجديد الذى
لم يسمع فى وقت من الزمان حادث نظيره حصل فى عهد أجدادهم ارابهم
وأرجفهم ولعمرى أن من أيقن أنه ابن الله وارتاب من أجل هذا المعنى من
كان يستشعره مضلا ولله مضاضة كيف ما كان يرتجف من هذا القول ارتجافاً
عظيماً ويسترشد الى تلك التهمة فلهذا السبب ولا الرسل ذكروا فى الابتداء
هذا المعنى فى ذلك الحين لكنهم كانوا يحتجون من أجل قيامته فى أكثر
الاوقات بأقوال كثيرة اذ كانت قيامته لها أمثلة كثيرة فى الاوقات السالفة
وان كانت حالها ليست حال هذه القيامة ولعمرى أن البرهان على أنه تكون
من بتول لم يرد على ألسنتهم دائماً بل ولا أمه ذاتها تفوهت بهذا وانظر ما قالت له
البتول هاندا انا وأبوك نطلبك لانهم لو كانوا توهموا هذا التوهم لما كانوا
ظنوا فيما بعد أنه ابن داود ولو لم يظنوا هذا الظن لكانت قد تولدت شرور
أخرى كثيرة لهذا السبب ولا الملائكة قالوا هذه الاقوال للكل لكنهم انما
قالوها لمريم وحدها وليوسف ولما بشروا الرعاة به لم ينطقوا بهذا أيضاً ولسائل
أن يسأل لاى سبب ذكر ابراهيم وقال أنه ولد اسحاق واسحاق ولد يعقوب
ولم يذكر أخوتهم بل حين جاء الى يعقوب ذكر يهوذا واخوته فالجواب ذهب
قوم الى أن سبب ذلك سوء مذهب عيسو وصنوف خبثه فلذا لم يذكره الا أننى أنا
لست على هذا المذهب لانه ان كانت هذه هى الحجة فى عدم ذكرهم فكيف يذكر

بعد

بعد قليل نساء بهذه الحال الذميمة لان الاشياء تعرف باضدادها وعلى
هذا فاجداده ليسوا اكابر المنزلة لكنه يستبين انه وتملك اجدادا صغار المنزلة حقيرين
لان للرأى العالى كثيرا أن يقتدر أن يتذلل تذللا شديدا فان استخبر أيضا
فلماذا لم يذكرهم أجبناه اذا كانوا لم يمتلكوا حظا مشتركا بينهم وبين
الاسرائيليين وهم أولاد التى طردتها سارة واسمعيليين وعرب وقد تكونوا من
أولئك الاجداد لهذا السبب صمت عن ذكر أولئك وأنعطف الى أجداده
والى رهط داود فلذلك قال و يعقوب ولد يهوذا واخوته لان فى هذا الموضع
يصور فيما بعد جنس اليهود و يهوذا ولد فارص وزارح من ثامار ولعل قائلا
يقول لمى البشير أيها الانسان ماذا تعمل أتذكرنا بخبر يشتمل على خلطة مخروفة
عن الشريعة فنجيبه وما هو هذا المنكر لاننا لو كنا نحسب جنس انسان مجرد
فمن الواجب أن نصمت عن هذه الاقوال وأن كنا نحسب نسبة اله متجسد
فلسنا نصمت فقط بل نحتاج مع ذلك أن نذيع هذه الاوصاف ونشهرها
اذ نظهر اهتمامه واقتداره لانه لهذا السبب جاء لا ليهرب من تعييراتنا لكنه
جاء ليزيلها وكما اننا نتعجب ليس من موته لكننا نتعجب كثيرا لانه صلب
مع ان الصليب ليس يوجه العار عليه فقط بل بقدر ذلك صلبه يظهر محبته
للناس ويسوغ لنا أن نقول هذا فى ولادته ولا نتعجب فى كونه اتخذ جسما
فقط وصار انسانا بل ينبغى لنا ان نتعجب أكثر لانه مع ذلك أهلنا ان
تمتلك مجانسين هذه الحال المذمومة حالهم ولم يخجل البتة من أعمالنا الشريرة
وهذا المعنى قد انذر به من مبادى مولده بأعيانها انه ليس يخجل من صنف
من نقائصنا اذ يود بنا بهذه الافعال الا نستتر فى وقت من الاوقات من رذيلة
أجدادنا لكن نطلب شيأ واحدا وهو الفضيلة لان من هذه الحالة النفيس حالها
ولو انه امتلك جدات غريبة قبائلها ولو انه حاز اما زانية ولو كانت والدته رذيلة
أى الرذائل كانت لا يمكن لصنف من هذه الاصناف ان يضره لان الزانى بعينه

اذا انتقل عن الزناء ان يخزيه مذهبه الاول فأولى وأليق بمن يولد من زانية ان يكون فاسقة ممكنا في فضيلته ولا تقدر ان تخزنه رذيلة أجداده أصلا وما فعل ذلك ليود بنا فقط لكنه قمع بذلك تشامخ اليهود اذ كان أولئك بايثار نسبهم كانوا مضجعين في الفضيلة فأوردوا ابراهيم في أعلى خطابهم وأسفله ظانين انهم يمتلكون من فضيلة أجدادهم اعتذارا فان أهم مبادي ظهوره بأعيانها انه لا ينبغي لهم ان يفتخروا بفضائل غيرهم بل بالفضائل التي قد أحكموها هم وينتج من ذلك فائدة أخرى وهي ان يريهم انهم كلهم تحت التبعات قد أخطأوا هم وأجدادهم أنفسهم اذ كان رئيس آبائهم الذي اسمه اسمهم يستبين انه قد أخطأ خطاء ليس بيسير وبيان ذلك ان ثامار وقفت بحضرته ثالبة زناه وداود خلف سليمان من المرأة الزانية فان تكن الشريعة لم يتممها الناس الافاضل فأولى بها وأليق انها لم يتممها الناس الادنياء فان كانت الشريعة لم تتمم فكل الناس قد أخطأوا وكان ضروريا مجيء المسيح فلهذا السبب ذكر الاثني عشر رؤساء الآباء منتزعا من هذه الجهة افتخارهم أيضا بشرف حسب أجدادهم لان أكثر رؤساء الآباء ولدوا من نسوة عبدات الا ان الفضل بين الوالدين ما يكون فضلا للمولودين لانهم كلهم كانوا رؤساء آباء ورؤساء قبائل على مثال واحد فهذه هي ملكة للكنيسة متقدمة في فضلها هذه هي مباهات شرف الجنس عندنا مستمدة من أعلى الزمان رسمها فيجب من هذا انك لو كنت عبدا أو كنت حرا فلا يصير لك من هذا الوجه محل على ولا أدنى لكن الغرض المطلوب هو واحد وهو عزمنا وسجية نفسنا وقد يوجد معنى آخر مع المعاني المذكورة لاجله ذكر هذا الخبر لان ليس على بسيط المعنى اندفع زارح لدى فارص لان فضله جانحة عن الاعتدال ان يذكر زارح أيضا بعد ذكره فارص الذي منه عزم ان يحسب نسبة المسيح فان سألتني لاي معنى ذكر ذلك أجبتك حين عزمت ثامار ان تلدهما وحضرتها المخاض طلقها أخرج

زارح يده أولا فاذا بصرت القابلة ذلك ربطت يده بخيط قرمزى حتى يكون الاول معروفا عندها فبعد ان ربطت يد الصبي قبضها الى داخل ولما قبض يده خرج فارص ثم خرج زارح بعده فاذ رأت القابلة ما جرى قالت ما السبب الاجلك ينقطع السياج أرأيت رموز الاسرار لان هذه الاخبار لم تكتب لنا أولا على بسيط لفظها الان ما كان أهلا للوصف ان يعرف ما المعنى التى قالته القابلة ولا كان أهلا للحديث ان يعرف ان الثانى اخرج يده أولا قبل خروجه فان سألت ماهى الرموز فى ذلك أجبتك هذا المعنى المطلوب يستبين أولا من أسم الصبي لان معنى فارص هو انقسام وانقطاع ويستبين ثانيا مما عرض بعينه لان اخراجه يده ما كان من نظام طبيعى ولا قبضها الى داخل أيضا بعد ربطها ولا كانت هذه الافعال من حركة ناطقة ولا تكون ذلك من نظام طبيعى لان خروج يده وخروج الآخر قبله لعله كان فعلا طبيعيا فاما قبضه يده الى داخل وبذله للآخر خروجه ما كان على حسب شريعة المولودين لكن نعمة الله حضرت فدبرت هذه الافعال للصبيين وصورت بهما الناصورة للحوادث المنتظر كونها ولسائل ان يسألنا ما الذى يجعلنا ان نقوله فى هذا المعنى فنجيبه قد قال البعض من الباحثين عن هذه المعانى باستقصاء البحث ان هذين الصبيين هما مثال الشعبين ثم لكيلا نعلم سيرة الشعب الثانى سبقت فأشرقت من ولادة الاول أبدى الصبي يده ممدودة وما أظهر ذاته بكليته لكنه قبض يده أيضا وبعد خروج أخيه بجملته حينئذ خرج هو كله وهذا قد حدث فى زمان الشعبين كليهما وبيان ذلك ان السيرة الانجيلية ظهرت فى زمان ابراهيم ثم انقبضت فى الوسط وجاء شعب اليهود وسيرة شريعته وبعد ذلك ظهر الشعب الجديد بجملته بشرائعه فلذلك قالت القابلة ما السبب لاجلك انفصل السياج أرادت بذلك ان معما دخلت حرية السيرة انخشمت الشريعة لان الكتاب من عادته ان يسمى الشريعة دائما سياجا على ما ذكر داود النبى اذ يقول نقضت

سياجها واقتطفها جماعة المارين والجايين فى الطريق وأشعيا النبى قال جعلت
حول الكرمة سياجا وبولس الرسول قال ونقض حائط السياج وقال غير أولئك
ان معنى ما السبب ألاجلك انفصل السياج انما قيل فى الشعب الجديد لانه لما
جاء نقض الشريعة أرأيت ان ذكر خبر هوذا كله لا بسبب معان يسيرة
ولا صغيرة لهذا السبب يذكر راعوث وثامار فرعوث قبيلتها تخالف قبيلة آل
اسرائيل وثامار زانية لتعلم ان ربنا جاء ليحل أفعالنا الشريرة كلها لانه ورد
ورود طبيب ليس ورود الحاكم وكما ان هؤلاء القوم أخذوا نساء زوانى فكذلك
ربنا والهنا خطب لذاته طبيعتنا التى زنت وقد سبق الانبياء منذ أعلى الزمان
فذكروا ما كان مزمعا ان يصير الان ثامار كانت خالية من الموالاة لما كنها وأما
الكنيسة فاذ تخاصت دفعة واحدة من اعمال آبائها الشريرة لبثت متحدة
بختنها وتأمل ماجرى فى معنى رعوث مما يشابه أحوالنا لانها كانت قبيلتها تخالف
قبيلة اسرائيل قد هبطت الى غاية الفقر لكنها مع ذلك أبصرها بوعز فما
ازدرى بقولها ولا رفض دناءة جنسها كما ان المسيح لم يرفض كنيسته وقد كانت
قبيلتها عظيمة وهى فوا كبر وأخذها شريكة له ولكن كما ان رعوث لولم تترك أباها
من أعمال صالحة عظيمة وترفض منزلها ووطنها أم لا وجنسها وأنسباها لما كانت
رزقت هذه المناسبة فكذلك الكنيسة أهملت فيها فصارت حينئذ ممشوقة
عند ختنها وهذا فقد خاطبها النبى به وقال أنسى شعبك و بيت أبيك فيشتهى
الملك حسنك هذا العمل عملته رعوث فلذلك صارت أما الملوك كما صارت
الكنيسة أما الملوك أيضا لان داود الملك من رعوث هذه هو فبهذه الاشياء كلها
خجلهم ذنبا وحقق عندهم الا يتعظموا و نظم حساب النسبة وأورد الى وسطها
هؤلاء النسوة وذلك ان الملك الكبير داود هذه رعوت ولدته بالاباء الذين بينها
و بينه وان يستجزى داود بها لان ليس يوجد ولا يتجه ان يكون أحدنا الا من
فضيلة اجداده مكينا فى فضيلته بها ولا من رذيلة أجداده رذيا فى رذيلته خاملا

لكن

لكن ان وجب ان أقول قولا بديعا عجيبا ان من لم يكن من أجداده كبيرين فى فضائلهم فصار صالحا ذلك يسرق فضله عظيما

العظمـــــــــــة

فلا يفتخرن أحدنا بنسبه تفخما عظيما لكن اذا نفطن فى أجداد سيدنا فليستفرغ نخوته كلها وليفتخر عظيما بما أحسنه من فضائله وأليق به وأوفق ان لا يفتخر بهذه الفضائل لان بهذه المفاخر صار الفريسى دون العشار لانك ان شئت أن تظهر محمدة عظيمة قد أحكمتها فلا تفتخر عظيما وقد أظهرت حينئذ فعلك عظيما فلا تظنن انك قد عملت شيئا وقد عملت الخير كله لاننا اذا كنا خطاة اذا ظننا أننا ذاك الذى هو نحن أى اذا ظننا اننا خطاة كما أننا خطاة نصير صديقين كما صار العشار عدلا صديقا فأليق بنا وأولى كثيرا أن نصير صديقين عدولا اذا كنا أصحاب عدل ونحتسب ذواتنا اننا خاطئين ولئن كان تذليل السريرة يبدع من خاطئين صديقين مع أن القول الذى قاله العشار لم يكن تذليل سريرة لكنه كان عزيمة جيدة فان تكن العزيمة الجيدة تقتدر هذا الاقتدار الجزيل تقديره فتأمل ماذا يوجد من الخير فلا تعمله تذلل السريرة فى ذوى العدل الصديقين فلا تفسدن اتعابك ولا تجسم اعراقك ولا تحاضر باطلا ولا تفرغن تعبك كله بعد سعيك فيه فراسخ كثيرة لان سيدك قد عرف الفضائل التى قد أحكمتها أكثر منك ولو أنك ناولت ظمآنا قدح ماء باردا فان يعرض ولا عن هذا ولا يضيع أجره وان ألقيت فى يد الفقير فلسا وان تحسرت فقط يقبل كل ذلك بتودد كثير ويذكره ويرسم لها على هذه صنوفا من المجازاة كثيرة لاجل أى غرض تستقصى محامدك وتوردها الى الوسط دائما أما قد عرفت أنك اذا مدحت ذاتك لن يمدحك الله أيضا كما انك ان وبخت ذاتك ولتها يكف هو عن اذاعة

فضلك عند كافة الذين بحضرته لانه ليس يشاء ان تنقض أتعابك وما معنى قولى
ليس يشاء أن تنقض أتعابك وهو يعمل كل شئ ويحتال بكل حيلة حتى يكاللك
من أتعاب يسيرة ويحول طالبا جيعا تستطيع أن تتخلص بها من جنهم فلهذا
السبب ولو عملت فى الساعة الحادية عشر يعطيك أجرة عمل النهار كله ويقول
ولو لم تمتلك لخلاصك ولا سيما واحد افاعمل ما أمكنك لاجلى حتى تبصر اسمى ولو
تصرت فقط ولو دمعت لخطف هذه كلها باسراع وجعلها حجة لخلاصك فلا
تترفعن اذا ان ينبغى أن ندعو ذواتنا مرفوضين مطروحين لنصير نجباء
مهذبين لانك اذا دعوت ذاتك مهذبا فقد صرت مطروحا ولو كنت متهذبا
وان سميت ذاتك مرفوضا مطروحا فقد صرت نجيبا مهذبا ولو كنت مرفوضا
مطرحا فلذلك حصل نسيان ما أحكمناه ضرورياً لازما فان سألت وكيف يمكنا
الا نعرف ما نعرفه لنا أجبتك ماذا تقول أنت تصادم سيدك دائما وتنعم وتضحك
وما قد عرفت انك قد أخطأت وتدفع كافة ذلاتك الى النسيان أفما تقدر أن
تحذف عنك ذكر ما قد أحكمته من صلاح على أن الخوف أقوى كثيرا ونحن
نعمل خلاف هذا اذ نصادم الله كل يوم ولا نورد ذلك ولا الى عقلنا واذا أعطينا
فقيرا فضة يسيرة نردد ذلك فوق وأسفل وهذا هو الغاية القصوى من جهلنا
وخسارة عظيمة لما قد اجتمع لنا وذلك أن نسيان ما قد أحكمناه يخزن ويبقى لما
قد عملناه وكما أن ثيابنا وذهبنا اذا نضدناها فى السوق تستجذب المغتالين عليها
كثيرا واذا خبيناها فى منازلنا وسترناها فقد حصلناها فى صيانة فكذلك
يكون حالنا فى المحامد التى نحكمها متى ما أحضرناها بدوام فى حاسة ذكرنا
سنغيظ سيدنا وندرع عدونا سلاحا علينا وندعوه الى استراقها منا واذا لم يعرفها
عارف الا الاله الذى يجب أن يعرفها وحده فقد جعلناها فى صيانة تحرطها
فلا تكرر ذكرها دائما لئلا يسلبها منك مستلب ولا يصيبنك ما أصاب الفريسى
إذ كرها مده بلسانه فمن هذه الجهة إختلسها منه ابليس المحال على أنه انما

ذكرها بنزوز ونسبها كلها الى الله لكن هذا الفعل ما كفاه لان نعير
أحدنا اناسا آخرين ليس هو شكرا ولا نباهي بحضرة كثيرين ولا ترفعه على
المذنبين يكون شكرا الا انك ان كنت تشكر الله فاكتف به وحده لا تبرزه
الى الناس ولا توجب اللوم على قريبك فان هذا العمل ليس هو شكرا وان شئت
أن تتعلم أقوال الشكر فاسمع الثلثة فتية قائلين قد أخطأنا قد صنعنا شرا بعتك
عدل أنت يا ربنا في جميع ما عملته بنا الا انك بحكم صادق أوردت كل ما أوردته
الينا الا ان الاعتراف بالخطايا ذلك هو الشكر لله بالاعتراف له لان من يوضح ذاته
أنه غريم مطالب ببروات من التبعات ولم يطالب بالطائلة الواجبة عليه فذلك
هو الشكور خصوصا فلنحترص ألا نقول عن ذواتنا شيئا فهذا يجعلنا عند الناس
محقوقين وعند الله مرفوضين ولهذا السبب بمقدار ما نحكم فضائل عظيمة بمقدار
ذلك ينبغي أن نقول عن أنفسنا أقوالا حقيرة يسيرة لاننا على هذه الجهة نستمد
شرفا عظيما عند الله وعند الناس وأليق أن نقول اننا ما نستمد شرفا عند الله
فقط لكننا مع ذلك نستفيد أجرا ومجازاة عظيمة فلا تستجر اذا ثوابنا الذي نأخذه لانا
اعترف لله انك انما تتخلص بنعمته ليعترف هو أنه غريم لك بذاته ليس بمكافأة
ما أحكمته فقط بل بمجازاة جواب ذاتك مع ذاته لاننا اذا أحكمنا الفضائل
امتلكناه غريما فقط بالمجازاة عنها واذا احتسبنا اننا لم نحكم منها صنفا
امتلكناه غريما لنيتنا التي هذا الحال حالها باعظم المجازاة التي هي أكثر من
مجازاته تلك الفضائل فيجب من ذلك أن تكون هذه العزيمة عديلة لتلك
الفضائل التي نحكمها الان هذه العزيمة ان لم تكن حاضرة عندنا فان تستبين
ولا فضائلنا تلك عظيمة وبيان ذلك اننا نحن نمتلك عبيدا انما نقتبلهم اكثر
اقتبالا اذا خدموا كافة خدمتهم بنصح وحسن رأى ولم يحتسبوا أنهم قد عملوا
عملا عظيما فيجب من ذلك انك ان شئت تجعل ما أحكمته عظيما فلا تظن أنه
عظيما على هذه البهجة قال رئيس المائة لست كفوا أن تدخل تحت سقفي فلذلك

صار مستحقا واستعجب أكثر من اليهود كلهم هذا القول قاله بولس الرسول
لست أهلا أن ادعى رسولا فلهذا السبب صار أول الرسل كلهم هذا القول
قاله يوحنا المعمدان لست أهلا ان أحل سيور حذائه فلهذا القول صار صديقا
للختن واليد الذى قال أنها ليست أهلا ان تحل سيور حذائه اجتذبها المسيح الى
رأسه هذا القول قاله بطرس اخرج من عندى يا سيدى فاننى رجل خاطئ
فلذلك صار قاعدة للكنيسة لان ليس عزما على هذا المثال محبوبا عند الله
مثل أن يعد أحدنا ذاته من الخطاة الاخرين هذا العزم ابتداء الحكمة كلها
وبيان ذلك أن المتذلل العزم المنسحق القلب ما يتبذخ ولا يغتاض ولا يحسد
قريبه ولا يقتبل اذا عثر هذا من أدواء عزمه لان اليد المكسورة المطحنة عظامها
ولو خاصمنا ربوات دفعات لما كنا نستطيع أن نرفعها الى فوق فاذا طحنا نفسنا
على المثال فلو رفعتها ربوات من أمراض عزمها وصلفتها فلن يمكنها أن تتشامخ
ولا يسيرا لانه ان كان من ينوح من أجل أشياء عالمية ينفى عنه أمراض نفسه
كلها فمن ينوح من أجل خطاياه يليق به أكثر من ذلك أن يفقد أسقام
هواه كلها ويتمتع بالفلسفة وان سألت ومن يقدر أن يسحق قلبه على هذا
المثال أجبتك اسمع داود النبى اللامع نوره لاجل هذه الفضيلة خصوصا
وتأمل انسحاق قلبه لانه بعد ربوات فضائل أحكمها وبعد أن اشرف على فقد
موطنه ومنزله وحياته بعينها أبصر فى أوان مصابه بعينه جنديا حقيرا مطروحا
جازما به شاتما اياه فليس مستعجبا انه ما قبله بشتيمة لكن أعجب من
ذلك انه مع أحد قواده اذ اعتزم ان يقتل ذاك الذى شتمه قائلا اتركوه فان
الرب أوعز اليه بهذا وأيضا حين سأله الكهنة أن يجول معهم فى حمل التابوت
ما قبل سؤالهم وتأمل ماذا قال أنا أجلس فى الهيكل فان أراحنى الله من
الشرور التى فى يدى فسأبصر حسن بهائها وان قال لى لست أريدك فها انذا

ليعمل بي ما يكون مرضيا لديه وما جرى له دفعة ودفعتين ودفعات كثيرة
في أيام شاول أي أفراط في فلسفة لم تظهر به وذلك انه فاق على الشريعة
العتيقة وحصل قريبا من أوامر الرسل فلذلك اصطبر على كل ما ورد عليه
من السيد وما انتظر فيما جرى لكنه سارع في كل مكان الى فعل واحد
وهو أن يخضع للشرائع التي افترضها سيده ويتبعها وبعد فضائل تحلى بها هذا
مقدارها أبصر ابنه المغتصب الضارب أباه القاتل أخاه الشتوم المصروع
أبيشالوم متملكا ملكه بدلا عنه فلم يحزن لهذا الحال لكنه قال فلتكن ارادته
تعالى فاذا ارتضى الله بي قد جرى أن أكون أنا مطرودا تائها هاربا ويكون ذلك
في الكرامة فيجب علي أن أقبله ومع كل ما أصابه من الشرور لم يكن حاله
حال الكثيرين من العتاة الذين ما أحكموا ولا جزأ يسيرا مما أحكمه ذلك الفاضل
اذا ابصروا اناسا حاصلين في بعض الايام على عيشة طيبة ورخاء وراوا أنفسهم
متكبدين اغتماما يسيرا يهلكون أنفسهم بتجاديفهم الذميمة وأقوالهم الوخيمة
فلم تكن هذه الطريقة طريقة داود لكنه أوضح كافة وداعته فلذلك قال
الله عز وجل وجدت داود بن يسى رجلا نظير قلبي فسبيلنا نحن أن
نتخذ لانفسنا هذه السجية ومهما أصابنا ينبغي أن نحتمله بصبر فنثمر في هذا
المكان قبل الارتحال الى ملكوت السموات فائدة تذلل عزمنا لانه
قال جل قوله تعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لانفسكم
فلكي نتمتع بالراحة هنا وهناك لنغرس في نفوسنا بحرص كثير هذه الفضائل
كلها ونتواضع وبهذه الواسطة نستطيع أن نعبر لجة عمرنا هذا ناجين من
أمواجه ونصل الى ذلك المينا الهادي بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته
للبشر الذي له المجد آمين

المقـــالة الرابعـــة

فكافة الاجيال اذا من ابراهيم الى داود أربعة عشر جيلا ومن داود
الى جلا بابل أربعة عشر جيلا ومن جلا بابل الى المسيح أربعة عشر جيلا
قد قسم البشير الاجيال كلها الى ثلثة أقسام موضحا بذلك انهم لم يصيروا أفضل
مما كانوا ولا بعد انتقال طرائقهم ومع انه تقلد الافضلون منهم تدبيرهم
وساسهم ملوكهم وترأس عليهم رؤساهم مدة يسيرة لبثوا فى اعمالهم الشريرة
ذاتها وانهم لم يحوزوا حظا وافرا من الفضيلة لا من قوادهم ولا من كهنتهم ولا
من ملوكهم وان سألت ما هو الغرض فى كونه ضرب صفحا فى القسم الاوسط من
هذه الاقسام الثلثة عن ثلثة ملوك ووضع فى القسم الاخير اثنى عشر جيلا
وذكر أنه أربعة عشر جيلا فنقول انه كان مرادنا أن نغض النظر عن البحث عن
المعنى الاول من هذين المعنيين لانه لا يلزم ان أحل لكم سائر المعانى المستعجمة
لئلا يستولى عليكم الاهمال وكان مرادى الاقتصار على المعنى الثانى ولكن رأينا
أن نحل أيضا هذا المعنى الاول لئلا يختلج فى صدوركم ظنون لان القول يحوز معنى
عميقا لا يظهر الا عند البحث عنه وهذا المعنى الاول هو تملك ملوك منذ سنى داود
الملك الى ياخوريا ونسبهم الى بابل عددهم سبعة عشر ملكا فقال البشير انهم
أربعة عشر جيلا ولعمرى انه لو كان مراده ان يكتب الملوك فردا فردا جاز ان
يلومه لائم لانه أزاغ تعاقب الممالك عن نظامها الان فى كتب أخبار ملوك
اليهود وفى كتب بقايا أخبارهم ان بعد يورام ابن يوشافاط تملك ثلثة متفقين
تلا أحدهم صاحبه وهم خوزياس ويواس وعماسيا ثم تملك بعدهم
عوزيا ويواتم وآخز فأعرض البشير عن ذكر الثلثة الاولين وذكر يورام ابن
يوشافاط وساق الكلام على الترتيب بأن ذكر عوزيا ويواتم وآخز وضرب
صفحا عن المذكورين فيما بينهم وهذا وجب عنده فعله اذ جعل غرضه

ان

أن يحذف وضع خلافة الملوك ولعمري ان ثبت النسبة قد أوجبت حالة عنده ان تعاب عليه على انه مردود اذ كان غرضه الاصلي ان يعد ليس الافراد لكن غرضه ان يعد الاجناس والاجيال لان هذه مقصوده فلذا قال كل الاجيال من ابراهيم الى داود أربعة عشر جيلا وأيضا منذ داود الى يوخانيا وجلايا بل أربعة عشر جيلا ولم يقل أربعة عشر خلفا فاذا لاوجه للاعتراض واذ قد ذهب بعض أناس الى انه كان يجب عليه ان يسمي الافراد بان يقول كل الاجيال من ابراهيم الى داود أربعة عشر خلفا ومنذ داود الى جلايا بل أربعة عشر جيلا ولو كان قال هذا القول لكان اعترض عليه وقد توجه الطعن عليه والثلب اذ يهرج الخبر على ما زعموا فالآن على ما ذكرت ان غرضه الذي اعتمده كان ان يكتب أجيالا لا سلسلة الملوك الخالف عن السلف وفي كتب أخبار ملوك اليهود وفي كتب بقايا أخبارهم انما يصف مصنفها الملوك لا الاجيال فلا تضاد ولا منافاة من وضع الفريقين كليهما ولا يصح ان نسمي حياة انسان جيل سنين اذ قد يعرض في أكثر الاوقات ان يعيش أناس مدة يسيرة ويموتون في سن صباهم وأناس يبلغون الى سن الادراك وأناس يصلون الى سن الحداثة وأناس يبلغون الى سن الرجولية وأناس يمتد عمرهم الى سن شيخوخة متناهية فأي جيل يعد مصنف النسبة اذا احدهم قد وصل الى عشرة سنين أو الى عشرين سنة وآخر بالغ الى خمسين سنة وغير هذا قد بالغ الى سبعين سنة وغير هذا قد تجاوز المائة سنة وهذا يرى ليس في أخبار القدماء لكنه يرى في زماننا أيضا وكيف يمكن ان يسمي حياة الانسان جيلا بل ولا يصح أن يطلق على من خلف أولادا جيلا وبيان ذلك ان أناسا تزوجوا قبل وصولهم الى عشرين سنة وخلفوا أولادا وأناسا لم يتزوجوا حتى ان بلغوا الى أكثر من ثلثين سنة وتبصر أيضا المتعادلين في سنيهم منهم أقوام لم يخلفوا بعد ابكارهم وتبصر غير هؤلاء قد

بلغوا الى اولاد اولادهم حتى أبصر بعضهم أبناء أولادهم فى خمسين سنة وغيرهم
فى سبعين سنة وغيرهم لم يخلف ابنا واحدا فكيف ينبغى ان تعد الاجيال
هل من الطويلة أعمارهم أومن القصيرة أعمارهم أومن الذين خلفوا
أولادهم سريعا أوممن كان تناسلهم بطئا أوممن اخترمتهم المنية سريعا عند
مارزقوا أولادا أوممن انتقلوا من الدنيا بعد اولاد خلفوهم واعقبهم كثيرون
فنظر البشير الى هذه الاوجه ولم يصف الافراد بل ذكر الاجيال على حسب
الاصول التى عرف ان يعدها وكان اهتمامه فى الاخبار بالخلف قليلا واتخذ
فى حساب النسبة اسماء هذا مبلغها كان تقديرها كافيا عنده لاستكمال
اربعة عشر جيلا فعلى هذه الجهة كان كلامه ليس فيه أدنى مناقصة ولم يوجد
البتة فى تسطير أخباره مضاضدة وبذا انتفى الاعتراض الاول فينبغى ان نتكلم
فى الاعتراض الثانى وهو انه اذا كانت النسبة هكذا فلماذا قال بعد يا خونيا
الى يوسف المخطوب هم اثناعشر جيلا والبشير قال انهم أربعة عشر جيلا فنقول
انه لذات السبب المتقدم ماراعى ذكر الملوك بالتسلسل أى خلفا بعد سلف بل
راعى الاجيال وربما يعرض للذين اعمارهم طويلة وسنيهم كثيرة ان يصير خلف
الرجال قليلا وان كانت عدد أجيالهم كثيرة بل راعى الاجيال كاملا وفى قولنا
فى الذين كانوا منذ داود الى جلا بابل انهم كانوا كثيرين فى العدد عند تعاقبهم
فاتفق ان اجيالهم كانت أقل من خلفهم لانهم كانوا فى خلف الرجال سبعة عشر
جيلا فقيل انهم أربعة عشر جيلا فعلى هذا الرأى يتم الان فى الاثنى عشر جيلا
من الرجال أربعة عشر جيلا حيث صارت الاثناعشر جيلا من الرجال الطويلة
أعمارهم حسب هذا المعنى كانوا كافيين لا كمال أربعة عشر جيلا فهذا حد
واحد من المعنى المطلوب بل اذا نظر الى هذه القضية من جهة أخرى تجد اربعة
عشر جيلا كاملة فاذا عددت مع الاثنى عشر جيلا يسوع المسيح حالة كونه ابن
يوسف وتضيف الى هؤلاء يأخونيا المأخوذ الى بابل ليس يأخونيا

المتملك فى اورشليم قبل السبى الى بابل لان يا كيمين كانا اسمهما واحدا بعد يوشيا فيوا كيم هو الذى ملك بعد يوشيا فى أورشليم وابن هذا يوا كيم أخو هذان اقبا (يوخانيا وهو اسم اشتق لهما فى لغة أهل غلاطية فيوا كيم منهما الاول الملقب بيوخانيا كان ابنا ليوشيا فحسب فى الاجيال قبل سبيهم الاول الى بابل ويوا قيم ابن هذا الملقب أيضا بياخونيا كان ابنا لياخونيا الاول وهو ابن ابن يوشيا اذا عددناه فى الذين حسبت نسبتهم بعد جلا بابل الى المسيح فمن هؤلاء يحصل عدد الاربعة عشر جيلا كاملا وفى وصف الذين كانا يوا كيمين يشهد كتاب أخبار ملوك العبرانيين شهادة تشتمل على هذا اللفظ وهى وملك فرعون ملك مصر الملقب بنخاوه على آل اسرائيل ابن يوشيا هليا كيم وأبدل اسمه بيوا كيم ويقول فيما يتلو ذلك ان هذا مات ورقد مع آبائه وبعد ذلك ملك يوا كيم ابنه بدلا منه وفى أول زمن تملكه صعد بختنصر ملك بابل الى مدينة أورشليم وحاصرها واخذها وأخذ يوا كيم وكل أهله واقتادهم الى بابل فهذا يوا كيم الثانى المسمى عند ارميا النبى ياخونيا كان ابن ابن يوشيا ولم يكن ابنه فلذلك على جهة الواجب يعد فى النسبة الثالثة من نسبة الذين حسبوا من ياخونيا الى المسيح أربعة عشر جيلا وأبوه كان ابنا ليوشيا وهو محسوب فى الاجيال التى قبل هذه فعلى هذه الجهة ينتظم لنا عدد الاربعة عشر جيلا الاخيرة كاملا وعلى حسب ظنى انه قد جعل فى هذه الاجيال زمن سبيهم على حسب ترتيب الجيل وقرن وربط بنا المسيح نفسه فى كل صقع وذكرنا بذلك السبى أحسن تذكير وأنفعه موضحا انهم لم يرتدعوا عن غيهم حتى بعد سبيهم وانه كان محنة ضروريا من كل الوجوه ولقائل ان يقول فما بال مرقس لم يعمل هذا العمل ولا حسب نسبة المسيح لكن قال كل أقواله باقتصار فأقول له على حسب ظنى ان متى بداه بتصنيف بشارته قبلهم فلهذا السبب صنف حساب النسبة باستقصاء ووقف عند الاسماء التى ألجأته الضرورة

اليها ومرقس صنف بشارته بعد متى فلذلك جاء فى طريق وجيز بالنظر الى انه لم يشرع فى أقوال قد قيلت فيما سلف وقد اتضحت ولعل سائل يسألنا فكيف حسب لوقا النسبة وصنفها باسماء أكثر من تلك الاسماء فنجيبه بما أن متى سبقه فى النسبة وطرق له سبيلها أراد ان يعلمنا علما أكثر مما قيل وكل واحد من الاثنين مرقس ولوقا شابه معلمه أبلغ مشابهة فلوقا شابه بولس المتدفق قوله أكثر من الانهار ومرقس شابه بطرس فى اهتمامة بقلة الكلام وربما استخبر مستخبر قائلا فما الذى اعتمده متى عندما ابتدأ ببشارته ولماذا لم يقل كما قال النبى النظر الذى أبصرته والقول الصائر الى فنقول لانه كتب كتابه الى أناس صحيحة آراؤهم ملتفتين اليه جدا فراعى العجائب الكائنة والذين قبلوا كلامه كانوا مؤمنين واما فى أزمنة الانبياء فما كان النبى ينادى الى الناس بعجائب هذا مقدارها حتى قد كثر الانبياء الكذبة وكان محفل اليهود ينصت اليهم أكثر مما ينصت الى النبى فلذلك كانت طريقة مباديهم هذه ضرورية وان صنعت فى وقت من الاوقات آيات فانما صنعت بسبب العجم حتى ينجذب الى الايمان كثيرون ولاظهار قدرة الله عز وجل لكى ان غلب عليهم فى وقت من الزمان محاربوهم لا يظنون أن استعبادهم ليس من اقتدار الهتهم كما حدث فى مصر فمن هذه الجهة صعد معهم جمع كبير مختلط بهم وبعد ذلك فى بابل رأوا عجائب الاتون ومنامات بختنصر وقد حدثت أيضا آيات لما كانوا على انفرادهم فى القفر مثل ما حدث فى زماننا الان فى زماننا بعد ان خرجنا من ضلالتنا ظهرت عجائب كثيرة وانقطعت بعد ذلك اذا نغرس ديننا فى كل صقع ولئن كانت قد حدثت فيما بعد عجائب فهى قليلة مثلا لما وقفت الشمس عن سعيها ورجعت الى ورائها أيضا وقد أبصر الناظر هذا العجب حدث فى زماننا الان فى جيلنا فى زمن يوليانوس الغالب بالحادة كافة

أهـل زمانه عرضت آيات عجيبة كثيرة وذلك أن اليهود حين شرعوا في عمارة
الهيكل في اورشليم ظهرت نار من أساسه فمنعت الحاضرين كلهم وحين أظهر
جنونه على الاواني الجليلة خازنه وخاله الذى كان سميه صار أحدهما طعاما
للدود وبرزت نسمته والاخر انشق من وسطه ولما نصبت العيون حين ضحية
الضحايا هنالك وقع الجوع في المدن بسبب هذا الملك ذاته كانت هذه عجيبة
عظيمة لان الله تقدس اسمه تعالى جرت عادته أن يفعل هذه العجائب وأمثالها
اذا كثرت الاعمال الشريرة وزادت ورأى أصحابه مضطهدين وأضداده
سكروا بتمردهم فحينئذ يظهر اقتداره على نحو ما عمل باهل بلد فارس في زمن
اليهود والدليل على أن البشيراليس على بسيط اللفظ وظاهره ولا على وجه
الا تفاق قسم أجداد المسيح الى ثلاثة أقسام فهو واضح مما ذكرناه وتأمل
مع ذلك من أين ابتدا والى أين انتهى ابتدا من ابراهيم الى داود ومن داود
الى جلا بابل ومن جلا بابل الى المسيح ذاته لانه لما ابتدا وضع الاثنين تلو أحدهما
الآخر أعني داود وابراهيم واذ حصر الاسماء ذكرهما كليهما على مثال واحد
لانه على ما سبقت فقلت ان مواعيد الله كانت اليهما صادره وان سألت ما
غرضه في أنه لم يذكر انحدارهم الى مصر كما ذكر جلاهم الى بابل أجبتك
أن أولئك الذين انحدروا الى مصر ما ارتاعوا واما الذين جلبوا الى بابل
كانوا مرتعدين ونزول اولئك الى مصر كان قديما وجلاهم الى بابل كان
حديثا قريبا وانحدارهم الى مصر لم يكن بسبب خطاياهم وجلاهم
الى بابل فانما كان من أجل تجاوزهم شريعة الههم فمن أراد أن ينقل
ترجمات أسمائهم يجد في هذا المعنى فوائد جسيمة موجودة في العهد الجديد
كقولك من ابراهيم من يعقوب من سليمان من زوربابل لان هذه الاسماء
لم توضع لهم على بسيط لفظها ولكن نضرب عن ذكر هذه المباحث صفحا
خوفا من السآمة والملل ونشرع فيما هو تمام معرفته فنقول لما ذكر البشير الاجداد

كلهم وانتهى الى يوسف لم يقف عنده هذا لكنه استثنى بان قال يوسف
رجل مريم فبين أنه لاجل تلك السعيدة حسب نسبه هذا ثم لكيلا اذا سمعت
رجل مريم تظن أنه قد ولد بشر بحسب طبيعتنا المعهودة تأمل كيف لحق ذلك
بما أتبعه به فعلى فرض أنك قد سمعت رجلا وسمعت مريم وسمعت اسم
الصبي فاسمع اذا حال ولادته فقال ومولد يسوع المسيح كان على هذا الحال
وكان سأل سائل وقال قل لى أى مولد تعني حيث وصفت أجداده
فأجابه بقوله ليس مرادى أن أصف مولده بل اصف حال مولده أرأيت
كيف استنهض السامع اذ نبهه على انه عزم ان يصف شيئا جديدا
وتأمل الاقوال التى قالها ونظمها نظاما فاضلا لانه لم يذكر مولده من أول وهلة
لكنه يذكرنا أولا مداه منذ ابراهيم وكم مبلغ سنيه من داود ومن جلا بابل
و ينبه السامع المستقصى بأقواله هذه الى تصفح الاوقات و يبين ان هذا هو
ذاك المسيح الذى تنبأت عنه الانبياء لانك اذا عددت الاجيال وعرفت من
الزمان ان هذا هو ذاك تقبل الرأى العجيب العارض فى مولده لانه اذ عزم
ان يقول شيأ عظيما وهو انه يولد من بتول أخفى مراده قبل ان يعد زمانه اذ قال
رجل مريم وأليق بفعله ان يخفى عنهم وصف مولده و يعد السنين فيما
بعد و يذكر السامع ان هذا هو ذاك الذى ذكر يعقوب رئيس الاباء انه يجى
بعد فناء رؤساء اليهود الذى تقدم دانيال فهتف انه يجى بعد تلك الاسابيع
الكثيرة وان أراد مريد ان يعد هذه السنين التى ذكرها الملاك لدانيال
النبى من عدد الاسابيع التى منذ ابتداء المدينة وينحدر الى مولده يرى هذه
السنين موافقة لتلك وأنا أقول له فقل لنا كيف ولد فيجيب لما خطبت
أمه مريم ليوسف لم يقل لما خطبت البتول لكنه قال على بسيط اللفظ لما
خطبت أمه حتى يصير قوله مقبولا فلذلك أبهم أولا على السامع عند
انتظاره ان يسمع شيأ مما قد اعتاده فلما ضبط ما سمعه أدهشه حينئذ بما يتلوه

قائلا قبل اجتماعهما وجدت حبلى من الروح القدس فما قال قبل
ان يؤتى بها الى منزل خطيبها الا انها كانت فى داخل منزله لان القدماء كانت
لهم عادة فى أكثر الحالات ان يحوزوا المخطوبات فى منازلهم وهذا نبصره
الآن حاصلا فاختا لوط كانتا معه فى داخل منزله وعلى هذا القياس كانت
هى مع يوسف فى داخل منزله وانما أراد بقوله قبل اجتماعهما انها بشرت
وهو غائب عن منزله واستبان حملها قبل حضوره فى منزله واجتماعه معها فيه
وان سألت فلاى غرض ما حبلت قبل خطبتها أجبتك لينستر على ماجرى منذ
الابتداء وليفوت البتول كل تهمة خبيثة لانه لما ظهر أمرها لمن كان يجب عليه
ان يغار عليها أكثر من كل الناس ليس انه لم يرد أن يشهرها فقط ولم يهنها لكنه
قد لبث يقبلها ويخدمها بعد حبلها فيتضح من هذا انه لو لم يتيقن تيقنا بليغا
ان الكائن هو من فعل الروح القدس لما كان ابقاها فى منزله وخدمها فى
حوائجها الاخرى كلها فيتحقق انها حبلى من الروح القدس لان هذه هى
طريقة سرد ما يكون من الحوادث عجيبا خارقا للعادة فلا تسأل فيما يتجاوز
هذا ولا تطلب أكثر مما قيل ولا تقل كيف أبدع الروح هذا الجسم من البتول
لان الطبيعة اذا عملت شيأ يمتنع علينا ان نترجم عن أسباب أبداعها فكيف
يمكنا أن نعرف كنه الروح القدس فى عجيبة يعملها ولكن لكيلا تذم البشير
ولا تندد عليه بمداومة استخبارك عن هذه الغوامض وصف لك و بين
عندك فاعل العجيبة واستراح من ازعاجك اياه لانه قال لست أعرف شيأ أكثر
من ان المولود تكون من الروح القدس فلا يستخبر الباحثون عن مولده
العلوى لانه ان كان هذا المولد الحاوى شهودا كثيرين الذى قد تكرر
الانذار به قبل ازمان عديدة واستبان ظاهرا لا يمكن مترجم ان يترجمه فما أعظم
حماقة الذين يفحصون فى ذلك المولد الذى لا يمكن ان يباح به ويكثرون البحث
عنه لانه لم يستطع جبرائيل ولا متى ان يقولا قولا أكثر من انه من الروح

القدس فقط وماترجم أحدهما كيف تكون من الروح القدس وبأى حال لاستحالة ذلك واذا سمعت انه من الروح القدس فلا تظن انك تعرف كافة سره لاننا اذ قد عرفنا هذا تغرب عنا غوامض كثيرة أيضا كقولك كيف يوجد فى مستودع من يفوق الادراك كيف تحبل امرأة بمن يحتوى على البرايا كيف تلد البتول وتبقى بتولا كيف جبل الروح القدس ذلك الهيكل قل لى كيف ما اخذ الجسم كله من مستودعها لكنه أخذ منه جزءا وأنماه ومثله والدليل على انه خرج من جسم البتول فقد أبانه بقوله ان المولود منها وقد قال بولس انه ولد من امرأة ليبكم الذين قالوا ان المسيح عبر فى البتول كعابر فى ميزاب لانه ان كان هذا الكفر فما الحاجة الى المستودع ان كان هذا الاتحاد فليس بينه وبيننا شئ مشترك لكن ذلك الجسم هو جسم فريد آخر وليس هو من جهتنا فكيف كان اذا من أصل يسى كيف هو ابن انسان وكيف أمه مريم وكيف هو من نسل داود وكيف أخذ صورة عبد وكيف صار الكلمة جسدا وكيف قال بولس الرسول لاهل رومية عن اليهود ان منهم المسيح بذات جسمه الذى لم يزل الها للبرايا كلها والدليل على انه منا ومن جهتنا ومن مستودع البتول فواضح من هذه الشواهد ومن غيرها أكثر منها وأما كيف صار فليس ذلك واضحا فلا تطلب أنت اذا ولا تبحث لكن اقبل ما قد انكشف ولا تفتش عما قد صمت عنه وقال وكان يوسف رجلها بارا فلم يشأ ان يشهرها واراد تخليتها سرا لما قال انه من الروح القدس بغير مخالطة وأصلح كلامه من جهة أخرى فلئلا يقول قائل كيف اتضح هذا الحادث ومن أبصر او سمع فى وقت من الاوقات عارضا هذا حاله ولا يتهم التلميذ بانه اخترع هذه الاخبار على طريق التجمل على معلمه لذلك أورد لتصديق كلامه يوسف متمما تحقيق القول بالفعل فأيد معنى ما أخبر به قائلا ان أنكرت قولى وخدشت شهادتى فصدق رجلها لانه قال ويوسف رجلها كان بارا فبين بهذا القول انه كان مكين

الفضيلة فى سائر أحواله لانه قد يطلق اسم البار على من يجتنب الاستكثار من
المقتنيات و يطلق اسم بار على كلى الفضيلة والكتاب يستعمل اسم البار
بالمعنى الثانى أكثر كثيرا فهو اذا قال انسان بار بمنزلة صادق وأيضا قوله
وكانا كلاهما بارين فقوله كان بارا معناه كان خيرا ويعا فاراد تخليتها سرا
ولهذا السبب وصف ما عرض قبل معرفته لئلا تجحد الحوادث الكائنة
بعد معرفتك بها على ان التى هذا الحال حالها لم تستوجب اشهارا فقط لكن
الشريعة قد اوعزت بتعذيبها الا ان يوسف لم يسمح بذلك الحكم العظيم وهو
تعذيبها بل لم يسمح بالادنى منه وهو اشهارها وتخجيلها الا انه لم يردان يعاقبها فقط
بل ولم يرد ان يشهرها ويظهر لك من ذلك انه رجل فيلسوف لم تستول
عليه قوة الغضب لانكم قد عرفتم الغيرة ما اعظم تاثيرها ولهذا السبب قال
سليمان العارف هذه التأثيرات معرفة جيدة ان غضب رجلها مملوء غيرة لا يشفق
فى يوم القضاء والغيرة كالجحيم قاسية ونحن قد رأينا كثيرين قد اختاروا
أن يبذلوا للموت انفسهم اكثر من ان يسقطوا غيرهم فى تهمة وفى هذا
الحادث عندما انكشف حبلها لم يشاء أن يتهمها الا ان الرجل كان
نقيا من أمراض عزمه حتى انه لم يشاء أن يغم البتول لانه لما رأى أن ضبطه
اياها داخل منزله يكون مخالفا للشريعة وان اشهاره اياها واقتيادها
الى مجلس القضاء يضطره أن يدفعها الى الموت لم يفعل ولا واحدا من هذين
العزمين لكنه آثر مايزيد على الشريعة لانه وجب عند ورود
النعمة أن تكون علامات السيرة العالية فيما بعد كثيرة على نحو ما أن
الشمس ما تكون بعد ظهور أشعتها فتضىء أكثر المسكونة بضيائها
وهى فى بعد نازح على هذا النحو اذا ان مع المسيح اشرق من ذلك المستودع قبل
خروجه أضاء المسكونة كلها ولذلك قبل المخاض الطلق به كان الانبياء
يرتكضون والنساء يتقدمن فيقلن ما يؤمل كونه و يوحنا قبل خروجه من

احشاء أمه ارتكض فى بطن امه ومن هذه الجهه اظهر هذا الفاضل فلسفة كثيرة لانه ما شكاها ولا عيرها لكنه عزم ان يخرجها من منزله سرا فقط واذ كانت فيه هذه الهواجس ووقع فى حالة الحيرة وافاه الملاك فحل شكوكه كلها ومن الواجب ان نفحص لاى معنى ما وافاه الملاك قبل هذا العزم وقبل افتكاره هذا الافتكار حينئذ جاء اليه لانه قال وعند افتكاره هذا الافتكار ظهر له الملاك على انها هى قد بشرت قبل ان تحبل به وهذا المعنى أيضا يحوى شكا آخر لان الملاك اذا كان لم يقل له ما بشر البتول فلاى معنى صمتت البتول بعد استماعها من الملاك بشارته وقد ابصرت خطيبها مرتجفا وما أزالت تشكيكه ومن أجل أى معنى لم يقل له الملاك قبل ارتجافه فيلزم ان نحل لكم المعنى الاول وهو لاى سبب ما قال له الملاك فنقول لئلا ينكر قوله فيصيبه ما أصاب زكريا بعينه فلذا لم يقل له الملاك الا بعد أن ابصر الكائن وحينئذ كان تصديقه اياه سهلا وأما اذا لم يحصل للكائن ابتداء فلا يتيسر قبول ما يقال فيه فلهذه العلة ما قال الملاك من الابتداء شيأ ليوسف والبتول لاجل هذه العلة بعينها صمتت لانها ما ظنت أنها تصدق عند خطيبها اذا أخبرته بخبر غريب كهذا لكنها توهمت انها تغيظه اكثر من طريق انها تستر خطاء متكونا منها لانها ان كانت هى المزمعة أن تقبل نعمة جزيلا تقديرها عرض لها عارض انسانى وقالت كيف يكون هذا اذ كنت لا أعرف رجلا فذاك أليق به أن يرتاب اكثر ولاسيما اذا سمع من امراة متهمة احتجاجا فلهذه الاسباب لم تقل له البتول شيئا ولا الملاك فاذ دعاه الوقت وقف به واسائل أن يسألنا فلاجل اى معنى ما عمل بالبتول هذا العمل و بشرها بعد حبلها فنجيبه لئلا يحصل لها خوف وقلق كثير فمن الواجب ان لا تعرف بحبلها لئلا تعمل عملا منكرا انفسها اذ لا تحتمل الخزى وربما كانت تخنق نفسها أو تقتل بالسيف ذاتها ولعمرى أن البتول كانت عجيبة فى تمكينها ولوقا البشير يبين فضيلتها فى قوله أنها

لما سمعت سلام الملاك عليها ما انصتت اليه لساعتها ولا قبلت ما قيل لها لكنها ارتجفت طالبة معرفة معنى تسليمه عليها فاذ كانت بهذه الصورة فى استقصائها قد كانت لعمرى تحير عند اغتمامها مفتكرة فى خجلها وأنها لم تؤمل ان تزيل ارتياب أحدهما كان احتياجها لمن يسمعها أن الحبل الكائن ليس فسقا ولما كان قليل حصول مثل هذه الحوادث جاء الملاك اليها قبل حبلها لانه وجب ان يكون ذلك الحشاء الذى ركب فيه خالق البرايا كلها خاليا من الارتجاف ولاق ان تكون نفسها المؤهلة لان تكون خادمة لاسرار هذا المحل محلها متخلصة من القلق كله والانزعاج فلهذا الحال بشرت البتول قبل حبلها وخوطب يوسف فى وقت انخاض طلقها وهذا المعنى اذلم يعرفه كثيرون من الساذجين ذكروا انه اختلاف فى الوصف لان لوقا الرسول يقول ان مريم بشرت وان متى يقول أن يوسف أوحى اليه اذ ما يعرفون أن الفعلين كليهما كانا فيلزمنا اضطرارا اكثر من كل شئ أن نتصفح الخبر ونتأمله فاننا على هذه الجهة نحل معجمات كثيرة نظن أنها اختلافات فى الوصف وعند ارتجاف يوسف جاء اليه الملاك لاجل الاسباب التى ذكرناها ولكى يبين فلسفته تباطأ من المجىء اليه واذا شرف العمل أن يخرج من القوة الى الفعل وأفاد بعد ذلك وعند افتكاره فى هذه الافكار ظهر له ملاك فى نومه فانظر الى وداعة الرجل ليس انه ما عاقبها فقط لكنه مع ذلك لم يبح بسره الى أحد الناس ولا الى المتهمة بعينها لكنه افتكر فى ذاته واجتهد أن يخفى العلة عن البتول بعينها الا انه ما قال انه أراد أن يخرجها لكن قال أنه اراد تخليتها سرا فكان الرجل أنيس الخلق وديعا قد بلغ فى دعته مبلغا عظيما فعند افتكاره فى هذه الافكار اذا بالملاك قد ظهر له فى نومه ولسائل أن يسأل ولماذا ما ظهر له جهرا مثل ما ظهر للرعاة ولزكريا وللبتول فنقول له ان الرجل كان مؤمنا مصدقا جدا وما احتاج الى هذا النظر فالبتول ظهر لها جهرا

من طريق أنها بشرت ببشارة عظيمة المحل جدا وزكريا بشر بولد عظيم المنزلة قبل كونه فاحتاج الى نظر عجيب جدا والرعاة ظهر لهم جهرا لانهم كانوا أقل علما من غيرهم وهذا الفاضل ظهر له قرب المولد لما استحوذت التهمة الخبيثة على نفسه فكانت متسومة للانتقال الى أمال صالحة ان استبان احدنا عند ارشاده الى هذا الامر يقبل الاعلان باسهل قبول فلهذا الغرض بشر يوسف بعد التهمة ليصير له هذا الاعلان بعينه برهانا لما قيل له لان ضميره الذى لم يقله لاحد من الناس لكنه افتكر به فى تمييز فهمه سمعه حين قاله الملك فافاده بعلامة قد زال الارتياب بها واردة من الله لان الله وحده يعرف هواجس القلب وهو يمنع اباحتها وأنظركم صنوفا تكونت بورود الملاك اظهرت فلسفة يوسف وحصل ما قيل له على جهة الواجب موافقا لتصديقه وصار كلامه منزها من تهمة تعرض فيه اذ بين بذلك أن يوسف أصابه ما كان واجبا أن يصيب رجلا غيورا وان سألت كيف حقق الملاك تصديقه أجبتك اسمع الالفاظ التى أتاه بها واستعجب فى حكمتها لانه حين جاء اليه قال له يا يوسف ابن داود لا تخف ان تأخذ مريم خطيبتك وذكره فى الحين بداود المزمع أن يأتى من نسله المسيح وما أهمله أن يرتجف بتسميته أجداده اذ ذكره بموعد كائن لجنسنا كله والا فلم دعاه ابن داود وقال لا تخف على أن الله فى غير هذه الجهة لم يعمل هذا العمل لكنه اذا تآمر على امرأة بما لا يجب اضماره أردعه بخطاب مهول والذع من غيره على أن هذا الحادث ربما كان من غباوة لان فرعون ذاك أخذ سارة وما عرف أنها امرأة ابراهيم الا أن الله انتهره مع ذلك بانتهار مهول وههنا خاطب يوسف خطابا رقيقا وذلك لان العوارض التى دبرت كانت جسامتها عظيمة والفرق بين الرجلين كان عظيما فلهذا المعنى ما وجب أن ينتهر هذا وبقوله لا تخف بين انه كان خائفا مرعوبا فقال لا تصادم الهلك وحالك حال من قد حاز فاسقة ولو لم

يكن

يكن هذا الضير ضميره لما كان افتكر أن يخرجها من منزله فبين له الملاك بكل
ماناجاه به أنه من الله ورد اليه باخراجه ما افتكر فيه و بتصنيفه كل ما أصابه
فى سريرته واظهاره كل ذلك الى وسط البيان ولماذا كراسمها ما وقف عنده هذا
اللفظ لكنه أضاف اليه امرأتك فلو كانت انفسدت لما كان دعاها بهذا
الاسم وقوله ههنا امرأتك معناه خطيبتك على حدما ألف الكتاب أن
يدعو المخطوبين قبل العرس اختانا وان سألت ما معنى قوله لا تخف ان تأخذ
مريم أجبتك أى لا تخف ان تضبطها داخل منزلك لانه كان قد صرفها من عنده
بافتكاره واضماره ان يصرفها فقال له لا تخف ان تمسك بالمصر وفة من
بيتك باضمارك ان تصرق التى دفعها الله اليك ليس والدها ودفعت
اليك لا للتزويج لكن للسكنى معك وسلمت اليك بصوتى فعلى حسب
ما دفعها المسيح أخيرا الى تلميذه كذلك سلمت الآن الى يوسف ثم أشار الى
السبب وماذكر التهمة الخبيثة بل بما هو ألطف بالمعنى وأليق بالحال لان
بعلمه امخاض الطلق زالت تلك التهمة و بين له أن بالعزم الذى أراعه وشاء ان
يخرجها به من منزله بذلك العزم بعينه يكون واجبا عدلا يشتمل عليها و يتمسك
بها اذ أزال جهاده عن تفاقمه لانه قال ليست متخاصة فقط من خلطة منحرفة
عن الشريعة لكنها تحبل حبلا فائقا على الطبيعة فلا تخرج خوفك وتحذفه فقط
لكن افرح فرحا عظيما وذلك أن المولود منها من الروح القدس هو
فالقول الذى قاله عجيب المعنى يفوق على الفكر الانسانى وهو أعلى من
شرائع الطبيعة وان سألت كيف وجب أن يصدق هذه الاقوال رجل غير
خبير أجبتك من الاسرار التى كشفت له سالفا لان لهذا المعنى كشف له الملاك
كل ما فى سريرته وكل ما أراعه وكل ما ارتاى أن يعلمه ليحقق عنده من تلك
الاسرار التى كشفها له تصديق هذا القول وأليق ان نقول ليس من تلك
التى كشفها له سالفا فقط بل بما كان أيضا مزمعا أن يدركه لانه قال ستلد ابنا

وتدعو اسمه يسوع لانه لا يظن اذ هو من الروح القدس أن يكون غريبا
من خدمتك فى هذا التدبير لانك وان كنت لم تعمل فى مولده عملا لان
البتول لبثت ناجية من ملامسة وهذا هو خاصة الروح القدس أن تبقى رتبة
البتول عديمة الفساد فهذه الرتبة لك أخولها ان تضع للمولود اسمه لانك أنت
الذى تسميه وائن كان مولده ليس هولك الا انك ستوضح فيه أفعال أب لهذا
السبب أجعلك مختصا بالمولود فى هذا الحين من وضعك اسمه ثم لكيلا
يتوهم متوهم أنه من هذه الجهة أباه اسمع كيف يصغو ما يتلو قوله باستقصاء
ايضاحه لانه قال وستلد ابنا وما قال ستلد لك ولذلك جعل قوله معلقا لانه
ما ولدته لكنه ولدته للدنيا كلها لهذا السبب جاء الملاك حاملا من السموات
اسمه ومن هذه الجهة يوضح مولده العجيب بان الله هو الذى أرسل الى يوسف
اسمه من العلو بملاكه لان ولا هذا كان على جهة بسيط لفظها لكنه كان
كنز الاعمال صالحة جزيلا عددها فلذلك ترجم الملاك هذا المعنى بوصفه
امالا صالحة واقتاده بهذا المعنى الى تصديقه لكى نعتاد أن يكون فكرنا أكثر
اشتياقا الى هذه المواعيد وكذلك نشتهى تصديقها بأبلغ تصديقا
فالملاك اذ اوجد طرقا كثيرة لتصديق أقواله مما أسلف يوسف اضماره
ومما استأنف كونه ومما هو حاضر عنده من الكرامة الواصلة اليه
بتسميته أباه واستورد له النبى بغرض يلائم الواجب حازما حكمه بهذه الفوائد
فسبق وأنذر قبل دخوله متجسدا الى الدنيا بالخيرات والحظوظ الصالحة
المزمعة أن تحصل به للمسكونة وان سألت وما هى هذه الحظوظ الصالحة أجبتك
هى ازالة الخطايا لانه قال هو يخلص شعبه من خطاياهم والوعد فى هذا
القول يستبين عجيبا لانه لم يبشرنا بازالة حروب محسوسة ولا بالتخلص من العجم
لكن بشرنا بما هو أعظم من هذا قدرا وهو اخلاصنا من خطايانا وذلك
لم يكن ممكنا أن يصير فى وقت من الاوقات لاحد ناسا لنا ولسائل أن يسأل

فلاجـل أى غرض قال شعبه ولم يقل بأنه يخلص الامم ايضا فجيبه لـكيلا يدهش سامعه عاجلا ولعمرى انه اذ تمعن السامع فى قوله يفهم ان مراده بلفظة شعبه ليس هـم اليهود فقط بل يشمل الامم ايضا كافـة الذين يتقدمون اليـه و يتسلمون منه المعرفة فهؤلاء شعبه وتأمل كيف فتح لنا المعرفة برتبته اذ دعى شعب اليهود شعبه فهـذا الابين معنى آخر الا أن المولود هو ابن الله وأن القول له هو فى وصف ملك فى العـلو لان اغتفار الخطايا ليس هو لقوة أخرى الا لجوهر الله ذلك السعيد

(العظـــــــــــة)

فاذ قد تمتعنا بهذه الموهبة السامية فينبغى لنا أن نعمل سائر المحامد حتى لا نشين هـذا الاحسان الجزيل المقـدار لان ما عملناه قبل هـذه الكرامة من الخطاء ان كان يستوجب تعذيبا فما نعمله من المنكر بعد هـذا الاحسان الفائق الوصف أولى بأن يستوجب تعذيبا أكثر وهذه الاقوال أقولها الآن ليس على بسيط لفظها لكن لاننى أبصر أناسا كثيرين يتصرفون بعد معموديتهم فى سيرة أوفر رداءة من سيرة الذين قد فاتهم سر التعميد وما يمتلكون ولا فضيلة واحـدة تعرف بها سيرتهـم ولهـذا السبب ليس ممكنا أن نعرف بسرعة لا فى السوق ولا فى الـكنيسـة من هو المؤمن ومن هو غـير المؤمن ما لم يقف أحدنا فى وقت تقديس أسرار القربان و يبصر أناسا يخرجون من الـكنيسة وأناس يثبتون ففى هـذه الحالة يعرفوا ليس من مكانهم لـكن من طريقتهـم ولعمرى أن المراتب التى من خارج محلتنا ينبغى أن تستبين عـلى جهة الواجب من الدلائل الموضوعة على أصحابها من خارجهم الا أن أحوالنا يجب أن يكون التعريف بها من انفسنا و بيان ذلك أن المؤمن يجب أن يظهر ليس من الموهبة فقط لـكنه ينبغى ان ينظر من حياته الجـديدة و ينبغى أن يكون المؤمن

نورا للعالم وملحافاذا كنت لاتستبين عند ذاتك فمن أين نعرفك فيما بعد لانك
قد غطست فى مياه التعميد الطاهر لكن هذا الاحسان سيزيد عقابك
لان اكرام الذين لايختارون ان يعيشوا عيشة أهلا لاكرامهم اثماهو زيادة
فى تعذيبهم لان المؤمن واجب عليه أن يشرق فضله ليس مما أخذه من الله
فقط لكن يجب أن يجمع مع ذلك مما قدمه هو وعمله وان يكون معروفا من
سائر جهاته من مشيه ومن نظرته ومن شكله ومن كلامه وهذه الاوصاف
التى ذكرتها ليس لنتكبر للتظاهر بها لكن لنقوم بها ذواتنا النفع الذين
ينظرون الينا فالان اذا طلبت ان أعرف صفاتك أجدك من سائر جهاتك
متصفا باضداد هذه لاننى اذا ابتغيت ان أعرفك من مكانك أراك تلبث طول
نهارك فى ميادين سباق الخيل وفى مشاهد اللعب وفى اعمال تجاوز
الشريعة وفى الاجتماعات الخبيثة فى الاسواق وفى مصاحبة ومعاشرة
أناس مفسودين وان طلبت ان أعرفك من شكلك الذى يرى فيك
أبصرك مقهقها على الدوام محلول الحواس كقحبة متحركة متخلعة واذا شئت
أن أعرفك من ثيابك أراك ليس حالك أفضل من حال الذين فى خباء
اللعب ومتى أثرت أن أعرفك من اتباعك أراك تستصحب حولك طفيلية
ومتملقين واذا شئت أن اعرفك من أقوالك فاسمعك ناطقا بكلام يعافه السمع
غير ضرورى ولا بحياتنا لائقا وان رمت أن أعرفك من مائدتك فتلبك
يستبين من هذه الجهة أعظم كثيرا فقل لى من أى جهة يمكننى أن أعرفك
ايها المؤمن اذ قد اخترت أضداد ما قلناه وما حاجتى أن أقول من أى جهة
أعرفك أيها المؤمن لاننى لست استطيع ان أعرفك معرفة بليغة ان كنت انسانا
لانك اذا رفصت رفص الحمار وارتكضت ارتكاض الثور وصرت تصهل
على النساء صهيل الخيل وتهيم على الطعام هيام الدب وتسمن جسمك كالبغل
وتبطن الحقد كالجمل وتختطف اختطاف الذئب وتغتاظ اغتياظ الحية

وتبطن

وتبطن الغش كالثعلب وتخزن سم الخبث كالافعى والارقم وتحارب مغتالا
على اخوتك مثل ذلك الشيطان الخبيث فكيف يمكنى ان أعدك مع الناس
واست أرى فيك صور طبيعتهم لاننى اذا طلبت فضلا بين موعوظ ومؤمن
أتورط فى الخطر اذ لا أجد فضلا بين رجل ووحش فالذى أسميك
وحشيا الان الوحوش كل منها متمسك بأحد هذه النقائص وأنت قد جمعتها
كلها وسلكت أبعد من بهيمتها أفأسميك جنيا ولكن الجنى لا يخدم
بطنه ولا يعشق أموالا فاذا كنت تملك نقايص أكثر من نقائص الوحوش
والشياطين فقل لى كيف نسميك انسانا فان كان لا يسوغ لى ان اسميك
انسانا فكيف أدعوك مؤمنا وأصعب ماذكرناه من رداءة هذه الحالة فى
سوءها وقبحها وعدم معرفة صورة قبح أنفسنا ولا التبصر الى وحاشة منظرها الانك
اذا جلست فى دكان مزين وقصصت جمة رأسك وتناولت المرآة تتأمل بأبلغ
التأمل نظام شعرك وتسأل الواقف حولك والمزين أيضا ان كان قد رصف
طرتك فوق جبهتك رصفا جيدا وربما تكون شيخا ولا تخجل من شغفك
بحالات الشباب وتكون انفسنا ليست وحشة الصورة فقط لكن تكون صورتها
صورة وحش أو كلب أو عنز على حد وحديث الذين خارج كنيستنا فلا نحس بها
ولا نحسب يسيرا على ان ههنا مرآة روحية أفضل من تلك المرآة وأوفر نفعا
لانها لا تريك قبح صورتك فقط لكنها مع ذلك تنقل قباحتها الى حسن يفوق
وصفه اذا شئنا ذلك وهذه المرآة هى ذكر الرجال الصالحين وخبر عيشتهم
السعيدة وقراءة الكتب والشرائع التى دفعها الله الينا فان شئت ان تنظر
ولو دفعة واحدة فقط الى صور أولئك القديسين فستعاين قبح صورة
سريرتك واذا عاينته لست تحتاج فيما بعد الى أحد من الناس غيرك فى
ازالة هذه القباحة من نفسك لان هذه المرآة موافقة لنا فى هذا الوجه
جدا تجعل الانتقال من قبح خطايانا متيسرا فلا يلبثن أحدنا فى صورة البهائم

لانه ان كان العبد لايدخل الى منزل ابينا فاذا كنت قد صرت وحشا
فكيف يمكنك السلوك فى دها ليز منزاه تلك الجليلة وماهى قولى اذ كنت
قد صرت وحشا اذ من هذه السجية سجيته فهو أشر من الوحوش كلها لان
تلك الوحوش وان كانت وحشية متنمرة اذا رباها الانسان ربما
صارت أنيسة الخلق جدا فاذا نقلت انت وحشية الوحوش التى فى ذات طباعها
الى خلق انيس منحرف عن غريزتها فأى احتجاج تحتج به اذا اخرجت
ودائعك التى فى ذات طباعك الى تنمر منحرف عن طباعك وذلك الوحش المتنمر
بطباعه تجعله انيسا وتجعل ذاتك الانيسة بطباعها متنمرة خارج طبيعتها
وتونس سبعا وتجعله يدخل تحت يدك وتجعل غضبك اشد تنمرا من السبع على
ان هنالك صنفين مانعين ان السبع ليس له فكر وانه أوفر غضبا من
الوحوش كلها الا انك مع ذلك بكثرة الحكمة التى اعطاكها الله تقدس
اسمه تستظهر على طبيعته فيا من يستظهر على السباع ويقهر طبيعتها كيف
ما تستظهر على ذاتك وتقهر طبيعتك ولما تدفع سجيتك الحميدة وتشين نيتك
الفاضلة ولو امرتك ان تجعل انسانا غيرك وديعا لما كان يظن بى على هذه
الجهة اننى آمرك بما هو ممتنع عليك بل ربما تحتج بانك لست مستوليا على
عزم غيرك ولا قد فوض اليك اصلاحه فأى احتجاج تحتج به الآن فى انك
لم تضبط توحشك الذى أنت على كل حال مالكه وتستظهر على طبيعتك وأية
حجة مقبولة يمكنك ان توردها حالة كونك تقدر تجعل الاسد انسانا وتغفل
عن ذاتك صائرا من انسان سبعا فتهب للاسد ما يفوق على طبيعته وما تحفظ
لنفسك ما هو فى طبيعتك لكنك تحاول ان تقتاد السباع الوحشية الى شرف
جنسنا وتهبط ذاتك من كرسى مملكتك وتكردسها الى جنون الوحوش
فاضبط نفسك عن الغضب والحرص الذى يظهره بعض الناس فى تربية
السباع اظهر أنت نظيره فى ذاتك واجعل الفكر هذا فيك لتكون أنيسا

وديعا

ودبعاوذلك ان السبع يملك أنيابا ومخالب ردية فاذا آنسته يضيعها كلها الان لا أسد ولا أفعى يقدر ان على ان يمزقا أحشاءنا مثلما يمزقها غضبنا وينشب دائما بمخاليبه فيها لانه ليس يفسد جسمنا فقط لكنه يفسد قوانا الروحية ويأكلها ويمزقها ويجرد كافة قوتها ويجعلها مرفوضة مطرحة فى أعمالها كلها ولو ربى أحدنا فى أمعاه دودا لما أمكنه ان يتنفس اذ تكون الالات التى فى باطنه كلها مأكولة فكيف يكون حالنا نحن أن حزنا الغضب فانه كالحية يأكل كل ما فى باطننا اذ يولد عزما جليدا فى الشر وان سألت فكيف نتخلص من هذا الفساد أجبتك يلزمك أن تشرب شربة مقتدرة على ان تقتل الدود والحيات التى فى باطنك وان استخبرتنى وما هى هذه الشربة المالكة هذه القوة أجبتك هى جسد ودم المسيح المكرم ان تناولته باستحقاق لان هذا الدم يقتدر ان يخمد كل مرض روحى وأقرن هذا باستماع الكتب الالهية بشوق ورغبة وبالصدقة اذا اصطحبت باستماع الكتب لان بهذه الادوية كلها تقدر ان تميت أمراض العزم التى تفسد انفسنا وحينئذ نعيش بعد ذلك الحيوة الجديدة المطلوبة لاننا الآن ليس حالنا أفضل حالا من الاموات لان تلك أعنى أمراض عزمنا اذا كانت تعيش حية فلا سبيل لنا نحن ان نحيا بل نهلك بالضرورة لاننا ان لم نبادر نحن ونقتلها ههنا والا اذا ذهبنا الى هنالك ستقتلنا هى على كل حال والاليق ان نقول ان قبل ذلك الموت سنكون ههنا تحت طائلة القصاص لان كل واحدة من شهواتنا التى هذا الحال حالها قاسية مغتصبة لا تشبع بأكلنا فى كل يوم وان يكف فى وقت من الاوقات عن أكلها ايانا لان انيابها شبيهة بانياب السبع والاليق ان نقول ان انيابها اشر من انياب الاسد وأرداه كثيرا لان الاسد لما يشبع يتنزح عن الجسم الذى قد وقع له واما امراض هواناهذه فلا تشبع ولا تتنزح الا ان يقف الانسان الذى قد اقتنصته بقرب ابليس المحتال ونقاومه بمقدار يبلغ مقداره الى مقدار الخدمة التى أظهرها

بولس الرسول للمسيح الهنا اذا زدرى بكل شئ لاجل اسمه وهذه الخدمة والعبودية بعينها يطالب بها الذين اصطادهم بتعليمه وبيان ذلك ان أحدنا متى سقط فى عشق الاجسام أو فى حب المال أو فى ايثار الشرف فانه يضحك فيما بعد على جهنم ويتهاون بملك السماء ليعمل مراد أمراض عزمه هذه فلا نكذبن بولس عند قوله انه أحب المسيح هذا الحب اذ صادف أناسا متعبدين لامراض هواهم هذا التعبد ولم يجد الرسول بينهم صادقا وهذا هو سبب ضعف شوقنا الى المسيح لان قوتنا كلها قد أفنيناها فى هذا العشق ونخطف ماليس لنا ونستكثر من المقتنايات ونتعبد للشرف الفارغ الذى لا يكون أحقر منه شيئا عند الله لانك لو صرت ربوات مرات معظما فليس لك فضل عن الادنياء المحتقرين بل لهذا الغرض عينه يكون أحق بالهوان لان الذين يريدون تشريفك واظهار قدرك يضحكون عليك لهذا السبب عينه وهوانك تشتهى التشريف منهم والتكريم وكيف لا تحول رغبتك فى هذه الى ضدها لان هذا الفعل هو من الافعال المذمومة وكما ان من يشتهى ان يفسق أو يزنى اذا مدحه مادح وداراه انما يصير ثالبا أكثر مما يصير مادحا للمشتهى هذه الافعال وأمثالها فكذلك المشتهى التشريف اذا مدحناه كلنا فانما نكون ثالبين له أكثر مما نكون مادحين لمن يريد تشريفنا اياه فما بالك تحب فعلا يحصل لك منه ضد مرادك فان كنت تؤثر التشريف فاستهن بالشرف فتكون أوفر شرفا من كل الناس ما بالك ان يصيبك ما أصاب بختنصر لان ذلك الملك نصب صورة معمولة من ذهب وتمثال محسوس ظانا انه يستمد لذاته زيادة من المديح والحى أراد ان يظهر أبهته مما هو ليس حيا أرأيت تفاقم جنونه لانه توهم ان يكرم ذاته بأمانتها أو فره وانا اذا استبان انه واثق بصورة خالية من نفس أكثر من ثقته

بذاته

بذاته ونفسه الحية ولهذا السبب قدم تمثال الذهب الى تصدره هذا مبلغه
عظيما فكيف لا يستوجب الضحك عليه لرغبته فى ان يتجمل ليس من سجاياه
لكنه آثر ان يتباهى من جهة دفوف تمثاله فكانت حالته حال من يبتغى
التفخيم من الاثاث الذى فى داره ولاجل درج سلالمه لانها حسنة أكثر مما يستحق
لانه انسان وكثيرون الآن فى زماننا هذا يماثلون ذلك الملك وكما ان ذاك ابتغى
التكريم من اجل تمثاله فكذلك الان اناس غيره يتباهون بثيابهم وغيرها من
دورهم ومن بغالهم ومركباتهم ومن الاعمدة التى فى منازلهم ولم يعلموا انهم
بشرفانهم يحولون ليجدوا لهم من جهة أخرى تشريفا من الضحك الان الفتية
الثلاثة الصناديد الافاضل خادمى الله تقدس ذكره ما أشرق فضلهم من هذه الجهة
بل من محامدهم التى بزغ منها حسنهم كثيرا جدا لانهم كانوا أسورين وعبيدا
وشبابا وغرباء اغتصب منهم كل ما كان لهم فى منازلهم فما حصل لهم كانوا أوفر
شرفا من ذلك الملك المتوشح بهذه الحظوظ الجليلة كلها ولم يكتف بختنصر
بالتمثال الذى كان تقديره مادته كثيرا ولا بامرائه ولا بقواده ولا بجيوشه التى تفوق
الحد ولا بكثرة ذهبه ولا خيال آخران تسد شهوته فى اظهار عظمته وهؤلاء
المجردون من هذه الاشياء كلها اشهرتهم فلسفتهم وحدها وأظهرت الذين لم
يمتلكوا ولا صنفا واحدا من هذه الاصناف أحسن بهاء من المتباهى بتاجه
وديباجه البنفسجى المتوشح بهذه الاصناف الجليل قدرها فكان
مقدار فوقهم عليه بقدر الشمس بهاء عن الحماة لانهم سيقوا الى وسط
المسكونة كلها وكانوا احداثا وأسرين وعبيدا وعند ظهورهم فى ذلك
الموقف كان امام الملك وقد تغير منظر وجهه وكان يتطاير الشرر من عينيه وقواده
وخلفاؤه ورؤساء بلدانه وكافة مشهد ابليس المحتال قد وقفوا حوله وصوت
الصنج والابواق من كل جهة وكافة آلات المغانى على صوتها الى السماء وتكررت
فى أسماعهم والاتون قد أوقده وارتفع لهيبه ارتفاعا عظيما الى الغيوم ذاتها

وكانت كل الاشياء هنالك مملوة خوفا وروعة الان أولئك الشجعان ما راعهم
صنف من هذه الاصناف لكنهم ضحكوا عليها كمن يضحك على صبيان لاعبين
وبينوا شجاعتهم وجراءتهم وأبدوا صوتا كان أشد بهاء من صوت تلك الابواق
وقالوا أيها الملك ليكن معروفا عندك لانهم ما أرادوا ان يسبوا المغتصب ولا
بلفظة واحدة لكنهم آثروا ان يظهروا تهذيب دينهم فقط ولم يسهبوا
فى كلامهم لكنهم أظهروا بلفظ يسير كل ما أرادوا ان يقولوه ان فى السماء
الها موجودا مقتدرا ان ينجينا من يدك ما بالك ترينا كثرة الوقوف لديك ما بالك
ترينا الاتون ما بالك تظهر لنا سيوف مرهفة ما غرضك فى ان ترينا غلمانك
المرهوبين ان سيدنا أعظم من هؤلاء كلهم محلا وأوفر اقتدارا ثم
توهموا انه قد يحصل ان يشاء الله ويسمح باحراقهم فلئلا يظن أولئك اذا
احترقوا انهم قد كذبوا فى قولهم استثنوا بهذا اللفظ قائلين ومتى لم يكن هذا
أى متى لم ينقذنا فليكن معلوما عندك اننا ما نعبد الهتك لانهم لو كانوا قالوا انه
بسبب خطايانا ليس ينقذنا فلو كان لم ينقذهم لكانوا قد كذبوا فلهذا السبب
صمتوا عن هذا القول فى هذا الموضع وقالوه فى الاتون موردين خطاياهم فى
أعلاه وفى أسفله ولم ينطقوا بحضرة الملك بلفظ هذا معناه لكن لو اشرفوا على
الاحتراق لما كانوا بدلوا صحة دينهم لانهم ما عملوا ما عملوه من الامتناع من
السجود للصنم بسبب فضلات وجوائز يستمدونها من الله لكنهم عملوه من
حبهم له فقط على انهم كانوا فى أسر وعبودية غير متمتعين ولا بصنف واحد
صالح لانهم كانوا قد خابوا من وطنهم وحريتهم ومن موجوداتهم كلها ولم ينالوا
كرامة فى قصور بختنصر الملك وانما الكرامة فى كونهم كانوا ابرارا أصحاب عدل
قد اختاروا مرارا ان يكدوا كدا فى منازلهم ويتمتعوا بالفوائد النافعة فى
هيكلهم لانه قال يوما واحدا فى ديارك خير من ألف اخترت الوقوف على العتبة
فى بيت الهى على السكن فى خيام الاشرار فقد كانوا يتمنون ان يكونوا فى منازلهم

طريحين

ظريحين مكدين دفعات كثيرا عددها أفضل من ان يتملكوا املاكا في بابل وهذا الرأى بين واضح من أقوالهم التى أوضحوها فى الاتون مستثقلين المقام هنالك لانهم ان كانوا قد تمتعوا بالكريم كثيرا الا انهم كانوا اذا ابصروا مصائب غيرهم من أخوتهم كان ذلك يحزنهم جدا وهذا يوضح بأوضح البيان خاصة القديسين بانهم لا يفضلون على خلاص القريب لا شرفا ولا اكراما ولا شيأ غيرهما وانظر اليهم اذ كانوا فى أتون النار لبثوا يتضرعون من أجل الجمع كافة ونحن لو كنا فى الراحة فلما نذكر اخوتنا وحين طلبوا المنامات ما ترقبوا أحوالهم لكن أحوال غيرهم والدليل على انهم أزدروا بالموت انهم قد أوضحوا ذلك بأقوال كثيرة وصدروا فى كل موضع ذواتهم اذا أرادوا ان يستشفعوا الله ثم اذا احتسبوا ذواتهم عديمة الكفاءة التجأوا الى أبائهم وذكروا انهم لم يقدموا شيأ الا روحا منسحقة متخشعا فينبغى لنا نحن ان نتشبه بهؤلاء لان الآن قد انتصبت صورة ذهبية هى المال فسبيلنا الا نصغى الى الطبول ولا الى الزمور ولا الى المعازف ولا الى باقى خيال اليسار والغنى حتى وان التزمنا ان نسقط فى أتون الفقر فينبغى ان نختاره ولا نسجد للمال فسيكون لنا فى وسطه نداء صافر ولا نرتاعن اذ نسمع أتون الفقر لان فى ذلك الحين الذين قذفوا فى الاتون استبانوا ابهى مما كانوا حسنا وأزيد شرفا والذين سجدوا للتمثال قتلوا وفى ذلك الزمان حدثت هذه الحوادث كلها معا والآن فاقسام المكافأة منها ما يكون ههنا ومنها ما يكون هنالك ومنها ما يكون فى هذه الدنيا وفى يوم القيامة يتم المرام وبيان ذلك ان أناسا فقراء يختارون الفقر ولا يسجدون للمال فيكونون ههنا فى ذلك الوقت ابهى حسنا من غيرهم والذين قد استغنوا فى هذه الدنيا ظلما سينالون حينئذ طائلة العذاب الى أقصى غايتها من أتون الفقر هذا أخرج العاذر الفقير بها ليس دون بهاء أولئك الفتية والغنى الذى هو فى رتبة الذين سجدوا للتمثال أوجب الحكم عليه فى جهنم لان

هذه الاخبار التى نذكرها مثالا لثلاث الحوادث وكما جرى الامر فى هذه الدنيا ان الذين سقطوا فى الاتون ما أصابهم مكروه والذين كانوا جلوسا خارج الاتون قتلهم لهيب النار كذلك تكون المجازاة فى يوم القيامة لان القديسين يعبرون فى نهر النار ولا ينالهم مكروه لكنهم يظهرون بهيين والذين يسجدون للتمثال الذهب سيبصرون النار طائرة اليهم أصعب من وثوب كل وحش وتجذبهم الى داخلها فيجب على من ينكر جهنم ان يبصر هذا الاتون وليصدق من هذه العقوبات الحاضرة العذابات المنتظرة ولا يرهبن أتون الفقر بل ليرهب أتون الخطية لان أتون الخطية لهيب ووجع وأتون الفقر نداء وراحة وأتون الخطية يقف به ابليس المحتال وأتون هذا الفقر تقف ملئكة الله ينقضون لهيبه ويسمع هذه الاقوال الاغنياء الذين يضرمون أتون الفقر لانهم لا يضرون أولئك الفقراء أدنى ضرر اذ يوافيهم نداء السلوى سريعا ويجعلون ذواتهم تيسرا للهيب فقرهم الذين أضرموه بأيديهم وفى ذلك الحين انحدر مع الثلاثة الفتية ملاك والآن فسبيلنا نحن نحدر مع الذين قد حصلوا فى أتون الفقر ونخترع لهم بالصدقة نداء وننفض لهيبه عنهم لنصير شركاء كلتهم ليشتت عنا لهيب جهنم ونسمع صوت المسيح القائل كنت جائعا فاطعمتمونى لان هذا الصوت فى القيامة يقف بنا بدلا من النداء صافرا فى وسط اللهيب فلنحدر بالصدقة الى أتون المسكنه ولنبصر المتضايقين فيه الواطين فى لهيبه ولنعاين العجب الجديد المستغرب انسانا فى الاتون مترغا انسانا فى النار شاكرا مقيدا بفقر فى أقصى غايته مقربا للمسيح مديحا الا بقدر لان المحتملين الفقر بشكر يكونون معادلين أولئك الفتية لان المسكنه أكثر خيفة من النار وفى طباعها ان تحرق أكثر من النار الا أنها ما أحرقت أولئك الفتية لكنهم اذا اعترفوا السيدنا بالمنة انحلت فى ذلك الحين رباطاتهم فعلى هذا المجرى

يجرى أمرك اذا سقطت فى فقر وشكرت تحل رباطاته عنك ويخمد لهيبه
عنك وان لم يخمد يصير بدلا من لهيبه عين ماء ولذلك هو أعجب الحوادث
وهذا الحادث يحبه ان يرى فى الذين يتفلسفون انهم يكونون فى فقرهم فاقدين
الخوف والهم أكثر من الاغنياء اذ فى ذلك الحين تمنع الفتية فى وسط الاتون
بنداء صاف اتفق وقتئذ لهم فالنار ما طفاها ومنع عن الذين طرحوا فيها
أحراقها فلا تجلس خارج الاتون ناظرين نحو الفقراء نظرا خاليا من
الرحمة لئلا يصيبنا ما أصاب أولئك حينئذ لانك اذا انحدرت اليهم تقف مع
الفتية وما تمس النار بك أيضا ثم لا مكروها واذا جلست فوق وتغافلت عنهم
فى لهيب فقرهم فسيحرقك لهيبها فانحدر اذا الى النار لئلا تحرقك النار ولا تجلس
خارج النار لئلا يختلسك لهيبها فانه اذا أبصرك مع الفقراء يبتعد عنك ومتى
رآك متغربا منهم يحاضر خلافك سريعا ويختلسك فلا تبتعدن عنهم اذا طرحوا
لكن اذا أوعز ابليس المحتال بطرح الذين لم يسجدوا للذهب فى أتون الفقر
فلا تكونن من الطارحين لكن كن من المطروحين لتكون من المتخلصين
لا من المحترقين لان نداء عظيما الا تغرك شهوة الايسار وان تخاطب الفقراء
فهؤلا الفقراء أكثر يسارا من كل الناس وهم الذين وطئوا شهوة الثروة اذ
كان أولئك الفتية تهاونوا حينئذ بهذه الشهوة فصاروا بها من الملاك حسنا وأنت
اذا زهدت الآن فى حطام الدنيا وأعرضت عنها فستكون أوفر كرامة من
الدنيا كلها عديلا لاولئك القديسين الذين لا يستحقهم العالم فلكى تصير
أهلا للنعم السماوية أضحك على النعم الحاضرة فانك على هذه الجهة تكون فى
هذه الدنيا أكثر اشراقا وتتمتع بالحظوظ الصالحة المأمولة بنعمة ربنا يسوع
المسيح ومحبته للبشر الذى يليق للآب معه والروح القدس المجد الآن والى أبد
الابدين آمين

المقـــالة الخامسة

وهذا كله كان ليتم ماقيل من الرب بالنبى القايل هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل

انى اسمع كثيرين منكم يقولون اننا عند حضورنا لمحل الصلاة لاستماع كلام الله والصلاة ننقبض ونكتئب واذا خرجنا من هناك تتأخر أكثرفا كثر وتخمد نار نشاطنا فما الذى نعمله لكيلا يعرض لنا هذا العارض فأقول ينبغى أن نتأمل من أى جهة يحدث هذا فان تصفحنا من أين يتكون لنا وجدناه يتكون من تصرفنا الذى ليس هو لائقا بنا ومن اختلاطنا بالناس الخبثاء لانه لايجب علينا ان ننصرف من الصلاة الجامعة ونلقى ذواتنا فى أشغال ليست لائقة بصلاتنا لكن يجب أن نذهب فى الحال الى منازلنا ونتناول الكتاب بأيدينا ونستدعى امرأتنا وأولادنا الى مشاركتنا فيما جمعناه مما قيل لنا ونمارس بعد ذلك اشغالنا العالمية لانك ان كنت لاتستحسن ان تخرج من الحمام وتمضى الى السوق حتى لاتضيع الراحة التى حصلتها من الحمام بالاشغال التى فى السوق فلا ايق بك بل الواجب عليك أن تعمل هذا العمل بعد انصرافك من الصلاة فنحن الآن نعمل بخلاف ذلك فلهذه العلة نضيع كل ما نسمعه لانه تكون بعد المنفعة مما قيل لنا انغرست فينا كما ينبغى فان نهضة الاشغال المتداركة علينا من خارج تخنق كل ما سمعناه وتهلكه فلكيلا يعرض لك هذا الامر عندما تنصرف من الصلاة فلا تجعل لك شغلا الزم ضرورة عندك من جميع ماقيل لك وصيانته ولعمرى أن رأينا يكون مذموما اذا أفرزنا للاشغال العالمية خمسة أيام وستة ولا نفرز للفوائد الروحية ولا يوما

واحدا بل الاليق ان نقول اننا مانخول ذواتنا ولا قسما يسيرا من يوم أما تبصرون أولاد المدارس انهم يدرسون طول نهارهم التعاليم التى تلقنوها فينبغى أن نعمل نحن هذا العمل والا فلا يحصل لنا من حضورنا فى هذا الموضع ربح الا انه ماذا ننفع اذا كنا نستقى فى كل يوم ونصب مانستقيه فى خابية مشققة فكذلك اذا كنا لا نحرص على ما يقال لنا ونصونه فيجب ان نحافظ على ذلك ونحرص عليه حرصنا الذى نظهره فى احتياطنا على ذهبنا وفضتنا لانه اذا اكتسب أحدنا دنانير قليلة يجعلها فى كيسه ويختم عليها بخاتمه ونحن نقبل أقوالا أكرم وأجل من الذهب والجواهر الجزيلة القيمة ونتسلم ذخائر الروح القدس ومانخزنها فى خزائن انفسنا لكننا نهملها على بسيط اللفظ وننفق مانسمعه ونفرغه من تمييز فهمنا فمن يرحمنا الان اذا كنا نغتال على أنفسنا ونزج ذواتنا الى فقر هذا تقديره فلكيلا يعرض لنا هذا العارض سبيلنا أن نكتب لانفسنا شريعة لا تزعزعها الزعازع ولنسائنا لاولادنا وذلك بان نفرز لنا من الاسبوع يوما واحدا ونجعله كله لاستماع الوعظ والصلاة وصيانته فاننا بهذه الواسطة نتلقن ما يقال لنا ونكون سريعى التعلم له ويكون التعب فيما نمارسه أقل كثيرا وتحصل لكم الفائدة اكثر اذا حفظتم ماقيل لكم سالفا فى حاسة ذاكرتكم وتسمعون على هذا الحال ما يقال لكم فيما بعد لان هذا الحرص لا يفيدكم فائدة قليلة فى فهم ما يقال لكم أعنى الحرص فى أن تعرفوا باستقصاء المعرفة ونظام الافهام التى ننظمها لكم اذ لا سبيل لنا أن نصف المعانى كلها فى يوم واحد فسبيلكم أن تجعلوا التعاليم التى نصفها لكم فى أيام كثيرة على هذا المثال فى انفسكم باتصال تذكرها كضفيرة منتظم ضفرها حتى يتبين جسم الكتب كاملا عندكم فاذا تذكرتم فى أنفسكم ماقيل لكم سلكنا اليوم هذا المسلك الذى نقصده والذى قد نحونا اليوم نحوه وهو قوله وهذا كله كان ليتم ماقيل من الرب بالنبى القائل فقد

هتف بعبارة تفيد غاية التعجب قائلا هذا كله كان لانه أبصر عمق تعطف
الهنا ومحبته و رأى مالا تنتظر حدوثه فى وقت من الاوقات حاصلا وعاين شرائع
الطبيعة منقوضة ومصالحات كائنة وأبصر من هو أعلى من كافة البرايا سموا
منحدرا الى أسفلها كلها ورآى حائط العداوة مهدوما والعوائق بطلت وحوادث
غير هذه اكثر منها كائنة فمبين بلفظة واحدة هذا الحادث العجيب وقال هذا
كله كان ليتم قول الرب بلسان نبيه كانه فقال لا تظن ان هذه الحوادث قد ارتاءها
الان بل قد تقدم من قديم الزمن رسمها وهذا المعنى قد اجتهد بولس الرسول
ان يظهره فى كل مكان واعمرى أن الملاك أرسل يوسف الى اشعيا النبى
حتى اذا اتفق أن ينسى بعد انتباهه أقواله من طريق انها قيلت له محدثة
يتذكر اقوال الانبياء التى تربى فيها كل حين ويتمسك بما خاطبه به وما قال للمرأة
لفظة من اقواله هذه لانها جارية ليس لها معرفة بهذه النبوات وناجى الرجل
لانه كان بارا تاليا كتب الانبياء فناجاه من هذه الجهة وقبل هذه الدفعة قال
مريم امرأتك وفى هذه المناجاة ادخل ذكر النبى الى وسط كلامه حينئذ حقق عنده
اسم البتولية لانه لم ينج من الارتجاف اذ سمع منه البتول اولا ولما ذكر اشيعا النبى
ازمع ان يسمع من النبى ليس اسما مستغربا لكنه سمع منه الاسم المالوف
المتداول فى مدة جزيلة لهذا السبب جعل الملاك ماقاله سريعا قبوله فساق اشعيا
النبى الى وسط كلامه وما وقف عند قوله هذا لكنه نسب الى الله تبارك اسمه
قوله لانه ما قال ان القول الذى قاله هو قول النبى لكنه قال انه قول اله الكل
لهذا السبب ما قال ليتم ما قاله اشعيا النبى لكنه قال ليتم ما قاله الرب لان الفم
كان فم اشعيا والوحى من العلو اتى اليه وان سألته ما هو الوحى أجابك
ان البتول تحبل وتلد ابنا و يدعى اسمه عمانوئيل ولسائل أن يسأل فكيف
ما دعى اسمه عمانوئيل لكنه سمى يسوع المسيح فنجيبه ما قال تدعو
لكنه قال يدعى يعنى الشعوب ومعنى ذلك ما آل أفعاله لانه وضع

فى هذه الاقوال لما عرض لها اسما وهذا المعنى عادة للكتاب ان يضع الافعال
العارضة بدلا من الاسماء لانه قال يدعى اسمه عمانوئيل ولا يدل معنى يدعى اسمه
عمانوئيل على المعنى الاعلى وهو انهم يبصرون مع الناس الههم لان الاله قد كان
مع الناس دايما الا انه ما كان معهم فى وقت من الاوقات على هذا الحال كونا
بيننا فان توقح اليهود أنكروا هذا المعنى فنقول لهم ونستخبرهم متى سمى الصبى
اسلب بسارعه نهب بيادره الا أنه ليس لهم جواب يقولونه ولو قال النبى
أيضا ادع اسمه أسلب بسارعة لان فى يوم مولده حدث نهب الاسلاب واباحتها
لهذا السبب وضع الفعل العارض فى أيامه اسماله وذكر عن المدينة انها
تسمى مدينة العدل أم المدن صهيون الامينة وما نجد البتة ان المدينة سميت
عادلة لكنها البتة تدعى اورشليم لكن اذا برزت هذه الفضيلة منها عند
انتقالها الى ما هو أفضل لهذا السبب ذكر أنها تسمى بهذا الاسم لان متى
ما عرض فعل من الافعال يعرف من قد احكمه أبين تعريف من تسميته
أو يدل أبين دلالة على من تمتع به يكون زعم حقيقة ذلك الفعل اسما لمن
قد أحكمه أو تمتع به فان انبكمت اليهود فى هذه الجهة يستحون استحيا تا غير
هذا مما قيل فى وصف البتولية ويوردون لنا مترجمين اخرين قائلين ما قال بتولا
لكنه قال جارية فنقول لهم أولا ذلك القول ان السبعين المترجمين قد استملكوا
على جهة الواجب ايجاب تصديقهم اكثر من سائر المترجمين غيرهم لان الذين
ترجموا الكتب بعد مجىء المسيح وقد لبثوا يهودا فقد اتجه لنا على جهة العدل
ان نتهمهم من طريق انهم يقولون اكثر اقوالهم معاداة لنا ويحتالون فى
اخفاء النبوات وتغطيتها واما السبعون المترجمون فمارسوا تفسير الكتب قبل
مجىء المسيح باكثر من مائة سنة وكان مبلغهم جزيلا مخلصين من كل تهمة هذه
صفتها عدو لايجب تصديقهم اكثر من غيرهم لاجل زمانهم واوضح كثرتهم
وبسبب اتفاقهم فان نكثوا شهادة اولئك السبعين فالحجج الظاهرة على هذه الجهة

حاصلة عندنا و بيان ذلك ان الكتاب من عادته ان يضع اسم الحداثة على
البتولية ليس على النساء فقط لكن على الرجال معهن ايضا لانه قال الاحداث
والعذارى الشيوخ مع الشبان و تقول فى الحكم على شابه قد اغتيل عليها ومعناه
على بتول قد اغتيل عليها والالفاظ التى قيلت قبل هذه النبوة تثبت هذا القول
لان النبي ما قال على بسيط لفظه هذا البتول تحبل لكنه قال قبل
ذلك ها ربنا بعينه يعطينا علامة وأضاف اليه ها هى البتول تحبل مع انه
لو لم يكن المأمول أن تحبل هى بتول وكان هذا الحبل قد صار بشريعة التزويج
فما لها آية وعلامة عجيبة لان العلامة العجيبة يجب أن تزيد على تتابع
العجائب الكثيرة وينبغى أن يكون مستغربا مبتدلا والا فكيف يكون
علامة عجيبة ثم نهض يوسف عن هجوعه وعمل بحسب ما أوعز به اليه ملاك
الرب أرأيت تمييز فهمه الطائع الخاضع أرأيت نفسه المنتهضة العدلة
فى كافة أوهامها لانه حين اتهم البتول ما احتمل أن يشتملها تقز يعا مكروها
منكرا وحين زالت التهمة عنها ما اضطره الى اخراجها لكنه ضبطها فى منزله
وخدمها فى التدبير كله واشتمل على مريم خطيبته أرأيت كيف يضع البشير
هذا الاسم بمداومة اذ ليس يريد أن يكشف ذلك السر عاجلا وهو يزيل تلك
التهمة الخبيثة واذ تمسك بها ما عرف حالها الى أن ولدت ابنها البكر فذكر
ههنا الى أن ليس حتى نتهمه بانه قد عرفها بعد ذلك لكنه قال الى أن لنعرف
ان البتول كانت على كل حال قبل امخاض طلقها و يغتاص مقارنتها الا انك
تستخبر فلاجل أى غرض قال الى ان فنقول لك ان من عادة الكتاب أن يعمل
هذا العمل فى أكثر الاخبار وان يضع حرف الى ان لا على أوقات محدودة
لانه قال فى خبر سفينة نوح وما عاد الغراب الى أن جفت الارض على انه ولا
بعد جفافها عاد اليه والنبي يفاوض الله قائلا منذ الدهور والى أن يدوم
الدهر أنت هو فلم يضع فى هذا الموضع حدا وقال أيضا يبشر بكثرة السلامة

الى

الى أن يندرس القمر فلم يجعل لهذا الاسطقس النفيس حدا على هذه الجهة
قال في هذا الموضع الى ان استوثق بها قبل المخاض طلقها وصمت
عما بعدها وفوّض اليك مقايسة ذلك لان ما كان يلزم اضطرارا ان
تعرفه منه فقال هو ان البتول لبثت يحتجزمقارنتها الى ولادتها وما كان
قد استبان من اقواله التى قالها تابعا معترفا به استبقاه لك لتعرفه بعد ذلك
كقولك انه ولا بعد ذلك عرف الصائرة على هذه الجهة اما الموهلة لامخاض
طلقات جديدة وولادة مستغربة ولم يكن بارا ان كان قد عرفها بعد
ذلك فان كان قد عرفها واتخذها بمنزلة امرأة بالنظر الى انه ليس لها من يراعيها
وليس لها أحد من الناس استودعها ربنا عند تلميذه وأوعز اليه أن يأخذها
الى أهله ولسائل أن يسألنا فكيف دعا الذين تلوا يعقوب ابن يوسف في سنه
اخوة ربنا فنجيبه انهم ظنوا أن يوسف رجل لمريم لان ستور هذا السر كانت
كثيرة حتى ينستر بها عاجلا المولد السامية جلالته ولذلك قال يوحنا في
وصفهم هذا القول وهو ولا اخوته صدقوه الا ان أولئك الذين ما آمنوا به
أولا صاروا من أجله فضلا وظهر ايمانهم أخيرا ولما صعد الى اورشليم بولس
والذين تبعوه بسبب اعتقاد المذهب دخلوا في الحين الى يعقوب لانه كان
بهذه الصفة عجيبا فضله حتى انه تقلد الاسقفيه أولا وقد ذكروا عنه انه
تصرف في تقشف صعب تناهى فيه الى ان ماتت أعضاؤه كلها ومن تلقاء
صلاته المتصلة وركعاته على الارض الدائمة حسا فيه جلد جبهته وبلغ
في تقبيله الى أن صار لا فرق بينه وبين ركبة الجمل لاجل صلابته وهذا
الفاضل ثقف رأى بولس حين صعد أيضا الى اورشليم بعد ذلك اذ قال له
يا أخي اتبصر كم ربوات ههنا من الملتمين فالى هذا المبلغ بلغ فهمه وغيرته
والاليق ان نقول ان هذا المبلغ مبلغ اقتدار المسيح لان الذين كانوا يجحدونه
حين كان حيا في جسمه ارتاعوا منه بعد موته هذا الارتياع وبلغ منهم الحال

الى أن يموتوا من أجله بنشاط كثير فهذه الافعال توضح لنا أبين ايضاح قوة قيامته لانه لهذا السبب ذخر أفعاله التى هى أبهى حسنا من غيرها أخيرا لتكون قيامته برهانا خاليا من الارتياب به لانه ان كان الناس الافاضل عندنا فى حياتهم ننساهم بعد وفاتهم فكيف الذين جحدوا ربنا فى حين حياته فى جسده اعتقدوا فيما بعد انه اله فلو كان واحدا من الكثيرين فكيف آمنوا به وماتوا من أجله لو لم يتخذوا القيامة برهانا واضحا بينا

(العظـــــــــــــة)

فهذه الاقوال نقولها لا لاستماعها فقط لكننا نقولها حتى تتشبهوا بالشجاعة الدالة على العدل كله لئلا ييأس أحدكم من ذاته ولو كان قبل هذا الوقت وانيا حتى لا تتعلق آماله بعد رحمة الله بشئ آخر الا بفضيلته فلئن كان هؤلاء الافاضل ما افادتهم هذه المناسبة الجليل قدرها نفعا وكانوا مع المسيح ومن اله وقبيلته بعينها الا لما أظهروا فضيلتهم فأى فائدة تعود علينا اذا كان انسباؤنا واخواننا أصحاب عدل ان لم نكن نحن ودعاء جدا عاشين فى فضيلتهم وذلك ان النبى قد أوما الى هذا المعنى فقال اخوتك لا يفتدونك أيفتديك انسان ولو كان موسى ولو كان صموئل ولو كان ارميا واسمع ماذا يقوله الله لارميا النبى لا تبتهل من أجل هذا الشعب فاننى لست اسمع منك ومالك تستعجب فى انه قال لست أسمع منك لان الله بعينه يقول أيضا لو حضر صموئل لما كنت أقبل تضرعه من أجلهم ولو كان المستشفع فيهم حزقيال لما اجبته ان وقف لدى نوح وأيوب ودانيال يتشفعون فيهم وفى بنوهم و بناتهم ما ينجون ولو ان ابراهيم رئس الاباء وقف متوسلا من أجل السقماء اسقاما يعسر شفاؤها جدا و ينتقلون عن خطاياهم لصرفه الله مهملا ولا يقبل صوت توسله فيهم ولو كان الذى يتضرع من أجلهم

صموئيل

صموئيل لما نجى بشبيه شاول ولو توسل متوسل من أجل أخيه توسلا
ليس على جهة الواجب فيسمع ما سمعه موسى وهو ان بصق أبوها في وجهها
بصاقا فانكون باهتين الى غيرنا ولعمرى ان صلاة القديسين تملك قوة
عظيمة بشرط أن نتوب ونصير أفضل مما كالان موسى قد اختطف أخاه
وستين ربوة من الناس من سخط الله وما اقتدران ينقذ أخته على ان خطاها
ما كان معادلا لخطا اولئك لانها شتمت موسى فقط والخطاء الذى اجترى عليه
الشعب كان الحادهم وكفرهم الا انى أهمل هذا المطلب لكم وامارس أيضا
مطلبا أصعب من هذا وما حاجتى أن أذكر أخته وذلك الذى قد كان اماما لشعب
هذا مبلغ كثرته ما أمكنه أن يكون فيه كفاية لنفسه لكنه بعد اتعابه العديدة
ومشقاته الكثيرة وبعد مواظبته أربعين سنة منع من الدخول الى أرض الموعد
التى لاجلها قبل مواعيد هذا مبلغ جلالتها فان سألت عن العلة فى ذلك أجبتك
ان نعمة اقتياده الشعب اليها ما كانت موافقة له لكنها كانت تولد ضررا
عظيما وتعثر كثيرين من اليهود لانهم ان كانوا تخاصوا من مصر وحدها
تركوا الله وطلبوا موسى ونسبوا اليه توفيقهم كله فلو كانوا رأوه قائدا
اياهم الى أرض الموعد اى مهوى من الكفر ما كانوا قد تكردسوا اليه ولهذه
العلة ما استبان قبره ظاهرا وصموئيل النبى لم يقدر أن يخلص شاول الملك من
الرجز العلوى وقد سلم الاسرائيليين دفعات كثيرة وارميا النبى ما صار
لليهود كافيا وقد ستر انسانا آخر بنبوته ودانيال انقذ العجم حين أشرفوا
على الذبح وما انقذ اليهود حين اسروا وتبصر فى الانا جيل هذين الصنفين كليهما
كائنين ليس فى آخرين غيرنا لكن فينا أنفسنا فترى واحدا بعينه كافيا
لذاته احيانا ومحتاجا الى غيره احيانا وبيان ذلك ان ذلك المديون بالربوات من
البدر قد خلص ذاته من تاديتها لما تضرع الى سيده وما قدر أن يخلص
ذاته أيضا وغير هذا اضر ذاته أولا وانعكس حاله واقتدر أخيرا أن

يعين ذاته بأعظم المنافع وأجلها وان سألتنى من هو هذا أجبتك هو الذى أكل نعمة أبيه فينتج من ذلك اننا اذا توانينا وغمنا فانقدر أن نتخلص ولا بغيرنا واذا فقنا وتيقظنا يمكننا أن نتخلص وحدنا بذاتنا والاليق أن نقول اننا نقدر ان نتخلص بذاتنا أكثر من تخلصنا باخرين غيرنا وذلك ان الله يشاء أن يعطينا نعمته ويهبها لنا أكثر من ايثاره أن يخولها الغير نا من أجلنا لنتمتع بالدالة عنده ونصير أفضل مما كنا عند اجتهادنا نحن أن نجلب غيظه علينا فعلى هذه الجهة رحم الكنعانية وعلى هذه الطريقة خلص الزانية وعلى هذا المثال انقذ اللص ولم يصر له أحد الناس متوسطا ولا منجدا فهذه الاقوال قلتها ليس حتى لا نتوسل الى القديسين لكننى أقولها حتى لا نتوانى ونضطجع ولا ننطرح نحن وننام ونوعز الى آخرين أن يهتموا بأحوالنا وحدهم ويستعطفوا خالقنا لنا لانه اذ قال اصنعوا لكم اصدقاء ولم يقف عند هذا القول فقط لكنه أضاف اليه من مال الظلم لتكون الفضيلة التى تحكمها فضيلتك لانه ما يومى فى هذا الموضع الى فعل آخر الا الى الصدقة والمعنى المستطرف ههنا انه ما يستقصى فى البحث عنا اذا ابتعدنا من ظلمنا لان ما يقوله الآن هذا هو معناه ما قد استقنيته ارداً اقتناء فرقه أجود تفرقه وما جمعته على جهة الظلم بدده على جهة العدل على ان ما نعطيه من هذه الوجوه وأمثالها آية فضيلة هذه الا أن الهنا مع ذلك متعطف على الناس هو يتنازل الينا الى هذا الحد واذا عملنا هذا العمل يعدنا بمنح صالحة عظيمة الا اننا نحن قد افضينا الى الغاية القصوى من زوال حسنا حتى اننا لا نعطى المساكين من ظلمنا شيأ لكننا نختطف اشيار بوات عددها ومتى أعطينا جزأ يسيرا نتوهم اننا قد استكملنا جملة الواجب كلها اذ قد سمعت بولس الرسول قائلا ان من يزرع بالشح يحصد لاجل أى غرض تشح وتبخل ألعل فعل الصدقة نفقة هو وهل هو خسارة لا بل هو دخل ومتجر لان أينما

يكون

يكون زرع فهناك يكون حصاد وأنت اذا عزمت أن تفلح أرضا سمينة
مخصبة مقتدرة أن تقتبل بذورا كثيرة تخرج من البزور ما يوجد عندك
وتقترض من آخرين غيرك ظانا ان شحك على ما تبذره خسرانا عظيما فعند
ما تعزم ان تفلح السماء التي ليست تحت أهوية ما قد زال اعتدال صنف منها
لكنها ترد على سائر الحالات ما يلقى فيها بزيادة جزيلة أنت تكاسل وتعجز عن
زرعها أوما تفطن انك توجد مضيعا اذا شحيت على ما تبذره فيها ومرتحيا
اذا لم تبخل بما تزرعه فيها فبدد اذا مالك لئلا تضيعه لا تضبطه لكى
تضبطه أخرجه حتى تحفظه أنفقه لتربحه وان وجب عندك أن تحفظ
أموالك فلا تحفظها أنت ليلا تهلكها لكن ائتمن الله عليها فلا يسلبها
من هنالك سالب لا تتكسب أنت لانك ما تعرف ان كنت تربح شيأ لكن
أقرضها لمن يعطيك الربح عنها أكثر من رأس المال اقرضها في موضع ليس
فيه صنف من حسد ولا جناية والاغتيال ولا خوف اقرض من لا يحتاج
شيأ وهو محتاج لاجلك أقرض من يرزق البرايا كلها وهو جائع لكيلا تجوع
أنت أقرضها للمفتقر لكى تستغنى أنت أقرضها حيث لا يوجد موت بل
استثمار حياة بدلا من الموت فارباح هذا المال بسبب الملكوت وارباح
ذلك المال بسبب جهنم لان فوائد الربا المذموم هى من حب الفضة وفوائد
الربا المحمود هى من الفلسفة ومكاسب ربا الشره هى من القساوة
وأرباح ربا الصدقة هى من التعطف على الناس فاى اعتذار نعتذر به اذا
أهملنا الاستفادة من هذه الفوائد التى هى أكثر فضلا فى وقت ملايم
وحرية كثيرة خالية من المثالب والمخاوف والاخطار وابتغينا تلك الارباح
القبيحة الحقيرة الخطرة المكردسة المسببة لنا الاتون الكثير ضنكه لان ليس
كسبا اقبح من أرباح الربا ههنا ولا يكون أوفر قساوة ممن يرغب فيها الان من
هذا حاله يكتسب من مصائب غيره و يجعل ضرر رفيقه مشتعلا عليه

ويطالب بمجازاة تعطفه كانه خائف أن لا يستبين وحوما فعلى شكل تعطفه يحفر لنفسه هاوية أعمق قعرا اذ يجيبك الفقر فى حال اغاثته ويدفع باوفر المقت عند اسعافه يقتبل المقرض وحاله حال قاصد الى الميناء ويزجه فى غرق الربا متكردسا على صخرة منهدفة الى البحر وفى صحصاح وعلى صخور تحت صحصاح ولعل قائل يقول فما الذى تأمر أتشير ان أعطى غيرى ما قد اجتمع من الفضة عندى وهو ملائم لحاجتى ليتجر به ولا اطالبه بقسم ابن لى هذا الرأى فأجيبه لست أوعز انا بهذا الايعاز لكننى أريد جدا ان ياخذ أجرة لا أجرة حقيرة يسيرة لكن اجرة عظيمة المبلغ كثيرة لاننى أريدك أن تأخذ بدلا من الذهب السماء ربا مالك تحبس ذاتك فى المسكنة منسحبا على الارض مستنجرا أرباحا قليلة بدلا من أرباح جسيمة لان هذا الرأى هو رأى من ليس يعرف كيف يستغنى وذلك ان الله عز وجل اذ كان يعدك بدلا من اموال يسيرة النعم الصالحة فى السموات فتقول أنت لا تعطينى السماء اعطنى الذهب الهالك بدلا من السماء فهذا الرأى رأى المؤثر ان يبقى فى فقره من ان يشتهى ثروة واسعة ويختار قبل الارباح الهالكة الفوائد الباقية وقبل الاشياء الزائلة الاشياء الباقية وقبل الحظوظ القليلة الحظوظ الجسيمة وقبل الاملاك الفاسدة الاملاك التى لا تبلى فسيتبع تحصيله على هذه الجهة الاشياء الفانية امتلاكه تلك الاشياء الباقية وذلك ان من يبتغى الارض قبل ابتغائه السماء فسيخيب على سائر الجهات من السماء ايضا ومن يفضل السماء على الارض فسيتمتع بهما كلتيهما تمتعا كثيرا فلكى يحصل هذا الحظ لنا ينبغى لنا ان نستحقر الفوائد التى ههنا كلها ونختار الحظوظ الصالحة المأمولة فاننا على هذه الكيفية ننال هذه وتلك بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى له المجد امين

(المقالة

(المقـــالة الســادســـة)

ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى ايام هيرودوس الملك اذا مجوس من المشرق قد جاؤا الى اورشليم قائلين اين هو المولود ملك اليهود فاننا قد رأينا نجمه

يا أخوتى الحاجة بنا ماسة الى سهر كثير والى صلوات كثيرة ليمكننا ان نخرج من هـذا المطلب الحاضر وان نعرف من هـم هؤلاء المجوس ومن أين جاؤا وكيف كان مجيئهم ومن اين أقبلوا وما هو النجم ويجب علينا أن نورد الى وسـط كلامنا ما يقوله أعـداء الحق أولا وهو ان ابليس المحتال قد ألهمهـم الهاما بليغ المقدار بانهم يرتاون فى هـذه الجهة ان يتدرعوا سلاحا على أقاويل الصدق وأن سألت عما يقولونه أجبتك انهـم يقولون انه لما ولد المسيح قد ظهر نجمه وهـذه هى علامة دالة على ان صـناعة التنجيم حقيقية فان كان هو ولد عـلى تلك الشريعة فكيف حل صناعة التنجيم وابطل الطالع وأبكم الشياطين وأقصى الضـلالة وعكس كل سحر متلونة حيله ولو سألت قائل هذا القول وما الذى عرفوه المجوس من نجمه لاجابنى انهـم عرفوا أنه ملك اليهود فأقول له انه لم يكن ملـكا كالمملكة اليهود على ما قال هو عن قوله لبيلاطس ان ملـكى ليس هو من هذا العالم ولم يظهر ذاته بهذه الصورة لانه ما امتلك مزارعين ولا خداما ولا مجدين ولا خيلا ولا بغال ولا شيأ هذه صفته لكنه استعمل هذا التصرف

الحقير المسكين مستصحبا معه اثنى عشر انسانا محتقرين فان كان المجوس ما أبصروا ملكا موجودا فلاى غرض جاؤا الان معاينتهم اياه ليست من باب صناعة التنجيم ان يبصر المولودين من نجومهم قبل ميلادهم لكنهم من وقت المولودين على حسب قولهم يسبقون فيحكمون بما يستأنف كونه لهم فهؤلاء القوم ما حضروا عند طلق أمه ولا عرفوا الوقت الذى ولد فيه ولا استمدوا ابتداء مسيرهم من هذه الجهة ولا فطنوا من حركة النجوم بما يستأنف كونه لكنهم على جهة عكس هذا الرأى أبصروا قبل زمان طويل نجما ظاهرا فى بلادهم وجاؤا ليبصروا المولود فهذا الرأى يكون أوفر شكا من رأى المنجمين الذى تقدم ذكره والقول الذى صوب عندهم مسيرهم أية خيرات أملوها فاقبلوا من مسافة بعيدة ليسجدوا الملك لانهم ان كانوا جاؤا لانه مزمع ان يملك عليهم فاوكد ما نقوله ان ما فعلوه ما قد حاز ولا على هذه الجهة حجة لانه لو كان ولد فى قصور ملوكية وكان الملك أبوه حاضرا عنده لقال اذا قائل على جهة الواجب ان سجودهم للصبى المولود كان لايثارهم ان يسترضوا أباه وكان فعلهم هذا قد جعل لهم علة كثيرة الدلالة على خلوص ودهم فالآن ما توقعوه ان يكون ملكا لهم بل ملكا لامة مضاضدة لهم مبتعدة ابتعادا كثيرا من بلادهم ولا أبصروه قد صار رجلا فلاجل أى غرض سافروا سفرا طويلا وقدموا هدايا وعزموا على فعل ما عملوه بمكابدة أنواع من الخطر أملوها وبيان ذلك ان هيرودس لما سمع من المجوس هذه الاقوال اضطرب وجميع أورشليم معه الا أن هؤلاء القوم لم يعرفوا هذه الدلائل من قبل بل ولا تفيد حجة لانهم لو كانوا عادمى الفهم جدا لما كانوا قد غبى عنهم هذا أنهم اذ جاؤا الى مدينة يملكها ملك آخر غير الملك القاطن حينئذ فيها ما يستمدون اليهم ميتات كثيرة عددها فاغرضهم بكافة التصفح فى سجودهم لموجود فى اقماطه لانه لو كان رجلا لا تجه لقائل أن يقول أن سجودهم كان انتظارا للمعونة منه ولذلك ألقوا

انفسهم

أنفسهم فى خطر ظاهر ولهذا الفعل بعينه من زوال قياس فى أقصى غايته ان تكون أمة فارسية أعجمية ليس بينها وبين اليهود الفة أو اختلاط تفضل ان تبتعد من بلدها وموطنها ومنازلها وتهمل أنسباءها وأهلها وتضع نفسها تحت طاعة مملكة غير مملكتها فان يكن هذا الرأى خاليا من الفهم فالرأى الكائن بعده أعدم فهما منه كثيرا وان سألت اى رأى هذا أجبتك هوانهم يسافروا سفرا بهذه الصفة طويلا ويسجدون ويزعجون كافة أهل البلد ثم ينصرفون وما الذى أبصروه بعد البحث دليلا على مملكة وانما أبصروا كوخا ومذودا وصبيا مقمطا ووالدة مسكينة ولمن قربوا هدايا هم ولاى سبب قدموها أفهل كانت هذه شريعة وعادة ان يخدم الملوك المولودين فى كل مكان هذه الخدمة وان يطوف الناس المسكونة كلها ويسجدون للذين قد عرفوا انهم يكونون ملوكا من أناس صغار المنزلة محتقرين قبل صعودهم الى كرسى ملكهم الا ان هذا القول لا يصح لاحد الناس ان يقوله فلاى غرض سجدوا فان كانوا سجدوا لاجل الحاضرين عنده فما الذى أملوا ان يأخذوا من صبى ووالدة مسكينة وان كانوا سجدوا بسبب أحوال الملك المنتظرة له فمن أين عرفوا ان الصبى سيذكر حينئذ ما فعلوه اذ سجدوا له وهو فى اقماطه وان كانت أمة تعزم ان تذكره فليسوا مستحقين على هذه الجهة كرامة لكنهم يستوجبون عقوبة لانهم ألقوا أنفسهم فى خطر ظاهر فمن هذه الجهة ارتجف هيرودس وبحث عنه وفتش وحاول أن يقتله ومن يظهر فى كل صقع انه العتيد ان يملك وهو بعد صغير فى سنته الاولى فليس يدفع الى عقاب الا الى ذبحه اذ يثير على نفسه حروبا كثيرة العدد أرأيت ما أكثر الشناعات التى قد استبانت لنا من فحصنا عن هذه الحوادث على جهة سياقة انسانية وعادة مشاعة ويمكنا أن نقول ليس هذه الاقوال وحدها بل أكثر منها تولد بحثنا عما قيل كثيرا ولكن كيلا ننظم شكوكا فى شكوك فنجعلكم مدهوشين

نشرع فى حل المعانى المطلوبة ونجعل ابتداء حلنا اياها من النجم بعينه وذلك انناا اذا عرفنا ماهو النجم ومثل من هو وان كان واحدا من النجوم الكثيرة وان كان غير مباغير تلك النجوم وان كان فى طبيعته نجما أو ان كان فى النظر اليه فقط نجما فسنعرف المعانى الاخرى كلها بأيسر مرام فمن أين تكون هذه المطالب واضحة الامن الاقوال المكتوبة بعينها ولعمرى ان الدليل على ان هذا النجم ما كان واحدا من النجوم الكثيرة والاليق أن يقال على حسب ظنى انه لم يكن نجما لكنه كان قوة من القوات لم تكن معلومة ناقلة شكلها الى هذا المنظر فهو واضح أولا من مسيره لان ليس يوجد نجم سائر فى هذا الطريق فان قلت الشمس وان ذكرت القمر وان وصفت النجوم الاخر كلها تجدها متوجهة من المشارق الى المغارب وهذا النجم اندفع فى مسيره من جهة الشمال الى جهة القبلة لان بلاد فلسطين هذه واقعة مقابل بلاد فارس وثانيا انه يجب علينا ان نعرف هذا المعنى من زمانه أيضا لانه ما كان يظهر فى الليل ولكنه كان يظهر عند شروق الشمس وفى نصف النهار وهذا الظهور ليس هو لقوة نجم ولا لقوة القمر وذلك ان قوة القمر الفائق على كافة النجوم فوقا جزيلا كان اذا ظهر شعاع الشمس للحين يستتر ويغيب وهذا النجم كان بافراط لمعانه قد غلب على اشعة الشمس وكان أبين ظهورا منها وأعظم لمعانا وضياء وثالثا يستبين ذلك من أنه كان يظهر ثم يستتر أيضا لانه ظهر ليرشدهم الى طريق فلسطين ولما وصلوا الى أورشليم ستر ذاته وهذا الفعل ليس هو من حركة نجم ولكن قوة من القوات التى ... اتم قياس من غيرها لانه ما امتلك سيرا خاصا لكنه كان اذا وجب أن يسيروا سار ومتى ارادوا ان يقفوا وقف مدبرا كافة أحوال مسيرهم لما يوافقهم نظير عمود الغمام امام عسكر اليهود منهضا متى احتاجوا الى ذلك ورابعا ان المتأمل يتأمل خاصة من حال ارشاده اياهم تأملا بينا يرى انه ما كان بوقوفه فوق يرشدهم لان ما كان ممكنا عندهم

ان

أن يعرفوه على هذه الجهة لكنه بانحداره الى أسفل كان يعمل هذا العمل
ولعمري أنكم قد عرفتم أن ماكان على هذه الصورة صار النجم كصورة صبي وهذا
الشئ لا يدل دلالة واضحة اذ يشتمل كوخا والاليق ان يقال انه يتعذر عليه ان
يشتمل بحسب ما يليق جسم صبي صغير وليس ممكنا ان يعرف به نجم لان العلو
هذا لا يكفي لتعيين هذه الجهة وان يمثل موضعا ضيقا و يجعله معروفا عند
المريدين ان يبصروه وهذا المثال يعرفه عارف من القمر الذي هو اعظم من
النجوم مقدارا يستبين عند جميع القاطنين في المسكونة المتبوئين على فضاء
ارض واسعة كهذه يظن عندهم كلهم انه قريب منهم فقل لي كيف اراهم
هكذا النجم مكانا ضيقا مثل كوخ ومذود ولولم يترك ذلك المكان العالي
و ينحدر الى اسفل حتى وقف فوق هامة الصبي بعينها هذا فقد أشار اليه البشير
بقوله واذا النجم الذي راوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف حيث كان الصبي
أرايت باية دلالة توضح بان هذا النجم ما كان واحدا من النجوم الكثيرة لانه
ما أوضح ذاته على نظام المولد عند الذين خارج محلتنا وان سالت فلم ظهر اجبتك
ليخبر بزوال حس اليهود و يحجب عن الزائل فهمهم كل حجة لاعتذارهم واذا
كان الاتي قد عزم أن ينقض المذهب العتيق و يبطله وأن يدعو المسكونة الى
المسجود له بان يسجد له كما في الارض وفي البحر فتح من ابتدى مجيئه الباب
للامم مريدا أن يودب المختصين به بالغرباء الذين لم يكونوا منه لانهم اذ كانوا
بمداومة يسمعون الانبياء يخاطبونهم بوصف مجيئه فما صغوا اليهم أبدا فجعل
النجم أن يأتوا اليه من أرض بعيدة طالبين الملك عندهم فيتعلموا من كلام
أهل بلاد فارس أولا ما لم يؤثروا أن يعرفوه من أنبيائهم حتى اذا احسنوا
أرائهم يستعدون لقبولهم الاتي ومتى ما حركموا وكابروا يكونون بعد ذلك
عادمي كل اعتذار لان ما الذي عندهم ليقولوه اذ لم يقبلوا المسيح بعد انبياء كثيرين
اذا بصروا المجوس اقبلوا قبلوه بمجرد نظرهم الى نجم واحد وسجدوا للظاهر لهم

وهذا العمل قد عمله بأهل نينوى اذ أرسل اليهم يونان النبي وما قد عمله بالسامرية وبالكنعانية ذلك عمله بالمجوس فلهذا المعنى قال مخلصنا في قوله ان رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه وملكة التيمن ستقوم في الدين مع هذا الجيل وتدينه لان أولئك القوم صدقوا الاصاغر وهؤلاء ما صدقوا ولا العظماء الافاضل ولقائل أن يقول فلم أجتذب المجوس بالنظر الذى هذه صفته فنقول له كيف كان سبيله أن يجتذبهم أبان يرسل اليهم أنبياء الا أن المجوس لم يكن من عادتهم أن يصغوا الى الانبيا أبان يبدى اليهم من العلو صوته لكنهم ما كانوا يسمعونه اوان يرسل اليهم ملئكة الا أنهم كانوا يعرضوا عنهم فلهذه العلة أهمل الله جلت حكمته تلك الوسائط كلها ودعاهم بالاشياء التى ألفوها منحدرا مع ضعفهم جدا وأراهم نجما عظيما غريبا حتى بعظمه وبحسن منظره يندهلون وبحال مسيره يقتادهم وهذه الافعال ماثلها بولس الرسول فخاطب أهل دغلاطية مما قرأه على دكة محرابهم واورد فى وسط الشعراء شهادته وفاوض اليهود بكلامه فى الختان وجعل ابتداء كلامه للعائشين فى الشريعة فى ذبائحهم ولما كان كل واحد من الناس يكون محبوبا عنده ما قد ألفه استعمل الله الناس المرسلين منه لتخليص أهل المسكونه من أفعالهم على هذا المثال وممارستها فلا تتوهمن أن استدعاهم بالنجم يكون فعلا قد عدم أهلاله والا فأنت على هذه الجهة تثلب فرائض اليهود كلها وتعيب ضحاياهم وتطهيراتهم وشهورهم الجديدة وتابوتهم وهيكلهم بعينه ولعمرى أن هذه الرسوم ناشئة من كثافة عقل أهل غلاطية الا أن الله بسبب خلاص المخدوعين أراد أن يسترضى ويخدم بهذه الرسوم والفرائض وبتلك الرسوم التى كان الذين خارج حوزته قد استرضوا الشياطين بها وخدموهم بهذا بدلها وقليلا قليلا ليبطلهم عادتهم شيئا فشيئا ويعليهم الى الفلسفة العالية هذا العمل عمله فى حضور المجوس واراد أن يدعوهم بنجم أبصروه ليجعلهم

أعلى

أعلى تمييزا مما كانوا فاذ سيرهم وأقتادهم وأقامهم لدى المذود ماسيرهم
أيضا الى بلدهم نجم لكنه خاطبهم بعد ذلك بملاكه وعلى هذه الجهة صاروا
أفضل قليلا مما كانوا وهذا العمل عمله بأهل عسقلان وغزة لانه لما صار
تابوته اليها ضرب أهلها ضربة قاتلة ولم يجد واتخلصا من أمراضهم الردية
فاستدعوا عرافيهم وجمعوا مجمعا وابتغوا أن يجدوا للضربة الواردة من الله
اليهم دواء فلما قال لهم الحادثون والعرافون أن يقربوا للتابوت بقرتين
مرضعتين لم يعلهما نير وان يطلقوهما يمشيان لا يسوقهما سايق فان صعد
التابوت فى طريق تخمه الى بيتشمس فانه هو الذى فعل بنا هذا الشر العظيم
والا فنعلم أن يده لم تضربنا كان ذلك علينا عرضا اذ قال الكهنة والعرافون
هذه الاقوال وقبلها القاطنون فى هذه المدن وعملوا بما اشاروا به عليهم
اتبع الله جل تدبيره رأى العرافين ولم يشأ أن يخذل رأيهم بل حققه
ووافق على ظنهم وأن كان هذا لا يناسب فقد سمحت ارادته به لان مانتج
عن ذلك كان عظيما نفعه عند شهادة المضادين لفعل قوة الله واستخراج معلميهم
القضية منجلية وافعال كثيرة نظير هذه قد دبرها الله وما حدث فى قول العرافة
لشاول الملك قد شابه هذا الحال من السياسة وذلك فيمكنكم انتم ان تحلوه مما
قد ذكرته لكم فهذه الاقوال قد قلناها نحن فى معنى النجم وأنتم تستطيعون
ان تقولوا اكثر منها لانه قد قال اعطى الحكيم سببا فيكون اوفر حكمة
فينبغى لنا ان نعود الى شرح ما ذكر أولا وهو لما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية
فى ايام هيرودس الملك اذ مجوس قد جاؤا من المشرق الى اورشليم فالمجوس
اتبعوا نجما مبتدئا وأما اليهود فلم يصدقوا الانبياء المرسلين اليهم وان سألت فلم
ذكر لنا الوقت والحال بقوله فى بيت لحم وفى ايام هيرودس الملك ولماذا ذكر
رتبته أجبتك انه ذكر رتبته اذ قد كان يوجد هيرودس غير هذا وهو ابنه
الذى قتل يوحنا المعمدان الا ان ذلك كان رئيس ربع مملكة هذا وهذا

كان ملكا ووصف المكان والوقت يذكرنا بنبوتين قديمتين أحديهما تنبأ بها ميخا النبي قائلا وانت يا بيت لحم ارض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا والاخرى تنبأ بها يعقوب رئيس الاباء اذ عين لنا الوقت بكل تدقيق ووضع علامة لمجيئه عظيمة لانه قال لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه وذلك المطلب مستوجب ان يطلب معناه وهو من اين افضوا الى هذه الهمة الجليلة ومن انهضهم الى هذا السفر فعلى حسب ظني ان فعلهم لم يكن فعلا للنجم فقط لكنه كان فعلا لله الذي انهضهم وهذا الفعل قد فعله في زمن كورش الملك اذ حثه ان يطلق اليهود وما فعل هذا الفعل على هذه الكيفية حتى تفسد الغريزة المستولية على ذاتها اذ قد دعا بولس الرسول من العلو بصوته وأوضح نعمته وطاعة ذلك الفاضل ولسائل ان يسأل فلاي غرض ما كشف هذا الاعلان للمجوس كلهم فنجيبه لانه لم ير انهم كلهم يصدقونه لكنه كشفه لهؤلاء الذين كانوا ابلغ من غيرهم استعدادا لقبوله ولعمري ان امما عديدة كثيرا هلكوا ويونان النبي ارسل الى اهل نينوى وحدهم واللصان كانا في وقت الصليب فخلص أحدهما وحده فانظر فضيلة هؤلاء المجوس ليس بالنظر لمجيئهم لكن بالنظر لمجاهرتهم ولئلا يظن أحد انهم قوم محتالون وصفوا مرشدهم وطول طريقهم وأوضحوا مجاهرتهم بعد مجيئهم لانهم قالوا اننا أتينا لنسجد له وما خشوا غضب الملك واغتصابه ولا اغتياظ شعبه فمن هذه الجهة يظن ان هؤلاء قد صاروا في اوطانهم معلمين لاهل بلادهم لان الذين ما خشوا ان يقولوا هذا القول في هذا الموضع فالاليق بهم انهم قد جاهروا به في بلادهم كثيرا لانهم قد تسلموا الوحي من الملك والشهادة من النبي ولما سمع هيرودس هذا ارتجف وكافة اوروشليم معه ولعمري ان ارتجاف هيرودس كان من الواجب لانه كان ملكا ولخوفه على نفسه وعلى ابنائه فاما ارتجاف اهل اورشليم فلاي غرض كان على ان الانبياء قد سبقت فقالت من أول الزمان انه

لخلاصهم ومعتقهم والمحسن اليهم فاعلة ارتجافهم فاقول انا انهم ارتجفوا والسبب عينه الذي به فيما سلف ارتجعوا عن الله بعد احسانه اليهم وتذكروا اللحوم التي بمصر بعد تمتعهم بنعم عظيمة وتصفح انت ايها السامع باستقصاء أقوال الانبياء وذلك ان النبي قد سبق منذ ازمان فاذاع بصوته هذا المعنى بعينه قائلا لانه ولد لنا ولد وعطي لنا ابن الا انهم مع ارتجافهم لم يطلبوا ان يبصروا ما عرض ولا رغبوا أن يتبعوا المجوس ويفتشوا عنه وكانوا على هذا المثال مخاصمين معاندين معا أكثر من جميع الناس كثيرا وقد كان واجبا عليهم أن يفتخروا بان الملك قد ولد عندهم وقد جذب أهل بلاد فارس وانهم سوف يحوزون الناس كلهم تحت أيديهم لكن احوالهم صارت أفضل مما كانت وأن منذا بتدأ رياسته قد صارت رياسته بهذه الصفة بهية ولم يصيروا على هذه الجهة أفضل مما كانوا على انهم عندما تخلصوا من هنالك من سبيهم وقد كان لائقا بهم أن يفطنوا ان كانوا لم يعرفوا سرا من الاسرار العالية الفائقة الوصف أن يتفطنوا في الحوادث الحاضرة فقط وان أهل بلاد فارس ان كانوا يرتعدون منا على هذا المثال اذ قد ولد الملك عندنا فسيرهبون أكثر اذا نمى ونشأ ويطيعوننا كثيرا وستكون احوالنا ابهى حسنا من احوال العجم

العظة

الا انه ما استنهضهم حادث من هذه الحوادث وكان عجزهم جزيلا مبلغه ومع عجزهم حسدهم كان تقديره بعد ذلك عظيما وهذان الرذيلتان يجب علينا نجتنبهما ونبعدهما عن سريرتنا ويجب ان يكون كل من يتصف بهذه الصفة اسرع من النار فلهذه العلة قال المسيح عز قوله انما جئت لالقي على الارض نارا وما أريد الا اضطرامها لانها كانت قد أتقدت فيما سلف فلهذا المعنى ظاهر

الروح القدس فى شبه نار   الا اننا نحن قد صرنا اشد برودة من الرماد واكثر
موتا من الموتى وهذه الاحوال احوالنا ونحن نرى بولس الرسول طائرا الى فوق
السماء وفوق سماء السماء قاهرا حوادث الدنيا كلها اسرع من كل لهيب
مشتعليا عليها فائقا على اسفل على ما فوق على ما كان حاضرا على ما يكون
مستأنفا على ما كان موجودا على ما ليس موجودا فان قلت ان هذا المثال هو
فوق طاقتك فقولك هذا اقول العجز خصوصا الان ما الذى امتلكه بولس اكثر
منك اذ قلت ان مماثلته هى متعذرة عليك ومع ذلك فلئلا نغضبكم نترك بولس
الرسول وتتفطن فى الذين امنوا بنا اولا والذين اخرجوا أموالهم واملاكهم
ومهماتهم وتركوا اشغالهم العالمية كلها وقربوا ذواتهم كلها لالههم وداموا على
تعليم الحكمة والكلمة طول ليلهم ونهارهم لان النار الروحية هذه الغريزة
غريزتها الا تترك ان تتبع شهوة واحدة من الشهوات التى ههنا لكنها تنقلنا الى
عشق اخر فلذلك من قد عشق هذه المحامد والاعمال التى هذا المحل محل جلالتها
ولو احتاج ان يبذل ما هو موجود عنده لو قيل له ان يزهد نعيم الدنيا ويزدرى
بشرفها أو ان يبذل نفسه بعينها لكان يفعل جميع ذلك بكل سهولة لان
حرارة تلك النار عند دخولها الى نفسه تخرج منها كل عجز وتجعل من قد
اقتنصته أخف من الريشة مجردا عن الاشياء المذكورة كلها فمن كان هذا
الحال حاله يثبت فيما بعد فى خشوع دائم تفيض من عيونه دموع متصلا
ادرارها و يستمد من هذه الجهة لذة كثيرة لانه ليس فعل يلصقنا هكذا
ويربطنا بالله مثل الدموع التى هذه الحالة الجليلة حالها   ومن كانت هذه
سجيته لو كان فى اواسط المدن ساكنا فهو كالمقيم فى البرية والجبال والغابات
دائما لا يبصر من الحاضرين أحدا ولا يستمد من النوح الذى هذا صفته
شيئا اذ كان يبكى من أجل زلاته ولاجل من وقع فى زلة لهذا السبب طوب
الهنا هؤلاء النائحين قبل غيرهم بقوله طوبى للنائحين ولعل قائل يقول انا

فكيف

فكيف قال بولس الرسول افرحوا بنا دائما فنقول له انما قصد بقوله
هذا اللذة المتولدة من هذه الدموع وكما أن الفرح لاجل العالم يحوز غما دائما
معه فكذلك الدموع الصادرة عما يرضى الله تفرح فرحا دائما لا يفنى
وعلى هذا قد صارت الزانية أشرف من العواتق محلا لما انضبطت فى هذه
النار لانها اذ جيت بدموعها و بتوبتها هامت بعد ذلك بالشوق الى المسيح
وحلت شعرها و بلت رجليه المقدستين بعبرتها ونشفتهما بضفائرها وافرغت
الدهن المطيب عليهما وهذه الافعال كلها كانت خارجية الا ان الاعمال
الداخلية التى فى سريرتها كانت أشد حرارة من هذا كثيرا التى أبصرها الهنا
بعينه وحده فلهذا الحال فرح بها كل واحد واستحسن المحامد التى أحكمتها
وخلصها من كافة جرائمها وصار كل من يسمع خبرها يطوبها ويفرح بافعال
التوبة التى فعلتها فان كنا نحن الخبثاء نحكم بهذا الحكم فتفطن فى السرور
الذى تمتعت به من الهنا الجواد وكم محامد صالحة حصدتها من توبتها
قبل المواهب التى استمدتها من الهنا وكما ان بعد المطر الشديد انه ما له
يكون صحو فكذلك يكون بعد الدموع المنهملة سكون فى نفسنا وصحو
وينمحى ظلام خطايانا وكما اننا نتطهر بالماء والروح كذلك نطهرنا أيضا
دموعنا واقرارنا بذنوبنا اذا لم نعمل هذا العمل للتباهى والتظاهر به لان
النفس التى تبكى لاجل هذا السبب اذ قالت انها بارة يتوجه عليها الثلب
والتقريع أكثر من وقوعهما على المرأة المتزينة بنقوشها وتخطيط حواجبها
وبطراوة جسمها وانا انما أطلب تلك الدموع التى لا يكون القصد التظاهر
بها لكن الخشوع المنهملة سرا فى الخزائن التى لا يبصرها احد من الناس
القاطرة بهدو وعديمة هفيف انها الها النابعة من قريحتنا الكائنة فى
حال ضعفنا وتوجعنا من أجل الله فقط مثلما كانت دموع حنه أم صموئيل
النبى لان الكتاب قال انها حركت شفتيها ولم يسمع نغمتها الا ان دموعها

وحدها ابدت صوتاً أعلى من صوت البوق ولهذا السبب فتح الله مستودعها
وجعل الصخرة الصلبة حقلاناعما فتى بكيت أنت لاجل هذا السبب صرت
مماثلا لسيدك لان سيدنا قد بكى على العاذر وعلى مدينة اورشليم واضطرب
بسبب يودس وفعل البكاء هذا نراه قد فعله دفعات كثيرة وما رأيناه
البتة ضاحكا ولا متبسما ولا ذكر عنه هذا ولا واحد من المبشرين ولهذا
السبب قيل عن بولس الرسول انه بكى ثلاثة سنين ليلا ونهارا وهو قد ذكر هذا
عن نفسه ووصفه بهذا الفعل أناس غيره وما قال عن نفسه انه ضحك البتة
ولا قال ذلك عنه غيره ولا فعل هذا قبلا واحد من القديسين ولا حكاه عن
نفسه ولا عن غيره وانما قيل هذا عن سارة وحدها حين زجرت وعن ابن
نوح حين صار عبدا بدلا من حر وهذه الاقوال أقولها ليس قاصدا اعدم
الضحك أبدا بل عدم انسكاب الحواس فيه قل لي لماذا تنهمك في الضحك وأنت
مطالب بجنايات كثيرة ومزمع أن تقف في مجلس حكم رهيب جدا لتودي جوابا
عن كل ما عملت في هذه الدنيا لاننا سنعطي جوابا عن كل ما عملناه طوعا
أو كرها لانه قال عز قوله من ينكرني قدام الناس سأنكره أنا قدام أبي على
ان الانكار الذي هذا حاله ربما كان كرها الا انه مع ذلك لن يفوته العذاب
لكن سنبدي عن ذلك وعن كلما نعرفه من زلاتنا وما لا نعرفه لان
الرسول قد قال لست أعرف في ذاتي زللا الا انني لست معصوما من هذا وعما
اجترمناه بغباوتنا وبمعرفتنا لانه قال عن اليهود أنا أشهد لهم ان فيهم
غيرة لله الا انها ليست حسب المعرفة الا ان الغيرة هذه ليس فيها كفاية لهم
للاعتذار وراسل أهل مدينة قرنثيه وقال أخشى أن تكون الحية التي أغرت
حوا تكون أفسدت افهامكم من تلقاء البساطة التي تناسب المسيح فاذا كنت
منتظرا ان تقوم بما يوجبه الحكم عليك من جنايات كثيرة أتجلس ضاحكا
وتتكلم ملاعبا وتصغي الى التنعم مؤثرا واعلك تقول فاذا لا أعمل هذه الاعمال

بل

بل أنوح دائما وما الفائدة فى ذلك فأقول لك انها العظيمة جدا التى ليس فى
امكانى ان أعبر عنها بكلامى لانك فى مجالس قضاة الدنيا لو بكيت مهما
بكيت بعد صدور القضاء عليك لا تفلت من قضاء العقوبة وفى هذا
الموضع اذا حزنت فقط على خطاياك فقد حلت القضية وتمتعت بالعفو
عنك لهذا السبب يخاطبنا المسيح فى نفع النوح والبكاء و يطوب النائحين
و ينطق بالويل للضاحكين لان مشهدنا ليس هو مشهد ضحك بل
نجتمع ليس للقهقهة والضحك لكننا اجتمعنا لنتحسر ونرث من هذا
التحسر ملك السماء وأنت اذا وقفت بحضرة ملك فلا تتجاسر أن تتبسم
وحيث قد حويت سيد الملائكة ساكنا فيك اما تقف برعدة وخوف
لايق لكنك تضحك وربما يكون هو غضبان عليك ولا تفطن انك تغيظه
بهذه الخطية التى هى من أعظم الخطايا قبحا ولعمرى ان ليس من عادة الله
ان يرفع هذا العقاب المريع عن الخاطئين مثل عفوه عنهم اذا لم ينقبضوا
بعد خطاياهم مرتدعين الاان قوما من الناس قد زال على هذا المثال
حسهم حتى انهم يقولون مثل هذه الالفاظ لا كان لى انا أن أبكى فى وقت من
زمانى بل فليعطنى الهى أن أضحك والعب طول أيامى فما الذى يكون أوفر
صبيانية من هذه الفطنة وأنا أقول لقائل هذا القول ان الله لا يعطيك أن
تلعب لكن ابليس المحتال يعطيك ذلك اسمع ما أصاب اللاعبين قال
الكتاب جلس الشعب يأكلون و يشربون ونهضوا يلعبون فهؤلاء وأمثالهم
كان أهل سادوم والذين كانوا قبل الطوفان لانه قال فى وصف
أولئك انهم كانوا يتفكهون فى كبرهم وفى موائد خصبهم وشبعهم من الخبز
والذين كانوا فى زمن نوح كانوا يبصرون السفينة تعمل مدة سنين ومع ذلك
لبثوا يفرحون فرحا خاليا من توجع بما سيأتى عليهم من الشدائد المأمولة
فلهذا السبب وافاهم الطوفان فأهلكهم كلهم وقد نشأ عن تهاونهم هذا

كلاما عاما لجميع أهل المسكونة فلا تطلبن من الله هذه المطالب التي تستمدها
من ابليس المحتال لان عطايا الله هي ان يعطيك قلبا منسحقا منكسرا متعدا
متخشعا وهذه هي مواهب الله فالحاجة لازمة الى هذه المواهب لان قدامنا تنتصب
لنا جهاد صعب والصداع عندنا بقصد القوات المدبرة ان ترى محروطه
وحربنا يقارع روحانيات الخبيث وقتالنا يعتمد الرياسات والسلطان ورأى
محمود ان نجتهد أن نكون مستفيقين منتهضين حتى نستطيع أن نقهر ذلك
الموكب الوحشي فاذا كنا نضحك ونلعب ونتوانى كل حين فسوف تطحنا
وغية اقبل تلك المعاركة فليس ينبغي بنا ان نضحك ونتأنق ونتنعم لكن
هذه الاعمال للذين في دار اللعب وافعال النسوة الزواني والرجال
المتوسعين في هذا التفريط والطفيليين والملقين وليس هذه أعمال
المدعوين الى السماء ولا من أفعال المكتوبين في المدينة العلوية ولا
أفعال الحاملين اسلحة روحية لكنها أفعال المتعبدين لابليس المحتال
لان ذاك هو المتخذ هذا العمل صناعته يجذب بها جند المسيح اليه ويجعل
اعصاب نشاطهم الين من الاشياء الرخوة وأرخى كثيرا ولهذا السبب اوجد
الشيطان الملاعب في المدن وجعل أولئك المضحكين حاذقين فيها وبفساد
أولئك يمكنه فساد المدينة كلها وهذه الرذائل قد أوعز الينا بولس الرسول
بالهرب منها وأمر باجتناب الكلام المائق والمزاح وحضنا على طرد هذه
النقائص وابعادها واما الضحك فهو أصعب من هذه كلها لان المحاكين
من أولئك المفسدين الضحاكين اذا قالوا قولا مفتريا ومستقبحا يضحك
حينئذ كثيرون من العديمي الفهم ويفرحون به ومن أجل الاعمال
التي كان سبيل هؤلاء أن يرجموهم بالحجارة بسببها يصفقون بأيديهم
من أجلها وبهذه اللذة يستوجبون اتون النار الى هامتهم لان
المادحين الذين يقولون هذه الاقوال وأمثالها اولئك هم الذين ينهضونهم

الى

الى ان يفعلوها ويبصرون انهم قد أصابوا فيها كثيرا فلذلك يستوجبون
العقوبة المستحقة لاولئك المضحكين لان لو كان ولا واحد من الناس
يبصر هذه الاعمال ويتابعها ويستلذها لو كان يوجد من يجتهد فيها
فاذا أبصروكم تتركون دكاكينكم وصنائعكم وفوائدكم التى تكتسبون منها
وتهملون مثلا كل مهماتكم لاجل مقامكم يزداد هنالك نشاطهم كثيرا
ويجتهدون فى أعمالهم هذه اجتهادا وافرا وهذه الاقوال التى أقولها لست
لابرئ أولئك من جرائمهم ولكننى أقولها لتعلموا علما يقينا انكم انتم هم
الذين تخترعون الاحادة عن الشريعة التى هذه الشناعة شناعتها مبداها
وأصلها اذ تقضون نهاركم كله فيها وتشتهرون أعمال التزويج الشريفة
وتفتحون سرها العظيم لان ذلك المتظاهر بهذه الخيالات ليس هو مدنيا
على هذا المثال مثلما تخطى أنت قبله اذ تأمره أن يعمل هذه الاعمال
المنكرة والاليق ما تقال انك ما تأمره أن يعملها فقط لكنك تجتهد فيها
وتسربها وتضحك وتمدحها وتجمع بكل حال مصانع الشياطين المذمومة
عاقبتها قل لى باية عين تبصر فيما بعد امرأتك فى منزلك اذا رأيتها هنالك
مشتومة كيف ما تخجل اذا ما تذكرت قرينتك حتى تبصر الطبيعة
بعينها مشهورة فلا تقل لى هذا القول انما الذى يعمل هناك هو محاكاة فان
هذه المحاكاة قد صيرت أناسا كثيرين فاسقين واخربت منازل كثيرة
ولهذا السبب تضيق روحى كثيرا من تلف ان هذا الحادث المنكر لا يظن
أحدكم انه عمل اخيتا لكن قد حصل الفسق هذه غايته يجترى عليه
تصفيقات وصياح وضحك كثير ما معنى قولك ان الافعال الحادثة هنالك
محاكاة فلهذا السبب بعينه يكون أولئك مستوجبون ميتات ربوات عددها
لان الافعال التى تحت الشرائع كلها بالهرب منها تلك يحرص أولئك أن يماثلوها
لان هذا العمل ان كان رديا فمماثلته رديه هذا وما قلت بعد كم أناسا

تجعلهم هذه الاعمال فساقا وهى التى يتظاهر بها وبأمثالها المتظاهرون بأفعال الفسق كيف يصيرون للناظرين الى هذه القبايح وأمثالها اعتاة لا يخجلون ولعمرى ان العين التى تستحيزان تبصر هذه القبايح وأمثالها لا يوجد صنف من الحى أزنامنها ولا أشد عتوا منها وأنت لا تشاء فى السوق أن تبصر امراة معراة والاليق ان يقال انك ما تشاء ان تبصرها عارية ولا فى بيتها لكنك تدعوا هذا الحادث مسببة أفتقصد الى الملعب لتشتم الجنس العام للرجال والنساء وتخزى عينيك فلا تقولن هذا القول ان المرأة المتعريه زانية هى لكن قل ان للزانية وللحرة طبيعة واحدة بعينها وجسم واحد بعينه فان يكن هذا الفعل وهو تجريد جسمها ليس شنيعا فلم اذا رأيته كائنا فى السوق تطفر أنت من هنالك هاربا وتطرد المفتضحة طردا أولعلك تقول انا اذا كنا على انفراد مفترقين فهذا الفعل يكون حينئذ شنيعا منكرا واما اذا كنا ملتئمين جلوسا كلنا فلا يكون قبيحا فأقول أنا ان هذه أقوال ضحك وعار واختلال العقل والافضل عندى أن يطلى أحدنا وجهه بطين وحماة فذلك أوفق له من مشاهدة ضد الشريعة هذه المضره مضرتها وبيان ذلك ان الحماة فى طباعها ان تضر على هذا المثال عينه ما يضرها النظر الى امرأة عارية والى وجه فاسق اسمع اذا من الذى اخترع التعرى منذ قديم الزمان وارهب أصل الشهوة التى هذا مقدار مضرتها فان سألت عمن هو الذى اخترع التعرى أجبتك انه المعصية لله ومشورة ابليس المحتال اخترعتا تعرية الاجسام منذ قديم الزمان فعلى هذه الجهة تكون هذا العارض منذ اعلى الزمان ومنذ القديم حيلة من ابليس المحتال الان آدم وحواء قد خجلا لما صارا عريانين وأنتم تفتخرون بأنكم قد جزتم على ما قاله الرسول شرفكم فى خزيكم كيف تبصرك امرأتك عائدا من خطية هذا عظم قباحتها كيف تقبلك كيف تخاطبك بعد اشتهارك على هذا المثال اذ تضطرها الغيرة

العامة

العامة لطبيعة النساء على جهة اهانتها وقداسة أسرك النظر الذى هذه القباحة قباحته وصرت عبد الامرأة زانية فان كنتم عند استماعكم أقوالى هذه تتوجعون منها وتحزنون فقد حصل المراد لان من الذى يسرنى الا الذى يغتم من جهتى فلا تكفوا فى وقت من أوقاتكم عن اغتمامكم وبكائكم على هذه الافعال وذلك ان توجعكم الناشئ من تلقاء هذه الاعمال يكون لكم مقدمة انتقالكم الى ماهو أفضل ولهذا السبب جعلت أنا كلامى أشد لذعا لاجعل جسم البشرية أعمق قطعا وأريحكم من تقبيح الاعمال التى تسكركم لكيما أعيدكم الى عافية لنفسكم نقية فليكن لنا كلنا أن نتمتع بها فى كافة أوقاتنا وان نرزق الجوائز الراتبة لهذه الفضائل بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى لابيه والروح القدس معه المجد والاكرام والعز والسلطان والسجود الآن وكل أوان الى أبد الآبدين آمين

المقالة السابعة

فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح فقالوا له فى بيت لحم اليهودية

أرأيت سائر الحوادث كائنة للطعن على اليهود لانهم اذ كان ربنا مشتركا معهم وما أبصروه ولم يكن الجسد بعد قد اذابهم كانوا يذيعون الشهادات عنه بتحقيق ولما أبصروا مجده الكائن من عجائبه تمكن منهم الحسد بعد ذلك لما واستحوذ عليهم فرفضوا الحق وانكروه الا ان الحق أذيع بالسن الاعداء كلهم وتجمعت الشهادة به منهم أعظم كثيرا وانظر فيما جرى ههنا كيف قد تدبرت

أمور عجيبة بديعة وذلك ان العجم واليهود معا عرف بعضهم من
بعض أكثر مما قد عرفوه سالفا وعلم بعضهم بعضا وبيان ذلك ان
اليهود سمعوا من المجوس ان نجمه نادى به فى بلاد الفارسيين والمجوس عرفوا
من اليهود ان هذا الذى انذر به نجمه قد أنبأت الانبياء منذا على الدهور
بمجيئه بسنين كثيرة وبسبب السؤال عنه صار لكل من الفريقين برهان
لتعليم محقق غاية التحقيق وصار اعداء الحق يكرهون ان يقرأوا الكتب من
أجل الحق وان يترجموا النبوة وان كانوا قد ترجموا بعضها لانهم ذكروا بيت
لحم وان منها يخرج من يرعى آل اسرائيل ولم يمحوا بما يتلوا ذلك لتجاهلهم
الى هيرودس الملك واظهار خضوعهم وان سألت وما الذى أبقوه وكتموه
أجبتك ان محل مجيئه منذ الابتداء من قبل أيام الدهر ولعلك تستخبر ان
كان مزمعا ان يأتى من بيت لحم فلم أقام بعد مولده فى الناصرة وستر
هذه النبوة فأجيبك انه ما سترها لكن الاليق ان يقال انه كشفها لان سكنى
أمه هنالك فى الناصرة دائما وبولادته ههنا فى بيت لحم بين ان ذلك كان من
سياسة عظيمة وذلك لم يخرج من بيت لحم لما ولد لكنه لبث هنالك أربعين
يوما مخولا المريدين ان يفتشوا عنه بان يفحصوا عن كلما جرى باستقصاء
بليغ وذلك ان الشواهد لهذا المطلب كانت كثيرة ان أرادوا أن يصغوا اليها
لان عند مجىء المجوس اضطربت المدينة كلها وارتجف مع المدينة ملكها
وسبق النبى الى وسط مجمعها وانجمع مجلس حكم عظيم فيها وحدثت
حوادث غير هذه هنالك كثيرة العدد يصفها لوقا البشير بالاستقصاء
مثل الاقوال المنسوبة الى حنه والى سمعان والى زكريا والى الرعاة
وكلها كافية ان تفيد من يتأملها أصولا لوجود ما قد كان ولئن كان المجوس
جاؤا من بلاد فارس فجهلوا مكانه والمقيمون هنالك كان يليق بهم
أكثر لانه قد أمكنهم ان يعرفوا هذه الحوادث كلها فقد أوضح اذاً انه من ابتدى

ظهوره بعجائب كثيرة فاذلم يريدوا ان يبصروه أخفى ذاته مدة الزمن الاوسط بين مولده وتعميده وأظهر ذاته أيضا باجلى وضوح بطريق آخر لان ما انذر به بعد ذلك المجوس ولا العجم ولا النجم لكن أبوه انذر به عند مجارى الاردن من العلو والروح حل عليه واجتذب ذلك الصوت الى رأس المعتمد وهتف يوحنا المعمدان بكافة الجماهرة فى كل صقع من بلاد اليهودية مالئا المسكونه من ذلك البلد الخالية من التعليم الذى هذا منفعته ولما شاهدت عجائبه الارض والبحر والخليقة كلها ابدت صوتا بهيا من أجله وفى وقت انخاض مولده حدثت حوادث كثيرة العدد من شانها على ما يليق بها ان توضح الآتى وتدل عليه وحتى لا تقول اليهود اننا ما عرفنا متى ولد ولا فى أى مكان دبرت القدرة أحوال مجى المجوس كلها وغيرها من الحوادث التى وصفناها حتى لا يكون لهم حجة واحدة يذكرونها اذا لم يطلبوا الكائن وتأمل استقصاء النبوة لانها ما قالت انه فى بيت لحم يثبت لكنها قالت انه من بيت لحم يخرج حتى يكون هذا الحادث وهو ان يولد هنالك فقط كائنا من النبوة وأقوام منهم توقحوا وقالوا ان هذه الاقوال فى وصف زور بابل قيلت وكيف يحوى قولهم هذا حجة لان مخارج زور بابل ليست منذ الابتداء قبل أيام الدهر وكيف يلائم ذلك ما قيل فى ابتداء النبوة أن من بيت لحم يولد لان زور بابل ما ولد فى بلاد اليهودية لكنه ولد فى بابل ومن هذه الجهة دعى زور بابل لسبب انه هنالك زرع وجميع الذين يعرفون اللغة السريانية يعلمون ما قيل ومهما قلناه فى كل الزمان بعد ذلك فيه كفاية أن يثبت الشهادة لان ما قالته النبوة هو لست الصغرى بين رؤساء يهوذا و يضيف الى ذلك علة علو سموها قائلا لان منك يخرج لان ولا واحد من المولودين هنالك جعل ذلك المكان بهيا ظاهرا شرفه الاهو فقط اذا الناس بعد ذلك المولد الشريف كانوا يأتون من أقاصى المسكونة ليبصروا المذود ومكان الكوخ وهذا فقط

سبق النبي من أعلى الزمان فاذاعه قائلا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ومعنى
ذلك ما تكونين حقيرة فى رؤساء قبائل يهوذا وقد اشتمل قوله هذا على اورشليم
ومع ذلك لم يفطنوا على أن المنفعة من ذلك عائدة عليهم وذلك أن الانبياء لهذا
السبب لم يتكلموا البتة من الابتداء فى وصف رتبته كلاما بقدر كلامهم
فى وصف الاحسان العائد اليهم منه لان فى حين ولدته البتول قال يدعو اسمه
يسوع واتبع ذلك بقوله لانه هو يخلص شعبه من خطاياهم والمجوس ما قالوا
أين هو ابن الله لكنهم قالوا أين هو ملك اليهود المولود وفى هذا الموضع أيضا
ما قال ان منك يخرج ابن الله لكنه قال منك يخرج المدبر الذى يرعى شعبى
اسرائيل لانه وجب أن يخاطبهم فى المبادى خطابا أميل الى التحفظ بهم لكيلا
يرتابوا وان ينادى بمنافعه له فى وصف خلاصهم لينقادوا بذلك اليه
انقيادا كثيرا ذلك ولا بهذه الشهادات الاولى التى استخرجوها من النبوّة
والعجائب التى صارت عند مولده حينئذ فلم يقولوا هم فى وصفه قولا عظيما
ولا عاليا ولا تأملوا الشهادات بعد اظهاره العجائب لان تلك العجائب تنطق
بوصف رتبته باجلى ايضاح وحين تسبحه الاطفال بعد عجائبه الكثيرة تسابيح
اسمع ماذا قال النبي من فم الاطفال والرضع هيأت تسبيحا وقال أيضا اننى أبصر
السموات عمل أصابعك فهذا القول يبين انه مبدع الكل والشهادة الواردة له
بعد صعوده تدل على خاصته المكرمة عند أبيه لانه قال قال الرب لربى اجلس
عن يمينى وأشعياء النبي قال ان القائم من أصل يسى يترأس على الامم وعليه
تتوكل الشعوب والقائل ان يقول كيف قال ان بيت لحم لا تكونى صغرى بين
رؤساء يهوذا الان هذه الضيعة ما صارت مكرمة فى بلد فلسطين فقط لكنها مع
ذلك قد صارت معظمة فى المسكونة كلها فنقول له الا ان القول الآن يتوخى
اليهود ولذلك اتبعه بان قال ويرعى شعبى اسرائيل على انه قد رعى المسكونة
كلها لكن المعنى على ما قلت انه ما يشاء الان ان يشككهم عندما ستر كلامه

فى وصف الامم ولعل السائل يسألنا أيضا كيف مارعى شعب اليهود فنجيبه
قد رعاهم أبلغ رعاية وقد كان ذلك لان بقوله فى هذا الموضع اسرائيل قد أوماه
الى الذين آمنوا به من اليهود وبهذا المعنى قد ترجمه بولس الرسول وقال ليس
كل الذين من اسرائيل هم أولادا لكن كافة الذين ولدوا ثانيا هم أولاد الموعد
فان كان مارعاهم كلهم فهذا ذنب وثلب لهم لانه قد كان واجبا عليهم ان يسجدوا
مع المجوس ويمجدوا الههم لانه قد أتى وقت الفائدة حيث حل فيه كافة
خطاياهم لانهم ما سمعوا خبرا فى مجالس حكم وعقوبات لكنهم سمعوا نبوة فى
وصف راع أنيس وديع فعملوا بخلاف ذلك وأقبلوا يرتجفون ويقلقون واخترعوا
بعد ذلك اغتيالات كثيرة العدد حينئذ هيرودس دعا المجوس سرا وتحقق منهم
عن زمان النجم الذى ظهر لهم بقصد أن يقتل المولود وذلك كان من ذهاب عقله
ولم يكن من جنون فقط وذلك أن الاقوال التى قيلت من أجل ربنا والحوادث
الكائنة قد كان فيها كفاية لابعاده من محاولة هذا القصد لان ما حدث
لا يناسب انسانا ومعنى ذلك استدعا النجم المجوس من العلو وسفر رجال
عجم كثيرى العدد وارسالهم حتى يسجدوا لطريح فى مذود مقمطا بقماطه
واداعت الانبياء فيما سلف هذه الحوادث كلها منذ اول الزمان وباقى
الشواهد الاخرى كلها كانت أعظم من أن تناسب انسانا الا ان هيرودس
مع ذلك ما حجزه ولا صنف من الاصناف التى ذكرناها لان الخبث هذه هى
خاصيته يتسكع بذاته ويتعاطى دائما افعالا لا يمكن الوصول اليها وتأمل زوال
فهمه فانه ان كان قد صدق النبوة وشعر أنها لا تتزعزع فمن البين انه قد
تعاطى أعمالا محرمة وان كان قد أنكرها أيضا ولم يتوقع نفوذ ما قد قيل فيها
فما كان سبيله ان يخاف ويرتاع ولا أن يغتال لهذا السبب ويحتال فوجب
من ذلك ان غشه كان من هاتين الجهتين فضلة زائدة ولا كان أمل أن يكردس
المجوس الى آخر درجة من الجنون وهذا الرأى كان للغاية من زوال الفهم

اذنوهم ان المجوس يفضلونه على المولود الذى لاجله سافر واسفرا طويلا بهذا المقدار لانهم ان كانوا قبل ان يبصروه اضطرمت فيهم نار الشوق اليه فبعد معاينتهم اياه وايقانهم من النبوة به كيف أمل أن يستميلهم الى ان يدفعوا الصبى اليه ومع ذلك فقد كانت الموانع بليغة وقد اراد تنفيذ قصده فدعى المجوس سرا وتحقق منهم وذلك أنه ظن أن اليهود يشفقون على الصبى وما أمل انه يلقيهم الى هذا الحد من الجنون بان يسلموا امامهم ومخلصهم الآتى لتحرير أمتهم الى أعدائه فلهذا السبب استدعى المجوس سرا وتحقق منهم عن الوقت ليس وقت الصبى لكن وقت النجم اذ اعتمدا صطياد الوقت من كثرة تزائده لانه على حسب ظنى ان النجم ظهر منذ زمان كبير ولعمرى انهم دوموا ان يفنوا فى سفرهم زمانا طويلا ليعرفوا المولود فى ذلك الحين لانه وجب ان يسجدوا له فى اقماطه ذاتها فمن هذه الجهة اظهر النجم ذاته قبل زمان كثير حتى يستبين من الحوادث خاصة العجيبة البديعة لانه لو كان حين ولد فى فلسطين ظهر حينئذ لهم فى المشرق وقد لبثوا فى سفرهم زمانا طويلا لما كانوا اذا وافوا اليه يبصرونه فى اقماطه وان كان هيرودس ارتأى ان يقتل الاطفال من ابن سنتين ومادونها ولا عجب فى ذلك فان غضبه وارتياعه حثاه على ذلك ولاجل كثرة احتياطه على ذاته اثران يزيد الوقت زيادة كثيرة حتى لا يفوته أحد ولما دعاهم قال لهم اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى واذا وجدتموه اخبرونى بذلك حتى اجىء أنا أيضا واسجد له أرأيت زوال فهمه وأنا أخاطبه ان كنت تقول هذه الاقوال على الحقيقة فلم تسأل القوم سرا وان كنت تريد ان تقتله وكيف ما علمت ان المجوس من سؤالك اياهم سرا يمكنهم أن يعرفوا غشك ومخاتلتك ولكن المعنى على ما قلت ان نفسا قد صادها خبثها تصير أعدم فهما من الانفس كلها وما قال لهم انطلقوا اعرفوا خبر الملك بل قال اذهبوا استقصوا عن الصبى لانه لم يستحسن ان يذكر اسم الرتبة الآن المجوس

من

من كثرة وداعتهم ماعرفوا ولاصنفا من صنوف مخاتلته هذه لانهم
ماتوهموا انه قدخرج الى هذا الحد من الخبث وعلى هذه الجهة انطلق اولئك
القوم بسياسة عجيبة ولم يظنوا ولاظنا واحدا من ظنونه هذه الردية التى اراد
أن يغتالهم بها لكنهم من اوهامهم حدثوا على كافة اوهام غيرهم اماهم لما
سمعوا من الملك ذهبوا واذا بالنجم الذى رآوه فى المشرق تقدمهم حتى جاء اووقف
فوق حيث كان الصبى فلما رأوا النجم فرحوا فرحا عظيما لانه لهذا السبب
استرعنهم حتى اذا أضاعوا امرشدهم يسقطون فى ضرورة تضطرهم أن
يستخبروا اليهود فيصيرالحادث من هذه الجهات واضحا فلما استخبروا وصار
اليهود معلمين لهم ظهر لهم أيضا وتأمل نظاما فاضلا متكونا من ذلك لانهم
من ظهور النجم اقتبلهم محفل اليهود والملك فأوردوا النبى يفيدهم العلم
بالنجم الظاهر ومن النبى تسلمهم ملك يعلمهم كلما احتاجوا الى تعلمه الا انهم
بالنجم ساروا من اورشليم الى بيت لحم لان النجم من هنالك ايضا صاحبهم
لتعلموا ولو من هذه الجهة ان هذا النجم لم يكن واحدا من النجوم الكثيرة لانه
ماحوى ولانجم واحد هذه الطبيعة وماصار بهم على بسيط مسيرهم لكنه
تقدمهم هاديا بحسبهم فى النصف من النهار ويقتادهم ولقائل ان يقول ما الحاجة
بعد ذلك الى النجم والضيعة معروفة فنقول له ليظهر الصبى لان الصبى ما كان
بين ذاته واذا المسكن لم يكن ظاهرا وأمه ليست بهية ذات حيث احتيج الى النجم
ليعرفهم المكان لذلك ظهر لهم بعد خروجهم من اورشليم وما توقف مسيره الى
ان وصل الى المذود واقترنت عجيبة بعجيبة ولعمرى انهما كليهما كانتا
مستظرفتين وهما سجود المجوس له وارشاد النجم اياهم سائقا وفيهما كفاية
أن يجتذبا الناس المستحجرة قلوبهم جدا ولو قال المجوس أنهم سمعوا الانبياء
يصفون هذه الحوادث أو أن ملائكة ناجوهم فى سريرهم لكذبوا فاذا استبان
الآن من العلو منظر النجم أبكم المتوقحين جدا والنجم لما عرف بالصبى وقف

أيضا فكان هذا الفعل فعل قوة عظيمة بل الاولى ان نقول انه ليس فعل نجم وذلك أن استتاره أحيانا وظهوره أحيانا ومن هذه الجهة استمد أولئك القوم زيادة لايمانهم ولهذا السبب فرحوا لانهم وجدوا مطلوبهم لانهم صاروا للحق رسلا لانهم ماصاروا تلك الطريق باطلا وعلى هذه الجهة صار شوقهم الى المسيح عظيما لانه جاء فوقف على هامته بعينها موضحا لهم أن المولود الهى وبوقوفه اقتادهم الى السجود له وما اقتاد النجم من بسيط حدهم لكنه اقتاد الى السجود له الحكماء منهم أرأيت أنه على جهة الواجب ظهر النجم لانهم بعد استماعهم قول النبي و بعد مخاطبة رؤساء الكهنة والكتبة أبصروه أيضا فليخزين مركين وليخز بولس الشميصاطى أبنا كنيستنا اذلم يريدا أن يبصرا ما أبصره المجوس لاننى لست أنف اذا القبهم بهذا اللقب فليخز مركين عندما يثبته الهاء مسجودا له متجسدا وليخز بولس اذا بصره ليس كانسان مسجود له لكن لانه أوضح بجسمه أقماطه ومذوده والدليل على أنهم سجدوا له ليس على أنه انسان ساذج تقديمهم لصغير فى سنه الهدايا العظيمة التى يليق بها أن تقدم للاله وليخز اليهود الذين ذكرناهم الذين أبصروا المجوس وعجما قد سبقوهم ولم يأتوا اليه بعد أولئك وذلك ان ماحدث حينئذ كان رمزا لما سيجعل اذا استبان من المبادى هذه أن الامم تسبق محفل اليهود فان قال قائل لماذا لم يقل ربنا منذ الابتداء بل قال فيما بعد اذهبوا وتلمذوا الامم كلها أجبته لان ما حدث كان على ماذكرت رمزا لما يحصل وتقديم الانذار به لانه كان فعلا لائقا وللثواب تابعا أن يتقدم اليهود اليه أولا فاذ دفعوا الاحسان الذى يناسبهم طائعين جرت أحوالهم على مجرى العكس اذ ولا فى هذا الوجه وجب أن يجى اليه المجوس قبل اليهود ولا أن يسبق الواردين من مسافة نازحة بعدها للجلوس فى المدينة بعينها ولا كان لائقا أن يسبق الذين ما سمعوا عنه قولا الذين قد تربوا بنبوات كثيرة هذا المبلغ مبلغها فاذ جهلوا الفوائد الحسنة التى

تناسبهم

تنا سبهم بافراط غباوتهم سبق الذين من بلاد فارس الذين كانوا فى أورشليم وهذا المعنى قد ذكره بولس الرسول قائلا قد كان يلزم ضرورة أن تخاطبوا أنتم أولا بأقوال ربنا فاذ قد حكمتم على أنفسكم أنكم أبريا من أن تكونوا أهلا له فها نحن نرجع الى الامم لانهم ان كانوا ما قبلوا قبل ذلك فقد كان واجبا عليهم لما سمعوا من المجوس أن يبادروا اليه لكنهم ما أرادوا فلهذا السبب عند هجوع أولئك اليهود أسرع اليه هؤلاء المجوس

العظـــــــــــــة

فسبيلنا نحن أن نقتدى بالمجوس ونباين العادة العجمية ونجعل المسافة بيننا وبينها بعيدة لنبصر المسيح لان أولئك لو لم ينزحوا من بلادهم البعيدة لما كانوا أبصروه فيجب علينا أن نبتعد عن الاشغال الارضية لان المجوس حين كانوا فى بلاد فارس أبصروا النجم ولما ابتعدوا عن بلاد فارس أبصروا شمس البر والاليق ان يقال انهم لم يبصروا النجم لو لم ينهضوا من هنالك بأوفر نشاطهم فينبغى ان ننهض نحن ولو ارتجف كل من يبصرنا ونبادر الى منزل الصبى ولو أن ملوك الدنيا وشعوبها وأمراؤها قطعونا ومنعونا عن هذا الطريق فلا ننقص شوقنا فاننا على هذه الجهة نصادم الشدائد العارضة كلها ولعمرى أن هؤلاء القوم لولا انهم أبصروا الصبى لما كانوا فاتوا الوقوع فى الخطر من جهة الملك وقبل ان يعاينوا الصبى دهمتهم من كل جهة مخاوف وشدائد وأراجيف وبعد سجودهم شملهم هدو وحياطه وما اقتبلهم أيضا نجم لكن ظهر لهم ملاك اذ صاروا من سجودهم له كهنة لانهم قدموا له قرابين وهدايا فاذا اهملت انت شعب اليهود والمدينة المرتجفة والمغتصب القاتل والخيال العالمى تسرع الى بيت لحم حيث بيت الخبز الروحى فان كنت راعيا وجئت الى ههنا ستبصر الصبى

فى منزله وان كنت ملكا ولم تأت فلا يحصل لك من ديباجتك نفعا وان كنت
مجوسيا فلا يمنعك ذلك المذهب اذا جئت لتكريمه والسجود له ولم تتواضع لابن
الله اذا جئت برعدة وفرح لانه قد يوجد التئام بين هذين الصنفين كليهما لكن
احذر الا تكون مثل هيرودس وتقول حتى اتى واسجد له واذا جئت
تريد ان تقتله لان الذين يتناولون أسرار القربان بغير استحقاق يشبهون
هيرودس لان بولس الرسول قد قال ان من هذا الحال حاله يكون مدانا لجسد
ربنا ودمه وذلك ان هؤلاء قد حازوا فى أنفسهم المغتصب المولم الملك المسيح وهو
المال الذى هو أعظم زيغانا من هيرودس عن الشريعة لان هذا الغنى
من الظلم يريدان يعتز مستوليا ويرسل أصحابه ساجدين بشكلهم
ذابحين فى سجودهم فسبيلنا أن نحذر الا يكون شكلنا شكل عبيد ساجدين
مضادين ونستبين فى عملنا معاندين وينبغى أن نحذف من أيدينا كافة
الرذائل اذا عزمنا أن نسجد لربنا فان كانت لك ذهبا فينبغى أن نقدمه
له ولا نختفر ونطمره لانه اذا كان أولئك العجم حينئذ قربوا الذهب لتكريمه
فمن تكونه أنت اذا لم تسعفه به وقدمسته الحاجة اليه ان كان أولئك ساروا
طريقا طويلا عظيما ليبصروه مولودا فأى اعتذار تملكه أنت اذا لم تسلك
ضربا واحدا لتفتقده مريضا ومقيدا على انه يجب علينا أن نرحم أعداءنا اذا
مرضوا واعتقلوا وأنت ما ترحم سيدك المحسن اليك أولئك المجوس قربوا
ذهبا وأنت بالجهد لا تعطيه خبزا أولئك أبصروا النجم وفرحوا وأنت تبصر
المسيح بعينه غريبا عاريا وما تحنن عليه ومن منكم وأنتم قد أحسن المسيح
اليكم باحسانات عديدة لا تحصى يسافر لاجله سفرا طويلا مسافته قدر سفر
أولئك العجم اليه وأليق ما يقال أولئك الذى هم أعظم فلسفة من الفلاسفة
وما معنى قولى من منكم سافر طريقا طويلا الان كثرة نسائنا الا يرخون لنا هذا

الأرخا حتى أننا ما نسلك شارعا واحدا ونبصره فى المذود الروحى ان لم تحمانا بغالنا والبعض منا اذا اتفق لهم أن يعشوا فمنهم من يفضل المواظبة على أشغال الدنيا ومنهم من يقدم الملاعب على مجيئه الى ههنا أولئك العجم قبل ان يبصروه تكبدوا المشاق لاجله وأنت ما تشابه أولئك ولا بعد نظرك اليه لكنك تتركه بعد ان عاينته وتبادر الى النظر الى الملاهى لاننى قد خاطبتكم امس أيضا بهذه الاقوال بعينها التى خاطبتكم بها سالفا وتبصر المسيح مطروحا فى المذود فتتركه لتبصر نساء فى قبة اللعب فكم صواعق لا تستوجبها هذه الافعال قل لى ان أدخلك أحد الى قصر الملك وأوعدك ان يريك الملك جالسا اتراك كنت تختار الملعب بدلا من هذه الحظوظ المأثورة على ان ليس فى ذلك نفعا ولا تستفيد من هنالك ربحا وفى هذا المكان عين نار روحية فائضة من هذه المائدة فتتركها أنت وتسرع الى الملعب لتبصر نسوة سابحات راقصات مفتضحات وتهمل المسيح جالسا عند العين ليس مخاطبا امرأة سامرية لكنه مفاوض مدينة كاملة فهو الان جالس يخطب سامرية وحدها بقصد ان يحضر عنده أحد ولكن واسفاه لم يحضر ولا واحد فأقوام قد حضروا عنده بأجسامهم وحدها وغير هؤلاء فما حضروا ولا بأجسامهم الا انه مع ذلك لا ينصرف لكنه يثبت طالبا ان يشرب منا ليس ماء لكنه يبتغى ان يشرب قداستنا الا انه ما يهب لنا من هذه العين ماء لكنه يمنحنا منها دما حيا وليس هو دلالة على الموت فقط لكنه كان العلة لحياتنا وأنت تترك عين دمه وكاسه الجليل قدره وتذهب الى عين ابليس المحتال لكى تبصر زانية سابحه وتصبر على الغرق لان ذلك الماء هو لجة فسق ليس من شأنه ان يغرق أجسام الناس لكنه يغرق نفوسهم ولكن الزانية تسبح وجميعها مجرد عار واذا رأيتها أنت ستغرق فى قعر الفسق بها الان شبكة ابليس المحتال هذه الخاصة خاصتها فى طباعها ان تغرق ليس المنحدرات الى الماء بعينه لكنها تجعل الجلوس

فوق غرقى الى قعر الماء بعينه أكثر من المتقلبات هنالك وتخنقهم أصعب من اختناق فرعون الغارق حينئذ بخيله ومركباته ولو أمكنكم ان تبصروا نفوس الغرقى لكنت أريك نفوسا كثيرة سابحة فى هذه المياه على نحو ما كانت أجسام أهل مصر سابحة حينئذ فى البحر الاحمر لكن الاعتقاد الاصعب من هذا الهلاك هو انهم يدعون هذه التهلكة المبيدة ترفها وطربا ويدعون لجة هلاكهم جدول لذة ولعمرى ان خوض أحدنا اللجة التى تعد انيقة وتجاوزها بصيانة واحتياط أسهل من تخلصه من هذه المعاينة سالما الان ابليس المحتال فى طول ليلهم يقاطع نفوسهم بتوقع الخطاء واذا اراهم ما يتوقعونه من ذلك ربطهم للحين وجعلهم مأسورين فلا تتوهم انك اذا لم تخالط الزانية قد صرت نقيا من الخطية لانك بنشاطك ونهضتك قد استكملت كافة الخطاء لانك ان ضبطتك شهوتك فقد أضرمت لهيب الخطا جدا وان كنت لم يعرض لك عارض مما أبصرته فقد صرت مستوجبا ثلباعظيما اذ صرت شكا الغيرك بتصفحك الاشخاص الذين عاينتهم واخزيت بصرك وخجلت بنفسك مع بصرك ولكن لئلا انهاكم عن هذا المنكر فقط فانحتال بحيلة على ذلك فان سألت وكيف ذلك أجبتك هو انى أريد أن أدفعكم الى نسائكم ليؤدبوكم لانه قد كان واجبا على حد وشريعة بولس الرسول ان تكونوا أنتم معلمين لنسائكم فاذ قد انعكس هذا الترتيب بخطاياكم وصار الجسم فوق والرأس أسفل فينبغى أن نجتاز ولو بهذه الطريق فان كنت تخجل من ان تكون امرأتك معلمة لك فاهرب من الخطية ويمكنك باسراع أن تصعد الى الكرسى الذى أعطاكه الله لانك ما دمت تجترم الخطاء فالكتاب يرسلك لا الى امرأتك فقط لكنه يرسلك الى أصناف الحشرات الذميمة الفاقدة النطق تلميذا وما يخجل الكتاب من ارساله المكرم بنطقه تلميذا للنملة وهذا الفعل ليس هو ثلبا للكتاب

لكنه

لكنه ثلب للذين أسلموا على هذا الحال شرف جنسهم فسبيلنا نحن ان نعمل
هذا العمل وتدفعك الان الى امرأتك فان تهاونت بها فتريسلك الى محلة
تعاليم البهائم ونريك كم طيورا واسماكا وكم ذوات أربع ودبابات
أطهر وأعف منك فان كنت تخجل من هذه المقايسة و يحمرلونك فاصعد
الى شرف حسبك وتصور فى عقلك قعر جهنم ونهر النار وأهرب من
البركة التى فى الملعب فان هذه البركة تسبب لك قعر جهنم وتشعل لهيب ذلك
المربع لان من يكن أبصر امرأة واشتهاها فقد زنى بها فى قلبه فمن يضطر أن
يبصرها عارية فكيف لا يصير أسيرا أكثر كثيرا ولعمرى ان الطوفان الذى
كان على أيام نوح ما أهلك جنس الناس هذا الهلاك على مثال ما يفوق
هؤلاء النساء السابحات كمن يبصرهن هنالك بخزى كثيرا لان ذلك المنظر
وان كان قد أمات الجسم لكنه حسم رذيلة النفس وهذا المنظر يعمل خلاف
ذلك لانه يهلك انفسنا مع بقاء اجسامنا ولو حدث ترتيب التقدم وكل التفضيل
بل لو أريد ان نقدم جلوسكم على المسكونة كلها لان مدينتنا تكللت باسم
المسيحيين أولا فاذا جاهدتم جهاد العفة انقص من المدن الذين اهلها عدم
معرفة من غيرهم اما تخجلون من ذلك ولعل قائل يقول نعم نخجل فما الذى
تأمرنا به ان نفعله أفنتوجه الى الجبال ونصير رهبان فأجيبه انى لهذا السبب
تضيق روحى لتوهمكم واحتسابكم ان العفة وزينة الاخلاق قاصرة على أولئك
الرهبان وحدهم على ان المسيح الهنا قد وضع شرائعه عامة اذ قال عز قوله
من يبصر امرأة ليشتهيها فليس يقول ذلك الراهب لكنه انما يقوله لمن قد
صاحب امرأة لان ذلك الجبل حينئذ كان مملوا من كافة الذين هذا المذهب
مذهبهم فتفطن فى ذلك المشهد أمقت هذا المشهد الشيطانى ولا تدفن
ثقل كلامى فلست أمنع من التزويج ولا أحجزكم عن السرور لكننى
أريد أن يكون ذلك بعفاف ولا يكون بخزى وثلب وذنوب كثيرة العدد

ولست اشير عليكم أن تتوجهوا الى الجبال والبرارى لكننى أريدكم أن تكونوا اخيارا انقياء عفافى سكناكم فى وسط مدينتكم وذلك ان كل فرائض الشرائع هى مشاعة بيننا وبين الرهبان ماخلا التزويج فبولس الرسول يامر فى هذا الوجه ان نتساوى بهم فى كل أفعالهم اذقال سيعبر شكل هذه الدنيا ليكون الذين قد امتلكوا نساءهم كانهم لم يمتلكوهن فمن هذه الجهة لست آمركم بالتوجه الى أعالى الجبال لاننى لست أشاء المدن لاجل تشبيهها بما حدث فى مدن سدوم أن يهرب أهلها الى الجبال ولا ألزمكم بذلك فأنت مالك منزلك وبيتك وامرأتك لكن لا تسب امرأتك ولا تشهر أولادك ولا تدخل الفساد من الملعب الى بيتك اما تسمع بولس الرسول قائلا يتسلط الرجل على جسده لكن امرأته تتسلط عليه اذ وضع شرائعه مشاعة لكليهما وأنت اذا اتصل مجىء امرأتك الى الكنيسة دائما تصير تاليالها ثقيلا واذا لبثت أنت طول نهارك فى ملاعب الهزل اما تحسب انك أهل للثلب والتقريع لكنك فى تعفف امرأتك وردعها توجد على هذا المثال مستقصيا حتى انك تكون زائدا فى ذلك مشرفا وما تطلق لها نهضات الخروج من منزلها اللازم أمرها وتحسب أن الافعال كلها مطلقة لك الان بولس الرسول لا يامرك بذلك اذ خول امرأتك هذا السلطان لانه قال فليخول الرجل امرأته النصح والاكرام الواجب لها عليه فأى اكرام هذا ان أسيتها بافعالك القاتلة وخولت الزوانى جسدها لان جسدك هو جسدها اذا ادخلت الى بيتك اراجيف وحروبا اذا عملت فى السوق هذه الاعمال التى اذا تكلمت بها فى بيتك تخجل امرأتك ان تسمعها وتحزن وتخزى ابنتك الحاضرة وقد أخزيت قبلها ذاتك فيلزمك ضرورة ان تسكت أولى لك من افتضاحك بهذه الافعال التى يحكم ضربنا عبيدنا مرارا بالسياط عليها واجبا قل لى أى اعتذار لك اذا أبصرت بحرص كثير مالا يكون

ذكره

ذكره محمودا وصنعت بحضرة أهلك كلهم مالا يستحسن التحدث به ففي لا يصير كلامي اثقل الاشياء عليكم اسكن الآن في هذا الموضع قولي وان لبثتم في اعمالكم باعيانها جعلت الحديد الذي ابطكم به ارهف جدا وجعلت القطع به أعمق مايوصل اليه وليس أكف عن ذلك الى أن أشتت مشهد ابليس المحتال واجعل محفل الكنيسة نقيا فاننا على هذه الجهة نخلص من الخزي الحاضر ونثمر للحياة المأمولة بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر له المجد آمين

المقالة الثامنة

وجاؤا الى المنزل وابصروا الصبي مع مريم أمه فخروا ساجدين له وفتحوا ذخائرهم وقدموا له هدايا

كيف قال لوقا البشير انه كان موضوعا في المذود لانها اذ ولدته أضجعته في الحين هنالك لانه بسبب كثرة المجتمعين من الناس لاجل اكتتاب أسمائهم لم يكن يوجد منزل وهذا المعنى يدل عليه لوقا البشير عند قوله انها أضجعته في المذود لانه لم يكن لهما موضع في المنزل وبعد ذلك شالته منه وجعلته على ركبتيها لانها بينما كانت هنالك في بيت لحم تمت ايامها لتلد حتى تعرف من هذا الوجه السياسة كلها وان هذه الحوادث كلها ما حدثت على بسيط ذاتها ولا اتفاقا لانها كلها بسياسة الهية وبنظام النبوة تمت لكن ما الذي استمال المجوس الى السجود له ومع ان البتول ما كانت ذات شأن والمنزل ليس عليه علامات الشرف ولا كان هنالك شيأ من الاشياء الملحوظة من خارج ليفتحوا ذخائرهم لكنهم مع ذلك قدموا له

هدايا هم ذهبا ولبانا ومرا وهذه الهدايا التى قربوها لا تقدم لانسان بل تقدم لاله وذلك ان اللبان والمر كانا دليلين على لاهوته وناسوته فان سألت وما هو الذى استمالهم وحملهم ان ينهضوا من منازلهم ويسيروا طريقا طويلا بهذا المقدار فأجيبك ان هذا النجم كان صادرا من الله الى سريرتهم هداهم قليلا قليلا الى معرفة أتم من غيرها لان هذا ما كان شيأ بالنسبة الى هذا الذى وصفناه اذ الاشياء الظاهرة لهم كلها كانت حقيرة فيبينوا تكريما بليغا ولهذا السبب ما كان هنالك شيأ من الاشياء المحسوسة مستعظما سوى مذود وكوخ وأم مسكينة لكى تبصروا فلسفة المجوس مجردة وتعلموا انهم ما تقدموا اليه على انه انسان مجرد بل تقدموا اليه على انه اله محسن اليهم فلذلك ما فتنهم شئ من الاشياء الملحوظة من خارج لكنهم سجدوا وقربوا الهدايا مبراة من كثافة مذهب اليهود لانهم لم يذبحوا غنما ولا عجولا فكانت قرابينهم قريبة من فلسفة كنيستنا وبيان ذلك انهم قربوا له معرفتهم به وطاعتهم وحبهم ثم اذ أوحى لهم فى الحلم الا يرجعوا الى هيرودس انصرفوا فى طريق آخرى الى كورتهم فانظر من هذه الجهة ولوا الى امانتهم كيف ما ساكوا بل كان انقيادهم سريعا وعزمهم جيدا فما ارتجفوا ولا أفتكروا فى انفسهم قائلين ان هذا الصبى قدره عظيما وقد امتلك قوة من القوات فما حاجتنا الى الهرب والانصراف سرا وما السبب فى اننا جئنا مجيئا ظاهرا بمجاهرة ووقفنا الذى جمع عظيم المقدار كهذا وبحضرة هيمان ملك جهرا فيخرجنا الملك من المدينة بصورة هارب بين الانهم ما قالوا ولا لفظة من هذه الالفاظ ولا خطرت بافكارهم وهذا الرأى كان من أمانتهم خصوصا ان لا يبتغوا واجبات ما أوحى به اليهم بل يخضعون لما امروا به ويقبلونه فقط وبعد ما انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا قم وخذ الصبى وأمه واهرب الى مصر وكن هناك

حتى

حتى أقول لك لان هيرودس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكه فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف الى مصر وكان هناك الى وفاة هيرودس لكى يتم ماقيل من قبل الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابنى فمن الواجب ان نتحير فى هذا الموضع من انصراف المجوس ومن هرب الصبى فان كان أولئك لم يرتجفوا لكنهم قبلوا كلما حدث بامانة فمن الواجب ان نطلب لاى سبب لم يتخلصوا فى حال حضورهم أعنى المجوس والصبي لكن أولئك ذهبوا الى بلاد فارس والطفل مع أمه هربا الى مصر وان قال أحد لكن ماالرأى عندك أكان واجبا أن يسقط فى يدى هيرودس والا يقطعه اذا سقط فى يده فنقول لكنه لو لم يهرب لما كان استشعر انه اتخذ جسما ولا كان الناس صدقوا جماعة سياسته وان كانت هذه الحوادث كلها قد حدثت وأفعال كثيرة قد دبرت على مايليق بالانسانية فان اعترض أناس وقالوا ان اتخاذ الجسم حديث متواصف فلو كان عمل كلما عمله لائقا بلاهوته وعلى حذو قدرته فأى مهوى من الكفر لم يكونوا قد وقعوا فيه

فأرسل المجوس سريعا وجمع فى

ذلك انه ارسلهم معلمين لاهل بلاد فارس وضم فيه اذ حسم جنون هيرودس المغتصب ليعلم انه يتعاطى أعمالا يتعذر عليه الوصول اليها وليخمد غضبه وليكفه عن باطل بغيه هذا لانه مالاق به ان يقهر بمجاهرة اعدائه فقط لكن فعل فعلا به اقتدر أن يخدعهم بايسر ممارسة وعلى هذه الجهة خدع أهل مصر فى حين انزواج اليهود من عندهم وقد كان قادرا اقتدارا ظاهرا أن ينقل ثروة مصر الى أيادى العبرانيين فأوعز ان يصير ذلك بمخادعة وهذا لم يكن دون غيره من الآيات التى اجترحها وجعل ذاته مرهوبا عند اعدائه وأهل عسقلان وباقى تلك المدن التى تجاورها كلها حين أخذوا تابوت العهد وضربوا

فوصاهم بعد ذلك المختصون بهم أن لا تحاربوا آل اسرائيل ولا تقفوا مقابلتهم

واوردوا هـــذه العجيبة مع غـــيرها

من عجائبه قائلين ما بالكم تثقلون قلوبكم على شكل ما ثقل أهل مصر وفرعون قلوبهم أوليس حين سخر بهم حينئذ أخرج شعبه وانصرفوا هذه الاقوال قالوها ولم يعلموا ان هذه العجيبة هى دون غيرها من عجائبه التى اجترحها اجتراحا ظاهرا برهانا لقدرته وعظمته وهذا الحادث بعينه حدث ههنا كافيا لردع المغتصب وادهاشه وتفطن فى اية نوائب ثابت هيرودس وكانت لا ثقة به وكيف اختنق حين خادعه المجوس وضحكوا عليه على هذا المآل كثيرا وان سألت وما السبب فى انه ما صار أفضل مما كان أجبتك ليس ذلك ذنبا من الذى دبر هذه الحوادث لكنه من افراط جنون هيرودس اذ لم ينعطف بالكائنات المقتدرة ان تسليه وتبعده من خبثه لكنه جمح فى بغيه وفى تجاوز قدره ليقتبل لزوال فهمه أصعب طائله من غيرها وان سألت من أجل أى غرض أرسل الصبى الى مصر

فاجيبك عـــلة ذلك قـــد ذكرها

وأوضحها أيضا حابينا فقال ليتم ما قيل من قبل الرب بالنبى القائل من مصر دعوت ابنى ومع ذلك فبشر المسكونة بمقدمات امال صالحة واذ كانت بابل ومصر محترقتين بلهيب الالحاد أكثر من كافة الارض كثيرا أوضح منذ مبادى ظهوره انه يتلافاهما كلاهما ويجعلهما أفضل حالا ويحقق بهما توقع الآمال الصالحة للمسكونة كلها فأرسل المجوس الى بابل ونزل هو مع أمه الى مصر ومع ما قد قلناه نتأدب من

هذا

هـــذا الوجـــه بمعنى آخر يمتد بنا الى

فلسفة ليست صغيرة وان سألت وما هو هذا المعنى أجبتك هو أن نتوقع منذ مبادى كوننا المحن والاغتيالات وانظر الى هذا العطب كائنا فى الحين منذ التقاطه لانه لما ولد جنح هيرودس المغتصب الى بغيه وجنونه وحدث هرب المولود ونقله الى المنفى وأمه اذ لم تحترم جرماهربت الى بلاد العجم حتى اذا سمعت أنت هذه الحوادث واهلات لا تخدم خدمة روحية ثم رأيت ذاتك قد ثلبتك نوائب واصابتك شدائد كثيرة لا ترتجف قلقا لا تقل هـذا القول أى ما هو هذا الحادث قد كان واجبا أن اكلل و يداع سموم رتبتى وذكرى بهيا لاجل اتمامى خدمة سيدى

لكن اذ قـــد امتلكـت هـــذا المثال

تحتمل كما يدهمك بكل تجلد عالما أن هذه الخاصة اكثر من كل الخواص تابعة للاعمال الروحية وهى ان تمارس فاعلها فى كل مكان محنا مقترنة بها وتامل هذا العارض ليس عارضا الام الصبى وحدها لكنه قد عرض لاولئك العجم أيضا لانهم انصرفوا انصراف هراب سرا وأمه أيضا فانها سارت فى وقت من الاوقات مسافة زائدة عن بيتها فامرت ان تكابد طريقا من الشقاء طويلة مسافتها بسبب هذا المولد العجيب وأمخاض طلقها الروحية وتامل أيضا العجب البديع وذلك ان فلسطين اغتالت عليه ومصر اذ تسلمت من اغتال عليه صانته

لان رسوم الانحـــدار الى مصر

والطلوع الى فلسطين ما عرضت لبنى يعقوب رئيس الاباء وحدهم لكنها قد عرضت معهم لسيدنا ذاته لانه بافعاله التى فعلها حينئذ قدم الانذار برسوم كثيرة من الرسوم المزمعة أن تصير اخيرا وذلك قد غرس فى معنى الاتان وجحشها

الا ان الملاك حين ظهر ما خاطب مريم لكنه خاطب يوسف قائلا له قم وخذ الصبي وأمه فلم يقل في هذه المرة خذ امرأتك أيضا لكنه قال خذ الصبي وأمه اذ قد تكون المولد وانحلت التهمة وصدق الرجل خاطبه الملاك فيما بعد بمجاهرة وما سمى ابنه وامرأته لكنه قال خذ الصبي وأمه واهرب الى مصر

وذكر له علة هربه

لانه قال ان هيرودس مزمع أن يطلب نفس الصبي فاذ سمع يوسف أقواله هذه ما ارتاب ولا قال هذا الحادث رمز هو أنت قلت فيما سلف انه يخلص شعبه والآن فما يخلص ذاته لكننا قد احتجنا الى هرب وسفر وتغرب طويل فما قد حدث علينا فهو ضد ما وعدتنا به لكنه لم يقل لفظة من هذه الالفاظ لانه كان مؤمنا ولم يبحث عن زمان عودته من هنالك مع أن الملاك قد جعلها بغير تحديد بقوله وكن هنالك الى أن أقول لك الا انه ولا مع هذا تباطأ لكنه أطاع وخضع واصطبر على كافة المحن بفرح وذلك ان الهنا العطوف على الناس قد خلط في هذه المحن المولية لذات وذلك من عادته ان يعمله بجميع القديسين فما يجعل الشدائد ولا النعم والافراح متصلة وبهذه السراء وبتلك الضراء ينسج عمر ذوي العدل وعمل هذا العمل فيما جرى ههنا الان تامل لي ما جرى عليه أبصر البتول حبلى فالجاه ذلك على الحزن الشديد وفي غاية القلق والانزعاج لانه اتهم الجارية بفسق الا ان الملاك وقف به فحل في الحين تهمته وأزال خوفه هذا وأبطله واذا بصر الصبي مولودا فرح فرحا عظيما ثم اعقب هذا الفرح خطر لم يكن صغيرا عند ارتجاف المدينة وهيام ملكها والتماسه المولود الا ان هذا الارتجاف اعقبه ايضا سرور آخر بزيارة النجم وسجود المجوس وبعد هذه اللذة ايضا حدث خوف وخطر لانه زعم ان هيرودس يطلب نفس الصبي ثم اوعز اليه الملاك ان يهرب وينتقل انتقالا انسانيا الا انه ما وجب

انه

انه يجترح عجائبه عاجلا لانه لو كان اظهر من سنه الاول عجائبه لما كان يعرف
انه انسان ولهذا السبب ما أبدع هيكله على بسيط ذاته لكن تكون الحبل به
فى مدى تسعة اشهر والمخاض ومولد واغتذاء باللبن وسكون دائم لزمانه وانتظار
السن اللائق بالرجال لكى يصير سر تدبيره لسائر الجهات سريعا اقتباله
ولسائل ان يسأل لاجل من صارت هذه العلامات من ابتداء ظهوره فنجيبه
لاجل أمه من اجل يوسف بسبب سمعان عندما أشرف على الانصرف من
الدنيا من اجل الرعاة من تلقاء المجوس لاجل اليهود لانهم لو أرادوا ان يتصفحوا
الحوادث الحادثة تصفحا بليغا لاستفادوا من هذا الوجه الحوادث المأمولة
علامات ليست صغارا ولئن كان الانبياء لم يذكروا أخبار المجوس فلا يزعجنك
ذلك لانهم ما تقدموا قبل يصفوا الحوادث كلها ولا صمتوا عنها كلها وكما ان
الذين لم يسمعوا شيئا ابدع عندهم قول الانبياء انهم يعرفون الحوادث الواردة
ادها شالهم وارجافا كثيرا فكذلك تعريفهم بكل الحوادث كان يجعل مسامعهم
ان تنام عن البحث منها وما يترك للبشرين وصفا أكثر مما تنبأوا هم به فان تشكك
اليهود فى النبوة وقالوا ان قولها من مصر دعوت ابنى انما ذلك قيل فى وصفهم قلنا
لهم ان شريعة النبوة هذه انما تقال فى اناس الا انها تتم فى اناس آخرين غيرهم
مثال ذلك انما قيل فى الانتظار من شمعون ولاوى انى افرقهما فى يعقوب
واشتتهما فى آل اسرائيل واحدث فيهما لكنه انما حدث على ابنا أبنائهما
وما قاله نوح على كنعان نفذت العبودية الى اولاد اولاد كنعان وهذا المعنى يبصره
المتأمل على هذه الصورة فيما قيل على يعقوب وذلك ان تلك التبريكات القائلة
تصير سيد الاخوتك ولتسجد لك بنى ابيك وما وصل تمامها اليه وكيف كان
يصل تمامها الى المرتاع من العيس المرتعد الساجد له دفعات كثيرة لكن
تمامها انما وصل الى المسيح جل ذكره وهذا المعنى يقوله قائل فى هذه
الالفاظ لان ايما أفضل أن يقال ان الساجد للعجل المتعبد لبعل فاغور الذابح

بنيه أبناء الله او للشياطين أم أن يقال على ابنه بالطبع المكرم والده ابن الله وقد
وجب من ذلك ان هذا الولايات لما كانت هذه النبوة استمدت لها غاية واجبة
وأبصر البشير كيف يومى الى هذا المعنى بقوله ايتم موضحا انه لو كان ما جاء لما
كان تم ذلك وهذا القول فليس على ما اتفق يجعل البتول بهيئة ظاهرا أشراقها
وذلك ان الخروج من مصر الذى أنزلة الشعب كله فى منزله مديح اقتدرت هى
فيما بعد أن تحصله لانهم اذ كانوا قد تفخموا بخروجهم من مصر واستعظموا
كثيرا وهذا فقد أومى اليه النبى وقال أولست قد أصعدت المخالفين
قبيلتكم من بلاد العبودية وأطلعت أهل التجارة من ألهوته جعل ذلك
يكون للبتول ملكة متقدمة فى فضلها وأليق ما نقوله ان الشعب ورئيس
الاباء انحدروا الى هنالك وطلعوا من هنالك فتمموا رسوم صعود سيدتنا لان
أولئك هربوا من موتهم من الجوع وانحدروا الى مصر وهذا المسيح هرب من
موت واغتيال هيردس ولكن أولئك بانحدارهم تخلصوا وحينئذ من
جوعهم وهذا المسيح انحدر اليها فقدس بلادها كلها بطلوعه اليه وتامل
كيف ينكشف فيما بين افعاله الذليلة افعال لاهوته لان الملاك عند قوله
واهرب الى مصر ما وعدهم بمصاحبته اياهم فى طريقهم لا فى انحدارهم اليها ولا
فى طلوعهم منها اذ اشار بذلك الى ان الصبى المولود قد استرفقوه معهم مسافرا سفرا
عظيما محله وانه أيضا ظهر نقل المصاعب كلها وأحالها وجعل الاعداء أن
يخدموا سياسته ويطيعوها وبيان ذلك أن المجوس والعجم تركوا دين
أبائهم وجاؤا يسجدون له وجعل أوغسطس الملك أن يخدم مولده فى بيت لحم
بأمره باكتتاب الناس فى مستقرهم واستخلص مصر باقتبالها اياه هاربا
منها الا عليه واستمدت لاختصاصها به حجة واضحة حتى اذا استأنفوا استماع
رسله به يتجملون بانذار هذا اليهم لان بلدتهم قبلته أولا ولعمرى ان هذه
المملكة المتقدمة فى الفضل كانت لبلدة فلسطين وحدها الا أن مصر صارت

اوفر

أوفر وأعظم من فلسطين حرارة فى ارتياحها

العظـــــــــــــــــــة

وعند مجيئهم أيضا الى برية مصر تبصر هذه البرية قد صارت أفضل من كل جنة قدرا وتعاين صنوفا من الملائكة ربوات عددها فى أشكال انسانية وجموعا من الشهداء ومحافل من العذارى وتمرد ابليس المحتال كله منقوضا وملك المسيح يشرق لامعا وتنظر الان الى أم الشعراء والحكماء والمجوس الواجدة كل صورة من صور السحر ومعلمته لاقوام غيرها متجهلة بالصيادين متهاونة بأولئك الذين ذكرناهم أجمعين مجاهها العشار والخيام فى كل محل فيها مقدمة الصليب متصدرا فى مراكزها وهذه النعم الصالحة ليست فى مدنها وحدها لكنها فى براريها أكثر مما هى فى مدنها لانه يتجه لك ان ترى فى كل صقع من تلك البلدة جيش المسيح وقطيعه الملكى ومذهب القوات العلوية وهذه المحامد تجدها الواحد ليس فى الرجال فقط لكنها توجد متمكنة فى طبيعة النساء أيضا وبيان ذلك ان أولئك النساء يتفلسفن ليس دون تفلسف الرجال ولا يتقلدن رمحا ويركبن فرسا على ما أوعز بذلك مفترضوا الشرائع من الوثنيين أهل بلد غلاطية الشرفاء فيهم وفلاسفتهم لكنهن مقتبلات حربا أصعب من هذه الحرب كثيرا لان الحرب لابليس المحتال والى سلاطين الظلام مشاع فيما بينهن وبين الرجال وليونة طبيعتهن ونعومتها لا تصير البتة لهن تعويقا فى معارك هذا الحال حالها وذلك ان هذه المصارعات لا تتميز بطبيعة الاجسام لكنها تتميز باختيار نفسها ونيتها ولهذه العلة جاهد النساء دفعات شتى أكثر من الرجال وظفرن ظفرا أبهى حسنا وليست السماء على هذا المثال بهية بصف النجوم المتلون لمعانها مثل برية مصر تريناها مساكن الرهبان من كافة جهاتها فمن عرف مصر

تلك الغدية المحار بة الهها المجنونة العبدة المتعبدة لناموسها الخائفة المرتاعة من ظلها فذلك يعرف قوة المسيح معرفة صائبة والاليق ان يقال اننا ما نحتاج الى أحاديث قديم زمانها لان الى الآن قد بقيت أيضا بقايا تلك الرذائل برهانا على قديم جنونها ويتضاحكون على مذاهب آبائهم ويولولون على أجدادهم وما يعملون فرضا واحدا ولا افلاسفتهم لانهم عرفوا من إعمالهم نفسها ان فرائضهم هى وساوس عجائز سكيرات وان الفلسفة على الحقيقة الموهلة للسموات هى هذه التى اذيعت بالصيادين عندهم فلهذا السبب مع اغراقهم فى الاعتقادات الجزيل مبلغها يظهرون من عيشتهم إجتهادا كثيرا وبيان ذلك انهم تجردوا من موجوداتهم كلها وانصلبوا عند العالم كله وكدوا فى أعمال الجسد أيضا الكد المتجاوز تقديره ليكون فيهم كفاية للقيام بطعام المحتاجين لانهم اذ كانوا يصومون ويسهرون ما التمسوا ان يبطلوا بعد نهارهم لكنهم افنوا لياليهم فى التسابيح الجليلة وفى السهر ما طال ليلهم وصرفوا انهارهم فى صلواتهم وفى العمل الذى تعمله أيديهم مماثلين غيرة بولس الرسول لانهم قالوا ان كان ذلك الفاضل اذا كانت المسكونة ناظرة اليه حتى يغذوا المحتاجين توجه الى دكانه واستعمل صناعته وفى مثابرته هذا العمل ما نام لياليه فالاليق بنا نحن الذين قد توجهنا الى البرية وانقطعنا عن التى فى المدن ان يكون استعمالنا مواظبة الهدو وصمتنا فى كل عمل روحى واجب عدلا فليستح الموسرون منا والمكثرون اذا كان أولئك الزهاد لا يمتلكون البتة شيأ سوى جسمهم فقط وأيديهم ويكافون ويجتهدون ان يجدوا من هذه الجهة اسعافا للمحتاجين ونحن فى داخل منازلنا اشياء كثير عددها مخزونة فيها فما نفرق من هذه الوجوه ولا فضلاتها فقل لى أى اعتذار نعتذر به أى عفو نستمده على ان سبيلك أن تفطن كيف كان هؤلاء القوم فى

سالف

سالف زمانهم يحبشون الاموال من كل قلوبهم مع غير ذلك من رداءة أعمالهم
لان هنالك كانت مراجل اللحوم التي كان اليهود يتذكرونها هنالك كان
اغتصاب البطن الكثير تأثيره الا انهم مع ذلك لما أرادوا انتقلوا ولما
تسلموا انار المسيح نهضوا الى السماء سريعا وصاروا أوفر حرارة من غيرهم
وكانوا أسرع تهجما الى غيظهم والى لذة جسمهم فشابهوا القوات العرية
من أجسام في دعتهم وفي زوال مرض عزمهم المناسب فلسفتهم فمن كان قد
مضى الى تلك البلاد فقد عرف ما أقوله وان كان فيكم من لم يشرف على تلك
المساكن في وقت من زمانه فليفطن في الحاصل الى الآن في افواه المؤمنين
كلهم الذي افرعته مصر بعد الرسل وهو انطونيوس السعيد العظيم فخره
ولنفكر في ان هذا الفاضل كان في تلك البلاد الذي فيه كان فرعون الا انه
لم ينله من ذلك ضرر لكنه أهل للنظر الالهي وأظهر مذهبا مثاله المثال
التي تبتغيه شرائع المسيح وهذا الوصف يعرفه أحدنا معرفة بليغة اذا نظر في
المصحف المشتمل على وصف حياة ذلك الفاضل ويبصر فيه نبوته وذلك
إنه تنبا فيما يكون من السقم باسقام اريوس وذكر المضرة المستأنف كونها
من أولئك قد عرفه بذلك حينئذ الله تبارك ذكره وصور لا لحاظه
الحوادث المستأنفة وهذا مع غيره هو برهان للحق أكثر صدقا من غيره
الا تملك البدع في الدين أن القوم الخارجة عن محلتنا ولا رجلا واحدا هذه
الصفة صفته ولكن لكيلا تكونوا قد سمعتم منا هذه الاخبار وحدها
تصفحوا سطور كتابة مصحفه فتعرفون أخباره كلها معرفة شافية
وتستعملون من هنالك فلسفة كثيرة وأسألكم هذا السؤال ان نجتهد لا في
تردد الاقوال المكتوبة لكن نجتهد ان نتشبه بها ولا نقدم لا بلدنا ولا تربيتنا
ولا خبث اجدادنا احتجاجا وبيان ذلك اننا اذا شئنا ان نحترس ونستيقظ
لانفسنا فلا يعوقنا ولا شيء من هذه الاشياء إذ ابراهيم قد امتلك

أبا المجد الا انه ما تجاوز الشريعة وحزقيا الملك كان أبوه اخز الا ان هذا صار مع الله عز وجل و يوسف كان حينئذ فى وسط مصر فتكلل باكاليل عفته والفتية الثلاثة كانوا فى وسط بابل وفى بيت بحصرهم واذ كانت مائدة بختنصر الملك المنعمة تقدم لهم أظهر وا فلسفتهم فى أقصى غايتها وموسى كان فى مصر و بولس كان فى المسكونة فما حصل لواحد منهما صنف من التعويق من السعى فى فضيلته واذا تأملنا نحن هذه الاخبار كلها فينبغى أن نستأصل هذه الحجج الزائدة والمدافعات ونواصل اغراقنا بسبب الفضيلة فاننا على هذه الجهة نستجذب الهنا الى ود عظيم لنا ونستميل الناس الى ممارسة الجهاد معنا ونتمتع بالنعم الصالحة الدهرية التى ننالها بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى له مع ابيه الصالح والروح القدس الرب المحيى المجد والعز والاكرام الى ابد الابدين امين

المقالة التاسعة

حينئذ اذ عرف هيرودس ان المجوس قد سخروا به غضب غضبا شديدا

لعمرى انه ما كان واجبا أن يغضب لكن كان الاولى أن يرتاع و ينقبض و يعرف انه أراد أن يتعاطى أفعالا يصعب عليه الوصول اليها لكنه لم ينقبض لان نفس أحدنا اذا كان رأيها سخيفا يتعذر شفاؤها فانتخ الى صنف من الادوية التى يعطيها الله اياها وأبصر هذا المائق مجتهدا فى أفعاله الاولى مضيفا الى القتل الذى اعتمده قتلا آخر هابط من كل موضع لان حاله كان

حال

حال من قد أزال تمييزه شيطان وقساوة الغيظ والحسد وصرعه فما يحقق
لاحد الناس اعتذاره لكنه تجني على طبيعتنا بعينها ووثب على الصبيان
الذين ما ظلموه بشيء فكان الواجب أن يكون اغتياظه على المجوس الذين
سخروا به مجتازا في فلسطين على عمل يناسب الاعمال التي عملت حينئذ في مصر
لانه زعم أنه أرسل فقتل كافة الصبيان الذين في بيت لحم وفي كافة تخومها من
ابن سنتين فما دونها على حسب الزمان الذي تحققه من المجوس فاصغوا
الى في هذه الاوصاف اصغاء بليغا وذلك ان كثيرين من الناس يهذرون من
أجل هؤلاء الصبيان هذرا كثيرا ويدعون الحوادث الحادثة عليهم ظلما وفيهم
من يتخبر لهم خبرا أو فرده من غيره وفيهم من يخترع لهم اختراعا أكثر جسارة
وأشد جنونا فلكي نستخلص أولئك من جنونهم ونستنقذ هؤلاء من حيرتهم
احتملونا أنتم قليلا عند محاورتنا في هذا الموضوع لانهم ان كانوا يشتكون هذا
الحادث أن الصبيان غفل عنهم في حين قتلهم فيشتكون قتل الجند الذين كانوا
يحافظون على بطرس الرسول لانه كما جرى الآن في هرب الصبي المطلوب
الى مصر صار ذبح صبيان آخرين بدلا من الصبي المطلوب فكذلك عرض الامر
عندما استخلص الملاك حينئذ بطرس الرسول من حبسه ومن سلاسله لما
طلبه سمي هذا المغتصب وعديل خلقه ابنه واذ لم يجده قتل بدلا منه الجند
الذين كانوا يحرسونه ولقائل ان يقول وما هو هذا الان هذا الخبر ليس هو
حلا لكنه زيادة للعنى المطلوب وتأكيد فاجيبه هذا أنا أعرفه ولهذا
السبب أتيت الى وسط كلامي بهذه الاخبار وأمثالها لاوردها كلها حلا
واحدا وان سألت وما هو حلها وما هي الحجة التي تقال انها قوي وجهها حينئذ
أجبتك ان المسيح لم يكن علة لذبح هؤلاء الصبيان لكن جفاوة الملك
كانت سببا لقتلهم كما ان ولاء بطرس كان علة قتل أولئك الجند الذين كانوا
يحرسونه لكن زوال فهم هيرودس كان سببا لقتلهم لانه لو كان ابصر حائط

الحبس منقوبا أو أبوابه مقلوبة فلعله كان يشكرا من الجند الذين حرسوا
الرسول فالآن عند بقاء الاشياء كلها على شكلها وأبواب الحبس
مغلقة وتطوق السلسلتين على يدى حراسه لانهم كانوا مربوطين بالسلسلتين
معه كان أمكنه أن يقيس من هذه الحوادث ان يحكم فيما جرى حكما عادلا
ان الحادث لم يكن من قوة انسانية ولا من حيلة ردية لكنه من قدرة الهية مجترحة
عجائبها وان يمجد اصانع هذه العجائب ولا يحارب الذين حرسوا الرسول
لان الله عزت حكمته عمل كل ما عمله حتى لا يسلم الحراس فقط لكن
حتى يقتاد مع ذلك الملك بهم الى الحق فقد استبان من ذلك خسافة رأيه فاذا
على طبيب نفوسنا الحكيم المبدع كل واسطة باحسانه لاصلاح ز وال ترتيب
السقم وهذا المعنى يجب لنا أن نقوله فى هذا الوجه اذا خاطب هيرودس
لاجل أي غرض غضبت ياهيرودس اذ سخر بك المجوس اما عرفت ان
ولادته كانت الهية ألم تدع رؤساء الكهنة ألم تجمع الكتبة اليسوا
لما دعوتهم دخلوا معهم الى مجلس حكمك والنبي قد تقدم فهتف منذ
اعلى الدهر بهذه الاقوال أما رأيت الاخبار العتيقة متفقة مع البدائع
الجديدة أما سمعت أن النجم خدمهم اما احتشمت حرص العجم اما استعجبت
من مجاهرتهم اما ارتعت من صدق النبي اما تفطنت فى أواخره من أوائله لاجل اي
غرض ما فتكرت فى ذاتك من هذه الحوادث كلها شيا ان ما جرى ما كان من
خدعة المجوس لكنه كان من قدرة الهية ساست كافة أفعالها على ما يجب
فان كان المجوس خادعوك فما ذلك على الصبيان الذين ما ظلموك بشئ
وللمعترض أن يقول نعم اما هيرودس فعلى جهة الصواب قد أعدمته اعتذاره
وقد أظهرته متدنسا بوذر قتله الا انك ما حللت بعد القول فى ظلم الحوادث لان
ذاك ان كان قد عمل ما عمله على جهة الظلم فلم أطلق الله ذلك فالذى نجيب
به قائل هذا القول الذى لست أكف من ان أقوله دائما فى الكنيسة وفى

السوق

السوق وفى كل مكان الذى اريدكم ان تحفظوه حفظا بليغا فانه حد تثقيف
ملائم لكم فى كل شئ وهذا حد التثقيف والقياس هو ان الظالمين
كثيرون الان ولا واحد من الناس مظلوم واثلا يزعجكم رمزة ولنا هذا
ازعاجا كثيرا سأورد لكم حله سريعا انما يصيبنا ظلما ممن كان موافينا
سيحسب الله لنا ذلك الظلم العارض لنا اما بحل خطايانا واما بمقابلة ثواب
يحصل لنا وحتى يكون ما قلته اوضح بيانا فاسوق كلامى الى مثال أبينه جدا
فنخترع عبدا فريدا يكون غريما لصاحبه باموال كثيرة جدا ثم بعث هذا
العبد رجال ظالمون ويسلبون أقساما من أمواله اذا كان مولاه المقتدر ان
يمنع المستغنم الذى استلبها ليس يستردها من ذلك ويردها الى عبده لكنه
يحسب لعبده تلك الاموال المسلوبة منه فى اثبات ما يجب له عليه هل ترى ظلم ذلك
العبد لا البتة فما قولك اذا وافاه أكثر منها أتراه ما يكون قد ربح اعظم الفوائد
فذلك واضح عند كل أحد منا فينبغى ان نفتكر نحن هذا الافتكار فى النوائب
العارضة لنا اننا لاجل المصائب التى تصيبنا اسرآء صاب اما نحل بها خطايانا
واما نحصل بها اكليلا ما احسنها اذ كنا نقترن بخطايا هذا المبلغ مبلغها اسمع
بولس الرسول قائلا لذلك الذى زنى سلموا من هذا الفعل فعله الى الشيطان لهلاك
جسمه لتسلم روحه ولقائل ان يقول وما معنى هذا وذلك ان كلامنا فى حال الذين
يظلمهم غيرهم وليس فى وصف الذين يستصلحهم معلمهم فأليق ما نقوله ان ليس
فيما بين الفريقين فرق لان مطلوبنا كان ان كان احدنا اذا قاسى مكروها لا تحصل
اذية لمن يقسى عليه لكن اسوق كلامى الى معنى اقرب الى مطلوبنا وهو ذكر داود
النبى الذى لما أبصر سمعى حينئذ شاتما بصابه و يقذفه مرتكضا غاسلا اياه بشتائم
كثيرة عددها وقد اراد قواده قتله فمنعهم قائلا اتركوه يلعننى حتى يبصر ربى
مذلتى و يقضى لى بدلا من هذه اللعنة فى يومنا هذا حظوظا صالحة وقال فى مزاميره
أبصر أعدائى فانهم قد تكثروا ومقتونى مقتا جائرا واصفح عن كافة خطاياى

والعاذر المسكين لهذا السبب تمتع براحة النعيم اذ كان قد قاسى فى عمره مكاره
بغير لاعددها فالمظلومون اذا لم يتظلموا يحتملون باوفر جلادتهم النوائب
التى نابتهم كلها لكنهم يربحون أعظم الفوائد وأجلها ان ضربهم الله وان
جالدهم ابليس المحتال ذل ذكره وانخفض قدره ولعل قائل يقول أما الصبيان
الذين قتلوا أية خطية اجترموها حتى تنحل وتغفر لهم فهذه الاقوال يقولها قائل
على جهة الواجب فى باب الكائنين فى سنهم المذنبين ذنوبا كثيرة فى عمرهم
فالذين صابروا وفاءه بهذه الصفة قبل حينها آية خطايا اجترموها فكابدوا
كراهية القتل بها فاجيبه فاستمعنى قائلا انهم ان لم يكن لهم خطايا فستحصل
للذين يصيبهم فى هذه الدنيا مكروه مقابلة باحسن الجزاء هنالك اجلا ما الذى
أنضر به الصبيان الذين قتلوا بهذا السبب وأوصلوا الى البيت العديم ان
يكون مقوجا باسراع وربما يقول لنا الا انهم قد كانوا عتيدين اذا عاشوا
ان يحكموا فى اكثر اوقاتهم فانهم محامد كثيرة عظيمة فنجيبه لكنهم لهذا
السبب تقدم الله فذخر لهم مجازاة ليست قليلة لاجل نقص عمرهم بهذه الحجة
ولمعنى آخر انه ما كان اهمل الصبيان يختلسون قبل حدهم ان كانوا عتيدين
ان يكونوا أقواما عظيما محلهم والئن كان يحتمل بطول اناة وتمهل هذا تقديره
العتيدين ان يعيشوا مداومة فى خبثهم فاليق به وواجب انه ما كان اهمل هؤلاء
إن يقتلوا على هذا الحال أن يقدم فيعرف أنهم يتدرجون الى أناس عظيم محلهم
فهذه الاقوال تنافى هذا المعنى وليست هذه كلها تحصره بل توجد فيه أقوال
غير هذه أبعد منها فى امتناعها أن يباح بها التى قد عرفها معرفة بليغة مدبر
هذه الحوادث والاحكام بعينه فينبغى أن نفوض اليه فى هذا المعنى الوصول
الابلغ فى الاستقصاء من غيره ونتوجه نحن الى ما يتلوا ذلك ونتأدب بمصائب
غيرنا ان نحتمل كافة ما يعرض لنا بكل تجلد لان بيت لحم حينئذ دهمه
ندب لم يكن قليلا عند قتل صبيانها من يدى أمهاتهم وتحماهم حينئذ هذا القتل
الجائر

الجائر فان كنت تضجر أيضا وقد حصلت فى دون الفلسفة فى هذه العوارض فعند انتهائه وما اجترى عليه اعرفه وتنفس قليلا لانه لاجلهم دهمته نقمة سريعة وتعذب عنها على هذه النجاسة اذ نقص عمره نقصا أحق بان يرثى له مما اجترى عليه بموت صعب مراسه واصابته مصائب أخرى ردية ربوات عددها قد عرفتموها عند تصفحكم صفة يوسيفس فى نوائب اليهود باورشليم التى ان لا نجعل مقالتنا طويلة ونقطع اتصالها لست أظن انه يلزمنا اضطرارا أن نرتبها فى أقوالنا الحاضرة حينئذ تم ما قيل بلسان ارميا النبى القائل صوت سمع فى الرامة راحيل تبكى على أولادها ولا تريد ان تتعزى لانهم ليسوا موجودين وذلك ان البشير اذا وعب كلامه لسامعه ارتياحا بوصفه هذه الحوادث وهى ذبح الصبيان الغاصب الجائر القاسى المتعدى للشريعة أقبل يسليه الان بقوله أن هذه الحوادث حدثت لا لان الله امتنع عليه أن يمنعها ولا خفى عنه كونها لكنه قد تقدم فعرف بها بلسان نبيه فلا ترتجف ولا تسقط اذا نظرت الى سياسته التى يحتجز أن يباح بها التى يجب لك أن تبصرها كثيرا تأثيرها فى الاعمال التى يعملها وفى الحوادث التى يطلقها وهذا المعنى فقد أومى اليه ربنا فى موضع آخر عند مفاوضته تلاميذه لانه قد تقدم فأذاع لهم مجالس قضاء المسكونة وموارد أمرها وحروبها وقتالها المتمر لاطف النفس بهم وسلاهم وقال أليس عصفوران يباعان بفلسان وليس يسقط منهما واحد على الارض بدون ارادة أبيكم الذى فى السموات واذ قال هذه الاقوال أوضح بها انه لا يحدث حادث لا يعلمه الا انه اذ قد عرف الحوادث كلها ليس يعملها هو كلها لانه قال لا ترتجوا ولا ترتجفوا فان العارف ما قد عرض لكم القادر ان يمنعه فمن البين انه لم يمنعه الا لاعتنائه واهتمامه بكم وهذا الافتكار يجب أن نفتكره فى محننا فنستمد تعزية جزيلة من هذا الوجه ولعل قائل يقول ما المناسبة بين راحيل و بين بيت لحم لانه قال راحيل تبكى على

أولادها اما المناسبة بين الرامة وبين راحيل فنجيبه ان راحيل كانت أم بنيامين وبعد ان قضت أجلها فى الطريق دفنوها فى المكان المدعو اشرط الفرس القريب من هذه الضيعة اذ كان قريبها قريبا وكانت حصة هذا الصبي بنيامين استحصها الان الرامة كانت لقبيلة بنيامين فمن رئاسته على قبيلته ومن دفن أمه دعا البشير على جهة الواجب الصبيان المذبوحين صبيانها ثم بين ان القرحة والجفاوة العارضة مستصعب شفاوها وقال انها ما تشاء ان تتسلى لانهم ليسوا بموجودين وفى هذا الموضع أيضا نتعلم هذه الاداب التى ذكرتها فيما سلف وهو لا نرتجف فى وقت من أوقاتنا اذ كانت الحودث الحادثة ليست اضداد الوعد المنافى لما جاء لتخليص شعبه واليق ما نقوله لما جاء لتخليص المسكونة أنظر كيف كانت مبادى وروده اذ هربت أمه وسقط موطنه فى مصايب معضلة واجترى على قتل أشد مراره من ضروب القتل كلها ونحيب وعويل جزيل وشهيق فى كل صقع هنالك ولكن لا تتزعزع فان من عادته أن يتمم افعال سياسته باضدادها دائما اذ يفيدنا من هذا الوجه برهانا بقدرته عظيما على هذا الوجه اقتاد تلاميذه وجعلهم أن يحكموا كلما أحكوه من هذه الاضداد باضدادها ليكون عمله العجيب عظيما فتلاميذه لما ضربوا بالسياط وطردوا وقاسوا شدائد جزيلا عددها قهروا على هذه الطريقة الذين ضربوهم وطردوهم واذ قضى هيرودس أجله اذ ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى نومه قائلا انهض وخذ الصبي وأمه واذهب الى أرض اسرائيل لان قد مات طالب نفس الصبي أما هو فقام وأخذ الصبي وأمه وجاء الى أرض اسرائيل فلما سمع ان ارخيلاوس قد ملك على اليهودية عوض هيرودس أبيه خاف من ان يذهب الى هنالك فأوحى له فى الحلم فذهب الى نواحى الجليل فأتى وسكن فى مدينة تدعى ناصره فلم يقل له أيضا اهرب لكنه قال له اذهب أرأيت أيضا بعد المحنة راحة ثم بعد الراحة شدة من الخطر أيضا وذلك انه لما أطلق من نفيه وهربه وعاد الى

بلده

بالده وأبصر قاتل الصبيان ذبيحا حين حصل في وطنه وجدا يضا بقيا با
الشدائد الاولى اذ صادف ابن المغتصب حيا والملكة متقلدا وسائلي ان يسأل
فكيف تقلد أرخيلاوس المملكة على بلاد اليهودية مع تامر بيلاطس النبطى
عليه فنجيبه ان وفاة هيرودس كانت محدثة ومملكته لم تكن بعد قد
انقسمت اقساما كثيرة لكن لما نحل ذلك من عمره ضبط ابنه جاجلا رئاسته
بدلا من هيرودس أبيه لان هذا الاسم أعنى هيرودس كان اسم أخي ارخيلاوس
هذا أيضا فلذلك استثنى البشير بذكره بديلا من هيرودس أبيه وربما
استخبرنا وقال ان كان يوسف خشي التوجه الى بلاد اليهودية بسبب ارخيلاوس
فقد كان واجبا أن تخشى المضى الى الجليل بسبب هيرودس بن هيرودس
فنجيبه لكنه ان كان قد استبدل المكان بعد ما انحجب الحادث بعد ذلك لان
النهضة كلها انما كانت على بيت لحم وعلى نحوها فلما حدث ذبح الاطفال
فيها توهم بعد ذلك ارخيلاوس ان المقصود كله قد وصل الى غايته
أى ان الصبي المطلوب قد قتل مع الصبيان الكثيرين ولمعنى غير ذلك انه اذ
أبصر أباه قد نقص عمره على هذا الحال المنكر وارتدع عن الخروج
الى ما تجاوز حده وعن الاجتهاد فى اعتداء الشريعة وجاء يوسف الى الناصرة
وقد جمع فى ذلك عزمين هما هربه من الخطر وتفضيله السكنى فى وطنه ليطمئن
أكثر ويسلم من الملك حيا فى استيطانه هذا ولعمرى ان لوقا الرسول ذكر
انه لم يات الى هنالك بوحي بل لما استكملوا التطهير وكل رسومه عادوا الى
الناصرة فما الذى يجب لنا ان نقوله فى ذلك فنقول ان لوقا الرسول انما قال هذه
الاقوال لما وصف الوقت قبل انحدارهم الى مصر لانه ما احدرهم الى مصر قبل
الطهور حتى لا يحدث حادث متجاوزا الشريعة لكنه مكث الى ان يطهر ثم انحدر الى
الناصرة ومن هنالك انحدر الى مصر ثم بعد طلوعهم من مصر أمرهم بالمجى الى
الناصرة وقبل ذلك ما اوحي اليهم بالمجى الى هنالك لكنهم كانوا يحبون السكنى

فى وطنهم فسكنوه هم من ذاتهم اذ كانوا انما طلعوا منه ليس لاجل قصد آخر الا لاجل الاكتتاب ولا انجه لهم هنالك مكان يقيمون فيه واذ قداستكملوا ماطلعوا بسببه انحدروا الى الناصرة ولهذا السبب بعد طلوعهم من مصر وجب ان يرجعهم الملاك بعد ذلك ويحولهم منزلهم ولم يكن افتعاله ذلك على بسيط ذاته لكنه كان نبوة لانه قال لكى يتم ماقاله الانبياء انه سيدعى ناصريا فان قلت وأى نبى قال هذا القول قلت لك لاتبحث ولا تفحص فان كتبا كثيرة من كتب الانبياء بادت واضمحلت وهذا الذى ذكرته يعرفه عارف من وصف كتب بقايا أخبار ملوك اليهود لانهم كانوا متكردسين فى الحادهم بمداومة فتركوا بعض الكتب تهلك وتتلف وأحرقوا بعضها وقطعوها فالصنف الواحد من هذين الصنفين يحكيه ارميا النبى والصنف الثانى يذكره مؤلف كتاب أخبار ملوكهم الرابع قائلا أنه بالجهد صودف بعد زمان طويل كتاب الاشتراع الثانى فى مكان محترقا بائدا فان كان لم يوجد فى بلادهم أعجمى يستبيحه رفضوا كتبهم وبدلوها على هذه الجهة واتلفوها فاليق بهم عند مجى العجم اليهم انهم قد أهملوها ورفضوها ولعل قائل يقول فاذا كان الرسل والانبياء قد تقدموا فذكروا هذا من وجوه كثيرة وسموه ناصريا فقولهم هذا قد حجب النبوة من أجل بيت لحم فنجيبه ما حجبها البتة لكن هذا القول بعينه حرك سامعه وأنهضه لاجل البحث عما قيل وعلى هذه الجهة جنح نثانائيل الى التماس الشهادة عنه قائلا هل يمكن ان يكون من الناصرة شئ صالح وذلك ان هذه الضيعة كانت حقيرة وأصدق ما يقال ان الضيعة لم تكن وحدها حقيرة لكن كافة ناحية الجليل كانت زرية حقيرة ولهذا السبب قال لنقيديموس الفريسى أسال واعرف ان نبيا لم يقم من الجليل الا أن ربنا لم يخجل ان يدعى من تلك الناحية موضحا انه لا يحتاج الى

وهم من الاوهام الانسانية وتلاميذه من الجليل اختارهم قاطعا فى كل مكان حج المؤثرين الدنية والتصحيح وبرينا اننا اذا أحكمنا الفضيلة فلا نحتاج شيأ من الاشياء التى من خارجنا ولهذا السبب ما اتخذ له منزلا لانه قال جل قوله ان ابن الانسان لا يملك موضعا يميل اليه رأسه واذا اغتال عليه هيرودس هرب ولما ولد اضطجع فى مذوده وأقام فى خوابه واتخذا ما حقيرة معلما ايانا الا نترهم شيئا من هذه الاشياء وأمثالها قبيحا واعدا ايانا من مبادى ظهوره ان نطاه الكبر الانسانى وان نوجد فى الفضيلة وحدها

(العظـــــــــــة)

ما بالك تتباهى بوطنك متعظما اذا كنت أنا آمرك ان تكون غريبا من المسكونة كلها اذا كان هذا الحال حالك بان كنت مثالها تكون الدنيا كلها ليس موهلة لك لان هذه الاشياء التى خارجنا على هذا المثال هى محتقرة يحق لك ان تستهين بها حتى انها لم توهل عند الذين تفلسفوا من أهل الدغلاطية ولا لصفة من الصفات لكنهم فرضوا أن تسمى الاشياء التى خارجنا وان تضبط المحل الاخير ولقائل ان يقول الا ان بولس الرسول يقبلها هذا القبول قائلا فيهم على جهة انتخابهم مخبون لموضع آبائهم فنجيبه لكن قل لنا متى قال هذا القول وفى وصف من قاله ولمن فاوض به فهذا القول انما قاله للذين آمنوا من الامم عند افتخارهم بايمانهم وترافعهم على اليهود وعزلهم اياهم من الايمان وطعنهم باعظم الطعن فقبض به بذخ أولئك واحتدب به هؤلاء وانهضهم الى غيرته بعينها واسمع كيف قال فى وصف أولئك الرجال الاجلاء العظماء فالذين يقولون هذه الاقوال يظهرون بها انهم يبتغون وطنا ولو كانوا ذكروا ذلك الموطن الذى منه خرجوا لكانوا قد ملكوا وقتا لعودتهم اليه وانما يرتاحوا الآن الى وطن غير

ذلك افضل منه وقال أيضا وهؤلاء كلهم ماتوا على تصديقهم ولم ينالوا
المواعيد لكنهم أبصروها من بعد بازح وصدقوها و يوحنا قد قال للذين
جاؤا اليه لا تقولوا اننا نمتلك ابراهيم أبا لنا وبولس الرسول قد قال أيضا
ليس كافة الذين من اسرائيل أولئك آل اسرائيل وليس اولاد
الجسم أولئك اولاد الله قل لي ماذا نفع اولاد صموئيل النبي من شرف حسب
أبيهم اذ لم يكونوا وارثين فضيلة أبيهم وماذا ربح بنو موسى لما لم يماثلوا استقصا
تهذيبه لا بل ولا أعقبوه في رياسته لكنهم هم كتبوه أبا لهم والامارة على
الشعب انتقلت الى آخر غيرهم الى الصائر ابنه في فضيلته وتيموثاوس
كان لم يصبه ضرر من أب كان وثنيا من أهل غلاطية وابن نوح أيضا ما الذي
استفاده من فضيلة أبيه اذ صار عبدا بدلا من حر أرأيت كيف أن يخزي
المولودون المؤدون شرف حسب آبائهم وبيان ذلك أن رذيلة اختيارهم
قهرت شرائع طبيعتهم فهذا ابن نوح ما أخرجته رذيلته من شرف الحسب
الذي يناسب والده فقط بل أخرجته مع ذلك من حريته أيضا وما قولك في عيسو
ألم يكن ابنا لاسحق وقد سأل والده في أن يفضله و يقدمه وقد
اجتهد أبوه واشتهى ان يجعله مساهما لتبريكاته وقد عمل هو لسبب
تحصيل التبريك كلما أمره أبوه به لكنه اذ كان شديدا جاهلا ما نفعه شيء
مما عمله لكنه كان أولا بالطبع مشابها لابيه جاهلا معه كل عمل لاجله
واذا لم يكن الله معه سقط خائبا من البركات كلها وما معنى ذكري
الناس فاليهود قد كانوا ابناء الله وما ربحوا ربحا من شرف هذا
الحسب فان صار أحدنا ابنا لله متى لم يوضع فضيلة لشرف هذا الحسب
موهلة لوصفه فسيعاقب أعظم العقاب فلا تفتخر بشرف حسب
آبائك واجدادك وهذا المعنى يجده واجد ليس في العهد العتيق فقط
ظاهرا لكنه يجده أيضا في العهد الجديد متمكنا لانه قال كافة الذين

قبلوه

قبلوه أعطاهم سلطانا أن يصير وابنين لله　　الالن هؤلاء الاولاد فقد قال
بولس الرسول ان كثيرين منهم ما ينتفعون من أبيهم نفعا لانه قال ان
اختتنتم فلا ينفعكم المسيح نفعا فان يكن المسيح ليس ينفع الذين لا يريدون ان
يقتنوا الا نفسهم نفعا فكيف ينفعهم انسان فلا نتبذخ اذا نبذخا عظيما
لا بشرف جنسنا ولا بثروتنا لكن سبيلنا ان نتهاون بالذين هذه المحبة تحييهم
ولا نهبط الى الغم فى حال فقرنا لكن سبيلنا ان نطلب ذلك الغنى الذى يجمع
باعمال صالحة و ينبغى ان نهرب من ذلك الفقر الذى يمكننا فى الرذيلة الذى
لاجله كان ذلك الغنى فقيرا ولذلك ما صار مالكا قطرة من ماء وقد توسل لاجل
ذلك توسلا كثيرا على ان من صار عندنا بهذه الصفة فقيرا حتى انه يعوزه
ما يتمتع به لا يوجد عندنا بهذه الصورة فقيرا وبيان ذلك ان المذنبين
بجماعة فى أقصى غايتها يمكنهم أن يتمتعوا بقطرة ماء وليس ذلك فقط
لكنهم يتمتعون بتعزية أكثر منها كثيرا الا أن ذلك الغنى لم يكن
هذا الحال حاله لكنه كان فقيرا واصلا الى الغاية القصوى من
فقره وما هو أصعب من هذا انه لا يمكنه ان يسلى فقره بواسطة
الوسائط فما حاجتنا ان نتاهف الى الاموال اذا كانت لا توصلنا الى السماء
قل لى لو كان ملك من الملوك الذين فى الارض قال ان الغنى ممتنع عليه وان
يلمع نوره فى قصور ملكى أو ان يتمتع بصنف من صنوف تكريمى اما كنا كلنا
نستهين باموالنا ونطرحها ونرفضها فان كان ذلك الملك قال ان اموالكم
تخرجكم من التكريم فى قصورى التى أسفل يسهل علينا التهاون بها
فاذا كان ملك السموات يصيح كل يوم قائلا انه صعب عليكم أن تعبروا بأموالكم
دهاليز السموات تلك الطاهرة أفما يجب أن ندفع كل يوم ما نمتلكه ونبتعد
من كافة موجوداتنا لندخل الى ملك السماء رضا عنه وأى عفو نستحقه نحن
اذا اهتممنا بحرص جزيل على الامتعة التى تحجزنا عن الطريق الى هنالك

ونخزنها ليس فى صناديق فقط لكننا مع ذلك نطمرها فى الارض ونهمل ان
نودعها فى حياطة السموات فانت الآن تعمل هذا العمل بعينه الذى
تماثل فيه فلاحا أخذ حنطة ليزرع بها حقلا سمينة فترك الحقل واحتفر
جبا وطرح فيه الحنطة كلها حتى لا يتمتع هو بها وتنفسد الحنطة وتتلف
لكن ما هى حجة هؤلاء القوم الواضحة اذ كنا نحن نشكو هذه العزائم
ونذمها ولقائل أن يقول ان ابقاءنا ان أمتعتنا كلها مخزونة لنا باحتراص
فى داخل مخازننا تورد لنا سلوة ليست قليلة فأقول له اننا اذا عرفنا
انها مخزونة لنا فذلك سلوة لنا لانك ان كنت ما تخشى مجاعة
لكنك تخشى حوادث غيرها أصعب منها ولاجل احتياطك هذا لم تخش
المجاعة بل انك تخشى الشدائد والميتات والحروب والاغتيالات فان دهمت
فى وقت من الاوقات مجاعة فان الجائع اذا اضطرته بطنه يوعب بعينه سلاحا على
منزلك وتعمل أكثر من ذلك اذا عملت أنت هذه الاعمال وأوجبت المجاعة الى
المدن وجعلت فى منزلك هذه الداهية التى هى أصعب من المجاعة لان شدة المجاعة
ما رأيت أقواما قد قضوا آجالهم سريعا منها لانه قد يتجه لنا ان نحتال كثيرا
من جهات شتى لتسلية هذا الضرر وأما بسبب الاموال والايسار والتجارات
الجزيلة اخطارها أريكم أناسا كثيرين مقتولين بعضهم سرا وبعضهم
جهرا والطرقات ومجالس القضاء والاسواق مملوءة من صور كثيرة وشهرة
هذه الشناعة شناعتها وسبب ذكرى الطرقات ومجالس القضاء والاسواق
لانك تبصر البحر بعينه مملوءا من الدماء لان حب الفضة الغاصب ما قد استظهر
على الارض فقط لكنه قد دخل بوقاحته الى اللجة بحالها برزائل
كثيرة فواحد يركب فيه بسبب الذهب وغيره يذبح فيه لاجل الذهب
بعينه وهذا الداء الغاصب وغيره أيضا قد جعل أحد الناس تاجرا وصير
آخر للناس قاتلا ولعمرى ان حب المال ليس يوجد شىء أكذب منه اذ بسببه

يسافر

يسافر احدنا ويخاطر ويذبح ولكن قد قيل من يرحم راقيا قد لذعته حية
لان قد كان واجبا اذ قد عرفنا حب الفضة الجافي المتمرد ان نهرب من التعبد
له وننقض عشقه الصعب مراسه ولسائل أن يسأل فكيف يكون ذلك ممكنا
فنجيبه اذا مارست عشقا غيره وهو العشق الذي للسموات لان من يشتهي
ملك السموات يقهقه على استكثار الاملاك من قد صار عبدا للمسيح
لا يكون عبدا لحب المال لان سيدنا من عادته ان يطلب من يهرب
منه ومن عادة المال ان يهرب ممن يطلبه فلا يكرم المال على هذه
الجهة من يطلبه ومن يتهاون به ولا يقهقه على هذا المثال على
أحد الناس مثلما يقهقه على الذين يشتهونه وليس يقهقه عليهم فقط
لكنه يزجهم في عقالات كثيرة العدد فينبغي لنا نحن ان نحل ولو في آخر
اوقاتنا اجداثه الصعبة ما بالك تعبد نفسا ناطقة لمادة عديمة النطق
ولم تتبع الافعال الشريرة العديدة وتضحك المال عليك لاننا
نحن نحارب به بأقوالنا وهو بأفعاله يحاربنا ويسوقنا الى كل مكان
ويطوف بنا وحال الناحال من قد ابتيعوا بالفضة وأهينوا بالضرب بالسياط
وهذا الحال فالذي يكون أقبح منه وأشد هوانا لاننا ان كنا
ما نقهر موادا عديمة الحس فكيف نقهر القوى الضدية الخالية من أجسام
ان كنا لا نتهاون بأرض حقيرة وبحجارة حقيرة طريحة فكيف نخضع
رياسات عدونا وسلاطينه وكيف نحكم العفة وان كانت الفضة تدهشنا
ببريقها فكيف يمكننا ان نعرض عن حسن وجه نبصره ولعمري ان أناسا قد
حصلوا على هذا النحو منقدفين الى حب الفضة المتمرد حتى انه يؤثر فيهم
منظر الذهب تأثيرا يحنح بهم الى أن يقولوا بسرور ان الدينار الذهب
اذا ظهر لنا من شأنه أن ينفع أبصارنا لكن لا تلعب أيها الانسان بهذه الاقوال
وأمثالها فان ليس شيء من عادته أن يضر اعين جميعنا ونفسنا هذه الاضرار

الشديدة مثل شهوة الاموال هذا العشق الصعب طفامصابيح أولئك العواتق
وأخرجهن من الخدر هذا منتظر الفضة النافع العيون على قولهم ماترك
ماترك يهوذا الشقي ان يسمع صوت سيدنا لكنه اقتاده الى خنق ذاته وجعله
ينفجر من وسطه وارسله الى جهنم بعد مخامده تلك كلها ما الذي يكون
أكثر من هذا الداء تجاوزا للشريعة ماذا يكون أشد منه ارتباطا ولست أعنى
مادة الاموال لكننى أقصد شهوتها الباطلة لانها تقطر دماء الناس وتضحك
على القاتل وهى اصعب من كل وحش مراسا تمزق الذين يسقطون لها
وماهوا شر من خواصها كثيرا انها ماتتركهم ان يحسوا بصنوف تمزيقها اياهم
وقد يجب على الذين قد اصابتهم هذه النوائب وامثالها ان يمدوا
ايديهم الى المجتازين بهم و يستدعونهم الى اسعافهم الا انهم يستمدون
منه من قروحها هذه وهذا هو الذى يكرن اوفر شقاء منه فاذا ما تفطننا فى
هذه العوارض كلها فسبيلنا ان نهرب من سقمها المتعذر شفاؤه ونداوى لدغاته
ونبتعد من هذا الفساد بعيدا لنعيش ههنا عمرا حريزا من الارتجاف خاليا
ونرزق الذخائر المأمولة بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى معه لابيه
والروح القدس المجد والعز والاكرام الآن والى الابد آمين

المقـــــــــــالة العاشرة

وفى تلك الايام جاء يوحنا الصابغ منذرا فى برية بلد اليهودية وقائلا توبوا فان ملكوت السموات قد اقتربت

فى أية أيام جاء إذ قال فى تلك الايام لانه ما جاء حينئذ انه لما كان صبيا
وقد

وقد جاء الى الناصرة لكن يوحنا جاء بعد ثلاثين سنة كما يشهد لوقا
الرسول فكيف قال فى تلك الايام لان الكتاب من عادته استعمال هذا
المذهب دائما ان لا يذكر ما يحدث فى الزمان التالي فقط لكنه يذكر
ما قد تناهى الشيء اليه أخيرا بعد سنين كثيرة وعلى هذا المجرى اجرى ذلك
الرسول السؤال فى قوله فى تلك الايام وأيضا فى قوله عن السيد له المجد حين
تقدم اليه تلاميذه عند جلوسه على جبل الزيتون والتمسوا أن يقفوا
منه على وصف مجيئه وفى فتح اورشليم على انكم قد عرفتم مقدار
المدي الاوسط الذي بين الوقتين واذ عزم أن ينتهي الى الكلام فى انقضاء
الدنيا استثنى بحينئذ ستكون هذه الحوادث فاجمع الوقتين بقوله حينئذ
لكنه أوضح ذلك الوقت وحده الذي ستحدث هذه الحوادث فيه
وهذا العمل قد يعمله الان بقوله فى تلك الايام لانه ما وضع هذا اللفظ دالا به
على الازمنة التالية لكن أوضح به تلك الايام التي أزمعت هذه الحوادث أن
تحدث فيها التي اعتمد أن يصفها وليسائل أن يسأل ولم جاء يسوع
الى المعمودية بعد ثلاثين سنة فنجيبه لانه عزم أن يحل الشريعة بعد
معموديته فاذا ظهر السبب لبث الى هذا السن القابل الخطايا كلها
لئلا يقول قائل انه حل الشريعة لاجل انه ما قدر يتممها وذلك ان امراض
العزم ما تثور علينا كلها دائما لكن فى سننا الاول تثور علينا الغريزة الخالية
من الفهم الذي يجور كثيرا وفى السن الذي يتلو ذلك تثور علينا اللذة أشد من
غيرها جدا وبعد هذا السن أيضا تثور علينا شهوة الاموال فلهذا السبب
تمهل لكل سن وتمم الشريعة فى كل سن وبعد ذلك جاء الى المعمودية
أخيرا اذ وضعها فى اتمام باقي الوصايا والدليل على ان هذه المعمودية
كانت عنده فريضة سيجعلها أخيرا من الفرائض الشرعية اسمعه ماذا قال

فيها يوحنا على هذا النحو يليق بربنا أن نتمم كل بر والذى نقوله الان
هذا المعنى معناه قد أكملنا جميع الفرائض والوصايا الشرعية وما تجاوزنا
ولا فريضة واحدة منها واذ قد بقيت هذه وحدها فينبغى أن نضيفها الى
ما أحكمناه فعلى هذا النحو نتمم كل بر ولعمرى ان تمام الوصايا كلها
يدعوه فى هذا الموضع برا الان الدليل على أن المسيح لهذا السبب جاء الى
المعمودية فواضح من هذا القول فلاجل أى سبب اخترعت هذه
المعمودية لان الدليل على ان ابن زكريا ما جاء من ذاته لكن لما حركه الله
جاء الى هذه المعمودية فلوقا الرسول يوضح ذلك بقوله صار قول الرب
اليه فهذا معناه صار أمر الرب اليه وقد قال هو الذى أرسلنى أعمد بالماء
ذلك قال لى على من رأيت الروح هابطا بصورة حمامة وثابتا عليه فذاك هو
الذى يعمد بالروح القدس وان سألت فلم أرسل يوحنا يعمد أجبتك
ان الصابغ يوحنا يجعل هذا المعنى واضحا لنا بقوله انى أنا ما عرفته لكن
لكى يظهر عند آل اسرائيل لهذا السبب جئت صابغا بالماء ولعلك تقول
فان تكن هذه هى العلة وحدها فكيف لوقا الرسول قال عنه انه جاء الى الصقع
المحيط بالاردن منذرا بمعمودية التوبة للصفح عن الخطايا على ان معمودية
يوحنا ما امتلكت صفحا للخطايا لكن هذا الصفح كان موهبة للمعمودية
التى أعطيناها بعد تلك الحوادث لان فى هذه المعمودية يدفن معها انساننا
العتيق ويصلب معه وقبل صلبه لم يستبن البتة صفح فنقول ان هذه
المعموديه تحسب فى كل مكان لموته وقد قال بولس الرسول لكنكم قد
استحميتم وقد تقدستم ليس بمعموديه يوحنا لكن باسم يسوع المسيح ربنا
وبروح الهنا وقد قال فى موضع آخر ان يوحنا نادى بمعمودية توبة ولم
يقل للصفح عن الخطايا ليصدقوا الاتى بعده لان الضحية لم تكن بعد قدمت
ولا الروح كان انحدر ولا الخطية انحلت ولا كانت العداوة زالت ولا اللعنة

غابت

غابت فكيف الصفح ولو فرض ان يكون صفح وان سألت فما هو معنى قوله للصفح عن الخطايا أجبتك ان اليهود كانت أراؤهم سخيفة وما كانوا يشعرون في وقت من الاوقات بخطاياهم لكنهم كانوا يعدلون في كل مكان ذواتهم وهم مغرمون باعمال شريرة واصلة الى أقصى غايتها وهذا الفعل اهلكهم في اكثر أحوالهم كثيرا وأزاغهم عن الايمان وهذا المرض قد شكا بولس الرسول منهم لاجله عند قوله انهم جهلوا بر الله وأرادوا تثبيت بر أنفسهم ما خضعوا لبر الله وقال أيضا ما الذي نقول ان الامم الذين لم يطلبوا برا ادركوا البر واسرائيل اذ طلب شريعة البر ما وصل اليه واذ سئل فلم ذلك أجاب لانه طلبها ليس من ايمانه لكن حالته كانت حال من طلبها من أعماله فاذا كان هذا الداء هو علة أعمالهم الشريرة جاء يوحنا عاملا ليس عملا آخر أبلغ من اقتيادهم الى التفكر في خطاياهم وهذا الغرض يوضحه شكل مناداته الذي كان شكل توبة واعتراف وهذا أبانه بذاته لانه لم يقل قولا آخر الا اعملوا اثمارا مؤهلة للتوبة واذ كان تماديهم في غرورهم وعدم معرفة خطاياهم على ما بين بولس الرسول قد جعلهم تماديهم ان يحيدوا عن المسيح وكان اقبالهم الى التفكر في خطاياهم يثبتهم في اشتهاء ينهضهم الى أن يطلبوا فاديهم منها وان يشتهوا غفرانها ولهذا السبب جاء يوحنا مصلحا هذه الفائدة يرغبهم في أن يتوبوا ليس لكي يعاقبهم بالتوبة لكن ليصيروا بتوبتهم أوفر تذللا وتواضعا واذا عرفوا ذواتهم يبادرون الى طلب غفران زلاتهم وانظر كيف وضع هذا المعتمد على جهة الاستقصاء فيه لانه اذ قال انه جاء مناديا بمعمودية التوبة في برية بلاد اليهودية اتبعه بقوله لمغفرة الخطايا كأنه قال لهذا السبب رغبهم في أن يعترفوا بخطاياهم وان يتوبوا عنها ليس ليعاقبهم بذلك لكن ليقبلوا بعد ذلك مغفرة خطاياهم على جهة اسهل مراما لانهم لو لم يعرفوا ذواتهم ما كانوا طلبوا النعمة ولو لم يطلبوها لم كانوا حظوا بالمغفرة فوجب من ذلك انه بهذا الفعل تقدم

فطرق لهم السعى الى تلك المعمودية ولذلك قال ليؤمنوا بالذى يأتى بعده ومع
هذه العلة التى ذكرناها وضع هذه العلة الاخرى للمعمودية لان ما كان واجبا ان
يطوف على منازلهم جائلا فى أسواقهم ضابطا المسيح بيده قائلا بهذا آمنوا واذا
جاء كافة أهل تلك البلد وابصر واذلك الصوت السعيد واردا اليه وحدثت تلك
البدائع الاخرى كلها ازالت الشبهة فى ذلك فلهذا السبب جاء ربنا الى المعمودية
وذلك أن خبر المعمودية وموضع غرضها اجتذب المدينة كلها واستدعى أهلها
الى الاردن وتكون مشهد عظيم فلهذا السبب ردعهم عند مجيئهم اليه وقرعهم
وحقق لهم الا يتخيلوا من أجل أنفسهم وهما عظيما وأراهم انهم تحت تبعة
أعمال ردية للغاية القصوى ان لم يتوبوا ويهملوا أجدادهم وافتخارهم بهم
ويقبلوا الآتى اليهم وذلك ان أخبار المسيح استترت عاجلا وحصل الظن به عند
كثيرين انه قد مات بسبب ذبح الاطفال الذى صار فى بيت لحم ولئن كان قد
اظهر ذاته اذ بلغ من العمر اثنتى عشر سنة لكنه ستر ذاته أيضا سريعا ولهذا
الحال احتاج الى مقدمات بهية وابتداء أعلى محلا ولذلك سمع اليهود حينئذ
اوصافا لم يسمعوا بها فى وقت من اوقاتهم لا من أنبيائهم ولا من اقوام غيرهم
اذ نادى بصوت بهى وذكرهم بالسموات وبالممالك فيها وما قال فيما بعد قولا فى
وصف الارض والملك الذى ذكره فى هذا الموضع عنى به مجيئه الآن الاول
ومجيئه الآخر أيضا ولقائل ان يقول وما معنى قوله هذا لليهود لانهم ما كانوا
يعرفون ما يقوله فنجيبه انه لاجل هذا السبب قال هذا القول ليستنهضهم
الى أعماق ما يقال لهم فيبادروا الى التماس ما أنذروا به فعلى هذه الجهة
رفعهم حين جاؤا اليه الى امالهم حتى ان عشارين وجندا كثيرين سألوه عما يجب
أن يعملوه وكيف يدبرون عمرهم وهذا لم يكن دلالة على انفصالهم عن أشياء
الدنيا وعلى نظرهم الى أملاك غيرها اعظم منها وعلى تخيلهم النعم المؤمولة لان
جميع ما أبصروه فيه وكلما خاطبهم به اقتادهم الى رأى عال تفطن فيما كان يرى

فيه ما كان أعظم فعله انسان منحدر من القفر بعد ثلثين سنة وكان ابن الرئيس
كهنتهم ليس محتاجا الى شئ من الاشياء الانسانية فى وقت من أوقاته قد حصل
من كل وجه محتشما موقرا حاويا معه أشعيا النبي لانه حضر معه مناديا قائلا
هذا هو الذى قلت انه سيحضر هاتفا مناديا فى البرية بصوت بهى بالوصايا كلها
اعدوا طريق الرب واصنعوا سبيله مستقيمة ولعمرى ان الانبياء كان عندهم
حرص هذا مبلغه فى هذه الاشياء فى أن يتقدموا قبل زمان كبير ينذرون ليس
بسيدهم فقط لكنهم مع ذلك اجتهدوا أن ينذروا بالعتيد ان يخدمه وماذ كروه
فقط لكنهم ذكروا مع ذلك المكان الذى عزم ان يقيم فيه ووضعوا مذهب
انذاره الذى يعلم به عند مجيئه واصلاح الكائن منه وتأمل الى النبي والصابغ
كيف تكلما سوية بمعان هى هى بعينها وان كانا ينطقان بالفاظ واحدة
بأعيانها وذلك أن النبي قال انه اذا حضر يقول أعدوا طريق الرب اجعلوا
مناهجه متقومة فلما جاء هو قال اعملوا أثمارا موهلة للتوبة وهذا القول هو
مساو لقوله أعدوا طريق الرب أرأيت أنه بالاقوال التى نادى بها هى تدل على
معنى واحد فقط وهو انه جاء طرقا متسوما ليس مخولا الموهبة التى هى
مغفرة الخطايا لكنه جاء مصلحا نفوس العتيدين ان يقبلوا الاله الكل ولوقا
الرسول قد ذكر قولا أكثر لفظا لانه ماذكر مقدمة النبوة وقطع لكنه وضع
النبوة كلها لانه قال سيملأ كل واد و يذلل كل جبل وتل وتكون الاشياء
المعوجة متقومة والطرق الخشنة ممهدة و يعاين كل جسد خلاص الهنا أرأيت
كيف سبق النبي فذكر الحوادث كلها ووصف تقاطر الجميع اليه وانتقال
أخلاقهم الى أفضل حال وتيسر المناداة وعلة الحوادث الكائنة كلها وان كان
قد وضع هذه الالفاظ فأحال لفظها المحسوس الى معناها المعقول وذلك ان ما
قيل كان نبوة لانه قال كل وادٍ يمتلى وكل جبل وأكمة تتضع وتصير
المعوجات مستقيمة والخشنة الى طرق سهلة إكثرا حالة أى انه يجعل المتذللين

مزعوعين والمرفوعين متذللين ونرى صعوبة الشريعة منتقلة الى سهولة الايمان فزعم أن ما يكون أيضا أعرافا وأتعابا بل نعمة واغتفار خطايا وموهبة تخولنا سهولة خلاصنا كثيرة ثم وضع سبب هذه الفوائد قائلا انه سيعاين كل بشر فعل الهنا المخلص لا اليهود الملتجئون الى دينهم فقط يعاينون فعل الهنا المخلص لكن تعاينه الارض كلها والبحر وطبيعة الناس بأسرها ولعمرى انه أراد بالاشياء المعوجة ههنا كافة الطرائق المفسودة طرائق العشارين والزوانى واللصوص والسحرة والذين كانوا متعوجين أولا فسلكوا أخيرا الطريق المتقومة وهذا فقد ذكره الرب قائلا هوأن الزوانى والعشارين يسبقونكم الى ملكوت الله لانهم آمنوا والنبى قد دل على هذا أيضا بالفاظ أخرى غير هذه بقوله أيضا حينئذ ترعى خراف وذياب معا ولعمرى كما انه فى هذه الالفاظ أراد بالتلول والاودية الاخلاق التى لا تمهد ووصف انها تمتزج فى مساواة الفلسفة وتكون واحدة فكذلك شبه هنالك باخلاق الوحوش اخلاق الناس المختلفة وقال انها تؤتلف فى اتفاق واحد محمود لتهذب الدين وهنالك أيضا ذكر العلة وهى هذه لانه قال ويكون القائم منه يترأس على الامم وعليه تتوكل كل امة وهذا فقد قاله فى هذه الالفاظ ان كل جسم سيعاين فعل الهنا المخلص موضحا فى كل مكان أن قوة هذه الاناجيل ومعرفتها ستنتشر الى أقصى المسكونة فتنقل معرفة الاناجيل جنس الناس من تمرخلقه وصعوبة عزمه الى استئناس كثير وتقومة انقياده ويوحنا بعينه اقتنى لباسه من وبر الابل ومنطقة من جلد على حقويه وكان طعامه الجراد وعسل البر أرأيت كيف بعض الحوادث تقدمت الانبياء فذكرتها وبعضها تركوها للمبشرين يقولونها ولهذا السبب وضع متى البشير النبوات فى بشارته وأضاف اليها الاوصاف الناشئة منه وما احتسب هذا الوصف عملا بغير فهم وهو كلامه فى وصف ثوب الصديق لانه كان عجيبا بديعا ان يرى ثيابا هذا

تقديرها

تقديرها في جسم انساني وهذا اجتذب اليهود اجتذابا سريعا اذ أبصروا فيه
ايليا النبي الكبير ولما أبصروه حينئذ في هذه الفضائل توجهوا الى تذكر
ذلك السعيد والأليق ان نقول انهم توجهوا الى تحير واندهاش كثير لان ذاك
الجليل تربى في المدن فما حرث أرضا ولا قطع خطوطا ولا أكل خبزا بعرق وجهه
لكن مائدته كانت بديهة عنده وملبوسه كان أيسر وجودا من مائدته ومسكنه
كان أعظم من جلوسه لانه ما احتاج سقفا ولا سريرا ولا مائدة ولا شيئا
غير ذلك من هذه الاشياء لكنه أظهر من هذا الجسم مذهبا فريدا ملكيا فلهذا
السبب كان له ثوب شعري ليؤدب بشكله بالابتعاد من الاملاك الانسانية
ويعلمنا الا نعتلق شيئا يناسب الارض لكن يعود احضاره الى شرف حسبنا
الاول الذي كان فيه آدم قبل احتياجه الى ثياب وكسوة فذلك الشكل حوى
في هذه الجهة دلائل الملك وسمات التوبة ولا تقل لي من أين حصل له
ثوبا من وبر الجمل ومنطقة في سكناه في البرية لانه أن اشتبه هذا عليك
فستطلب مطالب أكثر من ذلك وهي كيف أقام في البرية في ايام الشتاء كيف
كان في مواقع الحر واصطبر على هذه الاحوال في جسم ناعم وفي سن قدفاتها
مدى زمانها كيف حصلت طبيعة جسم صبي كافية لتخالف أهويتها هذا مبلغها
وللمائدة مبتذلة على هذه الصفة ولغير ذلك من شقاء البرية فاين هم الآن
فلاسفة بلاد غلاطية الذين ماثلوا الوقاحة الكلبية باطلا وجزافا لان ما المنفعة
التي استفادها ذلك من انحباسه في خابية وابث أخيرا يفسق فسقا هذه شناعته
واطرحوا خواتيم واقداحا وجامات وخيالا غير هذا كثير وتكردسوا الى كل
اسراف وتفريط الا أن هذا الفاضل لم يكن هذا المذهب مذهبه لكنه قطن
في البرية كلها كمن قد سكن السماء مظهرا فلسفة بليغة وانحدر من هنالك
انحدار ملاك من الملائكة من السموات الى المدن فكان مجاهد الدين المهذب
ومكافح المسكونة وتفلسف الفلسفة الموهلة للسموات فكانت هذه فضائله

ولم تكن الخطية بعد انحلت ولا كانت الشريعة قد كفت ولا كان الموت قد ربط ولا كانت الابواب النحاس قد تكسرت بعد بل كانت السيرة العتيقة متمكنة أيضا فصور بهذه الصورة نفسه جليدة متنهضة لانه ظفر وتجاوز فوق الفرائض الموضوعة فى كل مكان على حد ما عمل بولس الرسول فى المذهب الجديد ولقائل أن يقول فلم استعمل على ثوبه منطقة فنقول له هذه كانت عادة للقدماء قبل أن تخرج الناس الى هذا الشكل التنعمى السائل بهذه الصورة يستبين بطرس الرسول متمنطقا بمنطقة وبولس أيضا الان أغانس النبى قال الرجل الذى هذه منطقته وايليا النبى على هذا المثال كان متشمرا وكل واحد من القديسين هذه السجية كانت سجيته دائما عند ما يسرع فى عمله أو فى أسفاره أو اذا اجتهدوا أسرع فى عمل من الاعمال الضرورية وما مارسوا ذلك بسبب هذا المعنى فقط لكنهم اعتمدوه حتى يدوسوا التزين كله ويتدربوا بصعوبة السيرة والشقاء وهذا الفعل قد قال عنه المسيح جل قوله انه مديح عظيم لفضيلته عندما قال هذا القول ماذا خرجتم تبصرون انسانا متوشحا بثياب ناعمة فها اللابسون ثيابا ناعمة هم فى منازل الملوك فان كان ذلك الطاهر لبس هذا الملبوس وقد كان أبهى من السماء حسنا وأعلى من الانبياء كلهم محلا فما صار أحد من الناس أعظم منه قدرا الحاوى مجاهرة هذا المبلغ مبلغها أغصب على ذاته سيرته هذا التغصب البليغ وأهان التنعم هوانا يفوت القياس كثيرا وألزم ذاته هذا المعاش الصعب دائما فأى اعتذار يحصل لنا اذا لم نظهر بعد احسان جزيل مبلغها وأوقار خطايا ناربوات عددها جزاء يسيرا من اعتراف ذلك الفاضل ونسكه لكننا نسكر ونملا بطوننا وندهن بالطيوب أجسامنا وليس حالنا حالا أفضل من حال النساء المتصرفات فى خباء اللعب وترخى ذوائبنا فى كل مكان ونجعلها فريسة لابليس المحتال لان يقبض عليها حينئذ

كان

كان يخرج اليه أهل البلدان المحيطة بالاردن ويعمدهم بعد اعترافهم له بخطاياهم أرأيت كم اقتدرت مجاهرة النبي ووروده كيف طير وروده المحفل كله اليه كيف اقتادهم الى التفكر فى خطاياهم وذلك أن نظرهم اليه مظهر هذه المحامد وأمثالها فى شكل انسانى كان يستوجب استجابا مستعملا لمجاهرة هذا تقديرها كثيرا مستوليا على جماعتهم بمنزلة أولاده مالكا نعمة كثيرة لامعة من وجهه وأبدع لادهاشهم ظهور نبي بعد زمان طويل وذلك أن موهبة النبوّة انحسمت عنهم وعادت بعد زمان طويل اليهم بيوحنا ومذهب ندائه كان مستغربا بديعا لانهم ما سمعوا قولا من الاقوال التى ألفوا استماعها كقولك ما سمعوا حروبا وقتالات وغلبات كائنة أسفل ومجاعات وأوبية ومصائب عرضت لهم فى بلاد فارس وبابل وفتح مدينتهم كما سمعوا من الانبياء قديما لكنهم سمعوه يصف السموات وملكها والعذاب فى جهنم ولهذا السبب بعد ان ذبح فى البرية ايس قبل زمان كبير جماعة العصاة المفتنين مع يهوذا وتوداس ما تكاسلوا عن الخروج اليها لانهم ما دعاهم الى أفعال أولئك بأعيانها كقولك ما دعاهم الى اغتصاب وعصيان وافتتان لكن حاله كان حال من يقتادهم الى الملك العلوى ولذلك ما ضبطهم يجولون فى البرية معه لكنه كان اذا عمدهم وعلمهم أقواله فى الفلسفة صرفهم وكان يؤدبهم بكل صنف من الادب وأن يتغافلوا عن كل ما فى الارض وأن يختاروا الحظوظ المأمولة ويسارعوا أيضا كل يوم اليها

(العظة)

فسبيلنا نحن ان نتمثل بهذا المذهب ونهمل التنعم والسكر وننقل العيشة الخاملة لان الوقت وقت اعتراف للذين لم يصطبغوا وللمصطبغين فتناسب الذين لم يصطبغوا حتى اذا تابوا يساهموا أسرار ديننا الجليلة وتناسب الذين قد

اصطبغوا لكي اذا استفاقوا وغسلوا وسخهم بعد المعمودية يتقدمون الى مائدة
القربان بفطنة نقية وينبغي أن نجتنب هذه العيشة الناعمة المحلولة لانه ليس
يوجد ولا يتجه لاحدنا أن يعترف وأن يتنعم معا وهذا فليعلمكم اياه يوحنا من
لباسه ومن طعامه ومن مسكنه واعل قائل يقول فما رأيك أتأمرنا
أن نتذلل على هذا المثال ونزهد فأقول له لست آمركم لكنني أشير عليكم
وأعاتبكم فان كان هذا المذهب القشف ليس هو ممكنا لكم فلو صار ان تظهر
التوبة مادمنا في المدن فان مجلس القضاء قد وصل الى أبوابنا وان كنا
أبعد من ذلك فلا ينبغي أن نطمأن على هذا الحال لان غاية حياة كل
واحد منا تفيد المدعو من ههنا قوة انقضائه والدليل على أن مجلس القضاء
قريب عند أبوابنا أسمعه من بولس الرسول القائل الليل قد أمعن في
انصرافه والنهار قد دنا وقال أيضا سيجيء الوارد ولا يتباطئ وذلك أن
العلامات قد كملت العلامات الداعية ذلك اليوم لانه قال عز قوله سينادي
ببشارة الملكوت هذه في الدنيا كلها للشهادة عند كافة الامم وبعد ذلك
يأتي الانقضاء فأصغوا الى ما قيل أصغاء بليغا لانه ما قال اذا صدق كافة
الناس هذه البشارة لكنه قال اذا نودي بها عند كافة الامم ولذلك قال
للشهادة عند الامم موضحا أنه ما ينتظر أن يصدق كافة الناس بشارته
وبعد ذلك يجيء لان معنى قوله للشهادة هذا هو لتبكيتهم ولتوبيخهم ولايجاب
الحكم على الذين لم يصدقوها الا أننا نحن نسمع هذه الاقوال ونبصر هذه
الحوادث وننام ونبصر منامات وحالنا حال من ثقلت رؤسهم بسكر واصل الى
غايته وذلك أن عوارض الدنيا الحاضرة ليست أفضل من المنامات ان كانت
صالحة وان كانت محزنة فلذلك اسالكم أن تنتبهوا من نومكم وتنظروا الى شمس
العدل لانه لا يمكن أحدنا اذا نام أن يبصر الشمس ولا يقدر أن يمد ألحاظه
بحسن شعاعها لكن كلما يبصره كأنه في نومه فلهذا السبب الحاجة بنا ماسة الى

اعتراف

اعتراف كثير ودموع غزيرة لانه اذا زال توجعنا انذنب ونخطى كثيرا العمرى ان خطايانا كثيرة الا أن عفو خالقنا أعظم منها والدليل على أننى لست أكذب فى قولى ان أكثر الذين يسمونه شهود الصدقة الا أن عفو خالقنا وان كان اعظم من ذنوبنا فينبغى ان نتوب لنتمتع باكاليله والتوبة أعنى بها ليس اجتناب أعمالنا الردية القديمة فقط بل انما أريد بها اظهار أعمال صالحة أعظم من ذنوبنا قدرا لانه قال اعملوا أثمارا تليق للتوبة وان سألت فكيف نعمل هذه الاثمار أجبتك انما نعملها اذا عملنا اضدادما عملناه مثال ذلك هل اختلست أشياء ليست لك فاعط فيما بعد الاشياء التى لك وان كنت قد زنيت زمانا طويلا فابتعد من امرأتك أياما محدودة واحكم الصوم واضبط هواك وكنت سبيت المختارين وضربتهم فبارك الان الذين يسبونك وأحسن الى الذين يخاصمونك ويضربونك لانه لا يكفى للعافية استخراج السهم فقط لكن ينبغى أن نضع على جرحنا مع استخراجه أدوية وأن كنت تنعمت وسكرت طول زمانك السابق صم الان فيما بعد ولازم شرب الماء لتزيل الفساد المتكون من تلك الجهة وان كنت أبصرت بعينين فاسقتين حسنا غريبا الا تبصرن فيما بعد امرأة أصلا لتثبت فى حياطة أكثر صونا لانه قال اجنح عن العمل الردى واعمل العمل الصالح وقال أيضا اكفف لسانك من اللفظ المنكر وشفتيك ان لا تتكلما كلاما غاشا لكن أتكلم كلاما صالحا أطلب السلامة ساعيا وراءها ولست أعنى السلامة بينك وبين الناس فقط لكن أعنى السلامة بينك وبين الله أيضا وعلى جهة الصواب قال ساعيا وراءها لانها قد انطردت وأقصيت وتركت الارض وسارت الى السماء لكننا نقدر أيضا ان نستردها ان نزعنا عنا صلفنا وكافة عوائقهما وطلبنا هذه العيشة العفيفة الساذجة لانه لا يوجد شئ أصعب من الغيظ ولا أشد خسارة منه لان هذا العارض يجعلنا متصلفين وللعبيد مشابهين فبذلك العارض الموجب للسخط نصير مضحوكا علينا وبعارض

الصلف نصير ممقوتين ونأتى لنا منه رذائل مضادة وتحير وقلق معا الا اننا اذا
جسمنا تتكاثر السقم نكون متواضعين تواضعا بليغا لانه من تكاثر
الاخلاط يتكون سوء المزاج فى أجسامنا واذا تركت حدودها الاستقصات
يتجاوز اعتدالها وحينئذ تتولد الامراض الكثيرة والميتات الصعبة
وهذا العارض يضره باصر عارضا النفوسنا فسبيلنا أن نحسم الاسراف عنا
ونشرب دوا الاعتدال الذى يخاصمنا ونثبت فى اعتدال مزاجنا الملائم ايانا
ونصلى صلواتنا باصغا بليغ وتيقظ جزيل وان لم ننل مطلوبنا فينبغى ان نلبث
متوسلين لنأخذه واذا أخذنا مطلوبنا فلا نتوانى لاننا قد أخذنا فى صلواتنا
لانه هو عرف بحكمته ما يشاء يدافع بعطيته لكنه اذا أخرها عنا يجعلنا حكماء
عند مثابرتنا اياه ولهذه العلة يوخر سؤالنا ويطلق فى أكثر الاوقات أن
يمنحنا محنة لنلجأ اليه التجاء متصلا واذا ألتجأنا اليه نلبث عنده وهذا العمل تعمله
الاباء الخالص حبهم والامهات الوالدات لاولادهن لانهم اذا أبصروا أبناهم
قد تركوا مثابرتهم وتمادوا فى اللعب مع أقرانهم يجعلون عبيدهم أن يتناظروا
لهم بافعال تروعهم حتى يضطرهم ارتياعهم الى الالتجاء فى أحضان أبيهم وأمهم
فعلى هذه الطريقة يديم الله فى أكثر الاوقات تهويله ويورده الينا حتى
يجتذبنا به اليه فاذا عدنا اليه يحل فى ذلك الحين خوفنا ويزيله لاننا
لو كانت حالتنا فى المحن وفى الراحة حالة واحدة لما احتاج الى محن يوردها
وما معنى كلامى فى حالتنا اذا كان أولئك القديسون الافاضل قد كان
الامتحان الذى يردعهم فى هذه الدنيا عظيما ولهذا السبب يقول النبى ارتاض
ونافع لى انك أذللتنى وهو نفسه قال لرسله قد تقاسون فى الدنيا ضغطه وبولس
الرسل يومى الى هذا بعينه اذ قال أعطيت شوكة لجسمى رسول شيطانى ليقرعنى
وذلك اذ طلب التخلص من اوصابه فاحظى بمطلوبه لاجل المنفعة تتولد منه كثيرا
واذا استفهمنا من عيشة داود النبى كلها فنجده فى نوائبه أبهى حسنا ونظر رأوه

كلهم

كلهم كذلك فان أيوب حينئذ لمع فضله عظيما ويوسف على هذه الصورة اختبر
كثيرا ويعقوب أبوه وأبوه وأبو هذا وكافة الذين تكللوا فى أوقاتهم با كاليل أبهى
حسنا من ضغطاتهم ومحنهم تكللوا وذاع ذكرهم   فاذ عرفنا هذه الاقوال
كلها فلا نسارع الى ما يوعز به القول الحكيم ولا نستعجل فى وقت موارد المحن بل
ينبغى ان نودب أنفسنا بتأديب واحد فقط وهو ان نحتمل كافة العوارض باوفر
تجلد ولا نبحث عن عارض ولا نستبحث عن الحوادث الكائنة وذلك لان المعرفة
تحصل متى انحلت الغموم عنا لانها هى عمل الهنا الذى أطلق ورودها الينا واحتمالنا
لها اذا داهمتنا بشكر كثير هو عمل من صائب رأينا فهذا العزم اذا تكون فينا
فستتبعه الاعمال الصالحة كلها فلكى تتبعه هذه الاعمال التى ذكرناها
ونكون موفقين ههنا وبهيين هنالك ينبغى أن نقبل كلما يوافينا مسلمين
لمن قد علم أكثر منا بما يوافقنا منه من جهة كلما يعرض لنا فهو الذى يحبنا
أشد من حب الذين ولدونا ونرقى أنفسنا بهذين الفكرين كليهما فى كافة
شدائدنا فيقصرا كتئابنا ونشكر فى جميع أحوالنا لالهنا الصانع افعال سياسته
كلها لاجلنا   فاننا على هذا النحو نحذف باوفر مرام الاغتيالات عنا ونرزق
الا كاليل التى لا اضمحلال لها بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى
معه لابيه والروح القدس المجد والعز والاكرام والسجود الى الابد آمين

المقـــــــالة الحادية عشر

فلما رأى كثيرين من الفريسيين والزنادقة جايين اليه قال لهم يا اولاد الافاعى من أراكم الهرب عن الرجز المنتظر كونه

كيف قال المسيح عن قوله انهم ما صدقوا يوحنا فهذا لعمرى ما كان تصديقا

له اذ لم يقبلوا من انذرهم هوبه اذ كانوا قد ظنوا انهم يصغون الى انبيائهم والى مشترع شريعتهم الان ربنا قد قال انهم لم يقبلوا قوله لانهم ما قبلوا من تنبأ عنه اولئك الانبياء لانه قال لو صدقتم موسى لامنتم بى فبعد ذلك اذ سألهم المسيح من اين هى معمودية يوحنا قالوا اننا ان قلنا انها من الارض نخاف من الجمع لان جميعهم كانوا يتخذون يوحنا مثل نبى وان قلنا انها من السماء يقول لنا فكيف ما صدقتموه فقد ابان واضحا من هذه الشواهد كلها انهم جاؤا اليه واصطبغوا وما ثبتوا على تصديق ما نادى به وذلك ان يوحنا قد اوضح خبثهم من اقوالهم التى راسلوه بها قائلين ان كنت انت ايليا وان كنت انت المسيح فلذلك استثنى يوحنا البشير بقوله ان المرسلين كانوا من الفريسيين ولقائل ان يقول فارأيك فى هذا اذا الشعوب والجموع قد توهموا هذا التوهم بعينه فنقول له الا ان الجموع توهموا هذا التوهم من عزم خال من التصنع واما الفريسيون فانما ارادوا ان يصطادوه اذ كان معروفا عندهم ان المسيح يجئ من ضيعة داود ويوحنا فكان من قبيلة لاوى فجعلوا له فى سؤالهم كمينا حتى اذا قال قولا هذا معناه يوضعون عليه اليد سريعا وهذا المعنى اوضحه فيما يتلوه لانه اذ لم يعترف بشئ مما املوه استردوا جوابه قائلين فان كنت انت لست المسيح فلم تعمد ولكى تعلم ان رأى الفريسيين الذين جاؤا اليه غير رأى الجمع الذى التأم عنده اسمع البشير كيف يبين هذا بقوله فى وصف المحفل انهم جاؤا اليه فعمدهم بعد اقرارهم بخطاياهم وعندما وصف الفريسيين قال قولا ليس شبيها بذلك لانه قال انه لما ابصر كثيرين من الفريسيين والزنادقة جايين اليه قال يا اولاد الافاعى من اراكم الهرب عن الرجز المنتظر كونه فما احسن عظم تمييزه كيف نظر انا ساعطاشا الى دماء الانبياء دائما رحالهم ليس افضل من حال الحياة كيف ثابهم وثاب الذين ولدوهم بمجاهرة كثيرة ولقائل يقول نعم مجاهرته كثيرة الا ان المطلوب ان مجاهرته هذه

تملك احتجاجا واضحا الا انه ما رآهم مرتكبين الخطاء لكنه رآهم منتقلين عن
سيرتهم فما كان سبيله ان يشكوهم بل كان ينبغى له ان يمدحهم ويقبلهم
لانهم تركوا مدينتهم ومنازلهم وبادروا الى استماع ندائه فما الذى
نقوله جوابا لمعارضينا نقول انه ما نظر الى الحاضرين عنده ولا الى
الواردين اليه لكنه عرف أوهام تمييزهم التى يتعذر أن يباح بها اذ كشف
الله ذلك له لانهم كانوا يتعظمون باجدادهم وكان هذا علة هلاكهم
وهذا قد زجهم الى التوانى وهورهم فقطع النبى أصل تعظمهم ولهذا السبب
يدعوهم أشعيا النبى رؤساء سدوم وشعب غامورا وقال نبى آخر فما أنتم
بصورة بنى الحبشة وكل الذين عرفوهم قد وصفوهم بهذا الوصف
ليتركوا تبذخهم الصاير سببا الاعمال ردية كثيرة العدد الا ان المعترض
يقول فالانبياء ثلبوهم على جهة الواجب لانهم أبصروهم يرتكبون الخطايا
فلاى سبب ثلبهم ههنا وعمل بهم هذا العمل وقد أبصرهم يقبلون
قوله فنقول له ليجعلهم أوفر نشاطا من غيرهم فان تصفح متصفح باستقصاء
بليغ ما قيل لهم على انه قد مزج زجرهم بمديحهم وانه قال لهم هذه الاقوال
يستعجب انهم اقتدروا أن يكون لهم أوصاف يظن انها ممتنعة عندهم
فى أواخر أوقاتهم وان زجره اياهم هو زجر من يجتذبهم ويجعلهم أن يفيقوا
أكثر افاقة لانه اذا استبان يقرعهم فاغاير بهم ان خبثهم كان فيما سلف
كثيرا وانتقالهم عنه عجيبا بديعا كانه قال ما الذى صار ان الذين كانوا بنين
أولئك الآباء واذا عتدوا على هذه الجهة بئس الاعتداء انتقلوا وتندموا
فزعا من أين كان انتقالكم هذا الجزيل تقديره من اين عزمكم الخشن من
تلقاء خلقكم الممتنع شفاؤه وانظر كيف أدهشهم فى الحين من مبادى خطابه
اياهم اذا ورد لهم أقاويله فى وصف جهنم لانه ما قال لهم أقوالا قد ألفوها مثل
من أراكم الهرب من الحروب من غارات العجم من مصاعب الاسر من المجاعات

من الوباء لكنه تقدم فاسمعهم هذا أبا آخر لم يظهر لهم في وقت من
أوقاتهم عند قوله هذا القول من أراكم الهرب من الرجز المستأنف وعلى
جهة الصواب سماهم أولاد الافاعي لان الافعى تفسد أمها التي قد مخضت
بها ويقال انها عند خروجها الى الضوء تأكل على هذا الحال بطنها وهؤلاء
قد عملوا هذا لانهم كانوا ضارين بآبائهم وأمهاتهم وقد أفسدوا بأيديهم معلميهم
ولم يقف عند زجره اياهم لكنه أوردهم مشورته لانه قال لهم اعملوا
ثمارا مؤهلة للتوبة لانه ليس يجزيكم هربكم من خطيتكم لكن يجب
عليكم أن تظهروا فضيلة كبيرة ولا تظهروا ما يضادها وما قد ألفتموه لانهم
انقلبوا وارتدعوا مدة يسيرة وعادوا الى خبثهم بعينه لاننا ما أتينا بزعم في
تلك المقاصد باعيانها على نحو ما جاء الانبياء سالفا وذلك ان الاشياء الحاضرة
أعلى من تلك محلا مخالفا لها اذ القاضي بعينه فيما بعد قد جاء ذلك
سيد الملك مقتادا الى فلسفة أعظم قدرا داعيا الى السماء مجتذبا الى
التصرف هنالك فلهذا السبب كشف لكم الكلام في وصف جهنم وذلك
ان الحظوظ الصالحة والمحزنة هنالك عديمة ان توجد ميتة فلا تثبتوا
في أعمالكم بأعيانها ولا تقدموا حججكم التي قد ألفتموها بابراهيم باسحق
بيعقوب بشرف حسب أجدادكم هذه الاقوال قالها ليس ليمنعهم
ان يقولوا انهم من أولئك القديسين لكنه قالها ليمنعهم من التفاخر بذلك
الذي كانوا يميلون اليه اذ كانوا متوانين في الفضيلة بعزيمة انفسهم ويخرج
الى وسط البيان ما في غير فهمهم متنبئا بما يتوقع لهم لانهم يظهرون فيما
بعد قائلين نحن قد امتلكنا ابراهيم أبا وما تعبدنا لاحد من الناس في وقت
من زماننا واذ كان هذا الرأي أكثر من كل خاطر قد رفعهم الى التعظم
وأهلكهم قصره أولا وقمعه وانظر كيف مع تذكيره رئيس الآباء يقصد
اصلاحهم في عزائمهم وذلك انه قال لهم لا تضمروا أن تقولوا اننا قد

امتلكنا

امتلكنا ابراهيم أبا وماقال رئيس الآباء لا يستطيع أن يفيدكم نفعا لكنه
أومأ الى هذا بعينه بالطف خطاب وأوفقه قائلا ان الله قادر أن يقيم
من هذه الحجارة أولادا لابراهيم وقد قال قائلون انه قال هذه الاقوال فى
وصف الامم فسماهم على جهة استعارة الاسم حجارة الا اننى أنا أقول ان قوله
هذا انه يجوز لمعنى غير هذا وان سألت وقلت ماهو أجبتك انه قال
لا تظنوا انكم اذا هلكتم أنتم تجعلون رئيس الآباء خائبا من بنين هذا ليس
يوجد ولا يكون لكنه ممكن عند الله أن يعطيه أناسا من الحجارة ويسوقهم
الى مناسبته تلك الجليلة اذ كان نسله من ابتدائه قد جرى على هذا المجرى
لا تكون انسان من حجارة كان شبيها باستخراج صبى من ذلك المستودع
الصلب وذلك فقد أومأ اليه النبى فقال انظروا الى الصخرة الصلبة التى
منها نحيتم والى قعر الجب الذى منه حفرتم انظروا الى ابراهيم أبيكم والى
سارة التى طلقت بكم فذكرهم بهذه النبوة موضحا منذ ابتدائهم جعل
ابراهيم على جهة عجيبة أبا فاذ كان قد أبدع شعبا من حجرين فهو الان قادر ان
يعمل هذا العمل وانظر كيف يرعبهم ويحسم كبرهم لانه ما قال انه قد
أقام لابراهيم أولادا حتى ييأسوا لكنه قال انه قادر ان يبدع من حجارة
أناسا وقد قال ماهو أعظم من ذلك كثيرا انه يقيم لابراهيم مجانسين
وانسبا وأولادا أرأيت كيف أبعدهم عاجلا من الخبال فى الاحوال
الجسمانية وفى التجائهم الى أجدادهم ليحصلوا أمل خلاصهم بتوبتهم
وعفافهم أرأيت كيف أقصى مجانسة الجسم وأبعدها واستورد المناسبة
من الايمان وأحضرها وتأمل كيف ماتلو حالهم ينمى خوفهم ويديم
اجتهادهم لانه اذ قال ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم
اتبع ذلك بأن قال وها هى الفاس موضوعة عند أصل الشجر جاعلا كلامه
فى جميع انحائه رهيبا لانه هو من عيشته اقتنى مجاهرة كثيرة وكان أولئك

قد احتاجوا تو بيخا شديدا اذ كانوا قد بادوا زمانا طويلا لانه ما معنى قوله انكم
قد أشرفتم ان تسقطوا من المجانسة لابراهيم وانى أرى آخرين غيركم صاعدين
من حجارة الى تصدركم لان نوازل العقوبة ما تنتهى بكم الى هذا الحد بل تثبت
الى ما يتجاوز هذا المقدار قوارع تاديبكم لان الفاس الموضوعة عند أصل
الشجرة ليس فى الكلام أوفر ترهيبا من هذا الانقلاب لانه ما ذكر منجلا صائرا
ولا نقض سياجا ولا تدويس كرم لكنه ذكر فأسا مرهفا جدا وأصعب ما فى ذلك
انها عند الابواب لانهم اذ كانوا يكذبون الانبياء تكذيبا متصلا قائلين
فيما سلف أين هو يوم ربنا وليواف الينا قدوس اسرائيل لنعرفه لاجل
خروج ما قيل لهم فى أكثر الاوقات الى الفعل بعد سنين كثيرة فساقهم
الى ابطال هذه التسلية وثبت ورود الشدائد اليهم قريبا وأوضح هذا بقوله
ها هى بتقدمها الى عند أصلهم لانه قال لا يكون لها أمد متوسط لان ها هى
الفاس موضوعة عند الاصل وما قال موضوعة عند الاغصان ولا عند الاثمار
لكنه قال انها عند الاصل موضحا لهم أنهم ان توانوا يكابدون مصاعب يتعذر
شفاؤها ولا يكون لهم أمل فى الشفاء لان الوارد ليس هو عبدا مثل الذين وردوا
سالفا لكن الوارد هو سيد البرايا كلها بعينه ولعمرى أنه قد أورد
تعذيبا شديدا أوفر العقوبات اقتدارا الا أنه مع تخويفه اياهم ما أهملهم
أيضا أن يسقطوا فى اليأس كما فعل فيما سلف فما قال أنه قد أقام بنين
لابراهيم لكنه قال انه قادر أن يقيم أولادا لابراهيم ليرعبهم بذلك ويسليهم
معا فكذلك فعل ههنا ما قال ان الفاس قد لامست الاصل لكنه قال أنها
موضوعة وستلامس الاصل ولم يوضح لهم ولا صنفا من مهلة لكنه مع أنه قد
أحضر الفاس قريبة هذا القرب منهم فهو يجعلهم أصحابا لقطعهم لانكم اذا
انتقلتم وصرتم أفضل مما كنتم فستنصرف هذه الفاس وما تعمل عملا وان ثبتم
فى أعمالكم بأعيانها فستقلع شجرتكم من أصلها فلاجل هذه العلة ما ابتعدت من

الاصل

الاصل ولا قطعته عند وضعها عنده فالصنف الاول من فعلها حتى لا تضجعوا والصنف الثانى لتعلموا انكم اذا انتقلتم من اعمالكم فيمكن لكم ان تخلصوا فى مدة يسيرة ولذلك يبنى من كل جهة خوفهم لينهضهم الى التوبة ويقتادهم اليها لان سقوطهم من مجانسة اجدادهم وادخال غيرهم بدلا عنهم وقوله ان المصاعب قريبة عند ابوابهم وانهم سيتكبدون شدائد مفضلة اوضحها كلها بالاصل وبالفاس وقد كانت اقواله هذه كافية لاستنهاض الواقعين فى التوانى اشد وقوعا مقتدرة ان تجعلهم مجهودين حريصين وهذا التحذير قد اوضحه بولس الرسول فقال ان ربنا سيضع فى المسكونة كلها قولا مجزوما ولكن لا تخلف والاليق بك ان تخاف ولكن لا تيأس لانك تؤمل انتقالك عن ونيتك وذلك ان القضية ليست جازمة بذاتها ولولا جاءت الفاس حتى تقطع والابطا الذى منعها من قطع الاصل عند ملامستها اياه لكنها جاءت لتجعلك بهذا الخوف افضل حالا وتجعلك ان تقدم ثمرا ولذلك اتبع هذا القول بقوله فكل شجرة لا تثمر ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار فاذ قال كل شجرة فانما يخرج ايضا من شرف الحسب التصدر والتقدم لانه قال ولو كنت ابنا لابراهيم ولو اتجه لك ان تعد اجدادك رؤساء اباء كثيرين فستتكبد العذاب مضاعفا اذا لبثت عديم الثمرة فمن الفاظه هذه اراع العشارين وهز من الجند سريرتهم فما القاهم فى القنوط واراحهم من كافة تضجيعهم لان الكلام الذى قاله يحوى مع تخويفه سلوا كثيرا لانه بقوله فكل شجرة لا تثمر ثمرا جيدا اوضح ان الشجرة التى تعمل ثمرا جيدا تخلص من العقوبة كلها ولقائل ان يقول فكيف يمكن ان نثمر ثمرا جيدا اذ كان قطعنا قد وضع قريبا وزماننا على هذا النحو ضيق قصير وتاجيلنا متكامل مجزوم فنقول له ذلك ممكن لك وذلك ان الثمر الذى هذه صفته ليس هو مثل ثمر الشجر ينتظر زمانا طويلا متعبدا للضرورات الاوقات محتاجا الى سياسة اخرى كثيرة لكن ثمرنا يكفيه ان

تزيده وقد أفرغته في الحين شجرتنا الان ليس طبيعة الاصل فقط ينتهي حمل الثمر الذي هذا حاله الى أعظم خواصه ولهذا السبب لكيلا يقولوا هذه الاقوال أنك تزعجنا وتستعجلنا وتجذبنا بوضعك الفاس عند أصلنا وبتهويلك علينا بقطعنا وبتغاثك مستغلاتنا في وقت تعذيبنا استثنى باظهار سهولة حمل الثمر وقال أنا أعمدكم بالماء واتي ورائي هو أقوى مني الذي لست موهلا أن أحل سيور حذائه ذلك يعمدكم بروح قدس ونار موضحا باقواله هذه أنه يحتاج الى عزم وايمان فقط وليس يحتاج اتعابا واعراقا وكما أن اصطباغ أحدنا سهل فكذلك انتقاله وكونه أفضل مما كان أسهل ولعمري انه فههم بخوف المحاكمة بعد الوفاة وبانتظار العقوبة وباسم الفاس وبفقدهم أجدادهم وبادخال أولاد غيرهم وبالعقوبة المضاعفة عقوبة بالقطع وعقوبة بالحرق وحرك من كل جهة عزمهم القاسي ومكنهم في اشتهى التخلص من أعمال ردية جزيل مبلغها وبعد ذلك أورد كلامه في وصف المسيح ليس على بسيط ذاته بل بعمرعظيم ثم وضع الحد الاوسط بينه وبين المسيح لئلا يظن به انه يقول هذا القول متعمدا وأصح هذه المعنى من مقايسة المنح المعطاة لكل منهما وبيان ذلك انه ما قال في الحين لست موهلا ان أحل سيور حذائه لكنه وضع قبل ذلك حقارة المعمودية المنسوبة اليه وبين أنه لم يتلك فعلا أكثر من اقتيادهم الى التوبة لانه ما قال أنا أعمدكم بماء الصفح بل قال أنا أعمدكم للتوبة ووضع سمو معمودية المسيح المملوءة من موهبة يفوق وصفها لانه قال حتى اذا سمعت أنه يجي بعدي لا تتهاون به لانه جاء اخيرا أعرف قوة موهبته فتعلم علما واضحا انني ما قلت قولا أهلاله ولا عظيما بقولي انني لست موهلا ان أحل سيور حذائه حتى اذا سمعت انه أقوى مني لا تتوهم انني قلت هذا القول على جهة مقايسته بي لانني لست أهلا ان أحسب نحن عبيد ذلك السيد ولا أن أتقلد الجزء الحقير من خدمته فلهذا

السبب

السبب ماذكر أحذية سيدنا على بسيط ذاتها بل ولا سيورها فهذا الكلام هو
قول من يعتقد انه آخر الناس كلهم ثم حتى لا تظن ان أقواله هى ألفاظ تدلل
المرير أوضح من أفعاله برهانا لانه قال وذاك يعمد كم بروح قدس ونار
أرأيت حكمة الصابغ كم مبلغها لانه اذا نادى هو بذكر الحوادث الرهيبة
كلها او يستورد جهادا واذ أرسل قوله الى ذاك يذكر الافعال الصالحة التى فيها
كفاية ان تستقبلنا لانه ما أورد الى وسط كلامه الفاس ولا الشجرة التى تقطع
وتحرق وتلقى فى النار ولا الرجز المنتظر حصوله لكنه ضرب صفحا عن الخطايا
و زوال العقاب وعدلا وقداسة وفداء وتبنى واخوة ومشاركة فى
الميراث ونزول الروح القدس وسعتها لانه أشار الى هذه كلها بقوله
يعمدكم بروح القدس وباستعارة هذه اللفظة أظهر سعة النعمة لانه
ماقال يعطيكم روحا قدسا لكنه قال يعمدكم بروح قدس وبنار موضحا
بذكره النار استحكام النعمة وقوة انضباطها تفطن فى الذين سمعوه
ينطق انهم سيكونون نظراء الانبياء وعديلى أولئك العظماء لانه لهذا
السبب ذكر النار ليقتادهم الى الهمة بذكر أولئك لان سائر الذين ظهرت
لهم مناظر ظهرت لهم بنار على هذه الجهة خاطب الله موسى فى العوسجة
وعلى هذه الصورة ظهر للمحفل كله فى طور سينا وأيضا على هذ المثال
ظهر لحزقيا على الكروبيم وتأمل كيف ينهض سامعه اذ وضع أولا ماهو
مزمع أن يصير بعد الحوادث كلها لانه قد كان واجبا أن يذبح الخروف وان
يمحى خطيئتنا وان ينقض عداوتنا وأن يصير دفنه وانبعاثه وبعد ذلك يرسل
الروح الينا الا انه ماذكر الان صنفا من هذه الاصناف لكنه ذكر الاخير أولا
الذى به تكونت تلك البدائع كلها والذى كان فيه كفاية أن ينادى برتبته
أكثر مناداة حتى اذا سمع السامع انه يتسلم روحا هذا المقدار مقداره يطلب
فى ذاته كيف وبأى حال يكون هذا الروح عند ضبطه الخطية البليغ حتى

اذا تسلمه يكون مهتما مستعدا لاستماعه يوردالكلام على هذا النحو
فى وصف تألمه اذ لا يتشكك بعد ذلك متشككا فى انتظار موهبة عظيمة فلذلك
صاح قائلا أبصر حمل الله الرافع خطية العالم ما قال الغافر لكنه قال الرافع
وذلك كان أعظم اهتماما بنا لان صفحه على بسط ذاته وحمله و رفعه
ليسا بمعنى واحد لان صفحه صار من زوال الخطر وحمله قد كان عند موته
وقد قال أيضا انه ابن الله هو لكن هذا القول ما اوضح عند الذين سمعوا
مرتبته الجليلة لانهم ما عرفوا ولا اتجه لهم ان يفطنوا انه ابن خالص لله ومن
اعطاه الروح تحقق يوحنا حاله ولهذا السبب لما أرسل ابوه يوحنا اعطاه
هذه العلامة أولا ايضا حارتبة الآتى اليه بقوله على من رأيت الروح منحدرا
وثابتا فذلك هو الصابغ بالروح القدس وكذلك قال يوحنا انا قد رأيت
وشهدت ان هذا هو ابن الله من جهة أن من هذا الروح تحقق يوحنا حاله
تحققا بينا ثم اذ ذكر الحظوظ الصالحة أهمل سامعه وأطلقه مشددا أيضا حتى
لا يتوانى لان جنس اليهود هذا الحال كان حاله يتيسر ان ترخيه الاقوال
الصالحة وتجعله أكثر شرا مما كان فلذلك أورد أيضا الافعال الرهيبة قائلا
الذى بيده الرفش وينقى بيدره ويجمع قمحه فى الاهراء لانه ذكر قبل هذا
القول العذاب وفى هذه الالفاظ أراهم القاضى وأورد تعذيبه
يتعذر ان يكون ميتا لانه قال ويحرق التبن بنار غير خامدة ارأيت رب
البرايا بعينه وهو فلاحها وان كان فى غير هذا الموضع نسب الى أبيه هذا
العمل نفسه لانه قال وأبى هو فلاحها لانه لما ذكر فاسا فتى لا تظن ان عملها
يحتاج تعبا ويكون تمييز ذلك صعبا عليك أورد تيسر ذلك وأرى لك ان العالم كله
له وانه ما عاقب الذين ليسوا له فبراياه الآن كلها مخلوطة ولئن كانت الحنطة
تظهر لامعة الا أنها تطرح مع التبن كلها فى بيدر لا كأنها فى مخزن وفى
ذلك الحين يكون تمييزها كثيرا فاين هم الذين ينكرون جهنم لانه قد وضع

فعلين

فعلين انه يعمد بروح القدس وأنه يحرق الذين يخالفونه فان كان ذلك
الفعل صادقا فهذا الفعل يكون خاليا من الارتياب لانه لهذه العلة وضع
هاتين النبوتين على الولاء لتصدق التي لم تكن بعد من تلك الكائنة فيما سلف
لان المسيح من عادته أن يعمل هذا العمل في جهات كثيرة وطالما قد عمله
في أشياء هي هي بعينها وطالما فعله في أشياء متضاددة فقد وقعت نبوتان
احداهما قد خولها هنا والاخرى قد وعد بكونها في العالم المنتظر كونه حتى
من الصائرة فيما سلف يصدق مؤثرا المغالبة والمكابرة التي لم تصر بعد لانه
قد وعد المخالعين لاجله عنهم موجوداتهم كلها ان يعطيهم في عمرهم هذا مائة
ضعف وفي العالم المستأنف حياة دهرية فمن عطاياه التي نالوها فيما سلف
ثبت ان مواعيده المستأنفة تستوجب تصديقها وهذا العمل عمله يوحنا ههنا
عند وضعه فعلين انه يصبغهم بروح القدس وانه يحرقهم اذا خالفوه بنار
غير منطفئة فلئن كان ما عمد رسله بروح القدس وعمد كل يوم كل
المريدين ان ينصبغوا فقد اتجه لك أن ترتاب من كون تلك العقوبات
فان كان الفعل المظنون انه أعظم وأصعب وانه يفوق على كل قول وقياس
قد كان و يكون كل يوم فكيف ما تقول ان الفعل السهل الكائن على جهة
القياس لا يكون صادقا لانه اذ قال انه يصبغ بروح قدس و بنار و وعد
ههنا حظوظا صالحة جسيمة فهى لا تضطجع وتهمل افعالك الاولى كلها أو رد
الرفش والحكومة الظاهرة به لانه قال لا تظنوا ان المعمودية كافية لكم ان
صرتم بعدها أشرارا لانكم تحتاجون الى فضيلة والى فلسفة كثيرة ولهذا
السبب دفعهم من الفاس الى النعمة والى جحيم الصبغة وأراعهم بعد النعمة
من الرفش ومن النار والذين قضوا آجالهم قبل المعمودية فلم يميز
أعمالهم تمييزا لكنه قال قولا بسيطا كل شجرة لا تعمل ثمرا جيدا تقطع وتلقى
في النار معذبا الذين قد فاتهم ان يؤمنوا كلهم و بعد المعمودية ينشئ قسمة

لاعمال المؤمنين وتمييزا اذ كان كثيرون من الذين آمنوا عتيدين ان يظهروا
ميشة عديمة أن توجد موهلة لايمانهم

العظـــــــة

فلا يكونن أحدنا تبنا لا يصيرن أحد ناسر يعا تقلبه مع عزائمه ولا ينطرح
فى شهواته الخبيثة التى تنسفه باسرمرام الى كل مكان باغصانها الانك اذا كنت
حنطة فلو وافتك محنة لم يصبك مكروه وذلك ان بكرات العجلة فى البيدر التى
حوافيها بصورة المنشار ما تقطع الحنطة بدورانها عليها وان انتقلت الى ضعف
التبن فستقطع فى هذه الدنيا وتفصلك كافة نوائبها بمقاساتك شدائد
معضلة وتتكبد هنالك عذابا اليما ابديا لان جميع الذين هذه الطريقة
طريقتهم يكونون قبل الاتون الذى هنالك طعاما فى هذه الدنيا الامراض عزمهم
البهيمية مثلما يكون التبن طعاما لانواع البهائم ويكون هنالك مادة للنار
وطعاما لها ولعمرى أن من يحكم فى الحوادث الكائنة من تقومه فى
كلامه فكذلك لا يجعل كلامه على هذا المحسوس بعا اقتباله ومن
يخلط المثل فى كلامه ويجعل كلما يقوله بتمثيل فقد اجتذب سامعه
بكثرة تعزيته واكد تحقيقه عنده كثيرا ولهذه العلة خلط ربنا عند
ما خاطبهم على هذه الجهة فى اقواله التى اكثرها امثالا بيدر وحصاد وكرم
ومعصرة وحقل وشبكة وصيد وكل ما الف سامعوه وتصرف فيه وهذا العمل
عمله يوحنا الصابغ فى هذا الموضع وجعل اعطا الروح برهانا عظيما لاقواله
التى قالها لانه المقتدر على هذه الافعال الجليلة فى تقديرها حتى انه يغفر
الخطايا ويعطى الروح يقدر على ما قال اكثر من هذه الافعال كثيرا
أرأيت كيف قدم فى وضعه سر انبعاثه ومحاكمته ولقائل ان يقول فلم ذكر
البشير الايات والجرائح التى ستكون فى الحين ويجترحها هو فنقول لان هذا

الروح

الروح كان أعظم قدرا من الايات كلها وبهذا الروح تكونت تلك
العجائب كلها لانه اذ كرفي وضعه رأس المواهب فقد اشتمل على اجزائه كلها
وهي حل الموت وازالته وبطلان الخطية وتغيب اللعنة وزوال الحروب
الطويل زمانها والدخول الى الجنة والطلوع الى السموات والتصرف مع
الملائكة ومشاركة النعم الصالحة المأمولة وذلك ان هذا الروح هو عربون
تلك الفوائد كلها فبذكره هذا الروح قد ذكر قيامة أجسامنا واظهار العجائب
ههنا واجتراحها واشتراكا في ملك السموات والخيرات التي ما أبصرتها عين ولا
سمعتها أذن ولا خطرت على قلبنا الان هذه كلها وهبها لنا بتلك الموهبة ولعمري
ان التكلم في صفة الايات البهية في ذلك الحين المميزة بالنظر اليها هو فضلة
زائدة لكن قد كان واجبا عليه أن ينناظر من أجل تلك الافعال التي
ارتابوا بها كقولك في ان ربنا هو ابن الله وانه يفوق على توهمنا فوقانا يفوت
قياسه وانه يحمل خطايا العالم وانه يطالبنا بالواجب علينا وان احوالنا لا تنتهي
الى وقتنا الحاضر لكن كل واحد منا يكابد هنالك العقوبة التي تستوجبها
لان هذه التي قدمنا ذكرها ما كان ممكنا ان تبرهن فاذ قد عرفنا هذه
الاقوال فلنحرص حرصا كثيرا ما دمنا في بيدر الدنيا لانه يمكننا ما دمنا في هذه
الدنيا ان ننتقل من تبن الى حنطة على نحو ما ان كثيرين قد صاروا من الحنطة
الى تبن فلا نضطجع ولا ننقلب بكل ريح ولا ننفصل من أخوتنا ولو توهمناهم
صغار المحل محتقرين لان الحنطة أقل من التبن في مقدارها وأفضل منه
في طبيعتها لا تنظرن الى الخيالات الخارجية فانها قابلة للنار لكن الى التذلل
بايثار الله الصلب المتعذر انفساخه الذي لا يمكن انفصاله وقطعه ولا يتجه للنار
ان تحرقه لان الله لاجل هذه الحنطة يتمهل على التبن ليصيروا من تصرفهم معهم
افضل قدرا لهذا السبب لم تصر الدينونة بعد لنكال كلنا تكليلا مشاعا
لينتقل اكثرنا من خبثنا الكثير الى الفضيلة وينبغي ان نرتاع اذا سمعنا هذا

المثل وذلك ان تلك النار لا تنطفئ وان سألت فكيف هي لا تنطفي أجبتك أما ترى هذه الشمس متوقدة دائما وليست في وقت من الزمان منطفئة اما ترى العوسجة متوقدة وليست محترقة فان شئت أنت ان تخلص من اللهيب فاجتنب قلة الرحمة فانك على هذه الجهة ما تمارس خبرة بتلك النار أصلا لانك اذا صدقت في هذه الدنيا اوصاف العقوبة التي قيلت فيها فانك تبصر اذا مضيت الى هنالك ذلك الاتون واذا كذبت ذلك الاتون فستعرفه هنالك بالخبرة معرفة بليغة حيث لا يمكنك التخلص منه وذلك ان العذاب المتقاطر على الذين لم يظهر منهم عيشة متقومة قد زال الاعفاء منه لانه لا يكفينا أن نصدق ما قيل فقط اذ الشياطين يرتاعون من الله أيضا لكنهم على هذه الصورة سيعاقبون فلهذا السبب يلزم ان يكون اهتمامنا في عمرنا هذا كثيرا لاننا لهذا السبب نجمعكم في هذا الموضع بمداومة ليس لتدخلوا اليه فقط لكن لكي تستمدوا منفعة من مقامكم ههنا فاذا كنتم تحضرون ههنا دائما واذا انصرفتم لا تستمدوا من ههنا نفعا فلا يكون لكم من حضوركم في هذا المكان اقامتكم فيه ربح ولا نفع لاننا ان أرسلنا أولادنا الى معلمين ولم نجدهم يستمدون عندهم نفعا نثلب معلميهم أشد ثلبا وربما نقلناهم الى معلمين غيرهم فأى احتجاج نمتلكه نحن اذا لم نبذل في الفضيلة حرصا نظير حرصنا في هذه الفوائد الارضية لكننا نحمل الى منازلنا مصاحف قلوبنا فارغة دائما على أن معلمينا في هذا المكان أكثر من أولئك تعليما وأكثر قدرا وأعظم لان الانبياء والرسل والشهداء ورؤساء الاباء وأهل العدل كلهم يقفون بكم في كل كنيسة معلمين ولا يحصل لكم على هذا الحال ربحا أكثر لكنكم ان ترنمتم بمزمورتين أو ثلثة وصليتم صلواتكم المألوفة على بسيط ذاتها على ما اتفق وحللتم وهاظننتم أن ذلك كاف لخلاصكم أما قد سمعتم النبي قائلا والاولى ان نقول أما قد سمعتم الله قائلا بلسان النبي ان

هذا

هذا الشعب يكرمني بشفتيه وقلبه بعيد عني فحتى لا يكون هذا الوصف لائقا بنا أمح سطور الكتابة والاولى أن نقول أمح نقوشها التي قد رسمها ابليس المحتال في نفسك وأحضر لي قلبا متخاصا من أراجيف الدنيا حتى أكتب فيه ما أريده بفراغ ومهلة لانني الآن لا يتجه لي أن أقرأ فيه لفظا غير سطور كتابة ذلك الخادع وهي صنوف الخطف وفنون تكاثر المقتنايات والحسد ولهذا السبب اذا أخذت مصاحفكم لا يمكنني أن اقرأها لانني لا أجد فيها سطور الكتابة التي نكتبها لكم في كل يوم أحد ونصرفكم لكنني أجد فيها الفاظا أخرى مستهجنة متعوجة فاذا محيتم ذلك نكتب لكم ما نستمده من الروح فاذا انصرفتم وبذلتم قلوبكم لافعال ابليس المحتال وجعلتموه ان يكتب فيها أيضا افكاره وعزائمه فماذا تكون غاية هذه الافعال فان لم أقلها أنا فلا تخفى على فطنة كل واحد منكم ولعمري انني لا أكف من عمل ما يناسبني ولا ابطل من ان اكتب سطورا قوية فيكم فان افسدتم انتم حرصنا فاجرنا لا يعدم ولا يتزعزع والخطر في ذلك عليكم ليس يسيرا الا انني لست أشاء ان اخاطبكم خطابا ثقيلا عليكم لكنني اطلب واتضرع اليكم ان تماثلوا الصبيان الصغار في حرصكم على هذه الفوائد لان أولئك الصبيان يتعلمون اولا تمثيل الحروف فيما يلينا نحن ان نعمل هذا العمل في اختيارنا الفضيلة بان نتعلم الانحلف ولا نحنث ولا نثلب ثم ننتهي الى حرف آخر وهو الانحسد أحدا ولا نعشق اجسام الناس ولا نملا بطوننا ولا نسكر ولا نكون جفاة ولا عاجزين ولننتقل من هذه الافعال أيضا الى الفضائل الروحية فنتدرب بضبطنا هوانا ونتغافل عن بطننا ونعيش بالعفة والبر ونكون ودعاء أفضل من التشريف ومتخشعين في تميزفهمنا وننظم هذه الفضائل بعضها ببعض ونكتبها في نفوسنا فهذه الفضائل يجب علينا ان نرتاض بها في منزلنا ولدى اصدقائنا وبحضرة زوجتنا وقدام اولادنا وينبغي ان نبتدي

عاجلا بالفضائل الاولى التى هى أسهل من غيرها كقولك نبتدى الامحاف
ونتدرب بهذا الحرف فى منزلنا دائما الان كثيرين يعيقوننا فى منزلنا دائما عن
هذا التدرب النافع لان غلامنا يغضبنا وامرأتنا تغمنا وتغيظنا وابننا
اذا رفض التعليم وأزال ترتيبه يحوجنا الى الحلف والى التهويل عليه
فاذا الجأتك هذه العوارض فى بيتك الى الغم دائما وأحكمت الاتميل الى
الحلف فيمكنك فى السوق ان تثبت بايسر ثبوت ناجيا من أن يصيبك
الحلف فما تسب امرأتك ولا غلامك ولا أحدا غيره لان امرأتك ربما
مدحت فلان وذمت نفسها فتنهضك الى أن تقول فى ذلك الرجل قولا
منكرا فلا يضطرك غيظك الى ان تسئ القول فى الذى تمدحه امرأتك
بل احتمل كلما تقوله باوفر شهامة وان رأيت عبيدك يمدحون سادة غيرك
فلا يقلقنك ذلك لكن اثبت بشهامة وليكن بيتك معركة لفضيلتك
وجهادك لكى اذا ارتضت فيه ارتياضا جيدا تصادم بمعرفة جزيلة ما يعرض
لك فى السوق واعمل هذا العمل فى داء العجب لانك اذا تدربت فى الاتعجب
بحضرة امرأتك وعبيدك فما تصاد فيما بعد بهذا المرض انصيادا سهلا
بحضرة أحد من اناس آخرين لان مرض العجب هذا فى كل مكان مستصعب غاصب
ولا سيما ان كانت امرأتك حاضرة فاذا هدمنا قوته فى منزلنا تيسر لنا قهره فى
المواضع الاخرى وسبيلنا ان نعمل هذا العمل عينه فى امراض مزمنا
الاخرى بان نرتاض فى منزلنا عليها كل يوم وفى قلعها بسرعة ولكى ننال نجتهد
بهذا الارتياض أسهل مراما عندنا ينبغى ان نوجب لنفوسنا حدا من العقوبة
على ذواتنا اذا خالفنا عارضا من العوارض التى قد اعتمدناها وليكن حد
العقوبة أيضا ليس مسببا خسرانا لكن مسببا أجرا وربحا عظيما وهذا
الحد هو ان نحكم على أنفسنا باصوام متصلة ونضطجع على الارض
ونتقشف حسبما يناسبه فانه على هذه الصورة تحصل لنا فوائد كثيرة من كل
جهة

بهجة ونعيش فى هذه الدنيا عيشة لذيذة تناسب الفضيلة ونرزق النعم الصالحة المأمولة ونكون أحياء لا لهذا الدهر فقط ولكن لئلا تعرض هذه العوارض بأعيانها وتستجيبوا لما ذكرناه لكم ههنا فاذا انصرفتم لا تطرحون مصحف قريحتكم على بسيط ذاته وتطلقون لابليس المحتال أن يمحيه بل لما ينصرف كل منكم الى منزله فليستدع امرأته ويصف لها هذه الفرائد ويتخذها معينة له ولندخل فى يومنا هذا الى هذه المعاركة الجيدة مستعملين درور الروح القدس وان سقطت فى اثناء مصارعتك هذه دفعة ودفعتين ودفعات كثيرة فلا تيأس قانطا لكن قف أيضا وصادع ولا تكف الى أن تظفر على ابليس المحتال وتلبس اكليلك اللامع وتخزن قنيتك فيما بعد فى كنز الفضيلة المتعذر سلبه لانك ان مكنت ذاتك فى اعتياد هذه الفلسفة النفيسة فلا يمكنك أن تخالف عند تضجيعك أمرا من أوامر خالقك عند مشابهة العادة تمكن الطبيعة وكما انه يسهل علينا ان نرقد ونأكل ونشرب ونستنشق فكذلك تكون أفعال الفضيلة سهلة عندنا ونستمد اللذة الخالصة عند جلوسنا فى ميناء خال من التموج متمتعين بسكون دائم ونقلع سفينتنا فى ذلك اليوم الى تلك المدينة محمولة كثيرة ونرزق الاكاليل الممتنع اضمحلالها فليكن لنا كلنا أن نرزقها بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى يليق للآب معه والروح القدس الرب المحيي المجد والعز والاكرام والسجود الى أبد الآبدين آمين

المقالة الثانية عشر

حينئذ أتى يسوع من الجليل الى الاردن نحو يوحنا ليعتمد منه

سيدنا أتى مع عبيده القاضى حضر مصطبغا مع الخطاة المجرمين ولكن

لاتنزعج فانه بأفعاله هذه الذليلة تشرق حالته السليمة السامية اشراقا عظيما
لان ماهذا وهو وقد حبل به زمانا هذا مبلغه كثيرا فى مستودع البتول وخرج
من هنالك بطبيعتنا ولطم وصلب وتألم بالآلام الاخرى التى تألم
بها فامعنى تعجبك من قبوله المعمودية ومن مجيئه مع أناس كثيرين
الى عبده لان الفعل المدهش لك هوانه وهو اله شاءان يصير انسانا وأما
أفعاله الاخر كلها فتتبع ذلك فى مناسبتها ولهذه العلة تقدم يوحنا فقال
تلك الاقوال التى قالها وهى انه لم يكن مستحقا أن يحل سيور حذائه وأقواله الاخر
كلها انه قاض وانه يقضى لكل أحد نظير مايستوجبه وانه يهب لكل
من يؤمن به روحا واسعا حتى اذا رأيته أتيا الى معموديته لاتتوهم فيه
توهما ذليلا ولهذا السبب منعه يوحنا عند حضوره قائلا أنا محتاج أن
تعمدنى أنت أفتجى أنت الى ولعمرى ان المعمودية اذا كانت للتوبة
تدل على حذف أحدنا ما اجترمه فلئلا يظن ظان ان ربنا جاء الى الاردن
لهذا العزم بعينه تقدم السابق فتلا فى ذلك بتسميته اياه خروفا وفاديا من
خطية العالم كلها لان القادر أن يزيل خطايا جنس الناس كله
ويبطلها يليق به كثيرا أن لايكون خاطئا فلهذا السبب ماقاله يوحنا
ابصر البرئ من أن يوجد خاطئا لكنه قال أفضل قدرا من ذلك كثيرا أبصر
الحامل خطايا العالم ليقتبل ذلك المعنى من هذا بكافة الايقان والبلغه
واذا اقتبله تعرف انه عند مجيئه الى الصبغة دبر فعلا آخر من أفعاله
فلذلك قال يوحنا عند مجيئه اليه أنا محتاج لان تعمدنى أفتجى أنت الى وما قال
أفتتعمد أنت منى لانه كان يجب أن يقول هذا القول لكنه قال أفتجى أنت
الى عندى فاذا عمل المسيح انه عمل العمل الذى عمله فيما بعد مع بطرس
وذلك ان بطرس منعه من غسل رجليه الا انه اذ سمع قوله ما أعمله أنا الان لست
تعرفه أنت وستعرفه فيما بعد وليس لك حظ معى عدل عن رأيه سريعا

فانتقل

فانتقل الى ضده وهذا الفاضل اذ سمع أيضا نظير ذلك وهو قوله اترك الان فاننا
على هذا الحال يليق بنا أن نتمم كل بر أطاعة فى الحين لانهما ماكانا يؤثران الغلبة
على جهة التمادى فيها لكنهما اوضحا حبهما وطاعتهما وتدربا أن
يقبلا من سيدهما كلما أمرهما به وتأمل كيف اقتاده فى هذا الموضع مما
توهم به خصوصا ان الفعل الكائن منه غير واجب لانه ماقال له هذا واجب
علينا على هذه الجهة لكنه قال هكذا يليق بنا لانه لما توهم ان هذا الفعل يمتنع
كثيرا أن يكون موهلا له وهو أن يعمده عبده وضع هذا القول خصوصا
وهو عبادته اياه ومقابلته كانه قال الست تهرب من هذا الفعل وتمتنع كانه
غير لايق بى فلهذا الغرض بعينه اترك الان فانه لايق بى خصوصا
وماقال اترك على بسيط ذاته لكنه أضاف اليه الان اى ان هذه الافعال
لاتكون دائما لكنك ستبصرنى فى هذه الافعال التى تشتهيها فاصطبر
الان على هذه واراه ان هذا لايق وان سألت كيف يكون لايقا
أجبتك أنه لايق بنا أن نتمم الشريعة كلها وبهذا المعنى فاذا وضحه قال
كل بر لان تمام الوصايا الاخر كلها بر وقال اذا كنا قد تممنا الوصايا الاخر
كلها وبقيت هذه الوصية فينبغى أن نضيف هذه اليها لانى جئت
لاجل اللعنة الموضوعة على مخالفة الشريعة فيجب على أولا أن اتممها كلها
واريحكم من تبعتها وأسكنها على هذه الجهة وأبطلها فيليق بى
أن اتمم الشريعة كلها اذ يليق ان أحل اللعنة المكتوبة عليكم فى
الشريعة لانى لهذا السبب أخذت جسما وحضرت حينئذ أيضا تركه يوحنا
واذا اصطبغ يسوع صعد فى الحين من الماء واذا بالسموات قد انفتحت له
وأبصر يوحنا روح الله منحدرا بصورة حمامة موافيا اليه لانهم اذ توهموا أ
يوحنا هو أعظم منه كثيرا لاجل صرفه زمانه كله فى البرية وكان ابنا
لرئيس كهنتهم واتوشحه بثوب هذا صفته ولاستدعائه كل أهل تلك البلاد

الى معمودیته ولانه ولد من عاقر ویسوع ولد من جاریة حقیرة لان ولادته من البتولیة ما كانت بعد واضحة عند جمیعهم واوضع اعتدائه فی منزله وتصرفه مع كافة من حضر عنده ولبسه الثیاب التی یشترك الناس فی لبسها فكانوا یتوهمونه انقص محلا من یوحنا لانهم ما كانوا قد عرفوا بعد ولا صنفا من تلك الاصناف المتقدم وصفها وحدث أیضا انه اصطبغ من یوحنا فحقق ذلك توهمهم هذا كثیرا انه لم یكن واحدا من الاولین لانهم اعتقدوا انه واحد من الناس الكثیرین لانه لو لم یكن عندهم كاحد الناس الكثیرین لما جاء الى المعمودیة مع الكثیرین وكان یوحنا عندهم أعظم محلا منه وأعجب كثیرا فحتى لا یتمكن هذا الرأی عند أكثر الناس فتحت السموات عند اصطباغه وانحدر الروح ومع الروح صوت منادیا برتبة الوحید واذ كان الصوت قائلا هذا هو ابنی الحبیب الذی به سررت قد ظن أكثر الناس الحاضرین انه یلایم یوحنا أكثر مما یلایم غیره لانه ما استثنی بأن قال هذا المصطبغ لكنه قال هذا هو على بسیط ذاته فلئلا یتوهم كل واحد من الذین سمعوا انه قد قیل فی وصف الصابغ لیس فی حال المصطبغ بسبب رتبة الصابغ بعینها ولاجل الاوصاف التی ذكرناها كلها لذلك جاء الروح بصفة حمامة مستجذبا الصوت الى یسوع فجعلته واضحا عند جماعة الحاضرین لان قوله هذا هو لیس هو من أجل یوحنا الصابغ لكنه انما قیل لاجل یسوع المصبوغ ولقائل أن یقول فكیف ما صدقوه وقد حدثت هذه الحوادث لاجله فنقول له ان على أیام موسى النبی قد حدثت عجائب كثیرة وان لم یكن حالها حال هذه وبعد تلك العجائب كلها وبعد الاصوات والبوق والبروق عملوا عجلا وعبدوا بعل فاغور وهؤلاء هذه السجیة سجیتهم وهم باعیانهم حضروا حینئذ وأبصروا قیام العازر ومع ذلك أبتعدوا هذا الابتعاد من تصدیق

مبدع تلك الايات حتى انهم فى أوقات كثيرة قصدوا قتله فان كانوا بهذه
الصورة اذا بصروا الذى اعينهم قيامة أموات قد لبثوا على حالهم هذا الخبيث
فليس بعجيب ان كان لم يقبلوا الصوت الوارد من العلو وبيان ذلك ان انفسنا
اذا كان رائها سخيفا يستحوذ عليها او ملتوية قد صار سقم الجسم وما تخبح الى صنف
من هذه الاصناف كما انها اذا كانت صائبة الرأى مقتادة تقبل كلما
يقال لها بتصديق وتوفى به جدا فلا تقولن هذا القول انهم ما صدقوا
الصوت لكن أطلب هذا المطلوب وهو هل ما حدث كل ما كان
وجب عليهم تصديقه ولعمرى ان الهنا نظم هذا الصنف على انفراده
من الاحتجاج بلسان النبى من أجل كل ما جرى وذلك ان اليهود لما ارتجوا
أن يهلكوا وان يدفعوا الى عقوبة وأصله الى اقصائها لئلا يعيب احد
سياسته من جهة خبث أولئك قال ما الذى كان واجبا على أن أعمل بهذا
الكرم مما عملته وتأمل هذا المعنى فى هذا الموضع ما الذى وجب أن يكون
فيما كان ومتى نشأت مذمة فى وقت من الاوقات فى ذكر سياسة الله تقدس
ذكره فواجه بهذا المعنى من الاحتجاج الذين يتعاطون من كثرت خبثهم
أن ينموا انظرا به جرايح بديعة صارت ومقدمات للنعم المأمولة لانه لم تفتح
الجنة بل السماء فتحت الان الكلام الذى نطعن به على اليهود
ينبغى ان نخزنه عندنا الوقت غيرهذا وباسعاد الله ايانا الان انا نرجع الى
الى ما كنا فيه فنقول واذا اصطبغ يسوع صعد فى الحين من الماء واذا بالسموات
قد انفتحت له وان سألت فلم انفتحت السموات أجبتك لتعلم انك عند
اصطباغك أنت يحدث هذا الحادث وتنفتح السموات اذ يدعوك الله
الى الوطن العلوى ويحقق لك الا تملك شيئا مشتركا بينك وبين الارض
وان كنت ما تبصر ذلك فلا تكذب حصوله وذلك ان فى المبادى قد ظهرت
مثل هذه المناظر والجرايح من أفعال شريفة روحية ذائعة بسبب

الراسخين أوضح رسوخ فى زوال فهمهم المحتاجين الى نظر محسوس ولا يمكنهم
أن يستمدوا ولا همة واحدة لطبيعة خائبة من جسم وهم باهتون الى الاشياء
الملحوظة فقط حتى لا تصير فيما بعد هذه المناظر التى تقبل ما يستبين منها
دفعة وفى الابتداء بتصديقها وبيان ذلك ان فى زمن الرسل حصل صوت
هبوب عابرة وظهرت مناظر ألسن نارية لكنها ما ظهرت لاجل الرسل بل
لاجل اليهود الذين حضروا فى ذلك الوقت لكننا مع ذلك وان لم يحدث
آيات محسوسة تقبل فى لحظة ما يستبين منها ولعمرى ان الحمامة لهذا
الغرض ظهرت لترى الحاضرين ويوحنا كانها اشارة عوض أصبع لتظهر
لهم ابن الله ولم تظهر لهذا الغرض فقط لكن لتعلم أنت عند اصطباغك
مجىء الروح لك فليست بنا حاجة الى نظر محسوس أيضا اذ تصديقنا
يكفينا بدلا من الدلائل كلها وان تلك الايات ليست للذين قد آمنوا
لكنها للذين لم يؤمنوا وان سألت فلم ظهر الروح بصورة حمامة أجبتك
لان هذا الصنف هو من صنوف الحى الانيسة النقية اذ الروح روح وداعة
فلهذا السبب ظهر بهذا الصورة ولمعنى آخر ليذكرنا بخبر قديم وهو
انه لما دهم المسكونة كلها فى وقت من الاوقات الطوفان العالم وهلك جنسنا
كله عند تورطه فى شدة هلاكه ظهر هذا الصنف من أصناف الحى وأبان
انحلال الشتاء وحمل غصنا من شجرة زيتون وبشر بخلاص الدنيا العام
وسكونها وهذه الرسوم كلها كانت مثالا للحوادث الكائنة وذلك ان
أحوال الناس كانت أسوء الاحوال كثيرا وكانوا مستحقين عقوبة اعظم من
غيرها جدا فبذكر ذلك الخبر لا تيأس لان فى ذلك الحين اذ كانت أحوالنا
موجبة لليأس حدث حلها وتلافيها لكنه حدث حينئذ بعقوبة وقد صار
الان بنعمة يتجاوز وصفها وبموهبة فلهذا السبب ظهرت الحمامة لا حاملة
غصنا من شجر الزيتون لكنها ظهرت مظهرة معتقنا من كافة شرورنا باسطة

لنا

لنا أما الاصالحة لانها ما أخرجت من السفينة انسانا واحدا لكنها بظهورها أصعدت المسكونة كلها الى السماء وبدلا من حملها غصنا من زيتونة حملت لجنس الناس شعاع النبوة بالوضع فاذا فهمت جسامة موهبة الروح فلا تقدر رتبته انقص محلا لظهوره بهذه الصورة لانى أسمع أقواما يقولون ان مقدار ما بين الانسان وبين الحمامة هو بقدر ما بين المسيح وبين الروح لان المسيح ظهر فى طبيعتنا والروح ظهرت فى صورة حمامة فما الذى ينبغى أن نقوله ردا على هذه الاقوال نقول ان ابن الله اتخذ طبيعة انسان والروح فما أخذ طبيعة حمامة ولهذا السبب ما قال البشير انه ظهر فى طبيعة حمامة لكنه قال انه ظهر فى صورة حمامة ولا ظهر بعد ذلك فى هذا الشكل وانما ظهر به فى ذلك الحين فقط فان قلت ان رتبته تكون لاجل هذا الشكل أنقص محلا فان الكاروبيم على قياسك هذا أزيد منه محلا وأفضل كثيرا ومقدار ذلك هو بقدر فضيلة النسر على الحمامة لان الكاروبيم تمثل على هذه الصورة وتكون الملائكة أيضا أفضل محلا منهم لانهم قد ظهروا فى أكثر الاوقات فى شكل الناس ولكن هذه الاقوال ليست صحيحة وذلك ان حقيقة الشئ غير سياسته وتحذره ومقاربته غير نظره الوقتى فلا تكونن خاليا من الشكر للمحسن اليك ولا تقابل الواهب لك عين السعادة باضداد الواجب عليك له لانه مهما تكن رتبة النبوة بالوضع فهنالك تبطيل الاعمال الشريرة ومجازاة بالنعم الصالحة لهذا السبب بطلت معمودية اليهود واستمدت معمودية تنا مبداها وما جرى فى الفصح بعد ذلك هو متقن فى المعمودية الان لان ربنا هنالك استعمل الفصحين كليهما فبطل الفصح العتيق ومنح فصحنا الجديد ابتداءه وههنا تم معمودية اليهود وفتح مع ذلك أبواب كنيسته وكما فعل حينئذ الفصحين فى مائدة واحدة فكذلك أبدع الان المعموديتين فى نهر واحد فصور الظل

ووضع الحق لان معمودية هذه وحدها تمنح نعمة الروح ومعمودية يوحنا كانت خالية من هذه الموهبة ولهذه العلة لم يعرض فى زمان ولا احد من المصبوغين عارض هذا حاله وانما عرض فى زمان المزمع أن يسلم الينا هذه الموهبة وحده لنعرف هذا المعنى معما قد قيل ان هذه الموهبة ما أبدعتها طهارة الصابغ لكن أبدعتها قدرة المصبوغ ففى ذلك الحين انفتحت السموات ونزل الروح لانه أخرجنا من الطريقة العتيقة الى السيرة الجديدة وفتح لنا الابواب الى العلو وأرسل الروح من هنالك داعيا ايانا الى الموطن الذى هنالك وليس داعيا ايانا على بسيط ذاته لكنه دعانا بمرتبة عظيمة لانه ما صنعنا ملائكة ورؤساء ملائكة لكنه جعلنا بنين لله ومحبوبين وعلى هذا الحال اجتذبنا الى تلك النهاية العظيمة المقدار

العظـــــــــــــة

فى ان المسيحى يعاقب أكثر من غيره متى لم يظهر سيرة فاضلة

فاذ قد عرفت هذه المواهب كلها فسبيلك أن تظهر عيشة موهلة لحب داعيك وللطريقة التى هنالك وللكرامة التى منحتها باتصالبك عن الدنيا وبصلبك الدنيا عند ذاتك مارس سيرة السموات مبالغة فيها ولا تظن انك نقلت الى السموات اذا انك تملك صنفا مشاعا بينك وبين الارض وذلك انك قد ملكت رأسك جالسا فى العلو ولهذا السبب جاء سيدنا أولا الى ههنا وأحضر معه ملائكته فأخذك حينئذ وذهب الى هنالك لتعرف انه ممكن لك قبل صعودك الى هنالك أن تسكن الارض كمن سكن السماء فسبيلنا أن نثبت محافظين على شرف جنسنا الذى تسلمناه منذ ابتدائنا ونبتغى كل يوم قصور الملكة التى هنالك ونحسب كلما ههنا ظلا ومناما فلو ان ملكا من الملوك الذين فى الارض أخذك بعد ان كنت مسكينا متكبدا فجعلك على غفلة ابنه لما كنت تفتكر فى كوخك وفى حقارته

على ان الحظ الاوسط هنالك ليس جليلا فلا تفتكرن فى شئ من الاشياء المقدمة
أولا فى هذه الدنيا الا انك ما قد دعيت اليها بل الى ما هو أعظم منها كثيرا
لان الذى دعانا هو سيد الملئكة والخيرات التى تفوق كل وصف وفهم وتمييز
نه لم ينقلك كما نقل الرجل المسكين ذلك الملك من أرض الى أرض لكنه
نقلك من الارض الى السماء ومن طبيعة ميتة الى طبيعة لا تموت والى شرف
لا يمكن وصفه وحينئذ تقدر طبيعتنا ان تظهر مستحسنه عند تمتعنا بها على
تلك الحال فاذا كنت تؤمل أن تنال نعما صالحة هذه صفتها أتذكر الاموال
وتتشبث بالخيال فى هذه الدنيا أوما تفتكر بان الاملاك الملحوظة كلها انها
أحقر من خلقان الفقرا وكيف تظهر وجها لهذه الكرامة وأى اعتذار
تعتذر به والاليق أن نقول آية طائلة من العذاب تستحقها عند احضارك عدوا
الى ذلك المنعم الذى منه هذه المواهب الجليلة لانك ما تعذب أيضا تعذيب انسان
على بسيط ذاته لكنك تعاقب على انك قد أخطأت الى ابن الله وتصير لك
جسامة تكريمك زيادة العذاب العظيم وبيان ذلك انه نحن اذا أخطأ
عبيدنا وأذنب أبناؤنا ما نعاقبهم عقوبة هى هى بعينها على مثال واحد
ولاسيما اذا استمدوا منا احسانات عظيمة لان الذى خول الجنة ملكا ان كان
بسبب معصية واحدة قاسى بعد تكريمه شدائد هذا مبلغ كثرتها فنحن
الان الذين قد تسلمنا السماء وصرنا وارثين مع الوحيد أى عفو ننال اذا
اسرعنا الى الحية بعد المحاماة لاننا ما نسمع أيضا قوله اننا أرض والى أرض نعود
ونعمل الارض ولا تلك القضايا الاولى لكننا سنسمع أصعب من تلك
القضايا كثيرا وهى الظلام الاقصى خروجا من غيره والعقالات التى لا
يمكن انفكاكها والدود النافث سمه وصرير الاسنان وذلك على جهة الواجب
جدا لان من لم يصر بعد الاحسان اليه الجزيل تقديرها أفضل مما كان
فعلى جهة العدل يؤدى الى حالة أصعب من غيرها وأصلة من شدتها الى

أقصى غايتها ولعمرى ان ايليا النبى قد فتح مرة السما ثم أغلقها لكنه فتحها
حتى ينزل منها مطرا وأغلقها حتى يحجز انحداره الان السماء لم تفتح لك على
هذه الجهة لكنها فتحت لك حتى تطلع اليها وأعظم من ذلك انها فتحت
ليس حتى تطلع اليها فقط لكن حتى تصعد ان شئت اناسا آخرين
اليها فقد أعطاك الرب دالة هذا مبلغها وسلطانا فى املاكه كلها فاذا كان
هنالك منزلنا فينبغى لنا ان نخزن هنالك كلما قد حصل لنا ولا نترك ههنا شيأ
لئلا نضيعه لانك فى هذه الدنيا قد وضعت على ما تملكه اقفالا وابوابا
وأقمت على حراسته عبيدا كثيرة العدد وقهرت اللصوص وعمال الشر كلهم
وانفلت من الحفاظ حسادك فلو نجيته من السوس ومن الفناء الصائر من
الزمان وذلك ممتنع فلا تفلت من الموت فى وقت من الاوقات وتسلب تلك
الاملاك والاشياء كلها فى لحظة واحدة من الزمان وما تسلب منك فقط لكنها
ستتناولها ايدى أعدائك واذا ما أرسلتها الى ذلك المنزل ستكون أعلى من سائر
النوائب لانك ما تحتاج ان تضع عليها قفلا ولا بابا ولا سنكرا لان تلك المدينة
قوتها هذه خاصتها وتلك البلدة هى بهذا المثال لا تسلب لانه لا يدخل البلى
والفساد والخبث كله السلوك فيها وكيف لا يكون هذا من زوال فهم فى غايته
ان نجمع كلما نمتلكه فى مكان يهلك ويفسد كلما يوضع فيه ولا نخزن ولا البعض
من مالنا فى مكان يبقى فيه يمتنع ان يلمسه لامس ويصيرا كثر مما كان وذلك هو
المكان الذى نؤمل ان نعيش فيه كافة زماننا لهذا السبب يكذب اهل بلد
غلاطيه الاقوال التى نقولها لانهم يريدون أن يأخذوا البرهان منا مما نعمله
ليس مما نقوله وما داموا يبصرون لنا منازل معمورة بهى حسنها وبساتين معمولة
فى غاية الاتقان وحمامات وحقولا قد ابتعناها فلا يريدون ان يصدقوا اننا
نتجهز الى الانصراف الى مدينة أخرى لان أحدهم يقول لو كان هذا عزيزا لباعوا
كلما لهم ههنا وقدموا ادخاره لهم هنالك وهذا الغرض يحدثون عليه مما

نعمله

نعمله نحن ههنا وذلك اننا نرى الموسرين جدا يقتنون منازل وحقولا وغير
هذا من الاملاك كلها في تلك البلدان والمدن خصوصا التي يؤملون ان يقيموا
فيها الا اننا نحن نعمل بخلاف ذلك نقتني الارض التي نتوقع بعد مدى يسير
أن نتركها و يشتد حرصنا في امتلاكها ونخرج ليس أموالنا فقط بل نخرج
معها دمنا أيضا من اجل ارض و بيوت حقيرة وما نستحيز ان نعطي من اجل
ابتياع السماء ولا ما يفضل عن حاجتنا واذا عزمنا على ذلك فانما نبتاعها
بقيمة يسيرة ونمتلكها دائما ان ابتعناها فبهذا السبب سنرى أموالا في غاية
صعوبتها عند ذهابنا الى هنالك عراة فقراء والاليق ان يقال اننا نقتصر بسبب
تمسكنا بها لكنا ستكبد نوائب من العذاب جسيمة لاننا نجعل اناسا غيرنا في
حالة نظير حالتنا و بيان ذلك أن اهل بالدغلاطية اذا بصروا النصارى الذين
قد تمتعوا باسرار هذا مبالغ جسامتها حريصين على هذه الاملاك ويجدون
في طلب الاشياء الحاضرة باوفر اجتهادهم و يجمعون على هامتنا من هذه الجهة
نارا كثيرة جدا لانهم اذا أبصرونا نحن الذين يجب علينا ان نعلمهم ان يعرضوا
عن الاملاك الحاضرة كلها نزج أنفسنا في اشتهائها أكثر منهم فتى نقدران
نخلص وقد تقلدنا جنايات هلاك اناس آخرين أفما قد سمعت المسيح قائلا
انه قد تركنا في هذه الدنيا بدلا من ملحها ومصابيح النضم الذين فسدوا فنعمهم
ونشددهم ونضيء على الذين قد أظلموا باهتمامهم باموالهم ونثيرهم فاذا زجيناهم
الى ظلام اكثر و جعلناهم اكثر رخاوة مما كانوا فاي أمل خلاص يكون لنا
فلا يكون ثم أمل للخلاص ولا يكون لنا بعد صنف لكننا سنشهق باكين
ونصر باسناننا ونساق الى نار جهنم مربوطة أيادينا وأرجلنا بعد ان يكون
قد عملنا بهموم شر وتنا عملا محمودا فاذا تفطننا في هذه الاعمال كلها فسبيلنا ان
نحل عقالات هذه الخدعة عنا لكيلا نسقط في تلك العوارض التي تدفعنا الى
نار لا تخمد لان من يتبع امواله سيكون مغلولا بسلاسلها التي ههنا والتي

هنالك تحت جنايتهادائما ومن قد تخلص من شهوة الاموال هذه الردية فسيرزق الحرية ههنا وهنالك ولكى نرزق نحن هذه الحرية ينبغى لنا ان نكسر نير حب الاموال الصعب ونريش ذواتنا للطيران الى السماء بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى له المجد مع الاب والروح القدس الى الابد آمين

المقالة الثالثة عشر

حينئذ اصعد الروح يسوع الى البرية ليمتحنه المحتال

حينئذ اى بعد هبوط الروح عليه بعد الصوت المقرب له من العلو القائل هذا هو ابنى الحبيب الذى به ارتضيت والعجب من هذا ان الروح القدس أصعده لان ذكر ههنا ان الروح اصعده لانه اذا كان قد عمل كافة اعماله وصبر على كلما ناله تعليما لنا صعد الى هنالك والى الصراع مع ابليس المحتال لكى اذا اصطبر واحد واحد من الذين اصطبغوا على محن عظيمة بعد معموديته لا يرتجف او يخاف من قد حدث عليه حادث بخلاف ما توقعه لكن يصبر محتملا كلما يوافيه باوفر تجلد كانه قد ناله ذلك على انسياق نظامه لانك لهذا السبب أخذت أسلحة لا لتبطل بل لتحارب بها لهذه العلة ليس يمنع الله المحن عند كونها أولا لتعلم انك قد صرت أشد قوة مما كنت كثيرا وثانيا لتلبث متذللا ولا تترفع بجسامة المواهب الحاصلة لك اذ المحن تقتدر ان تقمعك وثالثا ليتحقق ذلك الشيطان الخبيث المشكك الآن فى مباينتك اياه فكن على يقين من تهذيب المحن انك قد أهملته أتم اهمال وابتعدت عنه ورابعا لتكون

بالمحن

بالمحن أشد قوة من كل حديد واكثر ثباتا وخامسا لتحصل برهانا بينا للذخائر
التى أوتمنت عليها الان ابليس المحتال لولا انه عرف انك حاصل فى تكريم اعظم
محلا لما كان قام فى هذه الجهة فانه انتصب لآدم منذ القديم اذ عرف انه متمتع
برتبة جليلة ولهذه العلة كان قاوم أيوب لما أبصره قد كلله الله الكل وأشاع
ذكره كثيرا وان لقائل يقول فكيف قال ربنا ابتهلوا ان لا تدخلوا فى امتحان
فنقول له لهذه العلة ما أراك يسوع على بسيط ذاته مغموما لكنه أراكه
مصارعا على معنى سياسته دالا بهذه الاقوال اننا ما نحتاج الى ان نطفر هاربين
منها لكن ينبغى لنا ان نثبت عند شجبها ايانا باوفر شهامتنا وانظر الى اين أصعده
الروح لما أخذه ليس الى مدينة وسوق لكنه أخذه الى البرية ولعمرى انه
شاء ان يستدرج ابليس المحتال ليس بجوعه فقط لكنه مع ذلك خزله المكان
المقفر أيضا حجة لامتحانه وذلك أن ابليس المحتال من عادته حينئذ أن يوضع
علينا تجارب شديدة حين نكون على انفراد وعلى هذه الجهة وضع فى القديم
على المرأة لما وجدها وحدها وصادفها منفصلة عن رجلها لانه اذا وجدنا
ملتئمين مع اناس آخرين فلا يثق نظير ثقته تلك ولا يبادر بتجربته فلذلك نحتاج
احتياجا حاضرا وربما لهذا السبب خصوصا ان نوافق بعضنا بعضا دائما حتى
لا يتيسر لابليس المحتال اقتناصنا فاوجده فى برية مقفرة غير مسلوكة والدليل
على ان تلك البرية كانت صورتها هكذا ما اوضحه مرقس الرسول عند قوله انه
كان مع الوحوش وانظر باية مخاتلة وخبث تقدم اليه وأى وقت رصده لانه
ما تقدم اليه فى حين صومه لكنه تقدم اليه فى حين جوعه لتعلم أنت أن الصوم
عظيم الفائدة وهو سلاح على ابليس المحتال عظيم المنفعة وانه يجب عليك بعد
اصطباغك الا تصغى الى التنعم والسكر ولا الى مائدة كثيرة ألوانها لكن سبيلك
ان تستعمل الصوم متصلا لانه لهذا السبب صام هو ولم يكن محتاجا اليه لكنه
صام ليعلمنا واذا كانت الخدمة للبطن أوردت واخترعت خطايانا التى قبل جميع

التعميد وبمنزلة طبيب يعتمد أن يجعل السقيم صحيحا فيأمره الا يعمل تلك الاعمال التي كانت سبب سقمه كذلك عمل ربنا في هذه الفوائد استورده وبعد استتمامه صومه لان آدم انما أخرجه من الجنة زوال اعتدال جسمه وهذا الشره في الاكل سبب الطوفان أيضا في ايام نوح وهو أهبط الصواعق على اهل سدوم واثن كان ذنبهم ذنب الزناء لكن أصل كل اصناف عذابهم من هذا الداء لانه افرع ناشئا فقد أومأ اليه حزقيال النبي اذ قال بل مجانبة أهل سدوم لشريعة الله هذه كانت انهم كانوا يتفخمون بكبرهم ويتفكهون بالتملي من الخبز وبصنوف خصب غلاتهم فمن هذه الجهة تكونت المساوي العظيمة عليهم ومن سكرهم ومن تنعمهم جنحوا الى مجانبة شريعة الههم لاجل هذه العلة صام موسى أربعين يوما لبر بنا دواء خلاصنا ولم يتماد فيه الى أبعد غاية منها حتى لا يكون افراط العجيبة يكذب حقيقة سياسته ولولا ان موسى وايليا سبقاه الى فعل ذلك لما كان فعله الان واقتدران يخرجنا الى طول صوم هذا مبلغه متأيدين بقوة الله ولو كان تماد هو فيه الى أبعد غاية من ذلك لكان من هذه الجهة تقرر عند كثيرين من الناس ان اتخاذ جسمنا ليس حقيقيا فاذ صام أربعين نهارا وأربعين ليلة جاع أخيرا وأباح للمجرب حجة لامتحانه ليتقدم اليه حتى اذا عاركه يرينا كيف يغلبه ويقهره وهذا العمل يعمله المجاهدون لانهم يعلمون تلاميذهم أن يبلغوا ويقهروا بمعاركتهم في المعارك طائعين أقواما آخرين اذ يقتادونهم أن يتقووا ويتجاسروا على معانديهم ويعلمونهم طريقة الظفر وهذا قد حدث حينئذ لان ربنا اذ شاء أن يتجذب المجرب الى هذا جعل جوعه واضحا عنده واذ تقدم اليه قبله واذ قبله دفعه دفعتين وثلثة وغلب حيله الواجبة عنده ولكن لئلا نتجاوز هذه الظفرات فنفسد منفعتكم فسبيلنا أن نبتدي

من معاركته الاولى وتبحث عن واحدة واحدة منها فنقول قال البشير
واذ جاع تقدم المجرب اليه وقال له ان كنت ابن الله فقل ان تصير هذه الحجارة
خبزا لعمري ان المحتال اذ سمع من العلو صوتا منذ فعا قائلا هذا هو ابني الحبيب
وسمع يوحنا شاهدا بهذه الشهادات الجزيل تقديرها الاجله ثم ابصره جائعا
حصل في حيرة من جهته وما استطاع أن يصدق انه انسان مجرد بسبب
الاقوال التي قيلت لاجله ولا أمكنه أيضا أن يقبل انه ابن الله لانه أبصره
جائعا فلهذه العلة احتار في أمره وأبدى أصواتا مرتابة وكما انه في القديم
تقدم الى آدم واخترع ما لم يكن قد قيل له ليعرف بذلك ما قد قيل له
فكذلك عمل هذا العمل ههنا واذ لم يكن يعرف معرفة بينة سر التدبير الذي
لا يباح به ممن هو الحاضر في ذلك الوقت اراد أن يضفر شبا كا انوى
توهم انه يعرف بها السر المكتوم الغامض فقال ان كنت أنت هو ابن الله
فقل ان تصير هذه الحجارة خبزا ما قال ان كنت أنت هو ابن الله متوهما انه
يسترقه بمديحه فلذلك صمت عن ذكر جوعه لئلا يظن انه يقدم الجوع
ليعيره به لانه لم يكن يعرف جسامة الفوائد التي دبرها ربنا وظن ان هذا
الجوع شنعة له فلذلك طرح ذكره وذكر المرتبة وحدها بابا وفر مخاتلة
ولكن المسيح له المجد قد هدم صلفه موضحا ان عارض الجوع لا يوجب الخزي
ولم يصمت ذلك عنه عند ذكره له عديما أن يكون موهلا لحكمته
وهذا فقد أورده هو الى وسط كلامه قائلا لا يعيش انسان بخبز وحده
بل بكل كلمة تخرج من فم الله ومن هذه الجهة بداءة من اضطرار البطن
فتامل في مكر ذلك الشيطان الخبيث ومن أين بداءة مصارعاته وكيف
لم تنس ترصناعته لانه من المكايد التي أخرج بها الانسان الاول من الجنة
ودحرج أقواما غيره الى مكاره ردية عديدة منها اضنار في هذا الوجه نشه
أعني من تفريط البطن وقد يتجه لك ان تسمع كثيرين من الذين قد فقدوا

فهمهم قائلين بسبب جوفهم أقوالاردية عديدة الاان المسيح أظهر
وأوضح ان الممكين فى الفضيلة لايقدر هذا الداء الغاصب يضطره الى
فعل شئ مما لايجب فعله وانه جاع ولم يطع ماأمر به مودبا ايانا الانطيع
ابليس المحتال فى غرض من اغراضه واذ كان الانسان الاول من هذه
الجهة خالف الهه وخالف شريعته يعلمك أبلغ تعليم ولوان مايأمرك به المارق
ليس خلافا للمعترض الاتقبل منه ولاعلى هذه الجهة وماحاجتى ان اذكر خلاف
المعترض لانه قدقال ولوقالت الشياطين قولانافعا فلاتصغين على هذه
الجهة اليهم فعلى هذه الطريقة أبكم أولئك الشياطين الذين نادوا انه ابن الله
وبولس أيضا زجرهم اذهتفوا بهذا القول بعينه على ان ماقالوه كان نافعا
لكنه زجرهم زجرا كثيرا وعجزهم من اغتيالهم علينا ولما نادوا باراء مخلصة
طردهم وسد أفواههم وأمرهم أن يصمتوا ولهذا السبب ماجنح ههنا الى ماقالوه
لكنه قال ليس يعيش انسان بخبز وحده والذى قاله فهذا هو معناه ان الله
قادر أن يشبع الجائع بلفظه مورداله من الكتاب العتيق شهادة ويودبنا
ولوجعنا ولونابتنا أى النوائب كانت فلانبتعد ولافى وقت من الاوقات من
سيدنا فان قال قائل أنما كان سبيله أن يصير الحجارة خبزا فنقول له لم ذلك
ولاى سبب لان ذلك المحتال ماقال هذه الاقوال ليؤمن بربنا لكنه قال على
ماتوهم أن يطعن عليه لزوال تصديقه فانه على هذه الجهة خدع ابوينا
الاولين وطعن عليهما اذلم يصدقا الله تصديقا كاملا لان ذاك المحتال
وعدهما بمواعيد ضد ما قال الله لهما ونفخهما بامال فارغة
وطرحهما الى زوال تصديقهما لاقوال الله وعلى هذه الجهة أخرجهما
من النعم الصالحة التى كانا امتلكاها الاان المسيح أظهر ذاته غير جانح الى هذا
المحتال حينئذ ولا الى اليهود الذين يعقلون معقولاته فيما بعد عند التماسهم
آيات مؤدبا ايانا فى كل مكان ولو كنا نقدر أن نعمل عملا من الاعمال

الا

الا نعمل باطلاعطلاولا نقبل من ابليس المحتال ولودعتنا الى ذلك ضرورة الا ان ذلك المحتال النجس قهر اذلم يقدر يستميل من سأله الى فعل ما أمره به ولهذا قد شمله جزع جزيل تقديره فبرز الى امتحان غير ذلك فقال حينئذ مضى به ابليس الى المدينة المقدسة وأقامه على جناح الهيكل وقال له ان كنت أنت ابن الله فالق ذاتك الى أسفل فانه مكتوب انه يوصى ملائكته فيحملونك على أيديهم لئلا تعثر بحجر رجلك ولقائل أن يقول ماغرضه انه فى كل محنة يستثنى بهذا الاستثناء وهو ان كنت أنت ابن الله فنقول له ان الذى عمله فى زمن ابوينا الاولين هذا العمل يعمله الان لانه كما وشى بالله حينئذ قائلا فى أى يوم تأكلان من الشجرة تنفتح الحاظكما مريدا أن يريهما بهذه الاقوال انهما قد طغيا وخدعا وما قد أحسن اليهم احسانا فعلى هذه الصورة يومى ههنا الى هذا المعنى بعينه قائلا ان الله بلفظ باطل دعاك ابنه وقد طناك بموهبته والا فاذا لم يكن هذا الحال حالك فخولنا برهانا يكون لتلك القدرة التامة دليلا ولكن لما فاوضه من الكتب وأورد شهادة من النبى فكيف أجابه المسيح مااغتاظ ولا احتد لكنه خاطبه بوداعة جزيلة من الكتب أيضا قائلا لا تجرب الرب الهك مؤدبا ايانا انه يجب علينا ان نقهر ابليس المحتال ليس بالآيات لكن باحتمالنا وبطول اناتنا ولا نعمل عملا لاظهاره على بسيط ذاته وللمباهاة به وتأمل زوال فهمه من الشهادة التى أوردها وذلك ان الشهادات التى يوردها ربنا قد قيلت كلها بمعنى ملايم والشهادات التى يوردها ذاك المحتال هى على بسيط ذاتها وعلى ما اتفق وما يورد معنى ملايم للموضوع لها وذلك ان المعنى المكتوب انه يوصى بك ملائكته ليس يدل على أن الق ذاته ويكردسها والمعنى غير هذا وهو ان هذا القول ما قيل فى وصف ربنا لكنه ما ورد قوله هذا عاجلا على انه قد استعمل كلامه له على جهة المسبه مضاددا جدا لان ما يستمع

مستمنح هذه المطالب من ابن الله وانما يستمنحها من ابليس المحتال ومن
شياطينه وهى القوا ذواتكم الى أسفل ويستمنح الله ان ينهض الطريحين
لانه ان كان واجبا ان يظهر قوة فما يجب أن يلقى ذاته باطلا ويكردسها لكن
يجب أن يسلم أقواما آخرين ويخلصهم ولعمرى انه لخبث ذلك المحتال هو
أن يلقوا ذواتهم الى الاودية ومن شواهق الجبال فهذا العمل يعمله المضل
عندهم فى كل مكان الا ان المسيح لما قيلت له هذه الاقوال ما أعلى ذاته
لكنه خاطبه خطاب انسان جائع لان قوله ليس يعيش انسان بخبز وحده
وقوله لا تجرب الرب الهك ما كان قول معلن ذاته جليا لكنه قول موضح
ذاته كاحد الناس الكثيرين ولا تتعجب ان المحتال عند مخاطبته المسيح
لبث يتقلب دفعات كثيرة ويتغير رأيه لانه بمنزلة المصارع بالحديد اذا
اصابته جراحات قاتلة يتخضب بدمه وتظلم ابصاره فى جولانه فبهذه الصورة
كان ذلك المحتال اذا ظلم به من الضربة الاولى والثانية اقبل يتكلم بما يوجد
عنده على بسيط ذاته وبرز الى المصارعة الثالثة وأصعده الى جبل شاهق
واراه الممالك كلها وقال له هذه كلها اعطيكها اذا جثوت وسجدت لى
حينئذ قال له اذهب عنى يا شيطان فانه مكتوب للرب الهك تسجد
وله وحده تعبد لما اخطأ فيما بعد الى الاب الازلى بقوله ان البرايا ذاك
هى كلها له وأراد ان يظهر ذاته الها كمبدع الكل حينئذ زجره ولم يزجره
حينئذ باشد الزجر وابلغه لكنه زجره زجرا على بسيط ذاته بقوله اذهب
يا شيطان وهذا القول هو امر لا زجر لانه مع قوله اذهب جعله ان يهرب لانه
ما أورد بعد ذلك تجارب أخرى وللقائل ان يقول فكيف قال لوقا انه استكمل
كل محنة فنقول له على حسب ظنى انه عندما وصف رؤس المحن فكانه ذكرها
كلها لان المحن الاخرى ماخوذة من هذه الثلاث وبيان ذلك ان هذه المحن
الثلاث تحوى الافعال الشريرة العديدة وهى ان يخدم احدنا بطنه وان

يعمل

يعمل عملا موجبا للعجب وان يكون تحت تبعة الجنون بالاموال وهذا المعنى
اذ عرفه هذا النجس وضع المحنة التى هى اقوى المحن كلها اخيرا وهى شهوة
الاكثار لان داء الشره فى الاكل تجنح طباعنا اليه من اعلى سننا ومن ابتداء
انحاض الطاق بناء فاستبقاء داء حب الفضة اخر ذكر لانه اقوى
امراض العزم الاخرى لان هذه هى طريقة مصارعته ما يظن ان يبقى انه يعرقلنا
اكثر من غيره ويورده علينا اخيرا وهذا فقد فعله فى امتحانه ايوب الصديق
فلهذا السبب بدا من هذا الوجه مما ظن انه احقر من غيره واضعف فعلا
وانتهى الى ما هو اقوى ضررا ولسائل ان يسألنا فكيف ينبغى ان نقهر هذا
العنيد فنجيبه نقهره على حسد ما علمنا المسيح ربنا ان نلتجى الى الله ولا نتذلل
فى جوعنا مصدقين القادر انه يقيتنا بكلمته ولا نجرب فى المواهب الصالحة
التى نتسلمها من معطيها لكى نكتفى بالتشريف من العلو ولا نعتد بالشرف
الانسانى شيأ ونهون فى كل مكان بما يزيد عن حاجتنا لان ابليس فعلا
يجعلنا ان نسقط تحت ابليس المحتال على هذا المثال مثل اشتهائنا الاكثار
وعشقنا تكاثر القنية وهذا المعنى واضح مما نبصره مما يصير الان فى
زماننا لانه قد يوجد الان فى زماننا اناسا يقولون هذه النعم كلها نعطيكها
اذا جثوت وسجدت لنا فهم اناس فى طبيعتهم الات لذلك الشيطان
اذ كان فى ذلك الوقت قد تقدم الى ربنا ليس هو ذاته لكنه قد تقدم
عنده باخرين غيره وهذا المعنى قد ابانه لوقا الرسول بقوله ان المجرب
ابتعد عنه الى وقت موضحا بذلك انه قد تقدم الى ربنا بعد ذلك باناس
جعلهم الات له حينئذ تركه ابليس واذا بملائكة قد تقدموا اليه وابتدوا
يخدمونه لان الى حين كانت مساعى مصارعته ما اطلقهم ربنا ان يظهروا
حتى لا يطرد الضد بظهورهم فاذ وبخه فى جميع اقواله وجعله ان ينهزم
منه حينئذ ظهرت الملائكة لتعلم ان الملائكة ستقبلك بعد ان تقاطر عليهم مواقع

ظفرك باعدائك يصفقون ويخدمونك بهذه الفائدة حظى العازر بعد
اتون مسكنته ومجاعته وكافة ضيقته اخذته الملائكة وذهبوا وهذا المعنى
قد اعترض فى قولى ان المسيح اظهر سمات كثيرة الان للنعم التى تؤمل هنالك
وتؤمن نحن ان نتمتع بها أخيرا بنعمة ربنا يسوع المسيح الذى له المجد الى الابد
فانه لا ينبغى لنا ان ننظر الى الوجوه فى الاسطورات بل ينبغى ان نمتحن الذين
يخاطبوننا وفى قيامتنا وفى الملكوت وفى العذاب

(العظـــــــــــة)

فاذ قد حدثت هذه الحوادث كلها لاجلك فتمثل بهذه الغلبة وشابهها وان تقدم
الى عندك واحد من خدام ذلك الشيطان المميزين مما يميزه ذلك العنيد
ليعيرك قائلا ان كنت عجيبا متعظما فانقل لنا هذا الجبل فلا تنزعج
ولا ترتجف لكن جاوبه بوداعة وقل ما قد سمعت سيدك بقوله لا تمتحن
الرب الهك وان قدم لك غير هذا شرفا واقتدارا وكثرة اموال تفوق
الحصر وأمرك أن تسجد له فقف أيضا بتجلد فان ابليس المحتال ما عمل
هذا العمل فى عصر سيد جماعتنا فقط لكنه مع ذلك فى كل يوم يخترع
حيله هذه لكل واحد من عبيد سيدنا ليس فى الجبال فقط بل وفى
البرارى أيضا وفى المدن وفى الاسواق وفى مجالس القضاء ليس بذاته
لكنه يخترعها أيضا بالناس الذين من جنسنا فان قات فما الذى يجب
أن نعمله أجبتك سبيلنا ان نكذبه تكذيبا كليا ونسد اسماعنا
ونمقته اذا تملقنا وجربنا ومتى وعدنا بجسائم الخيرات نرتجع عنه ارتجاعا
كليا اذ كان حين رفع وهم حواء بامال خادعة باوفر مخادعته حينئذ
أهبطها وعمل بها المكاره الجسيمة نكباتها لانه عدو لنا يدبر مصالحته
ويخترع لنا حرية غامضة خائبة من انذر بها وما نجتهد نحن على هذا المثال فى

خلاصنا على حدما يجتهد هو فى هلاكنا فسبيلنا ان نرده ونرجع عنه
ليس بأقوالنا فقط لكن نرده مع ذلك بأفعالنا ليس بكفرنا بل بأعمالنا
ولا نجعل لرأيه محلا فاننا على هذه الطريقة نعمل ما يرتضيه الله و يؤثره ولعمرى
ان المحتال يعدنا مواعيد كثيرة ليس حتى يعطينا صنفا منها بل حتى يأخذ منا
ما هو أجل منها لانه يعدنا بأملاك من الخطف ليسلبنا الملكوت والعدل
و يضع فى الارض كنوزا مثالها مثال فخاخ ومقانص ليعدمنا و يفقدنا
الكنوز التى فى السموات ويريدنا أن نقتنى فى هذه الدنيا حتى لا نرى
التى هنالك وان كان لا يمكنه أن يخرجنا بالغنى من النهاية التى هنالك يسلك
بنا طريقا أخرى التى بالفقر وهذا العمل قد عمله فى عصر أيوب لانه لما
أبصره ان الغنى ما قد ضره ضررا ضفر له بالفقر شباكه مؤملا أن يقهره من
تلك الجهة وهذا الرأى أى شئ يكون أسخف منه لان من قدا قتدر أن
يحتمل الغنى بكل عفة يليق به أكثر أن يحتمل الفقر بأتم شهامة ومن
لم يتلهف الى الاموال عند حصولها فذلك ليس يطلبها اذا فقدها مثلما لم
يطلبها ذلك السعيد حين عدمها لكنه صار فى فقره أبهى حسنا ولعمرى ان
ذلك الشيطان الخبيث اقتدر أن يسلبه أمواله وأما حبه الخالص لله جل
ذكره فليس انه ما قدر أن يسلبه منه فقط لكنه جعله أقوى مما كان كثيرا
وعراه من كافة أملاكه وجعله يقتنى خيرات أكثر فضلا من تلك فلذلك
حصل فى حيرة لانه بمقدار ما أورد عليه صنوفا من ضربه كثيرا بمقدار ذلك
أبصره أقوى حينئذ مما كان كثيرا فلذلك تصفح كافة حيلة وحرص بها
لما لم يدع شيأ أكثر بادر الى سلاحه القديم وهو المرأة وجعلها تستبطن
له تظاهرا شفاقا عليه وتندب مصائبه ندبا يرثى له جدا وصيرها تتصنع لاجل
استخلاصه من أفاته بأن تشير عليه بتلك المشورة المهلكة الا ان المحتال
ما ضبطه على هذه الجهة لان ذلك الرجل العجيب عرف خدعته و بكثرة

فهمه أسكت المرأة المتكلمة من اغراء ذلك المحتال فهذا العمل سبيلنا
نحن ان نعمله وان استبطن لنا أخونا أو صديقنا مصافا أو امرأة أو ممن
كان ممن يلزمنا أمره وخاطبنا بالاقوال ليست واجبة فلا نقبل المشورة من
وجه المتكلم بتلك الاقوال لكن ينبغي ان نرد قائل تلك الاقوال من
مشورته المهلكة لانه الان يعمل هذه الاعمال وأمثالها كثيرا ويظهر
انه يرثى بنا ويظن انه نصوح ويورد ألفاظا مهلكة أردى من السموم
القاتلة فكذلك يجتهد لان يقلقنا ويغرينا لاضرارنا واهلا كنا
ولله أن يؤدبنا لما يوافقنا فلا نزوغ عن قياسنا ولا نبتغين فى سرحات
العيشة الملطفة المذخه فقد قال من يحبه ربه يؤديه فيجب علينا من ذلك اذا
تمتعنا بأيام طيبة ونحن عايشون فى خبث وشر ان نتوجع حينئذ كثيرا
لاننا اذا أخطأنا دائما فينبغى لنا أن نرتاع خايفين أكثر كثيرا اذا لم يصبنا
مكروه لان الله اذا تبصر مناطائله جزية فانما يجعل مقابلته ايانا
على خطايانا خفيفة واذا تمهل على صنف من جرائمنا فانما يخبأ ونا المقابلة
عدلة عظيمة اذا ابتئنا فى خطايانا وان كان الغم يلزم اضطرارا ان يعرض
للذين يحكمون الفضائل فالاليق به واوجب ان يعرض للذين يجترمون الخطايا
ابصر فرعون بكم تمهل تمتع ثم قوبل على كافة خطاياه مقابلة عدلة اخيرا
وكم خطايا اجترمها بختنصر وعند انقضاء عمره ادى كلما يجب عليه والغنى
اذ لم يصبه فى هذه الدنيا مكروه لهذا المعنى بعينه صار اشقى الناس جسدا
لانه تنعم فى هذه الدنيا وذهب الى هنالك ليقوم بالواجب على ذنوبه كلها
فى مكان ما يتجه له ان يجد تسلية لضنكه ومع ذلك فقد يوجد اناس على هذا
المثال مبادرين قد زال فهمهم حتى انهم يطلبون دائما ما فى هذه الدنيا فقط
ويقولون تلك الاقوال المتحرك عليها دعنى اتمتع عاجلا بالنعم الحاضرة كلها
وبعد ذلك اطلب الامال الغامضة إسر بمانى اخدم لذاتى استعمل حياتى

هذه احيى اليوم وأمتى غدا فهذا من زوال فهمهم فالذين يقولون هذه الاقوال ما الفرق بينهم وبين التيوس والخنازير لانه ان كان الذين يصلون على امرأة قريبهم لم يسمح النبي بان يسميهم اناسا فمن ينتقد علينا اذا حسبنا الذين يظنون الاشياء التي هي ابين ظهورا من الاشياء المنظورة غامضة انهم تيوس وخنازير وانقص من الحمير فهما فان كنت لا تصدق احدا من الناس الآخرين فقف بالشياطين المجلودين بحضرة القديسين على انهم قد تذربوا بان يقولوا كل شئ ويعملونه لاضرارنا لانه ما يمكنك ان تقاوم في هذا المعنى ان الشياطين انما يعملون كلما يعملونه حتى يزيدوا توانينا ويحلوا ارتياعنا من جهنم ولكي تكذب العقوبات التي هنالك الا ان الجن الذين يريدون هذه الخداعات يزعقون على كل حال ويولولون طالما نادوا بالعذابات التي هنالك الا ان الجن الذين يريدون تكذيب جهنم هم يقرون بها وان سألت فمن اين اتجه ان يقولوا هذه الاقوال وينطقون باضداد ما يريدون اجبتك ليسوا يتكلمون بذلك من جهة أخرى الا من مقاساتهم ضرورة تلزمهم بذلك أكثر الزاما لانه ليس في طباعهم ان يعترفوا بذلك طوعا ولا يريدونه ولا يريدون ان يقروا ان الناس الموتى يعذبونهم ولا يقاسون البتة صنفا مكروها وان سألتني لم قلت هذه الاقوال أجبتك قلتها الا بين ان الشياطين المريدين تكذيب جهنم يعترفون بجهنم وانت المتمتع بهذا الاكرام الجزيل مبلغه المشترك في اسرار يتعذر ان يباح بها ما تماثل اولئك الجن لكنك قد صرت اسخف منهم رايا وان قلت ومن جاءنا من عند الذين في جهنم اجبتك ان الذي جاءنا من السموات وقال لنا ان الله هو مبدع البرايا كلها هو الذي أخبرنا بذلك ومن اين يتبين لنا اننا قد امتلكنا نفسا لانك ان عزمت ان تصدق الاشياء المنظورة وتشك في وجود الله وفي وجود ملائكته وفي وجود عقلنا ونفسنا فستهلك عندك هذه الصورة اعتقادات الحق كلها على انك ان

شئت أن تصدق الاشياء الظاهرة فيجب عليك ان تصدق الاشياء غير
الظاهرة اكثر من تصديقك الاشياء الظاهرة وان كان ما قد قلته عجيبا
لكنه صادق فى كل وجه عند المالكين عقلهم والمعترفين به وبيان
ذلك ان حواسنا من عادتها ان تغش كثيرا الدس فى الاشياء الغير منظورة فقط
لان ابصارنا ما تعرف تلك الاشياء لكنها تغلط فى هذه الاشياء التى نظن
اننا نبصرها اذ يفوق استقصاءها مسافة المكان والهواء وتمييزنا
لا يمكن سلوكه ما دام الغضب والاهتمام عوائقا لنا واما فكر انفسنا
اذا استمد من الكتب الالهية نورها فيكون حكمه بليغ الاستقصاء
عن الموجودات واعلى من ان يوجد منطفيا فلا نطغين ذواتنا
باطلا ولا نجمعن بمعيشتنا المتولدة بهذه الادواء وامثالها نارا لانفسنا
أصعب نكاية بسبب هذه الاعتقادات باعيانها لانه ان لم نكن حكماء
ولم نقم بالواجب عما عملناه فانا نأخذ كرامات عما نعينا فيه تفطن الى اى مبلغ
تبلغ غوايات افتراشكم اذا قلتم ان الله العدل الواد للناس الانيس من شأنه
ان يعرض عن اتعاب واعراق هذا مبلغ تقديرها ويغفل عنها فكيف تحوى
هذه الاقوال احتجاجا فان لم تقايس ذلك من جهة أخرى لو كنت أنت قايسا
مرات كثيرة جانيا ومن ههنا يكون الانسان خاليا وانقص من الوحوش قياسا
لما كنت تختار أن تترك عبدك النصوح لك مهانا به عند وفاتك
لكنك تقابله بتحريره وهبة أموال واذ قد صرت فيما بعد غائبا من
الدنيا وما يمكنك أن تعمل به عملا صالحا توصى العتيدين أن يرثوا نعمتك
مراعاته متوسلا اليهم متضرعا عاملا كلما يمكنك حتى لا يبقى عبدك مسلوبا
تكريمه فاذا كنت أنت الخبيث صالحا بهذه الصورة متعطفا على عبدك
فالله ذو الخيرات التى لا تحد والمتعطف على الناس الذى لا يوصف
واصلاح الجزيل على هذه الصفة مبلغه ليغفل عن عبيده الذين يعادلون

بطرس وبولس ويعقوب ويوحنا الجياع كل يوم من أجله المدفوعين
الى السباع المعتقلين المضروبين بالسياط المغرقين المائتين الذين
قد قاسوا شدائد لا يمكن احصاؤها ويهملهم عادمين ان يكونوا مكالين ومذ شى
الجهاد يذيع ذكر المتكال فى معاركته ويكاله والسيد يجوذ على عبده
والملك يخلع على جنده وكل واحد من الناس على بسط ذاته يكافى من يخدمه
بالعطايا الجزيلة الجليلة التى يقتدر عليها والله وحده لا يكافى عبيده بعد
اعراقهم واتعابهم الجزيلة بهذه الصفة مكافاة صالحة لا صغيرة ولا كبيرة
لكنه يترك ذوى العدل المتهذب دينهم الذين تصرفوا فى كل فضيلة
متساويين بالزناة والضاربين أمهاتهم وقاتلى الناس ونباشى القبور ومن
أين تثبت هذه البراهين والحجج ان لم توجد سعادة بعد انصرافنا من
ههنا اذا كانت تنتهى أحوالنا الى هذه الحظوظ الظاهرة وأولئك فى هذه
الاحوال باعيانها والاليق ان نقول انهم ليسوا فى أحوال واحدة باعيانها الا انهم
ان كانوا على حسب قولك بعد هذه الدنيا فى أحوال هى هى باعيانها الا ان هؤلاء
قد لبثوا طول عمرهم فى هذه الدنيا فى راحة ونعيم وأولئك فى ضيقة وتعذيب
وأى مغتصب متمرد رأى انسانا قاسيا جافيا ارتاى هذا الرأى فى وقت من
الاوقات فى مقابلة الذين خدموه وأطاعوه أرأيت تفاقم هذه الشناعة
والى أين بلغ هذا القول الفاسد فان لم تشاء ان تتأدب ولا من جهة أخرى
البتة فتأدب من هذه الافكار وابتعد عن هذا الوهم الخبيث واهرب
من شره وجد فى طلب الفضيلة وحينئذ تعلم علما يقينا ان أحوالنا تنتهى
بانتهاء عمرنا هذا وان قال لك قائل فمن جاء ووصف لنا ما ههنالك
فقل له لم يأت الينا أحد من الناس ولو كان انسان جاءنا لكذب
دفعات كثيرة من طريق تفخمه بما يقوله وترفعه لكن سيد
الملائكة قد وصف لنا تلك الحظوظ كلها باستقصاء وصفها ها حاجتنا اذا

الى انسان اذا كان المزمع أن يطالبنا بما يجب له علينا يهتف كل يوم انه
قد اعد جهنم وسوم ملكه وخولنا براهين أقواله هذه الواضحة
لانه لو كان لا يحاكمنا لما كان يطالبك فى هذه الدنيا بالواجب له عليك
كيف يثبت هذا الغرض عينه بانه يعاقب من الاشرار قوما ولا يعذب
منهم قوما والله لا يأخذ بالوجوه لانه ليس محابيا فكيف يسمح
بان يقتص من هذا عدلا و يهمل ذاك يذهب من هذه الدنيا ناجيا من العقاب
فان هذا المعنى يكون أكثر من المعنى الاول ابهاما فاما ان شئتم أنتم ان
تسمعوا ما أقوله بعزم صائب ورأى صحيح فساحل لكم هذا الشك
وان سألتم وما هو حله أجبتكم ان الله تبارك اسمه ما يطالب كل الناس
فى هذه الدنيا بالواجب له عليهم لئلا تيأس من قيامتك وتكذب أمل
محاكمتك من جهة ان الناس كلهم فى هذه الدنيا يعطون جوابا عن أعمالهم
و يقابلون ههنا ولا يترك المجرمين كلهم يذهبون من هذه الدنيا ناجين
من عقاب يصيبهم لئلا تفطن وتظن ان أحوالنا كلها فاقدة عناية
تسوسهم لكنه يعاقب ولا يعاقب فيرينا بالذين يعاقبهم انه سيطالب
هنالك الذين لم يعاقبهم ههنا بحساب ما اجترموه و يجعلك بالذين لم يعاقبهم
ههنا ان تصدق انه بعد انصرافنا من ههنا يوجد مجلس قضاء مريع ولو كان
يهمل اعمالنا الاولى بجملتها لما كان قد عاقب فى هذه الدنيا اقواما ولا كان
قد احسن الى اقوام احسانا وها أنت الان تبصره ماذا اعماه الكتاب مشرقا
شمسه موسسا ارضه دافقا بحره باسطا هواه مرتبا القمر مساعيه واضعا
شرائعه لفصول السنة غير متزعزعة وبراياه الاخرى كلها باشارته ساعية سعيا
باستقصاء ترتيبه وذلك ان طبيعتنا وطبيعة البهائم الفاقدة النطق
الماشية منها والدابة والطائرة والسابحة والتى فى الغدران والتى
فى العيون والتى فى الانهار والتى فى الجبال والتى فى التلال والتى فى المنازل والتى

فى الهواء والبرايا على بسيط ذاتها تحركها تلك اليد الفاقدة التعب والتى فى البقاع والغروس والبزور والشجر البرية منها والبحرية المثمرة ونقيض المثمرة وكافة البرايا على بسيط ذاتها تحركها تلك اليد الفاقدة التعب التى تسوس حياتنا واهبة لنا منها ليس ما نحتاج اليه فقط بل قد خولتنا مع ذلك الخدمة منها لتفضيلنا وتكريمنا فاذ قد رأيت حسن ترتيب هذا تقديره على اننا ما وصفنا ولا اليسير من بعض ذلك يصح ان نقول ان المبدع لاجلك هذه البرايا الجزيل تقديرها الفائق عظمها يغفل عنك فى شدائدك ويهملك اذا قضيت عمرك طريحا مع الحمير والخنازير وقد اكرمك بموهبة تهذيب عبادته وشرفها التى هذا مبلغ جلالتها التى بها جعلك عديلا للملائكته افيعرض عنك بعد اتعابك وبعد اهراقك العديدة عددها وكيف تحتج بهذه الاقوال احتجاجا لان هذه المواهب ان صمتنا نحن عن اذاعتها فالحجارة تصيح بها وهى على هذا المثال بينة واضحة اعلى من شعاع الشمس سموا فاذا افتكرنا فى هذه الاقوال كلها وهكذا فى انفسنا ان بعد انصرافنا من هذه الدنيا سنقف فى موقف مريع ونقوم بالجواب عن جميع ما عملناه ونقاسى عقوبات ونتكبد مقابلة عادلة ان بقينا مذنبين وسنتمتع بأكله وبخيرات لا توصف اذا شئنا أن نحرص ونتيقظ لانفسنا قليلا فسنسكت بهذه الاقوال الذين يعاندوننا ونجتاز طريق الفضيلة ونسلكها لكى نحضر بمجاهرة واجبة فى مجلس القضاء الرهيب ونرزق النعم الصالحة التى وعدنا بها بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى له المجد الى الابد امين

المقـــالة الرابعـــــة عشر

واذ سمع يسوع ان يوحنا قد أسلم انصرف الى الجليل

ولسائل أن يسألنا فلاى غرض انصرف أيضا فنجيبه انصرف ليعلمنا

الانتجاسر أن نبرز الى المحن لكن ينبغي لنا ان نبتعد عنها ونهرب منها ونفرح لها
لان احتراسنا الانزج أنفسنا في خطر ليس هو زللا لكن اذا لم نثبت بأو في تجلد
متى سقطنا في محنة فذلك ذنب لنا واذ علمنا هذا المعنى وسلاحينئذ اليهود
ترك الناصرة وأنصرف الى كفرناحوم التي على ساحل البحر في تخوم زابلون
ونفتاليم وجمع في ذلك امرين وهما اتمامه النبوة واسراعه ان يقتنص
معلمي المسكونة اذ كانوا مقيمين هنالك مستعملين صناعتهم وتأمل أنت
كيف عزم في كل مكان أن يذهب الى الامم وسبب ذلك من اليهود لانهم
اغتالوا في هذا الموضع على السابق يوحنا والقوه في الحبس ودفعوه دفعا الى
جليل الامم والغرض في كونه لم يصف أمة اليهود ولم يذكر قبائلهم كلها
تعرف ذلك اذا تأملت كيف نجد النبي على هذا المثال قائلا أرض
نفتاليم طريق البحر عبر الاردن جليل الامم الشعب الجالس في الظلام
ابصروا ضوءا عظيما والظلام في هذا الموضع لا يريد به الظلام المحسوس لكنه
يريد به الضلال والالحاد ولذلك اتبعه بان قال الجلوس في بلاد الموت
وظله أشرق لهم ضوء ولكي تعلم انه لم يذكر ضوءا على بسيط ذاته لكنه
قال ضوءا عظيما وقد ذكره في غير هذا الموضع فقال ضوءا صادقا وعند
وصفه الظلام سماه ظل الموت وبعد ذلك أرانا ان ليس هؤلاء القوم طلبوا ذلك
فوجدوه لكن الاله من علوه ظهر لهم فقال ان الضوء بعينه أشرق ولمع
عليهم وما بادروا هم أولا الى الضوء وذلك ان أحوال الناس كانت قبل مجي
المسيح في حال التأخر وما كانوا يمشون في الظلام لكنهم قد جلسوا في ظلامهم
وذلك كان علامة انهم ما أملوا استخلاصهم وكانهم لم يعرفوا أين ينبغي
أن يمشوا على هذا النحو دهمهم ذلك الظلام وقد جلسوا فيه لا يستطيعون
فيما بعد أن ينهضوا ومن ذلك الوقت بدا يسوع ينادي و يقول توبوا
فقد اقتربت ملكوت السموات وان سألتم عن قوله منذ ذلك الوقت

متى هو أجبتك انه من وقت ماقبض على يوحنا وان قلت فلاى غرض لم يناداهم منذ ابتدا ظهوره وما الذى أحوجه بالجملة الى يوحنا اذا الشهادة من أعماله تنادى قلت لك لتعرف ولو من هذه الجهة رتبته انه كان أباه امثلك أنبياء فكذلك جاز هو نبيا وهذا المعنى قد ذكره زكريا وقال وأنت أيها الصبى تدعى نبيا للعلى وحتى لا يتبقى لليهود الزائد حجا لهم ولا حجة واحدة أوردها وعند قوله جاء يوحنا لا آكلا ولا شاربا فقالوا هذا به شيطان وجاء ابن البشر آكلا شاربا فقالوا ها انسان أكول وللخمر شارب صديق للعشارين والخاطئين فعدلت الحكمة من أولادها ولمعنى غير ذلك انه كان ضروريا أن يقول الشهادات أولا عنه غيره ولا يقولها هو عن نفسه لانهم ان كانوا قالوا بعد شهادات وبراهين هذا المبلغ مبلغها وهذا مقدار جسامتها أنت تشهد لنفسك فشهادتك ليست صادقة فلو لم يقل يوحنا شيأ وشهد هو أولا عند عبوره فيما بينهم ماالذى لم يكونوا قد قالوه فلهذا السبب ما نادى قبل يوحنا ولا اجترح عجيبة الى ان القى يوحنا فى الحبس ليلا تنشق الجماعة بهذا الاجتراح ولهذا السبب ما اجترح يوحنا ولا عجيبة واحدة ليدفع من هذه الجهة الى يسوع الشعب كله اذا اجتذبتهم اليه عجائبه وائن كانت الحوادث الجزيل مبلغها قد دبرت قبل أن يحبس يوحنا وبعد حبسه وكان تلاميذ يوحنا يشهدون له توهم كثيرون انه ليس المسيح لكنهم ظنوا انه يوحنا المسيح فلو لم يحدث حادث من هذه الحوادث أى عارض لم يعرض لهم فلهذه العلة يبين متى الرسول انه منذ ذلك الحين بداء ان ينادى وابتداء بالمناداة فما نادى به يوحنا وعلم به والمناداة التى نادى بها من أجله لم يكن بعد قال منها شيئا ولعمرى ان اظهار هذا كان على كل حال لازما مأثورا اذ كانوا اما امتلكوا بعد رأيا واحدا واجبا من أجله فلهذا السبب ابتدأ بالمناداة ما قال قولا مستثقلا مستكرها نظير ما قال يوحنا لما ذكر فاسا وشجرة

مقطوعة ورفشاو بيدراونار الاتخمد لكنه قدم للناس أقوالا صالحة مستلطفة
واعدا الجميع بسموملكه الذى هنالك وعندمشيه بقرب بحر الجليل أبصر
أخوين سمعان الملقب بطرس وأندراوس أخاه يلقيان فى البحر شبا كهما لانهما
كانا صيادين فقال لهما تعالا ورأى فأجعلكما صيادى الناس فتركا شبا كهما
وتبعاه ولعمرى ان يوحنا قد وصف أنهما قد دعيا على طريقة غير هذه فمن
هذه الجهة يتبين لنا ان دعوته اياهما كانت ثانية وهذا يتجه لك ان تعرفه
من جهات كثيرة لانه ذكر هنالك أنهما تقدما الى المسيح ولم يكن يوحنا بعد قد
ألقى فى الحبس وفى هذا المكان يقول أنه دعاهما بعد القاء يوحنا فى الحبس
وهنالك يذكر ان اندراوس دعا بطرس وههنا قيل ان يسوع قد دعاهما كليهما
ويوحنا ذكر ان يسوع لما أبصر سمعان اتى وقال أنت سمعان ابن يونا أنت
تدعى الصفا الذى يترجم بطرس ومتى قال انه كان مدعوا بهذا الاسم لانه قال
انه ابصر سمعان الملقب ببطرس فمن المكان الذى دعيا منه ومن أوجه أخرى
كثيرة يتجه لك ان تعرف ذلك ومن أطاعتهما بايسر مرام ومن أنهما تركا كل
ما كان لهما لانهما كانا صيادين فيما سبق منادين تأدبا نفيسا وأندراوس يستبين
هنالك انهما اتيا الى المنزل وقد سمع أقوالا كثيرة وههنا كانا سمعا قولا ساذجا
فلحقاه للوقت ولعمرى أنه كان يصح أن يتركاه أيضا بعد ان لحقاه فى الابتداء
وان ينصرفا حين أبصرا يوحنا فى الحبس ويعودا الى صناعتهما أيضا وعلى هذا
الحال وجدهما يصطادان فما منعهما هو فى الدفعة الاولى لما أراد ان ينصرفا
ولا تركهما فيما بعد ان ينصرفا الى الغاية ولكنه أطلقهما حين ظفرا وعند
مجيئه اليهما أيضا استدعاهما وضبطهما وهذه هى طريقة نافعة للصيد عظيمة
وتامل فى ايمانهما وطاعتهما لانهما كانا فى وسط اعمالهما ولا يخفى محبة الصياد
للصيد وكثرا لهجه به ولكن لما سمعاه يامرهما ما ابطيا ولا دافعا ولا قالا
نرجع الى منزلنا نخاطب اهلنا بل تركا كلما كان لهما ولحقاه مثلما عمل

اليشع فى مصر ايليا فهذه الطاعة الخالصة يطلبها المسيح منا ولا تقبل طاعة مدة
ولو يسيرة ولا نستحسن شيئا من الاشياء الضرورية اللازمة أكثر من هذه وذلك
اذ تقدم اليه تلميذ آخر واستأذنه ان يدفن اباه اولا لم يسمح له ان يعمل
هذا العمل وهذا يرينا انه يجب علينا ان نفضل اتباعنا اياه على اشغالنا
كلها فان قلت ان وعده كان عظيما محله فلهذا السبب عجبهما كثير الا انهما
ما كانا بعد ابصرا عجيبة فصدقا جسامة وعده تصديقا جزيلا مبالغة وجعلا
الاشياء كلها تالية وتابعة لحوقه ذلك السعيد لانهما صدقا قوله التى
اقتنصهما بها انهما يقتدران ان يصطادا اناسا آخرين بها وجاز من هناك
فرأى اخوين آخرين وهما يعقوب ابن زبدى ويوحنا اخاه فى السفينة مع
ابيهما زبدى يصلحان شباكهما فدعاهما وللوقت تركا السفينة واباهما
وتبعاه ولعمرى انه وعدهما هذا الوعد عينه وقال ليعقوب ويوحنا قولا
هذا معناه وذلك ان طاعة للذين سبق فدعاهما بلغتهما فيما بعد لحوقه ولمعنى
غير ذلك انهما كانا قد سمعا قبل ذلك عنه اوصافا كثيرة وانظر كيف ان
فقرهما كان بليغ الوصف لانه ذكر ان ربنا وجدهما يخيطان شباكهما
فبهذه الصفة كان فقرهما مفرطا حتى انهما كانا يرقعان الشباك لانها قد
رثت من كثرة الاستعمال ولا يمكنهما ان يبتاعا شباكا غيرها وهذا دليل واضح
على فضيلتهما وكان هذا سبب تسهيل احتمال الفقر عليهما وان يغتذيا
من اتعابهما العدلة ويرتبطا احدهما بالاخر بقوة الحب ويكون ابوهما
معهما وهما يخدمانه فقد اقتنصهما ربنا حينئذ بان يفعل عجائبه
بحضرتهم محققا بما يعمله ما ذكره يوحنا فى وصفه وقد كان يتميز من الجموع
تميزا متصلا ليودبهم فى هذه الجهة ويعلمهم انه ليس هو ضد الله مضلا لانه
انما جاء متفقا مع ابيه وعند تميزه من الجموع وكان يسوع يطوف كل الجليل
ويعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل استرخاء فى

الشعب وما نادى فقط لكنه مع ذلك قد اظهر آياته وذلك ان الله من عادته ان
يضع آياته فى كل مكان متى اراد ان يحدث حادثا عجيبا غريبا ويكون
مدخلا الى سيرة محدثة مانحا القدرته برهانا عند المزمعين ان يقبلوا شرائعه
فعلى هذه الجهة حين عزم ان يخلق الانسان ابدع العالم كله وبعد ذلك
اعطاه شريعته تلك فى الجنة وحين عزم ان يشترع لنوح شريعة اظهر
عجائب عظيمة جدا بها احال خلقته كلها عن عنصرها وجعل لجة غرقها تلك
المريعة ان تلبث مدى عام كامل وبهذه العجائب خلص عدلا نوحا من شدة
عظيمة وفى عصر ابراهيم ابدع آيات كثيرة كظفره فى محاربته الملوك والمصيبة
التى نزلها على فرعون وتخليصه اياه من شدائده وعندما عزم ان يشترع لليهود
شريعة اظهر تلك الآيات العجيبة الجسيمة وبعدها اعطاهم شريعته فهذا
العمل عمله ههنا لما اراد ان يورد مذهبا عاليا من المذاهب وان يقول
لهم ما لم يكونوا سمعوه فى وقت من اوقاتهم وحقق ما عزم ان يقوله باظهار عجائبه
واذ مملكته التى نادى بها لم تكن ظاهرة جعل غموضها ظاهرا من عجائبه
الظاهرة وتامل اجتناب البشير كثرة الكلام لانه لم يصف لنا واحدا
فواحدا من المرضى الذين شفاهم لكنه تجاوز بالفاظ يسيرة أفواجا من اياته
لانه قال وخرج خبره فى جميع الشام وقدموا بحضرته جماعة المضنوكين باسقام
وتعاذيب مختلفة وبارواح نجسة ومصروعين فى طلوع الاهلة ومخلعين
فشفاهم لكن الغرض المطلوب هو لماذا لم يطلب من احد أن يؤمن به
لانه ما قال ما يستبان قائله فيما بعد أصدقتم انى استطيع ان اعمل هذا العمل
فنقول انه لم يكن بعد قد منحهم برهانا لقدرته ولمعنى غير ذلك فان تقديمهم
بحضرته ذاتها ما اظهر تصديقهم يسيرا لانهم كانوا قد جاؤا بهم من مسافة ليس
يسيرة فلولا انهم كانوا قد حققوا فى انفسهم عنه اوصافا عظيمة لما قدموهم
بحضرته

العظـــــــــة

يجب علينا نحن ان نتبع ربنا لاننا قد امتلكنا اسقاما كثيرة فى نفوسنا وهذه تحتاج الى الشفاء بتقديمها له لانه لهذا السبب جاد علينا بشفاء امراض جسمنا لتنتزع هذه الاسقام من أنفسنا فينبغى لنا ان نتقدم لديه ولا نطلب منه أن يمنحنا شيأ عالميا بل نطلب الصفح عن خطايانا فيجود الان علينا بذلك ان اجتهدنا لان فى ذلك الحين ذاع ذكره فى بلاد الشام واما الان فقد وصل خبره الى المسكونة كلها فاولئك القوم سمعوا انه قد ابرا الارواح الشريرة فبادروا اليه مسرعين وأنت قد اختبرت قدرته خبرة اكثر من أولئك واعظم كثيرا ولم تنهض اليه مسرعا مع ان اولئك تركوا وطنهم واصدقاءهم وأنساءهم وأتوا اليه افما تستحى أنت ان تترك منزلك من اجل تقدمك اليه وقد يحصل لك اعظم مما حصل لاولئك كثيرا والا ليق ان نقول اننا ما نطالبك بهذا لكننا نطالبك ان تترك عاداتك الخبيثة فقط وان تثبت فى منزلك وامـ لا ككك فيمكنك ان تخلص ونحن الان اذا عرض لنا مرض جدى نعمل ونحتيل بكل ما يمكننا حتى نتخلص من الداء الذى يضوينا ومع ان انفسنا فى اسوء الاحوال نتأخر ونتوانى عن مداواتها ولهذا السبب ما نتخلص من تلك الاسقام التى تضويها اذا اهملنا تنظيف عين شرورنا التى يلزمنا وجوبا ان نزيلها واعتمدنا تنظيف السوا فى اليسير مقدارها والبرهان على ان نفس خبثنا هو علة الامراض العارضه لجسمنا قد اوضحه لنا المخلع مدة ثمان وثلاثين سنة والزمن الذى احدروه من السقف وقايس قبلهما وهذا يتأمله من جهة مختلفة غير التى ذكرناها فسبيلنا ان نبطل عين شرورنا فتقف مجارى اسقامنا كلها وبيان ذلك انا ليس تخلع جسمنا سقما فقط لكن خطايانا سقم انفسنا اكثر تأثيرا من زمانة جسمنا من جهة ان انفسنا أفضل من جسمنا

فسبيلنا الان أن نتقدم الى سيدنا متضرعين أن يشدد نفسنا اذ قد صارت مخلعة
ونهمل الاملاك العالمية كلها ونجعل همتنا مشغولة بالفوائد الروحية
فان كنت متشبثا بهذه الاشياء العالمية فاهتم بها بعد تلك الفوائد الروحية
ولا تتهاون بالرجوع بعد ارتكابك الخطاء لانك تخسر أكثر جسارة
لاجل هذا التهاون بعينه ولا تحس بوجع جرايحك وذلك ان الخطية
تتمكن وتستولى عليك وتلذعك لان الخطية تثبت فى النفس التى
تحترمها لانها تكون قد عدمت حسها تأمل الذين قد شعروا بخطاياهم
وأحسوا بها كيف يضجون منها ويولولون أمر ولولة من الذين يضبطهم
الاطباء ويكوونهم وكم يتوجعون أكثر من هؤلاء وكم ينوحون وينتحبون
حتى يتخلصوا من خطيتهم الخبيثة وهذا العمل لم يعملوه لولم يتمكن الوجع
من أنفسهم جدا لم كانوا عملوه ولعمرى ان الحظ الافضل هو الا نخطى
البتة والحظ المحمود بعد ذلك ان نحس بخطيتنا بعد اخطائنا ونتلافاها بتوبتنا
فان لم يكن هذا الحال حالنا فكيف نتوسل الى الهنا ونطلب منه أن يمنحنا
صفح الخطايانا اذ لم نهتم بأحد هذين الصنفين اهتماما واذ كنت أنت
المخطى ما تشاء أن تعرف هذا الشئ بعينه وهو انك قد أخطأت فمن أجل أى
الخطايا تتضرع الى الله أمن أجل الخطايا التى ما قد عرفتها فكيف تعرف
جسامة احسانه قل لله جرائمك واحدة فواحدة لتعرف انها تستحق صفحا
لتصير على هذه الجهة مخلصا الود المحسن اليك لانك أنت اذا اغظت
انسانا تتضرع الى اصدقائك وجيرانك والى بوابى منزله وتبذل لهم
أموالا وتفنى أياما كثيرة فى دخولك اليه وتضرعك وان دفعك من قد
أغظته دفعة ودفعتين ودفعات كثيرة فما تنفك عن استعطافه وتجتهد
إجتهادا كثيرا وتجعل توسلك اليه متصلا أكثر مما كان واذا اغظنا الله
إله الكل نتكاسل ونضطجع غافلين ونتنعم ونسكر ونعمل كلما

الفنا

ألفنا افتعاله فتى يمكنا ان نجعله غفورا لنا وكيف ما نغيظه بهذا العمل بعينه أغاظة عظيمة لاننا اذا لم نتوجع ونحزن على خطايانا فانما نجعل بذلك الهنا يشتد غيظه وسخطه علينا فلذلك نستحق ان نغوص فى الارض بعينها ولا نبصر هذه الشمس ولا نستنشق الهواء البتة لاننا قد امتلكنا على هذه الجهة سيدا سريع المصالحة لنا فاغظناه واسخطناه ولم نندم ولم نتب على انه اذا غضب علينا ليس بغضبه ماقتا لنا مرتجعا عنا وانما يغضب ليجتذبنا اليه ومع اننا نهينه بأعمالنا يحسن الينا احسانا دائما مع انه كان يجب ان يسطو بسخط بنا فلكيلا نعمل بنا هذا العمل برجع عنا مدة يسيرة لنخاصنا معه دائما فسبيلنا ان نثق بتعطفه علينا ونتاهر له توبتنا بالغ اهتمامنا قبل ان يدهمنا ذلك اليوم الرهيب الذى ليس يتهيأ لنا ان نستفيد من الدنيا ربحا لاننا الان قد فوض الينا كلما نختاره وفى ذلك الحين يكون القاضى وحده صاحب القضية علينا فسبيلنا ان نبادر نطلب وجهه معترفين له بخطايانا ونبكى وننوح لاننا ان اقتدرنا ان نتوسل الى القاضى ان يصفح لنا عن خطايانا قبل تنفيذ حكمه هنالك علينا فليست بنا حاجة فيما بعد الى الدخول الى مجلس حكمه كما اننا اذا لم نعمل هذا العمل فسيسمع منا جهرا بحضرة اهل المسكونة وليس يحصل لنا فيما بعد من امل عفوه لنا لانه اذا ذهب احد الى هنالك ولم ينل مغفرة خطاياه ههنا بالتوبة عليها فلا يستطيع ان يفلت من العقوبات الموجبة عليها لكن على مثال الذين يساقون بسلاسل واغلال من هذه الحبوس الى مجالس القضاة يكون مثال النفوس كلها اذا ذهبت من الدنيا مغلولة بسلاسل خطاياها المتلونة مسوقة الى الموقف الرهيب لان عمرنا الحاضر ليس افضل على الحبس محلا وكما اننا اذا دخلنا الى الحبس نبصر كل الذين فيه مغلولين بسلاسلهم كذلك اذا ابعدنا الان ذواتنا من خبال الدنيا الظاهر

ودخلنا الى عيشة كل واحد منا والى رأس واحد وحد امن رفقتنا سنبصرها
مكتوفة بعقالات اصعب من قيود الحديد انفكاكا ولاسيما ان دخلت
الى نفوس الاغنياء لانهم بمقدار امتلاكهم املاكا كثيرة بقدر ذلك تكثر
قيودهم واغلالهم وكما انك اذا رأيت المعتقل فى السجن مكبلا بالحديد
على ظهره وفى يديه ورجليه تعتقد انه لهذا الحال شقيا اكثر من
غيره جدا كذلك اذا رأيت الغنى ممتلكا املاكا جزيلا عددها فلا تحسبه
لاجلها موسرا لكن تحقق انه لاجل تلك الاملاك باعيانها شقيا لانه قد
ملك مع هذه العقالات سجانا صعبا هو عشق الاموال الخبيث الذى لا يسمح
له ان يتجاوز هذا السجن ولا يمهله ان يظفر عليه لكنه يخترع له
قيودا جديدة وحرسا وابوابا واغلاقا ويزجه فى الحبس الاقصى
دخولا من غيره ويستميله الى التلذذ بهذه العقالات لئلا يجد للبلايا الراتبة عليه
امل استخلاص منها وان كشفت بفكرك نفس ذلك الغنى فستراها ليس
مكتوفة فقط لكنك ستراها مع ذلك ضاوية وسخة مملوة قملا وذلك ان
لذات الغنى ليست افضل من تلك النفوس محلا لكنها اردأ منها وتفسد
الجسم المتحد بها معها وتورد اليه آفات من الاسقام فلاجل هذه البلايا كلها
سبيلنا ان نتوسل الى فادى نفوسنا ان يمزق عقالاتنا ويبعد هذا الحادث
الخبيث عنا ويخلصنا من ثقل هذه السلاسل الردية الحديدية ويجعل
عزمنا اخف من الريشة واذا توسلنا اليه فينبغى ان نقرب له كل ما نمتلكه
وهو حرصنا ورأينا ونشاطنا فعلى هذه السجية نقتدر فى مدة يسيرة
ان نستريح من البلايا التى قد شملتنا ونعرف الفضائل التى كنا فيها سالفا
ونحصل على الحرية الصالحة اللايقة بناه التى يجب ان ننالها ونرزقها
كلنا بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى له المجد الى ابد الابدين
ودهر الداهرين امين

المقالة

المقـــــالة الخامسة عشر

وتبعه جموع كثيرة من الجليل والعشر مدن وأورشليم واليهودية وعبر الاردن ولما أبصر يسوع الجموع صعد الى الجبل وعند جلوسه فيه دنا منه تلاميذه ففتح فـــه وعلمهم

فتأمل اصفات سيدنا الخالية من المباهاة والمجردة من التفاخر لانه ما طاف ينادي مستصحبا تلاميذه لكنه كان يطوف كل مكان هنالك متعهدا مدنا وضياعا ليشفي السقماء ومتى اجتمع عنده جمع جزيل كان يجلس في موضع واحد ولم يكن يجلس في وسط مدينة او سوق لكنه كان يجلس في جبل أو برية ليعلمنا بذلك ان لا نعمل عملا لاظهاره وأن نعتزل عن الافتخار ولاسيما اذا اقتضى الحال ان نتفلسف ونتكلم في أفعال ضرورية وعند صعوده وجلوسه دنا منه تلاميذه أرأيت نموفضيلتهم وكيف صاروا سريعا أفضل تميزا من غيرهم مع أن كثيرين من الناس كانوا قد عاينوا عجائبه ولم يؤمنوا به وأما هؤلاء فكانوا تائقين فيما بعد أن يسمعوا قولا عظيما عاليا وهذا أنهضه الى تعليمهم وجعله أن يبتدى بأقواله هذه لانه ما شفى أجسامنا فقط لكنه شفى مع ذلك نفوسنا وثقفها وانتقل من اهتمامه بالنفوس الى الاهتمام بالاجسام أيضا مبينا منفعته معا مازجا في أقواله ما يهذب النفس بتهذيبها من أفعاله مسكتا الا فواه الخالية من الخجل أفواه مبدعي

المبدع في دينه مشفقا على الجواهر كلها بافعاله موضحا انه هو مبدع الحى بجملته ولذلك قد اتخذ طبيعة من الطبائع لغايات كثيرة متلافيا تلك الطبيعة أحيانا متفقا بها أحيانا وهذا العمل ابتدأ حينئذ يعمله لان البشير قال هو فتح فمه وعلمهم وان سألت لم أضاف الى قوله فتح فمه أجبتك لتعلم انه أدبهم ليس بكلامه فقط لكنه أدبهم حينا بصمته واذ فتح فمه وعلمهم حينا لما بدى صوته من أعماله واذا سمعت أنه علمهم فلا تتوهم انه يخاطب تلاميذه فقط لكن تيقن انه بخطابه أولئك يخاطب كل الناس واذ كانت الجماعة محفلا وقد اختار هو صف تلاميذه من المتصرفين على الارض أيضا يصدر أقواله الى أولئك بمفاوضته اياهم جاعلا تعليم فلسفته زائلا عنها استثقاله عند باقى الناس كلهم المحتاجين الى ما يقوله جدا وهذا الغرض قد أومى اليه لوقا الرسول وقال انه عطف كلامه اليهم ومتى الرسول اذا بان هذا الغرض بعينه كتب أن تلاميذه دنوا منه وعلمهم لان باقى الناس الحاضرين على هذه الطريقة قصدوا أن يصغوا اليه بأوفر نشاطهم أكثر من اصغائهم اليه لو كان وجه خطابه اليهم وكلهم و ينبغى أن تسمع بما لغة ما يقوله ومن أين يبتدى وأى أساس يضع عليه لنا سيرته الجديدة لانه يقول أقواله لتلاميذه أولئك القدماء وقد كتبت لاجل الكائنين فيما بعد فلهذا السبب أصغوا اليه عند ما فاوض تلاميذه ولم يحصر أقواله لتلاميذه القدماء وحدهم لكنه يورد تطويباته مشاعة لانه ما قال تكونون مغبوطين أنتم ان صرتم مساكين لكنه قال مغبوطون المساكين على ان قوله لو كان قيل للتلاميذ لقد كانت ألفاظ مشورته لا تكون مشاعة مشتركة لانه اذ قال ها انذا أكون معكم الى انقضاء الدهور فليس يخاطب أولئك التلاميذ وحدهم لكنه يخاطب بخطابه هذا المسكونة كلها واذا طوبهم اذ صاروا مطرودين ومضطهدين

متكبدين

متكبدين شدائد معضلة ولا يضفر لاولئك وحدهم أكليل لكنه يضفر أيضا لجميع الذين يحكمون محامد أولئك الرسل باعيانها ولكن متى يكون هذا المعنى أبين شرحا وتعرف ان الاقوال التى يقولونها يكون لك شركة كثيرة فيها وتشترك مساهمتها فى الطبيعة الانسانية كلها ان شئت ان تصغى اليه فاسمعه كيف يبدى أقواله هذه العجيبة مغبوطون المساكين فى روحهم فان ملك السماء هو لهم

وان سألت ومن هم المساكين فى روحهم أجبتك هم المتذللون المتخشعون فى سيرتهم والروح فى هذا اللفظ يقصد به نفسنا واختيارنا ولكن قد يوجد أناس متذللون وليسوا طائعين لكن ضرورة الاشياء تغتصبهم متروكون فاولئك لان هذا التذلل لا يكون ممدوحا وانما يطوب أولئك الذين من اختيارهم يذللون ذواتهم و يقسرونها ولقائل ان يقول فلاى غرض ما قال مغبوطون المتذللون لكنه قال مغبوطون المساكين فنقول له ان المتمسكن أكثر فعلا من المتذلل وقد ذكر ههنا المرتاعين من الله المرتعدين من وصاياه الذين يستخصهم له باسان أشعيا النبى جدا و يقول الى من أنظر الا الى الوديع الهادى المرتعد من أقوالى ولعمرى ان أنواع تذلل القلب كثيرة فاحد الناس يوجد متذللا باقتصار و يوجد الآخر متذللا بافراط وتذلل القلب هذا يطوبه النبى السعيد داود ويمدحه وما يمثل لنا التواضع الذى فى سيرتنا على بسيط ذاته لكنه يمثل لنا التذلل الذى يخشع سريرتنا و يسحقها و يصفه بهذه الالفاظ الذبيحة لله روح متخشع منسحق يريده الله المتخشع المتذلل يريده الله والفتية الثلثة يقربون لله هذا التذلل بدلا من ضحية عظيمة قائلين فليكن لنا نفس خاشعة منسحقة وروح متذلل وهذا التواضع يطوبه الان المسيح الهنا لان من التصلف والتجبر تسلطت علينا عظائم الافعال الشريرة التى أفسدت المسكونة كلها اذ كان ابليس المحتال لم تكن حالته هذه الحالة قبل

تصلفه وتكبره وبعد ذلك صار محتالا وهذا الداء اذا وضحه بولس الرسول
قال لكيلا تتصلف فتسقط الى جناية ابليس المحتال ونخه والانسان الاول
بهذا المحال والامال صلفه ابليس المحتال ونفخه فرفع عنقه وصار مميتا
لانه بتوقعه ان يكون الها اضاع ما كان قد امتلكه وهذا العزم قد عيره
الله به واذاع جهالته وقال ها ادم صار كواحد منا وكل احد من الكائنين
بعده اذ تخيل معادلة باريه فى لاهوته تسكع فى الحاده فاذ كان هذا
التصلف والتجبر أصل الشرور والبلايا والخبث كله وينبوعه جعل ربنا
الدواء معادلا لهذا السقم فهذه شريعة التصلف بالنظر لكونها انشاء قوى
مكين نقضها اولا لان تواضع القلب اذا كان موضوعا فى قلبنا بصيانة فتبنى
عليه الفضائل الاخرى كلها باتم مرام ومتى زال تذلل القلب منا فلو بلغنا
فيما نتصرف فيه الى السموات فسينهب كلما نعمله بايسر مرام وننقلب
الى غاية ردية فلو جمعت صوما او صلاة او صدقة او عفة او عملا غير
ذلك مهما كان صالحا نخلوا من تواضع القلب تنفسخ وتهلك كلها وذلك
قد حدث فى عصر الفريسى لانه بعد ان وصل الى قمة جبل فضائله اضاعها
كلها اذ لم يمتلك ام المحامد الصالحة وكما ان التصلف والتكبر هو ينبوع
الرذيلة كلها فكذلك تذلل القلب هو ابتداء الفلسفة باسرها ولهذا السبب
بداء فى هذا الموضع لينزع التعظم من نفس سامعيه قبل رسوخه وتأصله
ولقائل ان يقول وما غرضه فى قوله هذا لتلاميذه الذين كانوا اذليين من سائر
الوجوه لانهم ما كانوا قد امتلكوا سببا للتصلف مناسبا اذ كانوا فقراء
صيادين عادمى الحظ اغبيا فنقول له ان هذه الاقوال لم يقصد بها
تلاميذه لكنه قصد بها الحاضرين عنده فى ذلك الوقت والذين ازمعوا ان
يقتبلوهم بعد ذلك حتى لا يحتقروهم بسبب احوالهم هذه الخاملة والاليق
ان يقال انها قيلت لتلاميذه لانهم ان كانوا حينئذ لم يحتاجوا اليها لكنهم فيما

بعد

بعدما احتاجوا الى تلك المنفعة بعد الايات والعجائب واكرام المسكونة
اياهم ودالتهم عند الله فى وسائلهم لان لا ثروة ولا مقدرة ولا المملكة
بعينها كافية أن ترفع على هذا المثال عزم مالكها على مثال ما يرفعه كما
يتكون من الدالة لدى الله ولمعنى غير هذا وهو قبل عملهم الآيات
كان لا يقا أن يترفعوا حينئذ عند معاينتهم جماعة الحاضرين والمحفل
الواقف لدى معلمهم ولم يعرض لهم عارض انسانى فلذلك قصر
فى ذلك الحين مرادهم وما اورد ما خاطبهم به فى ترتيب المواعظ والاوامر بل
حله محل تطويب جاعلا كلامه أبعد من أن يكون مستثقلا فاتحا لجميع
سامعيه موقف تعليمه لانه ما قال فلانا وفلانا لكنه قال جميع الذين يعملون
هذه المحامد مغبوطون فنتج من ذلك انك ان كنت عبدا ان كنت مسكينا
ان كنت فقيرا ان كنت ضريرا ان كنت غريبا فلا يوجد مانع يمنعك من
أن تكون مغبوطا عندما تماثلك هذه الفضيلة وعندما ابتدأ فى هذا الموضع
من المكان الذى كان يجب أن يبتدى منه مصدر الى وصية أخرى مظنونة انها
مضاضدة لحكم أهل المسكونة اذ كان جميع أهلها يحتسبون المسرورين
سعيدين يتمنى أكثر الناس حظهم ويعدون النايحين والفقراء والحزانى
اشقياء ويرثى لحالهم فطوّب هو هؤلاء المغمومين بدلا من تطويبه أولئك
المسرورين قائلا هذا القول مغبوطون النايحون مع ان كافة الناس
يحسبونهم أشقياء ولعمرى انه لهذا السبب قدم عمله الآيات حتى اذا
اشترع هذه الوصايا وأمثالها كان موهلا للتصديق وما وضع فى
هذا التطويب أيضا النايحين على بسيط ذاتهم لكنه طوّب الذين
ينوحون على خطاياهم فيتضح من ذلك أن النوح على شىء من أشياء الدنيا
ممنوع مستغرب جدا وهذا المعنى قد أوضحه بولس الرسول بقوله ان غم
الدنيا ينتج موتا والغم الموجب لرضى الله يبدع توبة خالية من الندم

موصلة الى خلاص فهؤلاء يطوّبهم هو في هذا الموضع وهم المغمومون
على هذه الطريقة وما ذكر المغمومين فقط بل ذكر المغمومين
بزيادة اغتمامهم ولذلك لم يقل مغبوطون المغمومون لكنه قال مغبوطون
النايحون لان هذه الوصية ايضا هي معلمة لكل فلسفة ولئن كان النايحون
على فقد أولادهم أو نسائهم أو على أحد انسبائهم لا يعشقون في وقت توجع
نوحهم لا أموالا ولا اجساما ولا يشتهون شرفا ولا يمتاضون اذا شتموا ولا
يقتنصهم داء الحسد ولا يصيبهم داء غيره من داءات عزمهم عند تمكنهم
من النوح فقط فالبق وأولى بالذين ينوحون على خطاياهم نوحا واجبا أن يقتبلوا
أعظم من هذه الفلسفة اجرا ثم ان استخبرت وقلت ما هي الجائزة لهم فتجيب انه
قد ذكرها وقال انهم يتعزون وان قلت فقل لي اين يتعزون أجبتك
يعزون ههنا عاجلا وهنالك أجلا واذ لا يماذ بذلك ما هو مستصعب ومستثقل
جدا وعد بتخويله تلك المجازاة التي تجعل النوح خفيفا جدا فمن هذه الجهة
ان شئت ان تتعزى فنح ولا تظن ان ما قد قلناه يكون غير حقيقي لان
الله يعزيك ولو تقاطرت عليك الغموم أفواجا فستكون أعلامنها كلها
لان الله من عادته أن يخولنا دائما المكافأة على الاتعاب والغموم اكثر منها
كثيرا وقد عمل هذا العمل ههنا اذ اظهر ان النايحين مغبوطون
ليس بالنسبة لفعلهم ولكن هذا من جوده وتعطفه وهذا ليس من
الواجب لعملهم لكنه من تعطفه وتفضله لان النايحين ينوحون على
جرائمهم وقد يكفي الذين هذا الحال حالهم أن يتمتعوا بالصفح منها وينالوا
احتجاجا فيها لكنه لم يزل هو راحم للناس جدا متفضل متعطف ما
وقف في مقابلته عند ازالة العقوبات عنهم ولا عند استخلاصهم من خطاياهم
لكنه يجعل النايحين على ذنوبهم مغبوطين ويوعبهم تسلية كثيرة فهو يأمرنا
ان ننوح ليس من أجل خطايانا فقط لكنه يوعز الينا أن ننوح من أجل

هفوات غيرنا على حد واحد وما كانت نفوس القديسين على نحو ما كانت نفس
موسى النبي ونفس بولس ونفس داود لان هؤلاء الافاضل طالما ناحوا
على سيئات غيرهم مغبوطون الودعاء فانهم يرثون الارض فان قلت قل لي
أى أرض يرثون قلت لك قد قال قائلون انها أرض معقولة لكن هذا
المعنى ليس معناها لاننا ما نجد البتة في الكتاب أرضا عقلية لكن ان استخبرتني
فاسمعني هذا القول أجبتك انه قد وضع جائزة محسوسة على ماذكر
بولس الرسول أيضا لانه اذ قال اكرم أباك وأمك أضاف اليه فانك على
هذه الطريقة تكون طويل العمر في الارض وقد قال هو عز قوله للص أيضا
ستكون معي اليوم في الفردوس لان ما تقدم ذكره من الخيرات المأمولة فقط
لكنه تقدم وعده أيضا من الخيرات الحاضرة بسبب الذين عزائمهم أكثف
من غيرهم والطالبين الاشياء الحاضرة قبل النعم المنتظرة ولهذا السبب
اذ ذكر في تعليمه قال كن حسن الملاطفة بخصمك ثم يذكر جائزة هذه
الفلسفة فيقول لئلا يدفعك خصمك الى القاضي ويسلمك القاضي الى
خادمه أرأيت من أين أراع سامعه من الاشياء المحسوسة من العوارض
العارضة عاجلا وقال أيضا من قال لاخيه يا هذا سيطالب بجناية عند
الجمع وبولس الرسول فمن الاشياء الحاضرة قد وضع جوائز محسوسة كثيرا
في ترتيبه منها انه لما تكلم في ترتيب البتولية لم يذكرها هنالك وصفا في
رسوم السموات عاجلا ويسوق قوله من الاشياء الحاضرة قائلا من أجل
الضرورة الحاضرة وأنا أشفق عليكم وأريد أن تكونوا فاقدين الاهتمام
وهذا المسلك سلكه المسيح الهنا فخلط الاشياء المحسوسة في الاشياء الروحية
واذ الوديع يظن به انه يضيع الاشياء التي له كلها يعد بخلاف ذلك الظن
قائلا هذا هو الذي يقتني أملاكه بأبلغ الاحتياط عليها اذ ليس هو حسودا
ولا متجبرا ومن حالة التهجم والتجبر هذه الحالة المذمومة فطالما يأتي

أملاك أبائه ونفسه بعينها ولمعنى غيرهذا اذا كان النبي قدذكر في العهد العتيق ذكرا متصلا ان الودعاء يرثون الارض نسج هو كلامه من الالفاظ التي قدارتاض الناس بها حتى لا يستغرب وافى كل موضع كلامه هذه الاقوال قالها ولم يخولهم أقسام المجازاة من الاشياء الحاضرة لكنه خولهم تلك النعم المأمولة مع هذه الاشياء الحاضرة لانه اذا ذكر شيأ روحيا فلا ينتزعه ولا يسلبه مما في هذه الدنيا واذا وعد أيضا بصنف من الاصناف التي في هذه الدنيا فلا يقف وعده عند ذلك الصنف لانه قال عز قوله اطلبوا ملكوت الله وهذه الاشياء تحصل لكم بزيادة وقال أيضا من ترك منازله أو اخوته سيأخذ مائة ضعف ذلك في هذا الدهر ويرث في ذلك الدهر المأمول حياة دهرية مغبوطون الجياع والعطاش الى العدل ولسائل يسألنا أي عدل تعني بحسنه اما يعتمد الفضيلة الكلية واما يقصد هذه الفضيلة الجزئية الموضوعة مقابل الاستكثار من الاملاك لانه يامر بالصدقة والرحمة يرينا كيف سبيلنا ان نرحم كقولك انه يطوب الذين يعملون الصدقة والعدل ليس من خطف ولا من استغنام وانظر بأي افراط في التعمق يفترض هذا الافتراض لانه ما قال مغبوطون المتمسكون بالعدل لكنه قال مغبوطون الجياع والعطاش الى العدل حتى نستعمل هذا العدل ليس على بسيط ذاته لكن نستعمله بكافة شهوتنا اذ كان هذا الصنف أبلغ التحديد هذا هو خاصة استكثار القنية اننا ما نعشق الاصناف المأكولة والمشروبة عشقا هذا مثاله مثل اقتنائنا الاكثر منها واشتمالنا عليها فأمرنا أن ننقل هذه الشهوة حتى لا نستكثر من القنية ثم حد في هذا الموضع مكافأتها أيضا محسوسة بقوله فانهم يشبعون وبسبب أن الاستكثار من القنية يظن أنه يجعل أناسا كثيرين موسرين قال هو بخلاف ذلك الظن وان العدل هو الذي يجعل صاحبه موسرا فاذا عملت أعمالا عادلة

لا تحس بفقر ولا تر تعدم من مجاعة وذلك أن الخاطفين ليس لهم ذلك بل هم الذين
يفقدون كمالهم كما أن من يعشق العدل يحوى أملاك الدنيا كلها بأوثق
الحياطة ولئن كان الذين ما يرتاحون الى ما ليس لهم يتمتعون بيسر هذا مبلغ سعته
فالذين يقدمون لله كلما يحتاجونه يليق بهم أكثر ان يتمتعوا بيسار جزيل تقديره
مغبوطون الراحمون وعلى حسب ظنى انه ما يقصد ههنا فى هذا العمل الذين
يرحمون باموالهم فقط لكنه يقصد الذين يرحمون بأفعالهم لان مذهب الرحمة
والصدقة متلون متفنن وهذه الوصية فريضة وان سألت فما هى مكافاتها
اجبتك هى قوله فانهم سيرحمون وقد يظن ان مكافاتها هى شئ عديل لها
وهى اعظم من احكامها كثيرا وبيان ذلك ان هؤلاء الرحومون يترحمون على
انهم اناس فيرحمهم اله الكل فالرحمة الانسانية ليست عديلة للرحمة الالهية
لكن بمقدار الفرق الذى بين الخبث وبين الصلاح بمقدار ذلك تميز رحمة الله
بفضل تميزها عن رحمة الانسان مغبوطون الانقيا فى قلوبهم فان هؤلاء يبصرون
الله فهذه الجائزة أيضا روحية وذكر فى هذا النظام انقياه أما الذين
قد اقتنوا فضيلة الطهارة ولا يعرفون فى ذاتهم وهما خبيثا وأما يعنى
الراتبين فى عفافهم لان ليس فى الفضائل ولا فضيلة توجب لنا ان نبصر
على هذا النحو مثل فضيلة طهارة القلب هذه النفيسة فلذلك قال بولس
الرسول اسعوا طالبين السلامة مع كل الناس والعفة التى لا يخلو منها احد من
الناس يبصر ربنا ويعنى بالنظر الى الله فى هذا الموضع من كلامه الممكن النظر
عند الانسان ان يبصر به الله وانه يوجد أناس كثيرون يرحمون ولا يخطفون
ما ليس لهم ولا يستكثرون من القنية الا انهم يزنون ويفسقون وهذا يرينا ان
الرحمة ليست كافية فى ذاتها واستثنى بنقاء القلب هذا الجليل محله على نحو ما
شهد بولس لاهل مكدونية فى رسالته لاهل قرنثية انهم ما اقتنوا برحمتهم فقط
لكنهم قد اقتنوا معها الفضيلة الاخرى لانه عند تكامه فى تفضيلهم فى

آمرائهم قال انهم بذلوا ذواتهم لله ولنا مغبوطون مبدعو السلامة المراد بالسلامة فى هذه الاقوال ليس الذين لا يرتجفون فى ذواتهم ويحمون معاداتهم أناساً غيرهم فقط لكنه يطلب منا فعلاً أكثر من هذا وهو ان نضم الى المسالمة اناساً آخرين عنداً وجاعهم وتشيعهم وتوجد أيضاً جائزة لذلك روحية وهى انهم يدعون بنين لله لان هذا الفعل كان فعل الوحيد وهو ان يضم برايا الانفصلة ويصالح فيما بين القبائل المتحاربة ثم لئلا تتوهم ان السلامة فعل جيد فى كل مكان اتبع ذلك بقوله مغبوطون المطرودون لاجل العدل ومعناه المطرودون لاجل الفضيلة ومن اجل التقدم على غيرهم ولاجل تهذيب دينهم لانه من عادته دائماً يدعو كافة فلسفة نفسنا عدلا مغبوطون تكونون اذا عيروكم وطردوكم وتقولوا عليكم كل قول خبيث من اجلى كاذبين افرحوا وابتهجوا كقولك ان دعوكم سحرة ان سموكم مضلين ان دعوكم مفسدين ان سموكم بأى اسم مذموم ستكونون مغبوطين فما الذى يكون أبدع تحديداً من هذه الاوامر اذ قال ان المحظوظ المستعاذ منها عند غيرنا تلك تكون مأثورة عندنا وهى ان نتمسكن ونكون مطرودين نائحين ونسمع أقوالاً مكروهة لكنه على كل حال قد قال هذه الاقوال واستمال الى قبولها المسكونة كلها اذ سمعنا ليس اثنين ولا عشرة وعشرين ومائة وألفاً من الناس مالوا اليها وقبلوها لكنه استمال الى اقتبالها المسكونة كلها واذ سمع أيضاً المحافل هذه الاوامر الصعبة الثقيلة المضادة لعادة أكثر الناس دهشوا وتحيروا لان اقتدار قائلها كان هذا المبلغ مبلغه ولئلا يظن ان استماع أحدنا ما يكرهه على بسيط ذاته يجعله مغبوطاً وضع لذلك حدين وهما اذا كان ما يقال كذب وكان لاجله والا فان كان ما يقال لنا وفينا ليست هذه حالته فلا نكون مغبوطين فقط بل سيكون من يسمع قولاً مكروهاً شقياً أيضاً ثم نظر

الى

الى جائزة ذلك وهى ان أجركم عظيم فى السموات وان لم تسمع أنت فى كل من
تطويباته ملك السموات مخولا فلا تكتئب لانه وان كان يوجد فرق
واختلاف فى المجازاة الا انها كلها توصل الى ملكه لانه اذ قال ان النائحين
سيتعزون وان الرحماء سيرحمون وان انقياء القلب يبصرون الله وصانعى
السلامة يدعون أبناء الله فلا يومى الى جائزة أخرى الا الى ملك السموات معطى
بتلك المحامد كلها الا ان الذين قد تمتعوا بهذه المحامد يحظون بملكه من كل الوجوه
فلا تظن ان الجائزة تكون للمساكين فى روحهم وحدهم لكنها تحصل أيضا
للجياع والعطاش الى العدل وللودعاء ولغيرهم من عاملى وصاياه كلهم لانه
لهذا السبب وضع تطويباته فيها كلها لئلا تتوقع جائزة محسوسة لان
هذا الذى هو متكلل بهذه الحظوظ التى تنحل انحلال هذه الدنيا الزائلة أسرع
من زوال الظل لا يكون مغبوطا واذ قال ان أجركم عظيم فى السموات اتبعه
بتسلية أخرى بقوله لانهم على هذا المثال طردوا الانبياء الذين قبلكم لانه ما كانت
تلك مجازاة لملكه مرتبة منتظرة فى آمالهم فيهب لهم التسلية ههنا من مشاركتهم
الذين نابتهم هذه النوائب قبلهم فقال لا تظنوا انه تصيبكم هذه المصائب
لانكم تكلمتم أقوالا متضاددة واشترعتم شرائع مخالفة أو انهم
يطردونكم فيما بعد لانكم معلمون آراء خبيثة وذلك ان الاغتيالات والنوائب
ليست من خبث الاقوال التى قلتموها لكنها من رذيلة الذين سمعوها فمن هذه
الجهة لا يصيبكم أنتم المكروه لكنها تطعن أولئك الذين يوصلون
المكروه الى غيرهم ويشهد لهذه الاقوال كافة الزمان السالف لانهم ما شكوا
من الانبياء انهم تعدوا الشريعة وعاندوا الله فرجموا بعضهم وطردوا
بعضهم والقوا بعضهم فى بلايا غيرهذه عديدة فلا تزعجنكم هذه
الحوادث لانهم من هذا الرأى بعينه يعملون كما يعملونه الان أرأيت
كيف أنهض بصائرهم وأقامهم بقرب موسى وايليا وعلى هذا المعنى كاتب

بولس الرسول أهل تسالونيكي وقال لانكم صرتم أنتم مماثلين كنائس الله التي كانت في بلاد اليهودية في المسيح يسوع لانكم أنتم أورطكم في هذه الشدائد عينها مناسبوكم في قبيلتكم وعلى قياس ما أورط أولئك قبلكم اليهود الذين قتلوا يسوع ربهم وأنبياءهم وطردونا نحن وما ارضوا الله وعاندوا الناس كلهم فهذا العمل عمله المسيح ههنا وقال في التطويبات الاخرى مغبوط المساكين والرحماء وما وضع هذا القول في أقواله هذه بدون تحديد لكنه عطف اليهم كلامه قائلا مغبوطون أنتم اذا عيروكم وطردوكم وتقولوا عليكم كل تقول خبيث موضحا ان هذا التطويب أخص بكم كثيرا وهذه خاصة لكم أكثر من كافة المعلمين غيركم و يومي مع ذلك ههنا الى رتبته والى معادلة أبيه في كرامته لانه زعم كما ان أولئك قاسوا تلك البلايا لاجل أبي فكذلك تقاسونها أنتم لاجلي واذكر الانبياء الذين قبلهم فانما يبين ان هؤلاء الرسل سيكونون أنبياء ثم أوضح ان هذا الاحتمال ينفعهم أكثر المنافع ويجعلهم أبهيا مبتهجين فما قال لهم انهم اذا تقولوا عليكم قولا خبيثا وطردوكم أنا أمنع ذلك عنكم لانه لا يريد أن يكونوا محفوظين بان لا يسمعوا قذفا منكرا لكنه يجعل الصيانة لهم في استماعهم الثلب الردي واحتمالهم اياه باوفر تجلد وبان يوبخ أولئك بأعمال هؤلاء لان هذا الفعل أعظم محلا من ذلك كثيرا كما ان من يضرب ولا يتضجر ولا يتكره هو أعظم محلا ممن لم يضرب وأجل كثيرا وقد قال متى في هذا اللفظ ان أجركم عظيم في السموات الان لوقا الرسول يذكر هذا المعنى بزيادة في تأكيده ويصفه بتسلية كثيرة لانه قال انه ما طوب الذين يسمعون لاجل الله واعطى الويل لقوم فقط لكنه للذين يسمعون من الناس ثناء حسنا لانه قال الويل لكم اذا قال الناس كلهم ثناء حسنا فيكم على انه قد اثنى الناس على رسله ثناء حسنا ولكن لم يثن عليهم كافة الناس ثناء جيدا فلهذا السبب لم يقل اذا ذكركم

الناس

الناس بأحسن الذكر لكنه قال الويل لكم اذا ذكركم كافة الناس بأحسن
الذكر فانه لا يمكن ان تسمع العايشين فى الفضيلة من كل الناس وصفا حسنا
وقال أيضا اذا اذاعوا اسمكم بطريقة خبيثة افرحوا وتهللوا اذ لا تجدوا مكافأة
الصبر على التورط فى الشدائد فقط لكنه يجد مقابلة سوء الوصف عظيمة
ولهذه العلة لم يقل اذا طردوكم وقتلوكم لكنه قال اذا عيروكم ووصفوكم بكل
وصف خبيث لان الثلب والتقريع يلذع أصعب لذعا ويفعل أكثر
مما تفعل الشدائد باعيانها كثيرا لان الشدائد قد يوجد فيها ما يخفف وجعها
كقولك يوجد فيها أن كل الناس يمدحون عرق من سقط فيها بمحنتهم وانه
يحوز كثيرين يصفقون له ويذيعون فخره ويكللونه وهذه التسلية من هذا
الوجه فى التجنى والقرف باطلة زائلة لان احتمالها لا يظن أنه فعل
عظيم وهما يلذعان المجاهد أكثر مما يلذعه تورطه فى الشدائد
وقد أفضيا باناس كثيرين الى أن يخنقوا أنفسهم اذ لم يحتملوا ظنا خبيثا
بهم وما معنى استعجابك مما جرى على أناس آخرين اذ كان هذا الداء قد
جعل مسلم سيدنا ذلك الوقح النجس الزائل يحمله على بسط ذاته فى انعاله
كلها أن ينهض الى الخنق أكثر نهوضا وأيوب العظيم أن تسترخى قوته
الاصاب من الصخرة حين سلبت أملاكه وقاسى شدائد صعب احتمالها
وعدم بنيه على غفلة وأبصر جسمه موعبا من الدود ودفع امرأته
وكانت نوائبه بأيسر مرام لما أبصر أصدقاءه يعيرونه ويسخرون به ظانين
ظنا خبيثا من أجله قائلين له انه انما قاسى تلك البلايا بسبب خطاياه وأدى
ما كان واجبا عليه لرذيلته حينئذ ارتجف وقلق ذلك الرجل الصبور
العظيم قدره وداود النبي أهمل النوائب كلها التى قاساها وطلب من
الله مكافأة بدلا من تلك المسبة الردية لانه قال دعه اتركه يلعن داود فان
الرب أوعز اليه بذلك حتى يبصر بى تذللى ويقابلنى بدلا من لعنته فى هذا

اليوم بخيراته ومننه الصالحة وبولس الرسول ما أذاع ذكر الذين قاسوا الشدائد فقط ولا الذين سلبت أملاكهم لكنه أشاع ذكر هؤلاء على هذا المثال قائلا تذكروا الايام السالفة التي استضأتم فيها وعبرتم من العوارض على جهاد كثير اذ اشتهرتم بتعييرات وهموم أحيانا فلهذا السبب جعل المسيح ثوابها عظيما ثم انه لا يقول قائل ههنا لا تنتقم منهم ولا تخيط أفواههم وهنالك تعطى ثالبهم ثوابا أورد الانبياء موضحا ان الله ما انتقم هنالك فان يكن حيث كانت دواعي المكافأة حاضرة تلافاهم من المأمولة فأولى وأليق أن ينشطهم الان حين قد صار هذا الرجاء بينا واضحا وهذه الفلسفة أعظم قدرا ونأمل بعد كم وصايا وضع هذا ولعمري انه ما عمل هذا العمل على بسيطاته لكنه عمله موضحا انه انما يستحقه من لم يصلح بتلك الوصايا ويجمع عزمه ويبرز الى هذه الجهادات ولهذا السبب يتقدم فيطرق دائما من الوصية الاولى الى الوصية التي تتلوها الى أن نسج وجدل لنا سلسلة فريدة من الذهب لانه اذا كان أحدنا متذللا فسينوح في سائر الحالات على خطاياه ومن ينوح على خطاياه سيكون وديعا محبوبا رحوما والرحوم سيكون عدلا على كل حال ومتخشعا ونقيا في قلبه ومن هذا الحال حاله فسيكون مبدع السلامة ومن قد أحكم هذه المحامد كلها فهو مترتب للنوائب ولا يرتجف اذا استمع ثلبا ومكروها او قاسى شدائد كثيرة عديدة فلما وعظهم بما يجب تلافاهم أيضا بمدايحه ولعمري ان أوامره اذ كانت أيضا عالية المحل ووعظهم من الفرائض التي في العتيقة كثيرا فلكيلا يرتجفوا وينزعجوا ويقولوا كيف يمكننا أحكام هذه الوصايا اسمع ماذا قال لهم أنتم تكونون ملح الارض موضحا انه ما يأمر بهذه الاوامر بلازم الضرورة لانه قال ان كلامي يكون فيكم ليس من أجل حياتكم على انفرادكم لكن لاجل حياة المسكونة كلها لانني است أرسلكم الى مدينتين وعشر مدن

وعشرين

وعشرين ولا الى أمة واحدة كما أرسلت الانبياء لكنني مرسلكم الى الارض
والبحر والى المسكونة كلها وحالها أسوأ الاحوال لان بقوله أنتم تكونون ملح
الارض أوضح بان الطبيعة الانسانية كلها قد حمقت وقد عفنتها خطاياها
ولهذا السبب تجب عليهم هذه الفضائل التى هى أكثر من غيرها لزوما ونفعا
فى الاهتمام بالناس الكثيرين لكن من يكون وديعا ورعا رحوما عدلا
ليس من شأنه ان يحصر فى ذاته فقط الفضائل التى أحكمها لكنه يجعل هذه
العيون النابعة ان تدفق الى منفعة أناس آخرين والنقى قلبه أيضا وفاعل
السلامة المطرود لاجل الحق تكون طريقته موافقة لشركاء طبيعته فقال
لا تتوهموا انكم قد اجتذبتم لجهادات كثيرة ولا تظنوا ان كلامكم يكون
لاجل أناس قلائل بل انتم تكونون ملح الارض ولسائل يسأل فاقول لك
هل هؤلاء الرسل تلافوا الاعضاء المتعفنة فأقول لا البتة لانه لم يكن ممكنا
بنشرهم ملحهم ان ينفعوا الاعضاء التى قد فسدت فيما سلف ولا عملوا هم هذا
العمل لكن تلك الاعضاء التى لما تجددت وسلمت اليهم بعد تخلصها من نتانتها
ملحوها هم بعد ذلك وضبطوها وصانوها بهذه الطراوة التى تسلموها
من سيدهم لان استخلاص الامم من قبيح خطاياها كان فعلا للمسيح خاصا به
وأما ضبطهم الا يعودوا الى تلك القبائح فكان فعلا لحرص رسله وشقائهم
أرأيت كيف أظهرهم رويدا رويدا أفضل من الانبياء محلا لانه قال عز قوله
انهم ما يكونون معلمين لفلسطين لكنه قال انهم يكونون معلمين للارض كلها
وما قال انهم على بسيط ذاتهم يكونون معلمين لكنه قال انهم سيكونون مرهوبين
لان المعنى العجيب هذا هو انهم ما اغروا الناس ولا طغوهم لكنهم لذعوهم
كفعل الملح وقبضوهم وصاروا على هذا الحال مقبولين عندهم
فقال لا تستغربوا ان كنت أهملت الناس الآخرين واحتملت واعتمدت
إن اخاطبكم واجتذبكم الى شدائد هذا مبلغ كثرتها لانكم ستعلمون الى

أيةمدن ومحافل وأمم اعزم ان أرسلكم معلمين فلهذا السبب لست أريد
ان تكونوا أنتم وحدكم عقلا فطنين لكننى أريدكم أن تجعلوا أناسا آخرين
هذا الحال حالهم فطنين والذين يجعلون الناس على هذه الطريقة ينبغى
ان يكونوا هم فهمين فطنين كثيرا فى الحوادث التى توصل الى خلاص غيرهم
وان يكون لهم زيادة فى فضيلتهم هذا مبلغ تقديرها تبلغ الى ان تفيد أناسا
آخرين منفعتها الا انكم ان لم تكن هذه السجية سجيتكم فلا يكون فيكم
كفاية لهم لا تستصعبوا ما أقوله لكم بمنزلة كلام ثقيل عليكم لانه يمكن ان
تستفاد بكم أناس غيركم قد حمقوا فان أصابكم أنتم هذا المصاب وحمقتم فقد
أهلكتم أناسا آخرين معكم فمن هذه الجهة بمقدار ما تتقلدون أوامر عظيمة
بمقدار ذلك تحتاجون الى حرص أعظم فلذلك قال فان فسد الملح فبأى شئ
يملح اذ لا يصلح بعد لشئ الا ان يلقى خارجا ويطاه الناس وذلك ان
الناس الاخرين اذا سقطوا دفعات ربوات عددها يقتدرون ان يستمدوا
عفوا فاما معلمهم ان أصابه هذا المصاب وسقط فقد عدم كل احتجاج وسيعذب
تعذيبا فى أقصى غايته فلكيلا اذا سمعوا قوله اذا طردوكم وعيروكم
وذكروكم بكل ذكر خبيث يتقولون به عليكم يمتنعون عن الخروج الى وسط
الدنيا قال انكم ان كنتم لا تحملوا هذه الحوادث فقد انتخبتكم باطلا
لانه لا يجب أن ترتاعوا اذا سمعتم ثلبا ومكروها لكن ينبغى لكم ان تخافوا
اذا اتفقتم معهم فى رايهم فانكم حينئذ تكونون قد حمقتم وغفلتم واذا
ابيتم تلذعونهم ثم سمعتم منهم ثلبا ومكروها فافرحوا فان هذا هو
عمل الملح ان يلذع المسترخيين ويغمهم فمن هذه الجهة الوصف المكروه
بلازم الضرورة ولا يضركم ضررا لكنه يكون شاهدا لتجلدكم وان خفتم ذكر المكروه
وتركتم الصرامة اللائقة بكم قاسيتم نوائب اصعب من الذكر المذموم كثيرا
وسمعتم ثلبا رديئا واستحقركم جماعتهم لان هذا الاحتقار بكم هو تدويسهم

ايا كم

ايا كم ثم اقتادهم الى مثال غير ذلك أعلامنه محلاوقال انتم نور الدنيا
فقد جعلهم ايضا ضوءا للدنيا ليس لامة واحدة ولا لعشرين مدينة لكن
ضوءا للمسكونة كلها وصيرهم ضوءا معقولا أفضل من هذا الشعاع
كثيرا كما جعلهم ملحا روحيا متقدما على الملح و بعد ذلك جعلهم ضوءا
حتى تعرف فائدة الكلمات المضاددة ما أعظمها ومنفعة التعليم الشريف
لانه يشد ولا يهمل سامعه ان ينحل ويجعله ان يبصره ويقتاده الى الفضيلة
ما تستطيع مدينة ان تستتر وهى موضوعة فوق جبل ولا يوقدون سراجا
ويضعونه تحت مكيال يقتادهم أيضا بهذه الاقوال الى عيشة بليغة فى تعمقها
ويؤدبهم ان يكونوا مجتهدين من طريق انهم موضوعين لدى الحاظ كل الناس
مجاهدين فى وسط مشهد المسكونة لانه قال لا تعرفوا هذا المعنى اننا الان
جلوس ههنا ونحن فى جزء صغير من زاوية فانكم بهذه الصفة تكونون
ظاهرين عند جميع الناس بصورة مدينة موضوعة فوق رأس جبل ونظير
سراج فوق المنارة ظاهر فى البيت فاين الذين ينكرون قدرة المسيح فليسمعوا
اقواله هذه واذا دهشوا من قوة نبوته فليسجدوا لقوته تفطن فى اى وعد وعد به
ما أعظمه الذين قد دلا فى بلدتهم لم يكونوا معروفين ان الارض والبحر يعرفانهم
ويذاع خبرهم الى المسكونة اقصى ويصلون بفعل احسانهم الى اقطار الدنيا
لان وصفهم باندفاعه ما جعلهم واضحين فى كل مكان فقط لكن ظهور اعمالهم
صيرهم مع ذلك ظاهرين فى كل المواضع لانهم كذوات الريش سعوا الارض
كلها اسرع من سعى الشعاع وزرعوا ضوء الدين الصحيح واظنه ههنا
يلجئهم للمجاهرة لانه بقوله ما تقدر مدينة ان تستتر اذا كانت موضوعة فوق
جبل انما يظهر بذلك قوته وكما انه ممتنع ان تستتر تلك المدينة فكذلك
هذه المناداة من الممتنع ان تستتر وتزوى واذ كان قد ذكر اضطهادات
واوصافا ومثالب ردية واغتيالات وحروبا فلئلا يظنوا ان هذه

العوارض تقدران تسكتهم جمرهم وقال ان هذه المناداة ليس انها ماتستتر فقط ولا تخفى لكنها مع ذلك تشرق فى المسكونة كلها و بهذه المناداة عينها يكونون هم ايضا مشرقين فبهذا القول يوضح قدرته و بالقول الذى يتلوه يطالب بالمجاهرة منهم قائلا هذا القول وما يوقدون سراجا و يضعونه تحت مكيال لكن على المنارة ليضئ لكل الذين فى البيت على هذا المثال فليلمع ضوءكم لدى الناس حتى اذا أبصروا اعمالكم الصالحة يمجدون اباكم الذى فى السموات فقد قال انا قد أوقدت الضوء ولكن ثبوته متوقدا فليكن عملا من اجل حرصكم واجتهادكم ليس لاجلكم فقط انفسكم لكن لاجل المزمعين ان يتمتعوا بلمعانه وينقادوا الى الصدق وذلك ان المثالب الردية ما تستطيع ان تحجب لمعانكم اذا عشتم انتم عيشة بليغة فى تهذيبها ويكون حالكم فيه حال مزمعين ان يسترجعوا المسكونة كلها فيجب ان تعيشوا عيشة موهلة للنعمة حتى كما ان تلك النعمة ينادى بها فى كل مكان فكذلك تقترن عيشتكم بها ثم وضع فائدة أخرى مع خلاص الناس فيها كفاية ان تجعلهم مجتهدين وتقتادهم الى كل حرص لانه قال اذا سرتم سيرة متقومة فانتم تلافون المسكونة وتهذبونها فقط لكنكم مع ذلك تجعلون اهلها ان يمجدوا الله كما انكم متى فعلتم اضداد ذلك فقد اهلكتم الناس و جعلتم اسم الهكم يفترى عليه ولسائل ان يسألنا فكيف يتمجد اسم الله فنجيبه اذا كان جميع الناس يذكر وناذكرا مكر وها بل ليس كلهم وكان اولئك الذين يعملون هذا العمل فى تزايد حسدهم ايانا يستعجبون منا و يستصوبون رأينا فى سريرتهم كما انهم اذا تظاهروا للعائشين فى خبثهم يثلبونهم فى عقلهم ويذمونهم ويوشك أيضا ان تقول ما رأيك أفتأمرنا ان نعيش للتظاهر والتباهى فاقول ابعد هذا الظن ما عنيت هذا المعنى لاننى ما قلت اجتهدوا ان تو ردوا الى وسط المحفل ما قد احكمتموه من الفضائل ولا قلت اظهروها

لكننى

لكنني قلت فليلمع ضوء كم وهذا معناه لتكن فضيلتكم كثيرة ولتكن نار كم واسعة وليكن ضوكم يعظم وصفه لان فضيلتكم اذا كان هذا مبلغ تقديرها يمتنع ان تستتر ولوستر ها مستعملوها دفعات جزيلا عددها

(العظـــــــــــــــة)

فاذ قد عرفنا الفائدة من هذا الحرص وايقنا بخطر التواني لان الافتراء بسببنا على سيدنا أشر من هلاكنا كثيرا فسبيلنا أن نصير عند اليهود وعند أهل بلاد غلاطية وعند كنيسة الهنا ابريا من تعييرهم ونجعل عيشتنا ألمع من الشمس وان أراد مريد ان يقول فينا قولا مكروها فلا نغتاظ ان نسمع مكروها لكن سبيلنا ان نتوجع عند استماعنا على جهة الواجب ثلبا مكروها وذلك اننا اذا كنا عائشين فى خبثنا وان لم يوجد احد من الناس يذكرنا ذكرا مكروها فنحن اشقى من كافة الناس واسوء حظا ومتى كنا مهتمين بالفضيلة فلو قال اهل المسكونة كلها قولا مكروها فسنكون نحن حينئذ أحق من كافة الناس بالتشبه بنا ونجتذب الينا جميع المريدين أن يخلصوا لانهم ما نظروا من الخبثا رداءة قولهم فينا لكنهم يصغون الى فضيلة عيشتنا لان وضوحها بالاعمال أبهى من كل بوق ومعاشنا النقي يكون من كل نور أظهر صفاء ولو كان الذين يثلبوننا كثيرين فى عددهم لاننا اذا ملكنا الفضائل المتقدم ذكرها كلها وكنا وديعين متواضعين رحومين انقياء مبدعى السلامة واذا سمعنا مكروها لا نسب قائله بدلا منه بل نفرح به كثيرا فنجتذب الذين يبصروننا ويميلون كلهم بالتذاذ الينا ولو كان أحدهم وحشا ولو كان خبيثا أو مهما كان من الاشخاص النافرين نجمع الينا فان كان الذين يذكرونك ذكرا مكروها يفعلون ذلك لاساءتك فلا ترتجف من هذه الجهة لانهم يسبونك جهرا لكن أفحص سريرتهم فتبصر انهم يصففون لك

و يعظمونك ويصفقون لك بمدائح عديدة وأبصر بختنصر الملك
كيف يمدح الثلاثة الفتية الذين طرحوا فى الاتون على انه كان عدوا لهم
ومحاربا ولما أبصرهم ثابتين باوفر شهامتهم أذاع فضلهم وكلاهم ليس
لفعل آخر الا لانهم خالفوه وسمعوا شريعة الههم وذلك ان ابليس المحتال
اذا ابصر ذاته لم يتمم شيئا يفر بعد ذلك هاربا خاشيا ألا تصير لنا علة لا كلها أكثر
تقديرا واذا ابتعد ذلك عن شاتمنا فلو كان نجسا مفسودا فسيعرف عند زوال ذلك
الغتام عنه فضيلتنا واذا كان الناس يعرضون عنك فستنال المديح من
الله ونظرا حتمالك أعظم قدرا فلا تتوجع اذا ولا تسقط اذا اذ
الرسل كانوا لاقوام من الناس نسيم موت ولاقوام نسيم حياة لانك اذا
كنت أنت لم تخول ولا حجة واحدة فقد تخلصت من سائر الهفوات وأولى ان
يقال انك قد صرت أسعد حظا فالمع اذا فى عيشتك ولا تحفل بقول احد
من القاذفين الثالبين لانه لا يوجد ولا يكون من هو مهتما بفضيلة ان يملك
أعداء كثيرين لكن هذا الحادث ليس هو عند المسكين فى فضيلته شيأ
لانه يكون بهؤلاء الثالبين وأمثالهم أبهى نورا وأعظم قدرا فاذ قد فطنا
بهذه الفوايد فلنراقب شيأ واحدا فقط وهو أن ندبر عيشتنا بمبالغة فى
استقصائها فاننا على هذه الطريقة نقتاد الجالسين فى الظلام الى الحياة التى
هنالك لان هذه قوة الضوء وذلك انهم اذا أبصرونا مزدرين بالاشيا الحاضرة
كلها منتظرين الحياة العتيدة فسينقادون بافعالنا قبل اقتبالهم كلامنا
لان من يكون بهذه الصفة زائلا فهمه فيرى من كان أمس وما قبله متنعما
موسرا قد صار مفتقرا من أملاكه كلها طائرا منها متحملا للجوع والفقر
ولكل صعوبة السيرة وللشدائد وللذم وللذبح ولكافة الاشيا المظنونة
انها مستصعبة ومكروهة فلا يحصل من هذه الجهة للنعم المأمولة برهانا واضحا
ومتى شبكنا ذواتنا بالاملاك الحاضرة واندفعنا الى أقصى باطنها فكيف نقدر
إن

ان نحقق اننا مسرعين الى سفر آخر وأى احتجاج يكون لنا بعد ذلك اذ كان
ما اقتدر عليه تشريف الناس عند فلسفة أهل بلاد غلاطية لا يقتدر عليه
خوف الله عندنا وذلك أن قوما من أولئك الفلاسفة تعروا من أموالهم
وتهاونوا بالموت ليظهروا عند الناس فضلا ولذلك صارت أمالهم باطلة
فاى احتجاج يخلصنا اذ كان لنا وصايا موضوعة هذا مبلغها وقد فقدت
لنا فلسفة جزيلا تقديرها فلم نقدر على الفضائل باعيانها التى اقتدر أولئك
الفلاسفة عليها لكننا نهلك ذواتنا واناسا آخرين غيرنا لانه ليس يضر كافرا
عامل اعمالا مخالفة للشريعة هذه الاضرار البليغة مثلما يضره مسيحى يعمل
هذه الاعمال المنكرة وأمثالها وذلك على جهة الواجب جدا لان شرف
أولئك فاسد مضمحل الان شرفنا هو بنعمة الهنا عند الكفار أيضا جليل
ظاهر فضله ولهذا السبب متى أرادوا أن يعيرونا أكثر تعييرا ويزيدوا
ثلبنا والتجنى علينا يقولون هذا القول لنا طريقة المسيحى طريقتك
فلولم يتوهموا فى ديننا توهما عظيما لما قالوا هذا القول لنا اما قد سمعت
المسيح كم وصايا أمرنا بها وما أعظمها فمتى يمكنك أن تتمم وصية من تلك
الوصايا اذ تركتها كلها وجلت جامعا أرباح الربا مخيطا قروضك
ناظما تجاراتك مبتاعا جوعا من العبيد صانعا ظروفا من الفضة مشتريا
حقولا ودورا كثيرة وسعها وليست هذه حالتك فقط اذا اضفت الى هذا
الاحتراص الباطل ظلمك فى اقتطاعك أرض جارك واخذك بيوته وضمها
اليك وأكثرت الفقراء وأنميت الجوع فكيف تقدر ان تطأ هذه
الدها البزا الجليلة ولكن قد يتجه لك وقت ترحم فيه الفقراء وأنا أعرف هذا
ولكن الفساد هنالك أيضا كثير لانك اما تعمل الصدقة بعجب وأما بصلف
حتى لا تربح فى أعمالك الصالحة ربحا ماذا يكون اسوء من ذلك حظا اذا
حصلت فى الميناغريقا فمتى لا يصيبنا هذا المصاب اذا عملت عملا مشكورا

فلا تطلب المنفعة منى اتحوز الله قريبا لك لانه قال جل قوله اقرضوا من لا تتوقعون ان تأخذوا منه شيأ واذ قد صار الله لك فما بالك تتركه وتطالبنى وأنا انسان فقير شقى العلة غريمك يغتاظ اذا طالبته أتراه فقيرا ألعله ما يريد أن يوفيك اما تبصر كنوزه التى لا توصف أما ترى تفضيله المتعذر شرحه فاضبطه وطالبه لانه اذا طولب على هذه الجهة يفرح ومتى أبصر غيره قد طولب عوضه بما هو غريم به يكون حاله حال من قد وصل اليه وما يقضى عليك بشئ بل يشكوك بواجب الشكوى ويقول لك أى زوال محافظة عرفته منى أى فقر عرفته عندى لانك تجاوزتنى أنت وجئت الى غيرى أقرضت آخر وتطالب غيره ولئن كان الذى تسلم القرض منك انسانا لكن الله الذى أمره أن يأخذه منك وهو يشاء أن يكون غريما أصليا لامثاله وضمينا ويخولك أسبابا وربوات عددها لتطالبه على سائر الجهات فلا تتركن بسهولة الفائدة وأشد متاجره وتطلب أن تأخذ منى انا الذى أملك شيأ ما بالك ترينى انا اذا رحمت فقيرا ألعلنى أنا قلت لك أعطه هل منى سمعت حتى تطلب منى الله الذى قال من يرحم فقيرا يقرض الله أقرضت الله فضع القرض عنده فان قلت فما باله ما يقضينى الان بجملة ما اقترضه أجبتك هذا العمل من أجلك يعمله لان الغريم هذه السجية سجيته ليس حالك حال كثيرين يسرعون فى توقيت ما أقرضوه فقط لكنه اذا وضع ما يدفع اليه فى حياته يتجربه فى كل وجه ويعمل به ولهذا السبب يعطى بعض ما يقترضه ههنا ويخزن بعضه لك هنالك فاذ قد عرفنا هذه الفوائد فينبغى ان نعمل الرحمة الجزيلة ونظهر التعطف كثيرا باموالنا وباعمالنا واذا رأينا أحد الناس سقيما أو مضروبا فى السوق فان أمكنا ان نراشيه بفضة فلا نتباطى وان قدرنا ان نحل مصابه باقوالنا فلا نتكاسل فقد يوجد مجازاة عن كلمة واحدة وأليق ان يقال قد يوجد ثواب للحسرات وهذا

فقد ذكره أيوب السعيد وقال أنا بكيت على كل مسلوب قوته وتحسرت لما
رأيت رجلا فى شدائده فان كان يوجد للبكاء والتحسر مجازاة فاذا قدمت
أقوالا وحرصا ومحامد كثيرة غير هذه فافطن أنت بمكافاة تكون لك ما أعظمها
السنا نحن كنا أعداء لالهنا فصالح وحيد بيننا وبينه اذ طرح ذاته فيما
بيننا واقتبل ضربا وموتا من أجلنا فسبيلنا نحن ان نخلص الواقعين فى
فى بلايا جزيل عددها ولكن سبيلنا ان نعمل ما نعمله الآن واذا رأينا
قوما يتصادمون ويفزر أحدهم جسم الآخر نقف مسرورين بما يستقبح
لغيرنا وينكر عليه ونقيم مشهدا شيطانيا نصطف حولهم وهذا الفعل
ما الذى يكون أوفر قساوة ممن يفعله أتبصر أناسا يمعون أشر المسبة
وأكرهها مفدغة رؤسهم ممزقة ثيابهم مجرحة وجوههم وتصبر على
الوقوف صامتا ألعل من قد حورب وخرصم هو دب أتراه وحشا العله
حية هو انسان يشاركك فى كل مكان أخوك عضوك هو فلا
تبصره لكن خلصه لا تسر بما يجرى عليه لكن تلافاه لا تحرك قوما
آخرين الى فضيحة الخصومة لكن أطرد الملتمين وفرقهم اذ كان السرور
بالمصايب التى هذه النكاية نكايتها يناسب من كان وقحا وعبدا زائلا
نخله وهو عمل الحمير الفاقدة النطق أتبصر انسانا مفتضحا فاتحتسب
انك أنت قد افتضحت وما تدخل فى الوسط وتنقض جيش ابليس
المحتال وتشتته وتحل البلايا الانسانية أفتأمر أنت بهذا أن
أدخل الى وسط الخصومة كى أكتسب ضربا وتهشيما فاقول لك ليس
يصيبك على هذا الحال الا كثر ذلك وان عرض لك ذلك فما يعرض لك
هو شهادة لك لانك لاجل الله أصابك ذلك فان كنت تجزع من أن يصيبك
ضرب وتهشيم فتفطن ان سيدك لم يجزع ان يحتمل لاجلك صلبا فا ولئك قد سكروا
وأظلمت بصائرهم حين اغتصبهم غيظهم وساد عليهم ويحتاجون انسانا معافيا

يتحدهم و بعينهم أعنى الظالم والمظلوم فالمظلوم يحتاجه من أن ينساله مكروها والظالم يحتاجه ليكف عن افتعاله منكدا فتقدم اذا وامدديدك وانجد أنت الصاحى ذلك السكران لان الغيظ هو سكر أصعب من سكر الخمر أماترى النواتية الذين اذا أبصروا قوماقد سقطوا فى غرق كيف يستطيعون ان يطووا قلوع سفينتهم ويذهبون بحرص كثير ليساعدوا الذين يواخونهم فى صناعتهم من شدة الامواج فان يكن الشركاء فى صنعة يظهرون مساعدة جزيلا مبلغها فالشركاء فى الطبيعة يليق بهم ويجب عليهم أكثر كثيراأن يعملوا هذا العمل لان ههنا غرقا أصعب من ذلك الغرق جدا لان الواقع فيه ان افترى وجدف عندما تعنت وعسف فقد أفرغ كلما أمكنه وخسره وأمايكون قد حنث لما جاد عليه غضبه فقد سقط الى جهنم أيضا وأمايكون قد ضرب ضربا واخترع قتلا فسيصير على هذا الغرق فى جهنم بعينه انطلق اذا واوقف العمل الردى وانتشل الغرقى بانحدارك الى لجة الشدة بعينها وتحليلك وتشتيتك مشهد ابليس المحتال وأحى كل منهم على انفراده وتسكن تلهبه وترقد أمواج حنقه فان تكن نار الخصومة عظيمة وأتونها قد صار أصعب الحوادث جدا فلا تخف فانك تملك كثيرين الذين يعضدونك ويساعدونك اذا اخترعت ابتداء للمصالحة فقط وقبل كل الناس تجد اله السلامة منجدا لك وان نقضت أولا لهيب المنافرة تبعك آخرون كثيرون وتستمد أنت ثواب مايصطلح باوائك واسمع مايوصى به المسيح اليهود الذين كانوا أبديين على الارض قال ان رأيت حماره دوك واقعا فلا تتجاوزه لكن أنهضه على ان الانفصال بين الناس المتخاصمين والاصلاح بينهم أخف كثيرا وأسهل من انهاض الحمار الطريح فان كان انهاض حمار عدونا عند سقوطه عملا محمودا فينبغى أن يكون أنهاض النفوس الطريحة أليق وواجب أن يكون عملا مأثورا لان هذه السقطة أصعب من تلك كثيرا لان نفوس المتخاصمين ماتسقط فى حماة لكنها تسقط فى نار جهنم

اذلا يحتمل

اذلا يحتمل ثقل وسق الغضب افترى أنت أخاك تحت حمل ثقيل وتبصر ابليس المحتال واقفا فوقه وناره مضطرمة مضطربة فتجاوزه بسجية القساوة وزوال الرحمة وهذا الغرض اذا استعملته فى بهيمة لا تكون خاليا من خطر ينالك والسامرى اذا ابصر جريحا مجهولا لم يكن من انسبائه فوقف به واركبه على حماره وأحضره الى الفندق واستأجر طبيبا واعطاه فى تلك الدفعة فضة ووعده فى الدفعة الاخرى بباقيها فانت ما تبصر واقعا فيما بين اللصوص لكنك تبصر ساقطا فيما بين جيش من الشياطين وفى حصار الغضب ليس فى برية لكن فى وسط السوق ولست مزمعا ان تنفق أموالك ولا ان تكترى حمارا ولا تشيعه طريقا بعيدا لكنك تتكلم فقط أقوالا فتعجز وتتأخر وتتجاوزه بغريزة جافية خالية من الرحمة وكيف تتوقع عند استغاثتك بالله ان تجده غفورا وسأخاطبكم أنتم المفتضحين فيما بين العامة قل لى ياهذا ان انصب الضرب على من يعبك ويظلمك وترفصه وتعضه فهل لا قد صرت خنزيرا بريا وحمارا وحشيا ولا تخجل ولا تخزى عند تمرك واسلابك شرف حسبك لانك ان كنت فقيرا لكنك حر وأن كنت صانعا بيدك الا أنك مسيحى فلاجل هذا بعينه وهو انك فقير يلزمك ضرورة أن تسكت هاديا لان المحاربة تناسب الاغنياء وما تناسب الفقراء فتناسب الاغنياء المالكين الحروب لضرورات كثيرة فأنت ما قد ملكت الغنى فتحول جامع النفس بلايا الغنى وهى العداوات والخصومات والحروب وتخنق أخاك وتخمه وتطرحه الى الارض جهرا وكل الحاضرين يبصرونك وما تحسب انك تفتضح أكثر اذا ماثلت نهضات البهائم والاليق ما يقال أنك تصير أشر منها لان خواص البهائم هى كلها مشتركة لها مشاعة فتترافق بعضها بعضا وتلتئم قطعانا وتمشى معا وليس لنا نحن خاصة مشتركة لكن نهضاتنا كلها فوق وأسفل فى الحروب والخصومات والمثالب والعدوات والمسبات وما نستحى من السماء التى اليها دعينا دعوة مشاعة ولا نخجل من

الارض التى قد أبيحت لمكافتنا لكن الغضب وعشق الاموال قد شجب كافة نهضاتنا وأهلكها أما رأيت ذلك الغريم بربوات وزنات ثم بعد المسامحة له بتلك القناطير عند خنقه نظيره فى العبودية بسبب مائة دينار كم بلايا قاساها وكيف دفع الى تعذيب قد عدم ان يفى امابر بعلك هذا المثال أما تخشى ان تعرض لك أنت هذه العوارض بأعيانها الا أننا نحن مديونون لسيدنا بديون كثيرة عظيمة لكنه على كل حال يتمهل ويطيل أناته علينا وما يعمل بنا كما نعمل نحن بنظرائنا فى العبودية ولا يخنقنا ولا يخنقنا على أنه لو شاء أن يطالبنا بأحقر جزء منها لكان قد أهلكنا قديما فاذا تفطنا يا أحبتى بهذه الفوائد فينبغى لنا أن نتواضع ونوجب لغرمائنا المنة علينا لانهم يكونون لنا اذا تفلسفنا سببا لاغتفار عظيم فنعطيهم أشياء يسيرة ونحصل نعما كثيرة فما بالك تطالب بغضب والزام وقد كان واجبا عليك ان شاء ذاك أن يعطيك شيئا أن تسمح له أنت فيه لتأخذ من الله كلما تختاره فأنت الآن تعمل كلما يمكنك وتغاضب وتخاصم حتى لا يسمح لك بشئ مما عليك وتتوهم انك تسعف قريبك وترفع السيف على ذاتك مهيئا التعذيب الذى فى جهنم عليك وان تفلسفت فى هذه الدنيا واحتملت قليلا جعلت القضايا الموجبة عليك ههنا رافقة وذلك ان الله يريدنا أن نبتدئ بهذه المنة لنأخذ حجة حتى يكافينا بأعظم منها لان بمقدار ما تهب لك غرماء بأموال أخذوها منك وبخطايا اجترموها اليك وتطلقهم كلهم كافة أحرارا بمقدار ذلك تطالب الله بمكافأة مسامحتك هذه النفيس محلها لانه ما دام أولئك غرماء لك فما تملك الله غريما لك وان سمحت لا ولئك وأطلقتهم أمكنك أن تضبط الله وتطالبه بمكافأة فلسفتك الجزيل تقديرها بمنة كثيرة مجاهرتها ولو اجتاز مجتاز وأبصرك ضابطا غريمك وأمرك أن تطلقه وتفوض اليه أنت ايفاء مالك على غريمك لما اختار بعدما اطلاقه أن يغدر بك على أنك ما قد نقلت اليه كلما كان على ذلك وترتب عليه فكيف

مايقضينالله اضعاف مانسمح به وأضعاف ذلك اذا أطلقنا أمر غرمائنا
يذهبون أبرياء من أن يكونوا مطالبين لانشتكي منهم زللا صغيرا ولا كبيرا
فلا تصفح اللذة الوقتية الحاصلة لنا من مطالبتنا غرمائنا لكن نتأمل الخسارة
التي ننالها ههنا ما أعظمها في الدهر الاتي لما أضررنا ذواتنا بغرامات قد
عدمت ان تضمحل ماثمة فسبيلنا أن نكون فوق الاملاك كلها ولنهب
لغرمائنا أموالا واجبة عليهم لنا وجرائم أجترموها الينا لنجعل القضايا الموجبة
علينا رافقة بنا ومالم يمكنا الوصول اليه بالفضيلة الاخرى نبلغ اليه بان لانحقد على
قريبنا ونتمتع بالنعم الصالحة الدهرية التي تكون لنا بنعمة ربنا يسوع المسيح
ومحبته للبشر الذي له وللاب معه والروح القدس المجد الى الابد آمين

المقـــــــالة السادسة عشر

لاتظنوا أني أتيت أنقض الشريعة أو الانبياء

يوجد وجه لسائل ان يستخبرنا ومن توهم فيه هذا التوهم اومن شككه بهذه
التهمة حتى تتلقى قوله بهذا الاحتجاج لان اقواله التي قالها ما تزلدت منها
تهمة هذا معناها لان ايعازه الينا أن نكون وديعين و رعين رحومين
انقياء في قلبنا وان نجتهد ازيد من عدل الشريعة لم يوضح وهما هذا
معناه لكنه قد اوضح وهما بخلاف هذه التهمة كلها فما احوجه ان
يقول هذا القول فنجيبه انه قال ذلك ليس على بسيط ذاته ولا باطلا لكنه اذا
عزم ان يشترع فرائض اعظم محلا من الفرائض العتيقة عند قوله قد سمعتم
انه قد قيل للقدماء لاتقتل وانا أقول لكم لاتغضبوا لان من غضب على
اخيه وجبت عليه الدينونة وان يمهد طريقا فريدا اشريفا سماويا سبق فقال
ذلك لئلا بغريب افتراضه يزعج نفوس سامعيه ويحملهم ان يعاندوا

ما يقوله ويرتابوا به لانهم وان كانوا ما تمموا الشريعة لكنهم تمسكوا بها على
كل حال بفطنة كثيرة وكانوا كل يوم ينقضونها باعمالهم وقد كانوا يريدون
ان تثبت سطور كتابتها ناجية من تزعزعها ولا يزيد فيها شيئا اكثر مما فيها
على انهم قد سامحوا رؤساهم اذ زادوا فيها ليس افتراضا افضل لكن افتراضا
اشر لانهم بزياداتهم حلوا على هذه الطريقة اكرام الوالدين ونقضوه
وبزياداتهم هذه في الشريعة المنحرفة عن الواجب نقضوا الفرائض الموضوعة
فرائض غير هذه كثيرة والمسيح الهنا فما كان من القبيلة الكهنوتية وكانت
الفرائض التي ازمع ان يوردها زيادة بديعة ليست منقصة للفضيلة لكنها
تزيدها جدا فلسابق علمه ان هذين الصنفين خاصتهما ان يزعجاهم
ويرجفاهم انتزع قبل ان يكتب شرائعه تلك العجيبة ما من شأنه ان يعيق
تميز فهمهم وان سألت وما هو الذي كان يعيقهم ويضعفهم اجبتك
هو انهم ظنوه اذا قال هذه الاقوال يريد بها تبطيل فرائضهم العتيقة
فازال هذا التوهم ولم يعمل هذا العمل ههنا فقط لكنه يعمله
ايضا في غير هذا الموضع لانهم لما ظنوا انه ضد الله لانه لا يحفظ السبت فازال
توهمهم هذا ووضع هنالك ايضا احتجاجاته بعضها اللائقة بلاهوته على
حدة وقوله ان ابي يعمل وانا اعمل وبعضها الفاظا حائزا محافظة جزيلة مثال
ذلك اذا اورد الى وسط كلامه نعجة ضايعة في يوم السبت واوضح شريعتهم
متزعزعة لاجل تخليص تلك النعجة وذكرهم ان الختان في السبت تعمل هذا
العمل بعينه ولذلك يتكلم في اكثر اوقاته كلمات اكثر تذللا من غيرها
ليزيل ظنهم انه ضد الله ولهذا السبب انهض امواتا كثيري العدد
بكلمته فقط حين استدعى العازر أضاف الى قوله صلاة ثم لكيلا يظهر
هذا الابتهال أدنى من والده استثنى وتلافى هذا التوهم بقوله يا ابتاه أشكرك
لانك كل حين تستجيب لي لكن انما قلت هذه الاقوال لاجل هذا الجمع

الحاضر

الحاضر لكى يصدقوا انك أنت أرسلتنى ولم يعمل كافة أعماله متآمرا
لئلا فى مرض أولئك ولم يفعل جملة أفعاله مصليا لئلا يخاف الكائنين
فيما بعد بسبب التوهم خبيث فيحلونه محلا ضعيفا خاليا من الاقتدار لكنه
خلط هذه الافعال بتلك الاعمال وتلك بهذه ولم يعمل هذا العمل على
بسيط ذاته لكنه يعمله بالفهم اللائق به لانه بعد افتعاله أعظم آياته بذات
سلطانه أبصر الى السماء فى أدنى آياته لان الذى فعل كافة البدائع بأمر
نافذ وهى محو خطايانا وكشفه لنا ما يتعذر أن يباح به وفتحه لنا الجنة
وطرده الشياطين عنا وتنقيته البرص والجامه الموت وانهاضه أمواتا
كثيرا عددهم وحين ابدع ان يخرج من خبزات قليلة خبزا كثيرا وهذه
فقد كانت أدنى من هذه البدائع كثيرا حينئذ رفع الى السماء طرفه موضحا انه
يعمل هذا العمل ليس لاجل ضعفه بل ليبكم وقاحة أولئك لان المقتدر أن
يعمل بسلطانه أعظم الاعمال كيف يحتاج الى صلاة فى أدنى أفعاله لكنه عمل
هذا العمل ليبكت على ما ذكرت وقاحة أولئك واذا سمعته يقول أقوالا
ذليلة فافتكر هذا الافتكار بعينه فى ألفاظه وذلك ان علل ألفاظه
وأفعاله الباهرة معانيها هى كثيرة هنالك ألا تظن انه غريب من الله أن يؤدب
جماعتنا ويشفينا أن يعلمنا تواضع القلب ان استماع اليهود كافة أقواله فى
دفعة بل يكن ممكنا ومشتمل جسمه أن يعلم اليهود الا يتكلموا فى وصف
ذواتهم كلاما عظيما ولهذا السبب ذكر هو فى أكثر الاوقات فى وصف
ذاته أوصافا ذليلة وسمح لاناس آخرين أن يقولوا فى وصفه أوصافا عظيمة
لانه حين فاوض اليهود قال قبل أن يكون ابراهيم أنا كنت وتلميذه
ما قال هذا القول لكنه قال فى الابتداء كان الكلمة والكلمة كان عند الله
والكلمة كان الله وأيضا فما قال هو البتة قولا بينا أنه هو أبدع السماء
والارض والبحر والبرايا المنظورة والغير منظورة كلها الا ان تلميذه قال

بكافة الجماهرة هذا القول دفعة ودفعتين ودفعات كثيرة وما نوفى
حادثا حين كتب ان البرايا كلها تكوّنت ولم يكن صنف واحد خاليا منها
منه وانه فى العالم كان والدنيا به تكوّنت وما معنى تعجبك أن كان
أناس آخرون يذكرون فى وصفه أوصافا عظيمة أعظم من التى قالها هو عن
ذاته انه كان قد أظهر باعماله عجائب كثيرة ما ذكرها بألفاظه ذكرا
واضحا فقد أوضح ايضا حا بالاعمى انه هو أبدع الانسان وحين اتفق له
الكلام فى وصف ابداع الانسان فى ابتدى الزمان ما قال اننى انا ابدعته
لكنه قال الذى ابدعهما ذكرا وانى ابدعهما وقد اوضح أيضا بالسمك
بالخمر وبالخبز وبالسكون الحادث فى البحر وشعاع الشمس الذى زال لمعانه فى
وقت صلبه وبافعال غير هذه كثيرة انه هو ابدع الدنيا والبرايا التى فيها
وما ذكر هذا المعنى بالفاظه البتة ذكرا بينا بل تلاميذه يذكرون ذلك ذكرا
متصلا وهم يوحنا وبطرس وبولس فان كان اولئك التلاميذ الذين
سمعوه مفاوضا ومخاطبا وممائلا ليلهم ونهارهم وابصروه مجترحا عجائبه
الذين قد حداهم على انفراد معجمات كثيرة واعطاهم قدرة بليغا تقديرها
الى ان انهضوا امواتا وجعلهم متمكنين هذا التمكن البليغ الذى
اوصاهم ان يتركوا من أجله كلما كان لهم ما امكنهم بعد فضيلة وفلسفة هذا مبلغ
جسامتها ان يحتملوا كافة العوارض قبل حلول الروح القدس عليهم
فالمحفل اليهودى الخالى من الفهم الناقص من مبلغ سموه هذه الفضيلة
الحاضر فى كل وقت من الزمان حضور الاتفاق فى كون العجائب التى حدثت
أو الاقوال التى قيلت كيف كان يحقق له انه ليس غريبا من الله الكل
لو لم يستعمل فى كافة افعاله انحطاطا مقاربا جزيلا مبلغه لانه لاجل هذا
السبب لما حل السبت ما أورد الاشتراع الذى ابدعه ايرادا على جهة تقدمه
هو فيه لكنه نظم حججا متكونه متلونه كثيرة فان كان اذا عزم ان يحل
وصية

وصية واحدة استعمل سياسة اقواله لكيلا يرتبع سامعيه فاليق
به واوجب ان يحتاج كثيرا الى تلافيهم واصلاح عزمهم اذ زادهم
اشتراعا آخر كاملا حتى لا يرجف الذين سمعوه حينئذ فلهذا المعنى لم يبن بيانا
شافيا تأديبه وتعليمه فى وصف لاهوته فى كل موضع وان كانت الحادثة
فى الشريعة ارجفتهم ارتجافا جزيلا فاظهاره ذاته الها يليق به كثيرا ان يقلقهم
فلهذا السبب يتكلم اقوالا كثيرة احفظ من رتبته وعند عزمه فى هذا
الموضع الى ان يبرز الى الزيادة فى الشريعة استعمل تلافيهم كثيرا لانه ماقال
دفعة واحدة لست احل الشريعة لكنه أعاد ذلك القول أيضا دفعة ثانية وزاد
قولا آخر أعظم لانه عند قوله لا تظنوا انى جئت انقض الشريعة استثنى بقوله
انى ماجئت انقضها لكننى جئت لاتممها وقوله هذا فلا يصد توقح اليهود
فقط لكنه يطبق مع ذلك أفواه مبدعى البدع فى دينه القائلين أن الشريعة
العتيقة من ابليس كانت فان كان المسيح انما جاء ليهدم تمرد ذلك المحتال
فكيف لا ينقض الشريعة لكنه تممها لانه ماقال انى لست أنقضها
فقط على أن هذا القول قد كان كافيا قال انى أتممها وهذا ليس
مضاددا فقط لكنه قول واضع لها ولك أن تسال فكيف لم ينقضها
وكيف تمم الشريعة والانبياء فنقول انه بافعاله حقق أقوال الانبياء
التى قيلت بهم كلها فى وصفه ولذلك قال البشير على انفراده ليتم ماقاله النبى
وحين ولد وحين سبحت الاطفال التسبيح العجيب وحين جلس فوق الاتان
وفى أفعال كثيرة غير هذه تمم هذا النبى بعينه ولولا أنه جاء لكانت قد
بقيت هذه النبوات فاقدة تمامها وتمم الشريعة ليس فى جهة واحدة فقط
لكن فى جهة ثانية وثالثة فتممها فى جهة واحدة بانه لم يخالف فريضة من
فرائضها والدليل على انه تممها كلها اسمع ماقاله يوحنا الصابغ
لانه يليق بنا على هذه الجهة ان نتمم كل عدل وقد قال لليهود من منكم يوبخنى

على خطية وقال لتلاميذه أيضا سيجى رئيس هذه الدنيا ولا يجد فى زللا
وقد قال النبى منذا على الزمان انه ما اقترف خطية ولا وجد فى فيه غش وفى
هذه الجهة الواحدة تممها وأكملها فى جهة ثانية باتمامه اياها بنا لان هذا
هو الحادث العجيب انه ما تمم هو الشريعة وحده لكنه وهب لنا مع ذلك
اتمامها وهذا المعنى قد أوضحه بولس رسوله فقال ان المسيح تمام الشريعة
محله محل عدل لكل من يؤمن به وذكر انه يحكم على الخطية فى جسمه ليتم عدالة
شريعته بنا نحن الذين لم نتصرف تصرف الجسم وقال أيضا أفنبطل الشريعة
بايماننا لا كان ذلك لكننا نثبت الشريعة بايماننا واذ سارعت الشريعة
فى هذا الغرض أن تجعل الانسان عدلا وضعفت عن ذلك جاء هو وأورد طريقة
العدل التى بالايمان وثبت مراد الشريعة وما لم تقتدر الشريعة عليه بسطور
كتابتها تممه هو بالايمان به ولهذا المعنى قال ما جئت لانقض الشريعة وان
بحث الباحث بحثا بليغا فسيجد جهة ثالثة يكون هذا الغرض فيها وهى
جهة الاشتراع الذى عزم أن يسلمه الينا لان الفرائض التى قالها ليست تبطيلا
للفرائض الاولى لكنها حصلت زيادة لها وتماما وبيان ذلك أن افتراضه
ليس هو تبطيلا لافتراض الشريعة لكنه تمام لها وتوفيق كثير لباقى
الوصايا كلها ولذلك طرح بزورها حينئذ على جهة قد أزالت التهمة عنها
فحين أشرقت الفضائل من الفرائض العتيقة والجديدة على أن يتهم من يقاسيها
أبين تهمة بالتضاد فيها استعمل تلافيها وأصلاحها لانه طرحها فيا سلف على
جهة الرمز بالالفاظ التى قيلت فيها الان قوله مغبوطون المساكين فى روحهم هو
مساو لقوله لا تغتاظوا وقوله مغبوطون الانقياء فى قلبهم هو عديل لقوله
لا تنظروا الى امرأة لاشتهائها وافتراضه لا تدخروا لكم ذخائر فى الارض يوافق
قوله مغبوطون الرحماء وافتراضه ان ننوح وان نحتمل الطرد والتعيير هو عديل
لافتراضه أن ندخل من الباب الضيق وافتراضه أن نجوع ونظمأ الى العدل

ليس هو معنى آخر الا ذاك المعنى الذى يذكره فيما بعد وهو ان كل ما تريدون
أن تعمله الناس بكم اعملوه أنتم بهم واذا طوب المصلح فقد ذكر هذا المعنى
بعينه عاجلا اذ أمر بترك القربان وبالاسراع الى مصالحة الحزون وباخلاص
التودد الى خصمنا لكنه هنالك فى تطوبياته وضع للذين يحكمونها جوائز
ينالونها وههنا رسم للذين لا يعملونها عقوبات يتكبدونها ولذلك قال هنالك
ان الودعاء يرثون الارض وقال ههنا ان من يدعو أخاه أحمقا يكون مستوجبا
لجهنم النار وقد قال هنالك ان الانقيا فى قلبهم يبصرون الله وقال ههنا أن
من أبصر بصرا فاسقا فهو فاسق كامل وقد دعا هنالك المصلحين أولاد الله وههنا
يرعبهم قائلا ائلا يدفعك خصمك الى القاضى وعلى هذه الجهة يطوب فى
تطوبياته الاولى النائحين والمطرودين وفى فرائضه بعد تلك يعمل هذا العمل
بعينه ويهول على الذين لا يسلكون فى هذه الطريقة بهلاكهم لانه قال
عن قوله ان السالكين فى الطريق العريضة هنالك ينقلبون الى الطريق
الضيقة طريق هلاكهم وقوله ما تستطيعون أن تعبدوا الله والمال هو
على حسب ظنى عديل لقوله مغبوطون الرحماء والعطاش الى العدل لكن
هذا معنى ما قلت انه لم يرد أن يقول هذه الفرائض بقول أفصح لكنه عزم
أن يزيدها أيضا أكثر من التطوبيات التى صنفها لانه ما يريد أن
نكون رحماء فقط لكنه يأمرنا باخراج الثوب التى تكون فاضلة ولا
يطالب وديعا على بسيط ذاته لكنه يأمر بتحويل الخد الآخر ان يريد ان
يلطمه فيزيل أولا القرمة المظنونة انها معاندة لهذا السبب ذكرت فيما قدمت
ذكره انه ما قال هذا القول دفعة واحدة لكنه قد قاله دفعة ثانية
لانه بعد ان قال لا تظنوا اننى جئت لانقض الشريعة أستأنف بقوله ما جئت
لانقضها لكننى جئت لاتممها لاننى أقول لكم حقا أن تعبر السماء والارض
لن تعبر من الشريعة ياء واحدة أو حرف واحد الى أن تكون كلها فالذى

يقوله هذا هو معناه انه لا يمكن ان توجد الشريعة فاقدة تمامها لكن يجب
أن تتم أصغر فريضة من فرائضها وذلك فقد فعله هو اذ تممها بكافة الاستقصاء
وفى هذا اللفظ يرمز منذ الى أن الدنيا كلها ستنتقل شكلها وما وضع هذا
على بسيط ذاته لكنه وضعه ليرفع سامعه و يريه سيرة أخرى يوردها فى
أتم العدل اذ عزم أن يحول شكل أنواع الخليقة كلها وان يستدعى جنس
الناس الى وطن آخر غير هذا والى استعداد لحياة أعلى من هذه محلا فمن
يحل وصية واحدة من هذه الوصايا الحقيرة و يعلم الناس على هذه الطريقة
يدعى حقيرا فى ملك السموات والذى يعمل و يعلم هذا يدعى عظيما فى ملكوت
السموات لما أراح ذاته من التوهم الخبيث وابكم حتى من أراد يعانده
أراءهم بعد ذلك ووضع تهويلا عظيما من أجل الاشتراع المؤتنف ابداعه والدليل
على انه لم يقل هذا القول من أجل فرائض الشريعة العتيقة لكنه قاله
بسبب الشرائع التى عزم هو أن يشترعها أسمع من أقواله التالية هذا القول
وهى لاننى أقول لكم أن لم يزد عدلكم أكثر من عدل الكتبة
والفريسيين فلا تدخلون فى ملك السموات فلو كان هول عليهم هذا
التهويل من أجل الشرائع العتيقة فكيف قال ان لم يزد عدلكم لان العاملين
الشرائع بعينها التى كان أولئك الكتبة يعملونها ما كان يتجه لهم أن يزيدوا
عمل العدل فان سألت وما هو العدل الزائد أجبتك هو قوله لا تتغاضبوا
لا تنظروا الى امرأة نظرا فاسقا وأسائل يسأل فلم دعى فرائضه حقيرة على انها
فرائض عظيمة رفيعة أجبناه لما عزم هو أن يورد اشتراعه فكما ذل ذاته
وتكلم من ذاته مرات شتى أوصافا ذليلة فكذلك قال فى وصف اشتراعه هذا
الوجه لكى تتذلل فى كل موضع وعلى نحو آخر استعمل كلامه على جهة التورع
لما توهموا انه أبدع بدعة جديدة يعرض التوهم فيها واذا سمعت قوله يدعى
حقيرا فى ملك السموات فلا تتوهم من ذلك شيئا آخر الا جهنم وعذابها لانه من

عادته أن يقرن بقوله ملكوت السموات ليس التمتع فقط لكنه يقصد بذلك وقت انبعاثنا ومجيئه ذلك المريع والا فكيف يشمل هذا القول أن من يقول لاخيه يا احمق يسقط في جهنم مع كونه لم يخالف الاوصية واحدة واين يكون في ملكوت السموات من يخالف وصاياه كلها ويقتاد أناسا آخرين الى نقضها فما قال هذا القول لكنه قال انه في ذلك الوقت يدعى حقيرا مطرحا واخيرا سيسقط حينئذ في جهنم على كل حال ولانه لم يزل الله فعرف توانى الكثيرين وان أناسا سوف يظنون ان الفرائض التي اشترعها انما هي زيادة في التأكيد وحدها ويقايسون شرائعه ويقولون أيعاقب أحدنا اذا دعى أخاه أحمقا وهل يصير أحدنا فاسقا اذا أبصر بصرا مجردا فلهذا السبب تقدم فازال الارتياب ووضع للفريقين كليهما وعيدا عظيما للذين يخالفونها والذين يجتذبون غيرهم الى مخالفتها فاذ قد عرفنا وعيده فلا نخالفن شرائعه ولا نرخي عزم المريدين ان يحفظوها فقد قال ومن يعمل ويعلم سيدعى عظيما في ملكوت السموات لانه لا يجب ان نكون نافعين انفسنا فقط لكن سبيلنا ان ننفع آخرين غيرنا لان ليس الجزاء باسواء لمن يصلح ذاته ويهذبها فقط بل ومن يضيف الى اصلاح ذاته اصلاح آخر غيره وكما ان التعليم بدون العمل يدين الذي يعلم به لانه قال يا من تعلم غيرك اما تعلم ذاتك فكذلك افتعالك الصلاح ولا تفيده لناس آخرين ينقص ثوابك وينبغي ان يكون احدنا في الغاية من هذين الصنفين كليهما فيصلح اولا ذاته ويهذبها وبعد ذلك يبرز الى الاهتمام باناس آخرين غيره لان ربنا لهذا السبب رتب العمل قبل التعليم موضحا بذلك ان احدنا على هذه الطريقة يقتدر ان يعلم اقتدارا كثيرا وما يستطيع البتة ان يعلم على غير هذه الطريقة لانه يسمع أيها الطبيب أشف ذاتك لان من لم يمكنه ان يعلم ذاته وأخذ في تعليم اناس آخرين ريثما يجد من يسخرون به كثيرا وابلغ ما يقال انه اذا كان هذا الحال حاله فلا يمكنه ان يعلم

اذ تكون اعماله تعاند اقواله فاذا كنت كاملا فى هذين الصنفين تدعى عظيما
فى ملكوت السموات لاننى اقول لكم ان لم يزد عدلكم اكثر من عدل
الكتبة والفريسيين فما تدخلون الى ملكوت السموات فههنا يسمى
الفضيلة كلها عدلا على نحو ما فاوض فى وصف ايوب وقال كان ذلك
الانسان خاليا من العيب عدلا وعلى حذوه ذا المعنى المرسوم دعا بولس
الرسول ذلك العدل الذى لم يوضع عليه شريعة وقال والشريعة لم توضع على
ذى عدل وقد يجد احدنا هذا الاسم موضوعا دفعات شتى فى فصول مختلفة
على الفضيلة الكلية وتامل لى انت زيادة النعمة وفيضها أن تريد تلاميذها
الاحداث فى فهمهم ان يكونوا افضل من المعلمين فى الشريعة العتيقة وما ذكر
ههنا كتبة وفريسيين على بسيط ذاتهم الذين يتعدون الشريعة بل الذين
يحكمون الشريعة ولو لم يكونوا قد أحكموها لما كان قال انهم يمتلكون
عدلا ولا كان أضاف عدلا لم يكن موجودا الى عدل موجود وانظر كيف
نظم الشريعة العتيقة فى هذه الالفاظ وثبتها وجعل هذه تقايس بتلك
وذلك يتبين أنها تناسبها وتجانسها لان الاكثر والاقل هما من جنس واحد
بعينه وليس يثلب الشريعة العتيقة لكنه يريد أن يزيدها لو كانت
الشريعة العتيقة خبيثة لما كان التمس الافتراض الاكثر فيها ولا كان
تلافاها وثقفها بل كان قد رفضها ولقائل أن يقول فاذا كانت الشريعة
العتيقة هذا المحل محلها فكيف ما توجّ الان حافظها الى ملك السماء فنجيبه
فى هذا الوقت ما توجّ الى ملك السموات المتصرفين فيها بعد ورود المسيح الهنا
من جهة ان المؤمنين به قد تمتعوا بقوة أكثر ويجب عليهم أن يجتهدوا بقوة
أكثر اجتهادات اذ كانت قد أوجت أولادها كلهم الى ملكوت السموات
لانه قد قال عز قوله ان أناسا جزيلا عددهم يوافون من المشارق والمغارب
ويتكئون فى حضن ابراهيم وكافة الذين اشرقوا فى العهد العتيق

أشراقاً مثل اسحق ويعقوب والعازر المسكين اذ تمتع بتلك الجوائز الجسيم محلها
مستبين مقيماً في حضن ابراهيم وكافة الذين اشرقوا في العهد العتيق اشراقاً
مفرطاً زائداً بالشريعة العتيقة اشرقوا كلهم ولو كانت العتيقة خبيثة
غريبة لم كان المسيح لما جاء تممها كلها فان كان عمل هذا العمل ليجتذب
به اليهود فقط وما فعل ذلك حتى يبين ان العتيقة مجانسة للجديدة وموافقة لها
فلاى سبب ما تمم فرائض أهل بلاد غلاطية وشرائعهم ليجتذبهم بذلك اليه
فواضح اذاً من سائر الجهات ان العتيقة ما توج الان الى ملكوت السموات ليس
لاجل انها خبيثة لكن لاجل ان هذا الوقت وقت وصايا عظيمة ولانها
ان كانت العتيقة انقص من الجديدة فهذا المعنى لا يظهرها خبيثة اذ
الجديدة على هذا المثال يعرض لها هذا العارض بعينه لان معرفة الجديدة
اذا قيست بمعرفة الحياة المأمولة توجد فضلة غير تامة وتبطل اذا جاءت تلك
لان الرسول قد قال اذا جاء المذهب التام يبطل الجزئي وهذا الفعل قد
فعلته الحديثة بالعتيقة لكننا ما نثلب العتيقة لاجل ذلك على ان الجديدة
ستفقد اذا حظينا بملكوت السموات لانه قال حينئذ يبطل المذهب الجزئي
لكننا مع ذلك نقول انها عظيمة ولئن كانت القدرة من الروح جوائزها
أعظم وأكثر فعلى جهة الواجب نطالب بمواهب أعظم لان ليست جوائزها
أرضاً تشتمل لبناً وعسلاً ولا ترفه شيخوخة ولا تكاثر بنين ولا حنطة وخمر
ورعاية غنم وقطعان بقر لكن صلاتها ملك السماء والخيرات التي في
السماء والبنوة بالوضع ومواخاة الوحيد وشركة موروثة والتمجد معه
وتلك الجوائز الجزيلة سعادتها والدليل على اننا قد تمتعنا بمعونة
أكثر اسمع الرسول بولس يوضحه بقوله فالان ليس يجب على الذين
في الايمان بيسوع المسيح اذا تصرفوا ليس في تصرف الجسم لكن
في تصرف الروح وذلك ان شريعة روح الحيا قد أعتقتني من شريعة

الخطية والموت فهو يهول على الذين يخالفون شريعته ويرسم جوائز عظيمة
للذين يحكمونها ويرينا انه يطالب البناء على جهة العدل باكثر من المقادير
الاولى وما يبتدى باشتراعه على بسيط ذاته لكنه يبتدى به على مقايسة
الفرائض العتيقة يريد بذلك ان يظهر لنا هذين الصنفين انه يشترع
هذه الفرائض ليس يخالف الفرائض الاولى لكنه هو يشترعها ملائمة لها
جدا وانه على جهة الواجب العدل الواضح اعتداله يزيد الفرائض الثانية
على الفرائض الاولى ولكى يصير ما وضحناه اوضح بيانا سبيلنا ان نسمع الفاظ
المشترع باعيانها ونتصفح ما قاله هو عز قوله قد سمعتم انه قد قيل للقدماء
لا تقتل فان من قتل وجبت عليه الدينونة على ان هذا هو الذى افترض
تلك الشرائع لكنه الان وضع أقواله من غير أن ينسبها لانه كان
قال قد سمعتم انى قد قلت للقدماء لكان قوله هذا صعبا قبوله وازعج
سامعيه ولو كان قال أيضا قد سمعتم ان أبى قد قال للقدماء واستثنى بقوله
فانا أقول لكم لظن سامعه ان تجاسره عظيما فلذلك وضع القول على بسيط
ذاته مخترعا من ذلك غرضا واحدا هو ان يبين انه جاء فى زمن ملائم لان يقول
فيه هذه الاقوال لان بقوله قد سمعتم انه قد قيل للقدماء اظهر الزمان الذى
تسلموا فيه هذه الوصية جزيلا مبلغه وهذا العمل عمله ليعطف السامع العاجز
الى ان ينهض الى أعلى الفرائض من أوامره كانه معلم يقول لصبى متضجع
اما قد عرفت كم زمانا افنيته فى درسك الهجاء الى هذا المعنى اشار هو بذكر
اسم القدماء يستدعيهم فيما بعد الى اعظم فوائد تعاليمه كانه قد قال لهم
قد امتلكتم زمانا فيه كفاية لتلاوة هذه الفرائض فيجب عليكم ان تسرعوا
فيما بعد الى فرائض أعلى من هذه الفرائض وما احسن ما عمل فى انه لم يبطل
ترتيب الوصايا لكنه ابتدى بالاولى من الاولى التى بدأت الشريعة منها
لانه بهذا الفعل يبين الاتفاق الكامل أرأيت انذار الانقياء يشترعه

وانا

وأنا أقول لكم ان من غضب على أخيه باطلا يكون مستوجبا الحكم عليه
أرأيت أيها السامع سلطانه الكامل أرأيت انذار الابقا بشترعه لان من
من الانبياء قال في وقت من أوقاته هذا القول من نطق بهذا من الصديقين
من ذكر هذا من رؤساء الآباء ما نجد ولا واحدا لكنهم قالوا هذه
الاقوال يقولها ربنا الا ان ابن الله ما قال هذا القول وبيان ذلك ان اولئك
أخبرونا بأقوال سيدهم وهذا اخبرنا باحوال أبيه واذا قلنا أقوال أبيه فانما
نقول أقواله لانه قد قيل جل قوله ان التي لي هي لك والتي لك هي لي
والانبياء اشترعوا لاخوتهم في العبودية وهذا يشترع لعبيده وسبيلنا
ان نستخبر الذين يعيبون الشريعة القديمة هل قوله لا تغتاظوا ضد لقوله
في الشريعة لا تقتل أم بهذا القول ابان ذلك القول واتقا أفضل فظاهر
جدا ان هذا القول كمال لذلك القول لاجل انه اعظم منه لان من
لا يخرج الى غيظ فاليق به واولى ان يبعد القتل عنه ومن يلجم غضبه
فاليق به وأوجب ان يضبط يديه عند غضبه لان الغضب أصل القتل فمن
قد قطع الاصل فاليق به وأولى ان يجفف اغصانها واوجب ما نقول انه ما يسمع
للابتداء أن يفرع فربنا يشترع هذه الفرائض اذا ليس لابطال الشريعة
لكنه يشترعها لحفظها لانه ما الذي تريده الشريعة فامرت بهذه الاوامر
أوليست أرادت بذلك حتى لا يقتل أحدنا قريبه فالا يعاذ بالقتل اذا يعد محارب
للشريعة لان معنى تقتل ضد لمعنى لا تقتل فان كان ربنا يأمر الا نتغاضب واوهذا
فقد أرادته الشريعة فقد ثبت الشريعة أكثر تثبيتا وبيان ذلك أن من قد
تدرب بالا يقتل يبتعد من القتل مثل ما قد ابتعد منه من قد قمع غيظه لان
قامع غيظه قد وقف أبعد من الجراءة على القتل كثيرا ولكي ننسفه رأى
المعارضين بطريقة اخرى سبيلنا أن نورد الى وسط كلامنا كلما يقولونه وهو
انهم يقولون ان الاله الذي أبدع العالم المشرق الشمس على الاشرار والاخيار

والمطر على المقسطين والظالمين هو شديد والذى هو أوفر ورعا من هؤلاء
يدفعون هذا الاعتقاد وهم يستعفون منه بقولهم انه عدل وبعد موته أنه يكون
صالحا ويقولون المسيح أبا واحدا آخر لم يكن موجودا ولا أبدع صنفا من
الموجودات ويقولون ان الذى ليس صالحا فى طباعه أن يثبت فى خواصه ويصون
براياه وان الصالح من عادته أن يرتاح الى البرايا الغريبة منه ويريد أن يصيره على
غفلة مخلصا البرايا التى ما كان مبدعا اياها أرأيت أولاد ابليس المحتال كيف
ينطقون من ينبوع أبيهم اذ يجعلون الاله غريبا من أبداعه اذ يوحنا الرسول
يقول انه الى براياه جاء والعالم به تكون ثم يتصفحون الشريعة التى فى العهد
العتيق الآمرة بقلع عين بدل عين وبانتزاع سن عوض سن ويستهزئون
فى الحين قائلين وكيف يمكن أن يكون مفترض هذه الفرائض صالحا فا
الاحتجاج الذى يعتمد عليه هؤلاء فنقول ان هذا الافتراض نوع عظيم من
التعطف على الناس   لانه ما شرع هذه الشريعة ليقلع أحدنا عين الآخر
لكنه اشترعها لنبتعد أبعد البعد من أن نعمل بأناس آخرين مكروها لارتياعنا
أن يصيبنا من آخرين مثله على قياس ما هوّل على أهل نينوى بانقلاب مدينتهم
ليس ليقتلهم لانه لو كان أراد ذلك لكان قد فعله صامتا لكنه توعدهم ليجعلهم
بالخوف أفضل مما كانوا فكيف نخطئه نحن على حذو ذلك وضع للذين
يظفرون بأسهل مرام الى أعين رفقائهم عقوبة لكى ان كانوا لا يريدون باختيار
صالح أن يبتعدوا عن جفاوتهم يمتنعون من أجل خوفهم من المقابلة من افساد
أبصار أصحابهم فان كان هذا الاشتراع جفاوة فاشتراعه فى ضبط قتل الناس
ومنع الفسق قساوة الا أن هذه الاقوال أقوال من قد زال ذهنهم وهى جنون
بلغ حد الغاية القصوى لاننى أنا أرتاع هذا الارتياع الجزيل تقديره من أن
أقول ان هذه الفرائض فرائض قساوة بمقدار ارتياعى من أن أقول بفكر

الثانى ان اضداد هذه الفرائض هى زائغة عن الشريعة لانك أنت تقول
اذ قد أمر بقلع عين بدل عين لاجل هذا هو قاس وأنا أقول انه لو كان ما أوصى
بهذه الوصية لكان قد ظن كثيرون انه قاس على ما توهمت أنت فهل نضع
بكلامنا أن الشريعة كلها محلولة وان أحدنا لا يخشى منها ولا عقوبة واحدة
ونطلق لجميع الخبثاء وللفساق ولقاتلى الناس والسارقين والخائنين
واضاربى آبائهم أن يستعملوا غرضهم بكل طمأنينة الا تصير منقلبة أحوالنا
كلها ما فوق أسفل وما كانت المدن والاسواق والمنازل والارض والبحر
والمسكونة كلها تمتلى نجاسات كثيرة وصنوفا من القتل جزيلة فذلك واضح
عند كل أحد وفى كل مكان واذا كانت الشرائع موجودة وخوفها وتهويلها
بالجهد نبتعد عن نزاعتنا الخبيثة ونلتجم فلو كان قد بطل هذه الحياطة
ما المانع الذى كان يمنعنا عن اختيار الرذيلة وكيف ما كان الفساد قد انبث
فى عمرنا لان ليس هذا الفعل قساوة فقط وهو التسامح للاشرار أن يعملوا
ما يريدونه لكن الاعراض عن الظالم فاقد الاعتناء به باطلا لا يصيبه مكر وها
ليس ذلك دون التسامح هذا وغيره قل لى أن جمع جامع أناسا أشرارا من كل جهة
وقلدهم سيوفا وأمرهم أن يطوفوا المدينة كلها وان يقتلوا جميع الذين يلاقونهم
هل كان يوجد أشر من هذا المستحث على هذا المنكر وما قولك ان كان
أحد الناس غير هذا قد كتف الذين قلدهم ذلك الشرير سلاحا وحبسهم بكافة
الاسراع واختلس الذين أشرفوا على أن يذبحوا بايدى أولئك الزائغين عن
الشريعة هل ما كان يوجد أحد أكثر تعطفا على الناس من هذا وأنقل
الى الشريعة من هذين المثالين لان الموعد باقتلاع عين بدل عين قد جعل
فى نفوس الخبثاء الخوف بمنزلة عقال قوى وهو شبيه بذلك الذى حبس متقلدى
السيوف عن نهضتهم ومن لم يرسم على الاشرار ولا صنفا واحدا من العقوبة فقد

اشرف بتطمينه اياهم أن يقلدهم سلاحا وهو شبيه بذلك الذى قلدهم السيوف
وأطلقهم على المدينة كلها أرأيت أوامر الشريعة كيف انها ليست قساوة فقط بل
تحنن على الناس جزيلا تقديره فان كنت لاجلها تسمى مشترعها
ثقيلا مستثقلا فقل لى أى هذين الصنفين أتعب وأثقل قوله لاتقتل أو
قوله لاتغضب ماهو أشدهما أمن يطالب بواجبات القتل أومن يطالب
بطائلة الغيظ أمن يلق الفاسق بعد فسقه فى التعذيب أومن يأمر بتأديبه
الواجب على الشهوة بعينها وهى طوائل لاتموت أرأيتم أن كلامهم قد انعكس
الى ضده وقد وجد اله العهد العتيق الذى ذكروا انه قاس مترفقا وديعا
وصار اله العهد الجديد الذى اعترفوا انه صالح ثقيلا مستثقلا على حذو
زوال فهمهم فنحن نقول ان مشترع العهدين كليهما واحد هو بعينه
مدبرا أفعاله كلها على مايجب ناظما فى فصل الاوقات صنفا صنفا من
اشتراعه فليست اذا فرائض العتيقة قاسية ولا فرائض الجديدة مستثقلة
لكنها كلها من مصدر واحد هو بعينه والدليل على انه هو أعطى العهد
العتيق اسمع ماقاله النبى فى ايضاحه فاولى بنا الاحتجاج أن نقول ذاك
وهذا قال أوثق لكم موثقا ليس كالموثق الذى وثقته لآبائكم فان السقيمين
باسقام المنانية لاتقبل هذه الاقوال فلنسمع بولس قائلا أيضا هذا القول
بعينه ان ابراهيم امتلك ابنين أحدهم من عبدته والآخر من امرأته الحرة
وهاتان المرأتان هما شبيهة العهدان وكمان المرأتان هنالك مختلفتين
ورجلهما واحد فكذلك ههنا أيضا العهدان هما اثنان ومشترعهما
واحد ولكى تعلم أنهما واحد من غريزة أنيسة واحدة بعينها قد قال هنالك
عين بدل عين وقال ههنا اذا لطمك لاطم على فكك الايمن فحول له الفك
الآخر لانه على نحو مايردع هنالك الظالم باتقاء التألم على هذا النحو
يردعه ههنا ولقائل أن يقول فكيف يردع الظالم اذ قد أمر المظلوم أن

يبذل

يبذل فكه الآخر وما معنى هذا فنقول له أنه ما أمر بهذا ليحل به أتقاء
المقابلة لكنه أمر المظلوم أن يخول ظالمه أن يشبع من كل ما يريده وما قال
ان ذلك الظالم يلبث ناجيا من أن يكون معاقبا لكنه قال للمظلوم لا تعاقبه
أنت مريدا مع ذلك الضارب أعظم ارتياع اذا ثبت على جهلة مسليا
المضروب كثيرا الا أن هذه الاقوال قيلت لنا في الوصايا كلها على ما يقول
قائل في مجاز كلامه فيلزمنا اضطرارا أن نصير الى ما اعتمدناه ونمارس
تتابع الاقوال التي قيلت سالفا قال من يغتاظ على أخيه باطلا يكون
مستوجبا للحكم عليه لانه ما بطل الفعل من كل وجه فأولا لانه لا يوجد
انسان خال من النقائص لكنه يقدر أن يضبطها ومن الممتنع أن انسان
خال منها بجملتها ومع ذلك ان داء الغيظ نافع اذا عرفنا أن نستعمله في وقته
الواجب تأمل اغتياظ بولس الرسول على أهل مدينة قرنثية اي فوائد تبحث
منها لان اغتياظه عليهم خلصهم من فساد عظيم واغتياظه على أمة
الغلاطيين أيضا رفعهم بعد سقوطهم وارد أناسا آخرين أكثر من هؤلاء واسائل
ان يسألنا أي وقت يصح فيه الغيظ الواجب فنجيبه اذا لم ننتقم لانفسنا باغتياظنا
لكن نغتاظ على آخرين فنردعهم به اذا جنحوا الى غيهم ونسترجعهم اذا توانوا
وناموا وأما الغيظ الغير واجب اذا اغتظنا منتصرين به لانفسنا وهذا فقط
منعه بولس الرسول وقال يا أحبتي لا تنتصروا لانفسكم لكن خولوا غيظكم
مكانا فاذا تخاصمنا بسبب الاموال فقد ابطل هذا العارض بقوله ولم لا تنظلموا
أكثر ولم لا تنخدعوا أكثر وكما ان هذا الغيظ فضلة زائدة كذلك ذلك
الغيظ هو ضروري موافق لكننا نحن الاكثرون نعمل خلاف ذلك اذا
ظلمنا نتنمر واذا رأينا غيرنا معسوفا مظلوما نتحل ونتراخى وهذان الصنفان
كلاهما مضادان للشرائع الانجيلية فاغتياظنا اذا كان واجبا ليس هو
زائغا عن الشريعة بل اذا كان زائغا عن واجبه ولهذا السبب قال الرسول

اغتاظوا ولا تحطئوا   ومن يقول لاخيه رقا يكون مطالبا بجناية متهاون
بالمجمع   وذكره ههنا المجمع يعني مجلس قضاة العبرانيين فوصفه الان لئلا
يتوهموا أن في كل مكان يبدع اشتراعا جديدا ورقا ليست هي لفظة مسبة
عظيمة بل معناها ولك وكيف ما يقال انها لفظة من تهاون المخاطب وتصغيره
على قياس ما نقول نحن اذا أمرنا عبيدنا الذين هم قوم أدنى منا محلا مثلا فنقول
اذهب أنت أوقل أنت افلان كذلك الذين يستعملون اللغة السريانية
يقولون رقا بدلا من أنت والهنا المتعطف علينا انتزع من خطابنا أصغر ألفاظ
التهاون بايعازه أن يخاطب أحدنا الآخر خطابا لائقا بالادب والتكريم
الواجب ليبطل باجتناب هذه الصغائر ما هو أعظم منها   ومن يقول لاخيه
بأحمق يكون مستوجبا لجهنم النار   أن كثيرين من الناس توهموا أن
هذا الامر ثقيل صعب كوننا بكلمة ساذجة ندفع الى عذاب هذا مقداره
وقوم قالوا الواجب ان يقال أن هذا القول أنما قيل على جهة المبالغة في
التحذير لكني أخشى الا نطغى أنفسنا بأقوالنا ههنا فنقاسي العقوبة في
الغاية القصوى بالافعال هنالك قل لي لم صار هذا الامر يظن انه ثقيلا أما
قد عرفت أن أكثر عقوباتنا وخطايانا هي أولا من أقوالنا الان أنواع التجديف
تكون بأقوالنا فلا تنظر اذا الى لفظة احمق وتقول أنها لفظة ساذجة لكن
تصفحها وفوادح الكفر تكون باقوالنا والوقيعات والشتايم وجرايم الخبث
والشهادة بالكذب باقوالنا تكون أيضا فلا تنظر اذا أنها لفظة ساذجة لكن
تصفحها أفترى انها تجرى خطرا عظيما فيها أتجهل أن في وقت العداوة اذا توقد
غيظنا تلتهب انفسنا ويستبين أصغر الحوادث عظيما ويتوهم اللفظ الذي ليس
هو بشيء شيئا ثقيلا جدا الذاعا وربما ولدت هذه الشتايم الصغار قتلا وأقلبت مدنا
بجملة ناسها وكما أن الصداقة اذا كانت موجودة فينا تكون المكاره الثقيلة
خفيفة عندنا فكذلك العداوة اذا حضرت فينا تستبين الالفاظ المستصغرة

مستصعبا

مستصعبا احتمالها ولو قيلت على بسيط ذاتها تظن انها قد قيلت بنية خبيثة
ومثال ذلك نشاهده فى النار اذا اتقدت شرارة صغيرة فى احطاب
كثيرة منضدة حولها لما تيسر تشبثها بها واذا على لهيبها كثيرا تستحوذ ليس
على الاحطاب وحدها لكنها اتا كل معها على الحجارة باسر مرام وعلى
كل مادة تسقط فيها وبالمواد التى قد اكتفى الناس ان يخمدوها بها تضطرم
اعظم اضطراما وقد قال قائلون انها فى حين اضطرامها يزيد ايقادها ليس
الحطب فقط وبحر الزيتون وغيرهما من مواد الحريق لكن الماء الذى
يحذف عليها فتصير قوتها كثيرة فهذا المثال نبصره كائنا من غيظنا ان مهما
تكلم به المتكلم صار فى الحين طعاما النار غيظنا الخبيثة فهذه العوارض كلها
سبق المسيح الهنا ففهمها وحكم على من يغتاظ باطلا بالحكم عليه فى جهنم النار
وقضى على من يقول رقا بجناية المتهاون بالمجمع الا ان هذين العقوبتين ليستا
عظيمتين لان عقابهما ههنا فلهذا السبب اضاف الى من يسمى اخاه احمقا نار جهنم
والان ذكر اسم جهنم اولا لانه قد تكلم فيما سلف فى وصف الملكوت اقوالا كثيرة
وفى هذا الحين ذكر جهنم موضحا ان تلك الملكوت هى اتعطفه وتحننه وجهنم
هذه هى لو توانينا واهملنا وابصر كيف فى التعاذيب يتقدم قليلا قليلا
تعارف الذى يكون معترفا لك موضحا انه ما يشاء هوان يهول غيظنا من التهويل
ولا بصنف واحد هذه صفته ونحن نجتذبه الى القضايا التى هذا الحال حالها
وتأمل انه قال قد قلت لك انك لا تغتاظن باطلا فان لم تقبل منى تكون
مستوجبا للحكم عليك فاذا تهاونت بهذه الوصية الاولى انظر ما الذى ولده غيظك
انه أخرجك فى الحين الى السب لانك دعوت أخاك رقا فرسمت أيضا
عقوبة أخرى فى عقوبة المجمع فان أعرضت عن هذه العقوبة خرجت الى
عقوبة أصعب منها فلست أعاقبك بهذه العقوبات المقتصرة لكنى أعاقبك
بعذاب جهنم الذى لا يموت لكيلا تظفر فيما بعد الى القتل لانه لا يوجد

مكروها ولا يكون أصعب من السب الذى لا يمكن احتماله و يقتدر أن يلذع
نفس الانسان كثيرا لاسيما اذا كانت لفظة السب بعينها الذع من غيرها
يصير لهيبها مضاعفا فلا تظن ان تسميتك أخيك بأحمق انها لفظة حقيرة وبيان
ذلك انك اذا انتزعت من أخيك عقله وفهمه اللذين بهما يمتاز عن البهائم
وبهما أكثر من باقى حواسنا نكون أناسا فقد أعدمته كافة الاحسان فلا
ننظرن الى الفاظنا على بسيط ذاتها لكن سبيلنا أن نتأمل أفعال العارض
بأعيانها ونتصفح تأثيره ونفتكر اية جراح تولدها هذه اللفظة والى أى فعل
شديد تبلغ ولهذا السبب أخرج بولس الرسول من ملك السماء ليس الفاسقين
فقط وحدهم والزناة لكنه أخرج منه معهم الشتامين ايضا وذلك على جهة
الواجب جدا لان الشتام يفسد الحب وخاصته المجيدة ويزج قريبه فى شدائد
كثيرة و يخترع عداوات دائمة و يفسخ أعضاء المسيح ويطرد كل يوم السلامة
المأثورة عند الله ويخول بشتائمه ابليس المحتال فسحة كثيرة و يجعله أقوى
تأييدا ولذلك قطع المسيح اعضاء اقتدار المحتال اذا ورد هذه الشريعة لان
فعل الحب عنده جزيل فضله لان الحب ان كان أم الصالحات كلها وهو
التعريف بتلاميذ ربنا المحتوى احوالنا كلها اكثر من كافة الفضائل فعلى
جهة الواجب قطع ربنا أصول العداوة التى تفسده و بطل ينابيعها بسرعة
كثيرة فلا تظنن هذه الاقوال التى قيلت انها مبالغة وزيادة فى التحديد لكن
تفطن فى المحامد الناشئة منها واستعجب من لطف هذه الشرائع و رفقها
لانه ليس عند الله فعلا محروسا عليه مثل اتحاد أحدنا بصاحبه وارتباطه به
ولذلك جعل الكلام فى وصف هذه الوصية عظيما بذاته و بتلاميذه
و بالفرائض التى فى العهد الجديد وبالتى فى العهد العتيق وهو منتصر
ومسارع لها ومعاقب للمتهاونين بها وذلك انه لا يوجد فعل يورد على هذه الجهة
كافة الشر ويمكن تأصله مثل زوال الحب ولهذا السبب قال اذا تكاثر الانحراف

من

فمن الشريعة يخفف حب الكثيرين على هذه الجهة صار قائين قاتلا لاخيه وهذه
الحالة كانت حالة العيس وعلى هذا الحال كانوا اخوة يوسف لما انزرعت
هذه الرذيلة فيهم انبتت الشرور الجزيلة بينهم ولذلك حسم هذه الافعال التى
تفسد من كل جهة بكافة الاستقصاء وما وقف عند الاقوال التى قالها
فقط لكنه أورد أقوالا اكثر من الذى قالها بين بها الداء ودواه وأظهر
مبلغ اهتمامه بنا لانه لما هول بالمجمع وبالحكم وبجهنم استثنى أيضا باقوال
أخر توافق الاقوال الاولى قائلا هذه الاقوال وهى اذا قربت قربانك على
المذبح وذكرت هنالك ان أخاك بحوى وجدا عليك فاترك قربانك
وانطلق أولا فصالح أخاك واذا جئت قرب بعد ذلك قربانك فيا لصلاح
نرضى الهنا و يا لافراط تعطفه علينا اذ يتهاون بالتكريم الواصل اليه لاجل حبنا
لقريبنا موضحا انه ما هوّل علينا بالتهويلات التى توعدنا بها اذا غضبنا
وما يتولد من الغضب مثل اهانة ومثل شتيمة من عداوة حادثة ولا لشهوة
عقوبة لكنه هول بها من اخلاص وده الكثير لنا فما الذى حدث اكثر من
هذه الالفاظ لفظا وتوددا قال فلتنقطع عبادتى لتثبت حبك اذا كان هذا
الفعل ضحية وهو مصالحتك اخاك لانه لهذا الغرض لم يقل انطلق بعد
تقريبك القربان لكنه قال اذا كان القربان موضوعا وعند ابتداء تضحيته
يرسل صاحبه يصالح اخاه ولا يأمره ان يذهب اذا جمع ما يقدمه
ولا قبل تقديمه لكنه قال يأمره ان ينطلق الى المصالحة والضحية طريحة فى الوسط
ولسائل يسألنا فلم يأمره على هذه الجهة ان يعمل هذا العمل ولاى سبب
فنجيبه على حسب ظنى انه يومى الى صنفين بهما يعمل هذا العمل احدهما
هو الذى ذكرته انه يشاء ان يرينا انه يكرم الحب كثيرا ويحتسب ضحيته
عظيمة ويوضح لنا انه ما يشاء مع خلونا من المحبة ان يقتل ضحيتنا والصنف الاخر انه
يجعل ضرورة الصلح لازمة قد زال الاستعفاء منها لان من قد أمر ان لا يقدم

أحدنا قربانه أولا الى ان يصالح أخاه فلو لم يذهب لاجل حبه لاخيه ويسرع الى المحزون يبقى قربانه عديم الكمال ولا ينقض العداوة بل ويزيدها ولهذا السبب قال كافة الاقوال فعلية واوضحها باجلى بيان عن غيرها امر بعاذاك المحزن منهضا اياه لانه اذ قال دع قربانك ما وقف قوله عند هذا اللفظ لكنه استثنى بقوله لدى المذبح ومن جلالة المكان أيضا القاه فى الارتياع وانطاق وما قال انطلق فقط بل أضاف اليها أولا واذا جيت بعد ذلك قرب قربانك موضحا بهذه الاقوال كلها ان هذه المائدة ما تقبل الذين يعادون بعضهم بعضا فليسمع المتقدمين الى مائدة القربان بعداوة وليسمع الذين قد عدموا اسرار المعمودية لان كلامنا يجرى سرا مشتركا بيننا وبينهم لانهم يقدمون قربانهم وضحيتهم وصلاتهم وصدقاتهم وهم كذلك والدليل على ان هذين الصنفين ضحية اسمع ما قاله النبى فى ايضاح ذلك قال ضحية التسبيح تمجدنى وقال أذبح لله ذبيحة تسبحتك ورفعى يدى ضحية مسائية فيجب من ذلك ان قدمت صلاة هذا الحال حالها فالافضل ان تترك صلاتك وتذهب الى مصالحة أخيك وبعد ذلك تقدم صلاتك لان بسبب هذا الصلح تكونت البدائع كلها من أجل الصلح صار الاله انسانا واصطنع تلك الافعال كلها حتى يجمعنا فههنا يرسل الظالم الى المظلوم وفى الصلاة يقتاد المظلوم الى الظالم ويصالحه لانه قال هنالك أصفحوا للناس عن ذنوبهم وقال ههنا ان ذكرت انه يحوى وجدا عليك فاذهب الى عنده والاليق ان يقال انه يرسل على حسب ظنى ههنا المظلوم الى ظالمه ولذلك ما قال اصلح ذاتك لاخيك لكنه قال صالح اخاك وقد يظن ان هذا القول الذى قيل اغناه ومن اجل المحزن وجملة ما قيل اغناه ومن أجل المحزون لانه قال اذا صالحت ذاك بسبب حبك اياه اكن انا غفورا لك وتقدر ان تقدم ضحيتك بدالة كبيرة فان لبثتم حاقدين فلذلا يظن اننى أنا أوعد بالتهاون بضحاياى الى ان يصطلح الحال بينكما وتصيرا متصادقين فلتكن افعالك

هذه الهوة لغيظك وماقال اذا كنت مظلوما بانواع من الظلم عظيمة حينئذ
صالح ظالمك لكنه قال ولو كان عليك شيئا يسيرا وما اضاف الى ذلك
ان كان على جهة العدل وان كان على جهة الظلم لكنه قال على بسيط
ذات قوله ان كان يحوى عليك لوما لانه ان كان على جهة العدل فلا
يجب على هذه الجهة ان تطيل عداوتك اذ المسيح قد اغتاظ علينا على جهة
العدل لكنه مع ذلك قد بذل ذاته للذبح من اجلنا ولم يحسب هفواتنا
تلك علينا وكذلك استحثنا بولس الرسول بنحو آخر الى المصالحة وقال لا تغرب
الشمس على غيظكم وكما استحثنا المسيح ههنا الى المصالحة من ضحيته
فكذلك استعجلنا بولس الى المصالحة بعينها من النهار لانه خشى الليل
لئلا يتناول المجروح وحده فيجعل عقره اعظم وجعا لان فى النهار يجد
الجريح الذين يسكنون وجعه وينتشلونه واما فى الليل اذا بقى وحده
ولبث يتفكر على انفراد تتفاقم امواج حزنه ويصير اختباطها عظيما فلهذا
السبب سبق بولس فاستدركه مريدا ان يدفعه الى الليل بعد ان قد صالح
محزنه لكيلا يحصل لابليس المحتال فى الليل ولا حجة واحدة يضرم بها اتون
الغيظ ويجعله اشد التهابا على هذا المثال لا يسمح المسيح بانتظار الصلح
ولا لحظة يسيرة بعد تقديمه القربان لكيلا اذا تمت الضحية يتوانى ويتكاسل
ويؤخر الصلح من يوم الى يوم لئلا يتيسر لابليس المحتال من هذه المماطلة اسبابا
ولعلمه ان داء الغضب يحتاج الى الاسراع بالعلاج ومثلما يخترع طبيب
حكيم ادوية ليس من شأنها ان تقدم فتحفظ اجسامنا من امراضها فقط
لكنه يركب مع تلك الادوية ما يصلح فكذلك عمل هو جات حكمته لان
منعه ايانا ان ندعوا اخانا احمق هو دواء يتقدم فيحفظنا من العداوة
وايعازه الينا ان نصالح اخانا هو دواء مزيل الاسقام المتكونة بعد العداوة
وابصر كيف يصنع صنفا صنفا منهما بسرعة لانه هنالك هول بجهنم وههنا

ليش يقبل قربانناقبل مصالحتنا اخانا مبينا ان داء الغيظ مضر جدا وبهذه
الادوية كلها يستأصل قرمه وثمرته فقال اولا لا تغتاظن وقال بعد ذلك
لا تشتمن لان هذين الصنفين كليهما يغذى احدهما بالاخر ومن العداوة تتكون
الشتيمة ومن الشتيمة تتكون العداوة فكذلك يداوى الاصل احيانا ويداوى
الثمرة ويشفيها احيانا مانعا للفعل الشرير ان يطلع ابتداؤه ففى ما افرع واثمر
ثمرا اشر الاثمار احرقه من كل جهة احراقا عظيما ولهذا السبب ذكر حكومة
ومجمع وجهنم وتكلم فى تقريب الضحايا واستثنى باقوال غير هذه قائلا
هذا القول كن سريع التودد الى خصمك عاجلا مادمت معه فى الطريق
لئلا يسلمك الى الحاكم والحاكم يسلمك الى المستخرج وتلقى فى السجن الحق
أقول لك انك لا تخرج من هنالك حتى توفى آخر فلس عليك ولكيلا يقول احدنا
فما رأيك ان أنا ظلمت ماذا أعمل اذا خطف مالى وبعد ذلك سحبت الى
الى مجلس القضاء فقد بطلت هذه الحجة لانه قد أمرك الا تعادى خصمك
ولا اذا ظلمك هذا الظلم ثم اذا كان هذا الافتراض العظيم هكذا جعل
التهويل عنه من الحوادث الحاضرة التى من عادتها تضبط من كان فكرهم
اكثف همة وتقبضهم أكثر مما ينضبطوا من المهاول المأمولة لانه قال
ما الذى تقول ان خصمى يوجد اقدر منى ويظلمنى فالاليق ما أقول انه سيظلمك
كثيرا اذا لم تنقض معاداتك لكنك تلزمه ان يمضى الى مجلس الحكم لانك
حينئذ اذا باينت اموالك تمتلك جسمك حرا واذا حصلت تحت حكومة الحاكم
تستكشف وتقوم بآخر ما يجب عليك واذا أنت أبطلت الخصومة بحضرة
الحاكم فستثمر صنفين محمودين أحدهما الا يصيبك مكروها والاخر ان
تصير احكام الفضيلة لك ولا يكون من غضب ذلك أيضا فان لم تؤثر ان
تقبل ما قد قيل لك فلست تظلم ذاك ظلما يكون مقداره بمقدار ما تظلم نفسك
وانظر كيف استثنى ههنا بهذا المعنى لانه اذ قال كن سريع التودد الى
خصمك

خصمك استثنى بقوله عاجلا وما اكتفى بهذا لكنه التمس اضافة الى هذا
زيادة اخرى بقوله مادمت معه فى الطريق دافعا ايانا بهذه الاقوال
مستحثاله بكافة المسارعة لان ليس فعلا من شأنه ان يقلب عيشتنا بهذه
الصورة مثل توانينا فى عمل المصالحة ومادفعتها وهذا الفعل
ربما جعلنا ان نفقد كلما نريده على نحو ماقال الرسول بولس احلل
عداوتك قبل ان تغيب الشمس وعلى حسب قول ربنا فى أقواله السالفة
قبل هذه وهى قوله ان قدمت له قربانك على هذه الجهة وقال ههنا عاجلا
باسراع مادمت معه فى الطريق قبل ان تصل الى ابواب مجلس القضاء
فى موقف الحكم وتحصل حينئذ تحت سلطان القاضى لانك قبل الدخول الى
هنالك انت المستولى على كلما تشاء فاذا سلكت تلك الدهاليز فلا تقدران
تسرع فى اصلاح احوالك كما تشاء عند اضطرار رفيقك وان سألت وما معنى
قوله كن سريع التودد اجبتك ان هذا معناه اقبل ان تكون مظلوما أ كثر
من أن تظلم وأحكم على هذا المثال فى هذا الحكم كانك مالك رتبة ذلك لكيلا
تفسد المذهب العدل بحبك ذاتك لكى توردهذه القضية ايرادمن يسير فى
الفعل القريب منه لا كمن يسير فى فعل غريب وان كان هذا الفعل عظيما
فلا تستغرب ذلك فانه لاجل هذا الفعل رسم تلك التطويبات كلها ليتقدم
فيمهد نفس سامعه و يجعلها مستعدة لقبول كافة اشتراعه اكثر استعدادا
وقد قال قائلون انه يرمز باسم الخصم الى ابليس المحتال بعينه و يأمرنا ان لانمتلك
شيأ من اشياء ذاك لان هذا معنى سرعة التودد من طريق انه بعد انصرافنا من
ههنا مايمكننا ان ننصرف من العقوبة التى قد فاتها الاستعفاء منها المنتظرة
فيما بعد وعلى حسب ظنى انه يقول عن القضاة ههنا وعن الطريق
الى مجلس حكمهم وعن هذا الحبس اذ كان من شأنه أن يستميلنا من وصفه
النعم المأمولة التى هى أرفع منزلة من غيرها ويرعبنا من المكاره التى فى عمرنا

الحاضر وهذا العمل يعمله بولس الرسول عند اقتياده سامعة من المكاره
المأمولة ومن الحوادث الحاضرة كقولك عندما أورد كلامه في الشر يرى
الشرير استعمال الرئيس سلاحه على كل حال قائلا وان عملت المنكر فخف
منه فانه ليس يتقلد سيفه باطلا لانه خادم الله هو ويقول أيضا امرا
بالخضوع له فما يضع خوف الله فقط لكنه يورد مع ذلك تهويل السلطان
وأشغافه ان الخضوع له يلزمنا اضطرارا ليس لاجل غيظة فقط لكن
من أجل تميز فهمه أيضا لان هذه التهويلات الظاهرة لدى أرجلنا من شأنها
على ما أسلفت ذكره أن تلافي الدعي القياس عن غيرهم ولذلك ما ذكر المسيح
الهنا جهنم فقط لكنه ذكر معها مجالس حكم واقتياد اليه وحبسا وجملة
الشقاء الذي فيه مستأصلا بهذه التهويلات كلها أصول القتل لان من لا يزدري
اذا شتم ولا يهان اذا حوكم ولا يطيل عداوته كيف يقتل في وقت من أوقاته
فقد استبان واضحا من هذه الجهة ان وافقنا موضوع يوافق قريبنا
لان من يحسن التودد الى خصمه ينفع ذاته أعظم المنافع وأنفعها مستخلصا
ذاته من مجالس القضاة ومن المحبوس ومن الضنك الذي هنالك

العظة

فسبيلنا أن نقبل الاقوال التي قيلت لنا ولا نتعاند ولا نتخاصم ولاسيما ان هذه
الاوامر تجعل في أنفسنا لذة جزيلة ومنفعة كثيرة قبل الجوائز عنها وان كان يظن
الكثيرون من الناس انها ثقيلة وتسبب تعبا عظيما فتفطن انك لاجل المسيح
تعملها فيصير المحزن لذيذا لاننا اذا امتلكنا كل حين هذا الفكر فنحن
بصنف من الاصناف ثقيلا لكننا نستمد من كل جهة لذة كثيرة لان
التعب فيها ليس يستبين أيضا تعبا لكن بمقدار تماديه وتزائده يكون
كذلك مقدار حلاوته وتكون لذته أكثر كثيرا واذا لبث اختيال الاعمال

الردية

الردية يستوفيك واشتهاء الاموال يطغيك فنجند مقابلهما بذلك الفكر القائل اننا اذا تهاونا باللذة الوقتية ننال ثوابا عظيما وقل لنفسك لا تغتمى كثيرا لانى أعدمتك اللذة لكن أفرحى لانى أسبب لك اسماء است تعملين هذا العمل لاجل انسان لكن لاجل الله تمهلى قليلا فتبصرين فائدتك ما أعظمها اصبرى فى هذا العمر الحاضر فتنالين دالة يعجز وصفها فان خاطبنا هابهذه الاقوال وأمثالها فلا نستثقل من الفضيلة لكن نفتكر فى الاكاليل الحاصلة منها فسنبعدها من كل رذيلة ونصونها ولئن كان ابليس المحتال يرينا الصنف اللذيذ وقتيا والصنف الموجع دائما فنحن على كل حال نقدر أن نقهره اذ كان هذان الصنفان عندنا على جهة العكس فنجعل الصنف الموجع وقتيا والصنف اللذيذ نافعا قد عدم أن يوجد ميتا فاى احتجاج يكون لنا اذا لم نستعمل الفضيلة بعد تسلية هذا المبلغ مبلغها لانه يجزينا عوض الحظوظ كلها معتمدا الاتعاب وايقاننا ايقانا بينا اننا لاجل الله نصبر على هذه العوارض كلها ولئن كان أحدنا اذا اقتنى الملك غريماله نشعر انه قد امتلك حفظا كافيا لكافة حياته فتفطن بأية صورة يكون من يقتنى الهنا المتعطف على الناس الحى دائما غريماله بالصغار والكبار من فضائله التى أحكمها فلا تقدم لى اعرافك واتعابك ولا التأميل فى النعم المأمولة فقط لان الرب الهنا قد جعل الفضيلة على جهة أخرى خفيفة المراس عند ممارسته اياها معنا ونصرتها ايانا فيها فان شئت فقط قدم نشاطا يسيرا مستتبع معوناته الاخرى كلها لانه لاجل هذا المعنى يريدك أن تتعب كثيرا وقليلا ليكون الظفر لك وبمنزلة ملك يريد غلامه أن يحضر فى المصاف ويرشق النشاب ويظهر ذريته حتى يحسب الظفر له ويتمم ملكه كلما يحتاج اليه فكذلك يعمل الله تبارك اسمه فى حروبنا الثائرة من ابليس المحتال لانه يطلب منك فعلا واحدا فقط هو أن تظهر قدام ذلك

العنيد عداوة خالصة فاذا ظهرت له مطلوبه هذا هو يتمم صنيعه وان
أورد ذاك الغيظ وان أحضر شهواته وان أورد سر بعاداه آخر من
أدواء عزمنا أشر اغتصابا فاذا أبصرك الله متعاديا مقابله متقدما لحربه
يحمل حروبه كلها سائلة لديك ويقيمك أعلى من لهيبها على حذو ما أنجد
حينئذ أولئك الفتية في أتون بابل لان أولئك ما أوردوا فعلا أكثر من عزمهم
فلكي ننقض نحن كل لذة خالية من الترتيب ههنا ونفلت من جهنم
هنالك ينبغي أن نرتأي كل يوم هذه الادواء ونهتم بها ونعملها بايثارنا الود لله
بالزيادة في الاعمال الصالحة وبالصلوات المتصلة فاننا على هذه الجهة
تكون عندنا الاعمال التي نظن انها متعبة الآن وتفوق طاقتنا سهلة وخفيفة
ومعشوقة لاننا مادمنا في أمراض هوانا ثابتين نستشعر الفضيلة خشنة صعبة
مندفعة الى فوق ونظن الرذيلة ماثورة معشوقة لذيذة فاذا ابتعدنا من هذه
الطاغي قليلا حينئذ تستبين لنا الرذيلة مرفوضة مكروهة وتظهر لنا
الفضيلة سهلة متيسرة ماثورة وهذه الفضائل يجب لنا أن نعرفها من
الذين أحكموها معرفة واضحة واسمع بولس الرسول كيف يوجب الخزي
على تلك الرذائل بعد استخلاص أصحابها منها قائلا وما هو الثمر الذي ملكتموه
حينئذ هو الذي تخجلون الآن منه وتأنفون ويذكر أيضا في الفضيلة انها
بعد التعب خفيفة اذ سمى الامة سرورا اذ قال فلذلك استبشر بالامراض
بالشتائم بالشدائد بالاضطهادات بالضيقات من أجل المسيح يسوع جاعل
السخطة وتعبها خفيفا وعند سروره بالامة وابتهاجه في ضغطاته
وتباهيه عظيما برسوم أوجاعه لاجل المسيح فلكي نثبت نحن في هذه
المملكة سائرين ولكي نقوم ذواتنا كل يوم بما يقال لنا ونتناسى الرذائل
التي وراءنا ونمتد سعينا في الفضائل التي قدامنا ونسعى هكذا الى راية الفضائل
للدعوة التي في العلا التي تكون لنا اجمعين ونرزقها بنعمة ربنا يسوع المسيح

ومحبته

ومحبته للبشر الذى يليق للاب معه والروح القدس المجد والعز والاكرام والسجود الى أبد الابدين آمين

المقالة السابعة عشر

قد سمعتم انه قد قيل للقدماء لا تفسق وأنا أقول لكم أن كل من يبصر امرأة ويشتهيها فقد فسق بها وكان بقلبه

لما تمم الوصية الاولى واوصلها الى فلسفة فى أقصى غايتها سائرا فى طريق التعليم وترتيبه تقدم بعد ذلك الى الوصية الثانية طائعا الشريعة فى هذه الاغراض مع ان الشريعة ما ذكرت هذه الوصية ثانيا لكنها ذكرتها ثالثة لان الوصية الاولى من الشريعة ليس هى لا تقتل لكنها الرب الهك واحد هو ولذلك صار هذا المعنى موهلا للبحث عنه لاجل اى غرض ما ابتداه من تلك الجهة فنقول انه لو ابتداه من تلك الوصية وجب ان يتمها وان يجمع ذاته وما كان قد حان وقت يعلم فيه من اجل ذاته تعليما هذا حالة ولمعنى غير ذلك انه مارس عاجلا الكلام المصلح الاخلاق لا يشاره أولا أن يحقق ههنا من عجائبه عند سامعيه انه كان ابن الله ولعمرى ان قوله فى ذلك الحين قبل أن ينطق بتعليم وقبل أن يعمل عملا قد سمعتم انه قد قيل للقدما أنا الرب الهك ولا يوجد آخر سواى فأنا أقول لكم أن تسجدوا الى كسجودكم لذلك فقد كان يجعل كل من يسمع قوله أن ينظر اليه بصورة مجنون لانهم ان كانوا بعد تعليمه وبعد آياته الجزيل مبلغها ولم يكن قد قال هذا القول ظاهرا

ومحبته للبشر الذى يليق للاب معه والروح القدس المجد والعز والاكرام والسجود الى أبد الابدين آمين

المقالة السابعة عشر

قد سمعتم انه قد قيل للقدماء لا تفسق وأنا أقول لكم أن كل من يبصر امرأة ويشتهيها فقد فسق بها وكان بقلبه

لما تمم الوصية الاولى واوصلها الى فلسفة فى أقصى غايتها سائرا فى طريق التعليم وترتيبه تقدم بعد ذلك الى الوصية الثانية طائعا الشريعة فى هذه الاغراض مع ان الشريعة ما ذكرت هذه الوصية ثانيا لكنها ذكرتها ثالثة لان الوصية الاولى من الشريعة ليس هى لا تقتل لكنها الرب الهك واحد هو ولذلك صار هذا المعنى موهلا للبحث عنه لاجل اى غرض ما ابتداه من تلك الجهة فنقول انه لو ابتداه من تلك الوصية وجب ان يتمها وان يجمع ذاته وما كان قد حان وقت يعلم فيه من اجل ذاته تعليما هذا حالة ولمعنى غير ذلك انه مارس عاجلا الكلام المصلح الاخلاق لا يشاره أولا أن يحقق ههنا من عجائبه عند سامعيه انه كان ابن الله ولعمرى ان قوله فى ذلك الحين قبل أن ينطق بتعليم وقبل أن يعمل عملا قد سمعتم انه قد قيل للقدما أنا الرب الهك ولا يوجد آخر سواى فأنا أقول لكم أن تسجدوا الى كسجودكم لذلك فقد كان يجعل كل من يسمع قوله أن ينظر اليه بصورة مجنون لانهم ان كانوا بعد تعليمه وبعد آياته الجزيل مبلغها ولم يكن قد قال هذا القول ظاهرا

كان يدعونه مجنونا فلو كان حاول قبل هذه الايات كلها أن يقول قولا هذا معناه ما الذى كانوا قد فعلوه وماذا كانوا يقولونه وما الذى كانوا قد ألفوه فيما فعلوه الان استبقاء التعليم فى هذه الاسرار الى الوقت الملايم لذلك جعل رأيه أن يصير عند أناس كثيرين سريع القبول ولذلك ترك الان الاعتقاد انه اله وأصلحه فى كل مكان من آياته ومن سمو فضل تعليمه واعلنه أخيرا من ألفاظه وفتحه الان باظهار عجائبه وبمذهب تعليمه بعينه بسكون لان مفترض شرائعه بسلطان متفق سامعيه مصعدا اياه قليلا قليلا الى معرفة اعتقاده انه اله لان الرسول قال انهم دهشوا منه لانه علمهم ليس كتعليم كتابهم فابتدى الان من الغضب والشهوة الذين هما أعم للناس واشر أدوا فينا لان هذين هما الغاصبان فينا كثيرا وهما أكثر غريزة من غيرهما فنقفهما انتقيفا لايقا بالمشترع بتأمر كثير وعاقبهما بكافة الاستقصاء فى ردعهما لانه ما قال ان الفاسق يعاقب فقط لكن ما عمله فى ردع القاتل اياه عمل ههنا بتعذيبه البصر الفاسق لتعلم أين يوضع قوله يزيد عدلكم أكثر من الكتاب فلذلك قال من أبصر امرأة ليشتهيها فقد فسق بها سالفا بقلبه وهذا معناه من يجعل تصفحه الاجسام الحسنة فعلا له ويتصيد الوجوه الملاح ويغذوا نفسه بنظرة ويوجه الحاظه فى الوجوه الحسنة لان ربنا ما جاء ليستخلص جسمنا من اعماله الخبيثة فقط لكنه جاء لينقذ نفسنا قبل جسمنا من افعالها القبيحة لاننا اذ فى قلبنا نقتبل نعمة الروح ينقى القلب اولا ولقائل أن يقول فكيف يكون تخلصنا من الشهوة ممكنا فاقول له ان شئنا فذلك يمكننا أكثر كثيرا ومع كنا ان غمت شهوتنا فتلبث خائبة من فعلها وعلى جهة أخرى انه ما يبطل ههنا شهوتنا على بسيط ذاتها لكنه انما يبطل الشهوة المتكونة من البصر لان من يجتهد ان يبصر الوجوه الحسنة فهو يشعل أتون داء هواه اكثر

اشعال

اشعالا و يجعل نفسه ماسوره ويبلغ الى فعل الخطية سريعا فاهذا الغرض ماقال من يشتهى ليفسق لكنه انما قال من يبصر ليشتهى وفى ردع الغيظ وضع أيضا معلوما بقوله باطلا و جزافا ولم يضع ههنا بهذه الصورة تحديدا لكنه بطل الشهوة دفعة واحدة على انهما كليهما غريزتان لان الغضب والشهوة كليهما حاصل لان فينا لابلغ المنافع فالغضب فينا لنعاقب به الخبثاء ونتلافى الذين قد زالت الفضيلة عنهم ونصلحهم والشهوة فينا لنبدع بنين ونضبط جنسنا بالخلافة التى هذا فعلها ولسائل ان يسأل فلم ما وضع ههنا تحديدا فنجيبه اذا تصفحت قوله تبصر ههنا تحديدا عظيما موضوعا و بيان ذلك انه ماقال من اشتهى على بسيط ذات الشهوة اذ من يوجد جالسا فى الجبال قد يشتهى لكنه انما قال من يبصر ليشتهى وهذا فعناه هو من يجمع الشهوة لنفسه من يضطر و يدخل الى فكره الهادى الساكن وحشا لان هذا الفعل ليس يكون للطبيعة لكنه فعل للتضجيع وهذا الفعل فى العهد العتيق يتلافاه منذا على الزمان بقوله لا تتصفحن حسنا غريبا ثم لئلا يقول قائل وماذا يكون اذا تصفحت ولا انصاد فعاقب بصر قائل هذا القول لئلا بثقته بهذه المهلة يهبط فى وقت من الاوقات الى الخطاء وربما قال قائل فما الذى ينالنى اذا أبصرت واشتهيت ولم أعمل عملا خبيثا فنقول له الا انك على هذا الحال قد وقعت مع الفاسقين لان المشترع قد حكم هذا الحكم فما ينبغى لنا ان نبحث بحثا أكثر لانك اذا رأيت دفعة ودفعتين وثلث دفعات فلعلك تقدر ان تضبط ذاتك فان عملت هذا العمل بمداومة واشعلت اتون شهوتك ستقتنص على سائر الحالات لانك قد وقفت خارج طبيعة الناس وكما اننا نحن اذا رأينا صبيا ضابطا سكينا وان كنا ما قد رأيناه منجرحا بها نضربه ونمنعه عن ضبطها فى وقت من الاوقات فكذلك فعل الهنا اذ ابطل البصر الفاسق قبل تبطيله فعل الفسق لكيلا نهبط الى

عمل الخطية لان من قد أضرم اللهيب دفعة يختلف بعد مغيب المرأة الظاهرة
له عند ذاته أصنام أفعال قبيحة دائما ومن هذه الاصنام يندفع فى أكثر
أوقاته الى فعل الخطية فلهذا المعنى بطل المسيح الخنا المقارنة بقلبنا فما
الذى تقول الان الذين يقتنون عواهر ساكنات معهم لانهم من وضع
هذه الشريعة هم حاصلون تحت جناية الفسق اذ يبصرونهن كل يوم
بشهوة ولهذا السبب يوضع أيوب السعيد منذ القديم هذه الشريعة اذ حصن
ذاته من كل جهة من نظر هذا تأثيره لان الجهاد عظيم فى الا يتمنع أحدنا
بالمعشوق بعد نظره اليه ولسنا نستثمر اللذة من نظرنا جزيلا تقديرها بمقدار
ما نستثمرها من اغنا الشهوة اياها واذا لبثنا فى هذا الفساد نجعل مجاهدنا قويا
ونخول لابليس المحتال فسحة أكثر وما يمكننا أيضا أن نصادمه ولا ندافعه
بعينك اذا ولجناه الى أقصى دواخلنا وفتحنا له سريرتنا فلذلك قال لا تفسكن
بما تصدف بتمييز فهمك فقد يتجه لنا أن ننظر نظرا غير هذا على حذو ما ينظر
الاعفاء ولهذا المعنى ما بطل البصر فالان ما قال بطل البصر بشهوة فاذا لم يكن
هذا مراده لكان قد قال من أبصر امرأة على بسيط ذات البصر فالان ما قال هذا
القول لكنه قال من أبصر امرأة ليشتهيها من أبصر حتى يلتذ ببصره لانه ليس
لهذا العمل خلق الله لك عينين لتجمع بهما فسقا توردهُ الى قلبك لكنه خلقهما لك
حتى اذا أبصرت براياه استعجبت مبدعها وكما يتجه ان يغتاظ أحدنا باطلا
فكذلك يتهيأ ان يبصر باطلا اذا بصر ليشتهى فان شئت ان تبصر وتتلذذ
بذلك فابصر امرأتك وأعشقها دائما فليست شريعة تمنعك من ذلك
وان شئت أن ترى صنوف الحسن الغريب فستظلم امرأتك اذا طمحت
بعينك الى جهة أخرى ولامست هذه التى أبصرتها بغرض زائغ عن الشريعة
لانك وان كنت ما لمستها بيدك لكنك قد فتشتها بعينك ولهذا المعنى اعتقد
هذا النظر فسقا يورد قبل ذلك التعذيب تعذيبا ليس يسيرا لانه يملا كما

في

في باطنك قلقا وارتجافا وشدة كثيرة ومن تنوبه هذه النوائب فما تهاليست باقل من حالة المأسورين المكتوفين فتلك اطلقت السهم ورجما انصرفت والان الجرح لبث متزائدا على هذا الحال واوجب ان يقال انه ليست تلك اطلقت السهم عليك لكنك أنت اطلقته اذ أبصرتها بصرا فاسقا ومكنت جراحا قاتلة في ذاتك واذا قلت هذه الاقوال مستخلصا العفيفات من الثلب والتجني كان الواحدة من النساء اذا تزينت جذبت ألحاظ كل الذين يبصرونها فلوانها لم تجرح من لقيها استبدي مقابلة واجبة في أقصى غايتها الا انها قد مزجت سمها وسمت الشربة المميتة شاربها وان كانت ماقدناولت أحدا قدحها وأوجب ما يقال انها قد أصدرت قدحها وان كان لم يوجد أحد الناس يشربه وربما قال قائل ما المعنى في هذا لماذا لم يقل وبنا لهن أيضا فقول انه قد وضع شرائعه في كل مكان مشتركة مشاعة وان كان يظن انه يعتمد الرجال وحدهم لانه اذ خاطب الرأس فانما يجعل وعظه مشاعا للجسم كله لانه قد عرف المرأة ورجلها صنفا واحدا من الحي ولا يقسم الجنس البتة وان شئت أن تسمع التقريع الناشئ عليهن خصوصا فاسمع أشعيا النبي قائلا أقوالا كثيرة يقرعهن بها ويتهزأ باشكالهن ويعيب نظرهن ومشيهن ويفند ثيابهن المسبلة وأرجلهن اللاعبة وأعناقهن المزججة واسمع من ذلك الفاضل بولس الرسول السعيد عندوضعه لهن شرائع كثيرة من أجل ثيابهن لاجل ذهبهن وفي ضفر شعرهن وفي تنعمهن وفي غير هذه الافعال وأمثالها منتهرا هذه الطبقة انتهارا شديدا والمسيح الهنا باقواله التالية هذه قد اعتمد هذا المعتمد بعينه على جهة الرمز لانه اذ قال اقتلع واقطع من يفتنك انما يوضح بذلك الغيظ عليهن ولهذا المعنى استثنى بقوله اذا افتنتك عينك اليمين فاقتلعها واحذفها امنك خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم فلكيلا تقول ماذا أعمل اذا كانت نسيبتي ما رأيك اذا

كانت على جهة أخرى تناسبني لهذا المعنى أمر بهذه الاوامر ولم يخاطبنا
بسبب أعضائنا وأبعد هذا الرأى لانه قال ان الزلات ليست خطية لجسمنا
لكن القلب فى كل مكان انما هو لعزمنا الخبيث لان ليست أعيننا هى الباصرة
لكن الباصر انما هو عقلنا وفكرنا لاننا فى أكثر أوقاتنا نكون محدقين الى
جهة أخرى فلا تبصر أعيننا الحاضرين لديها فينتج من ذلك أن ليس كل فعل
البصر هو لاعيننا لان ربنا لو كان قال هذا القول من اجل أعضائنا لما كان
تكلم من أجل عين واحدة ولا كان ذكر اليمين وحدها لكنه كان ذكر العينين
كلتيهما لان الذى تفتنه عينه اليمين فمن أوضح البيان أن عينه اليسرى
تشككه أيضا فان سألت فلم ذكر العين اليمين واستثنى اليد اليمنى قائلا
وان شككتك يدك اليمنى فاقطعها وألقها عنك أجبتك انما ذكر ذلك
لتعلم ان كلامه ليس هو من أجل أعضائنا لكن كلامه من أجل الذين
يناسبونا لانه قال عز قوله اذا أحببت واحدا من الناس هذا الحب حتى
انك تنزله فى منزلة عينك اليمين أو تستشعر انه على هذا المثال نافع لك وقد
أحللته فى محل يدك اليمين ويضر نفسك فاقطعه منك وأبصر بيان معناه
لانه ما قال ابتعد منه لكنه لا يضاحه الفرقة الجزيلة قال اقلعها وأرمها
عنك ثم اذ قد أوعد وعدا جازما أوضح الفائدة من كلتى الجهتين من الفوائد
الصالحة ومن العواقب الردية اذا ثبت فى المقاطعة والفرقة لانه قال
يوافقك أن تهلك أحد أعضائك وليس يوافقك أن تلقى جسدك كله فى
جهنم لانك اذا كنت ما تخلص ذاك وتهلك ذاتك فاى تعطف تكون
مستحقة فمعنى هذا أن تتفرقا كلاكما واذا افترقتما فممكن أن يتخلص ولو
أحدكما فلقائل أن يقول فما الذى اعتمده بولس الرسول لانه قد اختار أن
يكون مفروزا فنقول أنه اختار ذلك ليس حتى لا يربح شيأ لكنه آثر ذلك ليخلص
اناسا آخرين وههنا تصير المضرة للفريقين كليهما ولهذا المعنى ما قال اقتلعها فقط

لكنه قال مع ذلك وارمها عنك فيكون حالك حال من لا يأخذها أيضا مادامت
ثابتة على هذه الطريقة لانك على هذه السجية تستخلص ذلك من هفوة عظيمة
وتعتق ذاتك من هلاكها ولكى تعرف هذه الشريعة أوضح معرفة وأبينها
ان رأيت أن تفحص ماقيل بموضوع تعمده فى جسمنا ان قدم لنا اختيار
باختياره وكان الاختيار ضرورة يلزمنا أن نسقط فى حفرة من يستقلع عينه
ويهلك وأما أن يستخلص باقى جسمه من يقلع عينه أفما كنت تقبل
الصنف الثانى فهذا واضح لكل أحد وفى كل مكان لان هذا الفعل
ليس هو فعل ماقت عينه لكنه فعل محب باقى جسمه فهذا الافتكار
أفتكره فى الرجال وفى نسائهم وبيان ذلك ان كان من يضرك بصداقته
ووده يبقى عديم الشفاء واذا قطعته منك يستخلص من فساده كله
وتستخلص أنت من جرائم أعظم من غيرها فلا يوجد لك احتجاج توردهعن
هلاكك مع شرور ذلك أيضا ان ضبطته أرأيت هذه الشريعة كم هى مملوءة
رفقا واشفاقا والمظنون عند الكثيرين انه جزم وقطع والحقيقة انه تعطف
وتحنن فليسمع هذه الاقوال الذين يتسارعون الى الملاعب ويجعلون ذواتهم
مع الكل فساقا لانه ان كانت هذه الشريعة تأمر بقطع من يناسبنا الاضراره
بنا فاى احتجاج يمتلكه الذين ما كانوا يعرفونهم قط ويخترعون لانفسهم حججا
كثيرة لهلاكهم فربنا لايسمح فقط لاحدنا أن يصرفها بعد بصرا فاسقا
لكنه اذا استشعر الضرر من الفعل ثقل شريعته عندما معانه فيها بابعاده
بقطع العضو المفسود وتركه وطرحه بعيدا وهذه الفرائض يشترعها
من انشاء أقوال كثيرة فى اقتراض الحب لتعرف من كافة الجهات
عنايته وكيف يلتمس فى سائر الحالات ما يوافقك وقد قيل من يطلق
امرأته فليعطها كتاب بينونته منها فانا أقول لكم ان من يخلى امرأته خلوا
من تبعة زناه يجعلها أن تفسق ومن يتزوج مهملة يفسق ماتقدم أولا الى

الفرائض التى قدام حتى نصف الزلات الاولى على جهات الثواب وها هو يرينا نوع آخر من أنواع الزناء فان سألت وما هو هذا النوع أجبتك كانت شريعة عتيقة موضوعة ألا يمنع من يمقت امرأته من أية علة كانت أن يخرجها من بيته ويستورد بدلا منها أخرى غيرها وما أمرت تلك الشريعة باقتبال هذا الفعل على بسيط ذاته لكنها أمرت ببينونة حتى لا يمكن أيضا أن تعود اليه ليبقى من التزويج ولو صورته لانها لو كانت ما أوعزت بهذا الافتراض بل كان يجوز للرجل أن يخرجها ويأخذ امرأة أخرى ثم يستعيد الامرأة الاولى لكان تثير التخليط يوجد كثيرا عند أخذهم كلهم نساء احدهن بدلا من الاخرى دائما وكان هذا الفعل يكون فسقا بينا فاحتالت الشريعة بكتاب البينونة تسلية ليست يسيرة وهذه الرسوم صارت بسبب رذيلة أخرى أعظم الرذائل جدا لان الشريعة لو كانت ألزمت الماقت أن يضبط الممقوتة داخل بيته لكان يذبحها لان أمة اليهود هذه العادة كانت عادتها لان الذين لم يشفقوا على اولادهم وقتلوا أنبياءهم وأراقوا دمهم كاراق الماء فاليق بهم كثيرا أنهم ما كانوا قد شفقوا على نسائهم فلهذا السبب سمحت الشريعة بالفعل الادنى وقطعت الشر الاعظم والدليل على أن هذه الشريعة ما كانت عنده سائقة الى الانصاف أسمعه قائلا انما كتب موسى هذه الفرائض مناسبة لقساوة قلوبكم أى حتى لا تذبحوا المرأة داخل منزلكم لكن تخرجوها الى خارجه واذ كان هو قد بطل الغيظ كله وما بطل القتل فقط لكنه منع مع ذلك الاغتياظ على بسيط ذاته وأورد هذه الشريعة بايسر مرام ولهذا السبب يذكرهم بالالفاظ القديمة دائما ليوضح لهم أنه ما يقول أقوالا مضادة لتلك الاقوال لكنه يقولها بالفاظ ملائمة لها فهو يزيدها ليس يقابلها ويصلحها ليس ينقضها وأبصره فى كل مكان يخاطب الرجل لانه قال من يخلى امرأته يجعلها أن تفسق ومن يتزوج مهملة يفسق لان من

يخلى

يخلى امرأته فبهذا الفعل عينه وهو اهماله اياها قد جعل ذاته مطالباً بجناية اهمالها اذ جعلها فاسقة ومن يتزوج مهملة فيأخذه غريبة قد صار فاسقاً فلا تقل لي هذا القول ان ذاك قد أخرجها من منزله لانها بعد اخراجها الا تلبث امرأة لذاك الذي أخرجها ثم لكيلا يلقي الحجة كلها على من أخرج امرأته فيجعل المرأة أجسر على المنكر من غيرها أغلق دونها بعد ذلك أبواب دار من يقتبلها بقوله من يتزوج مهملة يفسق رادعاً المرأة كرهاً حاجزاً دونها الدخول الى عند رجل آخر وليس يأمرها أن تبدت حجج صغر نفسها الا انها اذ علمت انها يلزمها بكافة الضرورة أما ان تصاحب من قارنها منذ الابتدا وأما أن تعدم ذاك المنزل فلا يكون لها ملجأ تقصده يضطرها ذلك كرها الى احتمال مساكنها ولئن كان لم يخاطبها في هذه الحوادث خطاباً فلا تستعجب من ذلك لان المرأة أضعف تمييزاً فلذلك تركها وبتهويلة على الرجل يتلافى ونيتها وحاله حال من قد اقتنى غلاما مفرطا فيهمل مخاطبته ويزجر الذين جعلوه بتلك الصورة مفرطا ويمنع اولئك الا يصاحبوه ولا يشابهوه فان كان هذا الافتراض عندك ثقيلا فاذكر لي الفاظه التي قالها فيما سلف التي طوب بها الذين يسمعونه وتبصر هذا الافتراض ممكنا كثيرا وسهلا لان الوديع المصلح المسكين في روحه الرحوم كيف يخرج امرأته ومن يصالح أناسا آخرين كيف يعاند امرأته وقد جعل شريعته خفيفة ليس بهذه الصورة فقط لكنه قد يسرها بمعنى آخر لانه بهذا المعنى انما يستبقي لاهمالها وتركها وجها واحدا بقوله خلوا من جناية زنا والا فكان قد نبت على قول واحد بعينه لانه لو كان أمر ان يضبطها رجلها داخل منزله بعد مخالطتها اناسا كثيرين لكان قد أزاغ افتراضه الى الفسق أيضا أرأيت كيف يوفق هذه الاقوال باقواله السالفة لان من لا يبصر امرأة أخرى بعينين فاسقتين فلا يزني واذ لا يزني فلا يسبب لرجل آخر ان يخرج امرأته فلهذا المعنى يضبط

الرجل يتهل ويحصنه بالخوف ويثير الخطر عليه عظيما متى اخرج امرأته من منزله لانه يجعله معطا لا بالجناية فسقها ولكيلا اذا سمعت أقلع عينك واستشعرت انه يقول هذا القول على امرأتك تخرجها بغرض ملايم للواجب استثنى بتلا فى ظنك باطلاقه اياك أن تخرجها فى حال واحد وهو حال زناها ولم يطلق لك اخراجها بحال آخر غيره قد سمعتم انه قد قيل أيضا للقدماء لا تحنث وينبغى أن تقضى ربك ايمانك فأنا أقول لكم لا تحلفوا البتة ولعلك تسأل فلاى معنى ماجاء فى الحين الى السرقة لكنه جاء الى الشهادة بالكذب واعرض عن تلك الوصية فنجيبك لان السارق يتفق له ان يحلف ومن لا يحلف ولا يعرف ان يكذب فاولى به واليق أن لا يختار أن يسرق فمن هذه الجهة أزال بهفوة الحلف خطية السرقة لان الكذب من السرقة يتولد ولعلك تسأل وما معنى قوله ينبغى أن تقضى ربك ايمانك فنجيبك هذا معناه ان تصدق اذا حلفت ثم حذف ذلك بقوله فانا أقول لكم لا تحلفوا البتة ولما بجزهم عن الحلف بالله الى أبعد ما يكون بعيدا قال ولا بالسماء تحلفوا لانها كرسى الله ولا بالارض فانها موطى قدميه ولا باورشليم فانها هى مدينة الملك العظيم هاهو يتكلم أيضا من أقوال الانبياء ويظهر ذاته ليس مضاضدا للقدماء لانه قد كانت لهم عادة أن يحلفوا بهذا الايمان ويريهم ان هذه عادة مناسبة لكمال بشارته وانظر لى أنت من أين ينعت هذه الاسطقسات ليس من طبيعتها لكنه يعلى شأنها من استعمال الله اياها المذكور لها على جهة مقاربته ايانا لان اغتصاب عبادة الاصنام اذ كان وضع هذا حينئذ كثيرا وضع هذه العلة التى ذكرناها لئلا يعتقدوا الاسطقسات انها مكرمة من تلقاء ذاتها التى قد بلغت أيضا الى تمجيد الله لانه ما قال اذا السماء عظيمة ولا قال ان الارض نافعة لكنه قال لان السماء كرسى الله والارض موطى رجليه يضمهم من سائر الجهات الى سيدهم

ويدفعهم

ويدفعهم اليه ولاتحلف برأسك فانك ماتقدر أن تبدع فيه شعرة واحدة بيضة أوسودة وفي هذا القول ليس لاستجابه الانسان استثنى بمنعه الاحلاف برأسه لان الانسان وان كان يسجدله الا ان تشريفه معليا الى الله ويريك انك لست انت متأمراً على ذاتك ولالك حق ان تحلف برأسك لان أحدنا ان كان مايعطى ابنه لرفيقه فالله أولى بذلك واليق الايعطيك عمله لان الرأس وان كان رأسك الا انه ملك غيرك وقد أبتعد أبعد البعد من ان تكون مالكاله حتى انك ماتقدر أن تبدع فيه ولا أدنى صنف من الابداع لانه ماقال ماتقدران تنشى شعرة لكنه قال ولايمكنك ان تبدل كيفيتها فان سألت فما هى اليمين التى يطلبها أحدنا من رفيقة ويورد الضرورة الداعية الى ذلك أجبتك هى خوف الله فليكن أقوى من الاضطرار الى اليمين والا فان عزمت أن تورد مثل هذه الحجج فاتحفظ من اوامره صنفاواحدا الانك ستقول في ابعاده ان تضبط أمرأتك ماذا أعمل اذا كانت منافرة معاندة وتقول في العين اليمين مارأيك هل أصير عدلا اذا قلعتها وتقول في البصر الفاسق ماذا تأمرني هل يمكنى ألا أبصر وتقول في الغيظ على أخيك ماذا أعمل اذ قد حصلت متهجما لايمكنى أن أضبط لسانى وكافة الوصايا المذكورة على بسيط ذاتها تتطأها على هذه الصفة على انك ماتجترى البتة أن تورد في شرائع الناس هذا الاحتجاج ولاتذكر رأيك اذا كان كذا وكذا لكنك تقبل مايرسمونه طائعا وكارها ولمعنى أخر لاتخترع في وقت من الاوقات ضرورة لان من قد سمع التطويبات الاولى وسوم ذاته هذا التسويم الذى أوعد به المسيح لايخترع ولافى وجه واحد صنفا من اضطرار هذا صفته اذ قد حصل عند كافة الناس محتشما سريعا وايكن النعم عندكم نعم واللالا ومايفضل ويزيد على هذين الصنفين فهو من الخبيث وان سألت وماهو الزائد على نعم

ولا أجبتك هو اليمين ليس الحنث لان الحنث متعارف قبحه ولا يحتاج
احدنا أن يعرف انه من الخبيث هو وليس هو زيادة لكنه مضادة والاكثر
هو مركب من الزيادة والكثرة وهو الحلف ولعلك تقول فما الرأى فى
ذلك اذا الحلف من الخبيث كان وان يكن الحلف من الخبيث فكيف
كان شريعة وتقول هذا القول بعينه فى طلاق المرأة كيف اعتقد الان
فسقا وقد كان فيما سلف مأمورا به فما الذى تقوله فى هذه الاصناف
نقول ان الفرائض التى قبلت حينئذ كانت شرائع لضعف الذين تسلموها
والا فاسترضا الخالق بانقتار من الشحوم ليس مؤهلا لله جدا على حذو ما
ان مناغات الطفل قد عدمت أن تكون مؤهلة لفيلسوف فالطلاق استشعر
الان فسقا والحلف اعتقد من الخبيث حين أبحث فوائد الفضيلة فلو
كانت هذه الفرائض شرائع لا بليس المحتال منذ القديم لما كانت أصلحت
اخلاق الناس الجزيل عددهم لان تلك الفرائض لو لم يتقدم سعيها أولا
لما كانت هذه الفرائض قبلت الان على هذه الجهة بأيسر مرام فلا تلتمس
اذا الان فضيلة تلك الفرائض حين قد عفت حاجتها لكن أطلب فضيلتها
فى ذلك الحين حين دعا الوقت اليها وان شئت فاطلب الان فضيلتها وذلك
ان فضيلتها الان تستبين اكثر ولهذا السبب يقرع الذين يخالفونها تقريعا
كثيرا وذلك ان ظهورها الان على هذا المثال موقرة هو مديح عظيم لها
ولولا انها ربتنا على ما ينبغى وجعلتنا مستعدين لاقتبال فرائض هى أعظم منها
لما كانت استبانت جليلة هذا المحل محلها وعلى حذو ما ندى الصبى المرارة
فى الثدى اذا تفرغ بجملته وترسل الى مائدة أتم طعاما من غيرها فظهر
عديمة النفع وقد كان والدا الصبى يستشعران فيما سلف ان وجوده
للصبى لازم اضطرارا وبعد ذلك يثلبان الصبى بمهازى كثيرة وكثيرا
ما يسمونه باقوالهم فقط لكنهم مع ذلك يلطخون حلمة ثدى أمه بادوية

مرة حتى اذا لا تقتدر أقوالهم ان تبطل غريزة الصبي الزائغة عن الواجب تخمد
أعمالهم شوقه الى الارتضاع فكذلك قال المسيح ربنا ان ما زاد على نعم ولا فهو
من المحتال ولم يقل ذلك ليوضح ان العهد العتيق هو من ابليس المحتال لكنه قال
هذا القول ليقتادهم من مقاربة العهد العتيق بزيادة كثيرة في استمالتهم عنه
فنقول انه قال للجموع هذه الاقوال ولليهود الفاقدي الفهم والحس الثابتين
في أعمالهم القبيحة باعيانها فقد لطخ مدينتهم بروعة الاسر كما لطخ الثدي بالمرارة
وأفقدهم سلوكها واذلم يقدروا بهذا الدواء أن يضبطهم لانهم كانوا
يشتهون ان يبصروها أيضا مبادرين اليها كمبادرة الصبي الى الثدي أخفاها
عنهم أخفاء كاملا اذهدمها واشتاق أكثرهم الى صقع بينه وبينها أبعد
البعد وحبس كثيرين عنها كحبس العجول عن البقر واقنعها أن تبتعد من
قديم اعتيادها في ارتضاع اللبن فلو كان العهد العتيق من ابليس المحتال لما
كان استمال سامعيه عن عبادة الاصنام لكنه كان بخلاف ذلك قد مكنهم
فيها الان هذا الغرض قد أراده المحتال فنحن الآن نبصر من العهد العتيق
افتراضا صائرا بخلاف ذلك وهذا الحلف العتيق بعينه فلهذا السبب اشترع
حتى لا يحلفوا بالاصنام لانه قال احلفوا بالهكم الصادق فالعتيقة تلافت
مغاوي صغيرة لكنها أصلحت مطاغي عظيمة جدا الان اقتياد الناس الى الطعام
الصلب الكثير كان فعلا لحرص الشريعة العتيقة ولعلك تقول فما رأيك
اذا فالحلف ليس هو من الخبيث فاقول لكم نعم ليس من الخبيث كله لكنه
الان صار من الخبيث بعد هذه الفلسفة الجزيل تقديرها وفي ذلك الحين لم يكن
الحلف من الخبيث ولعلك تقول فكيف يكون شئ واحد بعينه في وقت محمودا وفي
أوان آخر غير محمود فأقول لك أنا حلا لذلك كيف يكون شئ واحد بعينه جيدا
وغير جيد وهو ان أعيان الاشياء توجب هذا فان الصنائع والاثمار
وغيرها من الاصناف الاخرى كلها هكذا وأبد هذا العارض أولا في

طبيعتنا وذلك ان حملنا على أيدى الخواص محمود فى سننا الاول وحملهن ايانا بعد ذلك مهلك وأ كانا طعاما ممدوغا هو فى مبادى حياتنا جيد لنا وهو بعد ذلك يرفض ويكره وارتضاعنا اللبن ومبادرتنا الى الثدى هو فى ابتداء عمرنا نافع مخلص وهو بعد ذلك مهلك مضاد أعرفت كيف ان بعض الافعال تظهر تارة جيدة وتورا بخلاف ذلك لا يظهر تلك الحال حالها فى أوقات غيرها ولعمرى أن لبس ثوب صبيانى ان هو صبى جيد ولبسه لمن قد صار رجلا قبيح منكر أيضا افتشاء أن تعرف من اضداد ذلك كيف ما يصلح لرجل لا يلايم لصبى أيضا أعط صبيا أثر رجل فيكون الضحك عليه جزيلا والخطر عند تغييره به مرارا كثيرة فى مشيه عظيما قلده سياسة المدينة وأفرض عليه أن يتجر ويزرع ويحصد فيكون الضحك عليه أكثر وما حاجتى أن أذكر هذه الاصناف وذلك أن القتل المتعارف عند جميع الناس وجدانه من الخبيث لما تسلم وقتما واجبا جعل فنحاس الذى عمله أن يكرم بالكهنوت والبرهان على أن القتل فعل لابليس اسمع ربنا ما الذى قال فى ايضاحه قال أنتم قد شئتم أن تعملوا أعمال أبيكم وذاك هو قاتل الانسان منذ القديم الأن فنحاس صار قاتل انسان وقال أن ذلك حسب له عدلا وابراهيم فما صار قاتل ابنه واذ كان فعل هذا شر من ذلك الفعل كثيرا وفق به توفيقا عظيما وبطرس الرسول قد اقترف قتلا مضاعفا لأنه مع ذلك كان فعلا روحيا

العظـــــــــــــــة

فما سبيلنا ان نستفحص الافعال على بسيط ذاتها لكن ينبغى أن نتصفح وقتها وعلتها وعزم فاعلها وفصل الوجوه وما كان غير هذا مناسبا لها ونتصفحها كلها بتصفح عميق لانه لا سبيل لنا ان نصل الى الحق بجهة أخرى ونجتهد ان شئنا ان ننال ملك السماء الا باظهارنا فعل أكثر من الاوامر العتيقة كما انه غير ممكن أن

تحصل

تحصل على النعم السماوية بغرض غير هذا الا اننا اذا وصلنا الى مقدار الفرائض العتيقة بعينها نستقف خارج هذه الدهاليز لان عدلكم اذا لم يفضل أكثر من عدل الكتاب والفريسيين فما تقدرون ان تدخلوا ملك السموات الا أن ملك هذا الوعد موضوع تقديره بهذه الصفة جزيلا ويوجد أناس لا يتجاوزون ذلك العدل فقط لكنهم مع ذلك يعدمونه لانهم لا يهربون من الايمان فقط لكنهم مع ذلك يحتشون أيضا ولا يعتنون عن النظر الفاسق فقط لكنهم مع ذلك يسقطون فى عمل الزناء الخبيث بعينه ويتجاسرون على الاعمال الاخر المحظورة كلها بغير توجع متوقعين شيأ واحدا وهو يوم الحساب والعذاب فيقومون حينئذ بالواجب عليهم فى أقصى غايته جزاء على ما اجترموه فهذا الحظ يوجد للذين قضوا عمرهم فى خبثهم فقط وسبيلنا أن نيأس من أولئك الناس ولا ننتظر لهم فيما بعد انتظار آخر الا العذاب وهم الموجودون فى هذه الدنيا ويمكنهم أن يحاربوا ويقهروا ويكللوا بايسر مرام أيها الانسان لا تتضجع ولا تنقض نشاطك النافع فان الفرائض التى قد أمرنا بها ليست ثقيلة أى تعب تقاسيه قل لى فى هربك من الحلف هل ذلك نفقة أموال هو العله عرق وشقاء يكفيك ان تشاء ذلك فقط وقد كان كل ما تعتمده فان أوردت انك معتاد على ذلك قلت لك أن احكام ذلك لاجل هذا المعنى بعينه أكثر من كل شئ يوجد سهلا متيسرا لانك اذا امسكت ذاتك فى عادة غيرها فقد أصلحت كلما تعتمده تأمل هذا المعنى ان أهل بلد غلاطية كان عندهم أناس اتقياء فبدرايتهم العظيمة أصلحوا ألسنتهم بعد انحرافهم عن صواب اللفظ وأقواما كانوا يرفعون أكتافهم رفعا زائغا عن الترتيب ويحركونها تحريكا متصلا فاذ وضعوا على أكتافهم سيفا مجردا ابطلوا هذه العادة سريعا لانكم اذا كنتم ما تقبلون من الكتب تلزمونني أن اخجلكم من أفعال الذين خارج مجامعنا وهذا العمل قد عمله الله

عز وجل عند قوله لليهود انطلقوا الى جزائر شاتيلم وأرسلوا الى قيدار واعرفوا
ان كانت الامم استبدلت آلهتها وليست تلك آلهة وقد أرسلهم فى أكثر
الاوقات الى البهائم عند قوله ايها الكسلان اذهب الى النملة وماثل طرقها
وانطلق الى النحلة وهذا القول أقوله أنا لكم تفطنوا فى فلاسفة أهل بلاد
غلاطية فتعرفوا حينئذ ان لكم عقوبة لانكم تعرفون الشرائع الالهية
وتخالفونها فاذا كان أولئك بسبب تطرق انسانى وتحوب يتعبون اتعابا
كثيرة فانتم أما تجتهدون هذا الاجتهاد من أجل النعم السمائية فان قلتم بعد
ذلك أن العادة صعبة من شأنها أن تسترق الحر بصين جدا فانا أعترف بذلك
الا أننى مع اقرارى بهذا أقول ذلك القول أيضا ان كما اخداعها شديد فكذلك
اصلاحها سهل قريب انك اذا أقمت لك فى بيتك حراسا كثيرين مثال ذلك
اذا أقمت حراسا تمنع حلفك مثل غلامك وامرأتك وصديقك فيردعونك بايسر مرام
ويطردون الحلف منك وتبعد عادته الخبيثة ولو عملت هذا العمل عشرة أيام
فقط وأحكمته لما احتجت بعد ذلك أيضا الى وقت آخر لكن تمهد لك كلما
تريده تمهيدا بليغا اذا تمكنت عندك أيضا صرامة العادة الحميدة ومتى
مابدأت بتلافى هذا الزلل فاذا خالفت الشريعة فى ذلك دفعة ودفعتين ولو خالفتها
ولو عصيتها عشرين دفعة فلا تيأس لكن أنهض واستصحب حرصك بعينه فتقهر
على كل حال وذلك ان الحنث ليست رداءته يسيرة ولئن كان الحلف من الخبيث
فالحنث كم عقوبة بسببها ويسوقها الى صاحبه افتمدحون ما قلناه الا اننى است
أحتاج ان تمدحوه بتصفيقكم ولا بالحانكم ولا بتلحينكم وانما اريد فعلا
واحدا فقط ان تسمعوا ما يقال لكم بسكون وعلم وتعملوه فهذا تصفيق لى وهذا
مديح واذا مدحت ما يقال لك ولا تعمل بما تمدحه فهذا بك يكون أعظم
وثلبك يكون أكثر ويصير خزيا لنا وضحكا علينا لان مجامعنا الحاضرة ليست
هى ملعبا ولسنا نبصر الان فى جلوسنا ادبين ولا مترنمين حتى نصفق لكن موضعنا

هو

هو مجلس تعليم روحي ولهذا المعنى المحروص عليه ههنا هو صنف واحد وهو
ان نصحح ما يقال لنا ونظهر طاعتنا بافواهنا لاننا نكون حينئذ قد حصلنا
كلما نختاره على حذو ما يمكننا الآن من امتلاكه لانني ما تخلفت عن ان اعظ بهذه
الاقوال الذين خاطبتهم على انفراد وقد لبثت أخاطبكم بها خطابا شائعا ولست أرى
شيأ نافعا أكثر لكنني اراكم أيضا متمسكين بالحروف الاولى وهذا الحادث كاف
ان يحصل الغريزة العاجزة فيمن يعلمكم وأبصر بولس الرسول لهذا السبب
يستصعب احتمال ذلك وهو ان سامعيه لبثوا زمانا طويلا مقيمين في التعاليم الاولى
لانه قال قد كان ينبغي لاجل طول زمانكم أن تكونوا معلمين فصرتم محتاجين
ان تعلموا ما هي حروف ابتداء اقوال الله فلذلك ننوح نحن وننتحب عليكم
فان رأيتكم ثابتين على تضجيعكم لا امنعكم فيما بعد من الدخول في هذه الدهاليز
الطاهرة ومن الاشتراك في أسرار القربان الفاقدة الموت كمنعي الزناة
والفاسقين والملوثين بجرائم القتل لان رفعنا الى الله الصلوات المألوفة مع
اثنين وثلاثة من الذين يحفظون شرائع الله لافضل من سوقنا جماعة من المتعدين
على شرائعه المفسدين أناسا آخرين من رعيته فلا يفتخر لي هنا واحد ولا يرفع
حاجبه آخر فهذه كلها عندي خرافة وظل ومنام لان ولا واحد من
الموسرين الآن يتقدم فيقف بي هنالك منجدا اذا شكيت وتلبث بمنزلة من
لم ينتصر لشرائع الله بالمشارعة الواجبة لان هذا الذلل وهذا الخطاء اذلك ذلك
الشيخ العجيب عالي الكاهن على انه قد عاش عيشة لا يمكننا أن نصل اليها الا انه
مع ذلك اذا عرض عن شرائع الله اذ وطأها أبناه وتغافل عنهما عوقب مع
ابنيه وقاسى تعذيبا صعبا فان كان في موضع اغتصاب الطبيعة هذا المبلغ
الجزيل مبلغه من لم يستعمل لابنيه تأديبا بشجاعة واجبة يتكبد على هذه
الجهة عقوبة مستصعبة فاي عفو يحصل لنا نحن المتخلصون من ذلك الاغتصاب
المنسوب الى المحاباة ونفسد كلما نمارسه فلكيلا نهلك نحن وأنتم أسالكم

أن تقبلوا منا وانصبوا على نفوسكم مستفحصين كثيرا محاسبين وقد تخلصتم من عادة الايمان لتسير وا ههنا في طريق الخلاص وتحكمون الفضائل الاخرى كلها بايسر مرام وتتمتعون بالخيرات المأمولة التي تكون لنا كلنا ونرزقها بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي يليق للاب معه والروح القدس المجد الى أبد الابدين آمين

المقـــــــالة الثامنة عشر

قد سمعتم انه قد قيـــــل للقدماء عين بعين وسن عوض سن فانا أقول لـــــكم لا تقاوموا الخبيث لـــــكن من يلطمك على فكك الايمن حول له فكك الاخر ومن يشاء يحاكمك ويأخـــــذ طيلسانك فاترك له ثوبك أيضا

أعرفت الآن انه ماقال أقواله الاولى من أجل عين باصرة حين اشترع أن يقتلع العين التي تفتدنا لكنه ما اشترع ذلك الا من اجل من يضرنا بصداقته ويهبطنا الى هوة هلاكنا لان من قد اخترع ههنا الاقوال الزائدة الافراط في الاحتمال الذي لا يقدر وما أمر باقتلاع عين من قد اقتلع عين رفيقه كيف يأمر أحدنا أن يقتلع عين ذاته فان ثلب ثالب الشريعة العتيقة لاجل ايعاذها بالانتصار على هذا المثال فقد تحقق الظن به عندي أنه

خائب

أن تقبلوا منا وانصبوا على نفوسكم مستفحصين كثيرا محاسبين وقد تخلصتم من عادة الايمان لتسير وا ههنا فى طريق الخلاص وتحكمون الفضائل الاخرى كلها بايسر مرام وتتمتعون بالخيرات المأمولة التى تكون لنا كلنا ونرزقها بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى يليق للاب معه والروح القدس المجد الى أبد الابدين آمين

المقـــــالة الثامنة عشر

قد سمعتم انه قد قيـــل للقدماء عين بعين وسن عوض سن فانا أقول لـــكم لا تقاوموا الخبيث لـــكن من يلطمك على فكك الايمن حول له فكك الاخر ومن يشاء يحاكمك ويأخـــذ طيلسانك فاترك له ثوبك أيضا

أعرفت الآن انه ما قال أقواله الاولى من أجل عين باصرة حين اشترع أن يقتلع العين التى تفتقدنا لكنه ما اشترع ذلك الا من اجل من يضرنا بصداقته ويهبطنا الى هوة هلاكنا لان من قد اخترع هذه الاقوال الزائدة الافراط فى الاحتمال الذى لا يقدر وما أمر باقتلاع عين من قد اقتلع عين رفيقه كيف يأمر أحدنا أن يقتلع عين ذاته فان ثاب ثالب الشريعة العتيقة لاجل ايعاذها بالاقتصار على هذا المثال فقد تحقق الظن به عندى أنه

خائب من معرفة الحكمة اللائقة بالمشترع جدا وانه قد عدم أن يعرف قوة
الاوقات وفائدة الجنرح والمقاربة لانه اذا تفطن فى من هم الذين سنوا
هذه الفرائض وكيف كان حالهم ومتى قبلوا هذا الاشتراع فسيقبل حكمة
المشترع جدا ويبصر ان مشترع تلك الفرائض وهذه الشرائع واحد هو هو
بعينه وانه كتب تلك وهذه جميعا بغرض نافع جدا وفى وقت ملائم لهما
لانه لو كان أورد هذه الوصايا العالية الزائد ثقلها فى الابتداء لما كان الناس
قبلوا هذه ولا تلك أيضا فالان قد وضع تلك وهذه فى وقت ملائم فاصلح
المسكونة كلها بكلتيهما وتلافاها ولمعنى آخر انه أوعز هذا الايعاذ ليس
حتى يقتلع أحدنا عين الآخر لكنه هو أوعز به حتى نضبط أيدينا عند
ذواتنا لان تهويله علينا بما يصيبنا من المقابلة منع نهضتنا الى فعل
ما يفعل بنا نظيره وعلى هذه الطريقة زرع فينا الفلسفة الكثيرة بهدو
وسكون اذ قد وعد الى من قد قاسى المكروه أن ينتقم بمساواة ما فعلوا به
على أن من ابتدى بتعدى الشريعة هذه قد كان مستوجبا لتعذيب أعظم
وهذا الفعل يطالب به رأى القضاء العدل الا أنه اذ شاء أن يمزج فى القضاء
العدل تعطف وحكم على المذنب باعظم الذنوب بعقوبة دون استحقاقه
ليعلمنا ان نظهر من مقاساتنا المكروهة وداعة كثيرة وعندما ذكر
الشريعة العتيقة وقرأتها كلها أرانا أيضا ان ليس أخانا هو الفاعل هذه
الافعال لكن الخبيث هو فاعلها ولهذا المعنى استثنى بقوله أنا أقول لكم
تقاوموا الخبيث فما قال لا تقاوموا أخاكم لكنه قال لا تقاوموا الخبيث
يرينا ان الخبيث لما ترك أخانا أجترى على هذه الافعال وبهذا الحال أرخى
كثرة غيظنا على فاعل المكروه بنا وقطعها بنقله علة لفعل الى وجه آخر
ولقائل يقول فما الرأى عندك أفما نحتاج أن نقاوم الخبيث فنقول له
يجب علينا لعمرى أن نقاومه ليس فى هذا الوجه لكن بحسب ما أمرنا هو بان

نبذل ذاتنا لتكميد مكروها لانا على هذه الجهة نقهر الخبيث لان النار
لا تطفا بنار لكن النار تطفا بماء ولكى نعلم ان من يقاسى المكروه يستظهر
فى الشريعة العتيقة أكثر وهو الذى ينال الاكليل أبحث عن
الحادث بعينه فتبصر تقدمه لم يزل كثيرا الان من قد ظلم ومد يديه
أولا يكون هو الذى قلع العينين كلتيهما عين قريبه وعينه وكذلك يعقبه
على جهة العدل كمن يبصره ويرشقونه بمثالب كثيرة والمظلوم فبعد أن ينتقم
له من ظالمه بمساواة الانصاف لا يكون قد فعل فعلا منكرا فلذلك يكون
المتوجعون له كثيرين من طريق انه ظاهر بعد فعله هفوة الانتقام
وحوادث المصيبة هى بالسواء لكليهما ومثانى التشريف ليست بالسواء لهما
لا عند الله ولا عند الناس ولهذا المعنى ليست نوائب مصيبتهما فيما
بعد بالسواء فاذا ابتدا ربنا باشتراعه قال من يغتاظ على أخيه باطلا ومن
يسميه باحمق يكون مستحقا لجهنم النار وههنا يطالبنا بفلسفة أكثر لانه
لا يامر من قد ناله المكروه ان يبقى فقط ساكنا لكنه يأمره مع ذلك ان
يسترضى ظالمه اعظم استرضى ببذله له فكه الاخر فهذا القول قاله ليس
مشترعا اياه بسبب هذه اللطمة فقط لكنه قاله ليعلمنا احتمال المكروه فى
العوارض الاخرى كلها على حذوها اذا قال ان من يسمى أخاه أحمقا يكون موهلا
لجهنم ليس يقول ذلك بسبب هذه اللفظة فقط لكنه يقوله من أجل الثلب كله
فكذلك يقول ههنا ويشترع لنا ذلك ليس حتى اذا لطمنا نحتمل بتجلد
لكنه يشترع ذلك لنا لكى اذا نابتنا كل نائبة ومصيبة لا نرتجف فلهذا
السبب اتخذ هنالك مسبة فى أقصى غايتها ووضع ههنا اللطمة على الفك
المظنونة انها لطمة ذات تعيير جدا الحاوية أمتهانا كثيرا وأوعز هذا الايعاز
محتجا عن اللاطم وعن الملطوم لان المشتوم لا يحسب انه قد أصابه مصابا
مكروها اذا تسوم التفلسف على هذه الجهة لانه ما يستمد الشتيمة حسنا

لاجل

لاجل انه مجاهد اولى من أن يكون مضروبا والمتعسف اللاطم اذا خزى فلا يورد لطمة ثانية ولو كان اصعب من كل وحش تنمرا بل يوبخ ذاته مع ذلك على لطمته الاولى كثيرا لان فعل كهذا لا يضبط على هذا النحو الظالمين عن نهضتهم مثل احتمال المظلومين المكاره الواقعة عليهم باوفر دعتهم واحتمالهم فليس يضبطهم فقط عن نهضتهم السالفة لكنه يجعلهم مع ذلك ان يتندموا على ما بداء منهم وان ينصرفوا متعجبين من وداعة من احتملهم و يصيرهم أخص الاصدقاء له و يجعلهم عبيدا له ليس أصدقاء فقط عوض ما كانوا أعداء ومحاربين له بحسب ما يخترع الانتقام اضداد ذلك لانه يخزى الظالم والمظلوم كليهما و يجعلهما شرا مما كانا عليه و يصعد غيظهما الى لهيب أعظم وربما استمالهما الى الموت باتصاله شدة الغيظ الى أقصى غايتها فلهذا السبب أمرك الانتقاظ ليس اذا لطمت فقط لكنه اوعز غايتها اليك مع ذلك أن تشبع شهوة لاطمك لكيلا يظن بك انك صبرت على اللطمة الاولى كارها لانك على هذه الطريقة اذا كان لاطمك لا يخجل تقدران تلطمه لطمة تميت غيظه بدون ان تلطمه بيدك واذا كان اعدم الناس خجلا تجعله باحتمالك أوفر دعة ومن يريد أن يحاكمك و يأخذ طيلسانك اترك له مع ذلك ثوبك أيضا لانه يريدنا ان نبدى احتمالا هذا المحل محله ليس فى ضرب يعرض لنا فقط لكنه يريدنا أن نورده مع ذلك فى استلاب أموالنا ولهذا المعنى وضع فى هذين الصنفين افراط تأكيدهما أيضا لانه على نحو ما أوعد هنالك أن نقهر باحتمالنا لاطمنا فى ايصاله المكروه الينا كذلك أمرنا ههنا أن نقهره عند استلابه ما نملكه أكثر مما نتوقع مستغنما ان يسلبه منا ولكنه ما وضع هذا الافتراض على بسيط ذاته لكنه افترضه بزيادة فيه لانه ما قال اعط ثوبك لمن يطلبه منك لكنه قال لمن يشاء أن يحاكمك ومعنى ذلك اذا سحبك الى مجلس القضاء وطالبك ان تهب

له امتعتك كما قال لا تدع أخاك أحمقا ولا تغتاظن باطلا وطالب با كثر من ذلك
عند تصاعده فى افتراضه حين أوعد الينا بيذل فكذا الاعين فكذلك لما قال
ههنا الاطف خصمك زاد ابعاده أيضا لانه ليس يأمرك أن تعطى مايريد ذلك ان
يأخذه فقط لكنه يأمرك أن تظهر أفضالك عليه أكثر والقائل يقول فما رأيك
أفيصلح أن أطوف عاريا فاجيبه لو قبلنا هذه الاغراض بابلغ الاستقصاء لا يوجد
وجه لنا أن نكون عراة بل نكون لابسين أكثر من كل الناس وذلك اولا لانه
لا يوجد احد من الناس يحملنا على هذه الحاله بان يجردنا من كسوتنا وثانيا
وان اتفق ان أحد الناس ردى الخلق بهذا المقدار يكون خاليا من الحنو والرفق
يبلغ هذا المبلغ فيظهر ان كثيرين يوشحون من قد تفلسف هذا التفلسف ليس
بثياب فقط لكنهم يسترونه مع ذلك بجسمهم لو امكنهم ذلك وان وجب عليك ان
تطوف عاريا لاجل فلسفة هذا المحل محلها لم يكن ذلك على هذه الطريقة مستحقا
اذا دم قد كان فى الجنة عار وما خجل وأشعيا النبى قد مشى حافيا عاريا مع انه كان
أعظم من جميع اليهود شرفا ويوسف حين تعرى من ثوبه لمع حينئذ حسنه
كثيرا لان التعرى على هذا ليس هو فعلا رديا لكن التسربل على حذو ما
نتسربل نحن الآن على هذه الحالة المذمومة بثياب رفيعة كثيرة أثمانها هو
فعل قبيح يوجب الضحك علينا ولاجل هذا الغرض مدح الهنا اولئك
وشكا هؤلاء بانبيائه ورسله فلا تظنن ان أوامر ربنا هى صعبة فانها فضلا عن
كونها سهلة جدا علينا اذا استفقنا نقتنى ربحا هذا مبلغ تقديره والغاية انها
ما تنفعنا فقط لكنها تنفع مع ذلك الذين يتعنتون علينا ويعسفونا أعظم المنافع
وهذه الخاصة هى خاصتها خصوصا لانها تقنعنا نحن أن نقاسى ما يعرض لنا
مكروها وهى باعيانها تعلم الذين يعملونها ان يتفلسفوا لان ذاك المتغطرس
اذا كان يحسب ما يأخذه من أمتعة غيره عظيما فتريه أنت بذلك ان ما لم
يطلبه منك خفيف عندك وتحصل من مسكنة ذاك ومن استغنامه فلسفة

فتفطن ماهو محل التعليم الذى يتعلمه منك ليس بالفاظك لكنه يتعلمه بافعالك ذاتها اذ يستفيد منك ترك رذيلته ويرتاح الى الفضيلة لان الهنا لايريدنا أن ننفع ذواتنا فقط لكنه يريدنا أن ننفع كافة رفقائنا الذين طبيعتهم طبيعتنا فاذا أعطيت ولم تخاصم فقد ابتغيت مايوافقك وحدك واذا أعطيت زيادة على مايطلب منك فقد أرسلت غيرك وجعلته يعمل أكثر وافضل مما تعمل أنت لان الملح هذا الفعل فعله يريد الناس أن يكونوا كماهو لانه يضم ذاته ويضبط الاجسام الذى يملحها وهى الناس الذين يخاطبهم وهذه الخاصية خاصية الضوء لانه يظهر لذاته ولاخرين غيره فاذ قد جعلك سيدك فى رتبة الملح والضوء فانفع من كان جالسا فى الظلام وعلمه انه ما أخذ ماأخذه منك أولا غصبا وحقق عنده انه ماقدعنتك فانك على هذه الجهة تكون محتشما أكثر من غيرك موقرا واشرف قدرا اذا وضحت انك قد سررت وماسلبت أجعل خطية ذاك بدعتك واحتمالك تفضيلا لك فان ظننت ان هذا الفعل هو خطير فتأمل مايأتى فترى انك لم تصل بعد الى الحد التام وذلك ان واضع هذه الشرائع فى احتمال المكروه لم يوقفك على هذا الحد فقط لكنه قد اصعدك الى مايتجاوزها بقوله هذا القول اذا سخرك مسخر ميلا واحدا فاذهب معه ميلين أرأيت الفلسفة الزائدة بعد اعطائنا طيلساننا وثوبنا قال وان طلب عدوك أن يجعل جسمك عاريا التعذيبه وممارسته الاتعاب فلا تمنعه ولا فى هذه الجهة لانه يريدنا أن نجعل كل ماتمتلكه مشتركا مشاعا مهما كانت اجسامنا واملاكنا وان نهبها للمحتاجين الينا وللشاتمين لنا فان أحد الصنفين هو من شجاعتنا والثانى هو من جردنا وتعطفنا ولهذا المعنى قال اذا سخرك مسخر ميلا واحدا فاذهب معه ميلين مصعدا اياك أيضا الى أعلى منزلة موعدا اليك ان توضح هذا التفضيل بعينه لانه ان كان عند ابتدى اشتراعه وضع

وصايا هى دون هذه بكثير تحوى تطويبات هذه مبلغ جلالتها فتامل أية نهاية ينتظر الذين يحكمون هذه الوصايا ويحفظونها ومن يصبرون قبل جوائزهم اذا أحكموا بجسم انسانى متألم البراة من امراض عزمهم كلها لانهم اذا لم تلذعهم مكاره السب ولا مواقع الضرب ولا انتزاع اموالهم ولا يستميلهم صنف من أصناف المكروه هذا تاثيره يصبرون على المكروه والعارض لهم أكثر فتفطن أى اصلاح قد اصطلحت نفسهم فيهم ما اعظمه ولهذا الغرض أمرنا ان نعمل فى هذه الوصايا ما أوعذ الينا بفعله فى احتمال العارض لنا وفى استلاب أموالنا لانه قال ما معنى ذكرى سبا وامرالا ولو أراد مريد أن يستعمل جسمك بعينه فى اتعاب موله واعمال متعبة استعمالا على جهة الظلم فاقهر شهوته الظالمة وتجاوزها أيضا لان السخرة هذا المعنى معناها ان تسحب من يمارسها سحبا ظالما وتزجه بدون حجة فى الحج ولكن كن متزينا على كل حال لهذا العمل حتى تمارس التعب أكثر مما يشاء ذاك الذى سخرك ان يعاملك به من سالك فاعطه ومن يشاء ان يقترض منك فلا ترده فهذه الاوامر أدنى من تلك لكنك لا تستغرب ذلك فانه قد اعتاد ان يعمل هذا العمل دائما ان يخاط صغار أوامره بكبارها وان كانت هذه بالاضافة الى تلك صغارا فليسمع الذين يأخذون مالغيرهم الذين ينفقون على الزوانى أموالهم ويشعلون النار مضاعفة عليهم باكتسابهم دخل الظلم وهم باتفاقهم فى جهة هلاكهم والغرض ههنا لا يقصد به الاسعاف بارباح الربا لكنه يعتمد به اعادة الشئ على بسيط ذاته وفى موضع غير هذا تزيد هذه التوصية عندا يعاذه ان يعطى أولئك الذين لا يتوقع ان يأخذ منهم شيئا قد سمعتم انه قيل تحب قريبك وتمقت عدوك فانا أقول لكم حبوا أعداكم وصلوا على الذين يمقتونكم باركوا الذين يلعنونكم أعملوا عملا مستحسنا بالذين يمقتونكم لكى تكونوا مشابهين

ايا كم

ابا كم الذى فى السموات فانه يشرق شمسه على الخبثاء والصالحين ويمطر على ذوى العدل والظالمين انظر كيف وضع خاتمة الاعمال الصالحة أخيرا لان لهذا السبب يود بنا ان نحتمل ليس اذا لطمنا فقط وان نبذل فكنا الايمن ولا بان نضيف ثوبنا الى طالب طيلساننا فقط بل يود بنا مع ذلك بان نمشى مع من يسخرنا ميلا واحدا ميلين لنقبل بكافة السهولة ماهو أكثر من هذه الاوامر بكثير وان سألت وماهو الاكثر من هذه الاوامر أجبتك هو الا تعتقد من يفعل بك هذه الافعال عدوا وأليق ان يقال ان تعتقده شيأ أخر غير هذا لانه ماقال لا تمقت عدوك لكنه قال حبه وماقال لا تظلم لكنه قال أعمل معه احسانا بمن يظلمك ويمقتك وان بحث باحث بحثا بليغا ابصر من هذه الاوامر بعينها زيادة أخرى أعظم منها بكثير لانه ما أمر ان نحب على بسيط ذات الحب لكنه أمرنا مع ذلك ان نصلى على الذين هم يعنتوننا وندعو الهم أرأيت الى أية درجة طلع وكيف أقامنا عند هامة الفضيلة بعينها وتفطن فى أعلى أعداد فرائضه الدرجة الاولى وهى الا نبتدئ بالظلم الثانية الا ننتقم بسوية ظلمك الثالثة الا نعمل بمن يعنتنا فى هذه الاعمال ماقد قاسيته لكن تهدأ ساكنا الرابعة ان تبذل ذاتك لمقاساة المكروه الخامسة ان تخول ذلك الذى يعمل بك المكروه أكثر مما يريده منك السادسة الا تمقت من يعمل هذه الاعمال السابعة ان تحبه الثامنة ان تحسن اليه التاسعة ان تتوسل الى الله من أجله أرأيت علو هذه الفلسفة فلهذا السبب تملك جائزتها البهية لان هذا الايعاذ كان محله عظيما يحتاج الى نفس شهمة والى اجتهاد كثير وحرص جزيل وضع الجزاء له جليلا قدره لم يضع مثله ولا لوصية من الوصايا الاولى قبله لانه لم يذكر ههنا أرضا على نحو ماذكر للودعاء ولا ذكر تعزية ورحمة على حذو مارسم ذلك للنائحين والرحومين ولا ملك السموات لكنه وعد بما هو أعظم سموا من هذه الجوائز كلها وهو ان يصير وأشبهين بالله على

ما يليق بالناس ان يشابهوه لانه قال لتكونوا مشابهين أباكم الذى فى السموات وأرصد لى أنت كيف ولا فى هذه الاقوال ولا فى الاقوال التى قبلها يسمى الله أباله لكنه هنالك يسميه الها وملكا عظيما حين خاطبهم فى اجتناب الايمان وفى هذه الاوامر يسميه أبا لهم فيعمل هذا العمل خازنا هذه الاقوال لوقت ملائم لها ثم اذحان ذلك الوقت ذكر معادلته أباه لانه يشرق شمسه على الخبثا والصالحين ويمطر على المقسطين والظالمين فقال ليس انه لا يمقت الذين يسبونه فقط لكنه مع ذلك يحسن اليهم على ان هذا الفعل ليس هو البتة مساويا لافراط احسانه فقط لكن من أجل جسامة رتبته لانك أنت انما يتهاون بك مواخيك فى العبودية وذاك يتهاون به عبده الذى قد أحسن اليه احسانات كثيرة وأنت اذا صليت على تعنتك انما تهب له ألفاظا تدعو اله بها وهو يهب له أفعالا عظيمة عجيبة كثيرة اذ يشرق شمسه على الصالحين والظالمين ويجود بامطار سنوية لكنه مع ذلك يخولك أن تكون عديلا له على نحو ما يمكن أن يعادله انسان فلا تمقتن اذا من يعمل بك عملا مكروها اذ كان مسببا لك خيرات هذا المحل الجليل محلها ويقتادك الى كرامة هذا مقدارها فلا تلعنن من يعنتك والا فانت تقاسى تعب تعسفه وتفقد ثمرة صبرك وتحتمل الخسارة وتضيع ثوابك وذلك فهو الغاية القصوى من الجهل اذا صبرنا على أصعب الحوادث ولم نحتمل ما هو دون ذلك ولعلك تقول فكيف يجوز أن يكون هذا فاقول لك بعد أن قد رأيت ان الاله قد صار انسانا منحدرا انحدارا هذا مقداره متألما لاجلك الاما جزيلا مبالغها تتوهم أيضا وترتاب فى أن كيف يكون ممكنا أن تصفح عن مواخيك فى العبودية ظلاماتهم ألم تسمعه قائلا على صليبه يا ابتاه اصفح لهم فانهم ما يعرفون ما يعملونه أفلم تسمع بولس الرسول قائلا أن الذى صعد الى العلو وجلس فى يمين أبيه يتضرع من أجلنا أما تبصر أنه بعد صلبه وصعوده الى السماء أرسل رسله الى

اليهود الذين قتلوه حاملين اليهم خيرات كثيرة على أنهم قد توقعوا أن يقاسوا
منهم شدائد جزيلة الا أن ذلك قد ظلمك ظلما عظيما واما الذى أصابك
فيكون مثاله مثال ما أصاب سيدك اذ صار مضروبا مربوطا ملطوما
ضرب بالسياط بصق عليه عبده صبر على الموت الذى كان أشنع الميتات
كلها بعد احساناته الجزيل عددها فان يكن ذاك قد ظلمك ظلما عظيما
فلهذا السبب خصوصا أحسن اليه لتجعل اكليلك ابهى حسنا وتخلص
أخاك من سقم واصل الى غاية الشدة اذ الاطباء اذا رفسهم المجانين وشتموهم
يرحمونهم حينئذ كثيرا ويحتملونهم لتلافى مرضهم وصلاح حالهم لعلمهم
أن سببهم هو من تفاقم مرضهم فاقتنى أنت هذا العزم من أجل من يغتال عليك
واستعمله على هذه الجهة فى الذين يظلمونك فان أولئك هم السقماء باعظم
الاسقام المصطبرين على كافة الغضب استخلص ظالمك من هذه الملامة القادحة
ساعده على ترك غيظه واعتقه من الشيطان الصعب الذى هو شيطان الغضب
لاننا اذا رأينا الملبوسين نرحمهم ونبكى عليهم ولا نخشى من أن نلبس معهم
فهذا العمل ينبغى أن نعمله الآن بالذين يغتاظون علينا لان الغضوب
يشبه أولئك الملبوسين وأليق ما يقال انهم أشد شقاوة من أولئك المجانين
اذهم مجانين بحسهم وكذلك صار صرعهم خائبا من العفو والمسامحة لا تسخر
بالصريع لكن ارحمه لاننا اذا رأينا من قد ثارت عليه الصفراء المرة وأظلم بصره
الدوار الحادث منها واسرع الى قذف هذا الخلاط الخبيث نمد اليه أيدينا
ونجده ونحمله عند تقزز باطنه ولو وسخ ثيابنا بقيئه فان تحرج عنه لكننا
نبتغى غرضا واحدا وهو كيف نخلصه من ضغطته هذه الصعبة فسبيلنا أن
نعمل هذا العمل بالذين يغضبون ونحملهم عند قيئهم وتقززهم ولا نهملهم الى
أن يفقدوا مرارة غضبهم كلها فبعد ذلك يعرف من قد احتمات غضبه ان لك منة
عظيمة عليه لانه اذا سكن غضبه حينئذ يعرف معرفة واضحة مبلغ الارتجاف

الذى خلصته منه ولست اقصد المنة من ذلك الانسان بل من الله لان الله فى ذلك الحين يكافئك بمواهب عظيمة لانك اعتقت أخاك من سقم صعب و يكرمك ذاك اكرام سيد فى كل حين مستحيا من دعتك أما رأيت النساء عند طلقهن أو سمعت بهن كيف بعض النسوة الواقفات عندهن و يصبرن و يحتملن عضهن وان كانت توجعهن و يتوجعن للطالقة التى يضايقها مخاض طلقها فماثل أنت أولئك النسوة ولا تكونن أرخى منهن عزما لانه قد يوجد رجال أصغر من النساء نفوسا و بعد أن يلدن أولئك النسوة حينئذ يعرفنك فان تكن هذه الاوامر ثقيلة فتفطن أن لهذا الغرض جاء المسيح ليغرس فى فهمنا هذه الاوامر لكى يجعلنا نافعين لاعدائنا ولاصدقائنا ولهذا المعنى يامرنا ان نهتم بهذين الفريقين فيأمرنا ان نهتم باخوتنا حيث قال اذا قدمت قربانك اوصانا أن نهتم باعدائنا باشتراعه لنا ان نحبهم وان نصلى لاجلهم وليس لاجلهم فقط بل بهذه الوصية يجعلنا معا ونبين لله اذ يصعدنا اليها من ضده لانه قال اذا أحببتم الذين يحبونكم فما هو الثواب الذى قد نلتموه افليس العشارون يعملون هذا العمل بعينه وهذا المعنى قد ذكره بولس الرسول فقال ما قد قاومتم زعما الى دم الخطية مجتهدين مقابلها فاذ عملت هذه الاوامر فقد وقفت مع الله وان اهملتها فقد وقفت مع العشارين ارأيت كيف الاوسط من الوصيتين ليس مقداره على مقدار فصل الوجهين فلا تفتكرن هذا الافتكار لان الافتراض صعب المراس لكن سبيلنا ان نتفطن فى الجائزة ونفتكر ان تكون مشابهين اذا اتممنا هذه الوصايا ولمن نكون مسادين اذا لم نفعلها فهو يامرنا أن نصالح أخانا ولا نبعد عنه أولا الى أن نزيل عداوته واذا خاطبنا فى مسالمة الناس كلهم ليس يزجنا تحت هذه الضرورة أيضا لكنه يطالبنا بعزم الود الناشى منا فقط ويجعل شريعته على هذه الجهة سهلة انه لما قال انهم قد طردوا الانبياء الذين

قبلكم

قبلكم فلكيلا يكرهرهم لاجل اقواله هذه يامرنا ان لانحتمل الفاعلين
هذه المكاره بنا فقط لكن نحبهم ارأيت كيف بعد رفضه الغضب يبطل
الشهوة التابقة الى الاجسام المرتاحة الى الاموال المتلهفة الى التشريف
المشتاقة الى هذا العالم الحاضر لانه قد عمل هذا العمل ضدا بتداء اشتراعه
وقد فعل الان أكثر بكثير لان من كان مسكينا ووديعا ناصحا يبطل غيظه ومن
كان عادلا رحوما يجتنب شهوة الاموال ومن كان نقي القلب فقد تخلص من
الشهوة الخبيثة والمطرود المحتمل الشتائم السامع سباءكم وها فقد احكم كافة
الاعراض عن الاشياء الحاضرة وصار نقيا من الصلف والعجب واذ حل
ما معه من هذه العقالات واعده للجهادات اجتذب أيضا أعراض عزمنا
هذه الى معنى آخر بجملة الاستقصاء وأكثره لانه لما ابتدأ من الغيظ
وقطع اعصاب هذا السقم من كل جهة وقال من يغتاظ على أخيه ومن
يدعوه رقا وأحق فليعاقب ومن يقدم قربانه لا يقدمه أولا الى المائدة
الى أن ينقض العداوة ويزيلها ومن خاصم فهو مستحق أن يبصر مجالس
القضاء فيجعل عدوه صديقا له ثم انتقل أيضا الى الشهوة وقال من يبصر
بعينين فاسقتين فليعذب تعذيب الفاسق ومن تفتنه امرأة الفاسقة
أو يشكله رجل أو شخص من الاشخاص اللائقين به فليحطم بقية هؤلاء كلهم
ويقطعهم ومن قد ضبط امرأة بسنة التزويج فلا يخرجها في وقت من الاوقات
ويصير الى امرأة غيرها لانه بهذه الفرائض قطع أصول الشهوة الخبيثة
ثم جز في هذه الجهة عشق الاموال بايعازه باجتناب الحلف والكذب
وبأن لا يتشبث أحدنا بالوشاح الذي يتفق متوان يتشح به بل يدفعه الى طالبه مع
ثوبه ويبذل له استعمال جسده عند تسخيره اياه مستأصلا اشوقنا وتلهفنا الى
الاموال عن كثرة تزايده وبعد هذه الاوامر كلها أوردا كليل هذه الاوامر
بقوله صلوا على الذين يفتنونكم فاصعدنا الى هامة الفلسفة العالي تطرقها

فكما ان من يلطم هو أعظم محلا ممن يكون وديعا ومن يعطى ثوبه مع طيلسانه أعظم قدرا ممن يكون رحوما ومن يحتمل اذا ظلم أعظم شأنا ممن يكون عادلا ومن يتبع مسخره مظلوما مسخرا لاعظم منزلة ممن يكون مصلحا مسالما فكذلك من يبارك طارده اذا طرده ويدعو له هو أعظم محلا ممن يكون مطرودا وان سلمتم على اخوانكم فقط فأى فضل عملتم أليس العشارون أيضا يفعلون كذلك أرأيت كيف يعلمنا الى قناطر السماء باعيانها رويدا رويدا فلمن نكون مستوجبين نحن الذين قد أمرنا ان نشابه الهنا ولعلنا ما قد صرنا معادلين ولا العشارين لاننا اذا أحببنا الذين يحبوننا يكون هو حب العشارين والخاطئين والاميين فاذا لا نحب هذا الحب لاننا نحب هذا الحب اذا حسدنا أخوتنا على توفيقهم واقبالهم فاية مقابلة عدلة لا نقاسيها اذ كنا قد أمرنا ان نفوق على الكتاب وقد وقفنا أسفل من الاميين وتحتهم قل لى كيف نبصر ملك السماء كيف نسلك فى تلك الطرق الجليلة ولم نصر أفضل من العشارين لان الى هذا المعنى أومى بقوله أوليس العشارون يقولون ويعملون هذا العمل بعينه وهذا العمل العجيب فى تعليمه كثيرا انه يوضع فى كل موضع من تعليمه جوائز الجهادات بزيادة كثيرة مثال ذلك قوله انهم يبصرون الله ويملكون ملك السموات ويصيرون بنين لله ويكونون مشابهين لله وانهم يرحمون وانهم يتعزون وان ثوابهم جزيل وان احتاج يذكر عقوبات محزنة فانما يذكرها بانقباض متراخيا لان اسم جهنم انما وضعه فى أقوال هذا مبلغ كثرتها دفعة واحدة وهذا الاسم فانما ذكره لاقوام متسترا مستعملا ذلك باوفر استحياء اليق من أن يكون استعماله بابلغ تهويل ويتلافى سامعها بقوله اوليس العشارون يعملون هذا العمل بعينه وبقوله اذا فسد الملح وبقوله يدعى فى ملك السماء حقيرا وربما وضع فى مواضع من تعليمه الخطايا عوض العقوبة مخولا سامعه أن يعرف ثقل العقوبة

على

على نحوماقال فقد فسق بها فى قلبه ومن يطلق أمرأة يجعلها فاسقة ومازاد على نعم ولا فهو من الخبيث وذلك ان عظم الخطية يجرى عند المالكين عقلهم بدلا من اسم العقوبة لردعهم واصلاحهم ولهذا الغرض أورد فى وسط هذه الاقوال الامين والعشارين مخجلا من قد تتلمذ له بكيفية وصفه العشار والامى وهذا العمل قد عمله بولس الرسول اذ قال أئلا تغتموا كباقى الكنايس التى لارجاء لها وعلى مثال الامم التى لاتعرف الله ويرينا انه ما يطالبنا بما يفوق طاقتنا لكنه يطالبنا باكثر مما قد الفناه قليلا اذ قال ليس الامميين يعملون هذا العمل بعينه الا انه مع ذلك ما اوقف كلامه فى هذه الاقوال لكنه انهاه الى الجوائز والامال الصالحة بقوله كونوا كاملين كابيكم السماوى ومن شأنه ان يزرع فى كل موضع من كلامه اسم السموات كثيرا منهضا من المكان مشيأتهم الا انهم كانوا حينئذ أضعف من غيرهم تمييزا واكثف عقلا

(العظــــــــــــــــــة)

فاذا تفطنا فى كافة الاوامر التى قد قيلت لنا فسبيلنا ان نظهر حبنا الاعداءنا جزيلا ونقضى عنا تلك العادة المضحوك عليها التى يثبت فيها أناس كثيرون من الذين قد زال قياسهم أكثر من غيرهم فى انتظارهم أن يسلم عليهم الذين يتلقونهم أولا والعادة التى تحوى تطويبا جزيلا ماينتشبهون بها والسجية التى هى مضحوك عليها تلك يطلبونها ولو سألت أحدهم لم لاتسلم أنت على من يلقاك أولا لقال لى لان ذاك ينتظر التسليم منى فأقول له فلهذا الغرض بعينه يجب عليك كثيرا أن تسبق الى التسليم عليه لتأخذ أنت الاكليل ولعله يقول لست ابتدئه أنا بالتسليم اذ قد اجتهد هو فى هذا الغرض أن يكون مسببا الثواب لى فأجيبه وماذا يكون أشرف من هذا الاحتجاج لانك قلت اذ قد أجتهد

ذلك فى هذا الغرض أن يكون مسببا الثواب لى است أشاء أن أحصل هذه
الفوائد فاعلم ان ذلك اذا سلم عليك أولا فلا يحصل لك اذا سلم عليك ربحا أكثر
واذا سابقته أنت بالتسليم عليه أولا تستفيد انك قد أزلت صلفه وتقطف من
تكبره ثمرا كثيرا خصبه فاذا كنت تتوقع أن تقطف من الفاظ ساذجة زوائد
جزيلا مبلغها فبدفع هذا الربح كيف لا يكون هذا رأى من جهالة فى غايتها بلومك
ذلك تسقط فى هذه المواهق باعيانها لانك ان كنت لهذا السبب تذم ذلك
وتنسب العلة اليه انه ينتظر من غيره تسليمه عليه اولا فلم تماثل ما تشكوه وما تقول
انه خبيث قد اجتهدت ان تماثله كأنه عمل صالح ارأيت كيف لا يوجد شخص
عديم الفهم من الانسان العائش فى رذيلته فلذلك اسألكم ان تهربوا من هذه
العادة الخبيثة المضحوك عليها لان هذا الداء قد نقض صدقات كثيرة
واخترع عداوات جزيلة فلاجل هذا السقم سبيلنا نحن ان نسبقهم الى التسليم
عليهم لاننا اذ قد امرنا ان يلطمنا اعداؤنا ويسخرونا ويجردونا من كسوتنا
ونحتملهم فلاى عفو نكون مستحقين اذا انشأنا بسبب تسليم ساذج خصومة
جسيمة لا تقدر ولعلك تقول انه يزدرى بنا ويصفق علينا اذا خولناه
التسليم اولا فاجيبك حتى لا يزدرى بك انسان تعاند انت الهك وحتى
لا يحتقرك المجنون الذى هو عديلك فى العبودية تحتقر انت سيدك المحسن اليك
باحسانات جزيل مبلغها ولئن كان شنيعا ان يستحقرك عديلك فى العبودية
فاعظم شناعة من ذلك كثيرا ان تستحقر الاله خالقك ومع ذلك فتأمل ذلك الغرض
ان ذلك اذا احتقرك يصير مسببا لك الثواب الاعظم لانك لاجل الله تصطبر على
هذه المهازئ اذ كنت قد سمعت شرائعه وهذا الصبر فلاى كرامة يكون
معادلا ليتنى ان استحقر لاجل الهى واشتم افضل عندى من ان تكرمنى
الملوك كلها فانه لا يوجد حظ يعادل هذا الشرف فينبغى أن نسعى
طالبين هذه الفائدة الى هذا الحال بحسب ما أمرنا هو ولا نحفل للغرائم

الانسانية

الانسانية عندنا ذكرا لكن نوضح بافعالنا كلها فاستغنتنا فى غاية استقصائها فعلى هذه الطريقة نسوس حياتنا لاننا ونحن بعد فى الدنيا نستثمر الفوائد الصالحة التى تناسب السمائيين ونقتنى الاكاليل التى هنالك اذا تصرفنا تصرف الملائكة مع الناس وسلكنا فى الارض سلوك قوات الملائكة ولبثنا خالين من كل شهوة وارتجاف ونحصل مع هذه الفوائد النعم الصالحة التى لا توصف التى ننالها بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى يليق للاب معه الروح القدس المجد آمين

المقالة التاسعة عشر

تأملوا صدقتكم الا تعملوها قدام الناس للتظاهر لهم بها

هاهو الآن يبقى الداء الاشد اغتصابا من أمراض هوانا كلها وهو الهيام والجنون المتمكون فى الذين يحكمون الفضائل جنون الشرف الباطل لانه منذ ابتدا اشتراعه ما أجرى فى وصفه خطابا لان قبل أن يستميل سامعيه الى فعل شئ من الاشياء الواجبة كان تعليمه فى ممارستها وكيف كانوا يعملونها فضلة زائدة ولما حصلهم فى الفلسفة أزال بعد ذلك الفساد المتمكون من خارج فيها ونقضه لان هذا السقم ما يتولد على بسيط ذاته لكنه انما يتولد بعد أحكامنا أنواع كثيرة من الاوامر التى أمرنا بها لانه وجب أن نغرس الفضيلة اوّلا و بعد ذلك يبطل المرض الذى يذبل ثمرتها وانظر من أى مبدأ ابتداء من الصوم والصلاة والصدقة لان هذا السقم بهذه الثلثة أصناف من عادته أن يقيم فى الذين يحكمون الفضائل اقامة يحبها كثيرا فذلك الفريسى من هذه

الجهة افتخر قائلا اللهم أشكرك لانى لست كباقى الناس غاصبين ظالمين فجارا
ومثل هذا العشار اصوم يومين فى كل اسبوع واعشر جميع مالى فتشرف فى صلاته
بعينها تشرفا باطلا اذ أنشأها للتظاهر بها لانه اذا لم يكن واحد من الناس غيره
حاضرا أشاع العشار قائلا لست انا كباقى الناس ولا مثل هذا العشار وتامل فى
كيف ابتداء يخاطب سامعيه خطاب من يحذره من وحش أصعب الوحوش
نكاية يسترق من لا يتيقظ تيقظا شديدا لانه قال تاملوا صدقتكم
وهذا القول قد قاله بولس الرسول لاهل مدينة فيلبس احذروا الكلاب
وذلك ان هذا الوحش يندس سرا ويشمخ اوهامنا كانها مجردا من احساس
يوجبه ويورده ويبدى كلما فى باطننا ويفوتنا الاحساس به واذ كان قد
تكلم فى الرحمة والصدقة كلاما جزيلا واوردالى وسط قوله الله المشرق شمسه
على الاشرار والاخيار واوعز بها فى سائر الجهات وحقق تناهيها وعموها بسعة
بدلها يحتاج بعد ذلك يقول جميع ما يضر هذه الزيتونة النافعة ويشينها
فكذلك قال تاملوا صدقتكم حذرين الا تعملوها قدام الناس ولعمرى ان
تلك الرحمة التى قيلت فيما تقدم هى رحمة الله جل وعزه اذ قال احذروا
الا تعملوا صدقتكم قدام الناس استثنى بقوله لتتظاهروا لهم بها وقد يظن
انه قد قال قولا واحدا بعينه دفعتين فان تصفحت ذلك تصفحا بليغا وجدته
ليس هو قولا واحدا بعينه لكن لهذا القول معنى ولذلك القول معنى غيره
وهو يحوى ثقة كثيرة واشفاقه وحنوه الذى لا يوصف لانه قد يوجد من
يعمل الصدقة قدام الناس متوخيا أن يتظاهر لهم بها ويوجد أيضا من لم يعمل
الصدقة قدام الناس ويعمل أيضا سرا للتباهى بها فلذلك لا يعاقب
فعل الصدقة الكائن على بسيطا ذاته لكنه يعاقب عزم فاعلها ويكافيه
ولو لم يكن هذا الاستقصاء مرادا فى هذه الوصية لكان هذا القول قد جعل
أناسا كثيرين أكسل عزما بذل صدقتهم لانه لا يمكن ان يتكتموا فى كل

مكان

ه كان اذا عملوها ولا يخفى فعلهم على كل حال فلهذا السبب أطلقك
من هذه الضرورة ولم يحد الثواب والعقاب لتمام عمله لكنه يحد الخسارة
والفائدة لاختيار عاملها حتى لا تقول ماذا يصيبنى اذا أبصرنى احد الناس
فقال لك لست ألتمس هذا الغرض لكننى ألتمس تمييزك وسريرتك وغرض
الرحمة الكائنة منك لانه يريد أن يحدد ابداع نفسك ويخلصها من كل
مرض واذا منع سامعيه أن يعملوا الصدقة لاظهارها وعرفهم الخسارة من
ذلك باقتعالهم اياها باطلا وفارغا انهض أيضا فطنتهم اذ ذكرهم بابيهم
وبالسماء حتى لا يلذعهم بالخسارة وحدها لكنه يعطفهم ويخجلهم بذكر أبيهم
لانه قال والا فما هو يتم ثوابا عند أبيكم الذى فى السموات وما وقف
قوله فى هذه الاقوال بالالفاظ لكنه سيره الى أبعد غاية منها اذ رفعهم عن هذه
المراياه كثيرا لانه كما وضع قبل هذا الكلام عشارين وأميين مخزيا الذين
يماثلونهم بكيفية الوجه من الفريقين هكذا وضع فى هذه الالفاظ المرائين اذ قال
واذا عملت صدقة فلا تضربن بالبوق قدامك كما يصنع المراوون فى الجامع
والاسواق لكى يتمجدوا من الناس الحق أقول لكم لقد أخذوا أجرهم ليس
أن أولئك المراوون يستعنون بوقا لكنه يشاء أن يظهر جنونهم الكثير بلفظة
هذه الاستعارة فيهجن رأيهم بها ويفضحهم فعلى جهة الثواب قال أنهم مراوون
وذلك أن تظاهرهم كان مناسبا لصدقتهم وسريرتهم مناسبة لجفاوتهم وزوال
انسانيتهم لانهم ليسوا يعملون صدقتهم لاجل رحمة قريبهم لكنهم انما يعملونها
ليتمتعوا بتشريفهم وذلك فهو من جفاوة فى غايتها اذ كان غيرنا ضاويا بجوعه فلا
نحل مصابه لالتماسنا المباهاة فليس الاعطا اذا صدقة لكن الاعطاء على
واجبه ولهذا الغرض يعطى هو الصدقة فلما هجن رأى أولئك وذمهم ولذعهم
وقصده قصدهم يخجل سامعيه تلافى أيضا هذه العزيمة السقيمة بهذه المطاغى واذ
وصف كيف يجب أن لا يعملوا صدقتهم لاظهارها أراهم أيضا كيف يجب

أن يعملوها وأن سألته فكيف يجب أن نعملها سمعته قائلا لك وانت اذا
صنعت رحمة فلا تعلم شمالك بما تصنع يمينك لتكن صدقتك فى خفية وأبوك
الذى يرى فى الخفية هو يجازيك علانية وفى هذه الالفاظ أيضا ليس يومى
الى أبدينا السكنه وضع هذه الوصية على جهة الزيادة فى الاسراع لانه قال ان
كان ممكنا أن يفوتك أنت معرفة عملها فليكن هذا العمل عندك أبلغ ما يسارع
فيه وان أمكنك فنافع لك أن تخفيه عن يديك اللتين يخدمان فيه وليس فى ذلك
على ما قال قائلون أنه يجب أن تخفيه عن الناس المغتالين وذلك انه أمرنا
بهذه الالفاظ أن نخفى معروفنا عن كافة الناس ثم تفطن فى الثواب عن ذلك
ما أعظمه لانه لما ذكر العقوبة التى هنالك بين الكرامة التى ههنا اذ رفعهم
من سائر الجهات واقتادهم الى تعاليم عالية لانه حقق عندهم أن يعرفوا أن الله
حاضر فى كل مكان وأن أحوالنا ما وقفت الى عمرنا هذا الحاضر لكن الى
مجلس حكم أشد خيفة يقتبلنا من ههنا والتبعات الواجبة على سائر ما عملناه
والكرامات والعقوبات وانه ليس ينسى من أعمالنا صنفا مما عمله أحدنا لا صغيرا
ولا كبيرا واذا توهم أحدنا أنه ينسى أبكمه لانه أشار الى هذه الافعال كلها
بقوله وأبوك الذى يرى فى الخفية هو يجازيك علانية فقد نضد له مشهدا
عظيما شريفا وخوله ما يشتهيه بزيادة كثيرة لانه خاطبه ماذا تريد ألست تشا
أن تحصل ما تعمله أقواما ناظرين اليه فها قد حصلت اذا معاينين أعمالك ليس
ملائكة ولا رؤساء ملائكة لكن اله البرايا كلها وأن اشتهيت أن تقتنى
أناسا ناظرين اليك فليس يعدمك شهوتك هذه فى وقت ملايم لها لكنه يهب
لك مرادك بزيادة كثيرة لانك الآن اذا أريت ما تعمله فانما يمكنك أن
تريه لعشرة من الناس أو لعشرين أو لمائة انسان وحدهم وانما اذا اجتهدت
الآن أن تخفى عملك فليشهدن الله بعملك ويذكرك حينئذ بحضرة أهل تلك
المسكونة كلها فمن هذه الجهة ان شئت أوفر شهوتك أن تبصر الناس ما قد

احكمته

احكمته فاستر ذلك الان واكتمه حتى يبصروه حينئذ جاءتهم بتكريم
كثير اذا أشهره الله ظاهرا لهم ترفع محله واشار بذكرك عند الحاضرين
كلهم لان الحاضرين الان يلومونك لوم المعجب واذا ابصروك هناك مكللا
فلا يلومونك فقط لكنهم مع ذلك يتعجبون منك كلهم تعجبا عظيما اذا
حصلت ثوابا مستمرا ثمرا اذا صبرت زمانا يسيرا فتفطن أى جهل هذا
ما أعظمه أن تخيب من هاتين الفائدتين كلتيهما وتفقد ابتغاء ثوابك من الله
اذا دعرت الناس لتريهم ما قد عملته بمشاهدة الله لانه ان وجب ان ترى أعمالك
فيجب أن تريها الابيك قبل كل الناس ولاسيما اذا كان أبوك رب التكليلات
والخسارات على ان لو لم يكن ذلك خسارة لما وجب أن يعمل هذا المشهد من
يشتهى التشريف ويستبدله بتشريف الناس لامن يكون على هذا النحو من
من التشبيه عديما توفيقه قد تناهى فى جهله أن يكون عند مبادرة الملك الى
معاينة ما قد أحكمه فيهمله هو ويعرض عنه وينظر له مشهدا من مساكين
ومكدين يبصرونه ولهذا السبب ليس يأمرنا ألا ترى الناس أعمالنا فقط
لكنه يوعز مع ذلك الينا بالاجتهاد فى سترها واخفاها لان هذين
الفعلين ليس هما بالسواء وهما الا تجتهد بظهورها وان تسرع الى اخفائها
فقال واذا صليت فلا تكن كالمرائين لانهم يحبون أن يصلوا قياما فى
الجامع وفى زوايا الشوارع ليظهروا للناس أقول لكم حقا انهم قد أبعدوا
ثوابهم ها هو يدعو هؤلاء مرائيين أيضا وذلك على جهة الواجب جدا
لانهم يترقبون الناس عند تعمدهم للصلاة الى الله فليسوا متمثلين بشكل
متضرعين لكنهم بصورة أناس مضحك عليهم لان الذى يعزم أن يتوسل الى
الله يترك الناس كلهم ويبصر ذاك وحده الذى هو قادر أن يعطيه طلبته
فاذا أهملت على هذا الغرض رجعت تائها وأجلت عينيك الى كل مكان
ستنصرف بيدين فارغتين لانك أنت تريد هذا الغرض لكنه هو قادر أن

يهب لهم المكافاة والحظ ولهذا المعنى ماقال عن من هذا الحال حالهم لا يأخذون ثوابا لكنه قال أنهم قد أبعدوا ثوابهم ومعنى ذلك انهم قد أخذوا أجرهم من الذين يبصرونهم لان الله لا يريد هذا الغرض لكنه هو قادر ان يهب لهم المكافاة فلالتماس المكافاة من الناس لم يصيروا على جهة العدل موهلين ان يأخذوا منه الذى لم يعملوا من أجله شيأ وتأمل فى تعطف الاهنا وجوده انه قد وعدنا ان يخولنا أيضا ثوابا عن الاعمال الصالحة التى يلتمسها منا عند تأنيبه الذين يستعملون عمل الصلاة ليس على واجبة من مكان ابتهالهم ومن سجيتهم وايضاحه لهم انهم مضحوك عليهم جدا ثم اورد حال الصلاة الفاضلة وخولنا الثواب أيضا بقوله وانت اذا صليت فادخل الى مخدعك واغلق بابك وصل لابيك سرا وابوك الذى يرى فى السر يعطيك علانية ولقائل يقول فما رأيه افما ينبغى ان نصلى فى الكنيسة فنقول له نعم ينبغى ان نصلى فى الكنيسة لكن يجب ان نصلى بنية خالصة لان الله فى كل مكان يبتغى غرض الافعال الكائنة منا والا فان دخلت الى خزانتك واغلقتها وعملت عمل الصلاة للتظاهر به فلا يحصل لك من اغلاق ابوابك نفعا وأبصر كيف وضع التحديد فى هذه الالفاظ بابلغ الاستقصاء بقوله لكى يظهروا للناس فمن هذه الجهة اذا اغلقت ابوابك يريدك ان تصلح هذا العزم قبل اغلاق ابوابك وان تغلق ابواب سريرتك لان التخلص من العجب نافع فى كل مكان وانفع ما يكون التخلص منه فى الصلاة والئن كنا نخترع بغير هذا السقم ونخال ببصائرنا فاذا دخلنا الى الصلاة مشتملين هذا المرض متى يسمع منا ما نبتهل به وان كنا نحن المتوسلون المتضرعون ما نصغى الى ما نبتهل به فكيف نستميل الله ان يستجيبه الان مما يظهر فى ان بعد هذه الوصايا البليغ تأكيدها الجزيل مبلغها قد يوجد اناس يزيلون التوفر عنهم فى صلاتهم ازالة يتناهون فيها الى ان يكون جسمهم مستورا فيجعلون ذواتهم

بصوتهم

بصوتهم واضحين عند كل من يشابههم اذ يصيحون صياح الغراء المجانين ويجعلون ذواتهم بشكلهم وصوتهم مضحكا عليهم اماترى اذا تقدم متقدم فى السوق مخترعا اعمال الاجلاب وامثالها متوسلا بصياح يواصله يحجز بذلك من يستميحه عن مواساته واذا تقدم صامتا بشكل لائق بالتسميح يجتذب حينئذ من يمكنه ان يجود عليهم بانعامه اجتذابا سريعا فلا نعمل صلواتنا بشكل جعجعنا ولا بعجيج صوتنا بل نقدمها بنشاط عزمنا ولا نتوخى اظهارها باصواتنا كاننا نصادم بها ز وقنا فلنقدمها بكافة الدعة والتوقر والخشوع فى سريرتنا وبدموع باطنة ولعل قائل يقول الا انني اذا توجعت نفسي ما يمكنني أن أصيح فأقول له لعمرى ان الابتهال والتضرع على هذه الجهة يوجد على نحو ما قلت من توجع شديد جدا الا ان موسى النبي قد توجع فى ابتهاله وصلى على هذه السجية واستجيب له ولهذا السبب قال الله ما بالك تهتف الى وحنه النبية أيضا اذ لم يكن صوتها مسموعا وصلت طالبة كافة مرادها اذ كان قلبها قد هتف الى الله هتافا وهابيل صلى ليس صامتا لكنه صلى مستكملا عمره فابدى دمه صوتا أعظم من البرق فتجاس أنت بجسارة ذلك الصديق مزق على حذو ما أمرك النبي قلبك ولا تمزق ثيابك استغيث بالله من الاعماق لانه قال من الاعماق استغثت بك يارب اجتذب صوتك من قلبك من أسفله اجعل صلوتك سرا أماترى ان فى قصور الملك تستأصل الاصوات كلها او يكون الصمت فى كل ناحية منه كثيرا فاجعل أنت حالك كحال داخل قصور ملك ليس فى الارض لكن كداخل الى القصور التى فى السموات التى هى أرهب خيفة من هذه القصور كثيرا فاظهر توقرك جزيلا لانك جائل مع الملائكة مشارك رؤساء الملائكة مترنما ترنيمات السرافيم وهذه الجموع كلها تظهر حسن ترتيبها كثيرا مسبحين ملك الكل ذلك اللحن السرى وتسبيحاتهم الظاهرة بخيفة كثيرة فاخلط ذاتك بهم اذا صليت ومائل

وتبتهم المعزية لانك ماتبتهل الى الناس لكنك تبتهل الى الله الحاضر فى كل
مكان السامع منك قبل بدو صوتك العالم باوهام سريرتك المحتجز اذاعتها
فاذا أبتهلت هذا الابتهال تنال ثوابا جزيلا لانه قال عز قوله وابوك الناظر
فى السر يعطيك علانية فما قال يهب لك لكنه قال يعطيك لانه قد
جعل ذاته غريما لك واكرمك ههنا كرامة عظيمة لانه اذ كان هو قد عدم ان
يكون ملحوظا يريد أن تكن صلوتك هذا الحال حالها ثم يصف لك أيضا
الفاظ الصلاة فقال واذا صليتم فلا تكثروا الكلام كالاميين لانهم
يظنون انه يسمع لهم بكثرة كلامهم فلا تتشبهوا بهم لان أباكم عالم بما
تحتاجون اليه قبل أن تسألوه ولعمري انه لما خاطبنا فى عمل الصدقة
ابعدنا من فساد العجب فقط ومازادنا ابعادا اكثر ولاذكر لنا من أين يجب
إن نعمل صدقتنا كقولك من اتعاب عدله ولا تكون من خطف ولا من
تغطرس لان هذا لعمري متعارف عند جميع الناس وقد تقدم فنظف هذا
الدنس فيما سلف من كلامه حين طوب الجياع والعطاش الى العدل
وقد زادنا فى الصلاة ابعادا آخرا كثر فضلا وهو قوله لا تكثروا الكلام
وعلى نحو ماذم هنالك المرائين فكذلك قرع ههنا الاميين محزنا
سامعه فى كل مكان بحقارة وجوه الفريقين كثيرا واذا كان ظنهم انهم
يعادلون الناس الذين يانفون منهم من شأنه ان يلذعهم على اكثر حالاتهم
ويمضهم كثيرا خجلهم بذلك ههنا والاكثار ههنا يتوخى به الهذيان
الذى يتمثله اذا استمنحنا الله ماليس واجبا ان نبتغيه منه وذلك ان نستمنحه
اقتدارات سلطانية وصنوفا من شرف الدنيا وقهر الاعدائنا وسعة كثيرة
من الاموال تحصل لنا ومايكون على بسيط ذاته لا يفيدنا نفعا لانه قد قال
جل قوله لان اباكم قد عرف ماتحتاجون اليه وعلى حسب ظنى مع ماذكرناه
انه يأمرنا فى هذه الفرائض الا نجعل صلوتنا طويلة ومعنى قولى طويلة ليس

هو طويلة فى وقتها لكن لا نجعلها طويلة بكثرة ما نقوله وبطوله لاننا نحتاج
ان نثبت فى الصلوة ونطلب منه ان يمنحنا مجامد واحدة باعيانها لان الرسول
قد قال كونوا عاكفين على الصلاة وربنا نفسه مثلا مثل الارملة التى
باتصال تضرعها حثت ذلك القاضى القاسى الخالى من الرحمة ايضا بمثل الذى
جاء عند صديقه فى نصف الليل وانهض الراقد من سريره الى اعطائه
مطلوبه وليس لاجل صداقته لكن بسبب اللجاجة ما اشترع بذلك اشتراعا
انولنا كلنا الآن نتضرع اليه تضرعا متصلا وما أمرنا اذا تقدمنا اليه أن
نؤلف صلاتنا من حروف كثيرة نصفها له على بسيط ذاتها لانه قد رمز الى
هذا المعنى بقوله لانهم يظنون انهم بكثرة أقوالهم يستجاب لهم لانه قد
قال أيضا قد عرف أبوكم ما تحتاجون اليه ولعلك تقول فان كان قد عرف
ما نحتاج اليه فلاى غرض نحتاج أن نصلى فأجيبك تحتاج و يجب عليك
أن تصلى ليس لتعرف الله مطلوبك لكن يجب عليك أن تصلى لكى تنحنى
لكى تختص به باتصال تضرعك اليه لتتذلل له وتتواضع ولتتذكر خطاياك
فقد قال جل قوله على هذا النحو صلوا أنتم يا أبانا الذى فى السموات أبصر كيف
فى الحين انهض سامعه وذكره فى مبادى ابتهاله بكافة احسانه لان من يدعو الله
أباه فبهذه التسمية الواحدة قد اعترف بالصفح عن خطاياه و بزوال العذاب
عنه و بعدله و بقداسته و باقتدائه والتبنى له بالوضع و بالمورث
و بمواخاته للوحيد وبحلول الروح القدس عليه فمن لم يستمد هذه المواهب
الصالحة كلها لا يمكنه أن يدعو الله أباه فانهض همتهم انهاضا
مضاعفا بمرتبة من يدعوه أباهم وبجسامة احساناته التى تمتعوا بها
واذ قال الذى فى السموات فما قال هذا القول حاصرا الله هنالك لكنه ذكر
ذلك مقتادا المصلى من الارض مرتبا اياه فى المواضع العالية وفى المسالك
العلوية و يعلمنا أن نجعل صلواتنا مشتركة من أجل أخوتنا لانه لم يقل

يا أبي الذي في السموات لانه قال يا أبانا الذي في السموات جاعلا الوسائل
من أجل الجسم المشاع المشترك ولا يراقب المصلي البتة ما يناسبه بل
يناسب قريبه في كل مكان ومن هذا الغرض يزيل العداوة عنا
ويقبض تجبرنا ويخرج الحسد منا ويورد الحب أم الصالحات كلها الينا
وينتزع من أفعالنا الانسانية زوال تمييدها ويرينا اتفاق المساكين
في الكرامة عند ملكهم كثيرا فان كنا كلنا مشتركين في النعم الجسيمة
التي تدعو الضرورة اليها أكثر من غيرها فما هو الضرر من المناسبة
التي اسفل اذا صرنا كلنا متفقين في المناسبة التي فوق وليس يمتلك أحدنا
ولا حظا واحدا أكثر من رفيقه لا الغني يمتلك حظا أكثر من الفقير ولا السيد
يحوي شيأ أكثر من عبده ولا الرئيس يحوز ملكا أكثر من المرؤوس
ولا الملك يمتلك حظا أجل من الجندي ولا الفيلسوف يحوز ملكا أكثر
من العجمي ولا الحكيم يمتلك حظا من الغبي لانه قد وهب انا كلنا
حسبا واحدا اذ أهلنا أن يدعى أنا لكافتنا على جهة المساواة فاذ قد
ذكرنا بهذه المجانسة وبموهبته العلوية وتفاقنا مع أخوتنا
وتكريمه وحبه وابعادنا من الارضيات ووطدنا في السموات فينبغي
أن نعرف بعد ذلك ما يأمرنا أن نبتغيه منه مع ان هذه اللفظة بعينها فيها
الكفاية أن تحصل فينا تعليم الفضيلة كلها لان من يدعو الله أباه أبا مشتركا
يجب عليه أن يظهر سيرا بليغا تهذيبه حتى لا يظهر انه عديم الاهلية
لهذه المجانسة ويوضح حرصه عديلا لهذه الرهبة ولكنه لم يكتف بهذه اللفظة
بل زادها لفظة اخرى على هذه المعنى قائلا فليتقدس اسمك ولعمري
ان صلاة مرهلة للمستغيث بالله الا ينبغي قبل مجد ابيه مطلوبا لكنه يحتسب
الاشياء كلها ثانية بعد حسن الثناء الواصل الى ابيه لان معنى فليتقدس هذا
هو فليتمجد لانه يمتلك مجده متكاملا ثابتا على حال واحدة دائما فيأمر

المصلى أن يسأله ويشاء أن يتمجد بحياتنا وقد قال هذا القول فيما تقدم
من تعليمه فليلمع ضوءكم قدام الناس لكى يبصروا اعمالكم الحسنة
ويمجدوا أباكم الذى فى السموات لان تماجيد السرافيم اذ يمجدوه بها قالوا
هذا القول قدوس قدوس قدوس من هذه الجهة معنى فليتقدس
اعنى فليتمجد لانه قال لنا أن نقول اهلنا أن نعيش عيشة تبلغ فى تهذيبها
الى أن يمجد لاجلنا جميع الذين يعرفوننا وهذا هو أيضا ان يهب لنا كلنا عيشة
اهلا للفضيلة والفلسفة الكاملة خالصة من اللوم والعيب تنتهى فى تمثيلها
الى ان يعلى الى سيدنا كل من يبصرنا من أجلنا تمجيدا وتسبيحا فلتأت
ملكوتك وهذه اللفظة أيضا لفظة ابن خالص الود لا يتركن فى الاشياء الملحوظة
ولا يعتد بالحظوظ الحاضرة شيأ عظيما لكنه يسرع الى عند أبيه ويصبو
الى نعمته المأمولة وهذا يتكون من فطنة صالحة ونفس متخلصة من الاشياء
التى فى الارض وهذا العزم كان بولس الرسول يشتهيه فى كل يوم وكذلك قال
اننا نحن الذين قد امتلكنا مقدمة الروح الناجحة نتحسر منتظرين البنوة بالوضع
وافتداء جسمنا لان من قد امتلك هذا العشق لا يمكن ان حظوظ هذا العالم
الصالحة ان تصلفه وتفصله ولا تقدر ملماته المحزنة ان تذلله لكن حاله
يكون حال من هو مقيم فى السموات نفسها والآن قد تخلص من تعهد هذين
الصنفين جميعا ثم قال لتكن مشيئتك فى الارض على نحو ما فى السموات
ارأيت هذا النظام العظيم لانه أمرنا ان نشتهى نعمته المأمولة وان نسرع الى
ذلك السفر فما دمنا مقيمين فى هذه الدنيا لا يحصل لنا ذلك ما دمنا ههنا يجب
علينا ان نظهر السيرة التى للذين فى العلو بعينها لانه قال يجب ان تشتهوا السموات
والنعم التى فى السموات ومع ذلك فقد أمرنا ان نجعل الارض مثل السماء سماء
وان يكون مقامنا فيها مقام المتصرفين فى السماء وان نعمل على هذا النحو
كلما نعمله ونتكلم كلما نتكلمه على نحو ما نتوسل فيه الى سيدنا لان لا يوجد

مانع يمنعنا عن الوصول الى استقصا مذهب القوات العلوية لاجل سكنانا فى الارض لكن قد يمكن المقيم ههنا ان يعمل كلما يعمله عمل من قد حصل فوق فى العلو والذى نقوله فهذا معناه مثلما الافعال كلها تكون فى السموات خلوا من مانع والملائكة فما يطيعون بعضهم لكنهم يطيعون أوامر الخالق كلها ويخضعون لها لانه قال أنهم مقتدرون ان يعملوا أوامره بقوتهم فكذلك أهلنا نحن البشر ان نعمل مشيته ليس نصفها لكن أهلنا ان نتممها كلها على حسب ما نشاء أرأيت كيف علمنا ان نتواضع اذا وضح لنا ان الفضيلة ليست بحرصنا فقط لكنها مع ذلك للنعمة التى من العلو وأوعز الى كل واحد منا المصلين ان يتقلد أيضا العناية بالعالم الذى نهواه لانه ما قال فلتكن مشيتك فى أوفينا لكن تشتمل على كل موضع من الارض حتى تحل الضلالة منها ويغرس الحق فيها وتخرج الرذيلة كلها وتعود الفضيلة اليها ولا تتميز فيما بعد السماء عن الارض بفصل يفصلها منها لانه قال ان صار هذا المذهب فلا ينفصل ما أسفل عما فوق شيأ وان كان قد انفصل فى طبيعته اذا أظهرت لنا الارض ملائكة اخرين خبزنا الملائم جوهرنا وان سألت وما هو خبزنا الملائم جوهرنا قلت لك هو خبز يومنا لانه اذ قال فلتكن مشيتك فى الارض على نحو ما فى السماء خاطبنا أناسا موضوعين فى جسمهم وتحت ضرورة طبيعتهم وليسوا مقتدرين ان يمتلكوا أزالة أمراض هواهم بعينه الراتب فى الملائكة يأمرنا ان نتمم نحن أوامره على حذو ما يتممها أولائك الملائكة بالسواء وينحط مع ضعف طبيعتنا بعد ذلك يطالبنا باستقصاء تهذب السيرة الذى هذا مبلغه وليس يطالبنا بزوال أمراض العزم الذى يناسب الملائكة لانه ليس يحل اغتصاب طبيعتنا لانها تحتاج طعامها الضرورى الذى لابد منه وتأمل أيضا كيف العزم الروحى فى المطالب الجدية لانه ما أمرنا ان نعمل صلاتنا من أجل أموال ولا لاجل طعام ولا بسبب جلالة ثياب ولا لاجل صنف آخر ولا واحد من هذه الاصناف

وامثالها

وأمثالها لكنه أمرنا ان نبتهل اليه لاجل الخبز فقط ومن أجل خبز يومنا الذى
معناه الخبز الكافى ليومنا ولم يكتف بهذه اللفظة لكنه أضاف اليها لفظة أخرى
بقوله أعطنا اليوم فيجب من ذلك الا نطمح بذواتنا الى ابعد من ذلك باهتمامنا
باليوم الثانى الذى ما عرفنا ان كان بحر مسافته ام لا فلا يلزم الاهتمام وهذا
الا يعازقد اوعزبه متقدما بقوله لاتهتموا للغد فلا يريد ان نكون متهورين
من سائر جهاتنا متطايرين خاضعين لطبيعتنا خضوعا يكون مقداره مقدار
ما تطلبه منا ضرورة الحاجة التى لا بد منها ثم اذ كان قد يعرض لنا بعد الجحيم
كوننا نخطى ارا ناههنا أيضا تعطفه علينا كثيرا وامرنا أن نقدم ابتهالنا
الى الهنا المتعطف من اجل الصفح عن خطايانا وان نقول هذا القول اصفح
لنا عن ذنوبنا على حذو ما قد صفحنا نحن لغرمائنا أعرفت فرط تعطفه
وجوده بعد الصفح عنا من شرور جزيل تقديرها واستئصالها وبعد
موهبته العظيمة المتعذر وصفها يوهلنا اذا اخطانا أيضا للعفو عنا والدليل على
ان هذه الصلاة تليق بالمؤمنين ان شرائع الكنيسة ومبدا الصلاة يعرفنا ذلك
لان الذى لم يعتمد لا يقدر ان يدعوا الله اباه فان كانت هذه الصلاة لائقة
بالمؤمنين وهم يبتهلون متضرعين أن يغفر لهم خطاياهم فواضح أن
ولا بعد جحوم المعمودية يبطل ربح التوبة لان لولا انه شاء ان يبين هذا المعنى
لما كان اشترع لنا أن نبتهل هذا الابتهال فالذى ذكرنا بخطايانا وأمرنا أن
أن نطلب منه أن يمنحنا صفحها وعلمنا كيف ننال غفرانها وجعل الطريق على
هذه الجهة سهلة فواضح انه قد عرف فأوضح ان بعد جحيم المعمودية أيضا
يوجد لنا وجه أن نطرح ما اجترمناه فاوردلنا شريعة التضرع هذه النافعة
فبذكرنا خطايانا ممكن عندنا ان نتواضع ونتذلل وبامره أن نصفح لغيرنا
ما اجترموه الينا خلصنا من الحقد كله وبوعده لنا أنه يغفر لنا بدلا من هذه
خطايانا يزيدنا أمالا صالحة ويعلمنا أن نتفلسف فى تعطف الهنا المجتز وصفه

الذى نحتاج أن نحفظه أكثر من كل شئ لانه فى كل صنف من الاصناف التى وصفها يذكر الفضيلة كاملة وبها قد اشتمل على حثنا الا نحقد لان تقديسنا اسمه هو استقصاء مذهب سيرة كاملة وكون مشيئته هو هو فى هذا المعنى بعينه أيضا واقتدارنا أن ندعو الله ابانا هو اظهار طريقة خالية من العيب وبالاجمال هذه الاوامر كلها تفيد انه يجب علينا أن نهمل الغيظ على الذين أذنبوا الينا الا انه مع ما قيل ما اكتفى بهذه الاوامر فقط لكنه وضع هذا الافتراض بمعنى خاص وبعد الصلاة لا يذكر ولا وصية واحدة أخرى غير هذه الوصية عند قوله على هذا النحو ان صفحتم للناس هفواتهم سيصفح لكم ابوكم السماوى فى هذه الجهة حصل الابتداء منا ونحن أرباب الحكم علينا ومالكوه حتى لا يتجه لواحد من الذين قد زال حسهم أن يشكوا اذا حوكم ولا بمقدار زهيد من الجور كبيرا كان أو صغيرا يجعلك أنت المجرم صاحب القضية و يقول لك على حذو ما قضيت انت على خصمك نظيره احكم انا عليك فان صفحت عن مواخيك فى العبودية تنال منى منة الصفح بعينها على ان هذه المسامحة ليست عديلة لتلك لانك أنت لاحتياجك الى الصفح عنك تصفح لغريمك والله يصفح للشحالة كونه غير محتاج اليك وانت تصفح لاخيك فى العبودية والله يصفح لك عبده وأنت مطالب بشرور كثيرة والله عز وجل مجرد عن الخطأ الا انه مع ذلك يوضح على هذه الجهة تعطفه وجوده لانه قادر ان يصفح لك عن جرائمك كلها بدون هذا الصفح لكنه يريد أن يحسن اليك فى هذه الجهة واهبا لك من سائر الجهات اسبابا كثيرة للرفق والتعطف منتزعا منك خلقك المتنمر الذى فيك مخمدا غضبك لاصقا اياك من كافة الجهات بعضوك لانه لا يتجه لك ان تقول ان قريبك اصدر اليك على جهة الظلم مكروها لان على هذا المثال توجد الخطايا وهذا الفعل ليس هو على جهة العدل خطية لكنك أنت

تتقدم فتستمد صفح الذنوب مختلفة اصنافها وجرائم اعظم منها كثيرا وقبل
هذا الصفح قد تمتعت بمواهب ليست صغارا اذ قد علمت ان تمتلك نفسا
انسانية وأدبت بكل رفق واستئناس ومع هذه الفوائد فقد ذخر لك هنالك
ثوابا عظيما وان لا تطالب بجواب عن جرائمك فلاى تعذيب نكون له
مستحقين اذ كنا قد تسلمنا السلطان ومع ذلك نرفض خلاصنا كيف نسأله ان
يقبل منا اعمالنا الاخرى ونحن ما نشاء ان نشفق على انفسنا في الفوائد التي
نحن اصحابها ولا ندخلنا التجارب لكن نجنا من الشرير فان لك الملك
والقدرة الى الدهور آمين في هذه الالفاظ يؤدب حقارتنا ويقبض
تمردنا اذ علمنا أن نستعفي من الجهادات لكن لا نظفر منها اذا حصلنا فيها
فاننا على هذا الحال يكون الظفر لنا أبهى حسنا وتحصل الهزيمة لابليس
المحتال وأكثر ضحكا عليه جدا فاذا جذبنا الى المحن فيجب علينا أن
نثبت باوفر تجلد واذ لم نستدع اليها فينبغي ان نهدى ونتوقع أوان الجهادات
حتى توضح صفة الصبر خالية من العجب والشرير في هذه الالفاظ يسمى به
ابليس المحتال مظهرا لنا أن نحاربه حربا خائبة من مهادنة تبطلها ويرينا أن
هذه ليست غريزية بالطبع وذلك أن خبثه غير متكون من هواجس من
طبيعته لكنه متكون من خواطر من اختياره ونيته فهو يدعى بهذا اللقب على
انه أعظم امعانا فيه لاجل تفاقم شره واذ نحن ما ظلمناه ظلما يحاربنا حربا قد
زالت المسالمة منه ولهذا الغرض ما قال نجنا من الاشرار لكنه قال نجنا من
الشرير يؤدبنا بذلك الا نكره البتة رفقائنا ولا نتهمهم في العوارض التي يحصل
لنا منهم فيها مكروه لكن ننقل عداوتنا منهم الى ذاك خصوصا لانه علة للشرور
كلها ويذكره عدونا جعلنا في جهاد وحسم كافة التواني عنا المتمكن فينا وجسرنا
أيضا وانهض بصائرنا يذكره الملك الذي قد رتبنا تحت طاعته وأرانا أنه أوفر
اقتدارا من الكل لانه قال لك الملك والقدرة فان كان الملك هو له فلا يجب أن

نخاف أحدا سواه لانه لا يوجد ولا واحد مخلوق معاندا له مستمدا اليه رئاسته
لانه اذ قال لك الملك فقد أرانا ذاك الذى يحار بنا بانه خاضع له أيضا وان كان
يظن أنه يعانده عند اطلاق الله ذلك الى الآن لان ذاك المحتال من عبيده
هو وان كان من عبيده المهانين المصادمين فلا يتجاسر أن يوضع اضراره ولا على
واحد من الذين يواخونه فى العبودية قبل أن يأخذ السلطان على ذلك
من العلو أولا ومعنى قولى على مواخيه فى العبودية اذ لم يجسر ولا على خنازير
بل صبر الى أن أمره هو وكذلك لم يتجاسر على رعايا أيوب الصديق ولا على
قطعان بقره الى أن أخذ السلطان والاقتدار عليهما من العلو فلو كنت اذا
مريضا كثيرا وضعيفا وكنت عدلا فسبيلك أن تثق اذ قد حويت التملك
الذى هذا الاقتدار اقتداره مقتدرا أن يصلح بك مطالبك كلها بأيسر مرام
والمجد الى الدهور آمين لانه ليس يخلصك من الشدائد الموجودة فقط لكنه
يقدر أن يجعلك مجيدا بهيا لانه بحسب ما أن قدرته كثيرة هكذا مجده يعجز
وصفه وهما يتجاوزان الاوصاف كلها وليست لهما غاية أعرفت كيف دهن
المجاهد من كافة جهاته وجعله ان يثق مطمئنا ثم اذ شاء ذلك على ما وصلت اليه
فى القول بريناأن نرتجع عن الحقد ونمقته أكثر من جميع الرذائل وان نقبل
الفضائل التى هى ضد الحقد أكثر من سائر الفضائل ثم ذكرنا بعد الصلاة أيضا
أحكام هذه الفضيلة واقتاد سامعه من الكرامة الموضوعة ومن التكرمة
المحدودة لها الى طاعة هذه الوصية لانه قال أن صفحتم عن الناس
يصفح عنكم أبوكم السماوى أيضا وان لم تقضوا لهم فلا يقضى لكم لهذا
السبب أيضا ذكر السموات وأباهم ليخجل سامعه بهذا الذكر أن جمع ليتمر
وهو ابن أب جزيل حمله ويكون قد دعى الى السماء و يمتلك ارادة أرضية
عالمية لاننا لا يجب أن نكون بنين له بالنعمة فقط لكن يجب علينا مع ذلك
أن نكون باعمالنا أولادا له أيضا وليس فعل يشبهنا بالله تشبها بليغا مثل أن

نكون مسامحين للاشرار والذين يظلموننا ونعفى عنهم على نحو ما تقدم فعلمنا حين
قال فانه يشرق شمسه على الخبثاء والصالحين ولهذا الغرض يأمرنا بكل لفظة من
ألفاظه أن نعمل صلواتنا مشتركة مشاعة عند قوله يا أبانا ولتكن مشيئتك فى
الارض على حذو كونها فى السماء واعطنا خبزنا واصفح لنا عن ذنوبنا ولا
تدخلنا الى التجارب وانقذنا من الشرير مبينا أن نستعمل فى كل مكان
هذا اللفظ المشترك حتى لا نمتلك ولا أثر غيظ على رفقائنا

العظـــــــــــــــة

فلكم عقوبة نكون موهلين نحن الذين بعد هذه الوصايا كلها لا نصفح عن من يسئ
الينا فقط لكننا نتضرع الى الله فى الانتقام من أعدائنا ونتجاوز هذه الشريعة
كمن يتجاوز قطر شئ الى طرفه وذلك بعد أن عمل هو كافة الاعمال الصالحة وحيل
بها حتى لا ينافر أحدنا الآخر ولا يشمئز منه وبما ان الحب هو قرمة الاعمال
الصالحة كلها قطع كل ما يفسده وجمعنا من سائر الجهات والصق أحدنا
بصاحبه لان لا يوجد احد ولو كان أبا أو أما او صديقا من
الناس أحبنا هذا الحب الخالص مثلما أحبنا الهنا الذى خلقنا وهذا القول
يبان أكثر و يظهر واضحا من احساناته التى يحسن بها علينا كل يوم ومن
أوامره التى يأمرنا بها وان كنت تذكر لى الغموم والاوجاع ومكاره عيشتنا
فتفطن تصادمه به كل يوم وما تستعجب ذلك ولو اخترعت شرورا أعظم من هذه
لكنك متى تنعت بشئ صالح حينئذ تتعجب من ذلك وتدهش فنحن الآن نبصر
المصائب التى توافينا وما نتفطن فى قوارع جهلنا التى نصادمه كل يوم بها
فلهذا السبب نغتم لاننا لو حسبنا ذنوبنا وخطايانا يوما واحدا فقط من أيامنا
باستقصاء بليغ لكنا نعرف حينئذ معرفة صائبة بكم أعمال شريرة نحن
مطالبين وحتى أهمل الهفوات الاخرى التى يجترمها كل واحد منا على انفراده

واصف الهفوات الكائنة اليوم على انني ماقد عرفت ما اجترمه واحد فواحد منكم لكن مع هذا الحال أن كثرة جرائمنا ينتهي تقديرها الى أنها ماتعرف كلها على جهة الاستقصاء في تحصيلها ولايمكن أن يحصل منها أغمضها من منا ماتوانى فى صلاته من منا ماتجبر من منا ماتشرف باطلا من فينا ماقال لاخيه قولا مكروها ولاقبل شهرة نجسة ولا أبصر بعينين فاسقتين ولم يتذكر عدوه بانسقام عزمه وجعل قلبه وارما فان كانحن فى الكنيسة وفى وقت قصير قد صرنا مطالبين بافعال شريرة جزيل تقديرها فمن نكون اذا خرجنا من ههنا فان كانحن فى المينا غارقين فى أمواج هذا الشر الجزيل مبلغه فاذا خرجنا الى لجة الشرور أعنى الى السوق والى أشغال المدن والهموم التى فى منزلنا هل نستطيع أن نعرف أنفسنا الا انه مع هذا الحال قد أعطانا طريقا سهلة وجيزة مخلصة من كل تعب للتخلص من خطايا جزيل مبلغها عظيم تقديرها لان أى ضرر يصيبنا فى أن نصفح عمن غمنا وانما يحصل لنا الوجع اذا لم نصفح عنه ونغبط العداوة له على ان هذا الصفح يخلصنا من الغضب ويخالف اذا راحة كثيرة وهو عند من يريده سهل جدا لانه لايحتاج أن يعبر لجة ولا يسافر طريقا طويلة ولا يصعد الى قمم الجبال ولايحتاج الى ان ينفع أمواله ولا ان ينظف جسمه لكنه يجزيه ان يشاء ذلك فقط وتحل له خطاياه فاذا كنت لاتصفح عمن غمك لكنك تتضرع الى الله داعيا عليه فاى رجاء خلاص يحصل لك اذا كنت حين يجب عليك أن تستغفر الله له حينئذ تغيظه عليك باشتمالك شكل متوسل وأنت تبدى أصوات وحش باعثا على ذاتك نبال الخبيث تلك الردية ولهذا السبب لما ذكر بولس الرسول الصلاة ما التمس على هذا النحو مطلوبا مثل حفظ هذه الوصية لانه قال اذ يرفعون فى صلواتهم أيديهم بارة خالية من الغيظ والافتكار لان ان كنت حين يحتاج الى الرحمة لاتهمل حينئذ

غيظك

غيظك لكنك تذكره كثيرا وقد عرفت انك على هذه الجهة انما تدفع السيف على ذاتك حتى يمكنك أن تصير متعطفا وأنت تبلع السم الخبيث من هذا الشر يرفان كنت ما قد عرفت بعد جسامة هذه الشناعة فقايس من الناس ما تفعله فتبصر حينئذ تفاقم السب الكائن منك مثلا اذا قصدك انسان وتوسل اليك أن ترحمه ثم أبصر في الوسط عدوه طريحا على الارض فاهمل توسلك وضرب ذاك الطريح أما كنت اذا تجعل اغتياضك عليه أعظم توقدا فافتكر أن هذا العارض يعرض بحضرة الهنا الاذ أنت اذا توسلت الى الله وتبتهل في اثناء تضرعك اليه وتضرب عدوك وتشتم شرائع الهك وتترك المشترع لك ان تترك كل غيظ وتتعدي على الذين غموك وتساله أن يعمل فيهم اضداد أوامره وما يكفيك لسبب تعذيبك انك تخالف أنت شريعة الله فقط لكنك مع ذلك تتوسل اليه أن يعمل هذا العمل مطلوبك ويخالفها أي يخالف شرائعه العله قد نسي الاوامر التي أمر بها أعني قائل هذه الفرائض انسان هو لا اله هو عارف الخفايا كلها ومريد ان يحفظ شرائعه بكافة الاستقصاء في حفظها يتبعد بعيدا من افتعاله ما تسأله ويرجع عنك عند تكلمك بهذه الاقوال ويمقتك ويطالبك بمقابلة عدله للغاية كيف تسأله ان تنال منه ما أمرك هو بالابتعاد عنه بكافة اجتهادك الان اناسا يوجدون قد بلغوا الى ابعد غاية من زوال قياسهم حتى انهم لا يدعون على اعدائهم فقط لكنهم مع ذلك يلعنون اولاد معاديهم ويؤثرون لو امكنهم ان ياكلوا لحومهم والبق ما يقال انهم قد اكلوا لحومهم ولا تقل هذا القول انك ما قد انشبت اسنانك في جسم حازنك لانك قد عملت ما امكنك ان تعمله اصعب من ذلك كثيرا اذا توسلت الى الله ان ينزل عليه من العلو سخطا وان يدفعه الى عذابات بدون رحمة وان ينقلب مع منزلة كافة بلايا ليست هذه النوائب اصعب منها وأية سهام ليست هذه القوادح اضر منها امرا سامادينك

المسيح بهذه الاداب ما امرك ان تدمى فك على هذا المثال وذلك ان الالسن التى هذه الاقوال اقوالها اصعب دنسا من الافواه المتخضبة بالدماء من اكل لحوم الناس كيف تقتل اخاك كيف تمس الضحية الجليلة كيف تذوق دم سيدك وقد خزنت فى قريحتك سما جزيلا تقديره لانك اذا اقلت هشمه مزقه واقلب بدنه واهلك كلما قتلك ودعيت عليه بابادات كثيرة فلست تنفصل عن قاتل الناس بدرجة دونه والبق ما يقال انك تزيد على كل وحش اكل لحوم الناس شيأ فينبغى ان نكف عن هذا السقم والجنون ونوضح للذين قد غمونا الحب الذى امرنا به سيدنا حتى نصير مشابهين أبانا الذى فى السموات وسنكف عن ذلك اذا تذكرنا خطايانا اذا فحصنا بابلغ الفحص هفواتنا كلها التى فى باطننا التى فى خارجنا الكائنة فى السوق الحادثة فى الكنيسة لاننا ان كنا لا نطالب ولا بهفوة واحدة أخرى فنحن مؤهلون لمقابلة عدلة فى غايتها على تضجرنا ههنا وتهاوننا لان الرسل يترغون ههنا والانبياء يسبحون والهنا يخاطبنا ونحن تايهون خارجا ولا نورد ههنا ارتجاف أشغال عالمية ومانقتبل شرائع الهنا بهدو وسكون يكون تقديره كتقدير الهدو الذى نوزعه لكتب الملك ولا الصمت الذى نورده فى الملاعب عند قراتها لان هنالك اذا قرأت كتب الملك الارضى نخلفاء الملك ووزراؤه والشعب كله يقفون كلهم قياما بهدو ويسمعون ما يقال فيها وان وثب واثب فى اثناء ذلك الهدو وصاح على غفلة يقابل مقابلة من قد أورد المسبة الى الملك واذا قرأت ههنا الكتب المنزلة من السماء يكون صياحكم من سائر الجهات عظيما على ان الذى أرسل الكتب هو أعظم من هذا الملك كثيرا ومشهده أشرف من تلك الملاعب جدا لان ليس هو ملك الناس وحدهم لكنه ملك الملائكة معهم والدنيا بأسرها وكتبه هذه تبشرنا بصنوف ظفره التى هى أشد هيبة من الظفرات التى فى الارض ولهذا السبب لم نؤمر نحن

الناس وحدنا بمديحه وتسبحته بل الملائكة معنا ورؤساء الملائكة
ومحافل السموات والجموع التي في الارض كلها قد أمروا أن يحدحوه
ويمجدوه لان داود المرنم قال قدموا التبريك للرب يا كافة أعماله
لان البدائع التي أحكمها ليست صغارا لكنها تفوق على كل نطق وعقل
وفكر انساني وهذه البدائع ينادي بها الانبياء كل يوم وكل واحد منهم
يذيع ظفره هذا البهي بمعنى مختلف لان أحدهم يقول صعدت الى العلو
وسبيت سبيا وأخذت للناس عطايا وربنا عزيز في الحرب قدير وآخر يقول
هو يوزع غنائم الاقوياء لانه لهذا السبب جاء حتى ينادى للأسورين
بالاطلاق وللعميان باعادة أبصارهم واذا ظهر غلبته على الموت رفع صوته
وقال ياموت أين ظفرك وياجحيم أين شوكتك واذ بشرنا آخر أيضا بالسلامة
الممكين رسوخها قال ستنكسر سيوفهم ويجعلونها للحرث سككا
ويعملون حرابهم مناجل واحدهم يدعوا اورشليم قائلا افرحي كثيرا يابنت
صهيون فها ملكك يأتيك وديعا راكبا على حمار وجحش شاب وآخر
منهم يذيع مجيئه الثاني على هذا المعنى قائلا سيجي ربنا الذي ابتغيتموه
أنتم ومن يصبر على يوم دخوله فارتكضوا ارتكاض عجول مطلقة من رباطاتها
ولما دهش آخر من أفعاله الجسمية قال هذا الهنا فليس يحسب معه اله غيره
الا اننا مع ذلك اذا قيلت لنا هذه الاقوال وغيرها أكثر منها يجب
علينا أن نرتاع ولا نتوهم اننا في الارض ولا نصيح كاننا في وسط السوق
مرتجفين ونتناظر في كلما لم يفرض الينا ونصرف في ذلك مدة صلاتنا
الجمهورية واذ كنا متوانين بهذه الصورة في أحوالنا الصغار وحظوظنا
الكبار وفي استماعنا وفي عملنا وخارج الكنيسة وباطنها وكنا مع نقائصنا
هذه كلها ندعو على أعدائنا فكيف نرجو الخلاص اذا زدنا في خطايانا
الجزيل تقديرها زيادة خبيثة غيرها واضفنا اليها هذه الصلاة المنحرفة عن

الشريعة معادلة لخطايانا كلها فان كان يجب أن نتعجب اذا عرض لنا عارض من العوارض المحزنة الغير منتظرة فواجب علينا ان نتعجب اذ لم يعرض لنا مثل ذلك لان ذلك العارض يعرض فى سياق الحوادث وهذا اليسير من العوارض هو فائق على كل قياس لاننا أعداء لالهنا وقد اغظناه مع كوننا نتمتع بشمسه وبامطاره وبغير ذلك من نعمه ونصير اناسا غالبين جفاوة السباع بازيادنا عليهم فيها وبانتصاب أحدنا على الاخر ومعاداته وندمى اسناننا بعضنا رفقائنا بعد المائدة الرحيمة بعد الاحسانات الجزيل مبلغها والوصايا الكثير عددها فاذا تفطنا فى جرائمنا هذه فيجب علينا أن نترك نقايصنا وننقض عداوتنا ونعمل الصلوات اللائقة ونتخذ استئناس الملائكة بدلا من توحش الشياطين وبمقدار ما نكون مظلومين ينبغى أن نتأمل رفقهم واستئناسهم والجزاء المذخر لنا لاجل هذه الوصية فلا ين غيظنا لقبض أمراجه ونقمعها حتى نمضى عمرنا الحاضر ناجين من ارتجافه واذا ذهبنا الى هنالك نجد سيدنا حالته الحالة التى كانت حالنا مواخينا فى العبودية وان كان ذلك ثقيلا صعبا فينبغى أن نجعله خفيفا سهلا ونفتح أبواب الدالة لدى سيدنا البهية وما لم يمكنا أن نتممه بالابتعاد من خطايانا نستكمله بأن نكون مترفقين بالذين اخطأوا الينا مسامحين لهم فان هذا الفعل ليس ثقيلا ولا متعبا ان نحسن الى أعدائنا فنذخر لانفسنا رحمة عظيمة لاننا اذا سلكنا هذا المسلك أحبنا فى حياتنا هذه كل الناس وقبل الناس الاخرين كلهم يحبنا الهنا ويكللنا ويؤهلنا النعمة المأمولة الصالحة كلها التى ستكون لنا أو نحظى بها بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى له المجد مع أبيه الصالح والروح القدس المحيي الى الابد آمين

المقالة

المقـــــالة العشرون

واذا صمتم فلا تـــكونوا كالمرائين مغيضين لانهم يغيبون نضارة وجوههم ليظهروا للناس صائمـــين

فعل نافع أن نتحسر ههنا تحسرا عظيما ونكتئب اكتئابا مرا لاننا لسنا نشابه المرائين فقط لكننا قد زدنا عنهم وذلك انني أعرف بالاختبار أناسا كثيرين ليس صومهم رياء ليتظاهروا بالصوم فقط لكنهم لا يصومون و يتظاهرون بالصيام ويحتجون باحتجاج أشر من خطيئتهم فيقول الواحد منهم انما أعمل هذا العمل حتى لا أشكك الناس الكثيرين وأفتنهم فاجيبه ماذا تقول يا هذا الشريعة الالهية الآمرة بهذه الوصايا وأنت تذكر تشكيكا وفتنا وتتوهم أنك تشكك الناس اذا حفظتها فتظن أنك تتخلص من التشكيك اذا خالفتها وما الذى يكون أشر من هذا الاحتجاج أما تكف عن كونك أشر من المرائين واختراعك الرياء مضاعفا اذا تفطنت فى مقدار تفاقم هذه الرذيلة أما تخزى من شهرة هذه اللفظة لانه ما قال انهم مراؤون مجرد رياء بل لكى يلذعهم أعظم لذع قال فانهم يغيبون نضارة وجوههم ومعنى ذلك انهم يفسدونها او يهلكونها فان كان هذا الفعل تغييبا لنضارة الوجه وهو اظهاره أصفر جنوحا الى العجب فما الذى نقول فى وصف نساء يفسدن وجوههن بغسلهن ودلكهن وتخطيط حواجبهن لافساد الاحداث الفاسقين لان أولئك المتظاهرين بالصوم انما يضرون ذواتهم فقط وهؤلاء النساء يضررن أنفسهن ومن يبصرهن

فلهذا السبب نحتاج أن نهرب من هذا الفساد الموجود فينا كثيرا لان ربنا ما أمر أن لا نظهر صومنا فقط لكنه أمرنا مع ذلك أن نجتهد فى اخفائه وهذا العمل قد عمله فيما سلف لانه اذ تكلم فى الصدقة ما وضع كلامه على بسيط ذاته لكنه لما قال تاملوا صدقتكم الا تعملوها قدام الناس أضاف الى ذلك لتتظاهروا لهم بها واذ تكلم فى الصوم والصلاة ما حدد احدا هذا معناه فان سألت وما هو الذى أراده فى ذلك أجبتك ان الصدقة أخفاها من سائر الجهات ممتنع والصلاة والصوم قد يمكن اخفاؤهما وكتمانهما فعلى نحو ما قال هنالك لا تعرف يسارك بما تعمله يمينك فما قال هذا القول من أجل أيدينا لكنه قاله لانه يجب ان نكتم صدقتنا عن كل الناس بابلغ الاستقصاء واذا امرنا بالدخول الى خزانتنا فى الصلاة ما أمرنا أمرا متقدما تقضيه أن نصلى هنالك فقط على سائر الحالات لكنه أومى الى ذلك المعنى نفسه فكذلك قال ههنا وأما أنت اذا صمت فادهن رأسك واغسل وجهك اذ أمرنا أن ندهن رأسنا ما أوعز بذلك على سائر الحالات ان ندهن رأسنا والا فسنوجد كلنا مخالفين شريعته هذه وقبل جماعتنا تخالفها جميع الرهبان الحريصين أن يحفظوها أكثر حفظا الذين قد توجهوا الى الجبال فما أوعز ربنا بهذا الايعاز لكن اذا كانت للقدماء عادة أن يدهنوا فى حال سرورهم وفرحهم دهانا متصلا وهذا يعلمه أحدنا علما واضحا من خبر داود ودانيال النبيين قال ان تدهن ليس حتى اننا نعمل هذا العمل بامر لازم لكنه قال ذلك حتى نجتهد أن نخفى هذا العمل أى ملكة الصوم بكل ما يمكنا بكافة الاستقصاء فى سترة ولكى تعلم ان هذا هو غرضه قال لئلا تظهر للناس صائما لكن لابيك الذى يرى فى السر وأبيك الذى يرى فى السر يجازيك علانية هذا الافتراض الذى أمر به باقواله وأظهره باعماله وصام أربعين يوما ومع اخفائه انه صام ما تدهن ولا اغتسل ولكن مع انه لم يعمل هذا استكمل كلما توخاه أكثر من كل الناس بدون عجب وهذا

العمل

العمل يأمرنا به اذا أورد المرائين الى وسط كلامه ونهى السامعين عنه بتوصية مضاعفة وقد أشار الى معنى آخر بلقب المرائين لانه ما جزم هذه الشهرة الخبيثة بان فعلها يوجب الضحك عليه فقط ولا بانه يخسر غاية الخسارة لكنه جزمها مع ذلك باظهاره خدعتها وقتية وبيان ذلك أن المرائي يستبين الى هذا الحين بهيا الى أن يكون المشهد منتظما وأوكد ما يقال انه ولا الى هذا الحين يظهر عند جميع الحاضرين لان أكثر الناظرين اليه يعرفون من هو ولمن يرائي ولكنه اذا تفرق المشهد ينكشف حاله عند جميع الحاضرين انكشافا بينا وهذا المصاب بكافة الضرورة يثبت المعجبين لانهم يظهرون ههنا عند أكثر الناس ان حالتهم ليست الحالة التى يظهرون بها لكنهم يوضعون حجابا فقط ويقبض عليهم بعد افعالهم هذه أكثر من اشتهارهم ههنا كثيرا حين تستبين أفعالنا كلها عارية مكشوفة أعناقها وينهاهم أيضا عن المرائين من جهة أخرى بايضاحه أن ايعازه خفيفا لانه ما يريد صومهم ولا يأمرهم أن يظهروه أعظم تقديرا لكنه يأمرهم الا يضيعوا لاجل الرياء اكليلهم فمن هذه الجهة حصل ما يظن انه ثقيل مشاع بيننا وبين المرائين لان أولئك المرائين يصومون وما هو أخف الافعال ولا نضيع أتعابنا وثوابنا هو زعم هذا الايعاز الذى أوعزبه لانه لا يزيد اتعابك ثقلا ويجمع لكم فوائد ثوابكم بكافة الاشتياق جدا وما يهملكم أن تمضوا مثل أولئك المرائين خائبين من أن تكونوا مكللين أولئك الذين لا يريدون أن يماثلوا الذين يضارعون فى جهادات ملعب هو ليمبيا الذين عند جلوس الجمع الجزيل تقديره فيه والرؤساء الكثير عددهم يعتمدون أن يرضوا واحدا هو الذى يحقق لهم جائزة ظفرهم على أنه أدنى الرؤساء كثيرا فأنت تمتلك حجة اظهار الظفر لذلك مضاعفة بوجودك من يحقق لك الظفر بعينه وبانه أعظم محلا وسموا يزيد على القياس عن جميع الجالسين فى ذلك الملعب فتؤثر أن ترى افعالك لاناس آخرين ليس

انهم لا ينفعونك فقط لكنهم مع ذلك يضرونك أعظم الضرر وأشده فهو
يقول لك لست أمنعك من هذا الرأى أن كنت تشاء أن ترى اعمالك للناس
فتصير وانا أحولك مرادك هذا بزيادة كثيرة وبفائدة جزيلة لان ارادتك
هذه الآن تفصلك من الشرف عندى على حذو ما الصقك بى اعراضك عن
افعال الرياء هذه المهلكة وحينئذ تتمتع باماتتك كلها بكافة الاباحة وقبل
تلك النعم المأمولة تقتطف ههنا فائدة ليست صغيرة اذا وطأت التشريف
الانسانى كله وانعتقت من عبودية الناس الخبيثة وصرت فاعلا للفضيلة خالصا
فاذا كان حالك الآن هذا الحال ولو حصلت فى هدو يسير ستكون سا كنا
لا يحضر عندك الذين يبصرون فضيلتك كلها وهذا السبب لعمرى هو
الذى يعيب الفضيلة بعينها اذا كنت تشرع فيها ليس لاجلها بعينها لكن
من أجل الذين يفتلون الحبال والذين يعملون النحاس وبسبب محفل
السوقيين الجزيل عددهم حتى تتجنب منك الاشرار البعيدون منها
وتستدعى أعداءها الى النظر اليك ويكون حالك حال من يختار التعفف ليس
لاجل غريزة العفة النافعة لكنه يختار ذلك ليظهر عفيفا عند من كان ناقدا
للترتيب وانت اذا لم تختار الفضيلة الا من أجل أعداء الفضيلة وقد كان
واجبا عليك ان تستعجبها من هذه الجهة من انها تجعل أعداءها مادحين لها
وينبغى لك أن تستعجبها على ما ينبغى لها ليس لاجل اناس آخرين لكن لاجلها
اذ فى طباعنا نحن متى ما احببنا محب ليس لاجل ذواتنا لكن من أجل غيرنا
أليس نعد حبه ذلك مسبة لنا فافتكر فى الفضيلة هذا الافتكار ولا تبادر اليها
لاجل اناس آخرين ولا تطيعن الله من أجل الناس لكن طع الله لاجل ذاته
كما انك اذا عملت ضد ذلك وان ظننت انك تمارس الفضيلة فقد أغظتها
نظير ما يغيظها من لا يمارسها لان كما خالفها ذاك بعدم اتمامه لها كذلك
خالفتها أنت بافتعالك اياها افتعالا زائغا عن الشريعة لا تذخروا لكم ذخائر

فى الارض لعمرى انه اذا قتلع سقم العجب أورد فيما بعد الكلام فى الزهد فى القنية بأحسن موافقة للمعنى لانه ليس عارض يجعلنا أن نعشق الاموال عشقا بالغا مثل عشقنا التشريف ولاجل هذا العارض يخترع الناس طوائف عبيدهم وجموع الخدام لهم وخيلهم المسربلة ذهبا وموائدهم من الفضة ومجاذبتهم الاخرى التى توجب الضحك عليهم أكثر من غيرها ليس حتى تتم حاجتهم ولا حتى يتمتعوا منها بالذتهم لكن حتى يروا الناس الكثيرين قنياتهم ولعمرى انه قد قال قبل هذا القول انه ينبغى لنا أن نرحم فقط واذ أرانا ههنا كم نحتاج أن نرحم بقوله لاتذخروا لانه اذا لم يكن ممكنا أن يورد منذ ابتدى تعليمه بغتة كلاما فى الاعراض عن القنيات بسبب غضب الانقسام بذلك قطع هذا الداء قليلا قليلا وأعتقنا منه وحصل فى سريرة سامعيه كلامه فيه حتى يسرعوا الى قبوله ولهذا السبب قال مغبوطون الراحمون وقال بعد ذلك كن سريع التودد الى خصمك وقال أيضا ان أراد مريد ان يحاكمك ويأخذ بلسانك فأعطه ثوبك أيضا وقال ههنا ماهو أعظم من تلك الاقوال كثيرا لانه قال هنالك أعمل هذا العمل اذا رأيت قضية مرجبة لان الافضل من امتلا كنا شيأ تخاصم الناس بسببه الاغتلاك شيئا وتخلص من الخصومة لاجله ولا يضع ههنا لاخصما ولا محاكما ولا ذكر غيرهذين ولا واحدا هذا حاله بل علمنا الاعراض عن الاموال بعينها على انفرادها مرينا انه لم يشرع هذه الفرائض لاجل الرحومين اشتراعا يبلغ مقداره الى اشتراعه اياها من أجل الذين يعطون الصدقة حتى وان لم يوجد واحد من الناس ظالما يسحبنا الى مجالس القضاء يحتقر على هذه الجهة الموجودات لنا يبذلها للمحتاجين ومارضع ههنا اشتراعه كله لكنه ذكر افتراضه ههنا سيكون على انه قد ظهر فى البرية اجتهادات فى هذه الفرائض بزيادة كثيرة لكنه مع ذلك مارضع هذا الافتراض ولا أورده الى وسط كلامه

لان الوقت ما كان وقت اعلان ذلك لكنه يفحص الان افكارنا حافظا فى أقواله فى هذه الفرائض رتبة مشير أبين من حفظه رتبة مشترع لانه اذ قال لاتذخروا لكم ذخائر فى الارض اتبع ذلك حيث السوس والعث يفسدها وحيث سراق ينقبون ويسرقونها لكن أكنزوا كنوزكم فى السماء حيث لا أكلة ولا سوس يفسد وحيث لا ينقب السارقون ويسرقون فقد أرانا الان مضرة الذخائر ههنا ومنفعة الذخائر هنالك من المكان ومن الاشياء المنفسدة ولم يقف قوله الى هذا الحد لكنه أورد فكرا آخر فأولا حذرهم من العوارض التى يتقونها أكثر ويوشك أن يقول هل تخشى ان تفنى أموالك اذا أعطيت صدقة أعط اذا صدقة وحينئذ ما تفنى أموالك وماهو أعظم من هذا انها لا تفنى فقط لكن الاعظم من ذلك انها تستمد زيادة أكثر تقديرا لانها ينضاف اليها النعم التى فى السموات الا انه الان ليس يقول هذا القول لكنه سيقوله فيما بعد أخيرا لكنه يورد الان الى وسط كلامه ما يقتدر أكثر من كل شئ أن يعطفهم وهو أن يبقى الذخيرة عندهم بدون فناء ويجتذبهم من هاتين الجهتين كلتيهما لانه ما قال اذا اعطيت صدقة تحفظ أموالك فقط لكنه توعده بضد ذلك بانك ان لم تعط صدقة ستهلك وأبصر فهمه المتعذر وصفه لانه ما قال انك ستخلفها الاناس آخرين اذ كان هذا التوريث لذيذا عند الناس لكنه أراعهم مع ذلك من جهة أخرى يريهم انهم ما يصادفون هذا العارض لانهم ان كان لا يظلمهم اناس فالذين يظلمونهم كلهم موجودون وهم السوس والعث لانه ان كان يظن ان هذا الفساد سريع الانصياد جدا لكنه مع ذلك قد عدم أن يحارب أو يغبط ولوانك احتلت باية حيلة كانت لا تستطع أن تغبط هذا الضرر فان قلت فما قولك أفالذهب يفنيه السوس فاقول لك وان لم يفنيه السوس لكن السراق يسرقونه ولعلك تقول أفالناس كلهم قد سلبوا ذهبهم فأجيبك وان لم يسلبوا كلهم ذهبهم لكن أكثرهم قد

سلبوه

سلبوه ولهذا المعنى على ماسبقت فقات أوردلهم فكرا انحو بقوله حيث
تكون ذخيرة الانسان فهنالك يكون قلبه لانه قال ولولم يحدث حادث من
الحوادث فسيقاسي الملتجى الى الاملاك التى اسفل ضررا بليغا فانه يصير
عوضا من حرعبدا ويخيب من المموات ومايمكنه أن يفهم صنفا من الاصناف
العالية لكنه يتأمل الاشياء كلها املا كا وأموالا وأرباح الربا وفروضا
ومكاسب وتجارات قدزالت الحرية منها فما الذى يكون من الاشياء أشق
منه وذلك ان من كان هذا الحال حاله هو أشر من كل عبد اذ يسحبه اغتصاب
أصعب من عصب وماهو أشد خطرا من جميع الاخطار انه يضيع حسب
الانسان وحريته لان مهما خاطبك به مخاطب مادام تمييزك منجبها فى الاموال
فلا تسمع منه قولا من الاقوال التى توافقك لكنك تكون ككلب مربوط
فى خندق مشدود بغصب الاموال أصعب من كل سلسلة نابحا على جميع
الذين يقتربون اليك مالكا هذه الخاصة فعلا واحدا دائما أن تحفظ
ماهو مخزون عندك وتصونه لاخرين غيرك وهذا فما الذى يكون أشق منه
ولكن هذا الافتراض اذا كان أعلى من فهم سامعيه وليست مضرته واضحة
عند أكثر الناس ولا فائدته ظاهرة لكنه محتاج الى عزم أوفر فلسفة من
غيره حتى يعرف كل من هذين الصنفين رسمه بعد تلك الاوامر الواضحة عند
قوله أينما تكون ذخيرة الانسان فهنالك قلبه ويجعل أيضا هذا أبين وضوحا
اذا خرج كلامه من الامثلة المعقولة الى الامثلة المحسوسة عند قوله سراج
جسمك هو عينك فالذى يقوله هذا معناه لا تدفن فى الارض ذهبا
ولا صنفا غيره من الاصناف التى هذا حالها فانما تجمعها السوس والعث
والسارقين وان هربت من هذه المضرات ستنفلت مما يستعبد قلبك وتحنه فى
جميع الاملاك التى أسفل لان أينما تكون ذخيرتك فهنالك يكون قلبك
كما انك اذا خزنتها فى السماء ما تستثمر هذا الربح وحده وهو أن تحظى بالجوائز

التى فيها لكنك تسعد اجزاءه هنا أيضا فيكون عقلك منتقلا الى هنالك تائقا الى النعم التى هنالك مهتما بالفوائد التى هنالك لان أينما خزنت ذخيرتك فمن البين انك قد نقلت تمييز فهمك الى ذلك الموضع وكذلك اذا خزنت ذخيرتك فى الارض فتقاسى اضداد ما وصفناه وبصيتك فان كان ما قد قيل يتعذر وضوحه عليك وهو سراج جسمك هو عينك فاسمع ما يتلوه فاذا كانت عينك بسيطه سيكون جسمك كله منيرا واذا كانت عينك خبيثة سيكون جسمك كله مظلما فان كان الضوء الذى فيك يوجد ظلاما فالظلام كم يكون ظلاما هاهو يخرج كلامه الى الامثلة التى هى اكثف المعانى المحسوسة لانه لما ذكر عقلنا وحاله حال مستعبد مستأسر ولم يكن هذا المعنى معروفا عنه عند أكثر الناس نقل تعليمه الى ما هو خارج عنا الذى ألحاظنا موضوعا ليفهموا من هذه الاقوال غرضه فى تلك الاوامر لانه قال ان قلت ما قد عرفت ما هى مضرة عقلك فتأمل معنى ذلك من الاشياء الجسمانية لان كما هى عينك لجسمك كذلك عقلك لنفسك كما انك تختار أن تلبس ذهبا وتتوشح بثياب قز وان تعمى عيناك لكنك تحتسب عافية عينيك أحق من كل نعمة جسمية بالشرف اليها لانك اذا أضعت عافيتهما وأفسدتهما فليس لك من باقى حياتك صنف من منفعة وكما ان عينيك اذا عميتا تهلك من باقى أعضائك كثير من فعلها عند انطفاء ضوء البصر لها فكذلك اذا انفسد تمييز فهمك تمتلى حياتك أعمالا ردية كثيرة وكما اننا نرغب هذه الرغبة ونريد أن نملك عينا صحيحة فى جسمنا فكذلك نرغب أن يكون عقلنا معافى فى نفسنا فاذا أعمينا عقلنا الذى ينبغى له أن يفيد حواسنا وبصائرنا الاخرى ضوءه فمن أية جهة نبصر بعد ذلك لان بصورة من قد نقض ينبوعه وخفف نهره يكون صورة من أهلك عقله وقد كدر عمله كله فى حياته هذه ولهذا المعنى قال فان كان الضوء الذى فيك ظلمة فالظلمة كم تكون ظلاما لان مدبر السفينة اذا

صار

صار غريقا واذا طفئ السراج واذا سيق القائد مأسورا فأى رجاء يكون بعد ذلك لاتباعه فلهذا السبب أهمل الان ذكر الاغنياء الحادثة بسبب الغنى والحروب والمحكومات لانه أشار اليها فيما سلف عند قوله لئلا يدفعك خصمك الى القاضى ويسلمك القاضى الى خادمه وذكر الان العوارض التى هى بلازم الضرورة أصعب من هذه كلها وحسم على هذه الجهة الشهوة الخبيثة وذلك ان تعبد عقلنا لهذا القسم هو أصعب من تخليدنا فى الحبس وأشد كثيرا وتعبد العقل يحصل بلازم الضرورة من هذا السقم والتخليد فى الحبس مصاحب لشهوة الاموال ويتلوها فلذلك وضع هذا المعنى بعد ذاك لكونه أصعب منه يعرض بلازم الضرورة لانه قال ان الله أعطانا عقلا لكى نستأصل به غباوتنا ويكون حكمنا فى الاشياء قديما مستقيما ونستعمله بمنزلة سلاح صاين ونور فى جميع العوارض التى تغمنا وتضرنا فنثبت فى حياطة تصوننا فدفعنا نحن موهبة كهذه واستعضنا عنها بما هو فضلة هو عمل من قد زال الفهم منه لانه ما المنفعة من جند لابسين ذهبا اذا اصبح قائدهم مأسورا اما فائدة السفينة ان تكون مزينة اذا اصبح مدبرها غريقا ما المنفعة من جسمنا أن يكون تركيبه حسنا اذا كانت عيناه مقورتين من وجهه وكان من يسقم مقصوده الطبيب الذى يجب أن يكون معافى حتى يحل الامراض ويزيلها ويأمر باضجاعه على سرير فضة فى مقصورة ذهب لا يستفيد المرضى من ذلك نفعا فلذلك اذا افسدت عقلك المقتدر أن يحل اسقام هواك ويزيلها بان تحصره فى ذخيرة أموالك فليس انك ما فقدا استفدت نفعا فقط لكنك قد خسرت مع ذلك فوائد أعظم من غيرها واضررت نفسك كلها اعرفت كيف بالاشياء التى بها يشتهى الناس الخبث كثيرا بها حجزهم فى كل مكان عن الخبث خصوصا واستدعاهم الى الفضيلة لانه قال لا نشتهى أموالا وتنعما وهذا الحظ من كل وجه لا يكون ههنا لكن ضده

كله يحصل لك لاننا اذا اعدمنا اعيننا فلا نشعر بصنف من الاصناف الملذة
لاجل مصابنا الحاصل لنا من فقدهما فأليق وأوجب أن يصيبنا هذا المصاب
فى انحراف عقلنا وعماه لم تدفن مالك فى الارض هل لكى يحفظ باحتراس
واستيثاق لكنه قد قال ههنا ضد ذلك أيضا وكما استعمال الصوام والرحوم
والمصلى ابتغاء للعجب والتشريف ومن الاشياء التى تشتهيها أكثرمنها
اجتذبه الى أن لا يتشرف لانه قال له لم تصل وترحم على هذه الجهة أنت
عاشق التشريف من الناس وقال له لا تصلين اذا على هذه الجهة فتنال
حينئذ هذا التشريف فى يوم ربنا واهتمامه المستأنف فكذلك استعمال
محب الفضة من الاشياء التى كان اكثر حرصه فيها استجذبه منها لانه قال
له ماذا تريد اتشاء أن تحفظ أموالك وان تتمتع بلذتها فستهب لك اماينك
هذه كلها بزيادة كثيرة اذا خزنت هنالك ذهبك فى المكان الذى أمرك به
وقد أوضح أكثر ايضاحا فى الاقوال التى بعد هذه مضرة العقل الحادثة
من هذه الجهة حين ذكر الشوك وأشار الان فى هذه الاقوال الى هذا المعنى
على ما اتفق لما أظهرالها ثم بهذه الاملاك معقولا وبصورة الحاصلين فى
الظلام انهم لا يبصرون فيه شيأ بينا لكنهم اذا ابصروا حبلا يظنون
انه حية وان أبصروا جبالا وتلولا يموتون من شدة روعهم مع ان صورة
هذه الاشياء التى هى ليست مخوفة عند الذين يبصرونها يتوهمون هم فيها
أوهاما مريعة لانهم يرتاعون من خسارة يسيرة تنالهم وبيان ذلك انهم
يرتاعون من الفقر والاليق ان يقال انهم لا يرتاعون من الفقر فقط بل
انهم يرتاعون من خسارة يسيرة تنالهم وبيان ذلك انهم اذا أضاعوا صنفا
يسيرا حقيرا من صنوف القوت الضرورى المنسوبة الى المعسرين يتوجعون
له نادبين وكثيرون من الموسرين اذا لم يحتملوا ضر الفاقة افضوا الى الخنق
ومواجهتهم بالشتيمة وغبنهم وتعنيفهم تظن عندهم على هذا النحو من

التمثيل

التمثيل عارضا شديدا ممتنعا احتماله حتى ان كثيرين منهم لاجل ذلك انفصلوا عن حياتهم هذه المحاضرة أيضا وذلك ان يسارهم جعلهم فى الحوادث كلها متراخين بل خدمتهم اياه صيرتهم مسترخين لانه اذا أمرهم أن يخمدوه يتجاسرون على فوادح القتل وعلى السياط وعلى التعبيرات وعلى الخجل كله وهذا فهو شقاء فى غايته لانهم فى العوارض التى يجب أن يتفلسفوا فيها يوجدون أرخى من جميع الناس وفى الحوادث التى يجب أن يكونوا أوفر تحوبا وتورعا يصيرون أشد الناس تحيرا وأعظمهم خجلا لان هذا العارض بعينه يعرض لهم الذى يماثلون فيه من تصيبه هذه المصائب أن ينفق كلما يوجد له فيما لا يجب انفاقه فيه لان من هذا الحال حاله اذا دهمه وقت النفقة اللازمة لا يمتلك شيأ يصرفه فيه فيقاسى شدائد معضلة اذا تقدم فانفق كلما كان له انفاقا رديا وكما ان العارفين تلك الصنائع الخبيثة فى محلة اللعب يصبرون فيها على حوادث كثيرة من الحوادث المريعة الخطرة وهم فى غيرها من الاعمال النافعة الضرورية أحق من الناس كلهم بالضحك عليهم فكذلك هؤلاء الذين ذكرناهم ولعمرى ان الذين يمشون على حبل ممدود يظهرون شجاعة جزيل تقديرها اذا استجرهم عارض من العوارض الضرورية فى جسارتهم وشجاعتهم وما يقدرون أن يفهموا عارضا هذه صفته ويحتملوه فى غير ذلك الوقت فكذلك المؤسرين يتجاسرون من أجل الاموال على سائر الحوادث ولا يحتملون من اجل التفلسف والاحتمال ولا عارضا هذا حاله لا كبيرا ولا صغيرا وكما ان أولئك الذين يمشون على الحبل يمارسون عملا خطرا خاليا من فائدة فكذلك هؤلاء الاغنياء يقاسون صنوفا كثيرة من الاخطار والمهاوى ولا ينتهون الى نهاية نافعة ويمارسون ظلاما مضاعفا اذ يعمون من انحراف عقلهم ويقاسون ضبابا كثيرا من خدعة مهناتهم ولهذا السبب لا يمكنهم أن يبصروا بايسر مرام وذلك ان الذى يكون فى ظلام الليل

لما تظهر الشمس يتخلص من الظلام ومن قد عميت عيناه فما يقدر ولا اذا ظهرت الشمس أن يتخلص من ظلامه وهذا المصاب يصيب هؤلاء الاغنياء لانهم ولا عند اشراق شمس العدل وحضوره ووعظه اياهم سمعوا منه حين قد أغلق ابصارهم الحاظهم فيهم فكذلك يقاسون عما مضاعفا أحد طافيه من ذواتهم والصنف الآخر من انهم لم يصغوا الى معلمهم

(العظـــــــــــة)*

فسبيلنا ان نصغي اليه اصغاء بليغا لنعود باصرين بعد عمانا ولعلك تقول فكيف يمكننا نعود باصرين فاجيبك يمكنك ذلك اذا عرفت كيف عميت وان سألتني وكيف عميت أجبتك انما عميت من شهوتك الخبيثة لان على نحو ما ينصب خاط خبيث الى حدقة نقية انصب الى عينك عشق الاموال فجعل الغمام عليه متكاثفا ولكن يسهل علينا ان نكشط الغمام ونقتلعه اذا قبلنا شعاع تعاليم المسيح اذا سمعناه يعظنا و يقول لنا لا تذخروا لكم ذخائر في الارض ولعلك تقول ماذا ينفعني من استماعي أياه اذا كانت شهوتي قد ضبطتني فاقول لك ان السماع المتصل يقتدر أكثر من كل شئ ان ينقض شهوتك و يزيلها ولو لبثت مضبوطا بشهوتك تفهم ان هذا الفهم ليس شهوة لان أية شهوة هذه ان تتعبد أصعب تعبدا وتحصل تحت قبضة سيدة غاصبة وان ترتبط من كافة جهاتك وتقيم في الظلام وتمتلي ارتجافا وتصبر على اتعاب قد زالت الفائدة منها وتخزن أموالا لاناس آخرين وربما خزنتها لاعدائك هذه الافعال لاية شهوة هي موهلة لا ية هرب وانفلات ليست مستوجبة أية شهوة أن تخزن ذخيرتك فيما بين سارقين لانك ان كنت تشتهي بجملة عزمك أموالا فانقلها الى موضع يمكن أن تبقى فيه مصونة يتعذر سلبها لان العمل الذي نعمله الان ليس هو عمل من يشتهي الاموال لكنه عمل من يشتهي

صبودية وأذية وخسارة ووجعادائما فلوأراك أحد الناس مكانا يصعب
الاحتيال عليه ولوأخرجك الى البرية بعينها ووعدك استيثاقا لحفظ أموالك
فيه لما كنت تعجز ولاتتباطى لكنك كنت تصدقه وتخزن فى ذلك
الموضع أموالك فاذقد وعدك هذا الوعد الهك وما استثنى بذكر البرية
لكنه قدأراك السماء تقبل ضد ماتقبله من ذلك على انك لوجعلتها أسفل
دفعات كثيرة فى امن لما أمكنك أن تكون فى وقت من الاوقات حرا
من الاهتمام بها لانك وان لم تفقدها فما تتخلص فى وقت من زمانك
من الاهتمام بها واذا حصلتها هنالك فى السماء لم ينالك عارض من هذه
العوارض والحظ الاكثر فى ذلك انك ماتدفن ذهبك فى السماء فقط
لكنك مع ذلك تغرسه فيها لان تحصيله هنالك بعينه هو ذخيرة وزرع
وأليق مايقال ليس فى السماء فقط لكنك مع ذلك تغرسه فيها أكثر من
كليهما وبيان ذلك ان الزرع لايبقى على حاله دائما وتحصيل مالك
هنالك يبقى مؤبدا والذخيرة أيضا لاتثمر وهذا الادخار يفرع لك اثمارا
لاتموت وان ذكرت لى الزمان وابطأ التوفية فقد يتجه لى ان أريك وأقول
ان كلما تحصله ههنا بدون هذين الصنفين سيدوم من الاملاك العالمية ان
أطعن دليك فيه بانك تحتج فى ذلك احتجاجا باطلا وبيان ذلك انك تعمل
فى عمرك هذا اعمالا ماتؤمل أنت ان تتمتع بها وان شكى شاك أولا وأصدر
أولاد أبنائه يقال له أفتظن انك تخدمنى فى اتعابك الزائدة سلوا كافيا لانك
اذا حصلت فى شيخوخة أخيرمبدأها ومداها وبنيت دورا بهية ربما تنصرف
من الدنيا قبل تمام بنائها وغرست أشجارا من شأنها بعد سنين كثيرة ان تبرز
ثمرتها لانك اذا غرست فى ضيعتك شجرا تجنى بعد سنين كثيرة ثمرتها واتبعت
نعما وأملاكا تسلم بعد زمان طويل سيادتها وتتعب باثارك فى املاك غير
هذه كثيرة هذا الحال حالها ماتستثمر التمتع بها هل تعمل هذه الاعمال

من أجل ذاتك أو لاجل الكائنين بعدك فكيف لا يكون هذا من غاية
الغباوة انك ما يغمك ههنا عارض يعرض بسبب تأخر الزمان على انك
تؤمل من هذا الابطاء انك تخبب من كافة مكافاة تعابك اذ تكسل
من أجل ابطاء المكافأة عما تخزنه هنالك على انه يحبب لك الربح اكثر
وليس يرسل خيراته الى آخرين غيرك لكنه يحمل مواهبه اليك وخلوا
من هذه الاصناف فليس الابطاء كثيرا وذلك ان أفعالها عند أبوابنا واسنا
نعلم الا يكون فى جيلنا تحوى أحوالنا كلها غايتها و يوافينا ذلك اليوم
الرهيب موضحا لنا مجلس القضاء المريع الذى لا تفسد الهدايا حكمه
لان قد كمل أكثر العلامات والبشارة فقد تودى بها فى كل صقع من المسكونة
وقد جازت جوائح الحروب وحوادث الزلازل وفوارج الاوبية والمدى
الاوسط بيننا وبين انقضاء الدنيا ليس طويلا لكنك تقول انك ما ترى علامات
انقضاء الدنيا فاقول لك وهذا بعينه هو علامة الانقضاء أعظم من غيرها لان
الذين كانوا فى عصر نوح ما أبصروا مبادى أبادتهم تلك المريعة لكنهم فى اثنى
ما كانوا يلعبون ويأكلون ويشربون ويتزوجون ويعملون كما
اعتادوه دهمتهم تلك المقابلة العدلة بغتة والذين كانوا فى مدن سادوم وغيرها
عندما كانوا على مشابهة أولئك متنعمين لا يبصرون صنفا من الحوادث التى
دهمتهم أحرقتهم الصواعق والصواقع الهابطة حينئذ عليهم فاذا تفطنا فى هذه
الحوادث كلها فينبغى ان نعطف ذواتنا الى الاستعداد للسفر عما ههنا ولئن
كان يوم الانقضاء المشاع ما قد حان بعد فان غاية كل أحد منا عند أبوابه ان
كان أحدنا شيخا وان كان شابا واذا انصرفنا من ههنا فلا سبيل لنا ان نبتاع
فيما بعد زيتا ولا يتجه لنا اذا تضرعنا ان ننال عفوا ولو كان المتوسل فينا ابراهيم
ولو كان نوح ولو كان أيوب ولو كان دانيال فما دام لنا وقت فلنخزن لنا دالة
كثيرة ونجمع لنا زيتا جزيلا واسعا وننقل جميع مالنا الى السماء لنتمتع بذلك

كله

كاء فى وقت ملائم لذلك وحين نحتاج اليه خصوصاً بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى يليق للاب معه والروح القدس المجد الى أباد الدهور كلها آمـــــين

المقـــــالة الحادية والعشرون

ليس أحدكم يقدر أن يتعبد لربين لانه اما يبغض أحدهمـــا ويحب الاخر واما يتمسك باحدهما ويتهاون بالاخر

أعرفت كيف فصلنا من الموجودات قليـلا قليلا وكيف بمعان كثيرة يورد كلامه فى الزهـد فى القنيـة وينقض اغتصاب حب الفضـة لانه لم يكتف بالاقوال التى قالها فيما سلف على انها قد كانت كثـيرة ألفاظها عظيمـة معانيها لكنه قد أضاف اليها أقوالا أخرى أكثر منها وأبلغ فى اراعتها لان ماهو القول الذى يكون أرهب من أقواله التى قد قالها الآن ان اشرفنا على ان نبتعد عن التعبد للمسيح بسبب أموالنا وماهو الحظ الذى يكون أبر وأفضل من أعراضنا عنها وان نمتلك ودنا اياه وخدمتنا ليه خالصا وما أقوله دائما أقوله الان أيضا انه بهذين الصنفين من كلامه يدفع سامعه الى طاعة ما يقوله بمساعى طاعتنا النافعة وبمغاوى معصيتنا الضارة وحاله حال طبيب حاذق يوضح المرض المتولد من اهمال الاحتراص والعافيـة المتكونة من الطاعـة وأبصر أيضا هذا الربح أى ايضاح أوضحه وكيف قد اخترع من زوال الضدين ما يوافقنا لانه قال ان ايسارنا ليس من عادته ان يضرنا هـذا الاضرار فقط

بل انه يدرع السارقين علينا سلاحهم وبانه ليس يظلم عقلنا بجهالة زيادة ظلامه
بل بانه مع ذلك يخرجنا من تعبدنا لالهنا اذ يجعلنا اسرى لاموال لانفس
لها ويضرنا من الوجهين كليهما من انه يجعلنا عبيد الاموال قد كان
واجبا علينا ان نضبطها ونستولى عليها ومن انه يخرجنا من التعبد لالهنا
الذى يلزمنا اضطرارا ان نتعبد له أكثر من كل شئ وكما انه هنالك أورى الضرر
مضاعفا بوضعنا أموالنا ههنا بحيث السوس يفسدها وباننا لم نضعها هنالك
بحيث صيانتها الفاقدة تحقيقها فكذلك أرانا ههنا الخسارة مضاعفا بالعزائم
التى تجتذبنا من الله وبالهمم التى تعبدنا لغصب المال الا انه ما وضع هذا
المعنى فى الحين لكنه اخترعه أولا من أفكار مشاعة عند قوله هذا القول
ليس يقتدر أحدكم ان يتعبد لربين فبقوله ههنا ربين أبان العزمين
اللذين يزيدان الاضداد ويكثرنها ولولم يكن قد عنى هذا المعنى لما كان
ذكر ربين لان كثرة الذين امنوا أولا كان لهم قلب ونفس واحدة على انهم
كانوا منقسمين الى أجسام كثيرة الا ان ائتلافهم جعل الكثيرين واحدا
ثم اذا أكد هذا المعنى قال انه ليس يتعبد له فقط لكنه مع ذلك يمقته ويرده
ويرذله لانه قال اما ان يمقت أحدهما ويحب الاخر واما يتمسك بأحدهما
ويتهاون بالاخر وقد يظن ظان ان قد قال قولا واحدا بعينه ثانيا فاركب
القول على هذه الجهة على بسيط ذاته لكنه انما فعل ذلك ليوضح أن انتقالنا
الى الافضل هو سهل لانك حتى لا يقول قد استعبدتنى أموالى فى دفعة
وغصبتنى أراك ان انتقالك من هذا الاستعباد سهلا متيسرا وكما انه يجئ من
تلك الجهة الى هذا المعنى فكذلك يجئ من ههنا الى ذلك الوجه لانه انما قال
قولا بغير تحديد يحث سامعه ان يصير لافكاره ولما قبل له قاضيا
عدلا وان يورد القضية من طبيعة الاشياء فحين أخذه موافقا له كشف له
حينئذ ذاته واتبع كلامه بانكم ما تقدرون ان تتعبدوا لله ولغصب المال

فسبيلنا

فسبيلنا ان نرتاع اذا تفطنا فى القول الذى جعلنا المسيح أن نقوله اذ نعبد
الذهب مع الهنا فان يكن هذا مريعا فأشد اراعة منه كثيرا ان نكون
بافعالنا نفضل على خوف الهنا حب الذهب فان قلت أفما كان هذا التعبد
لله وللمال فى عصر القدماء ممكنا قلت لك لم يكن البتة ممكنا وستقول لى فكيف
وفق ابراهيم كيف فضل أيوب فأجيبك لا تذكر لى الموسرين لكن أذكر
لى المتعبدين لمالهم اذ أيوب كان موسرا لكنه ما تعبد لغصب المال
لكنه امتلكه وضبطه فكان سيد الثروته ولم يكن عبدا لها واقتنى
أملاكه تلك كلها وكان عزمه عزم خازن أموال ليست له وليس العجيب منه
انه ما خطف مال اناس آخرين فقط لكن أعجب من ذلك بذله أمواله
للمحتاجين وأعظم من ذلك انه اذ كانت أملاكه حاضرة عنده ما فرح بها
وهذا فقد أوضحه هو بقوله ان كنت سررت اذ صارت لى ثروة كثيرة
فلهذا الغرض ما توجع عليه لما انحازت عنه الا ان الموسرين الان ليس
هذا الحال حالهم لكن حالهم أشر من حال كل مملوك كأنهم يحملون الخراج
الى غاصب صعب فى استنجازه منهم وقد أصدر عشق الاموال الى سريرتهم
كغاصب قد حصل فى قلعة منيعة أوامره ممتنعة من كل عدول عن الشريعة
يرسلهم من هنالك كل يوم الى فعلها ولم يعصه ولا واحد منهم فلا تتفلسفن
اذا فضله زائدة فان الهنا قد حكم دفعة واحدة وقال انه لا يمكن ان تتفق هذه
العبودية وتلك متفقة فلا تقل أنت ان ذلك ممكن لانه اذا كان أحدهما يأمرنا
ان نخطف والاخر يوعدنا بان نتعرى من كل موجود وهذا يأمرنا ان نعف
وذاك يأمرنا ان نزنى وهذا يأمرنا ان نسكر ونتنعم وذاك يأمرنا ان نضبط
جوفنا وهذا يأمرنا بالاعراض عن الموجودات وذاك يأمرنا بالتسمر فى الحاضرات
وهذا يأمرنا ان نستعجب الرخام والحيطان والسقوف وذاك يأمرنا ان نتهاون
بهذه الاملاك ونكرم الفلسفة فكيف يمكن أن تتفق هذه الاوامر المتضاضده

وفي هذا الموضع سمى غصب المال ربا ليس لاجل طبيعته لكنه دعاه ربا
لاجل شقاء الجانحين اليه وعلى هذا المثال سمى الرسول بولس جو فنا اله
ليس من رتبة سيادته لكن من اجل شقاء المتعبدين له وهذا فهو أشر من كل
عذاب فيه قبل التعذيب كفاية ان يعذب من قد استولى عليه لان الذين قد
امتلكوا المال سيدا لهم أي مجرمين لا يكونون هم أشد شقاء منهم اذا
هربوا من مملكته برفقة تلك الجليلة واستأمنوا الى متمرد صعب مراسه على ان
هذا الفعل تتكون منه ضرر جزيل تقديره ههنا لان من غصب المال
تتكون خسارة تعذر وصفها ومحاكمات وطوائل وأذيات وجهادات
واتعاب وعمى للنفس وأصعب من هذه كلها انه يجعل المتعبد له ان يخيب
من النعم الصالحة التي تفوق النعم كلها في أعلى المحامد وهو التعبد لله واذ
علمنا وعرفنا كلما ذكره الحظ الموافق من أعراضنا عن الاموال المؤدى
الى صون أموالنا هنالك بعينه والى لذة نفسنا بذلك والى استقصى الفلسفة
والى وثاقة صحة الدين حقق بعد ذلك ان هذه العظة ممكنة لان هذا المعنى
أليق بالمشترع الفاضل الا يأمر فقط بما يكون موافقا لكنه يجعل مع ذلك
ما يأمر به ممكنا ولذلك اتبع ذلك بقوله لا تهتموا لانفسكم بما تأكلون
وبما تشربون ولا لاجسادكم بما تلبس أليس النفس أفضل من الطعام
والجسد افضل من اللباس لان حتى لا تقولوا ما غرضه واذا حذفنا أملا كنا
كلها كيف نقتدر ان نعيش نتنصب فيما بعد مقابل هذه المعاندة جدا
بأحسن موافقة للمعنى ولعمري انه لو كان قال في ابتداء تعليمه لا تهتموا
لكانوا ظنوا كلامه انه ثقيل واذ قد أبان على هذا المثال الفساد المتكون
من حب الفضة يجعل تنديه فيما بعد يسارع سامعه الى اقتباله ولهذا
الغرض ما قال الان لا تهتموا على بسيط ذاته لانه أضاف الى هذا القول علته
ثم أوعز بذلك لانه بعد ان قال ما تقدرون ان تتعبدوا لله وللغصب المال

اتبعه بقوله لهذا الغرض أقول لكم لاتهتموا وأى معنى قصد بقوله لهذا الغرض الامعنى الخسارة التى لاتوصف لان الضرر لايحصل لكم من أموالكم فقط لكن الضرر به تصل الى أشد الاخطار عليكم والى دحض خلاصكم لانها تفصلكم من الهكم الذى أبدعكم وشفق عليكم وأحبكم لهذا المعنى أقول لكم لاتهتموا لانه لما بين الضرر الناتج من ذلك أكد بعد ذلك امره لانه لا يأمر بطرح الموجودات فقط لكنه يامر الا نهتم بتحصيل الغذاء الضرورى بقوله لاتهتموا لنفوسكم بما تأكلون ولم يقل هذا القول لان نفسنا ماتحتاج طعاما لانها ليست بجسم لكنه قال ذلك على ماجرت به العادة الشائعة لان نفسنا وان كانت ماتحتاج طعاما الا انها ماتحتمل أن تثبت فى الجسم على جهة أخرى الا بتناول الطعام واذ قال هذا القول ماقاله على بسيط ذاته لكنه حرك فى هذه الالفاظ أفكارا بعضها من الحاصله فيناسالفا وبعضها من أمثلة أخرى لغيرنا فمن الافكار الحاصلة فيناسالفا يقول هذا القول أفليست النفس أكثر فضلا من الطعام أوليس الجسم أفضل من اللباس هل الذى يعطى ماهو أعظم كيف لا يعطى ماهو أدنى فمن خلق الجسم المغتذى كيف مايخوله غذاه ولهذا المعنى ماقال على بسيط ذات القول لاتهتمن بما تأكلون وبما تلبسون لكنه قال لاتهتموا لجسمكم ولنفسكم اذ كان من أقواله فيهما أن ينشى براهينه فقدم كلامه على جهة المقايسة لكنه أعطانا نفسا فى دفعة ولبثت على حالها ويعطى جسمنا كل يوم طعامه فلايضاحه هذين الخاصتين كلتيهما خاصة نفسنا انها لاتموت وخاصة جسمنا انه بال استثنى بقوله من منكم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة وصمت عن النفس لانها ماتستمد زيادة ونموا وتكلم فى وصف جسمنا فقط ومن هذا الكلام أوضح ذلك المعنى ان الطعام لاينميه لكن عناية الله هى التى تنميه وهذا المعنى قد أبانه بولس

الرسول بالفاظ أخرى وقال من هذه الجهة ليس من ينصب ولا من يسقى
يوجد شيأ لكن الله الذى ينمى فمن الافكار الحاصلة فينا تقدم فأمر
بهذا الامر من الامثلة الاخرى لغيرنا يوعز قائلا تفرسوا فى طيور
السماء فانها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن فى الاهراء وأبوكم السماوى
يقوتها لكيلا يقول قائل منهم انه يجب علينا أن نهتم نهاهم عن
الاهتمام من مثال أعظم ومن مثال أدنى فنهيه اياهم من المثال الاعظم هو
مثال نفسنا وجسمنا ونهيه اياهم من المثال الادنى هو مثال الطيور لانه قال
ان كان يهتم بالبرايا التى هى أدنى منكم كثيرا فكيف ما يعطيكم أنتم طعامكم
فهذا القول قاله لهؤلاء الناس لانهم كانوا طائفة من العامة وما قال
لابليس المحتال هذا القول لكنه قال ليس بخبز وحده يعيش الانسان
لكنه يعيش بكل لفظة خارجة من فم الله ولعمرى انه ذكر ههنا الطيور
لاجل تخجيلهم جدا وذلك كلام فيه قوة عظيمة انتهى ثم الآن أقواما من
الملحدين قد انتهوا الى هذا المقدار من جهلهم حتى انهم يهجنون هذا
المثال ويقولون ما كان واجبا اذ أراد اختيارنا أن يورد خاصة من ملكات
طبيعة زائدة على غيرها لانهم زعموا ان هذه الخاصية حاصلة فى تلك الطيور
بالطبع فالذى نقوله ردا على هذا القول نقول ان كانت هذه الخاصة
حاصلة فى تلك الطيور بالطبع لكن يمكننا أن نصير هذه الخاصة فينا من
اختيارنا لانه ما قال تأملوا طيور السماء فانها تطير وما تلوها وهذا الطيران
ممتنع عند الانسان لكنه قال تأملوا طيور السماء فانها تتغذى بدون
اهتمام وهذا ممكن لنا اذا شئنا وأحكامه متيسرة عندنا وهذا الرأى
ارتآه الذين استكملوه بافعالهم ولهذا الغرض أكثر من جميع الاغراض
حصل مشترع هذه الفرائض أهلا ان يستغرب فهمه لانه قد كان ممكنا أن
يورد لهم المثال من أناس مقتدرا أن يذكر ايليا النبى وموسى ويوحنا

الصابغ وغيرهم من أمثالهم الذين لم يهتموا بطعامهم ولكى يلذعهم
أكثر ذكر الاصناف الفاقدة النطق لانه لو كان ذكر أولئك الصديقين
لقد كان هؤلاء اتجه لهم أن يقولوا اننا ما قد صرنا بعد نحن نظير اولئك
فاصمهم الآن وأورد لهم طيور السماء فقطع كل حجتهم ومثل ههنا
الشريعة العتيقة وذلك أن العهد العتيق يرسلنا الى النحلة والى النملة والى
اليمامة والى الخطافة وهذا القول فليس هو ايضاحا يسيرا لتكريمنا اذ كان
ما تتملكه تلك الانواع من الحى من ذات طبيعتها نقتدر نحن أن نمتلكه
ونحكمه ونصلحه باختيارنا فان كان هو تعالى يعتنى عناية بهذا المقدار
بانواع الحى التى خلقها لاجلنا فأولى به أن يعتنى بنا عناية أكثر كثيرا ولئن
كان يعتنى بالعبيد فأليق له أن يعتنى بسيدهم أكثر ولهذا المعنى قال انظروا
الطيور وما قال فانها ما تكتسب ولا تتاجر لان هذه الاعمال من
الاعمال المحظورة علينا جدا لكنه قال فانها ما تزرع ولا تحصد ولا تخزن فى
الاهراء وأبوكم السماوى يقوتها أليس أنتم بالحرى أفضل منها والقائل
يقول فاغرضه فى ذلك أفما يجب أن نزرع فنقول له ما قال أنه ما يجب
أن نزرع لكنه قال ما يجب أن نهتم ولا قال انه ما ينبغى لنا أن نعمل لكنه
قال ما سبيل أحدنا أن يكون صغير النفس مذيبا ذاته بالهموم اذ كان
قد أمرنا أن نغتذى ولكن لا نهتم وهذا القول قد تقدم داود النبى فأوعدبه
على معنى الرمز منذ أعلى الزمان عندما قال هذا القول أنت تفتح يدك فيمتلى
كل صنف من الحى مسرته ورتلوا للمعطى البهائم طعامها ولفراخ الغربان
المستغيثة اليه ولعلك تقول فمن هم الناس الذين ما اهتموا فأقول لك
أما سمعت بالافاضل الذين عبروا فى الدنيا من الصديقين أما قد رأيت بعدهم
يعقوب منصرفا من منزل أبيه عريا من سائر الاملاك ألم تسمعه مصليا قائلا ان
أعطانى الله ربى خبزا آكله وثوبا ألبسه وهذا ليس هو قول مهتم لكنه

قول طالب من الله كلما يحتاجه وهذا الغرض أحكمه الرسل اذ حذفوا أملاك الدنيا كلها ولم يهتموا بشئ والثلاثة آلاف والخمسة آلاف الذين آمنوا مرينا سالفا امتثلوا هذه الاوامر فان كنت ما تستحير بعد استماعك ألفاظا هذا مبلغها أن تطلق ذاتك من هذه العقالات الصعبة فاذا تفطنت فى زوال نفع هذا الفعل فاجتنب الاهتمام لانه قد قال عزّ وجلّ من منكم يقدر باهتمامه أن يزيد فى قامته ذراعا واحدة أرأيت كيف جعل اهتمامه بنا العديم ان نراه ظاهرا واضحا بينا من مراعاته الظاهرة لانه قال كما أنك ما تقدر أن تزيد باهتمامك فى جسمك زيادة قليلة فكذلك لا يمكنك أن تجمع باهتمامك طعامك وان كنت تظن هذا الظن انك تجمعه فقد استبان من هذا القول واضحا أنه ليس بحرصنا لكن عناية الله تتم كلما نحتاجه وفى الاعمال التى تظن اننا نعملها أيضا كما أنه اذا أهملناها فليس يظهر لا اهتمام ولا اجتهاد ولا تعب ولا صنف غير ذلك من الاصناف التى هذه صفتها فى وقت من أوقاتنا لكنها تهلك كلها وتباد

العظـــــــــــــــــــــة

فلا تظنن ان الاوامر ممتنعة فان اناسا كثيرين يحكمونها الآن وان كنت تجهلهم فليس ذلك غريبا اذ كان ايليا النبى قد توهم أنه قد بقى وحده لكنه سمع أننى قد استبقيت لذاتى سبعة آلاف رجلا فمن هذه الجهة يبين واضحا ان أناسا كثيرين الآن يعيشون عيشة الرسل نظير ما أظهره حينئذ ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فان كنا ما نصدق ذلك فليس هذا من ان الذين أحكموا ذلك ليسوا موجودين لكنه من جهة اننا مبتعدون من فعلهم ابتعادا جزيلا وكما ان السكير ما يتيسر له ان يصدق بان يوجد انسان لا يذوق ماء على ان هذا الصنف من النسك قد أحكمه رهبان كثيرون فى

زماننا

زماننا هذا والخالط نساء كثيرات مايصدق ان يتيسر ان يثبت أحد الناس
بتولا والختلاس أشياء ليست له ما يتيسر له ان يصدق ان أحد الناس يبذل
أملاكه وأمواله ويتعرى منها فكذلك ولا الذين يجدون كل يوم فى مهمات
كثيرة يذيبونها بها يقبلون زوال الاهتمام ولا يتيسر لهم الايقان بامكانه
والبرهان على ان اناسا كثيرين يوجدون قد أحكموا هذا الفعل قديما كان
بينهم من الذين تفلسفوا فى هذه المحامد فى جيلنا لكن يكفيكم أنتم الآن أن
تتعلموا الاستكثروا من القنية وان الصدقة عمل محمود وان تعرفوا انكم
تحتاجون ان تواسوا المحتاجين بما يوجد لكم لانك أيها الحبيب اذا أحكمت
هذه المحامد أمكنك أن تسعى الى تلك المحاسن سريعا فسبيلنا ان نطرح
كثرة النفقة الزائدة ونكتفى بالمقدار المعتدل ونتعلم ان نقتنى كلما نحتاج
اليه من اتعاب عدله اذ كان يوحنا السعيد لما خاطب المشغولين بتعشير
أمتعة الناس المدونين فى الجندية أمرهم أن يكتفوا بجراياتهم وقد كان
أراد أن يقتادهم الى فلسفة أخرى أعظم من هذه فاذ لم يكونوا بعد متقومين
لها قال لهم ها هى أدنى منها لانه لو كان أوعز اليهم بفرائض أعلى من هذه
لما كانوا اصغوا اليه وكانوا قد خابوا من هذه فلهذا المعنى نروضكم فى
المحامد التى هى أدنى من غيرها لاننا نعلم ان وقر الزهد فى القنية أعظم منكم
وبقدر ما قد ابتعدت السماء من الارض بقدر ذلك ابتعدت تلك الفلسفة
منكم فلو كنا نمارس الاوامر المتأخرة لان ليس هذا تعزية يسيرة على
ان أناسا عند أهل بلاد غلاطية قد أحكموا هذا الزهد وان كانوا ما أحكموه
بعزم واجب وتعروا من جميع ما كان موجودا لهم لكننا نحن مع ذلك نكتفى
منكم ببذلكم الصدقة على المساكين لاننا سنصل الى تلك المحامد
سريعا اذا سلكنا هذا المسلك وان لم نعمل هذا العمل فلاى عفو نكون
مؤهلين نحن الذين قد أمرنا ان نفوق على الذين كانوا فى العهد العتيق وقد ظهرنا

أنقص محلا من الفلاسفة الذين عند أهل بلاد غلاطية ما الذى نقوله اذا كان يجب علينا ان نكون ملائكة وبنين لله لا نستحق أن نكون أناسا الان فعل الخطف والتغطرس ليس هو فعلا لالدعة الناس ورفقهم لكنه فعل لجفاوة الوحوش وأولى ما يقال ان الذين يتهورون على ما يمتلكه غيرهم هم أشر من تلك الوحوش لان هذا الخطف هو من طبيعة تلك الوحوش فنحن الذين قد أكرمنا بالنطق وقد هبطنا الى غريزة منحرفة عن طباعنا بأى عفو نتمتع فينبغى ان نتفطن الان فى مقادير الفلسفة المبذولة لنا ونبلغ ولو صار الى انصافها لكى نتخلص من العذاب المنتظر كونه ونتقدم فى طريقنا فنصل الى هامة الاعمال الصالحة بعينها التى تكون لنا كلنا ونحظى بها بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى يليق للاب معه والروح القدس المجد والاكرام والسجود الآن والى أبد الدهور آمين

المقالة الثانية والعشرون

تأملوا سوسنات الحقل كيف ينمين ولا يتعبن ولا يغزلن أقول لكم ان ولا سليمان فى كافة شرفه تسربل كواحدة منهن

لما تكلم فى تناول القوت الضرورى وبين اننا ما نحتاج ان نهتم به اهتماما زائدا انتقل بعد ذلك الى ما هو أخف منه وذلك ان الملبوس هو ضرورى مثل احتياجنا الى الطعام ولقائل ان يقول فلم يستعمل ههنا هذا المثل بعينه ولم يقل لنا الطاوس ولا ذكر لنا الطائر الابيض المسمى كقنس ولا أورد

النجمة لانه قد كان يمكنه ان يتخذ من هذا الوجه امثلة كثيرة هذه
الصورة صورتها فنقول له لانه يريد ان يبين من الصنفين كليهما افراطهما
من افراط دناءة المستعملين ان تزخرف الواجب ذمه ومن تباهي الزينة المعطاة
للسوسنات ولهذا السبب ما سماها بعد اصلاحه المثال منها سوسنات لكنه
سماها حشيش الحقل وما اكتفى بهذا الاسم لكنه زادها حقارة أخرى أيضا
عند قوله الذي اليوم يكون موجودا وما قال وغدا لايكون موجودا لكنه
ذكر أيضا ما هو أخفض من هذا كثيرا اذ قال وغدا يلقى في تنور وما قال يلبس
لكنه قال يلبس على هذا المثال مثل واحدة منهن أرأيت صنوف الافراط
والتفاقم في كل موضع من وصفه وانما يعمل هذا العمل حتى يلذعهم ولهذا
المعنى استثنى بقوله أفليس الاليق به ان يلبسكم أنتم لان هذا الغرض يجوز
ظهوره كثيرا لان قوله أفليس الاليق به ان يلبسكم أنتم ليس يرمز الى معنى
آخر الا الى جسامة تكريم جنسنا والى الحرص في تعظيمه وكأنه قال
أفليس الاليق به كثيرا أن يلبسكم أنتم الذين أعطاكم نفسا الذين خلق
لكم جسما الذين لاجلكم خلق البرايا المحسوسة كلها الذين من أجلكم
أرسل أنبيائه وقد أعطاكم شريعة وأسدى اليكم خيرات كثيرة جزيلة الذين
لاجلكم بذل ابنه الوحيد ووهب لكم به مواهب كثيرة واذ بين هذه الاشياء كلها
بيانا شافيا حينئذ زجرهم بقوله يا قليلي الايمان لان المشير هذا المذهب
مذهبه ليس من شأنه ان يعاتب فقط لكنه مع ذلك يلذع سامعه لينهضه
أكثر انهاضا الى قبول ما يقوله له فمن أقواله هذه ليس يعلمنا الاهتمام فقط لكنه
مع ذلك يعلمنا الانبهات الى جلالة الثياب لان حسن بهائها خضرة وحسنها
عشب وأليق ما يقال ان الحشيش أكرم قدرا من هذه الحلة ما بالك تتفخم
كثيرا بذاب يوجد في النبات حسن معالي قهره اياها وتفضيله عليها بفوقها
بزيادة كثيرة وأبصر كيف من مبادي قوله أراهم ايعازه خفيفا والاوامر

التى يرتاعوا منها وهى اضداد مرادهم عنها حجزهم أيضا لانه اذقال تأملوا
سوسنات الحقل استثنى بقوله فانهن ما يتعبن فوجب من ذلك انه أمرنا بهذه
الاوامر ليريحنا من الاتعاب فليس تعبا الانهتم بهذه الهموم لكن اهتمامنا
بها هو التعب وعلى حذو ما قال عن الطيور انها ما تزرع فما منع بذلك
الزرع لكنه حجز به الاهتمام على حذو ذلك اذ قال ههنا على السوسنات
انهن ما يتعبن ولا يغزلن ما بطل بذلك العمل لكنه انما بطل بذلك الاهتمام
ولئن كان سليمان الملك قد انقهر لحسن السوسن ليس دفعة ولا دفعتين
لكن فى كافة مملكته لانه ما يتجه لاحد الناس أن يقول فى وقت من أوقاته
لبس مثل ألوان هذا السوسن العجيبة وبعد ذلك ما لبسها أيضا لكنه
ولا فى يوم واحد من أيامه تزين هذه الزينة لان هذا المعنى أوضحه بقوله ولا فى
كافة مملكته ولا انقهر سليمان لهذا زهر السوسن وحده وشابه زهرا غيره
لكنه قد أفصله مع ذلك من ألوان الازهار كلها ولذلك قال انه ما لبس مثل
واحدة من هذه يعنى أنه ما تسربل حسنا كحسن واحدة من هذه الازهار
لان بمقدار ما بين الحق وبين الكذب يكون مقدار ما بين ثياب سليمان تلك
الرفيعة وبين هذه الازهار فلئن كان قد أقر بانهزامه وقد كان أبهى
حسنا من جميع الملوك الكائنين فى وقت من الزمان فمتى تقدر أنت
أن تقهرها وأليق ما يقال متى تقدر أنت أن تصير قريبا ولو قربا يسيرا من
حسن صورة الزهر الرائق حسنه وفى هذا المعنى يؤدبنا الارتياح البتة الى
تزين وتزخرف هذه صفته وأبصر غايته أنه بعد قهره الالوان الحسنة
يلفى فى تنور فان يكن الله قد أوضح عناية جزيلا تقديرها فى أزهار حقيرة
ليست أهلا لصنف من همه وانما تفيدنا حاجة يسيرة فكيف يهملك
أنت الشخص من الحى الاعلى من البرايا كلها سموا وان سألت فلم خلق
الازهار على هذا المثال حسنه أجبتك ليريك حكمته وزيادة قدرته

لتعرف من سائر الجهات مجده لانه ليس السموات وحدها تذيع مجد الله لكن الارض أيضا مع ذلك تذيعه وهذا المعنى قد ذكره داود واضحا اذ قال سبحى ربنا أيتها العيدان المثمرة والشربين كله لان بعضها تعلى المديح لخالقها بثمرها وبعضها تعليه أيضا بحسنها لان هذا المعنى دلالة على كثرة حكمته اذ دفق حسنا جزيلا تقديره على أزهار حقيرة جدا لان ما الذى يكون أحقر من شئ يوجد اليوم وغدا لا يكون موجودا فان كان قد خول الحشيش حسنا ليس يحتاج اليه لان ماذا ينفع حسنه فى اغتذاء النار فكيف ما يعطيك أنت حسنا تحتاج اليه ان كان قد جمل أحقر كافة برأياه بزيادة فى الحسن وهذا العمل عمله ليس لحاجته اليها لكنه أبدع هذه الاشياء لتتباهى برأياه بها فأولى به وأليق أن يكرمك انت الاكرم من كافة برأياه بمحاسن تحتاج اليها واذ اراهم عناية الله ومراعاته الكثيرة وكان واجبا أن ينتهرهم استعمل ههنا فيما بعد أشفاقه عليهم فما شكا منهم زوال أمانتهم لكنه شكا نقص ايمانهم لانه قال ان كان الله يلبس حشيش الحقل الذى يوجد اليوم وفى الغد يطرح فى التنور حسنا على هذا المثال فأليق به كثيرا أن يلبسكم أنتم يا قليلى الايمان كذلك على أنه هو أبدع هذه البرايا كلها لان البرايا كلها به تكونت وبدونه لم يتكون منها ولا صنفا واحدا الا أنه مع ذلك لم يذكر البتة ذاته عاجلا لان يكفى الآن لايضاح أمره وسودده قوله فى كل وصية من وصاياه قد سمعتم أنه قد قيل للقدماء وأنا أقول لكم فلا تعجب اذا استر ذاته فى أقواله التى قالها بعد هذه أو اذا تكلم عن ذاته قولا ذليلا لانه الآن انما قد اجتهد فى غرض واحد وهو أن يجعل كلامه عندهم مقبولا بحيث يسارعون الى قبوله وان يريهم بأقواله كلها أنه ليس هو ضد الله لكنه موافق لابيه وان فهمهما واحد وهذا الغرض يعمله فى أقواله هذه لانه حين ألقى أقوالا كثيرة رتبه

فى وسطها ترتيبا متصلا بعجيب حكمه وعنايته واشفاقه على كافة براياه
واهتمامه بالصغار منها والكبار لانه لما ذكر أورشليم سماها مدينة الله
الملك العظيم وحين ذكر السماء سماها كرسى الله أيضا ولما فاوضهم
فى وصف سياسته فى الدنيا رفع اليه جلة السياسة عندما قال أنه يشرق
شمسه على الخبثاء والصالحين ويمطر على المقسطين والفاسقين وعلمهم فى
الصلاة أن يقولوا فان له الملك والقدرة والمجد فاذا خاطبهم الآن ههنا فى
وصف عنايته وأبان كيف هو فى أنواع الصغار من براياه صانعا فاضلا قال
انه يسر بل حشيش الحقل حسنا ومايسميه البتة اباه لكنه سماه أباهم
حتى يلذعهم بالتكريم ومتى قال أنه أبوه لا يغتاظون أيضا فان كان لا ينبغى
لنا أن نهتم بحوائجنا الساذجة الضرورية فأى عفو يستوجبه الذين يهتمون
بالاملاك الجزيلة قيمتها والاوجب أن نقول أى عفو ينالله ويوهل له
الذين لا ينامون حتى يسلبوا اماء لكه غيرهم فلاتهتموا أيضا قائلين ماذا
نأكل او ماذا نشرب أو ماذا نلبس فان هذه المطالب كلها انما تطلبها أمم
العالم أعرفت كيف ردعهم أيضا ردعا عظيما وبين لهم أنه ما أمرهم
أمرا ثقيلا ولا صعبا وكما أنه حين قال ان أحببتم الذين يحبونكم فما
عملتم عملا عظيما وذلك ان الاممين يعملون هذا العمل بعينه فانهضهم
من ذكر الاممين الى المذهب الاعظم فكذلك أحضر الآن الى وسط كلامه
أولئك الامم ليلذعهم بذلك ويريهم أنه يستنجز منا دينا لازما لانه ان كان يجب
علينا أن نظهر عدلا أكثر من عدل الكتاب والفريسيين فلاية مجازاة يوهل
الذين لم يزيدوا فى فضلهم على أولئك الفريسيين فقط لكنهم ثابتون
فى حقارة مذهب الاممين مماثلين صغر نفوسهم وشحهم وما وقف عند
هذا الزجر والانتهار لكنه لذعهم ههنا وانهضهم وخجلهم بكافة الافراط فى
ذلك وسلاهم من جهة اخرى بقوله لان اباكم السماوى قد عرف
انكم

انكم تحتاجون هذه الحوايج كلها وما قال قد عرف الله لكنه قال عرف
أبوكم حتى يقتادهم الى رجاء أعظم قدرا لانه ان كان أباهم وهو أب هذا
الاشفاق اشفاقه فلا يتغافل عن أبنائه اذا وقعوا فى بلايا وأصله
الى غايتها اذ ولا الناس اذا كانوا أباء يصبرون على هذا العارض وأورد
لهم مع هذا فكرا آخر وان سألت وما هو قلت هو قوله قد عرف أنكم
تحتاجون هذه الحوايج كلها فما يقوله هذا المعنى هو معناه ألعل هذه
المطالب فضلة زائدة حتى يحتقرها أذانه بالحشيش لا يتهاون ولا بالوانه
التى هى فضلة زائدة فهذه المطالب الآن هى لازمة ضرورية فمن هذه
الجهة حصل ما تتوهم أنه حجة لاهتمامك ذاك يوجد كافيا لنهيك عن هذا
الاهتمام لانك ان قلت اننى لهذا السبب ينبغى ان أهتم اذ حوايجى هذه
ضرورية لا بد منها أقول لك أنا ضد ذلك لاجل هذا الغرض بعينه لا تهتم اذ
هى ضرورية لانها لو كانت فضلة زائدة ولا على هذه الجهة ينبغى أن تيأس
بل يجب عليك أن تثق بأنه يجود عليك بها واذ مطالبك ضرورية فما يجب أن
ترتاب أيضا لان اذا كان أب بصير فكيف لا يخول ابناه حوايجهم
الضرورية فمن هذه الجهة يخولك اياها الله بلازم الضرورة لانه هو
خالق طبيعتنا وهو يعرف حاجتها أبلغ معرفة نعم ولا يجهلك أن
تقول هذا القول انه هو أبونا وما نطلبه منه هو ضرورى الا أنه ما يعرف اننا
محتاجين الى ذلك وذلك ان العارف طبيعتنا بعينها وهو مبدعها وقد
أبدعها ابداعا هذا حسنه فمن البين أنه يعرف حاجتها أكثر منك أنت
المحتاج اليها لانه قد ارتاى هذا الرأى وهو أن تكون طبيعتنا مضطرة الى
حاجتها أيضا وما تضاضده فيما يريده فقد مكنها فى الاضطرار الى احتياج
جزيل مبلغه وقد حسم أيضا عنها مع ذلك اعوازها من حاجتها وعما لا بد لها
منه فلا نهتمن اذا فلسنا نحوز باهتمامنا رزقا أكثر سوى اننا نضر ذواتنا

لانه اذا كان يخولنا حوايجنا ان اهتممنا وان لم نهتم فما هو الحظ الذى
يحصل لك من اهتمامك أكثر من أنك تعذب ذاتك تعذيبا زائدا لان
أحدنا عندما يعزم أن يمضى الى وليمة واسعة ألوانها ما يستجيز أن يهتم بطعام
ومن يمشى عند عين ماء ما يهتم بشرب فلا تمسكنوا أنتم ولا تهتموا
اقداما لكم عناية الله ومراعاته التى هى أوسع من كل عين وأكثر
من ولائم عظيمة كثيرة ولا تصغر نفوسكم فانه مع الاقوال التى قالها
قد وضع أيضا فكرا آخر فى الثقة بمواعيده هذه وأمثالها بقوله أطلبوا أولا
ملكوت السموات وهذه المطالب كلها تزدادونها الا انه لما أراح انفسنا من الاهتمام
ذكر بعد ذلك السموات لانه جاء يحل الفرائض العتيقة ويدعونا الى وطن
أعظم من هذا محلا فلهذا الغرض يعمل ما يستعطفنا حتى يخلصنا من الهموم
الزائدة ومن تأسفنا على الارض بهذا السبب ذكر الاممين عند قوله هذه
المطالب انما يطلبها أمم الدنيا الذين لهم فى هذه الدنيا التعب كله وليس لهم
ولا همة واحدة بالنعم المأمولة وليس لهم افتكار السماويين وأنتم فليس
هذه المطالب هى المرتبة لكم لكن نعم غيرها لاننا لسنا لهذه الغاية
خلقنا لكى نأكل ونشرب ونلبس لكننا انما خلقنا لنرضى الهنا ونمتلك
نعمه الصالحة المأمولة وكما ان هذه المطالب فى الحرص عليها جعل غير مهم
كذلك فلتكن هذه فى توسلنا جعلا غير مهم فلهذا المعنى قال أطلبوا ملكوت
السموات وستزدادون هذه الحوايج كلها وما قال ستعطونها لكنه قال
ستزدادونها لكى تعلم ان هذه الحوايج الحاضرة ليست بالنسبة للنعم التى يعطينا
اياها شيأ بالاضافة الى نعمته المأمولة ولهذا السبب لم يأمرنا ولا بالتماسها منه
لكنه أمرنا ان نطالب ونطلب مطالبا أخرى غيرها وان نثق انه سيزيدنا هذه
الحوايج مع تلك المطالب توسل اليه اذا فى النعم المأمولة وستأخذ هذه النعم
الحاضرة ولا تطلبن الاشياء الملحوظة فستأخذها بلازم الاضطرار لان

تقدمك الى سيدك مبتهلا فى هذه الحوائج وأمثالها لايليق بك لانك
أنت الذى يجب عليك ان تبذل كافة حرصك واهتمامك فى ابتغاء تلك النعم
الصالحة التى تفوت الوصف تخزى ذاتك جدا اذا أضنيت ذاتك بشهوة
الاشياء الزائلة ولعلك تقول كيف تقول هذا القول أفما قد أمرنا ان
ان يمنحنا خبزنا فأقول لك الا انه استثنى بقوله الملائم جوهرنا وأضاف الى هذا
أيضا أعطينا اياه اليوم وهذا العمل يعمله ههنا لانه ما قال اهتموا لكنه قال
لاتهتموا من أجل الغد واهبا النامع ذلك الحرية ممكنا انفسنا فى المطالب التى
هى ألزم ضرورة من غيرها لانه لهذا السبب أمرنا ان تطلب منه تلك المطالب
ولم يأمر بذلك لان الله لايحتاج منا الى أذكارنا لكنه أوعز بذلك لتعلم
ان بمعونته يصلح ما نصلحه ولكى نختص به بتوسلنا المتصل اليه فى هذه المطالب
أرأيت كيف حقق عندنا ههنا انناسنأخذ حوائجنا الحاضرة على كل حال
لان الذى يهب ما هو أعظم قدرا يليق به كثيرا ان يعطى ما هو انقص محلا لانه
قال ليس لهذا الغرض قلت لكم لاتهتموا ولاتتوسلوا حتى تشقوا وتجولوا
عراة لكننى قلت لكم ذلك لتكونوا فى سعة من هذه الحوائج قد زال
البخل عنها وهذا كان كافيا أكثر من كل شئ لاجتذابهم وكمثلهم فى فعل
الصدقة عن اظهارها للناس وحقق لهم هذا المكثر من كل شئ بوعده اياهم
انه يهب لهم هنالك هذا بتفضيل كثير لانه قال ان أباك الناظر الى عملك
المستور يقضيك الجزاء فى الحين المشهور وكذلك اجتذبهم ههنا من لايستميحوه
وحقق عندهم هذا الغرض اكثر من كل شئ واعدا اياهم انه يهب للذين
لايستميحونه ما يحتاجونه بزيادة كثيرة لانه قال لهذا الغرض أمرك
الا تطلب حوائجك هذه ليس حتى لاتأخذها لكننى أمرك الا تطلبها
لتأخذها أخذا واسعا جزيلا حتى تأخذها بشكل لائق بك بموافقة تلائمك
حتى لاتهتم ولاتتمزق باهتمامك بها فتجعل ذاتك من غير أهل

لهذه الحوائج وللنعم الروحية لكيلا تقاسي شقاء زائدا وتجنب أيضا مما تعتمده فلا تهتموا اذا من أجل الغد لان يومك يكفيك شره ومعنى هذا يكفيك الشقاء فيه والتطحن اما يكفيك انك بعرق جبينك تأكل خبزك فما بالك تضيف الى ذلك شقاء أكثر باهتمامك عند تأملك ان تطاق فيما بعد من اتعابك الاولى وذكره هنا اسوء اليوم وما أراد به خبثه لا كان ذلك البتة لكنه أراد باسوء الشقاء والتعب والنوائب على ما ذكر في موضع آخر ان كان يوجد في مدينة سوء ما صنعه الرب وما عنى بذلك فوادح الخطف والتغطرس ولا صنفا آخر من هذه الاصناف وأمثالها لكنه اعتمد به الآفات الاتية من العلو وقد قال أيضا أنا صانع السلامة وخالق الاسواء فما ذكره هنا الخبث والشر لكنه عنى المجاعات والاوبية المظنونة عند أناس كثيرين انها اسواء لان لا كثر الناس عادة أن يسموا هذه العوارض اسواء وعلى هذا المعنى كان كهنة أولئك الخمسة الامراء وحادثهم حين قربوا البقرتين لتابوت العهد وأطلقوهما تمشيان بدون عجولها يسمون تلك الافات المتقاطرة من الله اليهم والوجع والغم المتكون لهم منها اسواء وهذا المعنى قد أوضحه ههنا فلا يكفي يومك شره لان ليس عارضا ينكي على هذا المثال نفسا مثلما ينكيها اهتمامها وتخليها وعلى هذا المأخذ أخذ بولس الرسول في اقتياده الناس الى البتولية فاشار لها قائلا أريدكم ان تكونوا فاقدين الاهتمام واذ قال ان الغد يهتم بحال ذاته فما قال هذا القول ليوضح به ان اليوم يهتم بل اذ كان كلامه موجها نحو جمع خائبا من التمام حين شاء ان يجعل ما يخاطبهم به أوضح بيانا خاطبهم على حسب عادة أكثرهم في التصنع لزمانهم وفي هذا الغرض يشير عليهم ويشترع هذا الافتراض اذا معن فيه قائلا لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا مخلات لطريقكم لانه اذا كان قد أظهر بافعاله هذه الفرائض أورد بعد ذلك اشتراعه بألفاظ أخرى أقوى

حتى

حتى صار كلامه مقبولا باسراع اذ حققه أولا بافعاله ولسائل ان يسأل كيف أظهر اشتراعه بافعاله فنجيبه أسمعه قائلا وابن الانسان فليس له موضع يسند اليه رأسه ولم يكتف بهذا القول وحده لكنه يفيدهم بتلاميذه البرهان عن أقواله اذ شكلهم على هذه الصورة وماترك ولا واحد يحمل شيأ وتأمل أشفاقه كيف يتجاوز تودد كل أب لانه قال هذا الايعاز انا أمركم ليس باناس آخرين لكن استخلصكم من اهتماماتكم الزائدة لانك ان اهتممت اليوم من أجل الغد ستهتم غدا أيضا فان قلت ومامعنى الاهتمام الزائد قلت لك مابالك تضطر اليوم ان تقبل أكثر من الشقاء الذي يخصه وتزيده مع اتعابه وقر اليوم الثاني ومانتوقع على هذه الجهة ان يخفف من الزيادة الحاصلة فيه صنفا يخفف من هم اليوم الآخر بل انما تظهر من اتعابك الزائدة تكاثر قنيتك فقط ولكي يلذعهم أعظم لذعا قارب أن يجعل الزمان ذا نفس ويحمره احصارا مظلوما مستغيثا منهم من أجل الاذية الزائدة لانك أخذت اليوم لتهتم بهمومه فلم تضف اليه هموم اليوم الاخر أتراه ما يقلك اهتمامه وقرا كافيا فما بالك تثقله تثقيلا عظيما

العظـــــــــــــــــــــة

فاذا كان المشترع أراد ان يحكم علينا او يقول هذه الاقوال فنفهم كيف يبسط لنا أمالا صالحة اذ كان هو شهد ان عيشنا هذا شقيا متعبا حتى ان اهتمام يوم واحد يجزي ان يضوينا او يطحننا ولكن مع انني قد قلت أقوالا هذا مبلغها وتقديرها وعظمها مع ذلك نهتم من أجل هذه الحوايج ومانهتم أيضا لاجل النعم التي في السموات لكننا قد قلبنا الترتيب محاربين من كافة الجهات ما قد قيل لنا تفطن أنه قد قال عز قوله لا تطلبوا الاشياء الحاضرة البتة ونحن نطلب هذه الاشياء دائما قال اطلبوا الحظوظ السماوية ونحن ما نطلب تلك ولا

ساعة واحدة لكننا بمقدار اظهار اهتمامنا بالاشياء العالمية بمقداره نتضجر من المحامد السماوية وأليق ما يقال اننا نتضجر منها أكثر من هذا المقدار كثيرا الا أن هذه الافعال ماتتسع لنا دائما ولا تجوز لنا أبدا واعتقد اننا نتهاون بخلاصنا عشرة أيام أوعشرين يوما أو مائة يوم أفلا يلزمنا على كل حال اضطرارا أن نمضى من هذه الدنيا وان نقع فى أيدى القاضى ولعلك تقول الا أن التباطى يحوى سلوا فأقول لك وأى سلو هذا ان ننتظر كل يوم عقابا وتعذيبا لانك ان شئت أن تستمد من هذا التأخير والانتظار سلوا نافعا فاستمد اصطلاحك من توبتك ولئن كنت تحسب تأخير العقوبة أنه راحة نافعة فربح أفضل من ذلك كثيرا الا تسقط فى عقوبة فسبيلنا أن نستعمل هذا التمهل علينا فى تخلصنا بالجملة من شدائد العذاب الراتبة فانه لا يوجد صنف من أوامر ربنا ثقيلا ولا صعبا لكن أوامره كلها على هذا المثال سهلة متيسرة حتى اننا اذا أوردنا نية خالصة فقط نقتدر أن نتممها كلها ولو كنا مطالبين بجرائم كثيرة وبيان ذلك أن منسى الملك كان قد تجاسر على ادناس تفوت الاحصاء لانه مد يديه على القديسين وأدخل الى الهيكل آلات الاصنام وملا المدينة من صنوف القتل واجترم جرائم غير هذه كثيرة أعظم من العفو عنها لكن مع هذا الحال بعد تجاوزه الشريعة الجزيل تقديره العظيم مبلغه اغتسل من ذنوبه تلك كلها وان سألت كيف وبأى حال أجبتك أنه تنظف من ادناسه بتوبته وعزمه لانه لا يوجد ولا تكون خطية واحدة لا تخضع وتنعرج لقوة التوبة وأليق ما يقال لا توجد خطية ما تخضع لنعمة الله لاننا متى انتقلنا فقط عن خطايانا نحوزه مقترنا بعزمنا وان شئت أن تصير جيدا فلا يوجد مانع يمنعك وأليق ما يقال أنه قد يوجد من يمنعك وهو ابليس المحتال الا أنه لا يقدر عليك اذا اخترت الاعمال الفاضلة واجتذبت الله بها الى اسعافك واذا لم

تشاء

تشاء أنت ذلك لكنك تطفر موليا عنه فكيف تعضدك لانه ما يشاء أن يخاصك باضطرار وغصب لكنه يشاء استخلاصك طائعا فاذا كنت أنت تملك عبدا ماقتا اياك مرتجعا عنك نافرا منك هاربا متصلا ماتختار أن تضبطه ولو كنت محتاجا الى خدمته فالله المسدى اليك كل ايسار ليس لحاجته اليك لكن لاجل خلاصك أولا كثيرا الا أنه يختار أن يضبطك على سبيل القصر والغصب كما انك اذا أظهرت اجتنابك ونيتك فقط ماتختار أن تهلك فى وقت من أوقاتك ولو عمل ابليس المحتال أى عمل كان فى اخداعك فنحن هذه الجهة نحن علة هلاكنا لاننا ما نتقدم لديه ولا نتضرع اليه ولا نتوسل على ماينبغى لكننا وان تقدمنا نعمل هذا العمل فكلما نعمله ليس حالنا فيه حال من يجب له أن يأخذ مطلوبه ولا يحصر لديه بامانة لائقة ولا شكلنا شكل مستميحين بل انما نتقدم لديه مرتابين مضجعين على ان الله يشاء أن نتوسل اليه ويحصل لك من هذا التوسل منفعة جزيلة لان هذا الغريم الجليل وحده اذا طالبناه يعتد مطالبتنا منة ويعطينا مالم نقرضه اياه اذا بصر من يطالبه شديد الاحتياج متلهفا يعطيه مالم يأخذه منه واذا ابصره يتوسل توسل العاجزين يتباطى هو أيضا ويدفعه ليس لاجل أنه لم يشاء أن يعطيه لكن لاجل انه يستلذ من مطالبتنا اياه ولهذا الغرض ذكر لك مثل ذلك الصديق الذى ذهب فى الليل وطلب خبزا ومثل القاضى الذى لم يكن خائفا من الله ولا مستحييا من الناس وما وقف عند هذين المثلين فقط لكنه أوضح ذلك من الافعال باعيانها حين صرف تلك المرأة التى من بلد الغور بعد ان أشبعها من موهبته العظمى لانه بتلك المرأة أوضح انه يعطى الذين يطالبونه أشد مطالبة مالا يجب لهم عليه لانه قال جل قوله ليس عملا محمودا أن يؤخذ خبز البنين ويعطى للكلاب الا أنه مع ذلك أعطاها اياه اذ استماحته استماحة شديدة وبين لليهود انه ما يعطى المتوانيين ولا ما يجب لهم

مع ان أولئك اليهود ما أخذوا شيأ لكنهم أضاعوا ما كان واجبالهم أولئك
اذلم يستحيوه ما أخذوا ولاما كان واجبالهم وتلك الكاينة لانها استماحته
استماحة شديدة اقتدرت أن تنتصر من الجن الغرباء وأخذت مراهب
الاولاد فلالحاح على الله فعل صالح جزيل صلاحه لانك ان كنت كلما
فستفضل بحاجتك ومثابرتك على الولد المتوانى لان مالم توصل اليه الصداقة
وصلت اليه المثابرة أسرع ايصالا فلا تقولن اذا ان الله هو عدوى وما يسمعنى
فسيجاوبك فى الحين عندالحاحك عليه فى السؤل الحاحا متصلا ان تقدمت
ليس لاجل انك صديقه لكن لاجل الحاحك فى التوسل اليه فلاعداوتك
ولااغتياض الوقت ولاعائق غيرذلك يصيرمانعالك ولاتقول لست
مستحقا واست أصلى فان تلك التى كانت من بلد الغور قد كانت هذا الحال
حالها لاتقل انى قد اجترمت خطايا كثيرة ولاأقدر أن أتوسل الى
من قد أغظته فان الله ما يتصفح رتبة المتوسل اليه لكنه انما يتأمل عزمه
لان الارملة ان كانت أحنت القاضى الذى لم يكن خائفا من الله ولامن
الناس مستحيا فالتضرع المتصل يستجذب الصالح اكثراستجذابا فمن هذه
الجهة ولو كنت لست صديقا ولوانك تطلب مالايجب لك ولو كنت مبذرا
مالابيك متزحاعن وجهه زمانا طويلا ولو كنت مهانا ولو كنت آخر كل
الناس ولو تقدمت الى من قد اغظته وأغضبته شاء فقط أن تصلى مبتهلا
وان تعود اليه فتأخذ كلما تطلبه وتخمد فى الحين غيظه وحكمه عليك
ولعلك تقول فها انذا أصلى ولم يحصل لى شئ أكثر فأقول لك لانك ما تبتهل
كابتهال أولئك مثل المرأة التى من بلد الغور ومثل الصديق الذى أتى الى
صديقه فى غير وقت الطلب والارملة الملحة على القاضى الحاحا متصلا والابن
المفنى مالابيه لانك لوابتهلت هذا الابتهال لوصلت الى مطلوبك سريعا لانه
ان كان شتم فهو أبوك وان أغيظ فهو ودلابنائه وانما يطلب شيأ واحدا
وما

وما يتنصر اشتائم ناننه لكنه يطلب أن يراك متندما مستغيثا به فياليت نحن
استجزنا على هذا النحو من التمثيل على نحو جوانح تحننه فنذ نهوضها الى
حبنا الآن هذه النار انما تبتغى حجة واحدة فقط فان خوالتها شرارة يسيرة
متضطرم لهيب احسانه كاملا لانه ما يخنق عليك اذ قد شتمته لكنه يغتاظ
اذا كنت أنت الشتوم منحلا مسترخيا ولئن كنا نحن الموجودون خبثا اذا
شتمنا أبناؤنا نتوجع لاجلهم فأولى بذلك كثيرا الهنا الذى ما يمكن ان يشتم
أن يغتاظ من أجلك المشتوم أن كنا نحب نحن بالطبع فالاليق بالودود فوق
الطبع أن يحب كثيرا لانه قال ان نسيت امرأة بنى جوفها الا انى أنا لست
أنساك فسبيلنا أن نقترب اليه ونقول نعم يارب والكلاب تأكل من الفتات
المتساقط من موائد أربابها فسبيلنا أن نقترب اليه دائما فى وقت يناسب
ذلك وفى وقت ينافره وأوجب ما يقال انه لا يوجد وقت من الاوقات يمنع
تقدمنا اليه لان وقتنا مذموما اذ لم نتقدم اليه دائما لان المشتهى أن يعطى
فسؤاله فى كل وقت محمود وكما ان تنفسنا ليس يبطل فى وقت من الاوقات
فكذلك ينبغى أن يكون سؤالنا اياه لا يبطل أصلا لكن الوقت الذى ينافى سؤالنا
انما هو اذا لم نسأله وعلى حسب ما نحتاج الى تنفسنا هذا فكذلك نحتاج الى
المعونة منه ان شئنا ان يجتذبنا اليه بسهولة وهذا الغرض قد أوضحه النبى
وأرانا الخاصة المسومة من احسانه وقال سنجده بمنزلة دجلة معدة لاننا كلما
اقتربنا منه نبصره منتظرا الوسائل الصادرة اليه منا فان كنا لا نقتنى
صنعا من فضيلته النافعة فالذنب كله علينا لانه قد شكى من اليهود هذا
التضجيع وقال و رحمتى كسحاب صباحى يمر ويجى مثل نداء سحرى والذى
يقوله فهذا المعنى هو معناه انا قد بذلت كلما يستخدمنى وأنتم فمثلكم
مثل شمس حارة تدفع بورودها السحاب والنداء وتبترهما فكذلك
أنتم قد جزتم بكثرة خبثكم لا نستحق لانه اذا ادعرنا مرهبتى المتعذر وصفها

وهذا الفعل أيضا هو من خبثكم نوال نعمة منع عنا احساناته لكيلا يجعلنا مضجعين فاذا انتقلنا قليلا بمقدار ما نعرف اننا قد أخطأنا يفيض علينا نعمه أكثر من فيض العيون منه دفقة أكثر من تدفق اللجة وبمقدار ما نأخذ منها أكثر بمقدار ذلك يفرح هو بذلك كثيرا وتنهضه أيضا على هذه الجهة ان يعطيك أكثر مما أخذت لانه يحتسب خلاصنا وتخويله الذين يسألونه موهبة واسعة وثروة تخصه وهذا الغرض فقد أوضحه بولس الرسول وقال انه مستغن في الكل وفي جميع المستغيثين به لانه اذا لم نسأله حينئذ يغتاظ علينا واذا لم نستميحه حينئذ يرتجع عنا لهذا السبب تمسكن ليجعلنا أغنياء لهذا الغرض فاسى تلك العوارض كلها ليدعونا الى مسامحته فلا بأس اذا لكن اذ قد امتلكنا أسباب خلاصنا اجز بلا تقديرها ولا صالحة ولو أخطأنا كل يوم فلنتقدم لديه متوسلين متضرعين مستميحين صفحا لجرائمنا فاننا على هذه الطريقة نكون أوفر عجزا عن الاخطاء ونطرد ابليس المحتال عنا ونستدعي الينا تعطف الهنا ونرزق النعم الصالحة المأمولة بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي يليق للاب معه والروح القدس المجد الى أباد الدهور آمين

المقالة الثالثة والعشرون

لا تدينوا فما تدانوا

قد يقول قائل فما الرأى اذا عنده أفما نحتاج ان نشكو الذين يخطئون فنقول ان بولس الرسول قد قال هذا القول بعينه وأليق ما يقال ان المسيح يقوله هنالك بلسان بولس ما بالك تدين أنت أخاك ومارأيك في ان تزدرى أخاك وأنت من أنت يا من تحكم على عبد ليس لك وقال أيضا فيجب من

ذلك ألا تحكم قبل وقت القضاء حكما الى ان يجيء ربنا ولعلك تقول فكيف
قال في غير هذا الموضع وبخهم وانتهرهم لاطفهم وبخ الذين يخطئون لدى
جميع الحاضرين وقد قال المسيح لبطرس اذهب عاتبه فيما بينك وبينه
وحده فان كان يخالفك فارفق معك آخر فان لم يخنع اليك على هذا الحال
فأخبر الجماعة بما قد جرى لكما ولا تحضر اليه الذين يعاتبونه فقط لكن
احضر معهم أقواما اخر بلا عددهم يوبخونه و يقرعونه لانه قال فان لم
يسمع من واحد من هؤلاء فهو أممي وعشار وكيف أعطى تلاميذه هذه
المفاتيح لانهم ان كانوا ماينوقعون ان يحكموا على أحد فيكونون دون
جميع الناس ليس لهم سلطان وانما أخذوا السلطان على العقد والحل باطلا
وعلى معنى آخر ان استظهر هذا الرأى سيهلك أحوالنا كلها وتنتقض
الفرائض التي في الكنائس والتي في المدن والتي في المنازل لانه اذ لم يحكم
السيد على عبده والسيدة على جاريتها والاب على ابنه والصديق على
صديقه واذا لم نحكم على أعدائنا فما نقدر في وقت من الزمان ان ننقض
عداوتهم لكن تصير أحوالنا كلها ما فوق أسفل فما هو معنى ما قد قيل
فينبغي ان نصغي بابلغ الاستقصاء في البحث لكيلا يظن أحد ان أدوية
خلاصنا وشرائع سلامتنا انها شرائع تقلب العزم وتغيير اختلاط ولاسيما
اذ قد ينهى العقلاء باقواله الآتية بعد هذه عند وصفه فضيلة هذه الشريعة
فقال ما بالك تبصر القذى الذى في عين أخيك وما تتأمل الخشبة التي
في عينك فان عرف ما قد قلناه عند كثيرين من الاكثرين وكان عند
غيرهم أغمض بيانا فساشرع في حل ذلك من أعلى المعنى لانه على حسب
ظني ليس يامره هنا على بسيط ذات الامر الا يحكم على الخطايا كلها ولا يمنع
على بسيط ذات المنع من مراس هذا الحكم لكنه انما منع من ذلك المملوين
من اعمال ردية كثيرة ويسخرون باناس آخرين من أجل زلات حقيرة

وعلى ما يلوح لى انه يومى ههنا الى اليهود لانهم كانوا تلابين لقريبهم مستمرين بسبب زلات يسيرة حقيرة وكانوا هم يخطيئون الخطايا العظيمة وقد عدموا احساسهم بها وعند غاية تدبيره قد عيرهم وقال انكم قد حزمتم أحمالا ثقالا مستصعبا حملها وما قد شئتم أنتم باصبعكم ان تحركوها وقد عشرتم لعمري النعناع والشبث والكمون وأهملتم أثقل فرائض الشريعة وهى الانصاف والرحمة والامانة وأظنه مع تعريفه اياهم قد تقدم فصدهم عن الاوهام التى أزمعوا أن يثلبوا تلاميذه بها لان أولئك التلاميذ ان كانوا ما قترفوا خطاها هذا ان كثيره الا انهم مع ذلك قد ظنت أفعالهم عند اليهود انها ذنوب كقولك انهم ما كانوا يحفظون السبت انهم كانوا ياكلون بايد غير مغسولة انهم كانوا يتكيئون مع العشارين وقد قال لهم فى موضع غير هذا انهم يصفون البقة ويبتلعون الجمل ومع ذلك فقد وضع فى هذه الافعال الشريعة مشاعة بولس الرسول مما أمر أهل مدينة قرنثية الا يحكموا على بسيط ذات الحكم لكنه أمرهم الا يحكموا على الذين هم أعلى منزلة منهم وأن يحكموا بحجة معترف بصحتها ولكن الرسول ما تلافى المخطيئين على بسيط ذات التلافى ولا عاتب كل من تلمذه حينئذ معاتبة خالية من حقها وحدها لكنه منع التلاميذ عن أن يعملوا هذا العمل بعلمهم وحجز الطالبين باعمال كثيرة منكرة عن أن يقرفوا الابرياء من تبعات الهفوات وهذا الغرض قد أضمر بيانه المسيح آلهنا ههنا وما أضمر بيانه على بسيط ذات اضماره لكنه أحضر مع ذلك الخوف جزيلا والتعذيب عليه قد سلب الاعفاء منه لانه قال باية حكومة حكمتم سيحكم عليكم وبالكيل الذى تكيلون به يكال لكم لانه قال انك ما توجب الحكم على ذاك لكنك توجبه على نفسك وتجعل مجلس القضاء عليك أوفر خيفة وتصيره وباثك فى غاية الاستقصاء وكما أن المبادى منا فى الصفح عن خطايانا فكذلك قد وضعت

مقادير ايجاب الحكم علينا فهكذا الحكم منا لانه ماينبغى لنا أن نعير أحدا
ولا نسخر به لكن سبيلنا أن ننبهه ونعاتبه ولا نتشفى فيه قولا بل نشير
عليه ولا نوضع عليه بتجبر بل نتلافاه بتودد لانك اذا لم تشفق عليه فقد
دفعت ذاتك ليس ذاك الى عقوبة وأصله الى غايتها حتى تحتاج أن تحاسب
عن هفواتك التى اجترمتها اليه أعرفت كيف ان هذين الوصيتين حقيقيتان
وعلتان لخيرات عظيمة للذين يطيعونها على حذو ما يصيران سببا لمكاره
شديدة للذين لا يصغون اليها لانك حين تصفح لقريبك فقد خلصت
ذاتك قبل خلاصك ذلك من زلاته وما قد عاينت تعبا عند استعفاصك
باشفاق وعفو ما اجترم اليك باناس اخرين فقد تقدمت فخزنت لذاتك من
قضيتك هذه بخفة العفو عنك جزيلا تقديرها ويوشك أن يقول لنا قائل فما
رأيك ان زنى قريبى أفما أقول له ان الزناء ردى وازلا فى الفاسق وأصلحه
فاقول له نعم فقف خلفه وأردعه لكن لا يكن فعلك فعل محارب له ولا
تعاقبه كانه عدوك لكن اخترع له كاختراع الطبيب أدوية لانه ما قال
لا تكفف اذا اخطا لكنه قال لا تحكم ومعنى هذا هو لا تصيرن قاضيا
مستمرا وعلى نحو آخر هذا القول ما قيل على ماذكرت سالفا فى خطايا عظيمة
محظورة ولكنه قيل فى هفوات لا يظن انها ذنوب ولذلك قال ما بالك تبصر
القذى الذى فى عين أخيك ولا تفطن بالخشبة التى فى عينك أو كيف
تقول لاخيك دعنى أخرج القذى من عينك وها أن الخشبة فى عينك على
ان كثيرين الان يعملون هذا العمل متى رأوا راهبا يلبس ثوبا زائدا يقدمون
له شريعة سيدنا وهم يختلسون اموالا كثيرة ويستكثرون من القنية كل
يوم واذا بصروه متمتعا بطعام واسع عن حاجته يصيرون ثلابين مستمرين
وهم كل يوم يسكرون وترتعش من كثرة الخمر رؤسهم وما يعرفون انهم
يجمعون من هذه الجهة النار لذواتهم أعظم فعلا من خطاياهم ويعدمون

ذواتهم كل اعتذار والدليل على أنه يجب أن يستفحص جرائمك بابلغ
الاستقصاء تبين لك من انك أنت أولا وضعت هذه الشريعة اذا حكمت
هذا الحكم على رفقائك فلا تظن هذه الشريعة ثقيلة ان كنت أنت
تتوقع أن تطالب بجنايات هذا الضنك ضنكها أيها المرائى أخرج الخشبة
أولا من عينك وحينئذ تنظر أن تخرج القذى من عين أخيك في هذا اللفظ
مريدا أن يوضح غيظه الكثير الذى عنده على الذين يعملون هذه الاعمال
وأمثالها لانه فى الموضع الذى يشاء أن يبين أن الخطاء عظيم وأن العذاب
عليه والغيظ كثير يبتدى من السب على نحو ما اغتاظ على ذلك العبد
الذى طالب رفيقه بمائة دينار وقال له يا أيها العبد الخبيث ذاك الذى كله تركته
لك فكذلك فعل ههنا اذ قال أيها المرائى لان القضية التى هذا معناها
ليست من اشفاق لكنها من مقت الناس يقدم تظاهرها بالتعطف على
الناس و يتم فعل خبثه فى غايته مطرقا تعبيرات زائدة وزلات على رفقائه
مختلسا رتبة معلم وليس هو موهلا أن يكون تلميذا فلهذا المعنى سماه مرائيا
لانك اذ قد حصلت فى زلات غيرك على هذه المشابهة مستمرا حتى انك تبصر
صغارها كيف قد صرت عن ذنوبك على هذه المقايسة متوانيا حتى انك تتغافل
عن كبارها وتتجاوزها أخرج أولا الخشبة من عينك أعرفت انه مايمنعك أن
تحكم لكنه يامرك أولا باخراج الخشبة من عينك وبعد ذلك تتلافى زلات غيرك
لان الواحد منا قد عرف زلاته أكثر مما يعرف ذنوب آخرين غيره ويبصر
الذنوب الكبار أكثر مما يبصر الزلات الصغار ويحب ذاته أكثر مما يحب
قريبه فمن هذه الجهة ان كنت تعمل هذا العمل مهتما بقريبك فاهتم
أولا بذاتك فمن البين انك تحكم على قريبك ليس مهتما به بل ماقتا مريدا
أن تشهره لانك ان كان يجب أن تحكم عليه فيجب أن تحكم على من يجترم مثل
هذا الخطأ ولا تحكم أنت عليه لانه اذ وضح أوأمرنا لفلسفة عظيمة عالية

فلكيلا

فلكيلا يقول قائل أن التفلسف فى هذه الاوامر وأمثالها بالاقوال سهل فلا نشاره انه يرى دالته وانه ليس مطالبا بمخالفة صنف واحد من الفرائض التى افترضها لكنه قد احكمها كلها فال هذا المثل لانه قد عزم هو أن يحكم عليهم بعد ذلك عند قوله الويل لكم أيها الكتاب والفريسيين المرائيين الا انه ما كان مطالبا بتجاوزه الاقوال التى قالها الا أنه ما أخرج القذى ولا حاز خشبا فى عينه لكنه كان نقيا من هذه العيوب كلها وعلى هذه الطريقة تلافى عيوب جماعتنا لانه قال انه ما يجب أن يحكم على اناس آخرين من يكون هو مطالبا بجنايات هم غير عامثالهم بديون كديونهم وما استعجابك ان كان هو افترض هذه الشريعة اذ اللص عرفه على الصليب عندما قال اللص الآخر أما تخاف أنت الله اننا نحن فى عقوبة واحدة بعينها بعدل جوزينا كما نستحق وقال للمسيح هواجس فهمه هذه باعيانها وأنت لعمرى لم تخرج فقط الخشب من عينك لكنك مع ذلك لم تبصره والقذى الذى فى عين أخيك لم تراه فقط لكنك مع ذلك تحكم عليه وتتعاطى أن تخرجها ومثالك مثال مضنوك بداء الاستسقاء الصعب أو سقم غيره يتعذر شفاؤه فيتوانى فيه ويشكو من يتوانى فيه نفخة يسيرة قد عرضت له ولئن كان عارضا رديا أن لا يبصر أحدنا خطاياه فان حكمه على اناس آخرين عارض ردى رداءته مضاعفة وزادت ثلاثة أضعاف وهم حاملون الجسور فى عيونهم جائلين بدون توجع منها لان الخطية أثقل من الجسر فالامر الذى أوعز به بهذه الاقوال التى قالها هذا هو ان من يكون مطالبا باعمال كثيرة ردية ولا يكونن قاسيا مستمرا على الذين يذنبون الى غيرهم ولاسيما اذا كانت ذنوبهم صغارا وليس يمنع بها توبيخ المخطى ولا تثقيفه واصلاحه لكنه يمنع بها أن يتوانى أحدهما فى خطاياه وأن ينظر الى ذنوب رفقته الغريبة منه لانه اذ عمل هذا العمل يتمادى فيه الى رذيلة

عظيمة ويبلغ الى خبث مضاعف لان من قد ألف أن يتوانى فى خطاياه
وتكون عظيمة وأن يفحص فحصا مستمرا على ذنوب اناس آخرين وتكون
صغارا حقيرة فذا نفسد انفسادا مضاعفا بتهاونه عن خطاياه وباقتباله
عداوات ومشاحنات لجميع الذين يحكم عليهم وبارتياضه كل يوم فى زوال
التحنن وفى أقصى غاية القساوة ولما بطل هذه الافعال كلها بهذا الاشتراع
المجيد استثنى أيضا وصية أخرى قائلا لا تعطوا الالفاظ القدسية للكلاب
ولا تلقوا درركم لدى الخنازير ليلا تدوسها بارجلها وترجع فتمزقكم على
انه قد قال عندما معانه فى تعليمه وأمرنا مستمرا بانذاركم نادوا به على
الاسطح الا أن هذا القول ليس هو ضدا للاول لانه ما أوعز هنالك
على بسيط ذات الايعاز ان نقول أقواله لكل الناس لكنه أمرنا ان نقولها لمن
يجب أن تقال له نقولها له بمجاهرة والكلاب ههنا عنى بهم العائشين فى الحاد
فاقد شفاؤه وما علة تكون أمل انتقال الى الاعتقاد الافضل والخنازير
قد عنى بهم السالكين كل حين فى عيشة فاسقة وقال انهم غير موهلين
لسماع هذا المحل محله وهذا المعنى قد أوضحه بولس الرسول وقال الانسان
النفسانى لا يقبل أقوال الروح لانها عنده حماقة وقد ذكر فى معان
كثيرة فى غير هذا الموضع ان فضل العيشة علة لاجتناب قبول أوامره التى هى أتم
من غيرها ولذلك أمرنا الا نفتح لهم الابواب لانهم بعد تعلمهم يصيرون أجسر من
غيرهم لان الاوامر التامة تستبين شريعة جليلة عند الصحيح عزمهم الكثير
عقلهم اذا كشفت لهم واذا كشفت للفاقدين حسهم يأوا كثرا اذ جهلوها اذ
لا يقدرون ان يتاملوها من طبيعتهم ويتعلموها فلو صار ان يوفروها من تلقاء
جهلهم اياها لان الخنزير لا يعرف ما هى اللؤلؤة فلا يبصرها اذ لا يعرفها
امثلا يعلى الجواهر التى لا يعرفها لانه لا يكون ربحا للذين يسمعون انما يكون
لهم لاضررا أعظم لانهم يعيبون الالفاظ القدسية اذ لا يعرفون ما هى ويترفعون

علينا

علينا ويتدرعون سلاحهم كثيرا الان هذا هو معنى حتى لا يطأوها ويلتفتون
فيشقونكم ولعل قائل يقول فلا عجب اذا أن تكون أقواله قوية على هذا
المثال حتى انها تبقى بعد تعلمها محتجزا صط باده معانيها ولا تسبب لاقوام أخرين
هجها لكن كون أولئك خنازير تسيها كما ان اللؤلؤة اذا وطئت اذ هى تيسر
التهاون بها لكنها انما وطئت اذ سقطت عند خنازير وعلى صائب القول قال
تلتفت فتشقكم لان هؤلاء يتظاهرون بالوداعة ان يتعلموا وبعد ان يتعلموا
يصيرون اناسا آخرين عوض آخرين مستهزئين ساخرين يتضاحكون علينا كاننا
مخدوعون ولهذا المعنى قال بولس الرسول لتيموثاوس احترس أنت منه فانه
قد قاوم أقوالنا جدا وقال أيضا فى موضع آخر ادفع الذين هذا الحال حالهم
وأبعدهم والانسان المبتدع بدعة فى الدين بعد ان تعظه عظة أولا وثانيا
استعف منه فتلك الاقوال ما تفيدهم سلاحا لكنهم هم يصيرون بها عادمى الفهم
مملوئين تحيرا كثيرا ولهذا الغرض وليس بربح يسير ان يلبث هؤلاء فى جهلهم
لانهم يتهاونون بها هذا التهاون فاذا تعلموها وعرفوها صارت خسارتهم مضاعفة
لانهم هم لا يستمدون من هذه الجهة ربحا لكنهم ينضرون أعظم ضررا
ويحدوك أنت أشغالا كثيرة فليسمع الذين يتلفون كلما يصادفونه بدون خجل
ويجعلون الالفاظ الشريفة يتيسر التهاون بها لاننا لهذا الغرض نغلق أبواب
الكنيسة اذ نخدم منا اسرار القربان الطاهرة ونحبس العديمين سر المعمودية
خارجها وما نعمل ذلك لاننا نعرف القرابين التى نخدمها لكننا نعمل ذلك لان
كثيرين اعتقادهم بعد فيها غير تام لهذا السبب فاوضهم ربنا بامثال
كثيرة اذ كانوا لما أبصروا أعماله ولهذا الغرض أمرنا بولس الرسول ان
نعرف كيف ينبغى ان نجاوب واحدا واحدا من الناس اسألوا فتعطوا اطلبوا
فتجدوا أقرعوا يفتح لكم لان كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع
يفتح له اذ قد أمر أوامر عظيمة عجيبة وأوعز ان نكون أعلى من أمراض هوانا

كلها واقتادنا الى السماء بعينها وأمرنا ان نجتهد ان نكون مشابهين ليس للملائكة ولا لرؤساء الملائكة لكن مماثلين سيد الملائكة والبرايا كلها بعينه بحسب طاقتنا وأمر تلاميذه ان يحكموا هذه الفرائض ليس هم وحدهم بل أمرهم ان يقوموا معهم أناسا آخرين ويثقفوهم وان يميزوا الخبثاء والذين ليس هذا حالهم والكلاب والذين ليسوا كلابا وكان العزم المستور فى الناس جزيلا تقننه فلكيلا يقولوا ان هذه الاوامر صعبة ممتنعا احتمالها علينا لان بطرس قد قال قولا هذا معناه فى أقوال ربنا التى قالها بعد هذه عندما قال فمن يمكنه يخلص وقال أيضا ان كانت علة الانسان هى على هذه الصورة فليس يوافقه الزواج فتى لا يقولوا الآن هذه الاقوال ولاسيما انه قد أوضح بما قدمه من أقواله انها سهلة اذ وضع أفكارا كثيرة متصلة ومقتدرة ان تحققها عندهم أورد بعد ذلك ضرورة سهولتها مخترعا لاتعابهم ليس سلوة حقيرة وهى النجدة من صلواتهم والانفراد به لانه قال انه لا ينبغى ان يجتهدوا هم وحدهم لكن سبيلهم ان يستدعوا المعونة من العلو فتأتى لهم بلازم الضرورة ويحضر عندنا ويلامس معنا جهاداتنا ويجعل المصاعب كلها متيسرة لنا لهذا الغرض أمرنا ان نسأله بمثابرة كثيرة وضمن لنا عطيته الا انه ما أمرنا ان نسأله على بسيط ذات السؤال لكنه أمرنا ان نساله بمثابرة كثيرة وبصبر جزيل لان هذا هو معنى اطلبوا لان الطالب يخرج الهموم كلها من سريرته ويعتمد ذلك المطلوب وحده وما يتفطن فى شئ من الاشياء الحاضرة ويعرف هذا القول الذى قاله الذين قد أضاعوا امّاهاتهم وأماعيدهم ولبثوا يطلبونهم فهذا المعنى أوضحه من الغائب وأوضح من قرع بابه التقدم اليه بمسارعة وبسريرة حارة فلا تسقطن أيها الانسان ولا تظهرن فى الفضيلة حرصا أنقص من الشهوة للاموال لانك قد طلبت تلك الاموال دفعات شتى وما وجدتها الا انك مع ذلك لعلمك انك ستجدها بلازم الضرورة اذا حركت كل عزم تجدها وفى هذه الالفاظ قد امتلكت وعدا انك

تاخذ مطلوبك بلازم الضرورة فما تبين ولا الجزء اليسير من حوصلك في ابتغاء
الاموال فان كنت لا تاخذ مطلوبك في الحين فلا تيأس في هذا الحال لانه لهذا
الغرض قال اقره واليمين انه وان كان لا يفتح في الحين بابه فيجب عليك ان تثبت
فان أنكرت قضيتي فصدق ولو ماقاله لانه قال عز قوله من يوجد منكم من
يساله ابنه خبزا أتراه يعطيه حجرا أو يساله سمكة فيعطيه حية فهذا العمل
اذا عملته بالناس وقرعت بابهم قرعا متصلا يعدونك مغيظا ثقيلا واذا لم تعمل
هذا العمل في ابتهالك الى الله ولم تقرع بابه قرعا متصلا سوف تغيظه عليك
أعظم الغيظ واذا لبث طالبا وان لم تاخذ في الحين مطلوبك فستاخذه بلازم
الضرورة فلهذا المعنى أغلق الباب ليقتادك الى ان تقرعه لهذا الغرض
لا يلتفت اليك في الحين لكي تتوسل اليه وتديم توسلك لتاخذ بلازم الضرورة
سؤالك ولكيلا تقول فما غرضه في اني أساله وما أخذ سؤالي فقد حجزت عندك
تمثيله اذا نشات أيضا أفكارا في اقتيادها اياك الى ان تثق بالوصول الى وسائلك
هذه من أفعال الناس اذ بين لك بالفاظ تمثيله انك تحتاج لا ان تطلب منه فقط
لكنك محتاج ان تساله فيما يجب طلبه لان من يكون منكم أبا يساله ابنه
خبزا العله يعطيه حجرا فمن هذه الجهة اذا كنت ابنا فلا يكفيك بناء على هذه
النسبة ان تاخذ سؤالك ولكن هذه المناسبة وهي انك ابنه تمنعك من ان
تطلب منه ما ليس يوافقك أخذه فلا تطلب منه اذا حظا عالميا لكن اطلب منه
مواهب روحية كلها فتاخذها بلازم الضرورة وبيان ذلك ان سليمان
الملك لما طلب من الله ما وجب طلبه أبصر كيف أخذ مطلوبه بسرعة فالمصلي
يحتاج الى هذين الصنفين وهما ان يتوسل توسلا شديدا وان يطلب ما يجب
ان يأخذه فقد قال وأنتم اذا كنتم أباء ولبث بنوكم يطلبون منكم فمتى كان
ما يطلبونه منكم يكون موافقا لهم لا تمنعون عنهم تلك العطية كما انه اذا
طلبوا منكم شيأ موافقا جنحكم الى مرادهم وجدتم به عليه فاذا فهمت أنت

هذه المعانى فلا تبرح عن التوسل الى ان تأخذ ما تطلب ولا تنصرف ولا ينقص حرصك الى ان يفتح الباب لك لانك اذا تقدمت بهذا الغرض وقلت ان لم آخذ سؤالى فلا انصرف فستأخذه بلازم الضرورة اذا طلبت هذه المطالب وأمثالها التى تليق بالمسؤل أن يعطيها ويوافقك السائل فيها أن تاخذها وان سألت وماهى هذه المطالب أجبتك أن تطلب منه المواهب الروحية كما أن تساله أن يصفح للذين اذنبوا اليك واذا صفحت عن الذين اخطاؤا اليك تتقدم اليه بعد ذلك طالبا منه صفحا لخطاياك أن تسأله أن ترفع يدين بارتين بدون من غيظ فاذا طلبنا هذه المطالب سنأخذها الا أن طلبتكم هى ضحك كطلبة الناس السكيرين ليس الناس المستفيقين وقد يقول قائل فارأيه فى أننى أطلب مطالب روحية ولست أخذها فنقول له لانك على كل حال لم تقرع بحرص وجعلت ذاتك عديم الاهلية لاخذها أو ابتعدت من التوسل سريعا ولعله يقول فلما قال يجب أن تطلبوا ما يجب فنقول له لعمرى انه قد قال هذه الاقوال كلها فيما سلف من أقواله وأرانا من أجل أية مطالب ينبغى أن نحضر لديه متوسلين فلا تقولن اذا اننى قد تقدمت متوسلا فلم أخذ فان ليس عند آلهنا الذى يحبنا هذا الحب الخالص غرضا الا يعطينا البتة مطلوبنا لاجل أنه يقهر الاباء قهرا يكون مقداره بمقدار ما يقهر الصلاح هذا الخبث لانه قال ان كنتم وانتم خبثاء قد عرفتم أن تعطوا أولادكم عطايا صالحة فابوكم السماوى أحق وأولى بذلك فقال هذه الا قوال لا لانا ابا الطبيعة الانسانية ولا ناسبا الى جنسنا شر الكنه يميز ود الاباء بحسب انفصاله من حريته خبثا لان افراط تعطفه وحبه للناس الجزيل مبلغه هو فكر يعجز وصفه ويكفى أن ينهض من قد أيس كثيرا الى امال صالحة فاورى فى هذا الموضع خيريته من ابائنا وأوضحها فيما سلف من قوله من المنح الجسيمة التى جاد بها علينا من نفسنا من جسمنا وما وضع البتة رأس الصالحات ولا أورد الى وسط كلامه حضوره لان من اسرع هنا

الاسراع

الاسراع أن يبذل أبنه الى ذبحه كيف ما يهب لنا كافة خيراته لان هذه المنة ما كانت قد خرجت بعد الى الفعل الا أن بولس الرسول قد وضع هذه المنة هذا الوضع قائلا فالذى لم يشفق على ابنه كيف ما يهب لنا معه كافة خيراته الا أنه هو يفاوضهم بعد من الخواص الانسية ثم أراهم انهم ما سبيلهم أن يثقوا بصلاتهم ويتوانوا فى الاتعاب التى تناسبهم ولا اذا اجتهدوا يثقون بحرصهم فقط لكن ينبغى أن يبتغوا المعونة التى من العلو ويقدمون معها ما يناسبهم فوضع هذه الخاصة وذلك وضعا متصلا لانه نبههم تنبيهات كثيرة وعلمهم أن يصلوا واذ علمهم أن يصلوا أفضى أيضا الى تنبيههم من أعمالهم ومن ذلك أيضا أقبل الى ايعازه أن يجب عليهم أن يصلوا صلاة متصلة بقوله اسالوا أطلبوا أقرعوا وفى هذا الموضع أيضا قال انه يجب عليهم أن يكونوا حريصين متمكنين فى الفضيلة لانه قال كافة الافعال التى تريدون أن يفعلها الناس بكم أفعلوها أنتم بهم فقد حصر الوصايا كلها وجميع أجزاءها فى لفظ يسير وارانا أن الفضيلة وجيزة سهلة معروفة عند جميع الناس وما قال على بسيط ذات القول كافة الافعال التى اذا أردتم لكنه قال كافة الافعال التى تريدون ان يعملها الناس بكم فالحرف هذا مازاده على بسيط ذاته لكنه يرمز به الى كما أردتم أن تسمعوا هذه مع تلك الاقوال التى قلتها فاعملوا هذه الافعال بهم وان سئل وما هى هذه الافعال اجاب هى كافة الافعال التى تريدون الناس أن يفعلوها بكم أعرفت كيف أوضح ههنا انما مع الصلاة تحتاج الى طريقة بليغة الاستقصاء وما قال كلما تشاء أن يكون لك من الله ذاك بعينه أظهره أنت فى قريبك حتى لا تقول هذا ممكن وذاك آله وأنا انسان لكنه قال كلما تشاء أن يكون لك من مواخيك فى العبودية ذاك بعينه أظهره أنت فى قريبك ما الذى يكون أخف من هذا وما الذى يوجد أعدل منه ثم أورد المديح على ذلك قبل الجوائز عظيما لانه قال فهذا الفعل هو الشريعة والانبياء فمن هذه الجهة استبان ظاهرا أن

الفضيلة لنا في طبيعتنا وانّنا كنّا من ذاتنا نعرف ما يجب علينا ولا يمكننا في وقت
من الاوقات أن نلتجئ الى غباوتنا ادخلوا من الباب الضيق فان الباب
عريض والطريق المؤدية الى الهلاك واسعة وكثيرون هم الداخلون فيها وضيق
هو الباب وكرب هو الطريق المودي الى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه
ولعمري أنه قد قال بعد هذه الاقوال أن نيري صالح وحملي خفيف وقد أومى
الى هذا المعنى بعينه فيما قيل قبل هذا الكلام ولعلك تقول فكيف ذكر ههنا
أن الطريق الضيقة هي كربة فنقول انك اذا تصفحت قوله فقد بين ههنا أكثر
بيانا أنها خفيفة كثيرا سهلة متيسرة وان قلت فكيف ذلك وكيف تكون
الطريق الضيقة سهلة أجبتك لانها هي طريق وباب كما أن الاخرى طريق وباب
وان كانت عريضة واسعة وليس منها واحدة ثابتة لكنها كلها أعني
الضيقة الكربة والعريضة الواسعة تعبر جائزة لان حظوظ الدنيا كلها الحازنة
منها والصالحة تعبر نافذة وأفعال الفضيلة ليست سهلة فقط لكنها مع ذلك
تصير أيضا في نهايتها أسهل مراما ليس بان اتعابها واعراقها تعبر نافذة لكن
بانها مع ذلك تنتهي الى غاية صالحة لانها تنتهي الى الحياة فقد عزى المجاهدين
تعزية كافية ووجب من ذلك أن يكون مدى الاتعاب الوقتي ونفرا كاليلها الدائم
وكون هذه الاتعاب أولى وحصول تلك الاكاليل بعد هذه تنشئ تسلية عظيمة
لاتعابنا فلهذا الغرض سمى بولس الرسول غمنا خفيفا ليس لاجل طبيعة
العوارض الكائنة لكن من أجل اختيار المجاهدين ولاجل ارتجاء النعم
المأمولة لانه قال أن العارض الخفيف من ضيقتنا يصطنع لنا ثقلا من الشرف
أبديا اذ لا نتأمل النعم التي ليست ملحوظة ولئن كانت الامواج واللجج سهلة عند
الملاحين والذبح والجراحات خفيفة عند الجند وموافع الاشتية وقوادح البرد
سهلة عند الفلاحين وقوارع الضرب المتضاضدة والعقور كلها خفيفة عند
المصارعين لاجل تأميل الجوائز البالية والفوائد الهالكة فاولى بنا واليق كثيرا

اذ كانت السماء معدة لنا والخيرات المحتجز وصفها والجوائز التي قد زال الموت منها الاتحس ولا بصنف واحد من صنوف الشدائد الحاضرة فان ظن ظانون أن هذه الطريق على هذه الجهة متعبة فهذا الظن انما هو من توانيهم فقط وانظر كيف يجعلها من جهة أخرى سهلة عندما أوعز الينا الا نأتلف الكلاب ولا نبذل ذواتنا للخنازير وأن نحترس من الانبياء الكاذبين ويجعلنا من سائر الجهات مجتهدين وتسميته الطريق بعينها ضيقة تلائم أعظم ملائمة لمعنى انه قد جعلها سهلة لانه جعلهم يستفيقوا على حد ما فعل بولس الرسول اذ قال ليس يوجد الصراع عندنا الدم ولحم لم يقل هذا القول ليريع به قلوب جنده لكنه انما قاله لينهض به بصائرهم هذا العمل عمله ربنا اذ أراع المسافرين وسمى الطريق خشنة وما جعلهم بقوله هذا ان يستفيقوا فقط لكنه أراعهم مع ذلك بما استثنى به انها قد حازت الذين يعرقلونهم كثيرين وما هو أصعب من هذا انهم ما يكافحون مكافحة ظاهرة لكنهم يسترون ذواتهم لان جنس الانبياء الكذبة هذه الغريزة عزيزته الا انه قد قال لا تنظر الى هذا الوصف فقط انها خشنة ضيقة لكن انظر الى أين تنتهي ولا تتأمل ضدها هذه تلك انها عريضة واسعة لكن تأمل الى أين تقلب وتكردس هذه الاقوال كلها يقولها منهضا بها انشاطنا على ما ذكر في فصل غير هذا ان الذين يكافون ذواتهم يحفظونها وبيان ذلك ان المجاهد متى أبصر بصرا بينا منشئ الجهاد مستحبا متعبا اجهاداته بصيرا وفر نشاطا فلا نحزن اذا عرضت انا في هذه الدنيا احزان كثيرة فان الطريق كربة والباب ضيق لكن ليست المدينة ضيقة ولهذا المعنى ينبغي ان نتوقع في هذه الدنيا راحة ولا ننتظر هنالك عارضا محزنا فيما بعد واذ قال ان قليلين هم الذين يصادفونها أوضح ههنا أيضا توانى الناس الكثيرين وأدب سامعيه الا يصغوا الى سير الناس الكثيرين وطيبة أيامهم لكن سبيلهم ان يرغبوا في اتعاب الناس القليلين لانه قال ان أكثر الناس ما يسلكونها فقط لكنهم مع ذلك لا يختارونها وهذا هو ثلب



اهم فى أقصى غايته لكن يجب علينا ان لا نصغى الى الكثيرين ولا نرتجف فى
هذا العارض لكن ينبغى لنا ان نماثل القليلين ونجمع ذواتنا من كافة الجهات
ونسلكها هذا السلوك الحريز لانها مع انها ضيقة فكثيرون يوجدون الذين
يعرقلون الطريق المودية الى هنالك ولهذا المعنى أورد هذا القول احترسوا من
الانبياء الكاذبين فانهم يوافون اليكم بملابس الغنم وهم فى باطنهم ذئاب خاطفة
فها قد بين مع الكلاب والخنازير نوعا آخر من الاكمان والاغتيال أصعب من
ذينك النوعين كثيرا لان أولئك الكلاب والخنازير متعارف شكلهم وهم
ظاهرون وهؤلاء محتجبون فلذلك أمرنا بالابتعاد من أولئك وأمرنا ان نحترس
من هؤلاء بابلغ الاحتراس انما يتجه لنا ان نعرفهم من ملاقاتهم الاولى
ولهذا الغرض قال احترسوا منهم جاعلا ايانا أبلغ استقصاء من غيرنا فى معرفتهم
ثم لكيلا اذا سمعنا انها ضيقة كربة وانه يجب ان نسلكها سلوكا يضاضد سلوك
الكثيرين ونتحفظ من الكلاب والخنازير ونحترس مع احتراسنا من هذين
الصنفين من جنس الذئاب هذا وهو جنس آخر أشد خبثا فحتى لا نسقط فى القنوط
بكثرة لا حزان اذا عزمنا ان نسلك سلوكا مضاضدا الكثيرين وان نقاسى أيضا مع
تلك الاشياء الاهتمام بالتخلص من هؤلاء ذكرنا وذكر اليهود بالانبياء الكذبة
الذين سموا بذلك فى عصر أبائهم لان فى ذلك الحين قد عرضت هذه العوارض
وأمثالها وقال لا ترتجفوا لانه يعرض لكم عارض جديد غريب فان
ابليس المحتال يخترع فى الحق خداعه دائما والانبياء الكذبة فى هذه اللفظة
يرمز اليهم لا الى مبدعى البدع فى ديننا فقط لكنه يومئ بهم الى الذين عيشتهم
عيشة مفقودة ويتظاهرون بحجاب الفضيلة الذى من عادة أكثر الناس ان
يدعوهم محتالين ولذلك أورد هذا القول من أثمارهم تعرفونهم لان
مبدعى البدع فى الدين قد يوجد فيهم فى أكثر الاوقات طريقة محمودة
ولا توجد البتة فى هؤلاء الذين ذكرتهم فعنى قوله انهم وان كانوا يتظاهرون

بهؤلاء الا انهم يصادون أيسر اصطياد الان هذه الطبيعة طبيعة الطريق التى
أمرتكم بسلوكها هى طبيعة متعبة صعبة والمرائى فلا يختار ان يتعب لكنه
يرائى التعب فقط ولهذا المعنى يشتهر أيسر اشتهار الا انه قال ان قليلين هم الذين
يصادفونها فقد أظهر هؤلاء وميزهم من الذين لم يصادفوها لكنهم يتظاهرون بها
اذ أمرنا الانتظار الى الذين يحتجبون بحجابات الفضيلة لكن ننظر الى السالكين
الطريق الضيقة بحق وصدق ولعلك تقول فلاى غرض ما جعلهم واضحين ظاهرين
لكنه حضنا نحن على البحث عليهم فنقول لك لنتيقظ ونكون كل حين مجتهدين
محترسين ليس من أعدائنا الظاهرين فقط لكن نحترس أيضا من أعدائنا
الخفيين وهذا المعنى فقد أومى اليه بولس الرسول وأضمره فى كلامه وقال انهم
بكلامهم الصالح الطيب يطغون قلوب الساذجين من الشر فلا تتحفن اذا كنا
نبصر الآن كثيرين موجودين هذا الحال حالهم فان المسيح الهنا قد تقدم
منذ أعلى الزمن فذكر هذا المعنى وانظر الى رفقه ولطفه لانه ما قال عذبوهم لكنه
قال لا تنظروا منهم لا تسقطوا عندهم عادمى الاحتراس ثم حتى لا تقول
انه لا يمكنى ان أعرف الذين هذه الطريقة طريقتهم وضع لك أيضا فكرا من
مثال الانسان على هذه الجهة بقوله ألعلهم يجمعون من الشوك عنبا أم من
الحسك تينا على هذا المثال كل شجرة صالحة تعمل ثمرا جيدا والشجرة البائرة
تعمل ثمرا خبيثا لا تقدر شجرة صالحة ان تعمل ثمرا خبيثا ولا يمكن شجرة بائرة
ان تعمل ثمرا جيدا فالذى يقوله هذا معناه ان أولئك ما يمتلكون صنفا
أنيسا ولا حلوا فالنجعة عندهم تنتهى الى جلدها فلهذا المعنى تكون المعرفة بهم
سهلة وحتى لا ترتاب ارتيابا يسيرا قدم لك أمثلة ليست ممكنة ان تصير
بضروريات طبيعية على جهة أخرى وهذا الغرض قد ذكره بولس الرسول
اذ قال ان رأى الجسم موت لانه لا يخضع لناموس الله لانه لا يقدر على ذلك ولئن
كان قد وضع قولا واحدا بعينه وضعا ثانيا فذلك ليس هو تكرير لئلا يقول قائل

ان الشجرة البائرة لا تثمر لعمري ثمرات خبيثة الا انها تثمر ثمرات صالحة وتجعل
معرفتها صعبة متعذرة اذ كان جناها مضاعفا قال هو ولا يوجد هذا الايناع لان
الشجرة الردية تثمر ثمرا رديا وما تقدم في وقت من الاوقات ثمرة صالحة كما يجري
مجرى ضدها ولعله يقول فما المعنى في هذا أفما يوجد رجل صالح صار خبيثا وأما
يوجد ضد ذلك أيضا رجل خبيث قد صار صالحا فعمرنا مؤمن الامثلة التي هذا
مثالها فنقول له ان المسيح ربنا ليس يقول هذا القول ان الخبيث ممتنع انتقاله
أو الصالح لا يسقط الى ضد حاله لكنه يقول انه مادام عائشا في خبثه فلا يقدر
ان يثمر ثمرا صالحا وانه يقدر اذا كان خبيثا ان ينتقل الى الفضيلة واذا دام
في خبثه فلا يحمل ثمرا جيدا ولعله يقول فما الغرض في هذا فقد كان داود النبي
صالحا فقدم ثمرا خبيثا فنقول له لم يقدمه عند بقائه صالحا لكنه انما قدم
ثمرا خبيثا لما انتقل من صلاحه كما انه لو كان ثبت على ما كان دائما لما كان
حمل ثمرا هذا صفته لانه ليس عند ثبوته في ملكة فضيلته اجترى على ما اجترى
عليه وعندما استعمل معرفته أصمت الذين قاوموه مع الذين شنعوه عليه على
بسيط ذاتهم والجم أفواه قارفيه لان اذ كثيرون من الخبثاء يتهمون الصالحين
قال هذا القول يعدمهم به كل احتجاجهم لان ما يتهيأ لك ان تقول انني طغيت
وتغافلت لانه قد خولك معرفتهم من أحوالهم بليغة في الاحتراس وأمرك ان
تدخل في تصفح أعمالهم ولا ترتجف معها كلها على بسيط ذاتها ثم اذا كان
ما أمرنا ان نعاقبهم وانما أوعز الينا فقط بل الذين يحتالون عليهم هؤلاء وأراع
هؤلاء المعتنين ونقلهم وجزعتهم تعذيبه بقوله ان كل شجرة لا تحمل
ثمرا جيدا تقطع وترج في النار ثم جعل كلامه أثقل مراسا واستثنى بقوله
فمن أعمالهم تعرفونهم ثم لئلا يظنه ظان انه يوردته ويله متقدما هذا أتمييز
فهمهم على جهة التنبيه والمشورة وعلى ما اظن انه ههنا يومئ الى اليهود ويضمر
ذلك في قوله اذا أظهروا ثمرات هذا النعت نعتها ولذلك ذكرهم بألفاظ يوحنا

اذ

اذ صوراهم عقوبتهم باسمائها لان يوحنا قد قال هذه الاقوال اذ ذكر لهم الفاس وشجرتهم المقطوعة والنار التى لا تخمد وقد يظن الاحراق انه صنف من العذاب واحد وان بحث عنه باحث بحثا بليغا فهو عقوبتان لان المحترق قد خاب بلازم الضرورة من ملك السماء وهذا العذاب أصعب من ذلك وقد عرفت ان كثيرين من الناس يرتاعون من جهنم فقط وأما انا فخيبوتى من ذلك المجد اعدها عقوبة أمر من عذاب جهنم كثيرا وان كان لا يمكننا أن نشرح ذلك بقولنا فليس ذلك عجيبا لاننا لا نعرف مقدار سعادة تلك النعم الصالحة حتى نعرف شقاوة الخيبوبة من تلك النعم معرفة بينة وانما بولس الرسول لما عرفها معرفة بليغة عرف أن الخيبوبة من مجد المسيح هى أصعب العقوبات كلها وسنعرف هذا حينئذ اذا تحصلنا على هذه الخبرة لكن يا ابن الله الوحيد الجنس نجنا من أن يصيبنا هذا المصاب فى وقت من الاوقات فى زمن من الزمان هذه واحفظنا من هذه العقوبة التى لا تطاق ولعمرى ان الخيبوبة من تلك النعم الصالحة يتعذر على أن أقول قولا بينا يوضح مقدار مرارتها الشريرة لكننى أتكلف وأجتهد أن أجعلها لكم ظاهرة بينة ولو ظهورا يسيرا بامثلة يسيرة فأقول لو أن صبيا عجيبا أمتلك مع الفضيلة مملكة المسكونة ويكون على هذا المثال فى كل مكان مكين الفضيلة حتى انه يقدر أن يمكن الناس كلهم فى اخلاص وده يناسب وداً بيه له فما الذى تظنونه من الفوادح لم يكن أبو الصبى يتمنى أن يصيبه بالتذاذ حتى لا يخيب من مخالطته ماذا يكون من الحوادث مكروها كبيرا أو صغيرا لم يكن يقبله حتى يبصره به هذا الافتكار سبيلنا أن نفتكره فى ذلك المجد لانه لا يوجد على هذا المثال عند أب ابناه ولو كان أصيل الفضيلة دفعات ربوات عددها مشوقا اليه معشوقا مثل تلك النعم الصالحة وأن نحل من هذه الدنيا ونكون مع المسيح ولعمرى أن جهنم لا يمكن وعقوبتها يحتجز الصبر عليها لكن لو اخترع مخترع جهنمات كثيرة فليس يبدع عذابا

على هذه الجهة مريعا كعذاب الخيبوبة من ذلك المجد السعيد وأن يعتنه المسيح
وان نسمع لست أعرفكم وان نشتكي بانمار أيناه جائعا ولم نطعمه لان صبرنا
على صواعق جزيل عددها أفضل من نظرنا الى ذلك الوجه الانيس مرتجعا عنا
وتلك العين الساكنة ماتحتمل النظر الينا ولئن كان قد اقتبلني وقد كنت عدوه
وباقته ومرتجعا عنه هذا الاقتبال الذى تناهى فيه الى أنه لم يشفق على ذاته
لكنه بذل ذاته الى الموت فاذا لم أوهله بعد احساناته الى كلها تلك الجزيل
مبلغها الخبز اعطيه اياه عند جوعه فبأى عين ابصره بعد ذلك تأمل فى هذا
المعنى رفقه ولطفه لانه لم يصف احساناته ولا قال انك أعرضت عمن يحب له
عليك ديونا جزيلا تقديرها الا انه لم يقل انك غفلت عنى انا الذى قد اخرجتك الى
وجودك مما لم يكن موجودا وثبت فيك نفسك وأقمتك صاحبا للبرايا التى فى
الارض التى لاجلك أبدعت الارض والسماء والبحر والهواء والبرايا الموجودة
كلها التى أهنتنى وظننتنى أهون من ابليس المحتال وما ابعدتك ولا على هذا
المحال لكننى تحيلت لك بعد ذلك بفوائد كثيرة فرفضتنى المختار أن أصير عبدا
المظلوم المبصوق عليه الذبيح المائت الموت المستقبح المتوسل الى أبى فى العلو من
أجلك الواهب الروح لك الذى املتك الملكى الذى وعدتك مواعيد ساميا محلها
المريد أن أكون رأسك وختنك وثوبك وبيتك وأصلك وطعامك وشرابك
وراعيك وملكك وأثرت أن تكون وارثى ووارثا معى الذى أقتدتك من الظلام
الى سلطان الضوء لان هذه وأكثر منها قد كان يتجه له أن يقولها فلم يذكر صنفا
منها لكنه انما يذكر خطانا بعينه وحده وأربا ه هنا حبه وأظهر الشوق الحاصل
فيه الينا لانه ما قال اذهبوا الى النار المعدة لابليس المحتال ويذكر قبل ذلك
ماظلموه وما ثبت على هذا المثال الى أن يقول الجرائم كلها بل القليلة منها ويذعو
قبل هؤلاء أولئك الذين أحكموها اليمين أن شكواه عدلة فكم عقوبة ليست هذه
الالفاظ أصعب منها الان لو أن أحد الناس أبصر من قد أحسن اليه جائعا لما

تغافل عنه وأن أعرض عنه فغيرة الحسن لقد كان يختار أن يغرص فى الارض
ويكون ذلك أسهل عليه من أن يسمع أقوال تعييره بحضرة صديقين أو ثلاثة
فم ذا يصيبنا نحن اذا سمعنا هذه التعبيرات بحضرة أهل المسكونة كلها وهذا
فم كان قالها حينئذ لولا انه اسرع أن يحتج من أجل أفعالهم به على انفراده
والدليل على انه ما أورد هذه الاقوال معيرا لكن معتذرا ولاجل اظهاره انه ما
قال لهم اذهبوا عنى باطلا ولا جزافا فواضح من احساناته المحتجز وصفها الا انه لو
كان شاء أن يعيرهم لكان أوردا لى وسط كلامه احساناته تلك كلها فالان انما
يصف ما ناله منهم فقط فسبيلنا ان نخاف يا حبائى اذا سمعنا الفاظا هذا مبلغ
تقديرها فان عيشتنا ليست لعبا وأولى ما يقال أن عمرنا الحاضر لعبا هرفاما
الحظوظ المأمولة فليست العابا ولكن عيشتنا ليست هى لعبا فقط لكنها أشر
من اللعب لانه ليس ينتهى الى ضحك لكنه يجتنب الضرر كثيرا للذين لا يريدون
أن يدبروا أحوالهم بابلغ الاستقصاء والتعمق قل لى ما الذى نمتاز به عن الصبيان
اللاعبين الذين يبنون بيوتا صغارا نحن الذين نبتنى منازل بهيا حسنها وما الذى
نتميز به نحن المتنعمون عن الصبيان الذين يلقمون الاطعمة بعد فطامهم لاشياء
مع اننا نعمل أعمال التنعم مع تعذيبها أيانا ولئن كنا بعد ما نتأمل حقارة الافعال التى
نعملها فليس ذلك عجيبا لاننا قد صرنا بعد رجال فاذا صرنا رجالا سنعلم أن هذه
الاعمال أعمال الصبيان لاننا اذا صرنا رجالا لا نضحك على أولئك المفطومين
الذين يلقمون واذ كنا صبيانا نتوهم هذه الاعمال أعمالا لا يجب الحرص فيها
ونجمع خزفا وطينا وغير تميزا ليس بدون تميز الصبيان الذين يبنون من الخزف
والطين بيوتا الا انها مع ذلك تهلك وتنهدم ولو ثبتت فى مكانها لما كانت نافعة لهم
كما أن هذه المنازل البهية تنفعنا لانها ما تقدر تقتبل من السماء مدينة ولا يستجيز
أن يقيم فيها من قدامتلك الوطن العلوى لكن كما اننا نحن نهدم بارجلنا هذه
أبنية الصبيان فكذلك ينقض ذاك الزاهد هذه المنازل بعزمه وكما نضحك نحن

على الصبيان الذين يبكون على انقلاب ما بنوه فكذلك هؤلاء الزهاد ليسوا
يضحكون علينا فقط اذا انحنا على هذه الاملاك لكنهم يبكون مع ذلك علينا
اذ جوانح تحننهم ترثى لنا وعلى كثرة مضرتنا من هذه الجهة فسبيلنا أن نصير رجالا
الى متى ننسحب على البطحاء اذ نتباهى بالحجارة والخشب تباهيا عظيما حتى متى
نلعب وليت كنا نلعب فقط ان نحن الآن نسابق فى دفع خلاصنا وكما أن الصبيان
عند تشاغلهم بما يبنونه يتوانون فيما يكتبونه فيتكبدون من الضرب اصنافا
موجعة فكذلك اذا افنينا نحن فى هذه الاملاك كافة حرصنا وطولبنا بالتعاليم
الروحانية التى نتعلم باعمالها ولا نمتلك احضارها نعاقب عقوبة فى غايتها وما نجد
ولا واحدا من الناس ينقذنا ولو كان ابونا ولو كان أخونا ولو نه من كان من
الناس لكن هذه الاملاك تهلك كلها والعقوبة المتكونة منها تبقى فاقدة الموت
ومداومة وهذا الحادث يحدث على الصبيان اذا اباد أبيهم العابهم الصبيانية
لاجل توانيهم فى التعليم ابادة تامة صيرهم أن يبكوا بكاء ولكن نعلم ان هذه
الحوادث على هذا المجرى تجرى سبيلنا أن نحضر الى وسط مجلس كلامنا الثروة
التى نظن انها نخصها أكثر من كل شئ الاجتهاد فيها ونضع مقابلها آية فضيلة
شئت لنفسنا فسنبصر حينئذ حقارتها أبين من كل واضح ونحضر انسانين واست
أتكلم فى استكثار القنية لكنى أتكلم عاجلا فى الثروة العدلة وليجمع الواحد
من هذين الانسانين أموالا لتجارته وليسافر فى البحر وليفلح أرضه وليتخذ فنونا
كثيرة لتجارته على انى لست أعلم أن فى ممارسة هذه الاعمال يمكنه أن يربح ربحا
عدلا ومع ذلك فلنفرض انه يربح ارباحا عدلة ويشترى حقولا وعبيدا وماشابه
ذلك من الاملاك وضاهاها ولا يحصل فى املاكه صنف من الظلم او الآخر منهما
بعد امتلاكه أملاكا جزيلا تقديرها فليبع حقوله ومنزله وأوانيه المصنوعة من
الذهب والفضة وليهبها للمحتاجين وليقم بحوائج الفقراء وليخدم المرضى
وليطلق الذين فى الشدائد وليخرج المقيدين من عقالهم وليعتق الذين فى

العذاب

العذاب وليحذر المتثبتين في حبل خنقهم وليفرج عن المأسورين من تعذيبهم
من حزب من منهما تريدون أن تكونوا وما نذكر نحن حظوظهما المأمولة لكننا
نتكلم في حظوظهما في هذه الدنيا عاجلا من حزب من منهما تريدون أن تكونوا
أمن حزب الجامع الذهب أومن حزب المفتك من المصائب أومن حزب المبتاع
الحقول أومن حزب من قد جعل ذاته مبينة لطبيعة الناس أومن حزب المتوشح
بذهبه الجزيل أومن حظ المكلل بمدائح كثيرة أوليس أحدهما قد شابه ملاكا
منحدرا من السماء لتلالأ في باقي الناس والآخر قد ماثل ليس انسانا لكنه قد شابه
صبيا من الصبيان قد جمع جميع ما جمعه على بسيط ذاته باطلا فاذا كان جمع
المال على جهة العدل مضحوكا عليه أكثر الضحك وفي غاية الغباوة فاذا كان
أحدنا يكتسبه على غير وجه العدل فكيف لا يكون من هذه الطريقة أشقى من
جميع الناس اذ كان ذلك موصلا لجهنم وسببا لفقد الملكوت ويكون مستحقا في حياته
وبعد وفاته النوح فان شئت فلنخترع للفضيلة وجه غير هذا ونحضر أيضا انسانا أخر
ذا مقدرة وجلالة آمرا ناهيا متقلدا رتبة عظيمة مالكا ملكا مشيدا بهيا وفي وسطه
منطقة الرياسة ومعتضدا شاكريه واتباعه حاملون عصيا وموصف من الغلمان
جزيل لخدمته أفما يستشعر حظ هذا الرجل عظيما مسعودا ويكون اذا أقمنا أيضا
مقابل هذا انسانا أخر يكون محتملا ودبعا متواضعا متمهلا وهذا الرجل يشتم
ويضرب ويحتمل ذلك بايسر مرام ويسمح للذين يعملون به هذه المكاره وامثالها
فقل لي من هو الافضل منهما اهل هو ذلك المتبذخ المتجبر أم هذا المتورع لاشك هذا
المتورع فانه قد شابه رؤساء الملائكة الذين في العلو أولي العزم الكبير والآخر
يشابه طبيعة متهشمة أو انسانا سقيما بداء الاستسقاء والتورم الكثير
او يضاهي طبيبا روحيا والآخر يماثل صبيا مضحوكا عليه نافخا شدقيه ما بالك
ايها الانسان تفتخر بانك رفيع المحل محمولا على مركبة وبان بغلتين
تسوق مركبتك وما هو هذا الان هذا أمر ينظره الناظر في الخشب والحجارة

المحمولة على عجلة افتفتخر بانك متوشح بثياب فأنوة لكن انظر الى المتوشح عوض الثياب بفضيلته فستبصر ذاتك شبيها بحشيش ذابل وترى ذاك يشبه شجرة حاملة ثمرا عجيبا تسر الناظرين بحسنها لانك أنت تتوشح بطعام الدود والسوس وهذان الصنفان اذا ثارا عليك يجعلانك صريعا عاريا من هذه الدنيا وذلك ان الثياب والذهب والفضة بعضها غزل الدود وبعضها تراب ورماد وتصير أيضا ترابا وليست أكثر من ذلك والمتوشح بفضيلته يمتلك حلة هذه خاصتها ليس لا يبليها السوس بل ولا يقدر الموت أن يفنيها وذلك على جهة الواجب جدا وبيان ذلك أن فضائل أنفسنا ما تمتلك من الارض شيأ لكنها ثمرة الروح القدس هي فلهذا المعنى ما تحصل تحت فم الدود لان هذه الثياب تنسج في السماء حيث لا يوجد سوس ولا دود ولا صنف آخر من هذه الاصناف فقل لي أيما أفضل أن تستغنى أم تفتقر أن تكون في مقدرة أم في اهانة أفي مجاهدة أم في تنعم فمن البين أن الافضل عندك أن تكون في نعيم ويسار وكرامة فان كنت تريد الاشياء المعقولة وما تفضل الظواهر والعوارض ستهمل الارض والاشياء التي فيها وتنتقل الى السماء لان الاملاك التي ههنا هي فيء وظل فقط والاملاك التي هنالك هي أشياء ثابتة لا تنزع أو تزول عن جميع الحاصلين عليها فسبيلنا أن نختار نحن هذه النعم بكل اجتهاد حتى نتخلص من المحن في هذه الدنيا ونسير سابحين الى تلك الميناء الامينة ونظهر مملوئين بفضائل كثيرة وبثروة الصدقة المتعذر وصفها التي ننالها كلنا أو نرزقها بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي يليق للاب معه والروح القدس المجد والعز الآن والى أباد الدهور أمين

المقاله

المقالة الرابعة والعشرون

ليس كل قائل لى يارب يارب يدخل الى ملكوت السماء لكن العامل مشيئة أبى الذى فى السموات يدخلها

ولعلك أيها السامع تقول لاى غرض ما قال لكن العامل مشيئتى يدخلها فنقول لانه لم يزل مذ الآن محبوبا مقبلا هذا اللقب سالفا الان هذا القول كان عظيما عند ضعف أولئك السامعين كثيرا ولمعنى آخر وهو ان هذا القول قد أومى اليه بذلك وأضمره فى كلامه ومع هذا القول قد ساغ له أن يقول ذلك القول لان مشيئة الابن ليس هى مشيئة أخرى غير مشيئة أبيه وعلى حسب ظنى انه ههنا يلذع اليهود أكثر لذعا الذين يجعلون كافة ثقتهم بمعتقداتهم ولا يعتنون أقل اعتناء بطريقتهم ولهذا الغرض فشكاهم بولس الرسول عند قوله وان كنت أنت تسمى يهوديا وتستريح الى شريعتك وتفتخر بالهك وتعرف ارادته فلا يحصل لك من هذه الجهة ربح أكثر اذ لم يحضر معك ايضاح طريقتك وأعمالك وربنا ما وقف عند هذه الاقوال لكنه قال ما هو أفضل منها كثيرا ان كثيرين فى هذا وذلك اليوم يقولون لى يارب يارب الم نتنبأ باسمك لانه قال ليس يخرج من السموات من قد آمن فقط وهو متوان فى عمله لكنه ولو كان مع ايمانه قد عمل آيات كثيرة ولا يعمل عملا صالحا فهذا نظير ذلك يمنع من تلك الدهاليز الجليلة لان كثيرين يقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا الشياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة حينئذ اعترف لهم انى

ما أعرفكم اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم أرأيت كيف يظهر بذلك ذاته مع أنه بمعنى خفى لانه اذا تمم كل ابداع وأوضح ذاته لم يزل قاضيا ولعمرى انه قد بين فى أقواله السالفة أى عقوبة تقع على الذين يخطئون وفى هذا الموضع الان كشف من هو الذى يعاقبهم وما قال انى أنا هو قولا ظاهرا لكنه قال كثيرون يقولون لى مصلحا هذا المعنى بعينه أيضا لانه لو كان ليس هو القاضى فكيف قال لهم الان اذا وحينئذ اعترف لهم انصرفوا عنى لانى لا أعرفكم فى وقت من الاوقات فما قال انه لا يعرفهم فى أوان الانبعاث من القبور فقط لكنه قال لست أعرفكم حينئذ ولا حين عملتم العجائب ولهذا المعنى قال لتلاميذه لا تفرحوا بان الجن تخضع لكم لكن افرحوا بان أسماكم قد كتبت فى السموات وفى كل موضع يامرنا أن نحرص حرصا كثيرا فى عملنا لانه لا يغفل فى وقت من الاوقات عن انسان يعيش عيشة مستقيمة من امراض هواه كلها لكنه ولو اتفق أن ينخدع فيجتذبه الله الى الحق سريعا الآن أناسا يقولون ان هؤلاء قالوا هذه الاقوال كاذبين فلهذا السبب على قولهم ما تخلصوا فالمعنى الذى يريد ربنا أن يصلحه هو اذا ضد قولهم الا انه يريد أن يبين ههنا ان الامانة بدون الاعمال لا تقدر على شئ ثم اسهب فى أقواله هذه وزادها الايات موضحا ان الامانة ما تفيد صاحبها نفعا ولا اجتراح العجائب معها يفيد مجترحها نفعا اذا كان خاليا من الفضيلة فان كانوا ما عملوا آيات فكيف أمكنهم يثبتوا هذا القول ههنا ولمعنى آخر انهم ولا كانوا تجاسروا ولا حضروا وان القضاء أن يقولوا هذه الاقوال لديه والحادث بعينه قولهم باستخبار بين انهم قد اجترحوا العجائب اذ كانوا قد أبصروا غاياتهم مضادة لمأمولهم وقد كانوا فى هذه الدنيا اذا اجترحوا العجائب عجيبة عند كل من أبصرهم فابصروا بعد ذلك أنفسهم هنالك معاقبين فكانت حالتهم حالة مدهوشين يتعجبون ما جرى عليهم فقالوا يارب أليس باسمك تنبانا فكيف تردنا الان فهذه الغاية المستغربة

البديعة ما الرأى فيها ولكن أولئك تعجبوا انهم بعد اجتراحهم آيات أبهرت
عقول من شاهدها عوقبوا فلا تستعجب أنت من ذلك فان النعمة كما هى
موهبة معطية وأولئك فاقدموا من ذواتهم شيئا فلذلك استوجبوا على جهة
العدل أن يعاقبوا الا انهم قابلوا من أكرمهم الاكرام الذى انتهى فيه الى أن
أعطى نعمته للذين لا يستحقونها لكونهم عادمى الشكر له فاقدين الاحساس
باحسانه ولعل قائل يقول وما الغرض فى هذا هل اجترح آيات هذا المحل محاها
أناس لم يتمموا شريعته فنقول له قد قال قائلون انهم فى الوقت الذى فيه
اجترحوا الايات المذكورة ما اجتنبوا الشريعة لكنهم انتقلوا أخيرا وعملوا
اجتناب الشريعة لكن ان كان هذا هو المعنى فلا يثبت الغرض المراد عليه
أيضا لان الغرض الذى فيه ارادربنا أن يوضحه هذا هو انه ان لم يحضر العمل
فلا تقتدر الامانة ولا العجائب اقتدارا وهذا الغرض قد ذكره بولس الرسول
وقال لو امتلكت أمانة أبلغ بها الى أن أنقل الجبال ولوانى أعرف الاسرار
كلها والمعرفة كلها ولم أمتلك حبا فلست شيأ ولعل المعترض يستخبرنا فن هم
هؤلاء فنقول له ان كثيرين من الذين آمنوا أخذوا مواهب بمنزلة ذاك الذى
كان يخرج الشياطين باسم ربنا ومن كان معه منزلة ما كان يوداس لان هذا
قد كان خبيثا فامتلك موهبة وهذا المعنى قد يوجده واجد فى العهد العتيق
ان النعمة قد فعلت فى أكثر الاوقات فى أناس غير أهل لها ليحسن الى
أناس آخرين اذ كان ليس كل الناس مستعدين لاقتبال المواهب كلها
فكان فيهم أقوام لهم تصرف نقى فى عيشتهم وما قد امتلكوا أمانة فى غاية نقائها
وكان فيهم أناس حالهم ضد حال هؤلاء لهم أمانة خالصة فى نقائها وما قد حازوا
تصرفهم فى عيشتهم نقيا فامر أولئك بهؤلاء أن يقتبلوا أمانة كثيرة واستدعى
هؤلاء بموهبة هذا التمتع وصفها الى أن يصيروا أفضل مما كانوا فى طريقتهم
وعملهم ولهذا المعنى أعطاهم نعمة كثيرة بسخاء لانهم قالوا وعملنا قوات كثيرة

لكننى أعترف حينئذ لهم انى لست أعرفكم لانهم الان يظنون انهم أصدقاء
لى وسيعرفون حينئذ انى ما أعطيتهم نعمتى على انهم أصدقاى وما معنى
استجابك ان كان أعطى مواهبه لرجال آمنوا به ولم يكن تصرفهم ملائما
لايمانهم اذ كان يوجد فاعلا أفعاله فى الخائنين مع صنفى الامانه والعمل
كليهما وبيان ذلك ان بلعام قد كان غريبا من الامانة ومن السيرة الفاضلة الا ان
النعمة مع ذلك قد فعلت فيه بسبب سياسة أحوال أخرى وفرعون فقد كانت
هذه الطريقة طريقته لكنه مع ذلك قد أوضح له الحوادث المستأنفة وبختنصر
فقد كان أزوغ أهل زمانه عن الشريعة فكشف له أيضا الحوادث التى ستكون
أخيرا بعد اجيال كثيرة وقد أوضح لابن بختنصر أيضا القاهر أباه فى انحرافه
عن الشريعة الحوادث المؤتنفة مدبرا بذلك أعمالا عجيبة عظيمة فاذ كان
الانذار به حينئذ قد امتلك مباديه ووجب أن يكون ايضاح قدرته كثيرا
أستمدوا هبه اناس كثيرون من الغير موهلين لها ولكن أولئك
ما استفادوا من هذه الايات ربحا لكنهم عوقبوا أكثر عقابا ولذلك قال لهم تلك
اللفظة المريعة لست أعرفكم فى وقت من الاوقات لانه يمقت فى هذه الدنيا
أناسا كثيرين ويرتجع عنهم قبل عقوبتهم فسبيلنا ان نخاف يا احباى ونهتم
بعملنا اهتماما كثيرا ولا نظن اننا قد حوينا موهبة انقص اذ كنا ما نجترح
الان آيات وعجائب فان ليس يكون لنا فى وقت من زماننا من اجتراح العجائب
هذه حظ أكثر فضلا كما انه ما يعدل لنا اذا لم نعمل آيات حظا انقص اذا اهتممنا
كافة الفضيلة لان الشكر على اجتراح العجائب حظ أكثر فضلا نحن غرما به لمن
وهب لنا ابداعها والمجازاة عن سيرتنا وأعمالنا يكون الله نصيبا لنا بها ولما
استتم أقواله كلها وتكلم فى الفضيلة بكل التعمق والاستقصاء وأظهر الذين
يراوون بها انهم مختلفون وأوضح الذين يصومون ويصلون للتظاهر بذلك وبين
الواردين بجلد الغنم والذين يفسدونها وهم الذين سماهم كلابا وخنازير أوضح

بعد

بعد ذلك كم هو ربح الفضيلة ههنا وكم هى مضرة الرذيلة فقال كل من يسمع
أقوالى هذه ويعملها يشبه رجلا عاقلا بنى بيته على الصخرة لانكم قد
سمعتم ما قاساه الذين لم يعملوها وان كانوا قد اجترحوا آيات وعجائب فيجب ان
تعرفوا النعم التى يتمتع بها الذين يطيعون أقوالى التى قيلت كلها ليس فى الدهر
الاتى فقط لكن فى هذه الدنيا أيضا لانه كل من يسمع كلامى هذا ويعمل به
يشبه رجلا حكيما بنى بيته على الصخرة أرأيت كيف يكون كلامه عند قوله
كل من يقول يارب يارب يدخل الى ملكوت السموات معلما ذاته وبقوله حينما
من يعمل مشيئة أبى ويجعل ذاته قاضيا الان كثيرين يقولون لى فى ذلك اليوم
يارب يارب أليس باسمك تنبأنا فأقول لهم لست أعرفكم وههنا أيضا يوضح
ذاته مالكا السلطان على الكل وكذلك قال كل من يسمع أقوالى هذه لانه
اذ خاطبهم بكافة أقواله فى الحظوظ المأمولة وذكر الملكوت وأجرا لا يوصف
وتعزية وماجرى مجرى هذا بر يد ههنا ان يعطى أقواله أثمارها ويبين كم
هى قوة الفضيلة فى حياتنا الحاضرة وان سألته وما هى قوة الفضيلة أجابك
ان تعيش باحتياط ووثوق ولا تكون مقهورا ولا بصنف من اصناف الشدائد
وان تقف أعلى من جميع الذين هم يقتنونك وهذا الحظ ماذا يعادله من باقى
الحظوظ لان هذا الحظ لا يحصل عليه من لبس تاج الملك بعينه بل المستعمل
الفضيلة فانه وحده يستقنى هذا الحظ بزيادة كثيرة اذ يتمتع بسكون كثير
فى لجة الحوادث الحاضرة لان هذا هو الحظ العجيب الذى يكون صاحبه متمتعا به
ليس اذا كان الصحو موجودا لكن اذا كان الشتاء شديدا والارتجاف
كثيرا والمحن والبلايا متداركة لا يمكن ان يتزعزع هو ولا تزعزعا يسيرا لانه
قال بنى بيته على الصخرة واذ هطل المطر وهاجت الانهار وأعصفت الرياح
وصادمت ذلك البيت فلا يسقط لانه قد كان أسس على الصخرة والمراد ههنا
بالمطر والانهار والرياح ليس لفظها بل معناها فانه عنى بها المصائب الانسانية

والضراء مثل مثالب الناس واغتيالاتهم واخوانهم وميتاتهم واغتيالات أهلهم عليهم والاذيات الحاصلة من الاقارب وكافة النوائب التى يقول قائل انها مصائب فى حياتنا هذه الاان النفس التى هذه الطريقة طريقتها الاتخضع ولا تقهر ولالعارض من هذه العوارض وعلة ذلك لانها مؤسسة على الصخرة ومايسمى صخرة هو وثاقة تعاليمه وتمكينه لان أوامره أقوى من الصخرة اذ يجعلها أقوى من كافة أمواج البحر لان من يحفظ أوامره هذه بمبالغة فليس يقهر الذين يمقتونه و يؤذونه وحدهم لكنه يقهر منهم الشياطين الذين يغتالون عليه والدليل على ان ماقلناه هو بعينه اذ شهد لنا به أيوب الصديق اذا صابته كافة الافات التى صادمه المحتال بها وثبت بدون تزعزع يشهدون بذلك اذ تسافقت عليهم أمواج المسكونة وتظافرت عليهم الجوع والامراء وأهلهم والاغراب والشياطين وابليس وكافة حيله فثبتوا أصلب من الصخرة وحلوا هذه الملمات كلها فاية هى الطريقة التى تكون أسعد من هذه الطريقة لان هذه الخاصة لاتقدر قوة جسم ولاثروة ولا شرف ولا اقتدار ولا شئ غير هذا يفيدنا الا اقتناء الفضيلة وحده لانه لا يوجد ولا يتفق أن توجد طريقة أخرى خالية من البلايا كلها والشرور سوى هذه الطريقة وحدها وأنتم شهود بحقيقة ذلك اذ تعرفون الاغتيالات التى فى قصور الملوك والاراجيف والضجيج الموجود فى دور الاغنياء الا أن رسل ربنا ما حصل لهم ولا صنف هذا خاصته فما قولكم فى ذلك هل ما حدث عليهم حادث هذا تأثيره ولا نالهم عارض مكروه ولا من أحد الناس لان هذا هو الغريب منهم أكثر من كل محامدهم انهم قاسوا اغتيالات كثيرة وتداركت عليهم أشقية جزيلة فما أقلقت أنفسهم ولا جعلتها فى اكتئاب لكنهم صارعوا بأجسام عرية فاستظهروا وقهروا وأنت متى شئت ان تعمل أوامر ربنا بمبالغة فى استقصائها ستضحك على مصاعب الدنيا كلها واذا كنت متحصنا من هذه العظات بفلاسفتها فلا يقدر عارض من العوارض ان يغمك لان من يضرك هل من

يغتال عليك ويسلبك أموالك لكنك قبل نهو بل أولئك المغتالين قد أمرت ان
تحتقرها وتبتعد منها أبعد البعد كله حتى لا تطلب من سيدك شيأ من أملاك الدنيا
قط أفيضرك ان تجلس فى الحبس الا انك قبل الحبس قد أمرت ان تعيش على
هذه الصورة عيش منصاب عند العالم كله أفيغمك ان يقول لك شيأ مكروها
الا ان المسيح الهنا قد أراحك من هذا الوجع اذ وعدك بتمام ثواب احتمالك
بدون تعب وجعلك فى هذا الوجه نقيا من الغيظ والغم على هذا المثال حتى انه
قد أمرك ان تدعو لمن يغمك وتصلى عليه أفيحزنك ان يطردك طارد ويسكعك
فى بلايا كثيرة الا انه يجعل الا كليل لك بهيا أفيروعك ان تقتل وتذبح فلهذا
الغرض ينفعك أعظم المنافع مخترعا لك جوائز الشهداء أيضا مرسلا اياك أسرع
ارسال الى الميناء الذى لا يزول محولا اياك لمكافأة أعظم سببا جاعلا اياك
ان تكتسب قضية الموت المشاعة ربحا وهذا هو حظ أعجب الحظوظ كلها
خصوصا ان الذين اغتالوا ليس انهم ما وصلوا فقط الى الذين اغتالوا عليهم ضررا
لكنهم مع ذلك جعلوا الذين اضاموهم موفقين أحسن التوفيق وأفضله فمن
يختار هذه الطريقة ومن الذى يوجد عديلا لحظه فمن يوجد هذه العجيبة سجيته
هو عديله وحده ولماذ كران الطريقة ضيقة كربة سلى ههنا الاتعاب فيها
وأرى ان الحياطة منها ووثاقتها توجد كثيرة ولذتها جزيلة كما ان الطريق التى
تضاضدها جزيل ضعفها كثيرة خساراتها لانه على حذو ما بين ههنا جوائز
الفضيلة فكذلك أوضح املاك الرذيلة لان ما أقوله دائما ذاك أقوله أيضا
الآن ان ربنا بهذين الصنفين كليهما يخترع فى كل مكان خلاص سامعيه بجنا بتهم
الفضيلة وبمقتهم الرذيلة لان اذا عزم اناس ان يستجبوا ايضاح ما يقوله وما
يتنحون باعمالهم ايضاح استجابهم سبق هو هزمهم وأراعهم بقوله ان الاقوال
التى قلناها وان كانت نافعة جيدة فان استماعها ليس يجزى سامعها الاستيثاق
به لكنه يجب عليه ان يطيعها باعماله وكل غرضه ويوجد فى هذا الرأى

خصوصا فى هذه النقطة ينقض القول الذى جدد فيهم الخوف لما أهملوه وكما انه ما قدم ايعازه اليهم باتخاذ الفضيلة من الحظوظ المأمولة فقط لما ذكر ملكه وسمواته وثوابا لا يوصف وسلوا ونعما صالحة جزيلا عدد ها لكنه أوضح لهم مع ذلك من الاشياء الحاضرة خاصة الصخرة الصلبة التى لا يمكن ان تحرك فكذلك اذ حضهم على اجتناب الرذيلة ما أراءهم من العذابات فقط كقولك انه ما اراءهم العذابات المأمولة أى انه ما أراءهم من شجرتهم المقطوعة ومن النار التى لا تخمد وانهم ما يدخلون الى ملكه ومن قوله لست أعرفكم لكنه أراءهم أيضا من الحوادث الحاضرة بذكره السقطة الحادثة على بيتهم ولهذا المعنى جعل كلامه أبين ظهورا اذ أورده فى تمثيله لان ما كان القول ان المكين فى فضيلته لا يقهر مساويا للقول ان الخبيث متيسرا اقتناصه وان يضع فى تمثيله صخرة و بيتا وأنهارا ومطرا ورياحا وما شابه هذه وماثلها وكل من يسمع زعم أقوالى هذه ولا يعملها يشبه برجل أحمق بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجرت الانهار وهبت الرياح وضربت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما على جهة الصواب سمى من هذا الفعل فعله أحمق لان ماذا يكون أعدم فهما ممن يبتنى على الرمل بيتا و يصبر على التعب و يعدم ثمرة تعبه و راحته و يقاسى عوض هذا العمل عذابا

العظـــــــــــــــــة

والدليل على ان الذين يمارسون الرذيلة يتعبون فهو واضح لكل واحد فى كل مكان و بيان ذلك ان الخاطفين الغاشم والفاسقين والقاذفين يتعبون تعبا كثيرا و يشقون حتى يوصلوا رذيلتهم الى تمامها ولكنهم لا ينالون ثمرا من اتعابهم هذه فقط ولا ربحا لكنهم مع ذلك يخسرون خسرانا جزيلا وقد أشار بولس الرسول الى هذا المعنى وأضمره فى قوله ومن يزرع للجسد سيحصد

للجسد

للجسد فسادا يشابه الذين يبتنون على الرمل لهذا الزارع ومثلهم الذين يبتنون بيتهم على الزناء وعلى الفسق والذين يبتنونه على السكر والذين يبتنونه على الغضب والذين يبتنونه على كافة الرذائل الاخرى وبهذه الصفة كان أخاب الملك الاان ايليا النبي ما كان بهذه الصورة لاننا اذا وصفنا الفضيلة والرذيلة كلا منهما مقابل الاخرى نعرف الفضل بينهما أبلغ معرفة لان أيليا ابتنى على الصخرة وأخاب بنى على الرمل فلهذا السبب وهو ملك ارتاع وارتعد من النبي المالك وشاحه الجلدى فقط وهذا الحال كان حال اليهود الاان رسل ربنا لم يكن هذا حالهم ولهذه العلة كانوا قليلى العدد مربوطين فأظهروا صلابة الصخرة وأولئك اليهود كانوا كثيرين متدرعين سلاحهم فأوضحوا ضعف الرمل لانهم قالوا ماذا نعمل بهؤلاء الناس أرأيتهم حاصلين فى الحيرة ليس المكتوفين الحاصلين تحت أيدى الناس الذين قبضوا عليهم وكتفوهم وهذا حادث ماذا يكون أبدع منه أنت تقبض على أقوام وتحيرمنهم وذلك على جهة الواجب جدا لانهم لما بنوا أفعالهم كلها على الرمل كذلك حصلوا أضعف قوة من الناس كلهم لهذا السبب قالوا أيضا ماذا قد عملتم اذ تريدون ان تجلبوا علينا دم هذا الانسان وانا أخاطب أحدهم أنت تضربهم بالسياط وأنت تخافهم أنت تضيمهم وأنت ترتاع منهم وأنت تحكم عليهم وأنت ترتعد منهم فالرذيلة بهذه الصورة ضعيفة الاان الرسل ما كانوا بهذه الصورة لكنهم قالوا نحن الذين قد رأيناه وسمعناه لا يمكننا الاان نتكلم به ونذيعه أرأيت رأيا عاليا أرأيت صخرة تضحك على الامواج أرأيت بيتا لا يتزعزع والخاصة التى هى أعجب خواصهم ان هؤلاء الرسل ليس انهم لم يعبأوا فقط بالاغتيالات التى اغتال بها اليهود عليهم لكنهم مع ذلك استمدوا جسارة أكثر وجاهدوا مع أولئك جهادا عظيما لان من يضرب حجر الماس هو يكون المضروب ومن يرفس الاسنة هو الذى يجرح مقتبلا عقورا صعبة ومن يغتال المتمكنين فى فضيلتهم

هو الذى يتورط فى الخطر وذلك ان الرذيلة تصير بهذا المقدار اشد ضعفا بمقدار مسافتها الفضيلة وبصورة من يربط فى ثوبه نارا ليطفئ لهيبها فبفعله هذا ما اطفاء لهيبها لكنه أتلف ثوبه يكون صورة من يستضيم المكين فى فضيلته ويقبض عليه ويكتفه فبفعله هذا قد جعل ذاك أفضل حسنا وبهاء وقد أهلك هو ذاته لانك بمقدار الشدائد التى تقاسيها عائشا فى طريقة التقاء والوداعة بمقدار ذلك قد صرت أشد قوة وتأييدا الا اننا بحسب ما نكرم الفلسفة بحسب ذلك ما نخاف أحدا من الناس وبقدر ما نكون لا نخشى أحدا بقدر ذلك نكون أقوى من جميع الناس وأعلى منهم محلا بهذه الصورة كان يوحنا الصابغ فلذلك لم يغمه من الناس أحدا وهو غم هيرودس ولم يملك شيأ فاستظهر على هيرودس ذلك المتوشح بديباجته وتاجه وكثرة خيله ارتعد وارتاع من العارى من املاك الدنيا كلها وما استطاع ان يبصره ولا بعد قطع رأسه لانه قد كان يخاف منه حتى وفاته بعد الخوف مضطربا واسمع قوله هذا هو يوحنا الذى أنا قتلته وقوله الذى قتلته انا ما كان قول مفتخر بقتله لكنه كان قول من شكى ارتياعه منه ويحقق لنفسه المرتجفة من ذكره انه هو ذبحه وهذه القوه الجزيلة قوة الفضيلة انها توجد بعد وفاة صاحبها أوفر قوة من الناس الاحياء لهذا السبب حين كان حيا فى جسمه جاء الى عنده المالكون الاموال الكثيرة وقالوا له ماذا نعمل وأنا أخاطبهم قد ملكتم أملاكا جزيلة وتريدون ان تعرفوا ممن لا يملك شيئا طريق اليسر وطيبة أيامكم يقتنونها الاغنياء من لا يمتلك بيتا الفقير وبهذه الصورة كان ايليا النبى فكذلك خاطب جميع بنى اسرائيل بهذه المجاهرة فيوحنا قال لهم يا أولاد الافاعى وايليا قال لهم الى متى تتعارجون بالاعصاب التى فى باطن الركبتين منكم كلتيهما وأخاب الملك قال وجدتنى يا عدوى ويوحنا الصابغ قال لا يجوز لك ان تجوز امرأة فيلبس أخيك أرأيت الصخرة أأبصرت الرمل كيف ينهوى بايسر مرام كيف ينهزم

للصائب

للصائب كيف يتغلب ولوانه مع ملك ولو كان مع جماعة من الناس ولو كان مع
اقتدار يجعل جميع الذين يستعملونه أعدم كل الناس حساً وليس ينهوى فى
بسطاته لكنه يصاب بمصاب كبير لانه قال عز قوله وكانت سقطة البيت عظيمة
وبيان ذلك ان الخطر ليس هو فى أشياء حقيرة لكن الخطر من أجل النفس ومن
اجل الخيبوبة من السموات ومن تلك الفوائد الحسنة التى لا تموت وأولى
ما يقال ان من يسعى وراء الرمل يعيش ههنا قبل تلك الحظوظ المأمولة معاشاً
أشقى من كافة الاشقياء عائشاً بغموم دائمة وهموم ملازمة وبجهادات
وهذا المعنى فقد رمز اليه حكيم من الحكماء وقال يهرب المحدو وليس يطرده طارد
لان الذين هذا الحال حالهم يرتعدون من الضلالات ويتهمون أقاربهم
وأعداهم وعبيدهم والذين يبصرونهم والذين لا يرونهم وقبل العقوبة هنالك
يقاسون العقوبة الواصلة الى غايتها ههنا وهذه النوائب كلها أوضحها المسيح له
المجد وقال وكانت سقطته عظيمة ونحن أوامره هذه الحسنة فى غاية تعليم الواجبة
وحقق عند الذين قد زال تصديقهم جداً ان يهربوا من العقالات الحاضرة ولئن
كان كلامه فى الحظوظ المأمولة أعظم محلاً الا ان هذا الكلام فيه كفاية ان
يضبط من كان اكثف من غيره فهماً وينهاهم عن خبثهم وكذلك أنهاه الى هذه
النهاية الى ان تكون منفعته ساكنة فيهم

العظـــــــــــة

فاذ قد عرفنا هذه الاوامر كلها والحوادث الحاضرة والمستأنفة فسبيلنا ان نهرب
من الرذيلة ونتخذ الفضيلة حتى لا نتعب تعباً باطلاً فارغاً لكننا نتمتع بحياتنا
ههنا ونشترك فى المجد الذى هنالك الذى سيكون لنا كلنا ونناله بنعمة ربنا
يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى له مع أبيه والروح القدس المجد الى أباد
الدهور آمين

المقالة الخامسة والعشرون

وكان لما استتم يسوع هذه الاقوال بهتت الجموع من تعليمه

قد كان لعمرى لائقا أن يوجههم ايعاز أوامره الثقيلة عليهم وأن ينهرهم بسمو فرائضه فالآن قوة من علمهم كان مبلغها هذا المبلغ قد انتهت الى أن أقتنص كثيرين منهم وجعلهم فى استجاب عظيم له ومكن عندهم لاجل لذة أقواله التى قالها الا يبتعدوا عنه ولا اذا كف عن كلامه لان السامعين أقواله ما ابتعدوا عنه عند انحداره من الجبل لكن الجمع كله على هذا الحال لحقه اذ عشقوا اقواله التى قالها وبهتوا لعمرى من سلطانه أكثر من كل ما يجب لانه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس مثل كتابهم لانه قال ما قاله ليس مصعدا المعنى الى غيره مثل النبى موسى لكنه فى كل مكان أظهر ذاته أنه هو المالك السلطان لانه فى اشتراعه فرائضه استثنى استثناء متصلا بقوله وأنا أقول لكم وعند ما ذكر ذلك اليوم أوضح ذاته أنه هو القاضى وأبان ذلك بعقوباته وتكريماته على أنهم فى هذا الموضع قد كان واجبا أن يرتجفوا الان الكتاب ان كانوا بصروه قد أراهم سلطانه باعماله رجموه بالحجارة وطردوه فحين كان قد أظهر سلطانه باقواله فقط فكيف ما كان يشككهم على جهة الواجب ولاسيما حين قال أقواله هذه فى مبادى تعليمه وقبل أن يفيدهم معرفة بقدرته الا أنهم مع ذلك ما أثر فيهم صنف من هذه الاوهام لانه اذا كانت انفسنا وتمييز فهمنا خالصا ودهما انقبل أسهل قبولا أقوال الصدق فلهذا السبب ارتاب به أولئك الكتاب اذ كانت آياته تنادى بقدرته وهؤلاء الجموع اذ سمعوا أقوالا ساذجة قبلوها

ويحقروه وهذا المعنى أغمض ذكره البشير فقال أنه لحقته جموع كثيرة لما
نزل من الجبل ولم يلحقه أقوام من رؤساء اليهود ولا من كتابهم لكن لحقه جميع
الذين كانوا قد تخاصروا من رذائلهم وامتلكوا عزمهم بدون محاباة وفى كل
حين من بشارته نراهم ملتفين به لانه كان اذا تكلم سمعوه بصمت
ولا يوردون اعتراضا ولا يقطعون نظام كلامه ولا كانوا يختبرونه تائقين أن
يجدوا عليه نكتة مثل الفريسيين و بعد مفارضته فى جمعهم كانوا يلحقونه أيضا
متعجبين وتأمل فى فهم سيدنا كيف كان يلون منفعة الحاضرين عنده
و ينقلهم من عجائبه الى أقواله و ينقلهم أيضا من تعاليمه الى عجائبه لانه قبل
طلوعه الى الجبل شفى أناسا كثيرين مطرقا بذلك لاقواله و بعد اتمامه
هذه المفاوضة الطويلة للجمع كان يعود أيضا الى اجتراح عجائبه محققا ما يعمله
و يعمله ما يقوله لانه اذ علمهم تعاليم مالك سلطان ففى لا يظن ظان مذهب تعليمه
هذا النافع أنه افتخر وتجبر كان يعمل هذا العمل فى اجتراحه عجائبه أن يشفى
شفاء مالك سلطان حتى لا يرتجفوا اذا رأوه يعلم هذا التعليم متى ما أبصروه يجترح
عجائبه هذا الاجتراح لان البشير قال وفى انحداره من الجبل دنى منه أبرص
وسجد له قائلا يا سيدى ان شئت أمكنك أن تنقينى لقد كانت أمانة هذا الرجل
الذى دنى منه كثيرة وفهمه جزيلا لانه ما قطع تعليمه ولا شق المحفل الحاضر عنده
لكنه انتظر الوقت الملائم وعند انحداره تقدم بحضرته وما تقدم على بسيط ذات
الدنو منه لكنه دنى منه بحرارة كثيرة ولابث يترسل اليه فوق ركبتيه جاثيا على
ما ذكر بشير آخر بامانة خالصة و باعتقاده لائم لها لانه ما قال ان سألت الله ولا قال
ان ابتهلت اليه لكنه قال ان شئت أمكنك أن تنقينى ولا قال يا سيدى نقنى
لكنه فوض كافة الامر اليه وجعله رب الاصلاح حاله وشهد له بالسلطان كله فما
الذى يقوله قائل ان كان ظن هذا الابرص ظنا خائبا من الصواب فقد كان واجبا
أن ينقضه ربنا و يتهره و يصلح رأيه فهل عمل به هذا العمل لا البتة لكنه فعل

بضد ذلك كله فثبت ماقاله وحققه ولهذا الغرض ماقال له تطهر لكن مد
يده ولمسه وقال له قد أردت فتطهر وللوقت طهر برصه حتى يكون الرأى
والفعل ليس لتوهم ذلك الابرص أيضا لكنهما يكونان اعزمه والا أن
الرسولين بطرس ويوحنا ماعملا هذا العمل لكنهما اذبهت الجمع للعجيبة قالا
مابالكم تنظرون الينا كاننا بقوتنا وسلطاننا جعلنا هذا أن يمشى الا أن سيدنا
يدل على أنه قد تكلم فى أكثر الاوقات أقوالا كثيرة ذليلة منخفضة دون شرفه
لكى يمكن ههنا اعتقاد الذين يتوهمونه فى سلطانه قال للابرص قد أردت
فاطهر على أنه قد صنع أيات جزيلا مبلغها عظيما تقديرها ومايستبين البتة
قائلا هذه اللفظة وانما قالها ههنا حتى يثبت ظن الجمع كله والابرص فى سمو
سلطانه فلهذا استثنى بقوله اريد وماقال هذا القول ومافعله بل فى الحين تبع
الفعل قوله فلو كان قوله لم يكن على جهة الصواب لكنه كان تجديفا فالوجب أن
ينقطع الفعل ولكن الطبيعة خضعت الآن عندما أمرها خضوعا بسرعة واجبة
عظيمة وقد ذكر البشير هذا المعنى لان قوله للحين هو ابطاء كثيرا من اسراع
التطهير الكائن بالفعل وقال أريد فتطهر ليس على هذه اللفظة لكنه مد اليه يده
وهذا الفعل أهل للبحث عنه بأكثر تصفح لان لاجل أى غرض اذ نقاه بكلمته
وارادته زاد لمس يده فعلى حسب ظنى أنه فعل ذلك ليس لاجل غرض آخر
الا ليبين ههنا أنه ليس تحت وضع الشريعة لكنه جانح اليها وأن الطاهر ليس
عنده شيأ نجسا ولهذا السبب ما أبصر اليشع النبى نعمان السريانى لكنه اذ
عرف أنه قد ارتاب به اذ ماخرج اليه ولا لمسه تحفظا استقصاء الشريعة لبث فى
منزله وأرسله الى الاردن يستحم فيه الا أن سيدنا أظهر أنه ليس كعبد لكنه
يشفيه على أنه ربه ويلمسه لان يده ماصارت من برص الابرص نجسة لكن جسم
ذلك الابرص صار من يده المقدسة نقيا لانه ماجاء شافيا اجسامنا
فقط لكنه جاء مقتادا أنفسنا مع ذلك الى الفلسفة وكما أنه ما منعنا فيما بعد أن

ناكل

نا كل بايد غير مغسولة ما أوردتلك الشريعة الفاضلة التى فى ازالته تجنب
الاطعمة فكذلك علمنا ههنا بعد ذلك أن نحتاج أن نهتم بانفسنا ونغسلها
باجتنابنا فنون النظافة التى من الخارج وان نتقى برصها وحده الذى هو الخطية
لان كون جسمنا أبرص ليس هو عائقا يعيقنا عن الفضيلة ولهذا الغرض لمس
هو الابرص أولا وما شكاه شاك لان مجلس قضاة الذين حضروا عنده ما كان
مفسودا ولا كان الناظرون اليه قد ضبطهم الحسد له فلهذا المعنى ليس أنهم
ما نقصوا العجيبة فقط لكنهم بهتوا منها وفرحوا الها اذ مجدوا القدرته العديمة
الاحتيال من اجل الاقوال التى قالها ومن العجائب التى أبدعها ولما شفى
جسده اوعز اليه الا يقول لاحد الناس ما صار منه اليه بل يرى للكاهن
ذاته ويقدم القربان الذى أمر بتقديمه موسى للشهادة عليه وقد قال
قائلون انه لهذا الغرض أمره الا يقول لاحد الناس ماصار اليه منه لكيلا
يعملوا عملا منكرا فى تمييز تطهيره فقد توهموا هذا التوهم بدون لانه ما نقاه لهذه
المعنى حتى تكون تنقيته تشكيكا للناظرين اليه لكنه أمره الا يقول لاحد الناس
ماصار اليه منه ليعلمنا بذلك اجتناب الافتخار والتباهى على انه قد عرف ان
ذلك الابرص لا يقبل منه ذلك لكنه سيذيع المحسن اليه لكن ربنا مع ذلك عمل
ما اعتمده ولقائل أن يقول فكيف قد أمر فى موضع آخر من شفاه أن يقول
فنقول لم يأمر بذلك مخالفا لذاته ولا مضادا اياها لكنه ارانا بذلك ان نكون
مخلصين الود شكورين لانه ما أوعز هنالك الى ذلك المشفى ان ينذر به لكننا
أمره ان يعطى المجد لله وبهذا الابرص علمنا اجتناب الكبر والعجب وبذلك
يعلمنا ان نكون شكورين لله خالصين الوده مودبا ايانا فى كل مكان ان نعلى
المديح الى سيدنا عن سائر الحوادث واذ كان أناس من عادتهم فى أكثر
الجهات ان يذكروا الله اذا مرضوا ويهملون فى ذكره اذا تخلصوا من مرضهم
يأمرنا هو ان نصغى الى سيدنا دائما اذ كنا مرضاء واذا صرنا اصحاء بقوله لذلك اعط

لله تمجيدا ولعلك تستخبر لماذا أوعز اليه ان يرى الكاهن ذاته وان يقدم
قربانا فنقول لك أمره بهذا تتميما ههنا الشريعة أيضا لانه ما حلها في كل مكان
ولا حفظها في كل موضع لكنه حلها أحيانا وتممها أحيانا فبحله اياها طرق
الفلسفة المستأنفة وبحفظه اياها ضبط من اليهود لسانهم الفاقد الارتداع
جانحا مع ضعفهم وما معنى استعجابك ان كان هو عمل هذا العمل في مبادى
مناداته اذا رأيت رسله بعد ايعازه اليهم ان يذهبوا الى الامم وان
يفتحوا في المسكونة أبواب تعليمه وان يغلقوا الشريعة العتيقة ويجددوا
أفعالهم وان يخمدوا فرائضها كلها يستبينون انهم يحفظونها حينا ويغفلون عنها
حينا ولعلك تقول فقوله أرى الكاهن ذاتك ما الذي ينفع في حفظ الشريعة
فأقول لك انه ينفع ليس نفعا يسيرا لانه كانت لهم شريعة قديمة متى ما تنقى
الابرص لا يفوض الى ذاته اختيار تنقيته لكنه كان يظهر للكاهن ويخول
عيني الكاهن برهان تطهيره ومن قضيته هذه يرتب مع الانقياء فان كان
الكاهن ما قد قال ان الابرص قد تنقى ثبت أيضا مع النجسين خارج معسكرهم
فلذلك قال له أرى الكاهن ذاتك وقدم القربان الذي أمر به موسى فما قال
الذي آمر به أنا لكنه أرسله عاجلا الى الشريعة مطبقا في سائر الجهات أفواههم
لان حتى لا يقولوا انه قد اختلس تشريف كهنتهم وعمل تنقيته وأمر
أولئك بتصفحه واختباره وأجلسهم قضاة على عجائبه لانه قال انني أبتعد من
الخصومة أبعد البعد واجتنب ان أنافر موسى وكهنته حتى انني أقتاد الذين
أحسن اليهم الى الخضوع لاولئك وان سألت فما معنى قوله للشهادة عليهم
أجبتك للطعن فيهم ابرهانا لهم اذ ساء عزمهم لانهم متى قالوا نطرده من
جهة انه مضل مطغ مضاضد لله متجاوز شريعته قال أنت تشهد لي في
ذلك الوقت انني أنا لست للشريعة متجاوزا لانني لما شفيتك أرسلتك الى
الشريعة والى اختبار الكهنة وهذا فكان فعل مكرم الشريعة مستعجبا موسى

النبي

النبي ولم يكن فعل مضاضد للاعتقادات القديمة ولئن كانوا ما أزمعوا ان
يرعووا بحافين ههنا يجب لهم ان يعرفوا أبين معرفة تكريمه الشريعة لانه
اذ تقدم فعرف انهم ما يستمدون نفعا تمم فرائضه كلها الا انه قد تقدم فعرف هذا
المعنى بعينه وقد ذكره لانه ما قال لاصطلاحهم ولا لتعليمهم ولكنه قال للشهادة
عليهم الذى معناه لتأنيبهم وتوبيخهم وللشهادة عليهم بان قد حصلت منى الفوائد
كلها وقد تقدمت فعرفت انهم يبقون فاقدين اصطلاحهم فما أعدمهم على
هذا الحال ما يجب أن يعمل بهم فليبقوا حافظين رذيلتهم وهذا اللفظ قد
ذكره فى موضع آخر اذ قال ستنادى بهذه البشارة فى الدنيا كلها للشهادة على
كافة الامم وبعد ذلك يوافى الانقضاء الشهادة على الامم الذين لم يطيعوا على الذين
لم يقبلوها الان حتى لا يقول قائل ولاى غرض تنادى عند كل الناس بها ان كان
ليس كل الناس يزمعون أن يقبلوها نجيبه حتى ان ابين كلما يناسبنى
ولا يسارع ولا يسوغ لاحد الناس ان يشكو بعد ذلك انه ما سمع بشارتى لان
التنذير بها يشهد بها عليهم وما يجب لهم بعد ذلك ان يقولوا اننا ما سمعناها الان
كلام تهذب الذين قد انبث الى أقاصى المسكونة

العظـــــــــــــــــة

فاذ قد عرفنا نحن هذه الاقوال وفهمناها فسبيلنا أن نرفقائنا كلما
يحتاجونه منا ونشكر كل وقت الهنا لانه فعل منكر انه نتمتع كل يوم باحسانه
بالفعل ولا نعترف بنعمته علينا بالكلام على ان اعترافنا بنعمته فى طباعه ان يجتلب
المنفعة لنا لانه هو ليس يحتاج الى فعل من افعالنا لكننا نحن نحتاج الى احساناته
كلها ولعمرى ان شكرنا ليس يزيده شيأ لانه يجعلنا نحن مختصين به ولئن
كنا اذا تذكرنا للناس احسانهم الينا فى ودهم أعظم استجرارا فأيق من ذلك اذا
تذكرنا السيد نامانعله بنا من احسانه دائما وأولى ان نصير فى وصاياه أشد حرصا

من غيرنا عليها فلهذا المعنى قال بولس الرسول كونوا شاكرين لانه ذكر الاحسان والشكر الدائم حياطة للاحسان شديدة ولهذا السبب تدعى الاسرار المريعة المتالهة خلاصا كثيرا المقدمة فى كل قداس شكرا لانها هى ذكر تذكرنا باحسانات كثيرة تربنا جلة عناية الهنا بنا وتجعلنا ان نشكره بكافة افعاله لان ولادته من بتول ان كانت عجبا عظيما وقد بهت البشير منها وقال هذا كله ليتم فقل لى أين نضع ذبيحته لان ولادته ان كانت تدعى هذا كله كان ليتم فانصلابه وأراقة دمه وبذله ذاته لنا الاكل وشكرر وحانى ماذا يدعى فسبيلنا أن نشكره شكرا دائما وليتقدم هذا الشكر أقوالنا وأفعالنا وينبغى أن نشكره ليس الشكر من اجل خيراته الواصلة الينا فقط لكن يجب نشكره على خيراته الواصلة الى غيرنا الا اننا على هذه الجهة نقدر ان نبطل الحسد ونزيله ونجعل حبنا أخلص نقايضنا وينظمنا الان ما نقدر بان نحسد أولئك الذين نشكر اسيدك من أجلهم ولهذا الغرض يامرنا الكاهن عند تقدمنا تلك الذبيحة الجليلة ان نشكر من أجل المسكونة ومن أجل المولودين أولين ومن أجل الكائنين الان عن المتكونين فيما سلف لاجل الاحسانات الصائرة فيما بعد الينا الان هذا الشكر يستخلصنا من الارض وينقلنا الى السماء ويجعلنا من أناس ملائكة لان أولئك الملائكة أقاموا صفا قائلين المجد لله فى الاعالى والسلامة فى الارض والمسرة فى الناس ولو قلت لهم وما الذى وصل اليكم ولستم اناسا ولا أنتم فى الارض لاجابوك قد وصل الينا أعظم الفوائد لاننا قد علمنا هذا التعليم ان نحب مواخينا فى العبودية حبا تنتهى فيه الى ان نحتسب خيرات أولئك انها خيراتنا ولهذا المعنى شكر بولس الرسول فى كل موضع من رسائله من أجل محامد أهل المسكونة التى أحكمها فينبغى انا نحن ان نشكر اذا الله شكرا دائما على نعمه الواصلة الينا وعن الواصلة الى غيرنا وعن عظائم احسانه وعن صغارها وان كانت المنة التى يعطيناها الله

صغيرة

صغيرة ستكون اذ قد خولناها هو عظيمة   وأليق ما يقال ان ليست منحة من المنح التى تصل الينا منه صغيرة ليس لاجل انها موهبة منه فقط لكنها بطبيعتها عظيمة ولكى أعنى عن مواهبه الاخرى كلها التى تغلب الرمل بكثرتها اما الذى يكون عديلا لتدبيره الصابر من أجلنا الان الذى كان عنده اكرم من برايايه كلها ابنه الوحيد بذله من أجلنا نحن أعدائه وما بذله فقط لكنه بعد بذله اياه عنا جعله مائدة لنا عاملا كافة الاعمال التى عملها من أجلنا عندما خولنا اياها وعندما جعلنا شاكرين له من أجلها ولعمرى ان الانسان اذا كان فى أكثر حالاته قد عدم أن يكون شكورا قبلناه وفى كل موضع وأصلح ما أصلحه لنا وما عمله فى عصر اليهود فى اذكاره م باحساناته من مواضعهم وازمانهم واعيادهم اياه عمل ههنا اذ حصلنا من حال ضحيته فى ذكر دائم لاحسانه الينا من أجل نعمه هذه فعلى هذا المنهاج ولا واحد من الناس حرص أن يجعلنا موفقين معظمين وفى الاحوال كلها شكورين مثل الهنا الذى خلقنا ولهذا المعنى يحسن الينا ونحن كارهون ويسدى الينا أكثر نعمه ونحن نجهلها وما نعرفها وان كنت تستعجب ما نقول فساريك هذا العارض عارضا ليس لواحد من الناس المحتقرين لكنه قد عرض لبولس الرسول وبيان ذلك ان ذلك السعيد عندما تورط فى اخطار كثيرة تضايق فيها توسل الى الهنا دفعات كثيرة أن يبعد عنه المحن والبلايا الا ان الاله الحكيم صغى ليس الى توسله لكنه صغى الى ما يوافقه وبين له هذا الغرض وقال يكفيك نعمتى فان قدرتى انما تكمل فى الضعف   فوجب من ذلك انه قبل أن يذكر له العلة كان يحسن اليه كارها ليس عارفا ان قلت وما الذى يبتغيه عوض اهتمامه بنا الجزيل مبلغه أجبتك هو قبولنا أمره أن نكون شكورين فسبيلنا اذا أن نطيعه ونحفظ أوامره فى كل مكان وذلك ان اليهود ما أهلكهم ولا فعل من أفعالهم على هذه المقايسة مثلما اهلكهم عدم شكرهم وما أورده الله عليهم تلك الضربات

الكثيرة المتتابعة الاعدم شكرهم واليق مايقال ان هذا الداء قبل
تلك الضربات أهلك نفسهم وأفسدها لانه قد قال ان رجاء العديم ان يكون
شكوراً مثاله مثال جليد شتوى وهذا الداء جعل نفسنا أن تكسل وان تموت
كنحو هذا الموت على نحو ما يميت الجليد الشتائى جسمنا لان هذا الداء يتكون
من التعظيم ومن توهم صاحبه انه موهل لشئ اذ من شأن المتفقت القلب المتخشع
أن يقدم لله تبارك اسمه مثانى شكره ليس من أجل الاحوال الصالحة وحدها
لكنه يقدمها أيضاً من أجل الحالات المظنونة انها اضداد النعم الصالحة
ومهما عرض له فليحتسب انه يعرض له عارض لا يكون أهلاً له فينبغى لنا
اذا بمقدار ما ننجح فى الفضيلة بمقداره نذلل ذواتنا أكثر ونقتت قلوبنا اذ هذا
العمل فضيلة من أعظم الفضائل وكما اننا بمقدار ما نبصر بصراً أحد
وأوضح بقدر ذلك يكون مقداراً بتعادنا من السماء فكذلك بمقدار نجاحنا
فى الفضيلة بمقداره نتأدب ابلغ تأدباً بان يعرف الحد الاوسط بين الله وبيننا
وهذا ليس هو جزأ من الفضيلة صغيراً ان يمكننا ان نعرف رتبتنا لان هذا هو
الذى قد عرف ذاته ابين معرفة الذى ما يحتسب ذاته انه شئ فلهذا المعنى حين
ارتقى ابراهيم وداود الى ذروة الفضيلة حينئذ احكما هذا الرأى اتم احكاما
لان ابراهيم دعا ذاته ارضاً ورماداً وداود سمى ذاته دودة وكافة القديسين أهانوا
ذواتهم نظيرهما على نحو ما ان الو نروا تتكبر ذلك هو الذى يجهل ذاته
أكثر من كل الناس ذلك لذلك حصلت لنا على مالوف اعتيادنا الشائع بيننا عادة ان
نقول عن المتكبرين ان من لا عرف ذاته يجهل ذاته ومن جهل ذاته فلمن يعرف وكما
ان من عرف ذاته يعرف الاشياء كلها فكذلك من لم يعرف هذا العرض فلا
يعرف الاشياء الاخرى كلها بهذه الصفة كان ذلك القائل لاضعن فوق السموات
كرسى لانه اذ جهل ذاته جهل الاشياء الاخرى كلها الا ان بولس الرسول ما كانت
هذه غريزته لكنه دعى ذاته سقطاً وأخيراً فى القديسين ولا ظن بذاته انه موهل

للقب

للقب الرسل بعد محامده التى أحكمها الجزيل مبلغها العظيم تقديرها فسبيلنا ان نماثل هذا الفاضل ونتشبه به وانما نشابهه اذا تخلصنا من الارض ومن الاشياء التى فى الارض لانه لا يوجد شئ يجعل احدنا أن يجهل ذاته على هذه المقايسة مثل ارتساخه فى أملاك الدنيا وليس يجعله ايضا ان يرسخ فى املاك الدنيا هذا الارتساخ المكين عارض من الاعراض مثل جهل ذاته لان هذين الصنفين أحدهما متعلق بالاخر وكما ان العاشق الشرف الخارجى المحتسب الاملاك الحاضرة عظيمة المحل ولو ماحك دفعات كثيرة لا يمكن ان يعرف ذاته فكذلك من قد اعرض عن هذه الاملاك الحاضرة سيعرف ذاته بأيسر مرام واذا عرف ذاته سيمشى فى طريق الفضيلة كله فلكى نتعلم هذه الصناعة الجيدة النافعة ينبغى ان نتخلص من الاملاك البالية كلها التى تولد فينا الهيبا عظيما واذ عرفنا هذا يجب علينا ان نظهر كل تواضع لب وفلسفة لكى نرزق النعم الصالحة الحاضرة والمأمولة بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى له المجد مع الاب والروح القدس الان وكل اوان والى ابد الابدين آمين

المقالة السادسة والعشرون

وعند دخوله الى كفرناحوم دنى منه رئيس على مائة متوسلا اليه قائلا يا سيدى غلامى طريح فى منزلى مخلعا معذبا تعذيبا شديدا

لعمرى ان الابرص دنى منه عند انحداره من الجبل الان رئيس المائة هذا اقترب اليه عند دخوله الى كفرناحوم ولسائل ان يسأل ولاى غرض لم يصعد الى الجبل

لاهذا ولاذاك الابرص فنجيبه ما تخلفا عن الصعود لاجل شئ ما وذلك
ان امانتهما كليهما مستقيمة لكنهما تمهلا لكيلا يقطعا تعليمه واذ دنى منه قال
ان غلامى طريح فى منزلى مخلعا معذبا تعذيبا شديدا فقد قال البعض انه اعتذر
وذكر العلة التى لاجلها احضره اليه وذكروا انه لم يكن ممكنا ان يقدم مخلعا
متعذبا وبلغت روحه الحلقوم محمولا والدليل على انه كان قد اشرف
على الموت فقد ذكره لوقا البشير انه اشرف على ان يقضى اجله وانا اقول لكم
ان فعله هذا هو دليل على امتلاكه أمانة عظيمة اعظم من امانة الذين انزلوا
المخلع من السطح لديه بكثير لانه اذ عرف معرفة بينة ان ايعازه فقط يكفى
لانهاض الطريح اعتقد ان احضاره لديه يوجد فضلة زائدة وان سألت وما الذى
فعل يسوع أجبتك انه عمل ههنا ما لم يعمله البتة فيما سلف لانه فى كل مكان
تبع اختيار المتوسلين اليه وفى هذا الموضع تجاوز ذلك فاوعده انه يشفيه
فقط لكنه وعده بالمجىء الى منزله وعمل هذا العمل حتى نعرف نحن امانة رئيس
المائة وفضيلته لانه لو لم يعده هذا الوعد بل كان قد قال اذهب فليبرأ
غلامك لما كنا عرفنا صنفا من محامده هذه وهذا العمل عمله بالمرأة التى من بلد
الغور على جهة المخالفة لهذا العمل لانه ههنا لم يستدعيه الرجل الى منزله فقال
له ووعده من ذاته بالمجىء الى منزله لكى نعرف أمانة رئيس المائة وكثرة تذلله
والمرأة التى من بلد الغور منع العطية عنها وأبهت الناس من صبرها لانه لم يزل
طبيبا حكيما دقيق الحيلة من عادته أن يصلح الاضداد باضدادها فكشف ههنا
بوعده وبحضوره فى المنزل من ذاته أمانة رئيس المائة واعلن هنالك بتمادى
مدافعته واستعفائه أمانة المرأة وهذا العمل قد عمله فى عصر ابرهيم بقوله
لست أخفى عن ابراهيم صاحبي ما أنا فاعله لتعرف خلوص وده ذلك الفاضل
وعنايته بأهل سدوم وبلوط أيضا لما امتنع عليه المرسلون من الدخول الى
عنده لتعرف جسامة حب ذلك الصديق اضيافة الغرباء فقال له

يسوع أنا آتي وابريه وان سألت وماذا قال رئيس المائة أجبتك قال يارب
لست كفوا أن تدخل تحت سقفي فقل كلمة فقط فيبرأ فتاى فينبغي أن نسمع
معشر المعترضين أن تقبل المسيح لان قبوله الان ممكن فلنسمع ونتنبه ونقبله
بحرص جزيل تقديره لانك اذا قبلت فقيرا جائعا عاريا فقد قبلت المسيح
اشبعته لكن فقل كلمة فقط فيبرأ غلامي ابصر هذا الفاضل وايمانه به
فهو مثل اعتقاد الابرص فيه لان هذا الرجل ما قال توسل ولا قال ابتهل
وتضرع لكنه قال مر فقط ثم خشي الا يترفع عند تحافضه فقال وذلك
اني رجل تحت طاعة سلطان مثلك تحت يدي جنود فأقول لهذا اذهب
فيذهب وأقول لآخر تعال فيجيء وأقول لعبدي اعمل هذا فيعمله ولعلك
تقول وما هو الغريب في هذا القول ان كان رئيس المائة قد توهم هذا التوهم فان
المطلوب هو ان كان المسيح قد صحح قوله هذا وحققه فأقول لك قد قال قولا صائبا
بأوفر الفهم جدا وقد رأينا اذا ووجدنا ما صار من الشفاء الى برص ذلك
بعينه صائرا ههنا لانه كما قال الابرص ان شئت وما تبين اقتدار السلطان على
الفعل لكلام الابرص وحده لكننا ننسبه مع ذلك الى قول المسيح لان ربنا
ينقض توهمه فقط لكنه حققه أعظم تحقيق وقد كان استثناؤه بقوله
أشاء فتظهر فضلة زائدة ان يقال حتى يثبت رأى ذاك الابرص فكذلك
من العدل ان نتأمل ههنا ان كان قد عرض عارض هذا صفته لاننا نجد هذا
الفعل بعينه حادثا ههنا ايضا لانه مع ما قال رئيس المائة هذه الاقوال وشهد
بسلطانه الجزيل تقديره ليس انه ما شكاه فقط لكنه قبله وعمل عملا أكثر
أيضا خالانه قبله وذلك ان البشير ما قال ان ربنا مدح ما قاله فقط لكنه بين
زيادة امتداحه اياه ولا قال انه استعجب من قوله على بسيط ذاته لكنه بمحضر
المحفل كله جعله مثالا للآخرين حتى يشابهوه أرأيت كل واحد من الذين

شهد واله يستعجبون من سلطانه اذ قال و بهت الجموع من تعاليمه لانه علمهم كمن له سلطان عليهم وليس انه ماشكاهم لكنه أخذهم وانحدروا بالالفاظ التي شفا بها الابرص ثبت عزمهم فقال ذاك الابرص ان شئت أمكنك أن تنقيني وليس انه ما نقاه فقط لكنه شفاه ونقاه وهذه الصورة في السرعة كنحو قولك اشفني ورئيس المائة ايضا قال هذا القول تكلم بكلمة فقط فيبرئ غلامي فاستعجب منه وقال ما وجدت في آل اسرائيل أمانة تبلغ الى هذا المقدار في كثرتها ولكي تعرف هذه الامانة من ضدها العمري ان امرأته ما قالت ولا قولا من هذه الاقوال لكنها قالت ضدها انها مهما تطلب من الله يعطيك فليس انه ما مدحها فقط على انها قد كانت معروفة عنده ومحبوبة ومن الحريصين في خدمته جدا لكنه انتهرها وأصلح عزمها لانها لم تقل قولا صائبا لانه قال لها اما قد قلت لك انك اذا صدقت تبصرين مجد الله فشكاها اذ حالها حال من ليست بعد مصدقة واذ قالت مهما تطلب من الله يعطيكه نهاها عن التوهم الذي تولدت هذه السجية منه وعرفها انه ما يحتاج أن يأخذ من غيره شيئا لكنه هو عين الصالحات وهو قوله أنا هو القيامة والحياة ومعنى قوله هذا انني لست أنتظر أن اقبل فعلا لكنني أنا أعمل من ذاتي كلما اريده فمن هذه الجهة استعجب من رئيس المائة وقدمه على الجمع كله واكرمه بتخويله ملكه واستدعى الاخرين الى مماثلته ولكي نعلم انه لهذا الغرض قال هذه الاقوال ليؤدب الناس الاخرين ان يؤمنوا هذا الايمان اسمع تعمق البشير كيف اغمض ذكر هذا المعنى لانه قال انه التفت وقال للذين كانوا يتبعونه ما وجدت في آل اسرائيل امانة هذا مبلغ تقديرها فالحاصل تصوره فيه هذه الظنون العظيمة مسببا له اجل الفوائد من الامانة والملك والخيرات الاخرى لان ما حصل له المديح منتهيا الى اقوال لكنه عوض ايمانه وتصديقه شفى له مريضه وضفر له اكليلا بهيا ووعده بمواهب عظيمة بقوله هذا القول

القول ان كثيرين يأتون من المشارق والمغارب ويتكئون في حضن ابرهيم واسحق ويعقوب وبنو الملكوت يخرجون الى خارج لانه لما اراهم عجائب كثيرة فاوضهم بمقاهرة اكثر جهارا ثم لئلا يظن ظان ان الفاظه هي من باب الاغراء لكن حتى يعلموا كلهم ان رئس المائة هذه السريرة كانت سريرته قال له اذهب فيكن لك مثل ايمانك والحين تبع تصديقه الفعل شاهد الاختياره ونيته وشفي غلامه من تلك الساعة وهذا العارض عرض للسريانية التي من بلد الغور لانه قال لتلك أيتها الامراة عظيمة أمانتك فليكن لك مثل ماتريدين وشفيت ابنتها واذ كان لوقا البشير لما وصف هذه العجيبة قد نظم فيها ألفاظا أخرى أكثر من هذه يظنها ظان انها تدل على اختلاف يلزمني اضطرارا أن أحلها لكم فلوقا يقول أنه أرسل اليه شيوخا من اليهود يتوسلون أن يجي الى عنده ومتى الرسول قال أنه هو دنى اليه وقال اني لست أهلا لمجيئك وقد قال قائلون أن هذا ليس هو ذاك وان كان يحوي أخبارا كثيرة متشابهة لانه قال في خبر ذاك أنه ابتنى جامعنا وأنه يحب أمتنا وفي وصف هذا قال يسوع نفسه ما وجدت في آل اسرائيل أمانة هذا مبلغ تقديرها وما قال في وصف ذاك أن كثيرين يأتون من المشارق والمغارب فمن هذه الجهة وجب أن يكون هذا يهوديا فما الذي تقوله ان حل هذا الشك سهل والمطلوب ان كان ذلك صدقا لانه على حسب ظني أن هذا هو ذاك فان قلت فكيف يقول متى انه هو قال لست اهلا لان تدخل تحت سقفي ولوقا يقول أنه أرسل اليه شيوخا ليجي الى عنده أجبتك على ما لوح لي أن لوقا رمز عندنا الى مراوغة اليهود وبين أن المرتجفين في مصيبتهم ينتقل رأيهم كثيرا لانه يليق بالمعنى أن رئيس المائة أرتاى ان يمضي الى ربنا فمنعه اليهود اذ بينوا له قائلين اننا نحن نمضي ونجيبه وأبصر سؤالهم اذ هو مملوا مداهنة لانهم قالوا لربنا أنه يحب أمتنا وقد بني جامعنا فما عرفوا من أية جهة يمدحون الرجل لانه قد كان واجبا أن يقولوا أنه قد أراد

أن يجي هو الى عندك ويسألك فنعناه نحن لما رأينا مصائبه وجثة السقيم طريحة فى منزله ويبنون على هذه الجهة جماعة أمانته فلم يقولوا هذا القول ولا أرادوا بسبب حسدهم أن يكشفوا أمانة الرجل سألوه سؤالا أكثره يحجب فضيلة من جاؤا يتوسلون فى حاجته لئلا يظن المسؤل أنه واحد عظيم المحل اذ يوصلونه الى هذا الظن اذا أدعوا له أمانة ذاك الرجل الذى حضروا لاجله لان الحسد فيه كفاية أن يعمى تمييزفهم صاحبه الا أن العارف الخفايا أشاع ذكر ذاك الرجل بدون ايثارهم والدليل على أن هذا القول صادق أسمع لوقا الرسول بعينه يبينه أيضا لانه قال واذ صار ربنا غير بعيد عن المنزل أرسل اليه رئيس المائة أصدقاه قائلا ياسيدى لا تأت الى لانى لست أهلا لان تدخل تحت سقف بيتى فاذا استراح الرجل من معاداتهم الثواب حينئذ أرسل قائلا انى ما جئت اليك ليس بسبب عجزى عن ذلك لكننى شعرت انى عديم الاهلية لاقتبالك فى منزلى ولئن كان متى قد قال أنه لم يقل هذا القول باصدقائه لكنه هو بذاته قاله فلا يولد هذا خلفا الان المطلوب أن كل منهما قد حقق نشاط الرجل وانه قد امتلك فى المسيح ظنا واجبا اذ من الممكن أن يكون بعد ارساله اصدقاءه جاء هو اليه وقال له هذه الاقوال ولئن كان لوقا ما قال هذا اللفظ ولا متى ذكر ذلك القول فالقولان ليسا متناقضين لان أليق ما يقال انما تخلف أحدهما عن ذكره تممه الاخر وأبصر لوقا الرسول كيف بذيع أمانة الرجل على نحو آخر عند قوله أن غلامه اشرف أن يقضى أجله الا أنه مع ذلك ما ورطه هذا الحادث فى القنوط واليأس ولا جعله أن يزول أمله لكنه أمل أن يقهر مصابه على هذا الحال ولئن كان متى البشير ذكر أن المسيح قال ما وجدت فى آل اسرائيل أمانة هذا مبلغها فقد بين بهذا القول أن الرجل ما كان اسرائيليا وقال لوقا انه بنى جامعنا فليس هذا ضدا لانه ممكنا ألا يكون يهوديا ويبنى جامعهم ويحب أمتهم وأنت فلا تفحص عما قاله على بسيط ذاته لكن ضف الى قوله رتبته فتبصر حينئذ فضيلته وبيان

ذلك

ذلك ان صلف الحاصلين فى رياسات الدنيا عظيم ومايحدرون الى التذلل ولا فى
مصابهم لان العامل الملكى المذكور فى بشارة يوحنا عزم ربنا الى منزله وقال له
انحدر فان ابنى قد أشرف أن يقضى أجله الا أن هذا الفاضل لم تكن هذه السجية
سجيته لكنه كان أفضل من ذلك ومن الذين انزلوا السرير من السقف كثيرا
لانه لم يطلب حضورا جسديا ولا قدم السقيم الى قرب الطبيب وهذا فما كان
فعل متصور فى ربنا أوهاما صغارا لكنه كان فعل مالك نية توهما الائقا بالله
اذ قال قل كلمة فقط فيبرى فتاى ولم يقل هذا القول فى ابتداء خطابه قل كلمة
وصف العارض فقط لانه ما وقع من كثرة تذلل لبه أن المسيح فى الحين يومى اليه
و يطلب أن يمضى الى منزله فلهذا السبب حين سمعه قائلا أنا أجى وأشفيه حينئذ
قال قل كلمة ولا أحضرله العارض له لكنه ابث اصاب يصف فى مصابه وما كان
ناظرا بهذا المقدار الى عافية غلامه بمقدارما كان ناظرا اليه الا أنه يظن ولا يعمل
عملا خاليا من تورع على أنه لم يلزمه هو بالمجى الى منزله لكن المسيح وعده بذلك
لكنه خشى بحسب تمثيل حاله الارتاى أن يتجاوز رتبته وأن يستجذب فعلا
ثقيلا أعرفت فهمه فتأمل غباوة اليهود عند قولهم أنه موهل للمنة التى يهبها له
لانه يجب علينا أن نهرب الى تعطف يسوع فأولئك الذين أوردوا رتبة ذلك
الفاضل ماعرفوا من أية جهة يوردونها الا أن الرجل ما كان هذا العزم عزمه
لكنه ذكر عن ذاته أنه غير اهل ليس لفعل الشفاء وحده بل قال أنه
قد عدم أن يكون موهلا لاقتبال ربنا فى منزله ولهذا الغرض قال غلامى
طريح وما اراد بقوله قل كلمة لخيفته الا يكون عديما أن يوجد موهلا
لنوال موهبة الشفاء لكنه اذكر نابيته فقط واذا بصر تفضله ماتهجم على تشبيه
حالة لكنه ثبت أيضا مراقبا لنفسه مقدارا الاتقا فان قال قائل فلاجل أى
غرض ماقابله المسيح بتكريمه فنقول له ذلك القول أنه قد قابله بتكريمه جدا
فأولا بانصاح عزمه الذى أظهره أبين اظهارا من تجنبه الايجى الى منزله وثانيا

بادخاله اليه أباه الى ملكه وبتفضيله على كافة أمة اليهود لانه اذ جعل ذاته عديما أن يكون موهلا لاقتبال المسيح فى منزله صار موهلا للملكوت ولنوال مواهبه الحسنة التى تمتع بها ابرهيم ولقائل أن يقول فلاى غرض اذ الابرص قد أوضح أعظم من هذه الاوهام فما مدحه لانه ماقال قل بكلمة لكنه قال ماهو أعظم من ذلك كثيرا شاء فقط وهذا فقد ذكره النبى عن الاب الازلى ان كل ماشاء صنعه فنقول له الا أن ذاك قد مدح لانه اذ قال له قدم القربان الذى أوعز به موسى للشهادة عليهم فما قد قال قولا آخر الا انك أنت الذى آمنت منهم ستثلبهم ولمعنى آخر ما كان معنى ان يومن به من كان يهوديا مساو بالمعنى أن يومن به من كان خارجا عن أمتهم والدليل على أن رئيس المائة ما كان يهوديا فذلك واضح من رياسته على مائة جندى ومن قول ربنا ما وجدت فى آل اسرائيل أمانة مثل هذه فى تقديرها وقد كان الرجل معظما جدا انسانا كان خارج حساب اليهود ان يتخذ فكره هذا مبلغ سموه لانه تصور على ما يلوح لى أن جنوده التى فى السماء خاضعة له والموت والبرايا الاخرى كلها مثل ما يخضع له هو جنوده فلذلك قال لانى انسان مرتب تحت طاعة سلطان وهذا القول معناه أنت اله وأنا انسان وأنا تحت سلطان وأنت مالك السلطان فلئن كنت أنا انسانا تحت طاعة سلطان اقدر على أفعال هذا مبلغ جسامتها فانت الاله الذى لست تحت طاعة سلطان تقتدر أكثر منى على ماتريده كثيرا لانه شاء ان يحقق عنده بأكثر تحقيق انه مايقول أقواله هذه نظير من ينشئ انظيره تمثيلا بل قول من تداخله محل متسلط على ماتريده جدا لانه قال ان كنت أنا اشبه الخاضعين لى فى منزلتهم وأنا تحت طاعة السلطان اقدر لاجل سلطان رياستى اليسير على أفعال هذا مبلغ تقديرها ولا يقاومنى من أصحابى مقاوم لكن ما آمر به ذاك يكون ولو كانت أوامرى مختلفة لانى أقول لهذا اذهب فيذهب ولهذا تعال فيجى فانت تقدر أليق منى وأكثر على وأناس يقرأون هذا اللفظ على هذا النحو لئن كنت

أنا انسانا و يغلطون فيما بين هذا وبين ما بعده نقطة و يقترن بقوله تحت
تحت طاعة سلطان قد ملكت تحت يدي جنودا فتأمل أنت كيف بين انه يقتدر
ان يضبط المرض بمنزلة عبد له وان يأمره أمر سيده لانه اذ قال اذهب فيذهب وتعال
فيجيء هذا القول يقول انك اذا امرت الا يجيء الموت اليه فلا يجيء أعرفت كيف
كان مؤمنا لانه ما بادر بنا ان يجعله ظاهرا عند الكل جعله ذلك الفاضل
ظاهرا فيما سلف انه يمتلك سلطان الحياة والموت ويحدر الى أبواب الجحيم و يعلي
منها وما قال من أجل جده فقط لكنه قال أيضا من أجل عبيده وذلك أعظم
طاعة الا انه مع كونه حاز أمانة هذا مبلغ تقديرها استشعر أيضا ذاته انه عديم ان
يكون اهلا له فاراد المسيح انه وهل لدخوله الى منزله وجعله أعظم من هذا
المحل بكثير اذ استعجبه وأراع فضله أكثر مما طلبه لانه يطلبه لغلامه عافية
جسدانية جسمانية فاخذا الملكوت وذهب أعرفت كيف استتم فيما بعد
قوله اطلبوا ملكوت السموات وهذه الحوايج كلها توهب لكم زيادة لان هذا
الفاضل اذ أوضح أمانة كثيرة وتواضع قلبه أعطاه السماء وزاد غلامه عافية
وما أكرمه هذا التكريم وحده لكنه أكرمه مع ذلك باظهاره له الذين أخرجهم
من ملكه و بادخاله هو اليه لانه ههنا يجعل هذا المعنى معروفا فيما بعد عند كل
الناس ان الخلاص من الامانة ليس من الاعمال التي في الشريعة ولهذا الغرض
قدم وضع هذه الموهبة ليس لليهود وحدهم لكنه قدمها أيضا للامم و بذلها
لاولئك الامم أكثر من هؤلاء اليهود لانه قال لا تظنوا ان هذه الموهبة صارت
الى هذا الرجل وحده لان هذا الحظ سيكون للمسكونة كلها فهذا القول قاله
متنبئا من أجل الامم اذ بسط لهم أمالا صالحة لان الذين لحقوه كانوا من جليل
الامم وقال هذه الاقوال لكيلا تكون الامم في يأس وهزم ارادة اليهود فمن
هذه الجهة لا يقدم ما يقوله لسامعيه ولا يخزيهم ان يأخذوا منه لفظة ولا يورد
كلامه من جهة الامم على جهة تقدمه لكنه أخذ من رئيس المائة بسبب ذلك

ولاوضع اسم الامم عاريا لانه ماقال كثيرون من الامم لكنه قال كثير ون من
المشارق والمغارب وهذا كان قولا دالا على الامم ولا يثبت على سامعيه لان
ماقيل لهم كان محجوب المعنى وماسلاهم بهذه التسلية من تعاليمه المظنونة انها
بدعة جديدة وحدها لكنه سلاهم أيضا بحضن ابرهيم الذى ذكرها عوض
الملكوت لان اسم ابرهيم كان معروفا عندهم فلذع اليهود باسم ابرهيم أعظم
لذعة اذ وضعه فى وسط كلامه ولهذا الغرض ماذكرلهم يوحنا فى الحين قولا فى
ذكرجهنم لكنه ذكرما غمهم أعظم الغم وأشده بقوله لاترتاؤا أن تقولوا اننا نحن
أولاد ابرهيم ومع هذه المعانى يصلح معنى آخروهو لاتظنوا انه مضاد للسيرة العتيقة
لان من تعجب برؤساء الاباء وسمى حضنهم غاية النعم الصالحة فقد بطل هذا
التوهم من زيادة تحقيق لذلك كثيرة فلا يتوهمن متوهم ان وعيده هو واحد
وذلك ان تعذيب الله لهم يوجد مضاعفا والفرح لاولئك الامم مضاعف أيضا
فالعذاب لهؤلاء اليهود ليس لانهم سقطوا وخابوا منها لكن عذابهم لانهم خابوا
من حظوظهم وحصل الفرح لاولئك الامم لانهم رزقوا تلك النعم لكن لانهم
حظيوا بالنعم التى ما أملوها وفائدة ثالثة حصلت لهم مع هذين الفائدتين ان
هؤلاء تسلموا حظوظ أولئك وانما قال و بنوا الملكوت يعنى الذين كانت
الملكوت معدة لهم وهذا القول لذع اليهود أشد لذعا لانه اذا ظهر انهم حاصلون
بوعده فى حضن ابراهيم حينئذ أخرجهم منها ثم اذ كان القول الذى قاله قضية
محققة بعلامته وجريته على حذو ما استبانت آياته عند الكاتبين فيما بعد
من نبوته وسابق قوله فمن يذكر العافية التى حصلت للغلام حينئذ فمن النبوة
التى تمت تصدق تلك العجيبة و بيان ذلك ان النبوة قد صارت واضحة عند
كل الناس وقبل ان تصل الى غايتها أوضحها من العجيبة التى صارت حينئذ
ظاهرة عند كل من أبصرها ولهذا السبب تقدم فاعلن هذه الاقوال أولا ثم
أنهض المخلع بعد ذلك حتى يحقق من أفعاله الاولى أقواله المستأنفة ومن فعله

الاعظم

الاعظم يحقق فعله الادنى وذلك ان تمتع المتمكنون فى الفضيلة بخيراته ومقاساة
أعدائه واضداده العقوبات المحزنة ليس فعلا منكرا لكنه على واجب
القياس وعلى نظام الشرائع وتشديده المخلع وانهاضه ميتا كان فعلا فوق
الطبيعة ولكن هذا الفعل العظيم العجيب ما أورد فيه رئيس المائة تأثيرا
صغيرا وهذا المعنى فقد أوضحه المسيح وقال اذهب وحسب تصديقك
وايمانك فليكن لك أعرفت كيف أزاعة عافية الغلام قدرة المسيح
وأمانة رئيس المائة وحققت ما يستأنف كونه وأليق ما يقال ان هذه
الحوادث كلها ازاعت قدرة المسيح لانه ما صحح جسم الغلام وحده لكنه اجتذب مع
ذلك نفس رئيس المائة بعجائبه الى الايمان به ولا تنظر أنت الى هذا
الكائن وحده يكون هذا أمن وذاك شفى لكن استعجب مع ذلك سرعة الشفاء
لان البشير قد أوضح ذلك وقال وشفى الغلام فى تلك الساعة وما ذكر
فى وصف الابرص انه فى الحين تطهر ليس عجيب انه شفاه لكنه ذكر ذلك
ليجعل سرعة الشفاء فعلا شديدا بديعا عجيبا وأظهر اقتداره على ذلك فى لحظة
سريعة وما نفعنا بهذه العجيبة فقط لكنه باظهاره عجائبه اظهارا متصلا فتح
أقواله فى وصف ملكه واجتذب الكل اليه لان الذين هول عليهم باخراجهم
منه ما هول عليهم ليخرجهم لكنه هول عليهم ليخيفهم من ذلك حتى يجتذبهم اليه
بألفاظه فان كانوا ما استفادوا من هذه الجهة نفعا فالذنب فى ذلك كله عليهم وعلى
كافة السقماء بهذه الاسقام لان هذا العارض يبصره باصر ليس عارضا لليهود
وحدهم لكنه يبصره أيضا عارضا للمؤمنين معهم وبيان ذلك ان يوداس قد كان
ابنا للملكوت وسمع مع الرسل ستجلسون على اثنى عشر كرسيا لكنه صار ابنا
لجهنم والخادم الحبشى كان انسانا عجميا من الذين فى المشارق والمغارب
سيتمتع بالاتكاء مع ابرهيم واسحق ويعقوب وهذا العارض يعرض فى عصرنا
الآن لانه قال جل قوله ان كثيرين أولين يصيرون آخرين وآخرين يصيرون

أولين فهذا القول قاله حتى لا يتوانى أولئك كانهم مايقدرون أن يعودوا الى وراثهم ولا يثق هؤلاء كلهم كأنهم قد ثبتوا واقفين وهذا المعنى فقد تقدم يوحنا الصابغ فهتف به منذ أعلى وروده وقال يقدر الله ان يقيم من هذه الحجارة أولادا لابرهيم واذ كان هذا الحادث ينتظر كونه قدم الانذار به من بعد نازح حتى لا يرتجف أحدنا ويستغرب كونه ولعمرى ان يوحنا ذكر هذا الحادث بالنظر لان كونه ممكن الا ان المسيح ذكره من طريق انه سيكون بلازم الاضطرار اذ خولنا من الاعمال برهانا

العظـــــــــــــــــــــة

نحن الواقفون اذا ينبغى لنا ان نثق لكن سبيلنا ان نقول لانفسنا من يظن انه واقف فليحفظ لا يسقط والطريحون فى السقطة لا ينبغى ان ييأسوا لكن سبيلنا أن نقول لانفسنا ألعل الواقع ما ينهض وبيان ذلك ان أناسا كثيرين صعدوا الى ذروة السماء بعينها وأظهروا كافة ثبوتهم وتوجهوا الى البرارى وما ابصروا امرأة ولا فى نومهم فلما توانوا قليلا انعقلوا ووصلوا الى هوة الرذيلة بعينها وأناس آخرون أيضا طلعوا الى السماء هنالك ونقلوا رذيلتهم وترتيبهم من خباء اللعب ومن محلة الرقص الى السيرة الملكية وأظهروا فضيلتهم هذا مبلغ تقديرها واصلا الى ان أخرجوا شياطين واجترحوا عجائب غير هذه جزيلا عددها والكتب هى مملوءة من هؤلاء وعمرنا مملوء من الامثلة وأناس زناة وفاسقون يسدون أفواه شيعة مانى الذين عبدوا ابليس المحتال يقولون ان الرذيلة لا تحرك ويحلون أيادى المريدين ان يحرصوا ويقلبون كافة حياتهم لان الذين يقبلون هذه الاقوال ليسوا يضرون من كان من حزبهم فى الحظائر المأمولة فقط لكنهم يجعلون أحوالهم كلها فى هذه الدنيا فوق وأسفل أيضا الان متى يهتم بفضيلة أحد المائشين فى رذيلة اذا اعتقد ان عودته اليها هى ممتنعة وان انتقاله

انتقاله الى الافضل غير ممكن ولئن كان فى وقتنا هذا اداء الشرائع موجودة والعقوبات متوعدة وشرف الفائزين بنهض كثيرين وجهنم منتظرة والملكوت موجود بها را الاعمال الردية معتبرة والافعال الصالحة ممدوحة بالجهد يجتاز أقوام من الناس الاعراق من أجل الفضيلة واذا بطلت هذه القواعد كلها فما المانع ان تهلك أحوالنا كلها وتفسد فاذ قد عرفنا مكر ابليس المحتال وسوء صناعته وعلمنا ان هؤلاء القوم الذين يتعاطون ان يشترعوا للطالع أحكاما اضداد لمشترعى الشرائع الذين خارج محاتنا ولا وجه المسيح ولا فكار طبيعتنا ولرأى الناس كلهم المشاع وللعجم والاكراد ولكافة الناس على بسيط ذاتهم فسبيلنا ان نستفيق يا أحباى ونقول لجماعة أولئك كونوا معافين ونسير فى الطريق الضيقة مرتاعين واثقين فنكون مرتاعين لاجل المهابط من سائر الجهات واثقين من أجل يسوع الذى قدم اقتياده ايانا وينبغى ان نسير مستفيقين متيقظين فان أحدنا متى نعس قليلا ينهض سريعا لاننا لسنا نحن أوفر احتراسا وأشد استقصاء من داود الذى صغرت نفسه قليلا سقط الى حفرة الخطيئة بعينها لكنه نهض باسراع فلا تنظر الى انه أخطأ فقط لكن تأمل انه استفاق من خطيئته لانه لهذا السبب كتب لنا ذلك الخبر حتى لا نبصره واقعا لكن حتى نتعجب منه اذا نهض قائما حتى نتعلم متى ما سقطت كيف سبيلك ان تنهض لانه كما ان الاطباء انتخبوا أصعب الامراض وكتبوها فى مصاحفهم وعلمونا الحيلة فى تلافيها البليغ تفننه حتى بارتياضنا فى مداومة الاسقام الاعظم من غيرها نستظهر بايسر مرام على الامراض الانقص من تلك اضطرارا فكذلك فعل الله جلت حكمته أورد الى وسط كتبه أعظم الخطايا حتى تجد الذين يحترزون من الخطايا أصغرها تلافيها واصلاحها متيسرا بتلك الخطايا الكبار لان تلك الخطايا الاعظم من غيرها ان كانت قد امتلكت شفاء فالخطايا التى دونها أوجب وأليق ان تحرز شفاها وسبيلنا ان نعرف كيف مرض ذلك السعيد

وكيف نهض باسراع وان سألت وما هو حال مرضه أجبتك انه فسق وقتل لانى لست أستر ازاعة أفعاله هذه بصوت بهى لان الروح القدس ان كان ما استشعر وصفه هذا الخبر كله خيرنا فأليق بنا وأوجب الا نستره نحن فكذلك لست أذيع ذلك فقط لكننى أزيده شرحا آخر لان الذين يكتمون هذه الاخبار أولئك يسترون فضيلة ذلك السعيد خصوصا وكان الذين يصمتون عن حربه بجليات يعدمونه أكاليل ليست صغارا فكذلك الذين يتجاوزون هذا الخبر يفعلون أترى ما قد قيل انه هذا الخبر ما يستشعر عجيب بديع فتمهلوا اذا يسيرا وقد علمتم حينئذ ان هذه الاخبار قد قيلت لنا بأوجب العدل لانى أنا لهذا الغرض أنمى الخطأ وأزيده واجعل كلامى فيه أبدع ما يكون حتى أصلح الادوية لتكون أوفر قوة فى فعلها والذى أزيده فيها هو فضيلة الرجل وهى تجعل ذنبه أعظم زللا لان الافعال كلها ليس يحكم عليها الكل الناس على مثال واحد لانه قال ان المقتدرين يستفحصون أقوى استفحاصا ومن قد عرف ارادة صاحبه ولم يعملها يضرب سياطا كثيرة ومن هذه الجهة توجد المعرفة الاكثر من غيرها سببا العقوبة أوفر من غيرها ومن هذا المعنى اذ أخطأ الكاهن خطايا المروسين بأعيانها تكبد ليس عقوباتهم بأعيانها لكنه يعاقب عقوبات أصعب من عقوباتهم كثيرا ولعلكم اذ قد رأيتم جنايته متزايدة قدار تعدتم وتعجبتم انه أفضى الى هبوطه فى المهاوى الا اننى أنا واثق بخلاص ذلك الصديق انه يتقدم علىّ فى الفضل الى أبعد غاية لاننى بمقدار ما أنمى جريمته بقدر ذلك اقتدر ان أبين المديح له ولعلك تقول وما الذى تقوله أكثر من هذه الاقوال فأقول كما ان فعل قائين ما كان ما فعله قتلا فقط لكنه كان شرا من قتلات كثيرة لانه ما قتل غريبا لكنه قتل أخاه وكان أخا ليس ظالما لكن مظلوما وقتله ليس بعد قتله كثيرين لكنه هو أوجد دنس القتل أولا فكذلك جرى الامر ههنا ما كان ما اجترى عليه قتلا فقط لان ما كان رجلا حقيرا لكنه كان نبيا ولم يقتل ظالما لكنه

قتل مظلوما الان أو ربا ظلم فى أعز الاشياء اذ خطفت منه امرأته لكنه بعد
اختطافها منه أضاف الى ذلك قتله أعرفتم كيف ثم استعمل الرياء لاجله
كيف ماذكرت ما اجترمه منقبضا لكننى مع ذلك واثق أبلغ الوثوق بالاحتجاج
عنه انه بعد جسامة خطائه هذا الجزيل تقديره كنت أريد ان أذكر أشياع
الذين يستهزئون بهذه الاقوال كثيرا والسفهاء باسقام مركين حتى أسد
أفواههم بأعظم التوبيخ وأشده لان أولئك الملحدين يقولون انه قتل
وفسق وأنا لست أقول هذا القول فقط لكننى قد أظهرت قتله مضاعفا من
ان المقتول قتل مظلوما ومن كيفية وجه قاتله لان من هو وهل للروح وقد
أحسن اليه باحسانات كثيرة وقد امتلك دالة عظيمة وفى سن هذه صفته ويجترى
على افعال هذه صفة قباحتها لا يكون فعله معادل لفعل من يعمل هذا العمل
بعينه وهو مجرد من هذه المواهب كلها لكن على هذه الجهة خصوصا وجد ذلك
الرجل الجليل لانه اذ سقط الى قعر الرذيلة بعينه ما انطرح ولا آيس ولا ألقى
ذاته على ظهره بعد ان أخذ من ابليس المحتال ضربة قاتلة بهذه الصفة لكنه
بسرعة وأليق أن نقول انه فى الحال ضرب ذلك المحتال ضربة اقتل من
الضربة التى ضربه ذلك بها وحدث هذا الحادث بعينه مثلما يتفق فى حرب
أن يطعن سن حربته فى قلب جندى فاضل أو يطلق سهما على كبده
ويضيف الى الجرح الاول جرحا ثانيا أقتل من الاول ويسقط الجندى
متخضبا بدم كثير يجرى منه من كافة جهاته ثم ينهض الجندى الذى انجرح
الجرحين الشديدين ويطلق حربته على من رشقه ويلقيه فى الحين طريحا
على التضامه متاهذا الحادث حدث ههنا بمقدار ما نصف الجرح أعظم نكاية
بمقدار ذلك تظهر نفس الجريح أعظم وأعجب جلادة لانه اقتدر بعد هذا
الجرح الصعب أن ينهض ويقف فى صدر الموكب بعينه وأن يهبط من جوحه
قتيلا وهذا الفعل يعرف جسامة قدره خصوصا جميع الذين سقطوا فى

خطايا صعبة ولعمري أن نفسا جليدة شهمة على هذا المثال يحجبها أن تمشي
مشيا متقرما وتحاضر بجملتها لان النفس التي هذه السجية سجيتها تملك الرجاء
الصالح وهذا الرجاء يرافقها ويروضها وينهضها ويؤيدها ويجعلها أوفر نشاطا
وليست مثل نفس بعد امتلاكها أكاليل جزيلا عددها وبعد غلبات وظفرات
كثيرة حظيت بها تحتمل خسارة بليغة فتقتدر أيضا أن تسعى في مساعيها
باعيانها ولكي يكون ما أقوله أبين وضوحا أورد لكم الى وسط كلامي
مثالا آخر لا يكون دون المثال الاول فأقول اذا كان رئيس سفينة قد سلك
لججا كثيرة بعد مسيره البحر كله وبعدما قاساه شدة الانواء وصخورا عظيمة
متهدفة الى البحر وأمواجا حاوية خوفا كثيرا حصل متفرقا في فم المينة بعينه
متقلتا بعد جهد بجسم عار من هذا الغرق الصعب كيف يجنح على ما يليق به
الى البحر و يمارس بتدبير سفينة واتعابا لا توصف أترى يؤثر من هذا
حاله في وقت من الاوقات ان لم تكن نفسه جليدة جدا أن يعمر شاطئا أو سفينة
أو مينة لست أظن أنا أنه يؤثر ذلك لكنه ينطرح محتجبا بالليل اذا أبصر النهار
و يختار أن يعيش بكدا أفضل عنده من أن يمارس تلك الاتعاب باعيانها
الا أن هذا السعيد لم يكن هذا الحال حاله لكنه قاسى غرقا شديدا صعبا بعد
اتعابه تلك الكثيرة واعراقه الجزيلة فالبث محتجبا لكنه اجتذب سفينته
و بسط قلوعها وقبض على موازينها ومارس اتعابه باعيانها واصطنع له أيضا
ثروة أكثر من التي كانت له فان كان نهوضه على جهة القياسة عجيبا وانه لم
ينطرح بجملة عزمه عند سقوطه فانتهاضه واصطناعه محامده بهر حسنها الكم
أكاليل يكون موهلا على ان قد كانت الاوهام التي تدفعه الى الياس كثيرة
فأولها عظم خطيته وثانيها أنه نابته هذه النوائب ليس في مبادي حياته حين
كانت آماله كثيرة لكنها نابته عند انقضى حياته لان التاجر الذي يمارس الغرق
في الحين عندما يخرج من المينا الا يوله ذلك نظير ما يولم من قد صدم صخرة متهدفة

في

فى البحر بعد تجارات جزيلة عددها وثالثها أنه أصابه هذا المصاب بعد جمعه ثروة جزيلة لان لم تحصل له حينئذ الا من الغنى قليلة مثل ما حصل له فى سنه الاول حين كان يرعى الغنم لما انشأ اظفر البهى بجليات واستفاد فوائد فلسفة احتماله شاول لانه أظهر التمهل الانجيلى لما حصل عدوه فى يده دفعات كثيرة ورثى له دائما وشفق عليه واختار أن يفقد وطنه وحريته وحياته بعينها اختيارا كان عنده أفضل من أن يقتل من اغتال عليه ظلما بعد تقلده المملكة لم تكن فضائله التى أحكمها صغارا مما قد ذكرناه فالتهمه الناشئة لكثيرين وفقده شرفه البهى بهذه الصورة ولدله ارتجافا لم يكن يسير الان ديباجته البنفسجى لونها ما جاءته على هذا النحو من تشبيه حاله كنحو ما أخزاه وسخ خطيئته فقد عرفتم على كل حال الخطايا اذا اشتهرت ما أعظم آلامها وكيف تحتاج من يعبر بها نفسا عظيمة لا تهوى الى الاياس والغم بعد ثلب الكثيرين اياه وتقريعهم وبعد امتلاكه شهود اجرائه جزيلا تقديرهم الا أن ذلك الجليد انتزع من نفسه هذا النشاب كله وأشرق بعد هذه الحوادث هذا الاشراق وغسل وسخ خطاياه هذا الغسل وصار نقيا هذا النقاء الخالص الذى بلغ فيه الى أن سلى بعد وفاته خطايا أولاد أبنائه والقول الذى يستبين أن الله جل وعز قاله فى وصف ابرهيم قد ظهر أنه قاله فى وصف هذا الفاضل داود وأليق ما يقال أنه قال فى وصف هذا أكثر مما قال فى وصف ذاك لانه قال عز قوله عندما ذكر ابرهيم رئيس الاباء تذكرت عهدى لابراهيم وههنا فما ذكر عهده لكنه قال لاعضدن هذه المدينة لاجل داود صاحبى ولاجل وده لداود ما أفقد سليمان مملكته بعد اجترامه خطية عظيمة فى تقديرها ولعمرى ان شرف الرجل بلغ الى المقدار الذى انتهى فيه الى ان قال بطرس الرسول عند مفاوضته شعب اسرائيل بعد سنين جزيل مبلغها ممكن لنا أن نقول لكم بمجاهرة من أجل داود رئيس الاباء انه قضى أجله ودفن والمسيح الهناء عندما خاطب اليهود

إظهاره بعد خطيئته مرهلا للروح اظهارا ابلغ فى تقديره الى أن تنبأ فى وصف
لاهوته وأبكمهم أيضا فى هذا الموضع وقال فكيف يسميه داود بالروح ربه قائلا
قال الرب لربى أجلس عن يمينى وما فعله الله بموسى اياه عمل بداود لان الله
كما عاقب مريم بدون مراد موسى بسبب مسبتها أخاها اذ كان قد أحب موسى
القديس حبا شديدا فكذلك انتصر لداود من ابنه أبيشالوم اذ شتمه سمعى ولم
يشاء داود ذلك فهذه الاخبار كافية وأولى ما يقال أن هذه قبل غيرها كافية
لايضاح فضيلة داود السعيد لانه اذ كان الله جل وعز يحكم حكما فليس
يجب أن نبحث بحثا أكثر وان شئتم أن تعرفوا فلسفته صنفا صنفا فذلك يتيسر
لكم اذا تصفحتم خبره بعد خطيئته اذ تعرفوا دالته عند الله واخلاص وده وزيادة
فضيلته واستقصاء احتراسه الى الاخير من أنفاسه فاذ قد حوينا هذه الامثلة
فسبيلنا أن نستفيق ونحرص الا نسقط فى خطيئته وان سقطنا فى وقت من أوقاتنا
فلا ننطرح لاننى ما ذكرت لكم خطايا داود لا حصلكم فى التوانى لكننى انما
ذكرتها الاخترع بها لكم خوفا أكثر مما لكم لان ذلك الصديق ان كان لما
لم يحترس تجرح هذه الجراحات الشديدا بلامها فماذا يصيبنا نحن النائمون
المهملون فلا ننظر الى أنه سقط وتوانى لكن تأمل كم أعمالا من التوبة
بعد ذلك عملها كم أنواحا أظهرها كم توبه داومها مضيفا الى أيامه لياليها
مفيضا من عبراته عيونا محميا سريره دائما بدموعه ولابس مع هذه الاصناف
مسحا فان كان ذاك الفاضل احتاج الى رجعة هذا مبلغ خشوعها فتى
نقدر نحن أن نتخلص اذا لبثنا خاليين من التوجع بعد خطايانا الجزيل
مبلغها الان من يملك فضائل قد أحكمها يتيسر له من هذه الجهة أن يستر
خطاياه بها ومن يكون عاريا فأيما اقتبل سهما يقتبل ضربه قاتله فلكيلا
يصيبنا هذا المصاب سبيلنا أن نحصن باعمال صالحة أنفسنا ومتى زللنا زللا
فينبغى أن نغسله لنوهل أن نعيش عيشة لمجد الهنا ونتمتع بالحياة المأمولة التى

ستكون

ستكون لنا كانا ونحظى بها بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه على البشر
الذى معه لابيه والروح القدس المجد والعز والاكرام الى الابد آمين

المقالة السابعة والعشرون

ولما جاء يسوع الى بيت بطرس رأى حماته مطروحة ومحمومة فلمس يدها فتركتها
الحمى فقامت وخدمتهم * أن مرقس البشير أضاف الى ذلك ونهضت فى الحين
مريدا ان يبين الوقت ومتى ذكر العجيبة وحدها ولم يدل على الوقت والبشيران
الآخران ذكرا انها توسلت اليه وهذا البشير صمت عن ذلك وهذا ليس فيه
خلاف لان قصد احدهما الايجاز والآخر استقصاء الوصف ولكن اذا سأل
سائل ولم دخل الى منزل بطرس فأقول له انه على ما يلوح لى انه دخل اليه
ليتناول طعاما وهذا المعنى قد ابانه البشير بقوله انها نهضت وخدمته لانه
كان يقيم عند تلاميذه كما دخل الى عند متى الرسول حين دعاه اذ اكرم بذلك
تلاميذه وجعلهم اوفر نشاطا من غيرهم وتأمل ههنا احترام بطرس له اذ
كانت حماته طريحة فى منزل محمومة بحمى شديدة فما استماله الى منزله لكنه صبر
الى ان تمم تعليمه وشفاء جماعة المرضى الآخرين وبعد ذلك لما دخل الى منزله توسل
اليه فيها فعلى هذه الجهة تأدب منذ الابتداء ان يقدم ما ينتفع به غيره على
ما ينتفع هو به مع ان ما أدخله هو الى منزله لكنه هو دخل بعد قول رئيس المائة
انى لست اهلا ان تدخل تحت سقفى مبينا ما جاد به على تلاميذه يعنى تلميذه على
انه يجب ان تتفطن فى بيوت هؤلاء الصيادين اى بيوت كانت لكنه مع ذلك لم
يستنكف ان يدخل تحت اكواخهم الحقيرة لكى يوديك بجميع افعاله ان
تطأ صلف الناس فكان احيانا يشفى بأقواله وحدها واحيانا يمد يده
الى من يشفيه واحيانا يفعل الفعلين كليهما ورد اطبه الى ابصار الحاضرين لانه
ما شاء ان يجترح عجائبه دائما بافراط سموه الا انه وجب عنده ان يخفى نفسه

وا كثر ذلك بحضرة تلاميذه لانهم من سرورهم وكثرة التذاذهم كانوا ينادون بكلما يعمله وهذا المعنى واضح مما عمله بعد انحدارهم من الجبل بعد تجليه فانه احتاج ان يوصيهم الا يقولوا لاحد من الناس ما ابصروه فى حين تجليه واذ لمس جسمها ما سكن الحمى فقط لكنه خولها مع ذلك الصحة الكاملة ولعمرى ان المرض لم يكن حقيرا ومع ذلك أظهر قدرته فى مذهب طبه وهذا العمل لم يحصل قط فى صناعة الطب لانكم تعلمون ان بعد زوال الحميات يحتاج المرضى ايضا زمانا كبيرا الى ان يعودوا الى حال صحتهم الاولى ولكن فى ذلك الوقت حصل الامران معا وما عمل هذا العمل ههنا فقط ولكنه قد عمله فى البحر ايضا لانه ما سكن هنالك الرياح والعواصف فقط لكنه مع ذلك وقف تلاطم الامواج وذلك كان امرا غريبا لان البحر اذا سكن تلاطم امواجه تلبث مياهه متحركة مدة طويلة لكن فعل المسيح ما جرى على هذا المجرى لكن تموج البحر وتحرك مياهه تلاشيا معا وهذا الفعل حدث فى شفاء هذه المرأة ولهذا الغرض أظهره البشير وقال وقامت تخدمه وذلك كان دلالة على قدرة المسيح الهنا وعلى نية المرأة وحبها الذى أظهرته للمسيح وقد تأملنا معنى غير هذا فى هذا الموضع مع هذه الافعال ان المسيح بامانة أناس آخرين يهب لاناس غيرهم اصلاحهم لان أناسا آخرين فى هذا الموضع طلبوا منه شفاهم لما وهب شفاء غلام رئيس المائة اذ كان المريد ان يشفى لا ينكر اقتداره اما بسبب اسقامه لا يقدر ان يجئ اليه واما بغباوته ما يتصور فيه تصورا عظيما واما لاجل صغر سنه واذ صار المساء قدموا بحضرته مجانين كثيرين فاخرج منهم الارواح بكلمة وشفى جميع الذين قد أخوتهم أمراضهم ليتم ما قال أشعيا النبى انه أخذ امراضنا وحمل أسقامنا أرأيت الكثرة من الناس نامية بعد ذلك من الايمان به لانهم اذا حثهم الوقت ما احتملوا ان ينصرفوا لانهم لم يشعروا بتقديم مرضاهم لديه عند المساء فعلا قد فاته وقته وتأمل أيضا كم طائفة من

السقماء

السقماء شفرا فاعرض عن ذكرها المبشرون وشرحوها لكنهم بلفظة واحدة
تجاوزوا لجة من العجائب لا توصف ثم لئلا توجب أيضا جسامة العجب سامعها فى
أنكارها اذ كان قد حل فى لحظة واحدة من زمان أسقاما مختلفة وأزالها
وتلافى طائفة جزيلا تقديرها أورد النبي شاهدا بافعاله الكائنة بينا فى كل
موضع البرهان من الكتب انه ليس بدون هذه العجائب فقال ان أشعيا
قال هذه الاقوال انه أخذ مراضنا وحمل أسقامنا وما قال حل لكنه قال انه
أخذها وحملها وهذا القول انما قيل على ما يلوح لى فى وصف الخطايا ويبين
ذلك أكثر بيانا بموافقة النبي ليوحنا القائل أبصر حمل الله القائم حامل خطية
العالم ولعلك تقول فكيف وضع البشير هذه الاقوال ههنا فى ذكر
الامراض فاجيبك أما يكون وضع ذلك اذ قرأ هذه الشهادة على معنى الخبر
واما يكون وضعه ذلك مبينا ان اكثر أمراضنا توجد من خطايا نفوسنا لان
اذ سبب أمراضنا بل الموت بعينه اصله من خطيئتنا وسببه اذ كان حصولنا
بعينه مسقمين باسقام هو انا انما تكون من خطيتنا واذ ابصر يسوع جموعا
كثيرة حوله أمرهم ان يمضوا الى العبر أعرفت أيضا اجتنابه الافتخار وأما
البشيران الآخران قالا انه انتهر الجن لكيلا يقولوا انه هو وهذا البشير
قال انه كان يدفع الجموع فعمل هذا العمل وجمع به فعلين هما تعليمه
أيانا ان نتذلل ونتواضع وازال بذلك حسد اليهود وعلمنا الا نعمل عملا
لاظهاره لانه ما شفى أجسامنا فقط لكنه قوم أنفسنا مع ذلك وهذبها
وعلمها ان تتفلسف موضحا ذاته بالفعلين كليهما بحله أسقامنا وبان لا نعمل
عملا لاظهاره لان الجموع كانوا مؤتلفين به يحبونه ويستعجبونه مريدين ان
ينظروا اليه لان من منهم كان يتباعد من اجترح آيات عجيبا حسنها من
منهم ما شاء على بسيط ذات النظران يبصر وجها وفما ناطقا أقرا لا هذا المحل
محلها لانه ليس بعجيب اذا اجترح أياته فقط لكنه كان مع ذلك اذا ظهر لهم

على بسيط ذات ظهوره ممتلئا نعمة كثيرة وهذا المعنى وضحه النبي
بقوله بهي في حسنه أكثر من بني الناس فان كان أشعيا يقول ما حاز صورة
ولا حسنا فانما يكون قال هذه الاقوال بالاضافة الى مجد لاهوته الذى لا يوصف
وتحديده واما يكون قال ذلك واصفا العوارض في ناسوته ولاهاناته التي تحملها في
وقت صلبه والحقارة التي أوضحها أكثر من كل عيشة في كافة أفعاله وما
أمرهم أولا ان يمضوا الى العبر لاجل شفاء أمراضهم لانهم ما احتملوا مفارقته
أياهم فقط بل كانوا مع ذلك يتبعونه في حال صحته فكذلك فعلوا ما تركوه عند
اجتراحه عجائبه فقط لكنهم لازموه مع ذلك عندما كف عن اجتراحها
فكانوا يستمدون من وجهه منفعة كثيرة لان موسى ان كان امتلك وجها
ممجدا اذ كان وجهه كوجه ملاك فيفهم حال سيدنا الذى يعم الكل جوده
بأية صورة على ما يجب ان يستبين حينئذ ولعل كثيرين الآن قد اشتهوا
كثيرا ان يبصروا صورته تلك المجيدة الا اننا اذا شئنا سنبصر أفضل من تلك
الصورة كثيرا الا اننا اذا استكملنا عمرنا هذا الحاضر بدالة سنستقبله اذا
تلقيناه في السحب بجسم لا يموت أو يبلى وأنظر كيف طردهم ليس على بسيط
ذات الطرد لكيلا يلذعهم ذلك لانه ما قال لهم انصرفوا لكنه أمرهم ان
يذهبوا الى العبر موضحا لهم انتظار مجيئه الى هنالك بلازم الضرورة والجموع
أظهرت الحب له جزيلا تقديره وكانوا يلحقونه بمودة كثيرة الان واحدا
عبد الاموال حاويا تعظما كثيرا دنى منه وقال يا معلم أتبعك أينما
تذهب أعرفت مبلغ صلفه من طريق انه ما سأله ان يعد مع الجمع لكنه
تقدم على هذا الحال موريا انه هو يفوق الجموع لان اخلاق اليهود هذه الغريزة
غريزتهم مملوة مجاهرة قد فاتها وقتها وعلى مثال هذا وثب فيما بعد آخر منهم حين
سكت جماعة الحاضرين وقال يا معلم اية هى الوصية الاولى الان سيدنا ما زجر
مع ذلك دالته هذه الفائته وقتها مرديا أيانا ان نحتمل الذين هذه صفتهم لهذا

السبب ما وبخ توبيخا ظاهرا الذين اغتالوا عليه اغتيالات خبيثة فاجابهم حسب توهمهم وفوض اليهم وحدهم ان يعرفوا توبيخهم ومنحهم منفعة عظيمة مضاعفة بايضاحه لهم انه قد عرف فطنتهم وبتخويله اياهم بعد ايضاحه ذلك لهم ان يستروا ذلك وبتمكينهم ايضا ان ارادوا من ان يصلحوا ذواتهم وهذا المعتمد اعتمد لهذا الرجل لان هذا اذ ابصر اياته الكثيرة والناس الكثيرين المنجذبين وراه امل ان يكتسب اموالا من الايات الباهرة حسنها ولهذا العارض اسرع الى لحوقه والقائل ان يقول لنا ومن اية جهة يتبين ذلك واضحا فنقول له من الجواب الذى اجابه المسيح به اذ وجهه ليس نحو سؤال الفاظه لكنه نحو عزم سريرته وتامل ماقاله غامضا اتوقعت ان تجمع اذا لحقتنى اموالا افما ترى مع ذلك انى ليس لى منزل موجود ولا موضع يكون مقداره مقدار وكر يصلح للطيور ولانه قال ان الثعالب لها اوكار وطيور السماء لها مساكن واما ابن الانسان فليس له موضع يسند راسه عليه فهذه الاقوال ما كانت اقوال من ينهاه عن اتباعه لكنها كانت اقوال موبخ عزمه الخبيث فاسجاله ان يتبعه ان شاء بهذا الامل الذى قدم له ذكره ولكى تعرف خبثه انه اذ سمع هذه الاقوال ووبخ ماقال انا مستعد ان اتبعك وقد يتبين المسيح الهنا عاملا هذا العمل فى غير هذا الموضع على جهات كثيرة فلا يوبخ توبيخا ظاهرا ومن اجابته يبين عزم المقتر بين اليه وبيان ذلك انه اجاب ذلك القائل له ايها المعلم الصالح وافتكر انه يستميله بتخايله وتوقع جوابا نحو عزمه بقوله ما بالك تدعونى صالحا الا وليس احد صالحا الا الله وحين قالوا له ها امك واخوتك يلتمسونك اذ كان قد عرض لهم عارض انسانى وما ارادوا ان يسمعوا قولا من اقواله النافعة لكنهم ارادوا ان يوضحوا انهم يناسبونه ويتقربوا اليه بذلك اسمع ماذا قال من هى امى ومن هم اخوتى وقد قال ايضا لاخوته اذ قالوا له اظهر ذاتك للعالم مريدين ان يتقربوا اليه من هذه الجهة وقتكم انتم مستعد دائما ووقتي

أناما حضر بعد وقد نراه يعمل هذا العمل من الاضداد على حذو قوله لنثنائيل اسرائيلي أنت بالحقيقة ليس فيه غش وقد قال أيضا انطلقوا فاخبروا يوحنا بما قد سمعتموه وقد أبصرتموه لانه ما أجاب ههنا نحو أقوالهم لكنه أجاب نحو عزم مرسلهم وفاوض الجمع أيضا نظير ذلك نحو فطنتهم بقوله ما بالكم اذ خرجتم الى البرية لتنظروا الانهم اذ كانت حالة يوحنا قد أشبهت عندهم حال رجل سهل الانقياد متقلب العزم تلافى وهمهم هذا وأصلحه اذ قال ما رأيكم اذ خرجتم الى البرية لتنظروا الى قصبة متمايلة مع الرياح أم الى انسان متسربل بثياب ناعمة موضحا بهذين القولين كليهما ان يوحنا ليس هو سريع التقلب فى ذاته ولا مترخيا من صنف من صنوف النعيم فعلى هذا المثال انشاه هذا الجواب نحو عزم القائل وانظر كيف يبين فى هذا الكلام تذلله جزيلا لانه ما قال انى امتلك موضعا مهانا به لكنه قال است امتلك مكانا اعرفت مع تخافضه مقدار استقصائه حتى انه اذا اكل وشرب واذا استبان فاعلا بخلاف عمل يوحنا فانما يعمل ذلك لاجل خلاص اليهود واليق ما يقال لاجل خلاص كافة المسكونة ويجمع فى ذلك فعلين هما سده افواه مبدعى البدع فى دينه وايثاره ان يجتذب الراسخين حينئذ فى نعمة وترفة ثم قال له آخر غيره هذا مرنى اولا ان اذهب فادفن ابى اعرفت الفرق بين الاثنين كيف ذاك قال متوقحا اتبعك اينما تذهب وهذا قال على انه قد طلب فعلا محمودا امرنى الا انه ما اوعز اليه بذلك لكنه قال له اترك الموتى يدفنون امواتهم واما انت فالحقنى لانه الى العزم يصغى فى كل مكان ولسائل ان يسأل فلاى غرض ما امره بذلك فاقول له ان اهل الميت كانوا يتممون حاجته ولا يبقى بغير دفن وما كان يجب ان يحجزه هذا عن الاعمال الضرورية اللازمة وبقوله يدفنون امواتهم يبين ان هذا التلميذ ليس هو ميتا لذاته لان المتوفى كانه على حسب ظنى من غير المؤمنين فان

استجبت

استعجبت هذا الشاب لانه سأل يسوع من اجل عمل لازم على هذا المثال ضرورة وماذهب من ذاته فاستعجبه أكثر وأزيد لانه لما منع صبر ولعلك تقول فهل ما كان جلوسه ولم يذهب فيدفن أباه من التناهى فى زوال المحافظة وعدم الشكر فأجيبك لو كان فعل ذلك من عجزه وتوانيه لكان ذلك من زوال شكره وان كان فعله لئلا يقطع عملا الزم ضرورة منه فضيه كان من أبلغ التناهى فى زوال الحفاظ وبيان ذلك ان يسوع منعه فأمره بالتهاون باكرام والديه لكنه اراه انه ما يجب ان يكون عندنا عمله لازم ضرورة من الاعمال السماوية وانه يجب علينا ان نمارسها بكافة حرصنا ولا نتباطى عنها ولا وقتا يسيرا ولو كانت الاشغال التى يجذبنا تستحثنا جدا اقدا نحسم عنا الاستعفاء منها الان أى شغل يكون الزم ضرورة من أن يدفن أحدنا أباه وماذا يكون أسهل من ذلك عملا لانه ليس يفنى فى ذلك وقتا طويلا

العظـــــــــــــــــــــــــــــة

فان كان لا ينبغى لنا أن نفنى وقتا بمقدار ما يدفن أحدنا أباه ولا يون صيانة لنا ان نتخلف عن الاشغال الروحية مدة هذا تقديرها فتفطن لاية مجازاة نوهل نحن الذين نبتعد طول زماننا عن الاشغال الواجبة للمسيح علينا ونقدم الاشغال الحقيرة جدا على الاعمال الصالحة اللازمة الضرورية ونتوانى فيها ولا يحثنا أحد عليها وسبيلنا أن نتعجب ههنا من فلسفة تعليمه وانه مكن هذا الشاب فى كلامه تمكنا كثيرا وبعد ذلك استخلصه من بلايا جزيل عددها كقولك انه أراحه من العويل والنوح ومن الذين يتوقع مجيئهم اياه لان بعد دفن الميت كان يلزمه اضطرارا أن يبحث عن أوامر وصيته ويوزع الميراث ويعاين الاشغال الاخرى كلها التى تتبع هذه وتتلوها وتتداوله أمواج بعد أمواج تحجزه عن مينا الحق الى أبعد البعد منه انتزاحا فلهذا الغرض جذبه ومكنه عنده فان كنت فيما

بعد ترتجف وتستعجب انه ما أطلقه ينطلق الى دفن أبيه فتفهم ان كثيرمن الناس
ما يتركون الذى قد أضوتهم اسقامهم ان يعرفوا ان قدمات أحد انسبائهم
ولو كان المتوفى أبا السقيم ولو كان أمه ولو كان ابنه ولو كان غيرذلك ممن يناسبه
ولا يسمحوا له ان علم أن يلحقه الى قبره وما يشكوهم فى هذا المعنى بجفاوة ولا بخلوا
من انسانية وذلك على جهة الواجب جدا لان خلاف الفعل هذا هو من جفاوة
وهو فعل من يخرج الطريح على هذا الحال من سقمه الى نوح وبكا فان يكن
نوح أحدنا على أهله وتقيته تميز فعله وفيه فعلا رديا فحسبه عن الاقوال
الروحية اليق به وأولى أن يكون فعلا رديا ولهذا المعنى قال فى موضع آخر
من يضع يده على سيف الفدان ويلتفت الى ورائه لا يوجد متوجها الى ملك
السموات لان المناداة بملك السماء واجتذاب الناس الاخرين من الموت
أفضل كثيرا من ان ندفن ميتا لا ينفعه دفنه ولا سيما اذا كان يوجد الذين
يتممون هذه الافعال كلها فانتعلم من هذا الوجه فائدة أخرى الا انما ينبغى
لنا ان نضيع وقتا ولا حينا يسيرا ولو كانت الاشغال التى تحثنا على ذلك جزيلا
عددها لكن سبيلنا أن نفضل الاعمال الروحية على جميع الاشغال اللازمة
الضرورية وان نعرف ما هى الحياة وما هو الموت لان أناسا كثيرين من الذين
يظنون انهم أحياء لا فرق بينهم وبين الموتى اذ كانوا أحياء فى رذيلتهم والليق
ما يقال ان هؤلاء الاشرار اشر من الاموات لانه قد قال من قدمات فقد حصل
عدلا معتوقا من الخطية وهذا الشرير فهو متعبد لخطيته ولا تقولن لى هذا
القول ان هذا الخاطئ ليس يا كله الدود وليس طريحا فى قبره ولا قد
طبق عينيه ولا قد ربط بالحواشى لان هذه الحوادث يصبر عليها الخاطئ أصعب
من التى تبلى بالموت ولعمرى انه ليس يا كله الدود لكن امراض نفسه تمزقه
أشد من تمزيق الوحوش ولئن كانت عيناه مفتوحتين فانفتاحهما أيضا شر من
تغميضهما لان عينى الميت ما تبصران يصرا خبيثا وهذا يجمع لذاته بانفتاح

عينيه اسقاما جزيلا عددها والميت طريح فى لحده مسلوب التحرك الى شئ من
الاشياء وهذا مدفون فى قبر اسقامه كلها الا ان الميت لا نرى اليوم جسده وما هو
هذا لان نفسه قد انفسدت قبل انفساد جسمه وهلكت وانفة أكثر
وذلك ان الميت يكون قد نتن عشرة أيام وهذا يفيح طول عمره نتانة يمتلك فما
انجس من العوادى فيجب من هذا أن يكون من ذلك أفضل من هذا الشرير
بهذا المقدار بمقدار ما ان الميت يقاسى البلى والفساد من طبيعته وحدها
وهذا الخبيث يستورد مع ذلك الفساد تقبحا من تفريطه فى القبايح مخترعا
كل يوم تقدمات لفساده جزيلا عددها لكنه محمول على فرشه وما هو هذا الان
ذاك الميت محمول على سريره وما هو أصعب من ذلك ان ذاك الميت يتفسخ
ويتعفن وما يبصره باصر لانه قد حاز لحده ستراله وهذا يجول فى كل مكان منتنا
جاعلا نفسه ميتة فى جسمه كانها فى قبر وليت كان يرى للتنعم العائش فى رذيلته
نفس رجل أعرفت ان انطراح الميت فى قبره مربوطا باكفانه افضل كثيرا
من انحزام أحدنا بجدايل خطاياه وان وضع الحجر عليه أفضل جدا من أن يحصل
عليه جسم زوال الحس الثقيل فلهذا السبب ينبغى لنا ان نعتنى بهؤلاء الموتى
أكثر من أهلنا اذ هؤلاء عدموا حسهم ونقترب الى يسوع من أجلهم على حذو
لما تقدمت اليه مريم فى وقت من الاوقات بسبب العازر وان كنت منتنا وان
كنت قد سلف لموتك أربعة أيام فلا تيأس لكن اقترب اليه ورفع الحجر أولا
لانك حينئذ تبصر ذاتك طريحا كانك فى قبر مربوطا بالحواشى والعصايب
وان شئتم ان نحضر الى وسط كلامنا واحدا من المعظمين ذوى الاحوال
الظاهرة ولكن لا تخشره فاننى اذكر المثل بدون اسم ولو ذكرت اسمه قد كان
البق بكم الا تخشوه لان من خشى فى وقت من الاوقات ميتا الان مهما نعمله به
يبقى ميتا والميت لا يقدر ان يبصر حيا لا كبيرا ولا صغيرا فيبصر اذا الناس منهم
مربوطا لانهم اذا سكر واسكرا دائما فكما ان الموتى يربطون بتلك الحواشى الكثيرة

فكذلك تربط كافة مشاعر هؤلاء وتطبق وان شئت ان تبصر ايديهم تراها
مشدودة على بطنهم كيدى الذين قضوا نحبهم محزومة ليس بحواشى بل بما هو
أصعب منها بعقالات تكاثر القنية لان ذلك الرباط لا يجعل أيديهم ان تمتد الى
الصدقة ولا الى صنف غيرها من أنواع الفضائل لكنها تجعلها أعدم من
الايدى المائتة نفعا وان شئت ان تبصر أرجلهم مربوطة فابصرها مشدودة
بالهموم أيضا ولاجل ذلك ما يقدرون ان يسعوا الى بيت الله فى وقت من
الاوقات أرأيت الميت فانظر الى كفنه وان سألت ومن هو مكفن هؤلاء أجبتك
هو ابليس المحتال الذى يحزمهم تحزيما وثيقا وما يترك الانسان ان يظهر فيما
بعد انسانا لكن يستبين عودا يابسا لان حيث لا توجد عينان ولا يدان ولا
رجلان ولا غير ذلك من الاعضاء كيف يظهر من هذا الحال حاله انه انسان وعلى
هذا المثال يحجبك ان تبصر نفسهم مقموطة وأليق بها ان تكون صنما
لا نفسا فاذ قد صار هؤلاء أمواتا فاقدين حسهم فسبيلنا ان نقترب
الى يسوع متوسلين من أجلهم ان يقيمهم اذا رفعنا الحجر وحللنا الحواشى لانك
اذا رفعت الحجر الذى هو زوال حسهم الحاضر الحاصل فى الافعال الشريرة
يمكنك ان تخرجهم من قبورهم سريعا فاذا استخرجتهم سنريحهم من
رباطاتهم بايسر مرام وحينئذ يعرفه المسيح ويعرفك أنت قبل ذاك الميت اذا
أنهضته اذا حللته حينئذ يدعوك الى وليمته فيا معشر أحباء المسيح
ويا تلاميذه ويا جميع الذين يحبون الميت اقتربوا الى يسوع وتوسلوا اليه فانه
وان كان قدامتلأ نتانة كثيرة الا ان أهله ما سبيلهم ان يملوه على هذا الحال
حتى يمتى فيه البلا والفساد لكن بعقدار ذلك يجب ان تقدموا التضرع اليه
وهذا العمل فى الوقت السالف عملته أختا العازر ولا نبتعد أولا من التضرع
متوسلين طالبين متضرعين الى ان تستلمه حيا فان دبرنا بهذا التدبير أحوالنا
وأحوال رفقائنا استحظى سريعا بالحياة المأمولة التى ستكون لنا كلنا وننالها

بنعمة

بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى معه لابيه والروح القدس المجد والعز والاكرام والسجود الآن وكل اوان والى ابد الابدين آمين

المقالة الثامنة والعشرون

ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه واذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الامواج السفينة وكان هو نائما ولعمرى ان لوقا البشير اذا ستخلص ذاته من المطالبة بترتيب الاوقات قال هذا القول هكذا فى أحد الايام اذ صعد هو وتلاميذه الى سفينة وقال مرقس البشير مثل ذلك وهذا متى فما قال هذا القول لكنه يوضح ههنا لحوق تلاميذه اياه لانهم ما كتبوا كلهم على هذا النحو وقد ذكرت هذه المعانى فيما سلف لئلا يظن احد فيما لم يذكره احدهم انه خالف فصرف الجموع واخذ تلاميذه معه لان هذا المعنى قد ذكره اولئك المبشرون واخذ تلاميذه ليس باطلا ولا جزافا لكنه اخذهم حتى يجعلهم ناظرين الى العجيبة المؤتنفة لان فعله فعل مؤدب فاضل وهيأ تلاميذه لهذين الصنفين كلاهما ليكونوا فى كل الشدائد ناجيين من تأثيرها فيهم وان يتخافضوا فى الكرامات وحتى لا يرتفع عقلهم ويتعظموا بانه صرف الناس الاخر وضبطهم هم وخوفتهم تقلقل شدة الامواج فاحكم هذا الغرض ورغب بان يحتملوا المحن باوفر جلادتهم ولعمرى ان العجائب الاولى قد كانت عظيمة الا ان هذه العجيبة حازت ارتياضا ليس يسيرا وقد كانت جريحة مناسبة للاولى ولهذا الغرض اقتاد معه تلاميذه وحدهم لانه حين اراد اظهار عجائب ترك الجموع يحضرونها وحين كان ثوران محن وحدوث مخاوف اخذ مجاهدى المسكونة معه الذين توقع ان يروضهم فيها وحدهم ولعمرى ان متى البشير قال انه نام الان لوقا ذكر انه اضطجع على المخدة فقط موضحا اجتنابه الصلف ويعلمنا فى هذا الخطر فلسفة كثيرة لانهم عند ثوران شدة الامواج

وعندهيجان البحرانهضوه قائلين ياسيدنا خلصنا فقدهلكنا فقال لهم
لماذا أنتم خائفون ياقليلي الايمان حينئذقام وانتهر الرياح والبحر فصارهدو
عظيم فانتهرهم وقبل انتهار البحر لانه على ماذكرت انما أطاق هذه
الحوادث بسبب ارتياضهم وكان هيجان البحر مثالا للمحن المستأنفة التي تداهمهم
لانه قدتركهم بعدذلك في أوقات شتى ان يسقطوا في أشياء من الحوادث أصعب
من هذا الحادث مراسا وأطال اناته عليهم ولهذا المعنى قال بولس الرسول
يااخوتي لست أشاء أن يغيب ذلك عنكم اننا ثقلنا بالغموم بافراط زائد على
قوتنا حتى اننا اندهشنا ويئسنا من حياتنا وقال بعدذلك أيضا الذي انقذنا من
ميتات هذا مقدار عظمها هو ربانا ههنا ان سبيلنا ان نثق به وان ثارت
علينا أمواج عظيمة وانه يدبر كلما يعرض لنا لما يوافقنا فانتهرهم أولا وذلك ان
ارتجافهم كان حادثا موافقا لهم حتى تستبين العجيبة أعظم من غيرها ويصير
ذكر هذا العارض ابديا لانه اذ عزم أن يبدع حادثا عجيبا يتقدم فيصلح أولا
العوارض التي تنشئ ذكره كثيرا حتى لا يسقطوا بعد حدوث العجيبة في نسيانها
على هذا المعنى رفع موسى الحية أولا وأراعه ليس على بسيط ذات الارتياع
لكنه أراعه بجهاد كثير وبعدذلك أراه ذاك العجب البديع كائنا وكذلك
هؤلاء اذ توقعوا أولا هلاكهم بعدذلك خلصوا حتى عند اعترافهم بشدة
الامواج يعرفون جسامة العجيبة لانه اذا كان قدحدث هذا في
انتباهه ربما لم يخافوه أوما استغاثوا به أوما كانوا توهموه يقدر أن
يعمل الاعجوبة هذا المحل محلها لهذا الغرض نام مخولا جبانتهم وقتا جاءلا
بالعجائب التي كونها جسهم أبين وضوحا عندهم لان ليس متشابها ان يرى
أحدنا ما ينال جسم غيره وان يرى ما يناله في ذاته واذ كانوا قد أبصروا كل الذين
قصدوه وقد غمرهم احسانه وأبصروا ذواتهم ما تمتعوا ولا بصنف من انعامه
لانهم ما كانوا عرجا ولا سقماء هذا حاله وجب ان يتمتعوا باحساناته بحسبهم

تمتعا بناسيهم فأطلق العواصف عليهم ليستمدوا بازالتها احساسا باحسانه أبين وضوحا لهذا الغرض لم يعمل هذا العمل بحضرة الجموع حتى لا يلوموا نقص ايمانهم لكنه عمل ذلك لما أخذهم وحدهم وحل قبل اختباطه المياه اختباط نفسهم بانتهاره اياهم قائلا يا قليلي الايمان ما بالكم خائفون وعلمهم مع ذلك ان خوفهم ليس يبدعه ورود المحن لكن ضعف التمييز يولده فان قال قائل ان دنوهم منه وانهاضهم اياه ما كان من جزعهم ولا من نقص ايمانهم نقول له ذلك القول ان فعلهم هذا بعينه كان دلالة على انهم لم يعتلكوا الظن اللائق به لانهم قد عرفوا العمري انه اذا انهض يقدر ان ينتهر البحر الا انهم ما كانوا بعد قد عرفوا انه يقدر ان يسكنه في حال نومه وما معنى استعجابك ان كانوا الان ما عرفوا ذلك اذا رأيتهم بعد عجائب غير هذه كثيرة ظنهم فيه أعظم وأعدم تماما ولذلك قد انتهروا في أكثر أوقاتهم على حذو ما تسمعه يقول أو أنتم الى الان عادمي الفهم فلا تستعجب اذا رأيت اعتقاد تلاميذه فيه أعدم تماما ولا الجموع تخيلوا فيه تخيلا عظيما الا انهم استعجبوا منه قائلين بصورة من هو هذا الانسان لان الرياح والبحر تطيعه وما انتهرهم المسيح لانهم دعوه انسانا لكنه لبث يعرفهم ذاته بعجائبه ان توهمهم كان مخدوعا فان قلت فمن أين ظنوه انسانا أجبتك من نظرهم اليه ومن نومه ومن استعماله سفينة ولهذا السبب سقطوا في الحيرة وقالوا بصورة من هو هذا الانسان لان نومه والظاهر منه أظهره انسانا في أوهامهم والبحر بسكونه أظهره الها لان موسى النبي اذ كان قد عمل في وقت من أوقاته عملا يشابه هذا ومن هذه الجهة أبان سمو سيدنا وعلوه لان موسى اجترح عجيبة اجتراح عبد والمسيح اجترحها اجتراح سيد وذلك ان المسيح ما مد عصاه كما مد موسى ولا بسط يديه الى السماء ولا احتاج الى صلاة بل كان أشبه بحال سيد يأمر عبده وخالق يأمر خليقته على هذا المثال هدى البحر والجمه بكلمته وحل في ذلك الحين اختباطه

وشدته كلها فما بقى من اختباطه ولا أثر وهذا قد أبانه البشير بقوله وحدث
سكون عظيم وما قيل فى وصف أبيه أوضحه هو أيضا بأقواله وان سألت
وما الذى قيل فى وصف أبيه أجبتك ان النبى قال عنه انه عظيم المحل ذاك أوضحه
هو أيضا بأقواله وان سألت وما الذى قيل فى وصف أبيه أجبتك ان النبى قال
فوقف ريح الزوبعة وهذا الفعل فعله المسيح ههنا قال فحدث سكون عظيم ولهذا
السبب تعجب منه الجمع الحاضر معه خصوصا ولو كان عمل هذا العمل على مثال
ما عمله موسى لما كانوا تعجبوا منه ولما خرج من البحر اعقب خروجه عجيبة أخرى
أرهب من تلك كثيرا فلما أتى الى العبرالى كورة الجرجسيين استقبله
مجنونان من المقابر رديان جدا حتى انه لم يقدر أحد ان يجتاز من تلك الطريق
فصاحا قائلين ما لنا ولك يا يسوع ابن الله أتيت الى ههنا قبل الزمان لتعذبنا
لان المحافل اذ دعوه انسانا جاءت الشياطين مذيعة لاهوته والذين لم يسمعوا من
البحر عند تموجه وسكونه أيضا سمعوا الشياطين هاتفين بالاقوال التى هتف
البحر بها بسكونه ثم انه لا يظنه أحد ان قولهم تخايل خداع زعقوا من
ممارستهم أعماله قائلين جئت ههنا تعذبنا قبل الوقت لهذا السبب شهرت
عداوتهم باعترافهم بها أولا لكيلا يصير تضرعهم تهمة لانهم ضربوا بسياط
لم تقع بتضرر بل تعذر معاينته واختبطوا أكثر من اختباط البحر من حضوره
وحده خرجوا واحرقوا ونابتهم نوائب معضلة واذ لم يتجاسر متجاسران يقدمهم
الى حضرة المسيح ذهب هو اليهم ولعمرى ان متى البشير ذكر انهم قالوا جئت
الى ههنا تعذبنا قبل الوقت والمبشرون الآخرون أضافوا الى ذلك انهم تضرعوا
اليه واستحلفوه الا يزجهم الى العمق لانهم توهموا العذاب قد ألم بهم وارتاعوا
ارتياع من هو فى العذاب ولئن كانت الاقوال التى هى منسوبة الى لوقا البشير
قد ذكرت ان المجنون كان واحدا ومتى قد ذكر انهما اثنان وليس فى هذا
القول خلف فى المعنى لانهما لو قالا ان واحدا كان المجنون وما كان معه

آخر

آخرلتوهمنا ان لوقا يقول ما يضاد متى فأما اذا كان أحدهما يتكلم فى وصف واحد منهما والآخر يتكلم فى نعت اثنين فليس فيما قيل مناقضة ولا خلف لكن ذلك من فضل الوصف لانه على حسب ظنى ان لوقا لما انتخب أصعبهما مصابا ذكر واحدا فلهذا يصف مصابه وصفا أبلغ الاوصاف فى ندب حاله كقولك انه كان يكسر أغلاله وسلاسله تائها فى البرية ومرقس ذكر انه كان يهشم بالحجارة جسمه فأقوالهما كافية لايضاح فظاظته ووقاحته لانه قال جئت الى ههنا تعذبنا قبل وقتنا الا انهم لم يعرفوا انهم ما أخطأوا بل كانوا يسألوا لا يقضى مقابلة عدله قبل وقتها واذ كان قد داهمهم عاملين تلك الاعمال الصعبة المتجاوزة الشر بعة يقلبون جبلته و يعذبونها بكل صنف من المكروه وتوهموا انه لاسرافهم فى القبائح التى أبدعوها ما يمهلهم الى وقت تعذيبهم ولذلك تضرعوا اليه متوسلين والذين لم يحتملوا عقالات من الحديد أقبلوا اليه مربوطين والحاضرون فى الجبال خرجوا الى البقاع والمانعون آخرين عن العبور فى الطريق لما أبصروا من حجز الطريق لديهم وقفوا ولسائل يسأل وما غرضهم فى ايثارهم ان يسكنوا فى المقابر فنجيبه لايثارهم ان يحصلوا فى كثير من الناس اعتقادا مهلكا كقولك يحصلون فيهم ان نفوس الذين قدماتوا تصير شياطين وهذا فما كان فى وقت من الاوقات ولا كاد ان يصل ولا الى فكر أحد الناس ولعل قائلا يقول فما يقوله اذا كان كثيرون من السحرة يأخذون صبيانا ويذبحونهم حتى يملكون بعد ذلك النفس منهم منجدة لهم فنقول له ومن اية جهة يكون هذا واضحا الان ذبحهم الصبيان كثيرون من الناس يقولونه فقل لى من أين أعرف ان نفوس الصبيان المذبوحين هى مع السحرة ويوشك ان يقول ان المجانين باعيانهم يزعقون انى أنا نفس فلان فأقول ان هذه خدع شيطانية لان ليس نفس المتوفى هى الصائحة بذلك لكن الشيطان الذى يرائى بهذه الخدائع هو الذى يصيح بهذا اللفظ حتى يطغى سامعيه لانه ان كان ممكنا

ان تدخل نفسنا الى جوهر شيطان فأولى بها وأليق ان تدخل فى الجسد الذى لها
ولمعنى آخر هو ان استعادة نفس مظلومة ونقذها من ظالمها ليس تحوى
احتجاجا ولا يقدر انسان ان ينقل قوة خالية من جسم الى جوهر آخر وان كان
هذا ممتنع فى الاجسام وما أقتدر أحد ان يجعل جسد انسان جسد حمار فاليق
وأوجب أن يكون هذا الفعل ممتنعا فى النفس التى لا تنظر وما استطاع أحد
أن ينقلها الى جوهر شيطان وقد وجب من ذلك ان هذه الاقوال أقوال عجائز
سكيرات وخرفات الصبيان لان ما تقدر نفس منفصلة عن جسمها ان تحول
فيما بعد ههنا وهنالك فى هذه الدنيا لان نفوس الصديقين فى يد الله وان تكن
نفوس الصديقين فى يده فنفوس الصبيان فى يده أيضا لان نفوس الاطفال
ليست خبيثة ونفوس الخاطئين فى حين خروجها من الجسد تسير من ههنا
وذلك واضح من خبر العازر والغنى وقد قال المسيح فى موضع آخر اليوم
يستخرجون منك نفسك وليس ممكنا اذا خرجت النفس من الجسد ان تحول
فى هذه الدنيا وذلك على جهة الواجب جدا لاننا ان كنا مشتملين جسدنا انما
نمشى فى أرض قد ألفناها وعرفناها واذا سرنا فى طريق غريبة ما نعرف أى
مسلك نسلك اذا لم نتخذ مرشدا فالنفس المنفصلة عن جسمها وعن عادتها كيف
تعرف أين تسلك بدون مرشد يرشدها ومن جهات كثيرة يتأمل متأمل على نحو
آخر ان النفس الخارجة من الجسم ما يمكنها ان تثبت ههنا لان استفانوس الشاهد
قال اسلم روحى فى يديك يارب وبولس الرسول كان الافضل عنده كثيرا
ان ينحل و يكون مع المسيح وقد ذكر الكتاب عن رئيس الاباء انه أضيف الى
أبائه بعد شيخوخة جيدة والدليل على ان أنفس الخاطئين تقدر ان تقيم ههنا
اسمع الغنى يوضحه متضرعا من أجل هذا الغرض كثيرا وما وصل اليه فلو كان
ذلك ممكنا لكان هو قد جاء وأراع الحوادث الحادثة هنالك فقد استبان
واضحا ان بعد انصرافنا من ههنا لا تسير نفوسنا الى موضع من المواضع ولا يمكن
أن

أن ترجع ايضا لكنها تتوقع ذلك اليوم الرهيب وكان هناك قطيع
خنازير كثيرة ترعى بعيد أمنهم فطلب اليه الشياطين قائلين ان كنت
تخرجنا فأذن لنا ان ننطلق الى قطيع الخنازير فقال لهم اذهبوا أماهم
لما خرجوا مضوا الى قطيع الخنازير واذا بقطيع الخنازير جميعه قد وثب
من الجرف الى البحر ومات فى المياه أما الرعاة فهربوا ومضوا الى المدينة وأخبروا
بكل شئ فخرجت كل المدينة للقاء يسوع فلما أبصروه طلبوا ان يتحول
عن تخومهم فان قال قائل فلاجل أى غرض عمل المسيح ماسألته
الشياطين فيه اذاذن لهم ان ينطلقوا الى قطيع الخنازير نقول له ذلك القول
انه ما عمل ذلك خاضعا لامرهم لكنه عمله مريدا به فى هذا الوجه فوائد كثيرة
أحدها ان يعرف المتخلصين من أولئك الشياطين الغاصبين جسامة فساد
المغتالين عليهم وثانيا لكى يعلم الناس ان الشياطين ما يتجاسرون ولا على
خنازير ان لم يسمح لهم بذلك وثالثا انهم كانوا قد عملوا بذينك المصروعين
أصعب مما فعلوه بالخنازير أولا لانهم تمتعوا فى مصابهما بعناية من الله كثيرة
والدليل على ان الجن يمقتوننا أكثر عن مقتهم البهائم العديمة النطق فواضح
من سائر الجهات فوجب من ذلك ان الذين ما شفقوا على الخنازير لكنهم فى لحظة
واحدة من زمان القوها فأوجب وأليق بهم انهم قد فعلوا بالناس الذين
اتخذوا لهم ان يسوقوهم الى البرية ويحصروهم فيها هذا الافعال أيضا
لولا ان اهتمام الله كان فى تمردهم هذا كثيرا قد ألجمهم وقد نهضتهم عن
تجاوزها الحد فمن هذه الجهة استبان واضحا لا يوجد احد من البرايا الا يتمتع
بعناية الله وسياسته وان كانوا كلهم ما يتمتعوا بها على مثال واحد ولا على
نحو واحد فهذه هى صورة عظيمة لعنايته يوضح بها افعال سياسته فيما يوافق
كل واحد ومع الاقوال التى قيلت نعلم من هذا الوجه فائدة أخرى انه ليس يعتنى
بكافة البرايا عناية مشاعة فقط لكنه يعتنى بكل واحد منها عناية تخصه وهذا

المعنى قد أبانه لتلاميذه هو بقوله ان شعور رؤسكم معدودة وقد يتأمل متأمل هذا المعنى من هذين المجنونين اللذين كانا فيما سلف قد اختنقا تأملا بينا الوجد انهما تمتعا من العلو باشفاق كثير عليهما الاجل هذا الانحاء أوعز اليهم ان يذهبوا الى قطيع الخنازير حتى يعرف القاطنون فى تلك الاماكن قدرته لان تلك المواضع التى كان فيها اسمه عظيما ما أوضحه هنالك جدا والمواضع التى ما عرفه فيها عارف لكن أهلها كانوا قد عدموا الاحساس به جعل عجائبه ان تسطع عندهم حتى يجتذبهم الى معرفة لاهوته والدليل على ان القاطنين فى تلك المدينة كانوا أناسا فاقدى الحس فواضح من غاية فعلهم مع انه كان يجب عليهم ان يسجدوا له و يستعجبوا قدرته فصرفوه وسألوه ان ينصرف من تخومهم ولسائل ان يسأل ولاى غرض قتلت الشياطين الخنازير فنجيبه ان الجن يجتهدون فى كل موضع ان يلقوا الناس فى الاكتئاب وفى كل مكان يفرحون باهلاكهم وهذا العمل قد عمله ابليس المحتال بايوب على ان الله أوعز اليه هنالك الا انه ما اختضع ذا المحتال لكنه أطلقه مريدا ان يظهر خادمه أبهى حسنا قاطعا كل حجة عند الشيطان لوقاحته عاطفا الى هامته كما حدث على الصديق على حد ما جرى الآن الكائن بخلاف ما أراده هؤلاء الشياطين و بيان ذلك ان قدرة المسيح اذاعت واستبان خبث الشياطين الذى استخلص منهم اللذين ضبطوهما واستوضح انهم ليسوا مالكين ان يمسوا ولا خنازير ان لم يأمرهم بذلك الله الكل وان تاول متاول فى هذه الحوادث معانى أعلى من لفظها فلا يمنعه من ذلك مانع لان الخبر هذه الصفة صفته فينبغى ان نعلم علما يقينا ان أصحاب الخنازير هم من الناس الذين يتيسر انصيادهم بافعال الشياطين ولعمرى ان الذين تؤثر فيهم هذه التأثيرات يمكن هم أناس ينقهرون فى أكثر الاوقات فتى صاروا خنازير بجملتهم فليسوا ينصرعون فقط لكنهم يتكردسون أيضا وعلى نحو آخر غير هذا حتى لا يظن ظان ان الحوادث الحادثة

حينئذ

حينئذ كانت بنوع الرياء مرآة لكن نصدق أبين تصديق ان الشياطين خرجوا من الانسانين وهذا يستبين له واضحا من موت الخنازير وتامل عزم سيدنا الوديع مع قدرته لانه بعد ان أحسن هذه الاحسانات الى القاطنين فى ذلك الموضع وطردوه وما ثبت لكنه انصرف وأهمل الذين حكموا على أنفسهم انهم غير أهل لتعليمه اذ أعطاهم الذين أعتقهم من الشياطين ورعاة الخنازير معلمين حتى يتعلموا من أولئك جميع الآيات الحادثة وبانصرافه من عندهم ترك الخوف فيهم تاما لان جسامة جسارتهم اذاعت خبر الاية التى أبدعها وما عرض عندهم أبدع غباوتهم والاصوات التى أذاعت معجز العجيبة هتفت اليهم من جهات كثيرة بادية من الذين شفيا ومن الخنازير التى غرقت ومن أصحاب الخنازير من الناس رعاتها وقد يبصر باصره هذه الحوادث حادثة الآن وترى كثيرا فى المقابر مجانين لا يضبطهم ضابط عن جنونهم لا حديد ولا سلسلة ولا جماعة من الناس ولا عظة ولا تنبيه ولا خوف ولا وعيد ولا صنف من الاصناف التى هذه صفتها لانه اذا كان أحد نازانيا أو الى الاجسام الحسنة كلها باهتا فلا فرق بينه وبين المجنون لكنه يطوف مثل ذلك المجنون عاريا ولعمرى انه يكون لابسا ثيابه الا انه يكون خائبا من اللبس الصادق مجردا من الشرف الواجب له ليس يرشم جسمه بحجارة لكنه يقطعه بحجارة خطايا أصعب من حجارة كثيرة فمن يقدر ان يربط من هذا الحال حاله من يمكنه ان يكفه عن افتضاحه عند اشتعال الهيجان عليه وتعذر تحصيله عليه فى ذاته لكنك تراه يجول عند المقابر دائما لان بيوت الزوانى هذا المثال مثالهم ممتلئة نتانة كثيرة وتقيحا خزيا لا ومحب الفضة ما قولك فيه أليست هذه الغريزة غريزته لان من يقدران يربط فى وقت من أوقاته أتراه يقطع المخاوف والتهويلات كل يوم والتنبيهات والمشورات ويفك هذه العقالات كلها ومتى جاء اليه أحد الناس ليخلصه ويمنعه من الحلف بحسب استخلاصه من ان يوجد فى عذاب الحلف

عذابا عظيما فماذا يكون أشقى من حال هذا ولعمرى ان ذلك الشيطان وان
كان قد تهاون بالناس الا أنه قد خضع لامر المسيح وانصرف من الجسم مسرعا
وهذا الانسان فلم يخضع لامر المسيح لانه يسمعه كل يوم قائلا ما تقدرون أن
تتعبدوا لله ولغصب المال ومهولا بجهنم وبالعقوبات الشديدة وما يقبل منه
ليس لانه أوفر قوة من الله بل لان المسيح لا يريد ان يرجعنا كرها لهذا الغرض
يقيم الذين على هذه الصفة كانهم فى البرارى ولو أنهم فى أوساط المدن لان من
يكون ما لكا عقله لا يختار أن يقارن الذين هذا الحال حالهم فقد كنت اختار أنا
السكنى مع مجانين كثيرين أفضل عندى من السكنى مع واحد سقيم بهذا السقم
والبرهان على اننى لست أغلط فى هذه الاقوال واضح من العوارض العارضة
لكلا الفريقين لان هؤلاء المحبين الفضة يحسبون من لم يظلمهم ظلما عدوا
ويريدون أن يستعبدوا الاحرار ويحصلونه فى شرور عديدة واما المجانين
فلا يعملون عملا هذا صفته لكنهم يرددون سقمهم فى ذواتهم وهؤلاء المحبون
القنيات يقتنون منازل كثيرة ويجعلون اسم الله يفترى عليه ويوجدون
فسادا لمدينتهم وللمسكونة كلها والذين يقاسون الضنك من الشياطين يحق لهم
الرحم والبكاء عليهم كثيرا والمجانين يعملون أكثر أعمالهم بزوال حسهم
وهؤلاء بفكرهم ينحرفون عن تمييزهم منصرفين فى أواسط المدن يجنون
عظيم ما الذى يعمله المجانين كلهم هذا مثاله مثلما تجاسر عليه يوداس عند
اظهاره تجاوز الشريعة فى أقصى غايتها وجميع الذين يشابهونه مثالهم مثال
وحوش متمردة منفلتة من مقنص ترجف المدن وما يضبطها ضابط لان هؤلاء
يطيف بهم من كل جهة عقالات كقولك يحدق بهم خوف الولاة والقضاة وبعد
الشرائع اللوم من كل الناس وأشياء أكثر من هذه غيرها لكنهم مع ذلك
يفكون هذه كلها ويمزقونها ويجعلون أحوالهم فوق وأسفل بجملتها وان نزع
عنهم نازع هذه العقود بكليتها عرف حينئذ معرفة بينة أن الشيطان الذى فيهم

اشد

أشد توحشا من الخارج الآن كثيرا وأوفر جنونا ولكن اذا كان هذا المطلوب
ليس ممكنا فينبغي أن نمثله لان بقياس وننزع عنه سلاسله كلها فنعرف حينئذ
معرفة واضحة جنونه الذايع ولكن لا تخشى الوحش اذا شهرناه فان تخيله
انما هو بتشبيه وليس ذلك ذاته بتحقيق فليكن انسانا واحدا أسود باعثا من
عينيه نارا وله عوض عن يديه تنينين معلقين بكتفيه وليكن له فم فيه بدلا من
الاسنان والاضراس سيوفا مرهفة متمكنة فيه يفيض فمه عينا من السم القاتل
بدلا من لسانه وبطنه يفنى كلما يحصل فيه فناء كثيرا مثل الان رجلاه لهما
أجنحة أسرع من كل لهيب وليكن وجهه معمولا من كاب وذنب وليتكلم
ليس كلاما انسانيا لكن يتكلم كلاما مكرا وهام بعا وليكن في يده لهيب
ولعل ما قد وصفناه قد يظن عندكم مريعا الا أننا زيادة عما قد وصفناه يجب أن
نضيف الى هذا أوصافا غيرها وهي أنه يذبح كل الناس الذين يلقاهم ويسحقهم
فالمحب للفضة أصعب من هذا الانسان الممثل وأشد نكاية بكثير لابتلاعه
الكل مثل الجحيم وتعذيبه كلما يتشبث به محارب مشاع يجول حول جنس
الناس لانه يشاء الا يوجد من الناس أحد ليستحوذ على الاشياء كلها وما يثبت
في هذه الامال لكنه اذا أباد الناس كلهم بشهوته وتمنى أن يحتاج نعمة الارض
ويبصرها قد تكونت ذهبا لكنه يشتهي مع ذلك أن تصير له جبالها أيضا
وتلولها وعيونها وكافة البرايا الظاهرة على بسيط ذاتها ذهبا ولكي تعلموا انني
ما قد ثبت بعد جنونه لا يكونن معه من يشكوه ولا من يخيفه لكن انتزع من
التشبيه خوفه من الشرائع فتبصره مختلسا سيفا قاتلا كل من لقيه ولا يشفق
على أحد لا على صديقه ولا على نسيبه ولا على أخيه بعينه ولا على والده وأليق
ما يقال اننا ما نحتاج ههنا لحجة وبرهان على ذلك لكن ينبغي أن نسأله ان كان
ليس يخترع مثل هذه التخيلات في ذاته دائما ويقتل بفكره جميع أصدقائه
وانسبائه ووالديه وأبلغ من ذلك اننا ما نحتاج أن نستخبره لاننا كلنا نعرف أن

الذين هم مضبوطون بهذا السقم يستثقلون بشيخوخة أبيهم والحظ الحلو عند
جميع الناس الذى يعشقونه هو أن يرزقوا أولادا ويظن هؤلاء انه ثقيل مكروه
وكثيرون منهم بهذا الغرض ابتاعوا ويبطلون طبيعتهم وما قتلوا بنيهم بعدان
ولدوا لكنهم ماسمحوا مع ذلك أن يفرع لهم ابتداء كونهم فلا تتعجبوا ان كنت
شكات محب الفضة بهذه الصورة لانه أشر مما وصفناه كثيرا لكن سبيلنا أن
نتأمل كيف نخلصه من الشيطان فان سألت وكيف نخلصه أجبتك أن نعلم
علما يقينا ان حب الفضة يضاضده أكثر من مضاضده فى هذا الوجه بعينه فى أن
يكتسب أموالا وبيان ذلك أن المريدين أن يربحوا الارباح الصغار يخسرون
خسارة عظيمة فى هذه الجهة يجب أن يخترع لهذا الغرض بعينه ايضاحه
وهو أن انسانا أراد أن يقرض أمواله بأرباح من الربا كثيرة ويأمل
ربح الرباه مااستفحص حال مقترضها منه فأضاع فى أكثر الحالات الربح
مع رأس المال كله وأناسا آخرين أيضا سقطوا فى شدائد الخطر واذلم يؤثروا
أن يستفيدوا فوائد يسيرة أهلكوا أنفسهم مع مالهم واذا حضرهم أيضا
أن يبتاعوا مراتب مربحة أو صنفا غير ذلك يماثل هذا لماشحوا فاضاعوا
كلما أملوه لانهم لم يعرفوا أن يزرعوا لكنهم تعودوا أن يحصدوا دائما فخابوا
من الحصاد خيبة متصلة لانه لا يقدر أحدنا أن يحصد دائما كما أنه ما يمكنه
أن يربح دائما واذا لم يريدوا أن ينفقوا لم يعرفوا أن يربحوا لكن أحدهم ان
احتاج أن يأخذ امرأة يعرض له هذا العارض بعينه أيضا لانهم اذا انخدعوا
ما يحصلون بدل العسر يسرا وأما يتخذون امرأة مؤسرة مملوءة نقائص كثيرة
ويخسرون خسارة أكثر مبلغا لان كثرة المال ما تختلق الثروة لكن الفضيلة
تخترع الغنى لان ما المنفعة من الثروة اذا كانت صاحبتها محدثة مفرطة تبدد
ما تملكه أسرع من كل الرياح ما الفائدة اذا كانت زانية تجتذب عشاقا كثيرين
ما المنفعة منها اذا كانت سكيرة أليس فى طباعها أن تجعل رجلها أفقر من كل

الناس سريعا فيتورط في غاية الخطرايس اذا تزوجوا فقط لكن اذا ابتاعوا
المماليك أيضا لانهم من كثرة شهوتهم مايستفحصون من المماليك أفضلهم
لكنهم انما يلتمسون أرخصهم فاذا كررتم افتكاركم في هذه الاقوال لانكم
ماقدا استطعتم بعد أن تسمعوا الاقوال في وصف جهنم وفي نعت الملكوت
فتفطنوا في الخسائر التي طالما خسرتموها من أجل حبكم الاموال وفي
قروضكم وفي بيوعكم وفي تزويجكم وفي عناياتكم اجتنبوا عشق الاموال
فانكم على هذه الجهة تستطيعون أن تعيشوا عيشتكم الحاضرة بأبلغ الحياطة
واذا نجحتم قليلا يمكنكم أن تسمعوا أقوالنا في الفلسفة وتبصرون شمس
العدل بعينه وتنالون النعم الصالحة التي وعدتم بها التي ستكون لنا كلنا
وننالها بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي معه لابيه والروح القدس
المجد والعز والاكرام والسجود الان ودائما والى أباد الدهور كلها آمين

المقالة التاسعة والعشرون

واذ دخل الى السفينة عبر وجاء الى مدينته واذ قد قدموا لديه مخلعا طريحا على سريره واذ رأى يسوع امانتهم قال للمخلع ثق ياولدي فقد غفرت لك خطاياك

مدينته ههنا يعني بها كفرناحوم لان بيت لحم أورعته والناصرة ربته وكفر
ناحوم حازته قاطنا فيها دائما ولعمري أن هذا المخلع آخر غير المذكور في
بشارة يوحنا لان ذلك كان طريحا عند البركة وهذا فكان في كفرناحوم وذاك
كان تدلبث في مرضه ثمانية وثلاثين سنة وهذا لم يذكر في وصفه قولا هذا

دلالته وذلك فكان فى القفا رمن بلوذيه وهذا فامتلك أقواما اهتموا به وحملوه
وقدموه لدى ربنا وهذا فقال له ربنا ياولدى قد غفرت لك خطاياك وذلك
قال له انشاء أن تصير معافى وذلك شفاه فى يوم السبت وهذا شفاه ليس فى سبت
فلو كان شفاه فى يوم السبت لما قبلوا ذلك منه وفى شفاه هذا اصمتوا وفى شفاء ذاك
قصدوا طرده فهذه الاقوال قلتها ليس على بسيط ذاتها لكننى ذكرتها لئلا يظن
ظان ان هذا الوصف اختلاف عند توهمه المخلع وانه واحد بعينه وتأمل
أنت من سيدنا خلقه الوديع العالى الخالى من الصلف لانه قبل هذا الوقت
دفع الجموع واذ صرفه أهل جدرماقاومهم لكنه انصرف من عندهم ليس
الى مسافة بعيدة ودخل فى السفينة أيضا وعبر وقد كان يمكنه ان يعبر ماشيا
الا انه ماشاء أن يعمل أعماله المعجزية دائما حتى لا ينفسد غرض سياسته
ولعمرى ان متى البشير ذكر انهم قدموه لديه الا ان البشيرين الاخرين
ذكروا انهم قوروا السقف وحطوه واذ حطوه لدى المسيح ماقالوا له شيئا
بل فوضوا اليه كلما اعتمدوه لانه فى ابتداء تعليمه وانذاره طاف وما التمس
من الذين تقدموا بحضرته امانة هذا المبلغ الجزيل مبلغها وههنا تقدم هؤلاء الى
حضرته وقد التمس ايمانهم لان البشير قال انه أبصر الى امانة الذين حطوه
قدامه لانه ليس فى كل مكان يطلب أمانة السقماء فقط كقولك اذا زاغ تمييزهم
أو اذا أبهتهم الى جهة أخرى امراضهم واليق ما يقال ان الامانة ههنا كانت
للمريض ولولا انه أمن لما كان احتمل أن يحطوه فاذا اظهروا أمانة جزيل تقديرها
اظهر هو مقدرته اذ حل خطايا المخلع بكافة سلطانه وأرانا بكافة افعاله انه عديل
والده فى كرامته وتأمل ذلك انه قد بين ذلك منذ اعلى انذاره بتعليمه اذ
علمهم تعليم مالك سلطانا وبالابرص حين قال له أشاء فتطهر وبرئيس المائة
القائل له قل كلمة فقط فيبرى غلامى فاستعجبه وأشاع ذكره اكثر من جميع
الذين حضروا عنده وبالبحر لما الجمه بكلمته فقط وبالشياطين حين اعترفوا انه
قاضيهم وطردهم بكثرة سلطانه وقد الزم ههنا الاعداء باعيانهم بنحو آخر اعظم

بيانا

بيانا بان يعترفوا انه عديل لوالده وجعل هذا القول يفهم ظاهر الا انه هو أبان
اجتنابه التباهى لان محفلا عظيما كان يقف حوله يحجز الدخول الى عنده ولهذا
السبب حطوا المخلع من فوق فبادر فى الحين بشفاء جسمه الظاهر لكنه تمهل
وأخذ بسبب ذلك من قولهم وشفى أولا نفس الشخص الغامض اذ غفر
خطاياها وهذا الفعل استخلاص المخلع وما استمد له هو والتشريف كثيرا لان
أولئك اليهود اذا زعجهم خبثهم ولا يثارهم أن يتصفحوا ما يعمله جعلوا الشفاء
الكائن أن يلمع ظهوره كارهين وذلك انه لم يزل دقيق الحيلة فاستعمل حمدهم
لاظهار جريحته ولما ارتجفوا قال قوم من الكتاب هذا يجدف من يستطيع
أن يغفر الخطايا الا الله وحده فسبيلنا أن نعرف ما قاله هو وهل بطل
توهمهم على انه لو لم يكن عديلا لوالده لوجب أن يقول ما بالكم تتوهمون فى
توهما ليس واجبا وأنا بعيد من هذا المقدرة فما قال الان ولا لفظة من هذه
الالفاظ وبخلاف ذلك ثبت كلما قالوه وحققه بقوله البادى منه بايضاح بحجته
واذ كان أحدنا اذا قال عن ذاته وصفا يستشعر عند سامعيه معاندا للصدق
حقق هو بأناس آخرين ما قيل فى وصفه والعجب من ذلك انه ما حقق ذلك
باصدقائه لكنه حققه بما قاله لاعدائه لانهم اذ قالوا ليس يقدر حكمته فحقق
ذلك بما قاله لاصدقائه حين قال للابرص أشاء فتطهر واذ قال ما وجدت فى آل
اسرائيل أمانة هذا مبلغها وحقق ذلك بما قاله الان لاعدائه لانهم اذ قالوا ليس
يقدر احد أن يغفر الخطايا سوى الله وحده استثنى هو بقوله لكى تعرفوا
ان ابن الانسان يملك سلطانا أن يغفر الخطايا على الارض حينئذ قال للمخلع
انهض احمل سريرك واذهب الى بيتك فقام ومضى الى بيته ولعمرى انهم
ما فهموا هذا القول ههنا فقط لكنهم قد قالوه فى مواضع كثيرة اننا ما نرجمك
من أجل عمل جيد لكننا نرجمك لاجل تجديفك ولانك أنت انسان فتجعل
نفسك الها فانقض هنالك هذا الظن لكنه حققه بقوله أيضا ان لم أعمل
أعمال أبى فلا تؤمنوا بى فان عملتها ولم تصدقوا بى فصدقوا أعمالى فأراهم ههنا

علامة أخرى ليست صغيرة للاهوته ولمعادلته اباه فى كرامته لان أولئك
قالوا ان حل الخطايا فقط تجديف الا انه هو قد بين قبل هذا معنى آخر ايضاحه
هو لله فقط وهو اخراجه الى وسط البيان ما هو وابه لان البشير قال واذا ناس من
الكتاب قد افتكروا فى ذواتهم وقالوا هذا يجدف فاذ عرف يسوع افكارهم
قال ما بالكم تفتكرون افكارا خبيثة فى قلوبكم والدليل على ان الله
وحده يعرف الافكار اسمع ما ذكره النبي فى ايضاحه قال انت وحدك على
انفرادك تعرف قلوبنا وقال الله ايضا فاحص القلوب والكلى وقد قال ارميا
النبي قلبه عميق اكثر من القلوب كلها وهو انسان ومن يعرفه والانسان يبصر
الوجه والله ينظر الى القلوب وبشواهد كثيرة يتجه لنا أن نعرف ان الله وحده
هو العالم بما فى السرائر فاراهم انه اله معادل لوالده باظهاره ما افتكروه فى
انفسهم لانهم لخيفتهم من كثرة الناس ما تجاسروا ان يبرزوا عزمهم الى وسط
البيان فاعلنه هو وجعله واضحا موضحا ههنا الاستهزاء بهم عظيما الا انه قال ما
بالكم تفتكرون الافكار الخبيثة فى ذواتكم على انه وان كان اغتياظهم من ذلك
واجبا فقد كان يجب ان يغتاظ السقيم على انه انخدع وان يقول جئت اداوى
وجها آخر فاصطلح وجه غيره ويظهر من اين يبين لى ان قد غفرت لى خطاياى الا
انه ما افتكر ولا قال الان قولا هذا معناه لكنه بذل ذاته لسلطان شافيه وهولاء
كانوا حسادا مغتالين على الاحسانات الواصلة الى غيرهم وكذلك يفاوضهم فى
سريرتهم بكافة الدعة لانه قال ان أنكرتم قولى الاول للمخلع قد غفرت لك
خطاياك وحسبتموه تباهيا فها انذا أضيف الى ذلك القول قولا آخر تكتفى بدا[ر]هامك
الفاقدة وكلامكم بها او بعد ذلك اورد فعلا آخر وهو تشديدى جسم المخلع وما قاله
للمخلع وما قاله موضحا بسلطانه ايضاحا بينا الا انه ما قال له قد غفرت لك خطاياك
لكن قال له قد غفرت لك خطاياك ولما ضطره أولئك اوضح سلطانه ابين ايضا
حا بقوله له لكى تعلموا ان لابن البشر سلطانا أن يصفح عن الخطايا فى الارض
قال له احمل سريرك واذهب أرأيت مبلغ ابتعاده من الاشياء أن يظن أنه عديل

لابيه

لابيه لانه ما قال ان ابن الانسان يحتاج الى غيره أو انه قد خول له سلطانا قال ان
ابن الانسان يمتلك سلطانا أن يصفح عن الخطايا في الارض ولم يقل هذا القول
لأباهي به لكنه قال انما أقول هذا القول لاحقق لكم به سلطاني واني لست
أجدف اذا جعلت ذاتي عديلا لله لانه يشاء في كل مكان ان يخولهم براهين
واضحة لا يطعن عليها مثال ذلك اذ قال اذهب أر الكاهن نفسك ولما شفى
حماة بطرس خدمته في الحين وحين أطاق الخناز وسقطوا الى البحر وكذلك فعل
ههنا اذ جعل تشديد جسم المخلع دليلا على صفحه عن خطاياه وصير حمله سريره
دليلا على تشديده حتى لا يظن الشفاء الحادث أنه خيال ولم يعمل هذا العمل أولا
حتى استخبرهم لانه قال لهم أيما أيسر هذين الصنفين تعما أن أقول غفرت لك
خطاياك أم أن أقول أحمل سريرك واذهب الى منزلك فما يقوله هذا هو معناه ما
الذي تظنونه سهلا أتشديد جسم المخلع أم غفران خطايا نفسه فأوضح الصنفين
بيانا أن تشديد الجسم أسهل لان بمقدار ما ان النفس أفضل من الجسم بقدر ذلك
حل الخطية أعظم من تشديد الجسم ولكن اذا احد الصنفين وهو حل الخطية
لا يظهر والصنف الاخر وهو تشديد الجسم يرى واضحا انذا أضيف الى الصنف
الافضل المستور الصنف الادنى المكشوف حتى يأخذ الفعل الاعظم المحتجز
ظهوره برهانا بهذا الفعل الظاهر الادنى معلنا بأفعاله ما ذكره يوحنا أنه
يحمل خطية العالم واذا أنهض المخلع أرسله الى منزله مظهرا من ههنا أيضا اجتنابه
الصلف وان الشفاء الحادث ما كان خيالا وجعل الشهود بمرضه شهودا بصحته
لانه قال بفعله أنا أردت أشفي بالداء العارض لك الذين يظنون أنهم معافون وهم
في تمييزهم سقماء فاذ لا يريدون أن أشفيهم اذهب الى منزلك متلافيا الذين هنالك
أرأيت كيف أرانا ذاته خالقا نفسنا وأجسامنا اذ شفى مخلع جوهر نفسنا وجوهر
جسمنا وجعل الفعل الخافي ظهوره واضحا من الفعل الظاهر الا أنهم مع ذلك
ينسحبون على البطء أيضا لان الجموع أن كانوا عاينوا ما جرى تعجبوا ومجدوا
الله المعطي سلطانا هذا المحل محله للناس لان جسمه وقف لديهم ومازجهم

هو لكنه درجهم باعماله وانهضهم وجعل رأيهم عاليا الان اعتقادهم أنه أعظم
من جميع الناس وأنه قد جاء من عند الله ما كان حينئذ صغير المحل حقيرا لانهم
لو حققوا عند أنفسهم هذه الاراء تحقيقا محمودا سالكين فى هذا المسلك لعرفوا
أنه كان ابن الله لكنهم ما ضبطوا هذه العزائم ضبطا بينا وكذلك ما استطاعوا
أن يتقدموا اليه لانهم قالوا أيضا هذا الانسان ليس هو من الله فكيف يوجد
عندهم هذا من الله وقد ردوا هذه الاوهام فى أنفسهم ترديدا متصلا وجعلوها
أغشية لاسقام هواهم وهذا العمل كثير من الناس يعملونه الان ويظنون
أنهم ينتصرون لله فيتممون امراض هواهم فسبيلنا أن نعمل كلما نعمله بدعة
ورفق وذلك أنه اله البرايا كلها اذ هو قادر أن يطلق على الذين يجدفون عليه
صاعقة تحرقهم ومع ذلك يشرق لهم شمسه ويمنحهم أمطاره ويخولهم نعمه الاخر
كلها بتوسعه عليهم فسبيلنا نحن ان نماثله وان نعزى وننبه ونعظ بوداعة لا مغتاظين
ولا متنمرين لان لا يرجع الى الله مضرة من تجديف ذاك حتى تغتاظ أنت عليه
لان المجدف هو الذى قد أخذ الجرح فتحسر اذا عليه وابك لان هذا العارض
موجب للبكاء والمجروح بالتجديف فليس يمكن أن يشفيه دواء على الاشياء
بحاله مثل الدعة والرفق وذلك أن الدعة والرفق أقوى من كل غضب وأبصر
كيف يخاطبنا الهنا الذى قد شتمناه فى عهدة العتيق والجديد اذ قال هنالك
يا شعبى ماذا عملت بك وقال ههنا يا شاول يا شاول ما بالك تضطهدنى وبولس
يأمرنا أن نودب المعاندين بوداعة وحين اقترب الى المسيح تلاميذه يسألونه ان
يريهم آية من السماء زجرهم زجرا شديدا عند قوله أنتم ما عرفتم لاى روح أنتم
وما قال ههنا للفريسيين يا من أنتم نجسون ساحرون حاسدون معاندون خلاص
الناس لكنه قال لم تفتكرون فى قلوبكم أفكارا خبيثة فيجب اذا أن ننزع
هذا المرض برفق ودعة لان من قد صار أفضل من الخوف الانسانى يعود أيضا
الى خبيثه سريعا بهذا الغرض أمر بترك الزوان معطيا بذلك تأجيل لان كثيرين

منهم

منهم تنـدموا وصاروا متمكنين فى الفضـيلة بعـد أن كانوا فيما سلف اشرارا
مثل بولس والعشار واللص لان هؤلاء كانوا زوانا فصاروا حنطة ولعمرى
أن هـذا الفعل ممتنع فى البزور الا أنه فى اختيارنا وميتناسـهل متيسر وبيان
ذلك ان اختيارنا غير محدود بحدود طبيعة لكنه بحرية الارادة فاذا رأيت عدوا
للحق فاشفه اهتم به برده الى الفضيلة بايضاحك له عيشة فاضلة بتقديمك له كلاما
غير مذموم باذلاله عنايتك به واشفاقك عليه محركا كل مذهب لتلافيه مضاهيا
الاطباء الفاضلين الافضلين لانهم مايداوون المرضى بصنف واحد وحده لكنهم
اذا ابصروا القرحة لا تشـفى بالدواء الاول يزيدون عـلاجها دواء آخر غيره
ويوردون بعـد ذلك الدواء دواء غـيره وهكذا ويبطون الاورام أحيـانا
ويضمدونها أحيـانا فاذا كنت أيضا طبيبا للنفوس فاستعمل كل صنف من
المداواة على حـذو شرائع المسيح حتى تأخذ أجرة خلاصـك وثواب منفعة
آخرين غـيرك اذا عملت كلما تعمله لمجـد الله وتصـير متشرفا بمجده لانه قال
لاشرفن الذين يمجـدونى والذين يحتقروننى يحتقرون فينبغى أن نعمل كلما
نعمله لتمجيده ولنحظى بتلك السعادة التى ستـكون لنـا كلنا ونرزقها بنعمة
ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى له المجد مع الاب والروح القـدس الى
الابد آمـــين

المقـــــــــالة الثلاثون

وفيما هو مجتاز من هنالك رأى انسانا جالسا عند مكان الجباية اسمه متى فقال له اتبعنى فقام وتبعه

لعمرى انه بعد ان عمل هذه المعجزة بقى هنالك لكيلا يعما ينقمهم اياه بضرم حسدهم

أ كثرا لكنه أنعم عليهم بانصرافه وشفى مرضهم فينبغى ان نعمل نحن هذا العمل
بان لا نوصل الذين يغتالون علينا الى الجفاوة والقساوة بل نداوى قرحتهم ونرخى
قوتهم ونخمدها ولكن لاجل أى غرض مادعى هذا الرسول مع بطرس و يوحنا
والتلاميذ الاخرين لانه ماجاء الى هنالك وعرف ان الناس الحاضرين اذ
لا يقبلونه منه فكذلك دعى متى علم انه يجيب دعوته و يقبل منه والهذا
السبب اصطاد بولس بعد قيامته وذلك ان العارف قلوبنا العالم باوهام
تمييزهم كل واحد منا الذى يحتجز التكلم بها قد عرف ان متى يجنح الى طاعته
لهذا الغرض مادعاه فى مبادى انذاره حين كان صعب الانقياد لكنه دعاه
بعد عجائبه الجزيل عددها و بعدان شاع الخبر عنه كثيرا حين عرف انه
قد صار أوفر استعدادا الى الطاعة ولعمرى ان فلسفة هذا البشير موجبة للعجب
كيف لم يكتم عيشته السالفة ولا سترها لكنه وضع اسمها عندما ستر آخرون
اسمه بلقب آخر واسائل ان يسال فلاجل أى غرض ذكر انه كان جالسا فى
مجلس التعشير فنجيبه انه ذكر ذلك ليرينا مقدرة داعيه و بين انه لم يترك ولم
يبتعد عن الحرام الخبيث الان داعيه اجتذبه من وسط هذه الاعمال الشريرة من
ذلك التكسب الردى بعينه على حذو مانقل بولس السعيد وقد كان مجنونا
حنقا باعثا على المؤمنين نارا وقد بين اقتدار داعيه فيما كتبه الى أهل غلاطية
قائلا قد سمعتم تصرفى مدة الزمان السابق فى الدين اليهودى اننى اضطهدت
كنيسة الله بافراط بليغ ودعى الصيادين وكانا فى وسط أعمالهما الان
عملهما كان صناعة ليست منكرة نعم هم أناس أنقص علما من غيرهم غير مشهورين
وكثير استتارهم واما هذا فكانت صناعته مملوءة وقاحة وجفاوة و ربحا رديا
وتجارة وقحة وخطفا لا يجوز شرعا الان داعيه ما أنف من صنف من هذه
الاصناف ومعنى قولى انه ما أنف من عشار أمرا كان لان ذلك يستقبح ولم يأنف
أيضا ان يدعوا امرأة زانية لكنه خولها ان تقبل رجليه وتبلهما بدموعها لانه

لهذا

لهذا الغرض جاء ليس ليداوى أجسامنا وحدها لكنه جاء ايشفى مع ذلك
رذيلة أنفسنا وهذا العمل قد عمله بالخلع وبين بيانا شافيا انه يقدر ان يصفح
عن خطايانا وجاء بعد ذلك الى هذا الفاضل ولا تتعجب فى اختياره ذلك العشار
لانه اذ كان ربا ويقدر ان يحل جرائمنا كلها فلم تستعجب ان كان يجعل هذا
العشار رسولا ثم مثلما رأيت مقدرة داعيه فكذلك تأمل طاعة المدعو لانه ما
عانده ولا ارتاب وقال ما هذا المعنى أتراه ليس يدعوه خادمى ويدعونى وهذه
الطريقة طريقتى لان تذلل عزمه هذا كان قد فاته وقته أيضا لكنه فى الحين
اطاعه ولم يسأله ان يمضى الى منزله ليعرف أهله بما ندب له فكان فعله
مثلما فعل الصيادان اذ لم يستأذناه فى ذلك لكن كما انهما أهملا الشبكة
والسفينة واباهما كذلك أهمل هذا تعشيره وربحه ولحقه مظهرا عزمه مطيعا
لجميع ما يؤمر به وفصل ذاته من أشياء الدنيا كلها بغتة وبطاعته الكاملة
شهد باصابة داعيه وقت دعوته ولعلك تستخبر ما الرأى فى انه ما ذكر لنا
الحال فى دعوة تلاميذه الاخرين كيف وبأى معنى دعاهم لكنه ذكر الحال
فى استدعائه بطرس ويعقوب ويوحنا وفيلبس ولم يذكر وصف دعوة
التلاميذ الاخر أصلا فاقول لك ان هؤلاء كانوا فى صنائع ذليلة حقيرة أكثر من
باقيهم لان لا يوجد عمل شرا من التعشير ولا أحقر من اصطياد السمك
والدليل على ان فيلبس كان من الخاملين الحظ جدا فذلك واضح من وطنه
ولهذا السبب خصوصا اظهر والناه هؤلاء ووضعوا لنا صنائعهم مرضحين انه
يجب علينا ان نصدق هؤلاء فى الاخبار البهية فى أوصافهم لان الذين ما اختاروا
ان يخفوا من الاوصاف التى تظن انها ذات تعيير شيأ لكنهم أظهروا هذا
قبل الاخبار الاخرى بابلغ الاستقصاء فى وصف معلمهم وفى وصف تلاميذه
كيف يكونون متهمين فى ذكرهم الاخبار الشريفة ولا سيما اذا كانوا قد
تركوا آيات كثيرة وسكتوا عن جرايح كثيرة عجيبة والحوادث التى حدثت عند

الصلب المظنونة انها عار صرحوا بها بابلغ الاستقصاء فى وصفها وأعلنوا بصوت
بهى صنائع التلاميذ ونقائصهم واجداد معلمهم الشائع فى ذكرخطاياهم
فمن هذه الجهة استبان واضحا انهم اهتموا بالصدق اهتماما عظيما وما كتبوا
شيأ على جهة تمدح ولا بمعنى تظاهر ولما دعاه أكرمه اكراما عظيما
وشاركه فى الحين فى مائدته لانه بحق جعله حسن الرجاء للنعم المأمولة بهذه
المشاركة وجعل له فى ذلك دالة أكثر لانه شفى رذيلته ليس فى مدة طويلة لكنه
ابراها بغتة وما اتكى لدى المائدة معه وحده لكنه اتكى مع عشارين كثيرين
معه فصار فيما هو متكى فى البيت واذ بعشارين وخطاة كثيرين جاؤا واتكاؤا
مع يسوع وتلاميذه على ان فعله هذا قد ظن اليهود انه زلة لانه ما رفض
الخطاة الا انه ما ستر هذا الفعل عن الذين ارادوا ان يلوموه فى الافعال
الكائنة منه فالعشارون اجتمعوا عند متى لانه عديلهم فى صناعتهم لانه
بدخول المسيح الى منزله دعاهم كلهم معه لان المسيح حرك كل صنف من
مداواته وما نفع الحاضرين بمفاوضته اياهم فقط ولا فى حين ازالة اسقامهم
ولا عند توبيخه أعدائه لكنه فى حال أكله معهم أصلح اخلاق كثيرين من
المضنوكين برذائلهم وعلمنا بهؤلاء ان كل وقت وكل عمل يقدران يفيدنا المنفعة
على ان الاطعمة المنضدة هنالك حينئذ قد كانت من ظلم ومن استغنام الا ان
المسيح ما طلب ان يعفى من التناول منها اذ كان قد أمل ان الفائدة تصير هنالك
عظيمة لكنه ساوى المجترمين من هذه الجرائم الواضح قبحها فى الجلوس معهم
تحت سقف واحد ولدى مائدة واحدة لان الطبيب هذه الخاصة خاصته اذا لم
يحتمل من السقماء تقبحهم لا يخلصهم من مرضهم على ان ربنا قد استمد
من هذه الجهة ظنا خبيثا عندما أكل معه وعند دخوله الى منزله وعند اتكائه
مع عشارين كثيرين وانظر الى أولئك يعيرون فعله هذا بقولهم ها هوذا
انسان أكول وشريب الخمر صديق للعشارين والخاطئين فليسمع كافة الذين

يظنون

يظنون فى أمر نفسهم ظنا عظيما بصومهم وليفطنوا ان سيدنا قد دعى أكولا
وللخمر شريبا وما أنف من ذلك لكنه أغفل هذه الاوهام كلها اليتم ما اعتمده
وقد كان ذلك لانه نقل العشار وصار بهذه الصورة أفضل مما كان ولكى
تعلم ان اشترا كه معه فى المائدة نفعه نفعا عظيما اسمع ما قاله زكا العشار
الاخر لانه اذ سمع المسيح قائلا ينبغى اليوم ان أقيم فى منزلك حصل له الالتذاذ
بذلك وقال لاعطين المساكين النصف مما يوجد لى وان كنت وشيت باحد
الناس وخسرته شيأ لاقضينه أربعة اضعافه فقال له يسوع اليوم صار
الخلاص لهذا المنزل فعلى هذه الجهة انساغ له أن يودبنا بجميع أفعاله
ولعلك تقول فكيف يأمر بولس الرسول اذا كان أحد الناس قد صار لكم أخا
وصار زانيا أو متغطرسا فى هذا حاله لا تأكلوا معه فاقول لك ليس هذا المعنى
بعد واضحا ان كان واضحا أن يوصى المعلمين بهذه الوصية وليس يوصيها
للتلاميذ وحدهم اذ هؤلاء التلاميذ ما صاروا بعد من التامين ولا من المرتبين
أخوتهم و بولس مع ذلك يأمر بالارتجاع عن الذين قد رتبوا حينئذ أخوتهم اذا
ثبتوا فى خطيتهم وهؤلاء الذين أمرهم كانوا قد كفوا فيما بعد عن الخطأ وانتقلوا
عنه ولكن ولا فريضة واحدة من هذه الفرائض عطفت الفريسيين لكنهم
ثلبوا تلاميذ ربنا قائلين لم يأكل معلمكم مع العشارين والخاطئين ولما
ظنوا أن تلاميذه يخطئون خاطبوه قائلين هاهم تلاميذك يعملون ما لا يجوز
فعله فى السبت وههنا ثلبوه هو لدى تلاميذه فهذه كلها كانت أقوال فعلة
الشر المريدين أن يفصلوا التلاميذ عن معلمهم الا أن صاحب الحكمة العديمة
أن تعرف قال لهم الاقوياء لا يحتاجون طبيبا لكن المضنوكين بالامراض
يحتاجونه أرأيتم كيف قلب كلامهم الى ضده لان أولئك جعلوا اقترانه
باولئك العشارين زللا فقال هو خلاف قولهم ان امتناعه عن مخالطتهم صالحة
لهم ولتعطفه و بين أن تلافيه الذى هذه الطريقة طريقته ليس أنه

خالص من الزالى فقط لكنه مع ذلك فعل مقدم ضر و رى ولمدايح كثيرة موهل ثم لكيلا يظنوا ان قوله المضنوكين بالامراض يخجل به العشارين المدعوين أنظر كيف يتلافى ذلك أيضا بانتهاره اياهم قائلا انطلقوا تعلموا ماهو أشاء رحمة ولست أريد ذبيحة هذا القول قاله يعيرهم بجهلهم الكتب ولذلك استعمل كلامه ألذع من غيره ليس مغتاظا عليهم لكنه قاله حتى لا يتحير أولئك فى معنى كلامه على أنه قد أمكنه أن يقول أما فهمتم كيف حلت خطايا المخلع كيف شددت جسمه لكنه ماقال لفظة من هذه الالفاظ لكنه فاوضهم أولا من الافكار المشاعة و بعد ذلك خاطبهم من الكتب لانه اذ قال ان الاقوياء لا يحتاجون طبيبا لكن المضنوكين بامراضهم يحتاجونه أظهر ذاته بمعنى مكتوم أنه هو الطبيب بقوله حينئذ انطلقوا تعلموا ماهو انى اريد رحمة ولست أريد ذبيحة وهذا العمل قد عمله بولس الرسول حين أنشأ كلامه أولا فى أمثلة مشاعة فقال من يرعى رعية ولا يا كل من لبنها ثم أورد بعد ذلك الكتب وقال لانه قد كتب فى شريعة موسى لا تكمم ثورا دارسا وكذلك رتب ربنا الذين يبشرون يبشارته أن يعيشوا منها وما قال هذا القول لتلاميذه لكنه ذكرهم بآياته اذ قال أما تذكرون خمسة الارغفة التى أشبعت خمسة آلاف وكم قفة تناولتم الا أنه ما قال لهؤلاء هذا القول لكنه ذكرهم بالمرض الشائع وأراهم انهم هم مريضون وما قد عرفوا الكتب وهم وانون فى كافة الفضيلة الباقية ووضع فى الضحايا كافة غرضه وهذا فقد اعتمد هم بذكره اعتمادا غامضا جدا ووضع بلفظ يسير ماقيل بافواه جميع أنبيائه قائلا تعلموا اما هو انى اريد رحمة ولست أريد ضحية لانه بهذه الاقوال أراهم انه ليس هو المتجاوز للشريعة لكنهم هم الذين تجاوزوها كأنه قال من أجل أى غرض تشكوننى معانى اتلافى الخطاة وأصلح طرائقهم وتعيبون اذا بى هذا المعاب وهذا الغرض فقد أصلحه فى موضع آخر اذ قال أبى الان يعمل

وأنا أعمل وقال فى هذا الموضع انطلقوا تعلموا ماهو انى أريد رحمة ولست أريد ضحية لانه قال هذا لما ان أبى يريد هذا العمل فكذلك أريده أنا أرأيت كيف تلك الاقوال فضله زائدة وهى لازمة ضرورية لانه ما قال أشاء رحمة وضحية لكنه قال أشاء رحمة ولست أريد ضحية لانه ميز الرحمة وفضلها على الضحية وأبعدها وبرهن ان ما عابوه عليه ليس أنه ممنوع فقط لكنه مشترع أكثر من الضحية وأورد الوصية العتيقة توافقه ناطقة بما يفترضه فلما الذعهم من الامثلة الشائعة ومن الكتب استثنى أيضا بقوله ماجئت أدعو عدولا صديقين لكن جئت أدعو خطاة الى التوبة فهذه الاقوال يقولها لهم ساخرا هازئا على حذو قوله أيضا هوذا آدم صار كواحد منا وعلى حذو قوله أيضا اذا جعت فلا أقول لك والدليل على ان ما كان فى الارض ولا عدل فقد أوضحه بولس الرسول بقوله ان الناس كلهم اخطأوا وأعوزهم مجد الله وبهذا القول سلى أولئك المدعوين كأنه قال انى أبتعد أبعد البعد من أن أرفض الخطاة لانى من أجلهم وحدهم جئت ثم لكيلا تظن ان الخطاة أرخى عزما من غيرهم ما صمت عند هذا القول لكنه أضاف اليه أدعوهم الى التوبة لانى ما جئت حتى يلبثوا خطاة وانما جئت حتى ينتقلوا عن خطاياهم ويصيروا أفضل من غيرهم فلما أصمتهم من كل جهة من الكتب ومن الاقيسة والامثلة الكثيرة ولم يجعل لهم قولا يقولونه اذا استبانوا مطالبين بالخطاء الذى نسبوه اليه واضداد الشريعة وللعهد العتيق تركوه ونقلوا الزلل الى تلاميذه ولوقا الرسول ذكر ان الفريسيين قالوا هذا ومتى قال ان تلاميذ يوحنا قالوه وعلى ما يليق بحالهم ان الفريقين جميعا قالا هذه الاقوال لانهم تحيروا وأخذوا معهم تلاميذ يوحنا على ما يليق بحالهم وقد عملوا هذا العمل أخيرا اذا استرفقوا أصحاب هيرودس لان تلاميذ يوحنا كانوا يحسدونه دائما ويقولون اضدادقوله وانما تذللوا فى ذلك الحين فقط حين ألقى يوحنا فى

الابتداء فى الحبس لانهم فى ذلك الوقت جاؤا فأخبروا الرب يسوع وبعد ذلك
عادوا الى حسدهم الاول وان سألت وما الذى قالوه أجبتك انهم قالوا له لم
نحن والفريسيون نصوم كثيرا وتلاميذك لا يصومون فهذا هو المرض
الذى قطعه المسيح فى قديم تعليمه بقوله اذا صمت فادهن رأسك واغسل وجهك
اذ تقدم فعرف الاوهام الرذيلة المتولدة منه الا انه ما زجر هؤلاء ولا قال لهم
يا معجبين وزائدين فى تظاهركم وفضوليين لكنه خاطبهم بكافة الدعة والرفق
قائلا ما يمكن بنو الختن ان يصوموا ما دام الختن حاضرا معهم حين كان
كلامه من أجل آخرين أعنى من أجل العشارين فلكى يتلاقى نفسهم المجرحة
زجر الذين عيروهم أشد زجرا ولما ثلبوه وقرفوا تلاميذه خاطبهم بكافة الدعة
والرفق والقول الذى قالوه فهذا معناه فلتكن هذه الاعمال تعملها أنت بمنزلة
طبيب فارأى تلاميذك فى اهمالهم أن يصوموا وفى أنهم ناظرين الى هذه
الموائد المذذة ثم لكيلا يجعلوا قرفهم أعظم فعلا صدر واذاتهم أولا وبعدهم
الفريسيين لا يثارهم أن يزيدوا زللهم بمقايستهم لاننا نحن والفريسيون نصوم
كثيرا الان تلاميذ يوحنا صاموا اذ تعلموا الصوم من يوحنا والفريسيون تعلموا
الصوم من الشريعة كما قال الفريسى أصوم يومين من الجمعة فقال لهم يسوع
هل يقدر بنوا الختن أن يصوموا ما دام الختن حاضرا معهم فقبل هذا الخطاب
داعى ذاته طبيبا وههنا سمى ذاته ختنا معلنا بهذه الاسماء الاسرار التى يتعذر
التكلم بها على أنه قد كان يمكنه أن يقول لهم كلاما ألذع من غيره انكم أما أنتم
أرباب هؤلاء حتى تشترعوا عليهم هذه الفرائض وأمثالها الان ما منفعتكم من
صومكم اذ كانت سريرتكم ممتلئة خبثا اذ عيبتم غيركم اذ قد أوجبتم اللوم عليهم
أنتم حاملون جسورة الزلات فى أعينكم عاملين كلما تعملونه للتظاهر به لان قد
كان سبيلكم قبل هذه كلها أن تنزعوا تعجبكم وان تحكموا الفضائل الاخرى
كلها الحب الوداعة حب التراخى لكنه ما قال لهم لفظة من هذه الالفاظ

بل

بل قال بكافة الدعة والرفق ما يمكن بنو الختن وأن يصوموا مادام الختن حاضرا معهم مذكرا اياهم بألفاظ يوحنا التى قالها من يملك العروس فهو ختن وصديق الختن الواقف معه السامع منه يفرح صوت الختن فرحا فالذى قاله هذا هو معناه الوقت الحاضر وقت فرح وسرور فلا تورد الافعال الكريهة لان الصوم مكروه ليس فى طبيعته لكنه مكروه عند أولئك الذين هم أضعف من غيرهم على أنه عند المريدين ان يتفلسفوا لذيذا مأثورا جدا ومثلما ان جسمنا اذا كان صحيحا معافى يكون مسرورا كثيرا فكذلك أذا صحت نفسنا وحسن حالها يكون التذاذها أعظم فعلا لكنه قال هذه الاقوال نحو أولئك وهذا قد قاله أشعيا النبى فى كلامه فى الصوم اذ سماه تذليل النفس وموسى النبى يمثل هذا الاسم سماه وما أصمتهم بهذا القول فقط لكنه قد أبكمهم من جهة أخرى بقوله ستجىء أيام اذا رفع الختن عنهم حينئذ يصومون لانه بهذه الاقوال بين ان الحادث ما كان يظن لكنه كان من سياسة عجيبة وتقدم مع ذلك فذكر كلامه بما أورده فى المجاوبة لقوم آخرين مؤدبا تلاميذه مريدا اياهم ان يتدربوا بالافعال المظنونة انها مكروهة ولعمرى ان ذكره هذا القول لهم سالفا كان ثقيلا مستصعبا ولما قيل لهم فيما بعد أزعجهم وحين قال لغيرهم صار عندهم أخف ثقلا واذ كان لا يقابحا لهم ان يتعظموا بعد تألم يوحنا قصر فى هذا الموضع تبذخهم وما كان بعد قد زادهم القول فى ذكر قيامته لان ما كان ذلك الوقت وقته لان هذا القول مناسبا للطبيعة وهو ان يعرض ان يموت المظنون انسانا والقول فى القيامة فكان فائقا على الطبيعة وبعد ذلك فاعمله فيما سلف عمله فى هذا الموضع لانهم على نحو ما تعاطوا ان يظهروه مطالبا بجنايات بسبب أكله مع العشارين حققه وصدقوا هم انما فعلهم ليس يخصه انه ليس زللا فقط بل بين انه كان فعلا ممدوحا فكذلك فعل ههنا لما ارادوا ان يحققوا عليه انه

ما قد عرف ان يستعمل تلاميذه أراهم ان قولهم هذا الكلام ليس هو قول عارفين ان يستعملوا أتباعهم لكن قول من يعيب الناس على بسيط ذات المعاب لانه قال ليس يرقع راقع رقعة من ثوب خام على ثوب عتيق لانها تأخذ ملاها من الثوب فيصير الخرق أكبر يتخذ كلامه من الامثلة الشائعة ومعنى ما يقوله ان تلاميذى ما قد صاروا بعد أقوياء لكنهم يحتاجون أيضا الى ميل كثير معهم لانهم ما قد جددوا بعد بالروح واذ هذه اسجية سجيتهم فما يجب ان يوضع عليهم ثقلا من الاوامر هذه الاقوال قالها واضعا لتلاميذه شرائع وحدودا للتقويم حتى اذا رموا ان يأخذوا المؤمنين كلهم من المسكونة تلاميذا يقربونهم اليه بكافة الرفق والمؤانسة الكثيرة ولا يصبون خمرة جديدة فى زقاق عتيق والا فتشق الزقاق ويهرق الخمر وتهلك الزقاق لكن يجعلون خمرا جديدا فى زقاق جديد فيحفظا جميعا أرأيت أمثلة شبيهة بالامثلة العتيقة من الثوب والزقاق لان ارميا النبى قد دعى شعب اسرائيل مئزرا وقد ذكر أيضا زقاقا وخمرا واذ كان الكلام فى ذكر هيمان البطن والمائدة اخترع الامثلة من هذه الاشياء باعيانها ولوقا الرسول قد ذكر لفظا أكثر من هذا ان الخمرة الجديدة اذا صبت فى زقاق عتيق شققته والرقعة الجديدة اذا رقع بها ثوب عتيق مزقته أرأيت ان هذا الفعل ليس فقط انه لا يصير نافعا بل تتولد منه الخسارة أكثر فهو يذكر غريزة منه تلاميذه الحاضرة ويتقدم ويذيع طريقتهم المستأنفة كقولك انهم يكونون فيما بعد جددا فلا ينبغى ان يؤمروا أمرا كريها الى ان يتكون لهم هذا التجديد كأنه قال من التمس قبل الوقت الملائم ان يرتب فى الناس الاعتقادات العالية فليس يجدا اذ دعاه الوقت الملائم لها أناسا مستعدين اقبلوها اذ قد جعلهم فى دفعة واحدة قد زال الانتفاع بهم فهذا العارض لا يعرض فى الخمر ولا الزقاق التى تقبله لكنه انما يعرض فى وقت الذين يصبون الخمرة فى الزقاق للوقت الملائم لذلك قد عرفنا ههنا دلالة ألفاظه الدالة

التي فاوضهم بها مفاوضة متصلة لانه بسبب مرضهم وضعفهم قال لهم أقوالا
كثيرة أدنى من رتبته وهذا المعنى قد أظهره يوحنا النابه بقوله اذ قال قد يتجه لي
ان أقول لكم أقوالا الا انكم ما تقدرون الآن ان تحتملوها حتى لا يظنوا ان
الاقوال التي قالها هي هذه فقط لكن لكي يتصوروا أقوالا غيرها أعظم منها كثيرا
وضع ضعفهم في وسط كلامه ووعدهم اذا صاروا أقوياء انه يقول لهم
تلك الاقوال أيضا وقد ذكر هذا المعنى ههنا ستجيء أيام اذا رفع الختن عنهم
حينئذ يصومون فلا نطالبن نحن كل الناس في المبادي بكافة الاوامر لكن
سبيلنا ان نطالبهم بما يكون ممكنا فسنصل بهم الى تلك الاوامر سريعا فان
بادرت وسارعت فلهذا المعنى بعينه لا تبادر اذ قد سارعت فان كان ما قد قيل يظن
عندك انه رمز فاعرف هذا المعنى من طبيعة الافعال بعينها فستعرف حينئذ
كافة قوته وتبصرها ولا يحركنك محرك من المعارضين معارضة قد فاتها وقتها
اذ المتجنون ههنا كانوا فريسيين والعيانون كانوا تلاميذ لكن ولا واحدا
منهم مع ذلك اقنع المسيح ان ينقض رأيه ولا يقول نجل هؤلاء ان يصوم هؤلاء وما
يصوم هؤلاء لكن على حذو ما يعمل رئيس سفينة فاضل لا ينظر الى الامواج
المختبطة لكنه ينظر الى صناعته فكذلك عمل حينئذ المسيح الهنا لان من
العيب ان لا يصوم هؤلاء أعني تلاميذه لكن الخجل والانفة ان يخرجوا في
المقاتل بسبب صومهم وان ينشقوا عنه وينفصلوا منه بهذه المعاني اذا تفهمناها
نحن فينبغي ان نستعمل كافة أهلنا على هذا المأخذ ان ملكت امرأة زادة للزينة
مرتاحة الى حف وجهها وتحميره وتبريقه طائرة الى تزيينها منهمكة في تنعم كثير
كثيرة الكلام مسلوبة النفع على انه لا يتفق وجود هذه المناظر كلها
في امرأة لكن لنفرض امرأة هذا الحال حالها ولقائل ان يقول وما غرضك
في ان تتخذ امرأة وما تخترع رجلا فقد يوجد رجال شر من هذه الامرأة
فنقول له الان التأمر اذ قد فوض الى الرجال فينبغي ان نخترع الان امرأة هذا

السبب ليس من طريق ان الرذيلة متكاثرة فى النساء لانه قد يتهيأ ان يجد فى
الرجال رذائل كثيرة لا توجد عند النساء كقولك قتل الرجال نبش القبور
مشابكة الوحوش ونقائص كثيرة هذه الشناعة شناعتها فلا تظنوا اننا نعمل
هذا العمل مستحقرين بجنسنا الا يوجد هذا العزم ولا يكون لنا لكننا على هذه
الصورة فلنمثل عندنا أمرأة هذه الطريقة طريقتها وليجتهد رجالها ان يتلافاها
بكل صنف و يصلحها وان استخبرت فكيف سبيله ان يتلافاها و يصلح حالها
أجبتك لا يامرها بكافة المحامد بغتة فى دفعه واحدة بل سبيله ان يامرها
فى الاول باوامر أخف من غيرها ولا يضبطها عن غرضها ضبطا شديدا لانك
اذا استمالتها فى الاول الى أحكام الفضيلة كله فقد ضيعت مقصودك كله فلا
تنتزع عنها فى الحين حليها الذهبي لكن أهملها تتوشح به فان ليس الحلى
يظن انه سجية رداوتها أدنى من تبريق وجهها وتحميره ومن تخطيط حواجبها
ونقوش أطرافها فينبغى ان تبطل هذه الافعال أولا ولا تبطلها بتخويف وتهويل
لكن برفق وملاطفة و بثلبك هذه الافعال من نسوة غيرها وبتعييب قوم
آخرين هذه الافعال أفعالها و بحكمك بشناعتها وعزمك فى تفنيدها وقل
لها قولا متصلا ان وجهك اذا حسنتيه هذا التحسين لا يصير معشوقا لكنه يكون
رديا كريها جدا وحقق عندها بأبلغ التحقيق ان فعلها هذا يغمك و بعد
حكمك ذلك أوردلها هذا الرأى من أناس آخرين وقل ان هذا التزين من عادته
أن يعيب من الوجوه الملاح نضارتها حتى تنتزع هذا الداء ولا تقولن لها قولا فى
وصف جهنم ولا فى نعت الملكوت فانك ان قلت لها هذه الاقوال تبطل قولك
لكن حقق عندها ان اظهارها لك عمل الله عريا من زينة يسرك أوفر السرور
وأفضله وان ذلك أجل عندك من تعديلها وجهها وتخفيفه وتصقيله وانها
ماتستبين عند الكثيرين حسنة مليحة الصورة وكرر لها فى الاول الافكار
الشائعة وبقضايا كافة الناس بتحقيق قولك واقتلع سقمها واذا أقنعتها بهذه

الاقوال

الاقوال فاضف الى ذلك وجوب انتزاع الحلى عنها وان قلت لها هذه الاقوال
دفعة ولا تقبلها فلا تضجر من تبطيلها بهذه الاقوال دفعة ثانية وثالثة ودفعات
كثيرة ولم تخاطبها بتثقل وتضجر بل بتبسم واستبشار فارجع عنها أحيانا ولاطفها
أحيانا وداوها بالتنبيه احيانا أما قد رأيت المصورين كم دفعة يمحون مارسموه
وكم مرة يرسمون اذا عملوا وجه الصورة حسنا فلا تكونن اذا شرا من أولئك
فائن كان أولئك اذا صوروا تمثال جسم يتعبون تعبا هذا مبلغه فكم يجب
علينا نحن أكثر من أولئك أن نحرك كل حيلنا الهداية نفس ناطقة لانك اذا
أبدعت وجه هذه النفس ابداعا حسنا فلا تبصر وجه جسمها وحشا ولا ترى
شفتيها مدميتين ولا تعاين فمها مخضبا بدم دب ولا ترى وجنتيها مصقولتين
كحيطان المقابر ولا تبصر حاجبيها مسخمتين سخاما كأنه من قدر لان هذه
الاجزاء كلها سخام ورماد وغبار ودلائل ظاهرة للغاية لست أعرف كيف نسيت
واندفعت الى هذه الاقوال وبعد ان وعظت غيرى أن يعلم بدعة ورفق تدرجت
أنا الى الغيظ فينبغى أن نعود أيضا الى ان ننبه أرفق عدلا ونحتمل
مناقص نسائنا كلها حتى نتلافى ما نريده أما ترانا كيف نحتمل اولادنا اذا بكوا
متى ماشئنا أن نحجزهم عن ارتضاع الثدى ونصبر على كل عارض لاجل ذلك
الغرض فقط حتى نستميلهم الى التهاون بمائدتهم الاولى هذا العمل ينبغى أن
نعمله ههنا حتى نحتمل العوارض الاخرى كلها حتى نتلافى هذا الزال ونصلحه
لان هذا الزال اذا صلح تبصر الزال الاخر سالكا فى طريق التثقيف ونجى أيضا الى
الحلى الذهبى ونخاطبها بنظير هذا الخطاب وفى انتزاعه عنها فعلى هذه الطريقة
تتقوم المرأة قليلا قليلا وتكون مصورا حاذقا عبدا أمينا فلا حافاضلا وذكرها
بهذه الاقوال بالنسوة القديمات مثل سارة ورفقة والحسنات الوجوه واللواتى
ليست هذه صورتهن وأرها على هذا المثال كافة العفيفات وعرفها ان ليئا
امرأة يعقوب رئيس الاباء ما كانت حسنة الوجه فما اضطرت ذاتها فى التزين

هذا الاضطرار ولا احتالت بصنف من هذه الاصناف ولا احتيال لكنها كانت وحشة الصورة وما كان قرينها يحبها كثيرا فاحتالت بتزيين صورتها ولا أفسدت وجهها لكنها لبثت حافظة صورتها على حالتها وهذه الاعمال عملتها وكان الصابئون قد ربوها واما أنت فرمنة حاوية المسيح رأسا لك تستوردين لنا حيلة شيطانية وماتتذكرين ماء المعمودية الذى غمر وجهك والضحية التى زينت شفتيك والدم الذى حمر لسانك لانك اذا فهمت هذه المواهب كلها ولو كنت دفعات كثيرة محبة التزين ماتجترئين ولا تحتملين أن تلمسى ذلك الغبار والرماد اعلمى انك قد خطبت للمسيح فابتعدى من هذه القباحة لانه لا يسر بهذه الالوان لكنه يبتغى حسنا غير هذا وهو عاشق شديد العشق له وهو الحسن الذى فى النفس وهذا الحسن فقد أمرك النبى أن تخترعيه اذقال و يشتهى الملك حسنك ولا نقبح صورتنا تقبحا زائدا لان ليس يوجد عملا من أعمال الله غير تام وليس يحتاج الى اصلاحك وان تعاطى متعاطى أن يزيد تمثالا ملكيا بعد نصبه زيادات من عنده لا يكون تعاطيه ذلك بريا من خطر لكنه يقاسى نوازل قادحة فى غايتها ثم اذا كان انسان يعمل عملا لا يجوز أن يزيد فيه أفيجوز أن يصلح عملا قد عمله الله جل ذكره أوما تفطنين بنار جهنم أفما تفهمين فقر نفسك وبهذا التزين أعقلت نفسك اذ قد افرغت جهدك فى تزيين جسمك وذلك أن جسمك يعرض له اضداد ماقد حرصت فيها كلها وتأملى هذا تريدين أن تظهرى حسنة فهذا المراد يظهرك وحشة تؤثرين أن ترضى رجلك وهذا الايثار يغمه أكثر وليس يغمه وحده لكنه يغم الذين خارج منزلك ويجعلهم أن يصير وا ثالبين بالك تريدين أن تستبينى حدثة صبية فهذا المراد يقتادك الى الشيخوخة بسرعة تؤثرين أن تتزينى وهذا الايثار يجعلك أن تخجلى و بيان ذلك أن من تكون هذه الطريقة طريقتها ماتخجل من اللواتى يعادلنها فى حظها فقط لكنها تخجل مع ذلك من اللواتى يعادلنها و يبصرونها من

جوارها

جوارها ومن عبيدها الواقفين لديها وقبل كل أحد تخجل من ذاتها لان ما
حاجتى أن أقول هذه الاقوال وقد تيقنت الآن ماهو أصعب الاحوال كلها
انك تقاومين الله بهذا الفعل انك تطمرين عفتك انك تشعلين نار الغيرة انك
تشابهين الزوانى فهذه الاقوال كلها اذا افتكرتى فيها فقهقهى على هذه الفضيحة
الشيطانية والصناعة المحالية وهملى هذا التزين بل هو زوال التزين واخترعى
فى نفسك ذلك الحسن المعشوق عند الملائكة المأثور عند الله المستلذ عند
زوجك حتى تحظى بالشرف الحاضر والمستأنف الذى سيكون لنا كلنا ونسأله
بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذى يليق للاب معه والروح القدس
المجد الى أبد الاباد كلها آمين

المقـــــــالة الحادية والثلاثون

وفيما هو يكلمهم بهذا اذا رئيس قد جاء فسجد له قائلا ان ابنتى الان ماتت لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا مت ٩ : ١٨

دارك أقواله بالعمل حتى بهتت الفريسيين لأن أكثرلان الذى جاء الى عنده كان
رئيسا لجمعهم ونوحه كان شديد الان الصبية كانت وحيدته تبلغ اثنتى عشر
سنة وهى فى زهرة سنها بعينها فلكى يبكمهم فى الغاية القصوى أقامها فى الحين
وائن كان لوقا الرسول يذكر انهم جاؤا اليه وقالوا له لا تتعب المعلم فانها قد ماتت
فاننا نقول ان ذلك القول وان كان حادث على موتها من وقت توجهه اليه وكان
قوله معظم نائبته لان المتوسلين عادة يعظمون نوائبهم عند وصفها ويقولون

أكثر مما يوجد فيها ليستعملوا من يتوسلون اليه أكثر استمالة وانظر الى رأيه
هذا كونه طلب من المسيح فعلا ان يجيء معه الى منزله وان يضع يده على
ابنته ومطلوبه هذا كان دليلا على انه قد خلفها وفيها رمق من الحيوة وهذا
المطلوب قد طلبه نعمان السرياني من اليشع النبي لانه قال أنا قلت انه
يخرج الى عندي ويضع يده على برصي وذلك ان الذين كان عقلهم كثيفا
يحتاجون افعالا جسمانية محسوسة وقد ذكر مرقس البشير انه أخذ معه
التلاميذ الثلاثة وقد قال لوقا هذا القول وهذا البشير ذكر انه أخذ تلاميذه
ذكرا بسيطا ولقائل يقول فلاي غرض ما أخذ معه متى على انه قد تقدم اليه في
ذلك الوقت فنقول انه بذلك حصله في شهرة أكثر ولان حالته بعد كانت حال
أعدمهم تماما لانه لهذا الغرض أكرم أولئك ليجعل هؤلاء نظيرا أولئك ويجزي
هذا ان يبصر ما جرى من شفاء النزيف دمها واكرامه بالمائدة ومساهمته
بالمعاشرة وعندما قام معه لحقه اناس كثيرون كسارعين الى عجيبة عظيمة
وبسبب الوجه الوارد اليه ولان أكثرهم كان حالهم حال اكثف تمييزا من غيرهم
فما كانوا يتفرسون على صورتهم هذه اهتمامه بنفسهم مثلما كانوا يلتمسون
مداواته جسمهم فكانوا يتقاطرون جريا فبعضهم يستكدهم أسقام هواهم
وبعضهم يريدون ان يعاينوا مداواته غيرهم وتلافيهم ولعمري ان الواردين
اليه بسبب أقواله ولاجل تعليمه قد اقتادهم هذا العزم كان عددهم قليلا
فما ترك الذين تبعوه ان يدخلوا الى دار الرجل الا تلاميذه فقط ليعلمنا في كل
مكان ان نرفض التشريف الناشئ من الاكثرين واذا بامرأة كانت قد
لبثت اثنتي عشرة سنة في نزف دمها قد تقدمت من ورائه ولمست هدب ثوبه لانها
قالت في ذاتها ان مسست فقط ولو ثوبه تخلصت مت ٩ عدد ٢٠ و٢١ ولعلك
تسأل ولاجل أي غرض ما جاءت ودنت منه جهرا فنجيبك لانها خجلت بسبب
هذا الداء مشاعرة انها نجسة ولئن كانت المرأة المعتزلة في الشهور ما كانت

تظن انها نقية فأليق كثيرا بالسقيمة بهذا الداء ان تظن هذا الظن فى ذاتها وذلك ان هذا الداء قد اعتقد فى الشريعة ان نجاسته كثيرة فلهذا السبب استترت واختفت ولعمرى ان ولا هذه المرأة اعتقدت فيه رأيا واجبا كاملا والا فما كانت توهمت ان فعلها ينكتم عنه ولا تقدمت اليه بحضرة العامة ولعمرى ان هذه المرأة سمعت انه قد شفى نسوة وانه ذاهب الى ابنة الرئيس المتوفاة فما تجاسرت ان تدعوه الى منزلها على انها قد كانت غنية ولا دنت منه بحضرة العامة بل لمست ثيابه بأمانة سرا لانها ما ارتابت ولا قالت فى ذاتها أترانى أتخلص من سقمى أو لعلى است أتخاص منه لكنها وثقت بحصول الصحة لها واقتربت منه بهذه النية لانها قالت فى ذاتها متى ما لمست فقط ولو ثوبه تخلصت مت ٩ : ٢٢ لانها عرفت من أى منزل خرج من منزل العشارين ومن هم التابعين له وانهم خطاة وعشارين وهذه العوارض كلها جعلت لها املا ولقائل ان يقول فما الذى فعله المسيح فنجيبه ماتركها ان تستتر لكنه اقتادها الى وسط المحفل وأظهرها لاجل معان كثيرة على ان أناسا من الفاقدين حسهم قالوا انه انما عمل هذا العمل لعشقه التشريف فلم يتركها تستتر فأقول لقائل هذا القول يا نجسا دنسا فى كافة أقواله وأوهامه ماذا تقول أيعشق التشريف من قد أمر بالصمت عن اذاعة أفعاله وأهمل عجائبا جزيلا عددها وأغفل ذكرها وان سألت فلاجل أى غرض اقتادها الى وسط الجمع أجبتك أولا لانه حل بذلك ارتياع المرأة حتى لا تخزها فطنتها على انها قد سرقت الموهبة وتلبث فى جهاد واغتمام وثانيا ليقومها ويتلافى ظنها اذ ظنت ان فعلها ينكتم عنه وثالثا ليظهر عند كافة السامعين خبرها وأمانتها حتى يماثلها غيرها وباظهاره انه يعرف الافعال كلها خولها علامة وهى شفائه ينبوع مفائض دمها وبعد ذلك لما جمع رئيس الجمع ان ينفصل وان ينفذ مقصوده كله أصلح بهذه المرأة تصديقه وبيان ذلك ان الذين جاؤا من داره قالوا له لا تتعب المعلم فان الجارية قد

ماتت والذين فى منزله قد تضاحكوا عندما قال انها قد نامت وقد كان واجبا
ان يعرض لا بهاش كهذا تأثيره فلهذا المعنى تقدم قتلا فى هذا المرض واقتاد
المرأة الى وسط الحاضرين لان ذلك الرجل كان من الذين عقولهم اكثف
تمييزا من غيرها جدا واسمع ربنا ماذا قال له لا تخف صدق أنت فقط فتخاص
لانه توقف عمدا الى ان يرد الموت اليها ويجىء هو بعد ذلك الى عندها حتى
يصير برهان قيامتها بينا واضحا لهذا الغرض مشى مشيا بطيئا وأقبل
يخاطب المرأة النازفة الدم خطابا كثيرا لكى تموت تلك الصبية ويأتى
الذين يخبرون بموتها قائلين لا تتعب المعلم وهذا المعنى يدل عليه لوقاء الرسل
ويذكره ذكرا غاعضا عند قوله فى اثنى تكلمه جاؤا من المنزل قائلين
قد ماتت ابنتك فلا تتعب المعلم لانه أراد ان يصدق موتها حتى لا يتهم
قيامتها وهذا العمل يعمله فى كل مكان لانه قد فعل هذا الفعل فى انهاضه
لعاذر واقام يوما واحدا وثانيا وثالثا فبسبب هذه الاغراض كلها اقتاد
النزيفة الى الوسط فالتفت يسوع وقال لها ثقى يا ابنتى ٩ : ٢٢ مثل ما قال للمخلع
ثق يا ولدى لان المرأة كانت مرتاعة فلذلك قال لها اطمأنى ودعاها ابنته لان
امانتها جعلتها ابنته ثم اورد مديحها بقوله أمانتك خلصتك فبرأت المرأة من
تلك الساعة ٩ : ٢٢ ولو قال الرسول يخبرنا عن هذه المرأة أخبارا اخرى أكثر من
هذه لانه قال انها لما دنت منه واستمدت عافيتها ما دعاها المسيح فى الحين لكنه
قال أولا من هو الذى لمسنى فلما قال بطرس والذين معه يا معلم الجموع محيطين
بك وتقول من قد لمسنى وهذا القول دلالة عظيمة على انه له المجد له جسم حقيقى
وعلامة لكرهه كافة الصلف لانهم ما تبعوه من بعد لكنهم أحاطوا به من
كل جانب وذكر انه لبث هو قائلا ان لامسا قد لمسنى لاننى أنا قد عرفت
قوة خارجة منى فاجاب جوابا اكثف من غيره يناسب ظن سامعيه وقال هذه
الاقوال أيضا ليستميل تلك المرأة الى ان تعترف من ذاتها لانه لهذا الغرض

ما وبخها

ما وبخها فى الحين ليبين انه قد عرف الافعال كلها معرفة واضحة فاستمالها الى ان تقرّ من ذاتها كما فعلت وجعلها ان تذيع كما حدث فيها ولا يظن اذا قوله هو انه متهم أعرفت ان هذه المرأة أفضل من رئيس الجمع ما ضبطته ولا أمسكته لكنها مسّته باطراف أصابعها فقط وجاءت أخيرا وشفيت أولا وانصرفت وذاك ساق الطبيب بجملته الى منزله وهذه كفاها المسها اياه فقط لانها وان كانت متقيدة بذاتها لكنها كانت متريشة بامانتها وتأمل كيف يسليها بقوله أمانتك خلصتك على أنه لو كان اجتذبها الى الوسط لاجل التظاهر لما كان استثنى بهذا اللفظ الا أنه مع ذلك قال هذه الاقوال ليس بدون التذاذها بعافية جسمها والدليل على أنه فعل هذه الافعال لايثاره أن يشرف تلك ويصلح آخرين غيرها ولم يفعلها ليظهر ذاته بها فواضح من هذه الجهة لانه هو قد استأنف بالسواء خلوا من هذا الفعل أن يوجد عجيبا وبيان ذلك أنه قد أمطر عجائبه أكثر من نقط المطر واجترح اعظم من هذه العجيبة كثيرا وتوقع أن يعمل أعجب منها والمرأة فلولا ان الحادث حدثه فى أمرها لكانت قد ذهبت مستترة خائبة من هذه المدائح لهذا الغرض اقتادها الى الوسط فاذاعت فعلها وانتزع هلعها الان البشير قال أنها تقدمت الى حضرته مرتعدة فجعلها مطمئنة وخولها مع عافية جسمها زيادات اخرى غيرها بقوله اذهبي بسلامة مت ٩ : ٢٣ - ٢٦ وعند مجيئه الى منزل الرئيس ونظر الى الزمر والجمع الذى فيه مرتجفا قال تحولوا فان الجارية لم تمت لكنها رقدت فضحكوا عليه فلما أخرج الجمع دخل ومسك بيدها فقامت الصبية وخرج خبرها فى جميع تلك الارض جيدة دلائل رؤساء الجموع فى موتهم أن تنهض الزمور والصنوج نوحهم فان سألت عما فعله المسيح قلت لك أنه أخرج الناس الآخرين كلهم خارجا وأدخل معه والديها حتى لا يتجه أن يقال أن آخر داواها وينهضها بكلامه قبل أن ينهضها عندما قال ما ماتت الجارية لكنها رقدت وفى مواضع كثيرة قد عمل هذا العمل على حذو ما عمل فى

هيجان البحر اذا انتهر تلاميذه أولا وكذلك عمل ههنا اقتلع أولا الارتجاف من تمييز الحاضرين موريا أنه يسهل عليه أن ينهض الاموات وهذا العمل قد عمله فى انهاضه لعازر اذ قال لعازر صديقنا قد نام ويعلمنا مع ذلك الا نرهب الموت لانه ليس يكون موتا لكنه سيصير فيما بعد نوما لانه اذ عزم هو أن يموت تقدم فجعل تلاميذه أن يثقوا بالقيامة فى أجسام غيرهم وأن يحتملوا وفاتهم بوداعة لانه اذ جاءهم صار الموت فيما بعد نوما الا أنهم مع ذلك ضحكوا عليه وما اغتاظ عليهم اذا انكروا قوله فى الافعال التى عزم بعد هنيهة أن يجترح عجائبه فيها ولا زجر ضحكهم حتى يكون ضحكهم وزمورهم وصنوجهم وغير ذلك من كافة أفعالهم برهانا للموت الجارية اذ الناس من عادتهم أن ينكروا العجائب فى أكثر الجهات بعد كونها فتقدمهم بأخذ أجوبتهم وهذا العمل قد عمله بالعازر وموسى لانه قال لموسى ما هذا الذى فى يدك حتى اذا أبصر العصا قد تكونت حية لا ينسى أنها كانت عصا قبل كونها حية لكنه يتذكر قوله ويدهش من الحادث وقال عند قبر لعازر أين وضعتموه حتى لا يتجه للذين قالوا تعال فانظروا انه قد نتن لانه قد صار له أربعة أيام أن ينكروا أيضا أنه أقام ميتا فاذ أبصر الجموع والصنوج أخرجهم كلهم واجترح عجيبة انهاضها لدى والديها وما استورد اليها نفسا أخرى لكنه أعاد اليها نفسها بعينها التى خرجت منها وأقامها كناهض من نومه وضبط يدها وحقق عند الذين أبصروها قيامتها حتى يتقدم فيطرق ببصرهم اليها تصديق انهاضها الان أباها قال ضع يدك عليها فعمل هو أعظم من ذلك لانه ما وضع يده لكنه ضبطها وانهضها موريا أن كل ما يريده ميسر له وما أقامها فقط لكنه أمرهم أن يعطوها طعاما حتى لا يظنوا الحادث خيالا وما ناولها هو الطعام لكنه أوعز الى اولئك أن يعطوها مثلما قال عند انهاضه لعازر حلوه وأطلقوه يذهب وجعله بعد ذلك شريكه فى مائدته لانه من عادته ان يخترع هذين الفعلين كليهما دائما اذ ينشى البرهان على الموت وعلى القيامة بكافة

الاستقصاء وأبلغه فلا تتأمل لى أنت القيامة وحدها لكن تأمل معها أنه
وصاهم الا يقولوا لاحد الناس ما فعله وأدبنا فى العوارض كلها أبلغ التأديب
أن نتعلم عدم الصلف وفقد العجب وبعد هذا يعلمنا ذلك الغرض أنه أخرج
النادمين خارج البيت وأظهرهم عديمى الاهلية الجليل قدره فلا تخرج مع
الزمر لكن أقم مع بطرس ويعقوب ويوحنا الا انه ان كان فى ذلك الحين أخرج
أولئك خارجا فأولى به وأليق أن يخرجهم الآن لان فى ذلك الوقت لم يكن
بعد واضحا أن الموت قد صار نوما والان فهذا الفعل قد صار أبين من هذه
الشمس ظهورا ولعمرى أنه ليس يقيم الان ابنتك لكنه يقيم الان نفسك على
كل حال بشرف أكثر لان تلك الجارية بعد ان قامت ماتت أيضا وميتك أنت
اذا أقيم فيبقى فيما بعد لا يموت فلا ينح بعد أحد منا فيما بعد ولا ينوحن
ولا يثلبن منه المسيح التى أحكمها وهى أنه قهر الموت ما بالك تنوح نوحا زائدا
وقد صار موتنا نوما ما رأيك فى انتحابك وبكائك لان هذا العمل يعمله
الوثنيون فقد وجب أن نضحك عليهم فاذا افتضح المؤمن بهذه الافعال
أى اعتذار يكون له ما العفو الذى يناله اذا زال فهمنا فى هذه الافعال
وهذه الاعمال نعملها بعد زمان جزيل تقديره وبعد برهان على قيامتنا حكيم
فى الك أنت حال من ينمى زلله باوفر اجتهاده اذ تسوق لنا نوح نسوة ملهبا
داء النوح منهضا اتونه وما تسمع بولس القائل ما اتفاق الصالح مع المارق
أو ماه وقسم المؤمن مع نقيض المؤمن ولعمرى أن غلمان أهل بلد غلاطية الذين
ما يعرفون فى معنى قيامتنا قولا قد وجدوا مع ذلك أقوالا لسلوتهم قائلين
احتمل بجلادة فان الحادث العارض لا يعود ولا يتلافى الحزن وأنت أيها
المسيحى السامع أقوالا أكثر من هذه فلسفة وأوفر صلاحا أما تخجل فى
افتضاحك أعظم من أولئك لاننا ما نقول احتمل كانه يتهيأ أن لا يقوم الجسم
المتكون لكننا نقول احتمل بشهامة فانه يقام بلازم الضرورة فاصبى انما

رقد ولم يمت وسكن ولم يهلك لان سيعقبه قيامته وحياة أبدية وزوال الموت عنه
وغاية ملائكته أما تسمع المزمور القائل يا نفس ارجعي الى راحتك فان ربك قد
أحسن اليك فالله يدعو الحادث احسانا وأنت تنوح وما الذى تعمله
أكثر من أنك قد صرت محاربا للميت ومعاديا لانه ان وجب أن تنوح فيجب أن
تنوح على خطاياك وعلى ابليس المحتال وعلى هذا سبيلك أن تنتحب وله يجب
أن تندب لاننا سائرين الى حظوظ صالحة أعظم من هذه قدرا وهذا العويل
والشهيق موهل لخبث ذلك الشيطان وليس مؤهلا لك المنتظر أن تكال وتنعم
وذلك أن موتنا هو ميناء حسن صحو تامل عمرنا الحاضر من بلايا كم وافات
قد امتلات فهم كم دفعة تلعن أنت حياتنا الحاضرة لان أشغالها توصلنا الى
الحظ الاشر وقد ورثت منذ القديم عقوبات حكم عليك بها ليست صغارا
لانه قال بالغموم تلدين أولادك وبعرق جبينك تاكل خبزك وسيحصل لكم
فى هذه الدنيا ضغطة وما قيل فى الحظوظ التى هنالك قولا هذا حكايته
وانما قيل فى وصفها اضداد هذه كلها اذ قد هرب الوجع والغم والتحسر
منها وانهم سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون فى حضن ابراهيم
واسحق ويعقوب وان النعم التى هنالك غرسا روحيا ومصابيح بهية
ونقلة الى السماء فما بالك تخجل المتوفى ما غرضك فى أن تجعل اناسا
آخرين يرهبون الموت ويرتعدون منه ما رأيك فى أن تصير كثيرين يثلبون
الله عز وجل على انه أبدع شدائد عظيمة والبق ان يقال ما غرضك فى
استدعائك فقراء وتوسلك الى كهنة ان يصلوا عنك ويوشك ان تقول حتى
يمضى الى راحة كى يجد القاضى غفورا فأقول لك أفمن أجل هذه الاعمال
تنتحب وتولول وانما تحارب ذاتك وتعاندها مخترعا لنفسك سببا من أجل ما قد
مضى ذلك لاجله الى موانى الراحة ولعلك تقول وماذا أصابنى طبيعتى هذه
الغريزة غريزتها فأقول لك الذنب ليس هو لطبيعتك ولا لنظام فعلها لكننا
نحن

نحن الذين نجعل أحوالنا كلها فوق وأسفل ونتراخى ونرفض شرف حسبنا
ونجعل غير المؤمنين أشرف حالا منا لاننا كيف نناظر غيرنا فى زوال الموت عنا
كيف نقنع الامى اذ كنا نحن نخاف الموت أكثر منه ويروعنا وكثيرون عند
أهل بلاد غلاطية لا يعرفون قولا فى عدم الموت لبسوا أكاليل وملابس بيضاء
مات أبناؤهم وظهروا لابسين لباسا أبيض حتى يستمدوا التشريف الحاضر
وأنت لاجل الشرف المأمول لا تكف عن انتحابك ومضاهاتك النساء لكنك
تنوح لانك ما تملك وارثا ولا خلفا على ما يوجد لك فما الذى تريده هل ان
يكون ابنك وارث أملاكك أم وارثا السموات ما الذى تشتهيه ان يعتقبك على
الاملاك البائدة التى تتوقع بعد مدة قصيرة ان تخلعها ههنا أم ان يملك الحظوظ
الباقية التى لا تزول أليس تملك ابنك وارثك لكن الله قد امتلكه عوضك
وما صار وارثا مع اخوته لكنه صار وارثا مع المسيح خالقه ولعلك تقول فلمن
أخلف ثيابى ومنازلى ومما لكى وحقولى فأجيبك تخلفها له أيضا اذا أعطيتها
للفقراء وتحصل له أصون من امتلاكه اياها ههنا ولا يوجد مانع يمنعك من ذلك
ولئن كان العجم يحرقون مع المتوفين ما يوجد لهم فأليق بك أنت وأوجب ان
ترسل مع ابنك المتوفى ما يجب ان يكون له ليس حتى يصير رمادا كما تصير أمتعة
أولئك الذين يحرقونها مع موتاهم لكن ليحصل له شرفا أكثر حسنا وان كان قد
ذهب من الدنيا خاطئا فحتى تحل خطاياه وان كان قد انصرف منها عدلا فلكى
يصير تفرقا عنه زيادة لثوابه ومكافأته أفتشتهى ان تبصره عش اذا عشته
بعينها المختصة بطفوليته فتملك ذلك الوجه الجليل عندك سريعا ومع هذه
التنبيهات تفكر فى ذلك المعنى انك اذا لم تسمع منا فستقبل من الزمان بلازم
الضرورة لكنك ما يحصل لك من الثواب صنفا لان السلو يتكون من كثرة
الايام واذا أثرت ان تتفلسف الآن ستربح فائدتين عظيمتين وهما أعظم
الفوائد تستخلص ذاتك فى وسط البلايا وبكلك الله أكليلا أبهى حسنا

وبيان ذلك ان احتمال المصائب بوداعة أعظم من الصدقة ومن المحامد الاخرى بكثير تفطن ان ابن الله مات لاجلك وأنت تموت لاجل ذاتك وقال ان كان ممكنا فلتعبر هذه الكاس عنى وأغتم وجاهد ومع ذلك فما أعرض عن الوفاة لكنه تكبدها بتذب كثير وما تحمل موتا على بسيط ذاته لكنه تكبد موتا قبيحا واحتمل قبل موته الضرب بالسياط وقاسى قبل السياط تغييرات ومسبات ومثالب معلما اياك احتمال كافة العوارض بصبر الا انه مع ذلك مات وفارق جسده وأخذه أيضا بمجد عظيم حسنا باسطا لك هذه الامال الصالحة فهذه الاقوال وان كانت ليست عندك أحدوثة فلا تنوح ان اعتقدت انها صادقة فلا تدمع وان دمعت فكيف تقدر ان تقنع الوثنى انك تصدق القيامة وان كان المصاب العارض لك يستبين على هذا النحو عندك لا يطاق فلاجل هذا المعنى بعينه ليس ذلك موجب للنوح عليه لان ذلك قد تخلص من مصائب كثيرة هذا تأثيرها فلا تحسدنه اذا ولا تبخل عليه بما قد وصل اليه لان التماسك موتا لذاتك بسبب وفاة ابنك الفائت وقته ونوحك عليه لانه ما عاش ليقاسى بلايا كثيرة هذا تأثيرها انما هو التماس من قد حسده على تخلصه وبخل عليه بحظ سعادته فلا تفتكرن اذا هذا الافتكار انه ما يعود الى منزلك أيضا لكن افتكر أنك بعد مدة يسيرة تمضى الى عنده لا تفتكرن انه ما يرجع الى ههنا أيضا لكن افتكران ولا هذه البرايا الملحوظة تبقى على حالها هذا وذلك ان السماء والارض والبحر والبرايا كلها يتحول نظامها وتتسلم حينئذ ابنك بتشريف كثير وان كان انصرف من الدنيا خاطئا فقد وقف مساعى رذيلته لان الله لو كان عرف انه ينتقل عن خطاياه لم كان بادر فحفظه من توبته وان كان انتقل من الدنيا عدلا صديقا فقد اقتنى حظوظه الصالحة حاصلها فى حياطتها فقد استبان من هذه الجهة ان دموعك ليست من خلوص ودك لكنها من عارض لا يقاس لانك لو كنت تحب ما يأتيك لوجب ان تفرح وتسر

لانه

لانه تخلص من الامواج الحاضرة   قل لى ما الذى تبصره أكثر تجددا اما
الذى تراه فى الدنيا غريبا أو جديدا ولسنا نرى هذه الاضداد بأعيانها دائرة
لنا وبنا وهى نهارا وليلا وليلا ونهارا وشتاء وصيفا وصيفا وشتاء فهى هى
بأعيانها دائما والبلايا والآفات تراها غريبة مختلفة بعضها أجد من بعض
ومع كونك تعرف هذه البلايا تريد ابنك يعرفها كل يوم ويلبث فى هذه الآفات
ويمرض ويتعب وينوح ويرتاع ويرتعد ويقاسى من الشدائد فجائعها أحيانا
ويخشى منها ما لم يمارسه فى وقت من زمانه أحيانا لانك ما ينساغ لك ان تقول
ذلك القول انه قد كان يمكنه اذا سبح لجة عمره هذه الطويلة ان يخلص من
الهموم والغموم وغيرها من العوارض التى تناسبها ومع هذه الضروب
أفتكر فى هذا المعنى انك ما ولدت لا تموت وانه لو لم يمت الآن لكان قدمات بعد
مدة لكنك تقول انك ما تمليت منه الا انك ستتمتع به هنالك على كل حال
لكنك تقول انك كنت تشتهى ان تراه ههنا وما المانع من ذلك لان ذلك يتجه
لك ههنا اذا استفقت لان ارتجاء المواعيد المأمولة أظهر بيانا من النظر اليها
فأنت لو كان ابنك فى قصور الملك لما طلبت ان تبصره فى وقت من أوقاتك اذا
سمعت انه مرتاح واذا رأيت أيتها الامراة الاطفال الذين سلمتيهم الى معطيهم فى
حظ أفضل كثيرا أتصغر نفسك لاجل زمن يسير وهذه لافعال تفعلينها
مع ان لك قرينك موجودا عندك فان قلت انك ليست تملكين رجلا
أجنبك الا انك تملكين أبا اليتامى وقاضى الارامل سلوة لك واسمعى
بولس الرسول مطوبا هذا الترمل قائلا والارملة فى الحقيقة الوحيدة قد توكلت
على ربها الان الارملة التى قد اهتدت فى طريقها تستبين أكثر توفيقا من
غيرها اذ تظهر صبرا أكثر تقديرا فلا تنوحى على من قد تكلت لاجله ولا تندبى
من يطالب بثواب من تلقيه لانك قد دفعت الوديعة الى صاحبها ان كنت قد
حضرت ما قد وثق بك عليه فلا تحزنى لان ذخيرتك فى كنز لا يسلب وان عرفت

ماهي عيشتنا الحاضرة وماهي حياتنا المأمولة وعلمت ان عيشتنا هذه عنكبوت وظلال وان الحظوظ التي هنالك لاتزول ولاتموت فانحتاجين فيما بعد الى أقوال أخرى لان ابنك الآن قد تخلص من كل تغيير وانتقال ولو كان ربما لا يثبت صالحا وما كان قد ثبت على هذا الحال حاله أوما قد رأيت كم أناسا نفوا أبناءهم وكم بنين صاروا أشر من المنفيين تلزم أباءهم الضرورة ان يضبطوهم في بيوتهم فاذا افتكرنا في هذه الاقوال كلها ينبغي لنا ان نتفلسف صابرين فاننا على هذا الحال لاننعم على من قضى أجله ونتمتع من الناس بمدايح كثيرة ونتسلم من الله أكاليل صبرنا العظيمة ونحظى بالنعم المأمولة الصالحة الدهرية بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي معه لابيه والروح القدس المجد والعز والاكرام الان ودايما والى أباد الدهور آمين

المقاله الثانيه والثلثون

وفيما يسوع مجتاز من هنالك تبعه اعميان يصرخان ويقولان ارحمنا يا ابن داود ولما جاء البيت تقدم اليه الاعميان فقال لهما يسوع اتؤمنان انى أقدر أفعل هذا قالا له نعم ياسيد

مت ٩ : ٣٧ و ٣٨

ولعلك تستخبر ماغرضه في اجتذابه اياهما صارخين فاجيبك انه يود بنا ههنا ويعلمنا أن نرفض التشريف من الناس الاخرين واذ كان المنزل قريبا اقتادهما اليه

اليه وشفاهما: الك على انفراد وهذا المعنى بيان واضح لما الوصاهما به الا يقولا لاحد الناس وفعل هذين ثلبا لليهود ليس بيسير اذ كان هذان الاعميان أعينهما مطموسة فيهما وقبلا الايمان به من السماع باعماله وحده وأولئك أبصروا عجائبه وشاهدوا العجائب الحادثة باعينهم فعملوا اضداد اعمال هذين كلها وأبصر نشاطهما من صياحهما ومن توسلهما بعينه لانهما ماتقدما اليه على بسيط ذات التقدم لكنهما تقدما صارخين باصوات عظيمة وما أوردا لفظا آخر الالفظة الرحمة ودعياه ابن داود اذ كان هذا اللقب فيشعر بالتكريم والانبياء في مواضع كثيرة قد لقبوا بهذا اللقب الملوك الذين أرادوا تكريمهم وآثروا أن يظهروهم معظمين ولما اقتادهما الى المنزل سألهما ثانيا لانه في مواضع كثيرة قد حرص ان يشفي عند التوسل اليه لكيلا يظنه ظان انه يبادر الى هذه العجائب للمباهاة بها وليس لهذا الغرض وحده لكن لكي يبين مع ذلك انهما موهلان للشفاء وحتى لا يقول قائل فان خلص برحمة فقط فقد وجب عليه ان يخلص الكل فنقول له ان تفطنه قد امتلك احتجاجا ناشئا من أيمان الخاصين وتصديقهم وليس يطالبهم بالتصديق لاجل هذه الاغراض فقط ولكن اذ كان هذان قد دعياه ابن الداود وأعلاهما هو الى اعتقاد أعلى محلا وعلمهم ان يتصوروا من أجله ما يجب تصوره فقال أتصدقان انني أقدر ان أعمل هذا العمل وما قال أتصدقان انني أقدر ان أسأل أبي أو انني أقدر ان أبتهل اليه لكنه قال أتصدقان انني أنا أقدر ان اعمل العمل هذا فقالا هما نعم ياسيدنا فما دعياه أيضا ابن الداود لكنهما حالا اعترفا بسيادته حينئذ وضع هو بعد ذلك يده على أعينهما قائلا ليكن لكما مثل تصديقكما فعمل هذا العمل مصححا ايمانهما وتصديقهما وروايا نهما قد شاركاه في ايداع شفائهما شاهدا ان أقوالهما ما كانت أقوال تحايل لانه ما قال فلتتفتح عيونكما لكنه قال فليكن لكما نظير تصديقكما وهذا القول قد قاله لاناس كثيرين من الذين تقدموا

الى حضرته مسارعا ان يتقدم ليذيع قبل مداواته أجسامهم الامانة التى فى
انفسهم حتى يجعل أولئك أفضل تهذبا وتوفيقا من غيرهم ويصيروا أناسا
آخرين أرسخ فى الفضيلة وتمكنا بحرصهم هذا العمل عمله بالمخلع لانه قبل
تشديده جسمه انهض نفسه الطريحة بقوله ثق يا ولدى قد غفرت لك
خطاياك ولما أنهض الصبية ضبطها وبالمائدة عرفها بالمحسن اليها وعمل
شبيها بذلك برئيس المائة اذ عطف الفعل كله الى أمانته واذ خاص تلاميذه
من اختباط البحر استخلصهم أولا من نقص ايمانهم وهذا العمل عمله ههنا
اذ قد عرف هو قبل صياحهما أوهام سريرتهما الفاقدة التكلم بها فلكى
يقتاد أناسا آخرين الى مشابهتهما بعينها ويجعلهما ظاهرين عند غيرهما
أذاع نهاية مداواته تصديقهما المستور فيهما وبعد مداواته اياهما أمرهما
الا يقولا لاحد الناس ما فعله بهما وما أمرهما مجرد الامر لكنه أمرهما ابتاكيد
كثير لان البشير قال وان يسوع انتهرهما قائلا انظرا ألا تعرفن أحدا من
الناس هذا الا انهما لما خرجا من عنده أذاعا فعله فى تلك الارض كلها
ولا احتملا أن يصمتا لكنهما صارا ينذران ويبشران واذ أمرا بكتمان ما
حدث ما احتملا ذلك ولا استجازاه فان استبان فى موضع آخر قائلا اذهب
تخبر بمجد الهك فليس ذلك القول ضدا لهذا لكنه موافق له جدا لانه
يعلمنا الا نقول قولا من أجل ذواتنا لكننا مع ذلك نمنع الذين يمدحوننا واما
أعطاه المجد لله فلا يمنعنا عنه لكنه يأمرنا بفعله فبعد خروج الاعميين
من حضرته قدموا اليه انسانا أصم مفلوجا ولعمرى ان داءه كهذا ما كان من
طبيعته لكن الاغتيال كان من الشيطان فلذلك احتاج الى اناس آخرين
يقدمونه الى حضرته لانه ما قدر أن يتوسل اليه بذاته لانه كان عادما صوته
وما أمكنه التضرع الى أناس آخرين اذ قد ربط الشيطان لسانه وقيد نفسه مع
لسانه ولهذا السبب ما طالبه بامانة لكنه فى الحين تلافى سقمه لكنه قال انه

عند

عندما أخرج الجنى تكلم الاصم الا ان الجموع تعجبوا من ذلك قائلين ما ظهر فى
وقت من الزمان فى آل اسرائيل مثل هذا الحادث وقولهم هذا غم الفريسين
أشد الغم لانهم فضلوه أفضل من جميعهم ليس من الموجودين فقط لكنهم فضلوه
أفضل من كل الناس الكائنين فى كل وقت من أوقاتهم وفضلوه ليس لانه شفى
لكن لانه شفى بسهولة وسرعة وقد كان مريضا بمرض يتعذر شفاؤه ولعمرى
ان الجمع قال هذا القول الا ان الفريسيين قالوا ضده لانهم ما استعجبوه بل
استهجنوا ما اجترحه ومع ذلك ما خجلوا من أن يقولوا أقوالا اضدادا لانفسهم
لان الخبث هذه الخاصة خاصته لانهم قالوا انما يخرج الشياطين
برئيس الشياطين وهذا القول لا يوجد شئ أخس منه فهما وقد قال هو فى
ابطال هذا القول قولا هو أبين ما يكون فقال انه لا يمكن أن يخرج شيطان
شيطانا لان من عادة أحدهما أن يجمع لذاته ليس يحله ذلك
الاخر ولا ينقضه وهو غزاة تداره ما أخرج شياطين فقط لكنه مع ذلك قد
نقى برص وأقام أمواتا والجم بحراوحل خطايا ونادى بمملكة وقدم لابيه
ما لم يقدر شيطان فى وقت من الاوقات ان يعمله لان الشياطين يقدمون
الناس الى الاصنام ويحجزونهم عن الله ويقنعونهم أن ينكروا الحياة
المأمولة والشيطان اذا شتم فلا يحسن الى شاتمه وربما اذا لم يشتم يضر
الذين يسترضونه ويخدمونه ويكرمونه وربنا يعمل ضد هذا العمل
لانه بعد هذه الشتائم والمثالب ذكر البشير انه طاف تلك المدن كلها
والضياع يعلم فى مجامعهم وينادى ببشارة ملكوته شافيا كل سقم
وكل استرخا فى الشعب وليس بعجيب منه انه ما عاقبهم فقط اذ قد ازال حسهم
لكنه ولا انتهرهم مجرد انتهار فجمع فى ذلك عزمين هما اظهاره وداعته
وتوبيخه لهم بدعته ولا يشاره مع ذلك باياته التالية أن يخولهم برهانا أكثر
بيانا وان يوردلهم بعد ذلك التوبيخ من اقواله فطاف فى مدنهم وفى

ضياعهم ومجامعهم معلما ايانا ان نكافى الذين يتقولون فينا قولا قبيحا بهذه المكافاة ليس بمثالب أخرى لكن باحسانات أعظم نفعا لانك ان كنت تحسن الى مواخيك فى العبودية ليس لاجل الناس لكن لاجل الله فلا تتعدن فأى الاعمال التى عملوها من الاحسان اليهم حتى يكون ثوابك أعظم قدرا كما انك اذا ابتعدت من احسانك اليهم بعد ثلبهم اياك بالكلام الكريه فقد اوضحت انك بسبب مدايح أولئك تتخذ هذه الفضيلة ليس لاجل الله فلهذا الغرض علمنا المسيح انه من صلاحه وحده عمل هذا العمل وليس العجيب منه انه ما انتظر فقط أن تجى المرضى اليه لكن أعجب من ذلك انه ابترع اليهم حاملا لهم صنفين من الخير أحدهما هو تبشيره اياهم بملكه والاخر هو تلافيه كافة اسقامهم واشفائها وما أعرض عن مدينة ولا تجاوز ضيعة لكنه جال كل موضع هنالك وما وقف عند هذا الغرض لكنه بين عناية أخرى لان البشير قال واذا بصر الجموع تحنن عليهم لانهم كانوا متعوبين مطروحين كغنم لا راعى لهم حينئذ قال لتلاميذه الحصاد عظيم والفعلة قليلون فاطلبوا الى رب الحصاد كى يخرج فعله لحصاده أرأيت عزمه الخالى من العجب ايضا لانه حتى لا يجتذب كل سامعى انذاره الى ذاته أرسل تلاميذه وما ارسلهم لهذا الغرض فقط لكنه ارسلهم ليعلمهم كما ارادوا فى بلاد فلسطين كانهم فى معركة المسكونة لهذا السبب وضع لهم رياضات الجهادات أعظم فعلا على نحو ما أورد لهم فضيلتهم كى يمارسوا الجهادات فيما بعد ويكون تعبها أسهل عليهم وكانت حالتهم عنده كحال فراخ ساذجة اقتادهم الى الطيران وجعلهم فى ذلك الحين اطباء للاجسام وخزن لهم أخيرا اصلاح النفس المتقدم على طب الجسم وتأمل كيف اوضح هذا العمل سهلا ضروريا لانه قال ان الحصاد عظيم والفعلة قليلون كانه قال لست ارسلكم الى الزرع لكننى ارسلكم الى الحصاد وهذا القول قد

قاله

قاله فى بشارة يوحنا ان أنا ساغبركم تعبوا ودخلتم انتم على تعبهم فهذه
الاقوال قالها قابضا تبذخهم جاعلا اياهم ان يطمئنوا موضحا ان التعب
الاعظم قد سلف وتقدم وانظر انه قد ابتدى ههنا من تعطفه ليس من مكافاة
جزوية لانه تحنن عليهم لانهم كانوا متعوبين مطروحين كغنم لا راعى لها
وشاية رؤساء اليهود القبيحة لانهم كانوا رعاة فاظهر وأفعال الذئاب لان
ليس المنكر منهم انهم ما أصلحوا الجماعة فقط لكنهم أفسدوا مع ذلك نجاحهم
فاولئك استعجبوه وقالوا ما ظهر فى وقت من الاوقات فى آل اسرائيل مثل
هذا الحادث وهؤلاء قالوا ضد ذلك انه انما يخرج الشياطين برئيس
الشياطين واسائل ان يسأل ومن هم الفعلة ههنا فنجيبه هم الاثنى عشر تلميذا
وأقول فاظنك هل زادهم بقوله والفعلة قليلون لا البتة ما زادهم لكنه
اياهم ارسل ولعلك تقول فلاجل اى غرض قال اطلبوا الى رب الحصاد
ليخرج فعله لحصاده وما زاد فيهم واحدا فأقول لك لانهم كانوا اثنى عشر
فجعلهم فيما بعد كثيرين ليس بزيادة فى عددهم لكن بتخويله اياهم قوته
ثم أراهم موهبته وقال تضرعوا الى رب الحصاد فاظهر ذاته بمعنى مستور انه
حاويا ربوبية الحصاد لانه عندما قال تضرعوا الى رب الحصاد ما تضرعوا
الى أحد ولا ابتهلوا وقد انتدبهم وفى الحين اذ ذكرهم بالفاظ يوحنا
بالبيدر والمذرى والتبن والحنطة فمن هذه الجهة استبان واضحا انه هو
الفلاح وهو رب الحصاد وهو سيد الانبياء لانه ان كان أرسلهم يحصدون
فمن البين ليس الغلات الغريبة لكنه أرسلهم يحصدون التى زرعها بأنبيائه
وما جسرهم بهذا القول فقط بتسميته خدمتهم حصادا لكن بانه جعلهم
أقوياء فى خدمتهم لان البشير قال انه دعا الاثنى عشر تلاميذه واعطاهم
سلطانا على الارواح النجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض واسترخاء
على ان ما كان بعد روحا ولا لان الرسول يوحنا قال ما كان بعد حضر روح

لان يسوع ما كان بعد قد مجد ولعلك تسأل كيف اخرجوا الارواح فأجيبك أخرجوها من ايعازه ومن سلطانه وتامل فى مناسبة وقت ارسالهم لانه ما ارسلهم منذ مبادى انذاره بل لم يرسلهم الى ان تمتعوا تمتعا كافيا بلحوقه ورأوه أقام الميت وسكن البحر وطرد الشياطين وشدد المخلع وغفر خطايا وطهر الابرص وحصلوا الاقتداره برهانا كافيا باقواله وبافعاله حينئذ أرسلهم وما أنفذهم الى أفعال خطرة لان ما كان فى بلاد فلسطين تورطا فى خطر بل وجب أن يثبتوا مقابل الثلب الكريه مع أنه قد تقدم فذكره هذا العارض لهم فى شدائد الاخطار وسبق فوسمهم قبل الوقت وبمواصلة ثبوتهم فى هذه الحوادث جعلهم مجتهدين ثم اذ كان قد ذكر لنا زوجين من الرسل هما ازدواج بطرس وازدواج يوحنا وأظهر لنا بعدهم دعوة متى وما ذكر لنا وصف دعوته للرسل الاخرين وألقابهم ذكرها هنا بلازم الضرورة عددهم وجعل أسماءهم واضحة عندنا قائلا هذا القول والرسل الاثنى عشر فاسماؤهم هى هذه أولهم سمعان الملقب ببطرس لانه كان فيهم سمعان آخر وهو القنانى وأيضا يهوذا الاسخريوطى ويهوذا أخى يعقوب ويعقوب ابن الفارس ويعقوب ابن زبدى ولعمرى أن مرقس البشير رسمهم على حذو رتبتهم وبعدها متى الرسل ثم اندراوس وهذا البشير فلم يرسمهم على هذه الجهة لكن على جهة مختلفة ويقدم توما المتأخر بعده كثيرا فسبيلنا أن نبصر نخسابهم من أعلى ترتيبهم أولهم سمعان الملقب ببطرس واندراوس أخوه وهذا فليس مديحا يسيرا لانه سمى أحدهما من فضيلته ودعا الاخر من شرف حسبه الذى فى طريقته ويعقوب ابن زبدى ويوحنا أخاه أرأيته كيف لبث يرتبهم على حذو رتبتهم لانه على حسب ظنى أن يوحنا ليس هو أعظم محلا من التلاميذ الاخر فقط لكنه أكبر من أخيه يعقوب أيضا ثم قال فيلبس وبرتلوماوس وتوما ومتى العشار الاان لوقا

الرسول

الرسول مارتبهم على هذا الترتيب لكنه رتبهم بعكس هذا وقدم هذا على توما ثم يعقوب ابن الفارس لانه كان فيهم على ما ذكرت سابقا يعقوب آخر وهو ابن زبدى ثم ذكر لباوس المدعو تداوس وسمعان الغيور الذى يدعى القنانى وجاء الى الذى سلمه ولم يصفه كوصف عدو ومحارب لكنه وصفه بهذه الصفة كوصف كاتب خبر وما قال يهوذا الدنس النجس فى كافة أوهامه لكنه دعاه من مدينته قائلا يهوذا الاسخريوطى وسبب هذا لانه كان فيهم يهوذا غيره وهو لباوس المدعو اندراوس الذى ذكر لوقا البشير انه أخو يعقوب عند قوله يهوذا أخو يعقوب ففصله اذا من هذا وقال يهوذا الاسخريوطى الذى أسلمه ولا يخجل من قوله الذى أسلمه لانهم على هذه الجهة ما كتموا فى وقت من الاوقات شيئا ولا من الاوصاف المظنونة انها تغيير فاولهم كلهم الخالى من معرفة الكتب والامى لكن سبيلنا أن نعرف الى أين والى من أرسلهم هؤلاء الاثنى عشر أرسلهم يسوع ولعلك تستخبر من هم هؤلاء فاجيبك هم الصيادون الاميون العشارون لان أربعة منهم كانوا صيادين واثنان منهم كانا عشارين وهما متى ويعقوب ابن الفارس والواحد منهم كان مسلمه وان استخبرت وماذا قال لهم أجبتك انه أوصاهم فى الحين قائلا لا تذهبوا فى طريق الامم ولا تدخلوا مدينة السامرة انطلقوا بأوفر الاسراع الى الغنم الضالة من بيت اسرائيل كانه قال لا تتوهموا اذ قد شتمونى ودعونى مجنونا انى أمقتهم وارتجع عنهم لانى قد اجتهدت أن أتلافاهم أولا وأصلحهم وأحجزكم عن الناس الاخرين كلهم وأرسلكم معلمين واطباء لهم ولست أمنعكم أن تبشروا الناس الاخرين قبل هؤلاء فقط لكننى أمركم مع ذلك الا تسلكوا ولا الطريق المؤدية الى هنالك ولا أمركم أن تدخلوا الى مدينة السامريين وذلك أن السامريين يضادون اليهود ويخالفونهم لان اعتقادات أولئك السامريين كانت أسهل انعطافا لانهم كانوا أكثر

استعدادا للايمان وأوفر عزما وهؤلاء اليهود كانوا أصعب انعطافا الا أنه مع ذلك أرسلهم الى الذين هم اصعب انعطافا من غيرهم مظهرا اهتمامه بهم مطبقا أفواه اليهود ممزقا تعاليم رسله حتى لا يقرفوهم أيضا ويعيبوهم بأنهم دخلوا الى عند أناس غلف ويظنون أنهم قد وجدوا الهربهم منهم وارتجاعهم عنهم علة واجبة وسماهم غنما ضالة ومادعاهم شاردين محتالا لهم بالمسامحة من سائر الجهات مستجذبا عزمهم وقال لهم اذا انطلقتم فنادوا قائلين أن ملكوت السموات قد اقتربت أعرفت جسامة خدمتهم أعرفت رتبة رسله وما أمروا أن يقولوا شيئا محسوسا ولا أن ينادوا بنظير الاقوال المنسوبة الى موسى والى الانبياء سالفا لكنهم أمروا أن يقولوا أقوالا جديدة غريبة عجيبة لان أولئك الانبياء ما نادوا بمثل هذه الاقوال لكنهم وصفوا الارض والخيرات التى فى الارض وهؤلاء الرسل انذروا بملكوت السموات وبالنعم التى هنالك كلها وليس هؤلاء الرسل معظمين من هذه الجهة فقط لكن من جهة طاعتهم أيضا هم أعظم قدرا لانهم لم يتأخروا ولم يتكاسلوا مثل أناس كثيرين لكنهم على أنهم قد تكبدوا شدائد وأخطارا وحروبا وبلايا يتعذر وصفها واحتمالها اقتبلوا ما أمروا به بخضوع جزيل ولعلك تقول وما الذى فعلوه عجيبا وحالهم حال منذرين بملكوت السموات وانما أطاعوا بايسر مرام اذ ما نذروا بافتراض صعب محزن أفلم تسمع بحبوسهم باقتيادهم الى المحافل بالحروب التى ثارت عليهم من أصحاب قبيلتهم بمقت كل الذين دفعوا قولهم والمصاعب كلها التى قال انهم بعد مدة يسيرة يقاسونها لانه أرسلهم منذرين مسببين لاناس آخرين خيرات جزيلة وذكر أنهم سيقاسون شدائد معضلة وقدم وصف ذلك لهم ثم جعلهم موهلين لتصديقهم وقال اشفوا المرضى نقوا البرص أقيموا الموتى أخرجوا الشياطين قد أخذتم مجانا فاعطوا مجانا انظر كيف يهتم باخلاقهم وسجاياهم ليس بدون اهتمامه بالجرايح والايات موريا انه بدون اصلاح

أخلاقهم ليست الايات شيئا وذلك أنه قمع تبذخهم بقوله مجانا أخذتم فاعطوه مجانا فجعلهم أن يتنظفوا من حب الاموال ثم لكيلا يظنوا أن أحكام ذلك هو لهم فيترفعوا من تلقاء الايات الكائنة بهم قال مجانا أخذتم ولستم تهبون الذين يقتبلونكم شيأ لان هذه الايات ما أخذتموها باجرة ولا تعبتم فيها لان النعمة هى لى فكذلك أعطوها لاولئك لانكم لا سبيل لكم أن تاخذوا قيمة تساويها ثم اقتلع فى الحين قرمة الشرور وقال لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا فى مناطقكم ولا مخلاة لطريقكم ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصى فما قال لا تاخذوا معكم لكنه قال ولو انساغ لكم أن تاخذوا ذلك من جهة أخرى فاهربوا من هذا السقم الخبيث لانه بهذا الافتراض أحكم محامد كثيرة احداها أنه جعل تلاميذه ابرياء من أن يكونوا متهمين وثانيها أنه خلصهم من كل اهتمام حتى يصرفوا شغلهم كله الى كلام انذارهم وثالثها أنه عرفهم قدرته وهذا القول قد قاله لهم فيما بعد العلكم أعوزتم شيئا حين أرسلتكم عراة حفاة وما قال لهم فى الحين لا تقتنوا لكن حين قال لهم نقوا البرص أخرجوا الشياطين حينئذ قال لهم لا تقتنوا شيأ انكم أخذتم مجانا فاعطوا مجانا ووهب لهم الفعل الموافق أعمالهم اللائق بهم الممكن لهم ولكن لعل قائلا يقول ان الاوامر هذه تحوى احتجاجا كلها الاخرى فا يعازه الا يتملكوا مخلات لطريقهم ولا ثوبين ولا عصا ولا أحذية فلاجل أى غرض أوعز بذلك فنقول له لانه يريدهم ان ينسكوا فى أبلغ استقصاء النسك وقد أمرهم قبل هذا الا يهتموا باليوم التالى وقد عزم ان يرسلهم معلمين للمسكونة فلهذا السبب جعلهم على ما يقال من أناس ملائكة وأطلقهم من كل اهتمام عالمى حتى يتمسكوا باهتمام واحد وهو باهتمام تعليمهم وأولى ما يقال انه أطلقهم اذا من ذلك الاهتمام أيضا بقوله لا تهتموا بما تتكلمون حتى ان الاهتمام الذى يظن انه ثقيل صعب جعله يستبين عندهم سهلا فى الغاية القصوى

متيسرا الا انه لا يوجد فعله يجعلنا ان نسر أتم السرور ومثل تخلصنا من الاهتمام
والتخيل ولاسيما اذا امكنهم ان يكونوا متخلصين من الاهتمام ولا ينقصهم شيئا مما
يحتاجونه عند حضور الههم معهم لانه هو الكل فى الكل حتى لا يقولوا فمن
أين نستمد قوتنا الضرورى لانه قال لهم قد سمعتم اننى قد قلت لكم فيما سلف
تفرسوا فى طيور السماء لانهم لم يكونوا بعد اقوياء ان يظهروا ايعازه هذا
بافعالهم لكنه أورد لهم ما هو أدنى من ذلك الايعاز كثيرا فقال ان الفاعل
مستحق طعامه موضحا انهم يجب عليهم ان يغتذوا من عند تلاميذهم حتى
لا يترفعوا ويفتخروا على المتلمذين لهم كانهم قد أعرضوا عن الاشياء كلها وما
أخذوا منها شيئا ولا يحزنون اذا اعرض هؤلاء المعلمون عنهم ثم حتى
لا يقولوا أفتأمرنا ان نعيش عيشة المتسولين ويخجلوا من هذا يبين لهم
عملهم انه دين واجب بتسميتهم اياهم عمالا وسمى ما يدفع اليهم أجرة كانه قال
لا تظنوا اذا عملكم فى أقوال المناداة ان الاحسان الكائن منكم يوجد قليلا
يسيرا وذلك ان عملكم يحوى اتعابا كثيرة وما يعطيكموه المتعلمون منكم ليسوا
يهبونه لكم هبة لكنهم يقضونه لكم كمكافأة لان الفاعل مستحق لطعامه وهذا
القول قاله ليس مظهرا ان اتعاب رسله موهلة لطعام هذا مقداره أبعد هذا
الظن لا كان قاله مشترع لوارثي الرسل ان لا يطلبوا شيئا أكثر من هذا محققا
عند الذين يخولونهم طعامهم انما يقدمونه لهم ليس هو هدية لكنه دين
واجب لهم والى أية مدينة دخلتم أو ضيعة فافحصوا عمن يوجد فيها يرحب بكم
فأقيموا هنالك الى ان تخرجوا كانه قال لما قلت لكم ان الفاعل مستحق
لطعامه ما فتحت لكم بقولى هذا أبواب كل من فى تلك المدينة لكننى ههنا
أمركم ان تجعلوا استقصاءكم وتصفحكم كثيرا لان هذا التصفح يوجب لكم
تشريفكم واغتذاءكم بعينه لان الفاعل ان كان مستحقا فسيعطى بلازم
الضرورة طعامه ولاسيما اذا كنتم ما قد طلبتم شيئا أكثر من أطعمة ضرورية ولم

يأمرهم ان يطلبوا أناسا مرحبين لهم فقط لكنه يوعز اليهم مع ذلك الا يستبدلوا
بيتا ببيت حتى لا يغموا من يقبلهم ولا يستمدوا هم ظنا من شره البطن وسهولة
تنقلهم لانه قد بين هذا الغرض بقوله أقيموا هنالك الى ان تخرجوا وهذا المعنى
يجب لنا ان ننتظره من المبشرين الآخرين أعرفت كيف جعلهم بهذا الامر
مشرفين وجعل قابليهم مجتهدين اذ بين لهم انهم هم الرابحون أكثر بما يوصلهم
الى الشريف والى معرفة منفعتهم ثم بين هذا المعنى أيضا بعينه وقال عند
دخولكم الى المنزل سلموا عليه فان كان المنزل موهلا لسلامكم فليوافين سلامكم
اليه واذا كان ليس أهلا له فيرجعن سلامكم اليكم أرأيت الى أى حد
انتهى اذ ليس يعفيهم من اصلاح أخلاقهم وذلك على جهة الواجب جدا لانه
جعلهم مجاهدين لدينه الصحيح ومنذرين للمسكونة وبهذا الايعاز جعلهم ان
يتذللوا وصيرهم معشوقين وقال من ليس يقتبلكم ولا يسمع أقوالكم
فعند خروجكم من ذلك المنزل أو من تلك المدينة انفضوا الغبار عن أقدامكم
حقا أقول لكم ان ارض سدوم وغامورة ستكون فى يوم القضاء أكثر راحة من
تلك المدينة كانه قال ليس اذ قد علمتموهم لاجل هذا انتظرتم من غيركم ان
يسلموا عليكم بل لاجل هذا التسليم عليهم أملتم ان تفضلوهم فى تكريمهم
ثم بين ان تسليمهم هذا ليس هو سلاما ساذجا لكنه تبريكا لانه قال ان كان
المنزل موهلا لسلامكم ليوافين اليه فان شتمكم فعقوبته الاولى هى الا يتمتع
بالسلامة وعقوبته الثانية انه يقاسى أكثر من عقوبة أهل سدوم فان
قلتم عقوبة أولئك ماذا علينا منها أجبتكم اذ قدملكتم منازلكم موهلة
للتبريك ليس عليكم منها شئ وان استخبرت فما الغرض فى قوله فانفضوا غبار
أرجلكم أجيبك أنه حتى يبين ان رسله ما أخذوا منهم شيئا وحتى يصير سفرهم
الطويل الذى سافروه لاجلهم شهادة عليهم وتأمل كيف لم يخولهم بعد
موهبته كلها لانه لم يهب لهم فى ذلك الوقت سابق معرفة حتى يعرفوا من هو

المؤهل لهم ومن هو الذى ليست هذه الحالة حالتـه لـكنه أوعز اليهـم ان يبحثوا ويلازموا الامتحان والقائل ان يقول فـكيف أقام هو عنـد عشار فأقول له لانه صار من انتقاله عن طريقته اهلاله وتأمل أنت كيف لما عراهم من الاشـياء كلها أعطاهم كافة احتياجهم اذ أوعز اليهم ان يقيموا فى منازل المتلمذين لهـم ولم يتملكوا شيئا عنـد دخولهم اليهم لانه على هـذه الجهة أراحهـم من الاهتمام وحقق عند أولئك المتلمذين لهم انهم انما جاؤا اليهم لاجل تخليصهم وحده وبينوا ذلك بانهم لم يحملوا معهـم شيئا وبانهـم لم يطالبوهـم بشئ أكثر من أطعمتهـم الضرورية وبانهم لا يدخلون الى عند كل الذين هنالك على بسيط ذات دخولهم لانه ما أرادهم ان يستبينوا ابهى من اجتراحهم الآيات فقط لـكنه أراد انهـم يظهرون بهيين قبل أياتهـم فى فضيلتهم لانه لا يوجد فعـل بصورة الفلسفة مثل اجتنابنا ما هو فضـلة وامتناعنا بحسب امكاننا من الاحتياج الى الناس وهـذا الفعل فقد عرفه الرسل الكذبة ولاجله قال بولس الرسول لـكى بمـا يفاخرون به من زهـدهم يوجدون مثلنا نحن فان وجـدوا فى غربة وذهبوا الى عند من يجهلهـم ما يجب ان يطلبوا شيئا أكثر من طعام يومهـم فاليق بهم اذا كانوا فى منازلهم مقيمين وأوجب الا يطلبوا أكثر من طعام يومهم

العظـــــــــــــــة

فهـذه الاقوال ما ينبغى ان نسمعها فقط لـكن سبيلنا ان نماثلها فانها ما قيلت بسبب الرسل وحدهم لـكنها قيلت مع ذلك بسبب القـديسين الذين بعـدهم فسبيلنا ان نـكون موهلين لاقتبالهم لان هـذه السلامة من عادتها ان تجئ من عزم الذين يقبلونهـم ومنه تطير أيضا وهـذه السلامة أيضا تـكون من دالة المعلمين فقط لـكنها مع ذلك تـكون من رتبة الذين يقتبلونهم فلا نتوهم من اننا نخسر خسارة يسيرة اذا لم نتمتع بهـذه السلامة لان النبى قد تقدم فأذاع هذه

السلامة

السلامة بقوله ان أقدام المبشرين بالسلامة لبهية ثم ترجم رتبتها واستثنى بقوله المبشرين بالخيرات وهذه السلامة فقد أظهرها المسيح عظيمة بقوله سلامى أخلفها لكم سلامى أدفعها اليكم فينبغى لنا ان نعمل كلما يمكننا حتى نتمتع بها فى منزلنا وفى الكنيسة لان الامام فى الكنيسة يعطى السلامة وهذا الفعل رسم لذلك وينبغى ان نقتبله بعزم قبل المائدة بكل نشاط ولئن كان مستثقلا عندنا لا نتناول من المائدة فدفعنا الناطق بالسلامة أليق به أن يكون أثقل فعلا لاجلك يقف القسيس ومن أجلك قد وقف المعلم متعوبا شقيا فما الاحتياج الذى تمتلكه اذ لم تخوله استماعا واقتبالا لان الكنيسة هى منزل مشاع لجماعتنا واذا سبقتم أنتم اليها ندخل نحن حافظين رسم اولئك الرسل ولهذا السبب عندما ندخل نحن فى الحين نقرل السلامة للكل مشاعة على حذو سنة الرسل فلا يكونن أحدكم متوانيا ولا يكونن أحدكم عند دخول الكهنة وتعليمهم غير متلفت لان التعذيب على هذا الفعل ليس يسير لانى أنا قد كنت أريد أكثر من كل مأثور اذا دخلت الى بيت أحدكم أن يخرجنى الى خارجه فذلك أفضل عندى من أن تسمعوا كلامى اذا تكلمت ههنا فهذا الفعل أثقل عندى من ذلك كثيرا لان هذا المنزل أفضل تأمرا وسوددا لان أملاككم الجسمية ههنا هى مخزونة وههنا هى آمالنا كلها الان ما الذى ههنا ليس هو عظيما رهيبا وبيان ذلك أن هذه المائدة أكرم قدرا وألذ نعيما وهذه المنارة أكبر من المنارة الذهب وقد عرف ذلك جميع الذين أدهنوا بزيتها بامانة فى وقت يناسب ذلك فخلوا أسقامهم وهذا الصندوق أفضل من ذلك الصندوق كثيرا وأجل قدرا لانه ليس يحتوى على ثياب لكنه يحوز صدقة مخزونة فيه وان كان الذين يقتنونها هم قليلو العدد وههنا أيضا سرير أفضل من ذلك السرير وذلك أن راحة الكتب الالهية هى الذمن كل سرير فلو كان هذا المنزل مأثورا عندنا لم نكن نمتلك منزلا غيره والدليل على أن ما قلته ليس هو ثقيلا ولا مستصعبا فيشهد بصحته الثلاثة آلاف والخمسة آلاف

الذين آمنوا أولا وامتلكوا منزلا واحدا ومائدة واحدة ونفسا واحدة لان الكتاب قال وكان للذين آمنوا نفس وقلب واحد فاذا افترقنا وافتقرنا من فضيلة أولئك كثيرا وانطوينا الى بيوتنا فلو صار اذا التممنا ههنا التمتم بنشاط ولئن كنا فى الفضائل الاخرى مساكين فقراء فلو صار أن تقبلونا اذا دخلنا الى عندكم فى هذا الموضع بحب وسرور واذا قلت السلامة لكم وقلتم أنتم ومع روحك فقولوا هذا القول ليس بصوتكم فقط لكن قولوه أيضا بعزمكم ولا تقولوه بفمكم لكن بتمييز فهمكم فان كنت تقول ههنا السلامة مع روحك وتحاربنى خارج هذا الموضع رافضا نائلا اياى غاسلا اياى تعييرات كثيرة سرا فاية سلامة هذه لانى أنا وان كنت تعرفنى دفعات كثيرة أعطيك السلامة بقلب نقى وبعزم خالص ولست أقدر ان أقول فيك قولا خبيثا فى وقت من أوقاتى لانى مالك جوانح احشاء أبوية وان أنتهرتك فى وقت من الاوقات فانما أعمل ذلك مهتما بك وانت تسعى بى سرا وما تقتبلنى فى منزل سيدى فاخشى الا يمنى أكتئابى أيضا ليس لانك تشتمنى ولا لانك أخرجتنى لكن لانك دفعت سلامتى وأقصيتها واستجذبت تلك العقوبة الصعب مراسها الا انى أنا ان كنت لا أنفض الغبار وان كنت لا ارتجع عنك فافعال الوعيد باقية يجتز تزعزعها عنك لانى أنا أقول لكم دفعات كثيرة السلامة لكم ولست أكف عن قولى هذا دائما وان كنتم مع شتائمكم لا تقبلون السلامة فلست أنفض الغبار وذلك ليس لانى أعصى أمر سيدى لكن لانى أتحرق فى حبكم كثيرا ولمعنى آخر لانى ما قاسيت من أجلكم تعبا ولا جئت اليكم من سفر بعيد ولا جئت بشكل الرسل فى تجريدهم من القنية لهذا السبب يذم ذواتنا أولا ولا جئنا كم مجردين من أحذيه ولا من ثوب ثان ولعلكم ولهذا السبب انقصتمونا لطائف تكريمكم ولكن هذا الذى ذكرناه ليس كافيا لكم للاعتذار لانه ليس يجعل عقوبتنا عظيمة ولا يفيدكم أنتم عفوا فى ذلك الحين كانت المنازل

كنائس والان فالكنيسة قد صارت منزلا وفى ذلك الوقت ما كانوا يتكلمون
فى المنزل كلاما عالميا والان لا تتكلمون فى الكنيسة كلاما روحيا لكنكم
توجون الى ههنا أقاويل الاسواق واذا خاطبكم الله جل ذكره تهملون استماع
ما نقوله بسكوت وتحتذون أفعالا ضدية تتفقهون فيها اولياتكم كنتم تقولون
أقوالا تناسبكم فالان انما تقولون وتسمعون أقوالا لا توافقكم فلاجل هذه
الافعال أنوح ولست أكف عن نوحى وكنت أود الخروج من هذا
البيت لكننا يلزمنا اضطرارا أن نقيم ههنا الى أن نخرج من عمرنا الحاضر فسعينا
اذا على حسب ما أمركم بولس الرسول لانه ما كان قوله الذى قاله لك من أجل
مائدة فقال سعينا فيها لكنه انما قال سعينا فى عزمكم وفى تمييزكم وهذا
المعنى نطلبه نحن منكم فنبتغى منكم حبكم وودكم ذلك الحار الخالص فان
كنتم لا تحتملون هذا الفعل فلو كنتم تحبوننا بان تباينوا توانيكم الحاضر
فهذا يكفينا سلوانا اذا رأينا كم متهذبين وقد صرتم أفضل مما كنتم فعلى
هذه الجهة أظهر أنا ودى أكثر مما هو وأعظم فان كنت أحبكم أكثر وأحب
أنقص لان الاشياء التى تجمعنا هى كثيرة فقد نصبت لجماعتنا مائدة واحدة وأب
واحد ولدنا وقد حللنا كلنا المخاض واحدة باعيانها وقد خولنا كلنا مشروبا
واحدا بعينه فقط فاولى ما يقال اننا ما خولنا مشروبا واحدا بعينه فقط لكننا
أعطينا مع ذلك أن نشرب من كاس واحدة وذلك أن أبانا لما أراد أن يقتادنا
الى أخلص الود احتال بهذا وهو أن نشرب من كاس واحدة وذلك من محبة
زائدة الا أننا لسنا معادلين رسله وأنا معترف بهذا ولست أجحده فى وقت
من الاوقات لاننا لسنا معادلين أولئك بل ولا ظلهم ولكن مع هذا فلتصر
الافعال منكم هكذا بهذا المعنى ليس يقدر أن يخجلكم لكنه ينفعكم أعظم
منفعة لانكم اذا ظهرتم للذين قد عدموا أن يكونوا موهلين لاكرام حبكم
وطاعتكم كثيرا حينئذ تستمدون مكافاة أعظم اجلالا لاننا لسنا نقول لكم

أقوالنا هذه اذ ليس يوجد لكم معلم فى الارض لكن الاقوال التى تسلمناها نعطيكم اياها واذا أخذتموها فانا اطلب منكم شيئا أكثر الا أن تحبوننا فقط فان كنا السنا أهلا لهذا الحب لكن من حبنا ايا كم ستكونون موهلين لذلك سريعا على اننا قد أمرنا الا نحب الذين يحبوننا فقط لكن نحب معهم أعدائنا أيضا فمن يكون بهذه الصورة جافيا ومن يكون بهذه الصفة وحشيا وقد اقتبل شريعة هذا افتراضها فيرتجع عن الذين يحبونه و يمقتهم ويكون مملوا من رذائل كثيرة فاذ قد اشتركنا فى مائدة روحية سبيلنا أن نشترك فى محبة روحية وان كان اللصوص اذا شاركوا بملح يانسون مع الذين أكلوا معهم فما الاحتجاج الذى نحتمله نحن اذا اشتركنا فى جسد سيدنا دائما وما نماثل استئناس اولئك اللصوص ودعتهم على ان كثيرين قد أجزاهم لنجابتهم ليس المائدة وحدها لكن قد كفاهم اتصادقهم كونهم من مدينة واحدة بعينها فاذا كنا نحن تلك مدينة واحدة بعينها و بيتنا هو بعينه ومائدتنا وطريقتنا وأصلنا وحياتنا ورأسنا وراعينا واحد بعينه ومعلمنا وملكنا وخالقنا وأبونا والاشياء كلها هى مشاعة فيما بيننا فلاى شئ نكون موهلين اذا انفصل بعضنا عن بعض ولعلكم تطلبون الايات التى كان أولئك الرسل يجترحونها عند دخولهم الى منازل المتلمذين لهم وهم البرص الذين نقوهم والشياطين الذين طردوهم والموتى الذين أقاموهم الان هذا ايضاح عظيم لشرف حسبكم وحبكم وهو الا تؤمنوا بالله بآيات لان الله لهذا الغرض وغيره كف الايات لان ان كان مايصير آيات وقد تبذخ المالكون ملكات أخر يدعى غيرها كقولك يفتخرون بمعرفة وبحكمة وأما باظهار تورع ودعة و يترفعون و ينفصل بعضهم عن بعض فلو كانوا اجترحوا آيات فى أى مكان لم يكن قد حدثت فيه اشقاقات والدليل على أن ماذكرته ليس هو حدثا فيشهد به أهل مدينة قرنيثه و يوضحونه لما انفصلوا من هذه الجهة الى احزاب كثيرة فلا تطلبن آيات لكن

أطلب

أطلب عافية النفس لاتطلب أن تبصر ميتا واحدا مقاما لانك قد علمت أن المسكونة بجملتها ستقام لاتطلب أن ترى أعمى ومبصرا لكن أبصر المؤمنين كلهم باصرين الان باعادة بصر أفضل من البصر المحسوس وأنفع وتعلم أنت أن تبصر بصرا عفيفا وأصلح عينيك وقومها لاننا لو عشنا كلنا على ما يجب لاستعجبنا غلمان الوثنيين أكثر من استعجابهم مجترحي الآيات وبيان ذلك أن الآيات تحوى فى أكثر الاوقات ظنها خيالا وتهمة أخرى خبيثة وان كانت أفعالنا ليس هذا الحال حالها فالعيشة النقية ماتقدر أن تقتبل حيلة هذا تأثيرها لكن امتلاك الفضيلة من طباعها أن تطبق أفواه المعيبين كلهم فينبغى لنا أن نهتم بالفضيلة لان ثروتها جزيلة واستعجابها عظيم وهذه الفضيلة تمنحنا الحرية الصادقة بالحقيقة وتجعلنا فى العبودية بعينها أن ينظر الناس الينا فما تستخلصنا من العبودية فقط لكنها تظهرنا فى ثبوتنا عبيد أشرف من الاحرار قدرا وهذا أفضل من تخويلها أيانا الحرية كثيرا وليس من عادتها أن تجعل الفقير موسرا لكنها تظهره مع بقائه فقيرا أوسع من الغنى يسرا وان شئت ان تعمل آيات فتخلص من ذنوبك وقد وصلت الى كلما تطلبه لان الخطيئة أيها الحبيب شيطان عظيم فان تخلصت منها قد عملت اعظم من الذين يطردون شياطين كثيرين واسمع الرسول بولس قائلا فى تقديمه الفضيلة على العجائب اذ قال ماثلوا المواهب الفاضلة افضل من غيرها وانا اريكم ايضا طريقة فى غاية افراط سموها وعند اعتزامه ان يصف هذا الطريق ماذكر انهاض اموات ولا تنقية برص ولا صنفا آخر من هذه الاصناف وامثالها لكنه رتب الحب عوض هذه المواهب كلها استمع المسيح القائل لاتفرحوا بان الشياطين تخضع لكم لكن افرحوا بان اسماءكم قد كتبت فى السموات وقال قبل هذا ايضا كثيرون يقولون لى فى ذلك اليوم السنا باسمك تنبأنا وا ليس باسمك اخرجنا شياطين كثيرين وعملنا قوات كثيرة اعترف لهم

انني ما اعرفكم وعندما أوشك ان يصلب دعى تلاميذه وقال لهم بهذا يعلم كل الناس انكم تلاميذي انتم ليس اذا اخرجتم شياطين لكن اذا امتلكتم حبا فيما بينكم يحب به احدكم الاخر وقال ايضا بهذا يعرف كل الناس انك ارسلتني ليس اذا انهضت الاموات لكن اذا كانوا واحدا لان العجائب ربما نفعت غيرك واضرتك انت مالكها اذ ترفعك الى تكبر وعجب واما تزجك في سجية اخرى وما تتهم في اعمال الفضيلة بتهمة هذا معناها لكنها تنفع الذين يعملونها وكثيرين غيرهم فسبيلنا ان نعمل هذه الاعمال باهتمام كثير لانك اذا انتقلت من القساوة وزوال الانسانية الى الصدقة فقد بسطت يدك بعد ان كانت يابسة وان ابتعدت عن الملاعب وبادرت الى الكنيسة فقد قومت رجلك بعد ان كانتا عرجتا ان ابعدت عينيك عن الزانية وعن حسنها الغريب فقد فتحتهما بعد ان كانتا غير مبصرتين وان تعلمت بدل المغاني الشيطانية مزامير روحانية فقد تكلمت بعد ان كنت اصم هذه العجائب عظيمة بديعة فاذا دمنا عاملين هذه الايات فسنكون معظمين وبها مستعجبين ونستجذب نحن اناسا شرارا الى الفضيلة ونتمتع بالسعادة المأمولة التي سننالها كلنا بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر الذي للاب معه والروح القدس المجد على الدوام والى الابد آمين

المقالة

المقـــــالة الثالثة والثـــلاثون

هاانذا أرسلكم كغنم فيما بين ذئاب فكونوا فطناء كالحيات وودعاء كالحمام

فلما جعلهم أن يتقووا بحصول قوتهم الضرورى وفتح لهم بيوت جميع الذين يقصدونهم وحلاهم بشكل شريف عند دخولهم الى منازلهم ما أمرهم أن يدخلوا الى عندهم دخول تائهين متصدقين لكن دخول الشرفاء الذين يقتبلونهم كثيرا لانه قد أبان هذا المعنى بما ذكره أن الفاعل مستوجب لاجرته وما أمرهم أن يسألوا من هو المؤهل لقبولهم وأن يقيموا عنده وأوعز اليهم أن يسلموا على الذين يقبلونهم وبما توعد به الذين لا يقبلونهم من تلك الافات المعضلة فلما انتزع بهذا الايعاز اهتمامهم ودرعهم سلاحا باظهار الآيات وجعلهم أناسا متجددين لا تسترخى قوتهم اذا استخلصهم من جميع هموم الدنيا وعتقهم منها ذكر لهم بعد ذلك البلايا العتيدة أن توافيهم وليس العارضة من مدة فقط لكنه وصف لهم الفوادح التى ستعرض لهم بعد زمان طويل اذ تقدم فسومهم لمحاربة ابليس المحتال قبل كونها بامد طويل تقديره ولعمرى أنه أحكم لهم فوائد كثيرة أولها ان يعرفوا قوة سابق علمه وثانيها الا يتوهم متوهم ان هذه الشدائد تتقاطر عليهم لاجل ضعف معلمهم وثالثها الا يتحير الذين يحتملون هذه المصاعب عند نفوذهم الى غايتها تحيرا منحرفا عن ارتجائها خاليا من توقعها ورابعها حتى لا يرتجفوا اذا استمعوا هذه الملامات فى

الصليب بعينه لانهم قدنالهم حينئذ هذه المصاعب وقال لانى قلت لكم هذه
الاقوال قد غمر الغم قلبكم ولم يستخبرنى أحدكم الى أين أذهب مع أنه لم يكن
بعد قد تكلم عن ذاته ولا كلمة كقولك انه ماذكر انه سيقبض عليه ويضرب
بالسياط ويقتل حتى لا يرجف بذلك تمييزهم لكنه تقدم فاذاع لهم فى ذلك
الوقت العوارض التى ستعرض لهم ثم حتى يعرفوا أن شريعة هذا الحرب
جديدة ومذهب هذه المصافة عجيب أرسلهم عراة بثوب واحد مجردين من
أحذية ومن عصى ومن منطقة ومخلاة وأمرهم أن يغتذوا من عند الذين
يقبلونهم وما وقف كلامه عند هذا اللفظ لكنه أراهم قدرته التى لا توصف
وقال انطلقوا بهذه الصورة وأظهروا الوسة الغنم ودعتها وهذه الاخلاق
اقتنوها عند اعتزامكم أن تتوجهوا الى الذئاب وماذكر توجههم الى الذئاب على
بسيط ذات الذكر لكنه قال فيما بين الذئاب وما أوعز اليهم أن يملكوا استئناس
الغنم فقط لكنه أمرهم مع ذلك أن يقتنوا وداعة الحمام لكننى على هذا الحال
أظهر مقدرتى اذا قهرت الغنم للذئاب واذا حصلت فى وسط الذئاب وعضتها
عضات جزيلة فلا تفنى فقط لكن أعجب من ذلك أنها تنقل تلك الذئاب
وهذا فعل هو أعجب كثيرا وأعظم من أن تقتلها أن تنقل عزمها وتوقف
تمييزها وهذه الغنم هى اثنا عشر فقط والمسكونة مملوة من ذئابها فسبيلنا
نحن العاملون الاعمال الضدية أن نستخزى اذ نوضع على أعدائنا ايضاع
الذئاب لاننا مادمنا غنما نقهر مظفرين ولو اصطف حولنا ذئاب جزيل عددها
فسنقهرها ونستظهر عليها ومتى صرنا ذئابا سنقهر مغلوبين لان معاونة داعينا
تبتعد عنا لانه تعالى ليس يرعى ذئابا لكنه انما يرعى غنمه ويهلك وينصرف
لانك لا تسمح له أن يظهر مقدرته لانه اذا نالك مكروه وأظهرت استئناسا فانما
انما يحسب الظفر كله له واذا بارزت ولاكمت فانما تحجب ظفره عنك
وتأمل أنت من هم الذين سمعوا هذه الاوامر الصعبة المتعبة تجدهم الاميون

الذين لا يعرفون الكتابة ولا القراءة والخاملون الحظ في سائر الجهات الذين لم
يتربوا في وقت من زمانهم في شرائع الدين خارج محلتنا الذين لم يزجوا ذواتهم
في الاسواق سريعا الصادين العشارين الموعبين نقائص كثيرة ولئن كانت
هذه الاوامر فيها كفاية ان ترجف الناس العالي محلهم العظيم شأنهم
فكيف لم يكن فيها كفاية ان تريع الاغنياء من كل جهة الذين لم يتخيلوا
رأيا مكينا ولا في وقت من زمانهم وتزعجهم الا انها ما قد أذلقتهم وذلك على جهة
الواجب جدا ولعل قائلا يقول لانه أعطاهم سلطانا ان يشفوا البرص و يخرجوا
الشياطين فأقول له أنا ذلك القول ان هذا الاعطاء بعينه فيه كفاية أكثر من
كل شيء لازعاجهم اذ زمعوا ان يقاسوا هذه البلايا المعضلة بعد انهاضهم أمواتا
وان يتوقعوا الشدائد ومجالس القضاء ومكاره اقتيادهم اليها والهروب من
جميع النافرين منهم ومقت أهل المسكونة المشاع لهم بعد اجتراحهم عجائب
باهرة فان قلت وما سلوة هذه الحوادث كلها أجبتك هو اقتدار مرسلهم
فلذلك وضع هذا القول قبل كافة أقواله هذه قائلا هوذا أنا مرسلكم
وهذا فيه كفاية لتسليتهم بحزونكم لان تشقوا فاطمأنوا ولا تخشوا أحدا من
الموجودين أعرفت تأمره أعرفت سلطانه أعرفت مقدرته المغتاص حربها فالذي
يقوله هذا هو معناه قال لا ترتجفوا الا انني أرسلكم فيما بين ذئاب وأمركم ان
تكونوا كالغنم وكالحمام قد كنت قادرا ان أعمل ضد هذا وخلافه ولا أهملكم
ان تقاسوا عارضا مكروها ولا أجعلكم بمنزلة غنم لدى ذئاب بل أصيركم
مريعين أشد مما تروع السباع من يتلقاها الا ان يكون هذا ليس موافقا لكم
فهذا الاحتمال يجعلكم أبهى حسنا وهذا بديع اقتداري وهذا القول قد
قاله بولس الرسول رسوله يجزيكم نعمتي فان قدرتي تتكامل في الضعف
والمرض وتتم فأنا قد جعلتكم ان يكون هذا الحال حالكم لانه اذ قال أنا
أرسلتكم كغنم فانما يعني هذا المعنى غامضا لا تستثقلوا اذا فانني قد علمت علما

يقينا انكم ستكونون يا يعازى هذا عند كل الناس يمتنع عليهم أكثر من كل
شئ أن يقهروكم ثم حتى يقدموا هم من ذواتهم فعلا ولا تظنوا ان افعال توفيقهم
كلها هى لنعمته ولا يتوهم انهم يكالون جزافا وباطلا قال لهم صيروا فطناء
كالحيات ودعاء كالحمام فلو كانوا قالوا فما الذى تقتدر فطنتنا عليه فى شدائد
واخطار هذا مبلغ كثرتها فكيف نقتدر بكافة جهدنا ان نقتنى فطنة وهذه
الامواج الجزيل تقديرها تتسافق حولنا الان مهما تكون النجحة فطنة عند
حصولها فيما بين ذئاب هذا مبلغ كثرتها ما الذى يمكنها الوصول اليه يكون
اكثر معونة لها ومهما تكون الحمامة وديعة ما الذى ينفعها وهذا مبلغ
تقديرها تحوط بها فقال لهم هذا العارض حتى عرض للانواع الفاقدة النطق
ان تفيدها ودعتها نفعا ومتى عرض لكم فالفطنة والدراعة ينفعانكم
أعظم النفع لكن سبيلنا ان نعرف أية فطنة يطالبنا بها ههنا فى ايعازه هذا فقد
ذكر انها فطنة الحية لان كما ان تلك الحية تفرح للعوارض كلها ان تنالها ولو
أحوجت الى ان يقطع جسمها بعينه لما كانت تضبطه عن ذلك وتصونه شديدا
مثلما تجتهد ان تصون رأسها فكذلك قد أمرك أنت فقال أبذل ما خلا أمانتك
أملاكك كلها والو أحوجت ان تبذل أملاكك وجسمك ونفسك بعينها فأبذلها
وصن أمانتك فانها هى راسك وأصلك فاذا حفظتها وصنتها والو أضعت أملاكك كلها
أيضا لامكنك ان تستفيدها كلها أيضا بزيادة ظاهرة واضحة الغرض ما أمر
أحدنا ان يكون بسيطا ركيكا ولا فطنا فقط لكنه مزج الصنفين كليهما حتى
يصير أفضله فيكون اتخاذه فطنة الحية حتى لا يخرج فى مقاتلة وتحصيله وداعة
الحمامة حتى لا ينتقم من ظالميه ولا يعاقب المغتالين عليه اذا كان لا يفيد من
الفطنة نفعا اذا لم تحضر الوداعة فماذا يكون أقوى من هذه الاوامر ولو كان
أحدهم قال يا سيدنا أفما يجزيننا ان يصيبنا مصاب مكروه لقال له الا انى
لست أطلق لك ان تغتاظ لان هذا هو معنى الحمامة فكان ايعازه ايعاز

من

من يلقى قصبة فى نار ويقصد ان لاتحرق من النار بل تطفى هى النار ولكن
لا يزعجنا ذلك فان هذه الاوامر قد وصلت الى غايتها وبلغت الى تمامها واستبانت
من الاعمال باعيانها وصارت الرسل حكماء كالحيات ودعاء كالحمام وما كانوا
من طبيعة أخرى لكنهم كانوا من الطبيعة التى لنا بعينها فلا يظنن ظان ان هذه
الاوامر ممتنعة فانه هو قبل الناس الآخرين كلهم قد عرف طبيعة الافعال
والملكات وقد عرف ان الخسارة لاتطفى بالخسارة لكنها انما تخمد بالوداعة
فان شئت ان تعرف هذا المعنى من أفعالهم فاقرأ كتاب أعمالهم فتبصر كم مرة
قد ترفع اهل مجمع اليهود وارهفوا ألسنتهم عليهم فماثلوا هم الحمامة وأجابوهم
بدعة لائقة بهم فنقضوا غضب أولئك وأخمدوا جنونهم وحلوا نهضتهم لان
أولئك قد قالوا لهم أما قد أوصينا كم الا تتكلموا بهذا الاسم على ان
هؤلاء الرسل كانوا يقدرون ان يجترحوا عجائب كثيرة فما قالوا باسراع
قولا ولا عملوا عملا بل اعتذروا بكافة وداعتهم قائلين ان يكن هذا الفعل عدلا
ان نسمع منكم أكثر من ان نسمع من الله فاحكموا بذلك علينا أعرفت دعة
الحمامة فانظر الى فطنة الحية فاننا نحن ما نقدر ان نتكلم الا بما قد رأيناه
وسمعناه أعرفت كيف نحتاج ان نكون محترسين من سائر الجهات حتى لا تذللنا
النوائب والشدائد ولا يرهقنا الغضب فلهذا المعنى قال أحذروا من الناس
فانهم سيدفعونكم الى جموعهم ويضربونكم بالسياط فى محافلهم وستساقون
الى أمراء وملوك من أجلى للشهادة عليهم وعلى الامم هاهو أيضا يجعلهم ان
يستفيقوا فى كل مكان اذ فوض اليهم ان يصيبهم مصابا مكروها وأطاق لغيرهم
فعل ذلك بهم حتى يعلم فى هذا الوجه ان فى مقاساتهم المكاره أقام لهم الظفر
وسمات القهر لانه ما قال لهم ضاربوا أنتم وعاندوا المريدين ان يعنتوكم
لكنه قال ستقاسون نهاية المكافأة فقط يا للعجب كم اقتدار قائل هذا القول
وكم هى فلسفة سامعيه لان هذا المعنى مذهل لاستعجابه جدا كيف ما ظفروا

فى الحين اذ سمعوا أقواله هذه وقد كانوا أناسا يرتاعون من الشىء الحقير ماقد
تظافروا بعد فوق البحيرة التى كانوا يصطادون حولها كيف ماتفطنوا وقالوا
فى أنفسهم الى أين نهرب فيما بعد من مجالس القضاة علينا ومن الامراء ومن
مخاوف اليهود ومن مجامع الوثنيين ومن الرؤساء والمرؤسين لانه ماتقدم فذكر
لنا فى قوله هذا فلسطين فقط والبلايا الحادثة علينا فيها لكنه قد فتح علينا
حروب المسكونة بقوله ستقتادون الى حضرة ملوك وأمراء موضحا ههنا انه عزم
ان يرسلهم بعد ذلك منذرين للامم كيف ماقالوا اذا أتحارب المسكونة بنا وترفع
القاطنين الارض كلها سلاحهم علينا وتنهض جموعهم وأمراؤهم وملوكهم علينا
وماهو بعد هذا أرهب عاقبة اذا صار الناس لاجلنا ان يقتلوا اخوتهم وأبناءهم
وأباءهم لانك قد قلت سيدفع الاخ أخاه الى الموت والاب ولده ويثب الاولاد على
والديهم ويقتلونهم وكيف يؤمن باقى الناس اذا أبصروا أبناء لاجلنا
قتلوا والديهم وأخوة يقتلهم اخوتهم والمواضع كلها مملوءة نجاسات أفما يطردوننا
من كل ناحية طرد شياطين عنيدين وكطرد اناس انجاس مفسدين المسكونة
اذا أبصرونا أوعبنا أرضهم من دماء الاهل والاقارب فذلك واضح جدا لاننا
اذ دخلنا الى بيوتهم نعطيهم سلامة أوعبناهم قتالات جزيلا تقديرها الا اننا لو كنا
أقواما كثيرين ولسنا اثنى عشر ولو كنا لسنا أميين لانعرف الكتابة لكن
كنا حكماء خطباء علماء فى كلامنا أوكما يقال لو كنا ملوكا مالكين جيوشا
وسعة من الاموال كيف كنا نستطيع ان نقنع أناسا ان يشعلوا
حروبا بينهم وبين ذوى قبيلتهم أصعب من حروب بينهم لاننا ان تهاوننا
بخلاصنا فمن يعتقد ان خلاص الناس الاخرين يكون بنا الا انهم
ماافتكروا فى صنف من هذه الاقوال ولا قالوه ولا طالبوا بواجبات الاوامر
لكنهم خضعوا وأطاعوا فقط وهذا الفعل فما كان فعلا لفضيلتهم فقط لكنه
كان مع ذلك فعلا بحكمة معلمهم وانظروا كيف قرن بكل صنف من الشدائد

سلوا

سلوا وقال في الذين لا يقبلونهم ان أرض سدوم وغامورة ستكون في يوم القضاء أريح من تلك المدينة وقال ههنا أيضا ستقتادون الى أمراء وملوك واتبع ذلك بقوله لاجلي للشهادة عليهم وعلى الامم وهذا القول فليس هو سلوة يسيرة ان يصابوا بهذه المصائب لاجل المسيح واتوبخ أولئك لان الله يستبين عاملا أعماله في كل مكان ولو لم يكن أحد الناس يبصرها هذه الاقوال سلاهم ومافعل ذلك لانه اشتهى تعذيب أناس آخرين لكن حتى يثقوا ويوقنوا انه في كل مكان حاضر معهم وقد تقدم فعرف هذه العوارض وانهم ماينكبدونها على انهم خبثاء مفسدين وبعد هذه الاقوال تقدم فوضع لهم سلوا ليس يسيرا عند قوله فاذا أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بماذا تتكلمون لانكم ستعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به لانكم لستم أنتم المتكلمين به لكن روح أبيكم هو المتكلم فيكم حتى لا يقولوا كيف يمكننا ان نحتمل حوادث حادثة هذا تأثيرها اذ أمرهم ان يثقوا بحصول الاحتجاج لهم وقال في موضع آخر أنا أعطيكم فما وحكمة وقال ههنا روح أبيكم هو المتكلم فيكم معليا اياهم الى رتبة الابناء ولهذا المعنى حين ذكر القوة المعطاة لهم حينئذ استثنى بالشدائد والقتالات والذبحات لانه قال سيدفع الاخ أخاه الى الموت ويسلم الاب ولده وينهض أولادا على والديهم ويميتونهم وما وقف عند هذا القول لكنه أضاف اليه قولا أبلغ منه مخوفا فيه كفاية ان يزعزع الصخرة أيضا وهو وستكونون ممقوتين من جميع معانديكم والسلوة أيضا في هذه الاقوال انه حاضر عند الابواب لانه قال لاجل اسمي تحتملون هذه النوائب كلها وذكر مع ذلك قولا آخر وهو ومن يصبر الى المنتهى فذلك يخلص فهذه الاقوال كانت على نحو آخر كافية ان تقوم بصائرهم اذ عزم ان يضرم قوة انذاره الجزيل تقديرها من طريق انهم يتهاونون بالطبيعة وتقضي المناسبة وتفضل كلام الرسل كلهم عند طرده العوارض كلها باقتدار لان اقتصار الطبيعة ان كانت

لا تقدر ان تعاند ماقاله الرسل بل تخضع لها فما الذى يوجد غير هذا يقدر ان يقهركم واذ هذه الاحوال تجرى على هذا المجرى فلا تكون عيشتكم فى راحة لكنكم سيكون جميع اهل المسكونة أعداء ومحاربين متضافرين عليكم فأين افلاطون وأين فيثاغورس وأين طبقة الرواقيين لان ذلك افلاطون اذ تمتع بتكريم كثير طعن فيه باشنع الطعن على انه أبيع ولم يصلح مما اراده صنفا ولا استظهر على غاصب واحد لكنه أسلم تلاميذه ونقض عمره على حالة يرثى لها وكناسات العلم المنسوبة الى الكاسيين عبرت كعبور المنام والظل على ان أولئك ما نابتهم فى وقت من أوقاتهم نائبة هذا تأثيرها لكنهم كان يظن بهم انهم أجل الفلاسفة التى خارج محلتنا واذاعوا اذا رسائل افلاطون عند أهل أثينه فى أسواقهم علانية المرسلة من عند ديونوس ولبثوا عمرهم كله فى ترفه وراحة واستغنوا بأموال لم تكن يسيرة فن هذه الجهة اتباع أرسطيس زوانى جويله اثماتهم وكتب غيره وصايا اذ خلف موزثا لم يكن يسيرا وغير هذا اذ جعل تلاميذه ذواتهم جسورا مشى عليهم من فوق بعدان وضع على ماذكر واستنوناها المسمى فى السوق علانية ولعمرى ان هذه هى أفعالهم الشريفة الا ان ليس ههنا عند الرسل فعل هذه صفته لكنه يوجد عندهم عفة زائدة على الوصف وزينة بليغة ومحاربة لكافة المسكونة من أجل الحق وصحة الدين وانذباحهم كل يوم وبعد هذه النوائب ظفراتهم البهية ولعل قائلا يقول لكنهم قد يوجد عندهم أقوام أشقياء فى نسكهم مثل تاومبسطوفليس وبهريقلس فأقول له ان افعال أولئك بالنسبة الى افعال الصيادين هى كالعاب الصبيان لان ما الذى يتجه لك ان تقوله انه أقنع أهل أثينه ان يركبوا فى السفن لما ساق كسيركسوس الملك جنوده الى بلد غلاطية فههنا ماساق كسيركسوس الملك جنوده الى الرسل لكن ابليس المحتال مع كافة المسكونة والشياطين الذين لا يحصون تظافروا على هؤلاء الاثنى عشرة ليس فى وقت واحد لكن فى

عمرهم كله فقهرهم هؤلاء الاثناعشر واستظهروا عليهم والعجيب من فعلهم انهم ماقتلوا اضدادهم لكنهم نقلوا عزائمهم وثقفوا سجاياهم لان هذا الفعل ينبغي ان نراعيه من سائر الجهات أكثر من كل أفعالهم ان الرسل ماقتلوا الذين اغتالوا عليهم ولا أبادوهم لكنهم تسلموهم معادلين الجن فصيروهم سالمين الملائكة اذ عتقوا الطبيعة الانسانية من هذا التمرد الخبيث وطردوا أولئك الشياطين المغتاصين استعطافهم المزعجين الاحوال كلها من أوساط الاسواق والمنازل وأولى مايقال انهم أيضا طردوهم من البرية بعينها وصفوف الرهبان يشهدون بذلك الذين قد انغرسوا في كل مكان فما ظهروا في المواضع المسكونة فقط لكنهم ظهروا في المواضع التي قد عدمت ان تكون مسكونة وماهو أعجب من ذلك انهم فعلوا هذه الافعال ليس بحاله الراحة لكنهم وصلوا الى كل ماأرادوه باحتمالهم المكروه ومقاساتهم البلايا لان أهل الدنيا جاز في وسطهم اثنا عشر رجلا أميين فكتفوهم وضربوهم بالسياط وطافوا بهم جائلين وما أمكنهم ان يصمتوهم ولكن كما ان شعاع الشمس ممتنع ان يربط فكذلك لسان أولئك الرسل كان رباطه ممتنعا وعلة ذلك انهم ما كانوا هم المتكلمين لكن قوة الروح كانت المتكلمة فيهم لان على هذه الجهة قهر الرسول بولس اليهود الذين قد حضروا وعند اغريباس وغلب باذن القاهر الناس كلهم برذيلته لانه قال ان ربي حضر معي وأيدني وأنقذني من فم الاسد وأنت فاستعجبهم كيف اذ سمعوا لا تهتموا صدقوا ذلك وقبلوا وما أدهشهم من الاصناف المريعة صنف فان قلت انه خولهم سلوة كافية بقوله ان روح أبيكم يكون المتكلم فيكم قلت لك فلهذا المعنى بعينه انذهل منهم لانهم ماارتابوا ولا التمسوا استخلاصهم من الشدائد وهذه كانت عزائمهم وما أملوا ان يقاسوا هذه المصاعب سنتين ولا ثلاثة سنين بل في طول عمرهم كله لا بقوله ومن يصبر الى المنتهى ذلك يخلص أومى الى هذا المعنى أيماء غامضا لانه يريدهم

ان لا يقدموا افعالا معونته فقط لكنه يشاء مع ذلك أن يكون منهم المحامد التى يحكمونها وتأمل من أعلى سياسته كيف حدثت أفعاله احيانا وأفعال تلاميذه احيانا لان اجتراحهم الآيات هو فعل له واجتهادهم بان لا يستقنوا شيئا هو فعل لهم وانفتاح المنازل كلها لهم هو فعل من النعمة التى من العلو وايثارهم ان لا يطلبوا شيئا أكثر من حاجتهم هو فعل لفلسفتهم لان الفاعل مستوجب أجرته وتخويلهم السلامة هو فعل لموهبة الله والتماسهم الموهلين لهم وانقباضهم الا يدخلوا الى عند كل الناس على بسيط ذات الدخول هو فعل لضبطهم هواهم وأيضا تعذيب الذين لا يقبلونهم هو فعل له وانصرافهم بوداعة من عند الذين لا يقبلونهم هو فعل له وانصرافهم بوداعة من عند الذين لا يقبلونهم وهم لا يثلبونهم ولا يشتمونهم هو فعل لوداعتهم واعطاؤهم روحا وجسما الايهم واكان فعلا لمرسلهم وكونهم كالغنم والحمام واحتمالهم النوائب كلها بصبر كان فعلا لشهامتهم وفهمهم واحتمال المقت وان لا ينهبطوا الى التضجع واصطبارهم الى الغاية كان فعلا لهم واما استخلاص الصابرين فهو فعل لمرسلهم وكذلك قال ومن يصبر الى الغاية ذلك يخلص واذ قد ألف الاكثرون من الناس أن يكونوا فى مبادى أفعالهم حريصين ويتراخون بعد ذلك قال انى التمس الغاية لان ما المنفعة من الزروع أن تكون مزهرة فى ابتداها وبعد مدة يسيرة تذبل ولهذا الغرض يطالبهم بالصبر الكافى الجزيل لان حتى لا يقول قائل انه هو قد عمل كلما يجب عليه وليس مستعجبا أن يصبر أولئك هذا الحال حالهم اذا ما نابتهم نائبة ثقيلة لهذا الغرض قال لهم ان الحاجة ماسة بكم الى صبركم لانى وان كنت اختلستكم من التورط فى الشدائد الاولى فانما أخبئكم لشدائد غيرها أصعب منها وبعد تلك أيضا تكابدون مصاعب غيرها ومادمتم متنفسين فاعلمكم مقاسات الاغتيال عليكم لانه لهذا المعنى اعتمد اعتمادا غامضا بقوله ومن يصبر الى

الغاية

الغاية ذلك يخلص لاجل هذا الغرض لما قال لاتهتموا بما تنطقون به قال فى موضع آخر كونوا مستعدين للاحتجاج عند كل من يسألكم جوابا من فى الرجاء الذى فيكم لان اذا كان جهادنا بيننا و بين اصدقائنا يأمرنا أن نهتم اذا احضرنا مجالس قضاء مريعا واحاط بنا من كل جهة جموع مجانين وخوف يهب لنا نعطفة علينا حتى نثق ونتكلم ولاندهش ولانسلم الحقوق الواجبة ولعمرى ان الحادث من الرسل كان مستعظما أن يدخل انسان مشغول بالصيد حول البحيرة أو بالجلود أو بعمل التعشير الى حضرة أمراء جالسين وكان قوادهم وغلمانهم واقفين لديهم وكان كافة اتباعهم واقفين معهم يقف مكتوفا مطرقا الى اسفل فيمكنه أن يفتح فمه لانهم ماخوا لهم بسبب اعتقاداتهم أن يقولوا قولا أو يوردوا احتجاجا لكنهم ارتادوا أن يضربوا أعناقهم كانهم مفسدون مشتركون فى افساد المسكونة لانهم قالوا ان هؤلاء الذين قد أفتنوا المسكونة قد حضروا ههنا وقالوا أيضا انهم يوردون اعتقادات مضاضدة لما يعتقده قيصر قائلين ان يسوع المسيح ملك و بهذه التهم قبضت عليهم مجالس القضاء فى كل مكان واحتاجوا الى نجدة كثيرة من العلو تخبح اليهم ليوضحوا هذين الصنفين ان اعتقادهم الذى اعتقدوه صادق وانهم ما يفسدون الشرائع المشاعة ويحترسوا ان لا يسقطوا فى تهمة احالة الشرائع اذا حرصوا أن يتكلموا فى وصف معتقدهم وان لا يفسدوا أيضا استقصاء اعتقاداتهم اذا اجتهدوا أن يبينوا انهم ما يغيرون المذهب العام المشترك وهذه الحجج كلها تراها محكمة عند بطرس وعند بولس وعند باقى الرسل كلهم بالفهم اللائق بهم ولعمرى انهم شكيوا فى كل صقع من المسكونة انهم مفتنون مشغبون مبدعون بدعا جديدة الا انهم مع ذلك حذفوا هذه التهم عنهم وجذبوا لانفسهم ضدها حين أذاعوا عند كل الناس المؤمنين انهم مخلصون مهتمون محسنون فهذه المثانى كلها

اصلحوها بكثرة صبرهم ولذلك قال بولس الرسول انى أموت كل يوم وصبر الى غاية حياته متورطا فى الاخطار والشدائد

العظـــــــــــة

فاذا كنا قد امتلكنا أمثلة هذا مبلغ كثرتها لاى عفو نكون موهلين اذا كنا فى وقت السلامة متراخين مستلقين على ظهورنا ونتذبح وليس أحد من الناس يحاربنا وتحال قوتنا وليس مضطهد يضطهدنا وقد أمرنا أن تتخلص فى أوان السلامة والا فلا نقدر أن نخلص لان اولئك الرسل لما كانت المسكونة متوقدة ونارها مضطرمة فى الارض كلها دخلوا فى باطنها فاختلسوا المحترقين من وسطها وأنت ما يمكنك أن تصون ذاتك وما هى الدالة التى تكون لنا واى عفو يحصل لنا نحن الذين لم نضرب بسياط ولا ساقنا أحد الى حبوس ولا رؤساء ولا محافل ولم يحصل لنا صنف آخر من هذه الاصناف لكنه قد حصل لنا ضد ذلك فنحن نترأس ونضبط الرياسة وكرامات كثيرة وملوكهم مهذب دينهم ولهم معالى التصدر ومفاخر الشرف واصناف الراحة وما نقهر على هذا الحال اضدادنا واما أولئك الرسل المعلمون وتلاميذهم اذ كانوا يساقون كل يوم الى المحافل ويستمدون جراحات كثيرة وضغطا ورسوما متصلة كانوا يتنعمون بها أكثر من المقيمين فى جنة النعيم ونحن ولا فى نومنا نصبر على عارض هذا تأثيره وقد حصلنا أرخى من كل سمع ولعل قائلا يقول الا ان أولئك الرسل اجترحوا العجائب فأقول له أما ضربوا بالسياط وطردوا الاجل ذلك لان هذا هو العجيب منهم ان الذين أحسنوا اليهم هم الذين امتحنوهم فى أكثر أوقاتهم بهذه النوائب وأمثالها ولم يرتجفوا على هذا الحال لما استمدوا عوض أفعال صالحة فعلوها مكاره اردية قاسوها

واما

واما أنت ان أحسنت الى أحد الناس بصنف من الاحسان يسير ثم نالك منه
فعل محزن تنزعج وترتجف وتندم على ما عملته به ولو صار مالا يصير ابدا ولا
يحدث فى وقت من الزمان حربا للكنائس واضطهادا تفطن كم يكون الضحك
علينا كم تكون تعييراتنا وذلك على جهة الواجب جدا لانه اذا كان
لا يروض أحدنا ذاته فى المعاركة فكيف يكون فى جهاداته بهيا وأى مجاهد
لا يعرف فى ارتياضه ويقدر أن يظهر اذا حضرت الجهادات فعلا فى
جلباتها جليدا مستعظما مقابل معاندة أفما قد كان واجبا علينا ان نصارع
كل يوم ونلاكم ونحاضر سعيا أما قد رأيتم الذين يدعون الكثيرين لجهاد
اذا لم يحضرهم ولا معاندوا حد يعاركهم كيف يوعبون جرابا كبيرا
رملا جزيلا ويعلقونه عليهم ويروضون هنالك كافة قوتهم والصبيان
الاصغر منهم سنا يتدربون فى أجسام رفقائهم بالحرب لاعدائهم فماثل أنت
هؤلاء وتدرب بصراعات الفلسفة لان أناسا كثيرين يرهقونك الى
الغيظ ويلقونك فى الشهوة ويضرمون لهيبا كثيرا فقف اذا منتصبا على
اسقام هواك واحتمل بأوفر جلادتك الاوجاع فى سريرتك حتى تحتمل
اوجاع حروب جسمك وذلك ان أيوب السعيد لو لم يكن قد ارتاض قبل
جهاداته ارتياضا جيدا لما كان لمع فضله فى جهاداته على هذه الصورة لموعا
بهيا ولو لم يتدرب بان يكون خاليا من اكتئاب لقد كان قال اذا مات أولاده
قولا جسورا فقد رأيناه الان قد وقف مقابل المسارعات كلها مقابل
هلاك أمواله وأبادة نعمته الجزيل تقديرها مقابل فقد أولاده بازاء عيني
امرأته مقابل سياط أوجاع جسده مقابل تعييرات اصدقائه بجراه شتائم
عبيده له وان شئت ان تسمع وتعرف رياضته فاسمعه عند قوله كيف
تهاون باموال فقال ان كنت قد سررت اذ صار لى ثروة جزيلة ان كنت وتبة
مقدرتى ذهبا ان كنت وثقت بجوهر جزيل ثمنه لهذا السبب ما ارتجف ولا حين

اختلست منه اذ كان ماضيا اليها ولا اذ كانت حاضرة عنده اسمع كيف دبر أحوال ابنائه فما تراني خارج الواجب كما نسامح نحن اولادنا لكنه كان يطالبهم بكافة الاحتراس والحذر لان من كان يرفع عن أفكارهم الغامضة ضحية يقدمها لله تفطن كيف كان قاضيا مستقصيا على أفعالهم الظاهرة وان شئت ان تسمع جهاداته من أجل العفة أسمعه قائلا وثقت لعيني موثقا الا أنظر الى صبية يقول لهذا المعنى ما كسرته امرأته لانه قد أحبها قبل ذلك الوقت لكن ليس حبا زائدا على المقدار لكنه أحبها على ما يليق بان تحب المرأة ومن هذه الجهة يعرض لى ان أستعجب هذا المعنى ومن أين تجسس لابليس المحتال العارف برياضات الصديق انه يقهر جهاداته فهذا المحتال هو وحش خبيث لا ييأس فى وقت من الاوقات وهذا المعنى يصير علة عظيمة توجب الحكم علينا وهى ان ذلك المحتال ييأس فى وقت من الزمان من هلاكنا ونحن نيأس من خلاصنا لكن تفطن كيف تدرب بظنى جسمه وخدامه لانه اذ كان هو ما قاسى فى وقت من زمانه وجعاهذه نكايته لكنه لبث عائشا فى ثروة ورفعة وترفه ونعيم وفى سعادة أخرى ظاهرة كان يتصور المصائب الغريبة كمن يبصر فى نومه شيأ وهذا المعنى اذا وضحه قال ان الخوف الذى كنت أخافه وافى الى وما كنت أخشاه تلقانى ودهمنى وقال أيضا أنا بكيت على كل فاقد قوته وتحسرت اذا رأيت انسانا فى شدائد فلهذا السبب ما أرجفه ولا حادث من الحوادث التى دهمته من تلك الافات العظيمة التى لا تحتمل ولا تنظر الى هلاك أمواله ولا الى انتزاع أبنائه ولا الى ضربة جسده تلك التى لا تشفى ولا الى اغتيال امرأته لكن انظر الى نوائبه الاصعب من هذا كثيرا فان قلت وما هى النوائب التى نابت أيوب وهى أصعب من هذا لاننا ما عرفنا من خبره نائبة أكثر من هذه النوائب أقول لك لاننا ما جعون ما عرفنا أولا أكثر من هذا على حذو ان من يهتم ويفتش على الولولة تفتيشا

صايبا

صائبا يعرف انه قد قاسى ملمات أكثر من هذا وأعظم التي فيها كفاية ان تحصل فيه ارتجافا غير هذا فأولها انه ما كان يعرف قولا واضحا في ذكر ملكوت السموات والقيامة فهذا المعنى قد ذكره نايحا وقال لانني لست أحيا الى الدهر حتى أتمهل وأطيل أناتي وثانيها انه كان يعرف لنفسه أعمالا جيدة كثيرة وثالثها انه ما كان يعرف لذاته فعلا خبيثا ورابعها انه كان يظن انه يقاسي هذه الآفات واردة من الله فان كان يتوهمها من ابليس المحتال فهذا التوهم قد كان كافيا ان يقلقه ويزعجه وخامسها استماعه أصدقاءه يثلبونه برذيلة لان أحدهم قال ما ضربت سياطا معادلة خطاياك التي اجترمتها وسادسها نظرت الى العائشين في خبثهم متنعمين بأجل أمانيهم ويوصفون له وسابعها انه ما حصل له ان يبصر في وقت من أوقاته انسانا غيره قد أصابته هذه المصائب وأمثالها وان شئت ان تعرف عظم هذه النوائب ماهو فتفطن في الحوادث الحاضرة لان ملكوت السماء ان كانت الآن منتظرة وقيامتنا مأمولة والخيرات التي لا توصف مرتجاة ونحن نعرف لانفسنا رذائل جزيلا عددها وقد امتلكنا أمثلة هذا مبلغ تقديرها اشتركنا في فلسفة هذا المبلغ مبلغها اذ ضيع أناس منا ذهبا يسيرا وربما يكونون قد اختلسوه ظلما يعتقدون ان عيشهم قد فاتهم أن يكون عيشا وليس لهم امرأة تغتال عليهم ولا بنون قد خطفوا منهم ولا أصدقاء يعيرونهم ولا عبيدا يسخرون بهم لكنهم قد حصل لهم أقواما كثيرين يعزونهم بعضهم بالفاظهم وبعضهم بافعالهم فكيف لا يكون ذلك الصديق موهلا لا كاليل جزيلة كثيرة عند نظره الى أملاكه المجموعة من اتعاب عدله مخطوفة على ما اتفق وعلى بسيط ذاتها خطفها وبعد تلك كلها اصطبر على المحن على قطرات مطرها الجزيل عددها ولبث بدون تزعزع في تلك الحالات كلها رافعا الى سيده شكرا جيدا واجبا على النوائب التي قاساها الاننا اذا لم نذكر ولا محنة

واحدة من محنه الاخرى كانت أقوال امرأته فقط فيها كفاية ان تزعزع صخرة وأبصر سوء فعلها انها لم تذكر له أمواله ولا ذكرت جماله وقطعان غنمه وبقره لانها عرفت لرجلها فلسفة فى هذه الاملاك لكنها ذكرت له ماهو أثقل من هذه النوائب كلها أعنى انها ذكرت له فقد ابنائه وعرفت ثديها وأضافت الى ذلك العزائم الناشئة منها ولئن كان الحاصلون فى خصب ورخاء ولم يصبهم مصابا مكروها طالما استمالهم نساؤهم كثيرا الى القبول منهن فتفطن كيف كانت نفسه تلك الجليدة شهمة عند دفعها التى وافت اليه باسلحة جزيلة تقديرها وتوطات من أسقام العزم سقماء هما أشدها كلها غضبا وهما الشهوة والرحمة على ان أناسا كثيرين من الذين ضبطوا شهوتهم وابقوا رحمتهم فذلك الصديق يوسف الجليد قد ضبط اللذة التى هى أشد أسقام الهوى قسرا ودفع تلك المرآة الاعجمية بعد ان أوردت له حيلا جزيل عددها وما ضبط دموعه لكنه لما أبصر اخوته الذين ظلموه تحرق بالعارض وحذف تظاهره وكشف الفعل فاذا كانت امرأته تقول أقوالا يرثى لها وقد ملكت الوقت يجددها وعقوره وجراحاته وأمواجا من المصائب كثيرة وكيف ما تحقق أحد الناس تحقيقا عدلا ان النفس التى ما أثر فيها شيأ من الافات الجزيل تقديره تأثيرا انها أشد صلابة من كل حجر ماس عديم ان ترخى قوته واسمحوا لى ان أقول بمجاهرة ان هذا السعيد ان كان ليس هو أعظم محلا من الرسل الا انه ما كان أدنى منهم لان أولئك الرسل سلاهم تألمهم من أجل المسيح وهذا الدواء فقد كان كافيا على هذه المقايسة لانها ضهم كل يوم على حذو ما يضعه سيدنا فى كل موضع من كلامه قائلا لاجلى وبسببى ولئن كانوا قد دعونى أنا سيد المنزل بعل زبول وذاك الفاضل فكان خائبا من هذه التسلية ومن تعزية الآيات ومن سلوة النعمة لانه ما كان قد اقتنى من الروح قوة هذا المبلغ الجزيل

مبلغها

مبالغها وأعظم من ذلك أنه تربى فى نعيم جزيل وما كان ناشئا من صيادين وعشارين ومن العائشين عيشة حقيرة لكنه كان متمتعا بتكريم جزيل مقداره فصابته النوائب كلها وما كان يظن عند الرسل أنها أثقل النوائب وأصعبها ذاك بعينه اصطبر عليه هو من جهة أصدقائه ومن عبيده عتقه أعداؤه والذين قد غمرهم فضل انعامه وما امكنه أن يبصر الميناء الثابت وهذا الميناء فهو القول الذى قيل للرسل هذا يصيبكم لاجلى انظر الثلاثة الفتية أنهم تجاسروا على الاتون وانهم عاندوا الملك الغاصب لكن اسمع ما يقولونه اننا ما نعبد آلهتك ولا نسجد للصورة التى أقمتها وهذا كان لوا عظيما لهم وهو علمهم علما انهم من أجل الله يقاسون تلك العوارض كلها التى يتكبدونها وهذا الفاضل لم يعرف أن هذه النوائب كانت جهادات ومصارعات لانه لو كان عرف ذلك لما كان أشعر بالقوادح الكائنة وأتظن أنى أنزلت بك هذا المعنى آخر الا لكى تظهر عدلا تفهم كيف من لفظة بسيطة اعاد فى الحين لنفسه وكيف احتقر ذاته وكيف ما ظن أنه قد أصيب بما تكبده عندما قال هذا القول ما بالى أحاكم أيضا معدلا موبخا اذا اسمع من ربى هذه الاقوال وامثالها لست شيأ وقال أيضا اننى بسمع الاذن سمعتك فى أول أمرى والان فقد رأتك عينى فلذلك ازدريت بذاتى وذبت واحتسبت ذاتى أرضا ورمادا فسبيلنا نحن الذين عند الشريعة والنعمة أن نماثل هذه الشجاعة وهذه الدعة شجاعة ودعة من قد قبل الشريعة والنعمة لنستطيع أن نشاركه فى المساكن الدهرية التى ستكون لنا ونحظى بها بنعمة ربنا يسوع المسيح وجوده الذى معه لابيه وللروح القدس المجد والعز والاكرام الان ودائما والى أباد الدهور آمين

المقـــــالة الرابعة والثلاثون

واذا طردوكم من هـــذه المدينة فاهربوا الى اخرى فانى أقول لـــكم حقا انـــكم ماتستتمون مدن اسرائيل الى ان يجى ابن الانسان مت ١٠ : ٢٣

لما ذكر تلك النوائب الرهيبة المريعـة وضعف القوة التى تعرض لهـم بعد صلبه وقيامته وصعوده أورد الان كلامه الى العوارض الاكثر رفقا من تلك بحولا المجاهـدين ان يسـتعدوا بنفسـهم واهبالهـم فسحة كثيرة لانه ماأمرهـم اذا طردوا ان يحتـملوا ذلك بجسارة لـكنه امرهـم ان يهربوا واذ كان ذلك ابتـداء انذارهـم ومقـدمته اسـتعمل خطابا أميـل الى الجنوح مع ضعفهم لانه ماتـكلم فى أنواع الطرد التى ستحصـل فيما بعد لـكنه تـكلم فى وصف حوادث الطرد العارضة لهم قبل صلبه وتألمه وأوضح هـذا بقوله أنهـم مايستتمون مدائن اسرائيـل الى أن يجى ابن الانسان حتى لا يقولوا اما المنفعة من هـذا ان نهرب اذا طردنا ثم يلحقونا هنالك أيضا ويطردوننا أزال عنهم هذا الخوف وقال لا تخافوا فى جوالانكم مدن فلسطين فسألحقـكم فى الحين وأنظر كيف ههنـا أيضا يحل الشـدائد عنهم لـكنه يكون معهم فى شـدائدهم لانه ماقال انى سأنقذكم من الشـدائد وأحل عوارض الطرد عنـكم لـكنه قال ماتستتمون مدن اسرائيـل الى أن يأتى

ابن

ابن الانسان وذلك أن نظرهم اليه فقط يكفيهم لتسليتهم وتامل أنت
كيف ليس فى كل مكان لم يامرهم بكل الاوامر للنعمة لكنه يامرهم ان
يقدموا فعلا من عندهم لانه قال ان خشيتم فاهربوا ولا تخشوا وما أمرهم
ان يهربوا هم من أول الامر لكنه امرهم ان ينصرفوا اذا طردوا ولم يجعل
عليهم المسافة عظيمة لكنه جعلها بمقدار جولانهم مدن اسرائيل ثم استلفتهم
ايضا لجزء آخر من أجزاء الفلسفة اذ نزع عنهم أولا الاهتمام بطعامهم وأزاله
عنهم ثانيا اتقاء التورط فى الخطر والان أراحهم من توقى كراهة الثلب
وذلك أنه خلصهم من ذلك الاهتمام بقوله ان الفاعل مستحق لاجرته
وأوضح لهم ان اناسا كثيرين يقبلونهم من اجل تورطهم فى الشدائد
عندما قال لا تهتموا كيف أو بماذا تتكلمون وان من يصبر الى الغاية
ذاك يخلص واذ كان لا ينبغى لهم ان يظنوا فى أنفسهم مع هذه النوائب
ظنا خبيثا وهذه حالة كثيرين من الناس انهم يتقلون العوارض
كلها انظر من اية جهة يسليهم ههنا اذ وضع لهم التسلية من ذاته ومن كائنة
المثالب التى قيلت فيه وهذه كانت تسلية لا عديل لها لانه على نحو ما قال
هنالك أن كل الذين يعاندونكم ويمقتونكم وأضاف الى ذلك من اجل
اسمى فكذلك قال ههنا يسلى عزمهم على جهة اخرى اذ وضع مع ذلك
قولا غيره وهو قوله لا يوجد تلميذ يفوق على معلمه ولا يوجد عبد أعلى من
مولاه يكفى التلميذ أن يكون مثل معلمه والعبد أن يكون مثل مولاه
فان كانوا قد دعوا سيد المنزل بعل زبول فكم أليق بهم ان يدعوا أهل بيته
بهذا الاسم فلا ترهبوهم انظر كيف يكشف ذاته انه سيد البرايا كلها والهها
ومبدعها واعلك تقول فما الغرض فى هذا القول فما يوجد تلميذ يفوق على
معلمه ولا يوجد عبد اعلى محلا من مولاه فاقول لك مادام تلميذا وعبدا فلا
يكون اعلى محلا من مولاه ضرورة ولا تذكر لى فى هذه الالفاظ الفاظ لناس

الافراد وهى انه قد يكون العبد أفضل من سيده لان هذا نادر لا حكم له ولم يقل فكم أولى بهم ان يسموا بهذا الاسم عبيده لكنه انما قال اهل بيته موضحا مناسبته اياهم خالصة كثيرة وقد قال فى موضع غير هذا فلا أدعوكم أيضا عبيدى بل أنتم أحبتى وما قال ان كانوا قد شتموا صاحب المنزل وثلبوه ثلبا مكروها لكنه وضع صورة المسبة بعينها انهم دعوه بعل زبول ثم خولهم أيضا تسلية أخرى ليست أدنى من هذه ولعمرى ان هذه هى التسلية العظيمة واذ وجب أن يحصل للذين ما تفلسفوا بعد تسلية غيرها تقتدر اكثر من كل شئ ان تستعيد نشاطهم وضع هذا الهم ولعمرى ان شكل الالفاظ التى تقال يظن انه يحوى قضية كلية سالبة الان ما قيل فى معنى الظنون التى اعتمدوها رسله فقط وهى قوله ليس يوجد حال مستور الا وينكشف ولا مكتوم الا ويعرف ومعنى هذا يكفى لتسليتكم كونكم مشاركين معلمكم وسيدكم فى هذا الثلب بعينه فان كنتم توجعون ايضا اذا سمعتم هذه الامثال فافهموا ذاك المعنى انكم بعد مدة يسيرة تتخلصون من هذه التهمة ولاجل اى غرض قد توجعتم الان انهم يدعونكم ساحرين مضلين لكن اصبروا قليلا فسوف يدعونكم كلهم مخلصين المسكونة ومحسنين الى اهلها وذلك ان الزمان سيكشف كافة السجايا المستورة ويوبخ قرف اولئك القارفين ويجعل فضيلتكم ظاهرة لانكم اذا ظهرتم باعمالكم مخلصين محسنين مظهرين كل فضيلة فلا ينظر الناس الى أقاويل أولئك لكنهم انما ينظرون الى حقيقة أفعالكم وصدقها ويستبين أولئك قاذفين كاذبين وبمكاره الثلب ناطقين وتظهرون أنتم ألمع من الشمس اذا أعان فضلكم الزمان الطويل وأذاع سيرتكم وأبدى صوتا أبهى من صوت البوق وجعلهم كلهم شهودا بفضيلتكم فلا تذللنكم أقوالهم التى يقولونها الان لكن فليقومكم رجاء الخيرات المأمولة فان ممتنعا ان تنكتم أفعالكم ثم اذا استخلصهم من كافة الجهادات والمخاوف والهموم وجعلهم أعلى من

التغيرات حينئذ خاطبهم خطابا فى وقته فى معنى المجاهرة فى الانذار به وقال
ما أقوله لكم فى الظلام قولوه فى النور وما سمعتموه باذانكم نادوا به على
الاسطح على انه ما قال هذه الاقوال حين كان ظلام ولا خاطبهم فى اذن لكنه
استعمل كلامه بمبالغة فى ايضاحه الا انه اذ خاطبهم ووعدهم وهم فى زاوية
صغيرة من بلاد فلسطين لهذا المعنى قال ما سمعتموه فى الظلام وفى الاذن فاصلا
بين خطابه اياهم فى ذلك الحين وبين المجاهرة التى أزمع بعد ذلك ان يعطيها لهم
لانه قال انكم لا تنذرون فى مدينة واحدة ومدينتين وثلاث مدن لكنكم
تنادون فى المسكونة كلها اذ تطوفون الارض والبحر والمسكونة وغير
المسكونة وتقولون أقوالى كلها للامراء والجموع والفلاسفة والخطباء
بكافة المجاهرة ولهذا المعنى قال على الاسطح وفى الضياء بدون انقباض
وبكافة الحرية فان قلت ولم يقل انذروا على الاسطح وقولوا فى النور فقط
لكنه أضاف الى ذلك ما أقوله لكم فى الظلام وما سمعتموه فى الاذان أقول
لك انما ذكر ذلك معلنا بصائرهم وكما انه حين قال من يؤمن بى سيعمل
الاعمال التى أعملها أنا وسيعمل أعظم منها كذلك قال ههنا هذا القول
مورياً انه سيعمل بهم كل ما يريدونه وأكثر مما عمله هو بذاته ووضع هذا
القياس كأنه قال أنا أعطيت ابتداء للايات ومقدماتها وأريد ان يتم بكم أكثر
منها وهذا القول ليس هو قول موعز به فقط لكنه قول من قد تقدم فأذاع
ما يكون فيما بعد وقول واثق بصحة ما يقوله مورياً انهم سيظهرون على كل
من يناوبهم ويسيح عنهم اجتهادهم من أجل سوئايهم وكما ان هذا الانذار
يكون مكتوما ينفذ الى كافة الامم عاجلا فكذلك توهم اليهود الخبيث فيكم
سيهلك سريعا ثم لما رفعهم وأعلاهم بهذا تقدم فاظهر لهم المخاوف والاخطار
أيضا مريدا اياهم ان يغلبوا على المخاوف كلها اذ قال لا تخافوا الذين يقتلون
جسدكم ولا يستطيعون ان يقتلوا نفسكم أعرفت كيف أنامهم أعلى من النوائب

والحوادث كلها ممكنا عندهم ان يستهينوا ليس بالاهتمام وكراهة الشدائد
ولا بالمخاوف والاغتيالات فقط لكنه حقق عندهم ان يحتقروا الموت
الذي يظن كافة الناس انه مرهوب وما استمالهم الى الازدراء بالموت على
بسيط ذاته لكن الموت الغاصب وما قال انكم ستقتلون لكنه بين هذا
المعنى بجلالة لائقة بقوله لا تخافوا الذين يقتلون جسمكم ولا يستطيعون
ان يقتلوا أنفسكم لكن خافوا كثيرا القادر ان يهلك نفسكم
وجسمكم في جهنم وهذا الفعل يفعله دائما محيلا كلامه الى ضده كانه قال
ما بالكم قد خشيتم الموت ولهذا السبب قد كسلتم عن المناداة ببشارتي فلهذا
المعنى بعينه نادوا بها اذ قد خشيتم الموت لان هذه المناداة تنقذكم من الموت
بتحقيق لانهم ان عزموا ان يقتلوكم الا انهم ما يقهرون الافضل فيكم ولو
اعتمدوا ذلك دفعات كثيرة ولهذا المعنى ما قال وما يقتلون نفسكم لكنه قال
وما يستطيعون ان يقتلوا نفسكم لانهم ولو أرادوا ذلك لا يقهرونها فمن هذه
الجهة ان خشيت العذاب فخف ذلك العذاب الاصعب من هذا كثيرا
أرأيت أيضا انه ما يعدهم ان يخلصهم من الموت لكنه يمهلهم ان يموتوا
واهبا لهم قوة عدم الخوف من هذا الموت لان اقناعهم ان يحتقروا
الموت هو أعظم من اخلاصهم من الموت بكثير فلم يزجهم اذا في المخاوف
الشدائد لكنه يجعلهم أعلى من الاخطار والنوائب وبكلام يسير مكن
عندهم الاعتقادات في زوال الموت عن نفسهم وغرس فيهم بلفظتين وثلاثة
لفظات اعتقادا مستخلصا وسلاهم من معاني أخرى حتى لا يظنوا اذا ذبحوا
او قتلوا انهم يتكبدون ذلك لانهم مهملون وأورد أيضا الكلام في عناية
الله ببراياه اذ قال هذا القول أوليس عصفوران يباعان بفلس ولا يسقط
واحد منهما في فخ بدون علم أبيكم الذي في السموات وأنتم فشعرات رؤسكم
معدودة كلها كانه قال ماذا يكون أحقر من ذلك العصفور ولكن مع هذا

ولا

ولا تلك العصافير تصاد بدون علم الله لانه ما قال هذا القول انها تسقط فى الفخ
بفعل الله لان هذا الظن لا يصح نسبته لله لكنه يثق انه لا يخفى عنه صنف من
الاصناف الحادثة المتكونة فان كان ليس يفوت علمه عارض من العوارض
وهو يحبكم أخص من حب الاب لابنه فاذا كان يحبكم هذا الحب الذى
ينتهى فيه الى ان ذات شعرات رؤوسكم عنده معدودة فما ينبغى لكم ان تخافوا
عارضا فهذا القول قاله ليس ليبين به ان الله يعد شعرات الراس وانما قاله
ليبين به علمه البليغ الاستقصاء وعنايته الكثيرة بهم ولئن كان قد عرفه
الحوادث كلها ويقدر ان يخلصكم ويشاء ذلك فهما اصابكم فلا تظنوا انه
صابكم لانكم قد أهملتم فانه ما يشاء ان يخلصكم من شدائدكم لكنه يشاء
ان يمكن عندكم ان تحتقروا الشدائد اذ كان هذا الاعتقاد بالغ التحقق يخلصنا
من الشدائد فلا تخافوا قولا ظاهرا اذا فانتم أفضل من عصافير كثيرة أرأيت
انه ضابط خوفهم لانه قد عرف خفايا سريرتهم التى يتعذر التكلم بها فلذلك
استثنى بقوله لا تخافوهم لانهم وان استظهروا فانما يستظهرون على
الادنى الذى هو جسمكم الذى ولو لم يقتله هؤلاء فطبيعته تتناوله على كل حال
وتؤديه الى موته فمن هذه الجهة ليس هؤلاء أربابا لهذا الفعل لكنهم انما
يتملكون هذا الفعل من طبيعته فان كنت تخشى هذا الفعل فانيق بك ان
تخشى الفعل الاعظم منه كثيرا ويجب ذلك ان تخشى القادر ان يهلك نفسك
وجسمك فى جهنم وليس يقول الان عن ذاته انه القادر ان يهلك النفس والجسم
فقد أظهر هذا بما ذكره سالفا وأوضحته قاضيا ولكن ضد هذا المعنى يصير
الان فينا لاننا ما نخاف القادر ان يهلك نفسنا ومعنى ذلك انه يعذبها ونرتاع
من الذين يقتلون جسمنا على ان ذلك يعاقب نفسنا وجسمنا واولئك فلا يمكنهم
ان يعاقبوا انفسنا فقط لكنهم مع ذلك لا يقدرون ان يعذبوا جسمنا ولو عاقبوه
دفعات كثيرة لكنهم يجعلونه أبهى مما كان حسنا أعرفت كيف قد أظهر

الحوادث سهلة و بيان ذلك أن الموت زعزع بمخاوفه نفس من لم يتيسر له بعد
قهره ولم يحتقر العوارض المزعجة أن تعرض له بعد تمتعه بنعمة الروح
فاذا اقضى الخوف والجهاد الذى زعزع بعد انفسهم وجعلهم أيضا
جسورين بما يتلوا ذلك اذا انتزعه مع ذلك بأمل جوائز عظيمة وهول عليهم
بسلطان كبير وعطفهم من كل جهة الى المجاهرة للحق واستثنى بهذا اللفظ
قائلا كل من يعترف بى قدام الناس سأعترف به أنا قدام أبى الذى فى السموات
لانه ليس يدفعهم الى الحرص عن ترغيبهم فى خيراته لكنه يدفعهم اليه
بتخويفهم باضدادها وينهيهم الى النهايات المريعة تامل استقصاء تحديده لانه
ما قال من يعترف انى أنا هو لكنه قال من يعترف بى متبايدا بى موضحا أن من
يعترف به ليس يعترف به من قوته لكنه انما يعترف به حين أعين بالنعمة من
العلو أو من ينكرنى لدى الناس أنكره أنا لدى أبى الذى فى السموات فما قال
فى ذكر من ينكره من ينكرنى متبايدا لكنه قال من ينكرنى لان منكره
اذا صار مجردا من الموهبة ينكره ولعلك تقول فلم يشكى هذا ان كان انما
ينكره اذا أهمل فأقول لك ان اهماله انما يكون من جهته هو بعينه فان
قلت فلاجل أى غرض ما يكتفى منا بأن نؤمن به فى سريرتنا لكنه يطالبنا ان
نعترف به بفمنا أقول لك يحثنا بذلك للمجاهرة به والحب له والجنوح اليه أكثر
ويجعلنا عالين ولهذا السبب يفاوض بهذا الخطاب كل الناس وما يستعمل وجه
تلاميذه وحدهم لانه ليس يجعلهم وحدهم اشداء لكنه يجعل تلاميذهم
معهم شجعان متجلدين وذلك أن من قد عرف هذا الغرض فلا يعلم به بمجاهرة
فقط لكنه يقبل العوارض كلها بنشاط بايسر مرام لان تصديق هذا اللفظ
بعينه قد تقدم الرسل بأناس كثيرين لان تعذيبه أكثر لذعا فى تقدير العقوبة
ومكافاته أعظم قدرا فى تمييزا الخيرات واذ كان من يحكم الفضيلة يستكثره نهافى
تمادى زمانه ومن يقترف الخطيئة يظن انه يستفيد ربحا بتأخير عقوبته أورد

زيادة صنوف مكافاة الفريقين متعادلة وأليق مايقال أنه أوردها أكثر كثيرا وأعظم تكاثرا كما أنه قال استظهرت باعترافك بى ههنا أولا فال فلا أظهرت أنا عليك تخويلك الجزاء الاعظم وأعظم من ذلك بما يحتجز وصفه لانى ساعترف بك هنالك أرأيت العواقب الردية والحظوظ الصالحة مخزونة هنالك فلم تستعجل وتسارع مما بالك تبتغى ههنا أقسام المكافاة وانما تتخاص بتأميلك وارتجائك اياها فلهذا السبب ان عملت عملا صالحا ولم يستمد مكافاته ههنا فلا ترجف فان مكافاة عملك هذا ينتظرك فى الزمان المنتظر زيادة كثيرة وان عملت عملا خبيثا ولم تقابل عليه ههنا مقابلة عدله فلا تطمئن فان التعذيب ينتظرك هنالك ان لم تنتقل عنه وتصير أفضل مما كنت وان كنت تنكر هذا فاحذر من الحوادث ههنا على الحوادث المأمولة لانه ان كان الذين يعترفون بربنا هم بهذه الصورة فى زمان جهاداتهم بهيين متشرفين فتفطن من يكونون فى وقت أكاليلهم ان يكن اعداؤك ههنا يصفقون لك لفضيلتك فالاخلص من كافة الاباء ودا كيف مايستجيبك ويذيع شرفك لان هنالك يحصل لنا حينئذ مواهب اعمالنا الصالحة وتعاذيب افعالنا الردية فيجب من ذلك ان الذين يجحدون ربنا ينضرون ههنا وهنالك فينضرون ههنا اذ يعيشون بفطنة خبيثة وان كانوا ماقدماتوا بعد فسيموتون بلازم الاضطرار وهنالك يصطبرون على مقابلة فى غايتها والذين يعترفون به يربحون ههنا وهنالك ويجعلون موتهم ههنا متجرا ويكونون أبهى حسنا من الاحياء ويتمتعون هنالك بالخيرات المحتجز وصفها لان الله جل وعز ليس مستعدا لتعذيبنا فقط لكنه مع ذلك مستعد للاحسان الينا وهو مستعد للاحسان الينا أكثر من استعداده لتعذيبنا ولعلك تستخبر فلاى غرض ذكر الاحسان دفعة واحدة وذكر التعذيب دفعتين فاجيبك لانه قد عرف انهم بذكر التعذيب يكونون مرتعدين أكثر فلهذا السبب قال خافوا القادر أن يهلك نفسكم

وجسدكم فى جهنم وقال أيضا سأجده أنا وهذا العمل يعمله بولس الرسول
اذيذكر جهنم ذكرا متصلا ويدهش سامعه بهذه الاقوال كلها لانه قد فتح له سمواته
ونصب مجلس قضائه ذلك الرهيب وأوضح له مشهد ملائكته وأظهرا كاليله
فيما بينهم اظهارا كليا فى هذه الجهة لمعرفة شرف عبادته تبشرا كثيرا حتى
اذا صاروا خبثا يعاق انذارهم أمرهم بالاستعداد لذبحاتهم بعينها حتى
يعلموا أن الثابتين فى ضلالهم يقابلون مقابلة عدلة على اغتيالهم عليهم

العظـــــــــــــــــــــــــــة

فسبيلنا اذا ان نحتقر الموت ولو لم يحضرنا الوقت الذى يطالبنا باحتقاره لاننا انما
ننتقل الى حياة أفضل من هذه الحياة كثيرا افنحزن لان جسمنا يبلى
فلهذا السبب سبيلنا أن نفرح أكثر الفرح بان الموت يبليه ولا يهلك جوهر
جسمنا وبيان ذلك انك اذا أبصرت تمثالا يسبك ماتقول ان سبكه هذا
هلاكا له لكنك تسمى سبكه تسويما له واهو أفضل فافتكر هذا الافتكار فى
جسمنا ولا تنوح لانك حينئذ ينبغى أن تنوح على البقاء فى تعذيب ولعلك تقول
فقد كان واجبا أن يكون هذا التجديد لاجسامنا بدون أن تبلى وان تلبث
كاملة فاقول لك وهذا ما كان قد نفع الاحياء والمرتى الى متى نكون محبين
أجسامنا الى متى نتحبب فى الارض متلهفين الى الفى والظل لان هذا البقاء
ههنا ماذا ينفعنا وأليق ما يقال أى شئ يضرنا لان أجسامنا لو كانت ما أبليت
لكان أولا الصلف أعظم الشرور كلها قد ثبت عند كثيرين منا ولئن كان
هذا البلى قد حدث علينا وقد حصلت أجسامنا ما كلا للدود وكثيرون منا
كثيرا ما حكرا أن يكونوا آلهة فلو كان جسمهم باقيا ما الذى لم يكن قد حدث
مفسدا وثانيا لو كان جسمنا باقيا لما كان صدق أنه من الارض لانه ان
كانت غايته شاهدة بذلك وقد يرتاب فى ذلك أيضا مرتابون فلو كانوا ما يرون

نهايته

نهايته هذه ماالذى لم يكونوا قد توهموا فيه وثالثا لولم يبلى لكانت أجسامنا تحب شديدا ولكان أكثرنا قد صار أكثر شحما ولحما ولئن كانوا الآن يأتلفون بالقبور بعد أن تغيب تلك الاجسام فيها فما الذى ما كانوا قد عملوه لو حصلت لهم صورتها محفوظة ورابعا لو كانت أجسامنا ما تبلى لما ارتحنا لى الحظوظ المأمولة ارتياحا شديدا وخامسا لو كانت لا تبلى لكان القائلون أن العالم لا يفنى قد حققوا قولهم هذا أكثر تحقيقا وما كانوا قالوا أنه لا يوجد الاه مبدع وسادسا لو كانت لا تبلى لما كانوا عرفوا فضيلة انفسهم ولم توجد انفسهم حاضرة فى جسدهم وسابعا لو كانت لا تبلى لكان كثيرون من الذين قد فقدوا أهلهم يعزمون ان يهملوا المدن ويسكنوا المقابر وكانوا قد صاروا موسوسين يخاطبون أمواتهم خطابا دائما ولئن كان الناس يخترعون تماثيل اهلهم اذ ليس يمكنهم ان يضبطوا جسمهم لكنه يسيل وان كرهوا ذلك وينفسخ وهم متشبثون بدفوف فيها صورتهم فالذى ما كانوا قد احتالوا به حينئذ شيئا منكرا على حسب ظنى ان اكثرهم كانوا قد ابتنوا لهذه الاجسام الاموات هياكل واقنعوا الجن ان يتكلموا فى تلك الاجسام اقناعا بسببه يتحيلون بهذه الحيل وامثالها مع ان الذين يتجاسرون ان يهذروا الآن اقوال التعزيم التى ينسبونها الى الاموات يتعاطون افعالا كثيرة اشنع من هذه واقبح كم عبادات للاصنام ما كانت قد تولدت من هذه الجهة مع انهم يريدون ان يعملوا هذه الاعمال بعد ان تؤول اجسامنا غبارا ورمادا فالله عز وجل قد بطل هذه الشناعات كلها وعلمنا ان ننتزح عن الاشخاص الارضية كلها وابادا جسامنا الذى ألحاظنا وغيرها وذلك أن المحب الاجسام المتلهف الى جارية حسنة الصورة ان لم يؤثر أن يعرف بنطقه نعفن جوهرها ونتانته سيعرف ذلك ببصره بعينه لان جوارى كثيرات معشوقين فى سنهن توفوا وكن أبهى حسنا من غيرهن

وبعد يوم أو يومين أبرزن نقناوءة وقبحا افتفهم اذا أي حسن تحب والى أي حسن تصبو فلولم تبل أجسامنالم كان عرف تتنهاهذا على ماينبغي ولكان كثيرون من العشاق كما تحاضر الشياطين الى المقابر كذلك كانوا هم يحلسون عند القبور دائما قد اقتبلوا في أنفسهم شياطين وربما ماتوا سريعا بهذا الجنون الصعب تأثيره ولعمري أن هذه التعزية مع التعازي الاخرى كلها تعزي أنفسنا وهي الايستبين تمثال الجسم لنا وتسي داء حزننا ولولم تكن التعزية لما كانت قبور لكنك كنت تبصر المدن تحوي الموتى بدلا من التماثيل عندا يثار كل أحدنا أن يبصر الميت الذي له وكان تكون من هذه الجهة تشويش التخليط كثيرا ولا كان واحد من الناس الكثيرين يهتم بنفسه ولا كان ذلك قد سمح للكلام في زوال الموت بالدخول الى قلبه وقد كانت تكون شناعات اخرى كثيرة أشنع من هذه ليس ذكرها محمودا لهذا السبب تتعفن أجسامنا في الحين وتتهرى حتى تبصر حسن نفسك عاريا واثن كان جسمك قد أهل لحسن هذا تقديره ولحياة هذا مبلغها فنفسك أحق كثيرا بأن تكون أفضل من جسمك حسننا ان كانت تؤيد جسمك المتعفن هذا المستحيل الصورة وتشرفه فأولى بها أن تؤيد ذاتها أكثر لان ليس جسمنا هو غريزته الجيدة لذاته لكن اختراعه مايعمله وزهرة بهجته هما من النفس مادامت مقيمة في جوهرة فاحب اذا نفسك الذي يستبين أنها تجمل جسمك هذا الحال حاله وماءني ذكرى موت جسمنا لاني أبين لك في هذه الحياة كيف توجد الافعال الجيدة كلها لنفسنا وبيان ذلك أنها اذا قد حت اجتذبت من وجنتي جسمنا ورديتهما ومتى توجعت هي أخذت ذلك الحسن منهما وألبست وجهه كله سخطا وسوادا واذا ابتهجت ابتهاجا دائما صار جسمنا أوفر صحة وسرورا ومتى تالمت هي جعلت جسمنا أضعف من العنكبوت وأضوى واذا غضبت جعلت

جسمنا

جسمنا أيضا قبيح الصورة مهزوبا منه واذا أظهرت عينها ساكنة وهبت له حسنا عظيما واذا احسدت دفعت عليه صفرة ودبانا كثيرا واذا أحبت منعته ومنحته حسن صورته جزيلة فعلى هذا القياس نسوة كثيرات لم يكن حسنات الوجوه فاشتملن من نفسهن المسرورة حسنا جزيلا ونسوة آخرات أيضا كان حسنهن زاهرا واذا امتلكن نفسهن حزينة أفسدن حسنهن وتفطن أيضا كيف تجعل نفسنا لون وجهنا أحمر بعد أن كان ابيض وبتفنن لونه يجعل لذتها كثيرة اذا احتاجت أن تخجل وأن تستحى كما أنها اذا كانت فاقدة خجلها تجعل وجه جسمنا كريها اكثر كراهة من كل وحش لان ليس حسنا أحسن بهاء من نفس جيدة ولا يوجد ألذ منها حسنا وذلك أن الشوق فى أجسامنا يوجع واللذة فى أنفسنا نقية عديمة أن توجد متلونة متموجة فالك تهمل الملك الذى هو نفسك وتبهت الى المنادى الذى هو جسدك لم تترك الفيلسوف وتصبو الى ترجمانه أرأيت عينا حسنة فتأمل العين الباطنة فان لم تكن تلك الباطنة حسنة فتهاون بتلك الظاهرة لانك لو ابصرت امرأة قبيحة الصورة مشتملة نقابا جيدا لما أثر فيك منها تأثيرا كما انك لو رأيت حسنة الصورة جميلة لما احتملت أن يسترها نقابها لكنك كنت تقتلعه وتشاء أن تبصر حسنها عاريا فاعمل هذا العمل فى نفسك وتأملها هى أولا ولعمرى أن جسمنا يشمله حسنا من خارج سحنته فكذلك تلبث صورته هى تلك الصورة ونفسنا ان كانت قبيحة الصورة تقتدر سريعا ان تصير حسنة وان كانت عينها وحشة خشنة صعبة يمكنها ان تصير حسنة أنيسة ساكنة وديعة ورعة فسبيلنا ان نبتغى هذا الحسن ونزين به

وجهنا حتى يشتهى الاهنا حسننا ويعطينا خيراته الدهرية

بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى له

المجد والعز الى أباد الدهور آمـــين

المقـــــــالة الخامسة والثلاثون

لا تظنوا اني جئت لالقي سلاما على الارض ما جئت لالقي سلاما بل سيفا مت ١٠ : ٣٤

هاهو أيضا يذئ أقوالا أكثر من غيرها بزيادة كثيرة ويتقدم فيقول ما عزموا ان يقولوه جوابا له حتى اذا سمعوا هذه الاقوال يقولون لهذا الغرض جئت أنت اذا حتى تقتلنا وتقتل الذين يقبلون منا وتملأ الارض حربا قال هو أولا ما جئت لالقي في الارض سلامة ولقائل ان يقول فكيف أوعز اليهم ان يقولوا في كل بيت يدخلونه السلامة لهذا البيت وكيف قالت الملائكة المجد لله في الاعالي والسلامة في الارض وكيف بشرت كافة الانبياء بهذه السلامة فنقول له ان ما يعازه هذا هو سلامة أكثر فائدة اذ قطع هذا العضو السقيم اذ أفصل العزم المنشي الخاف لان على هذه الجهة يصير ممكنا ان تقترن السماء والارض اذ الطبيب من عادته على هذه الطريقة ان يسلم جسمنا اذا قطع منه العضو الذي لا يشفى والقائد على هذه الجهة يصون أصحابه اذا التقى الخلاف فيما بين الذين قد اتفقوا اتفاقا رديا وهذا الحادث فقد حدث في ابداع ذلك البرج وذلك ان منافرة مبدعيه الجيدة حلت سلامتهم الردية وأبدعت سلامة هذا المأخذ أخذ بولس الرسول ففرق الذين تظافروا عليه وذلك الاتفاق كان على نابوت كان أصعب حينئذ من كل حرب لان الالفة ليست في كل مكان جيدة اذ اللصوص من عادتهم أن يتفقوا مؤتلفين فليس هذا الفعل اذا من نيته هو لكن هذا الحرب من عزم أولئك لانه قد زادهم كلهم ان يأتلفوا في معركة شرف عبادته فلما صاروا أحزابا تكون

الحرب

الحرب بينهم الا انه ما قال هذا القول لكنه قال ما جئت لالقى سلامة مسليا
بذلك تلاميذه كانه قال لهم لا تظنوا انكم على هذه الحوادث فأنا هو الذى
أبدعها ولولا ذلك لم يكن هذا الحال حالها فلا ترتجفوا اذا كانت الحوادث
تحدث بخلاف مأمولكم فلهذا الغرض جئت حتى ألقى حربا لان هذه الارادة
ارادتى هى فلا ترتجفوا اذا حوربتم على انكم مغتالين على الارض فمتى
انفصل الجزأ الاشر حينئذ تقترن السماء فيما بعد بالجزء الافضل وانما
يقول هذه الاقوال داهنا اياهم مقابل توهم الكثيرين الخبث وما ذكر
حربا لكنه ذكر سيفا وهو أصعب من الحرب فعلا ولئن كانت هذه
الاقوال قد قيلت بلفظ أثقل الالفاظ كراهة فلا تستعجب ذلك لانه
شكل على هذا النحو كلامه لا يشاء ان يرون سمعهم بخشونة هذه الالفاظ
لئلا ينهزموا والصعوبة الافعال حتى لا يقول انه لاطفهم واقنعهم وستر ما يصعب
من الكلام لهذا الغرض ترجم ما ينبغى ان يقال على جهة أخرى أصعب الترجمة
وأثقلها لان نافعا لهم ان ينظروا الى الرفق فى الاعمال أفضل من ان ينظروا
الى اللطف فى الالفاظ ولهذا الغرض ما اكتفى بهذه الاقوال لكنه بسط نوع
هذا الحرب وأبان هذا المعنى انه أصعب من الحرب الناشئة من القبيلة بكثير
وقال انما جئت أفصل الانسان من ابيه والابنة من أمها والكنة من حماتها
كانه قال ليس يقوم الاصدقاء والناشئون من مدينة واحدة أحدهم على الآخر
فقط لكن المتناسبين معهم أيضا يثور بعضهم على بعض وطبيعة الناس
تنشق فى ذاتها لانه قال انما جئت أفصل الانسان من ابيه والابنة من أمها
والكنة على حماتها لان هذه الحرب على بسيط ذاتها ما تكون فى الانسباء
وحدهم لكنها تكون مع ذلك فيما بين أحب الناس اليهم وأجلهم عندهم
وذلك يبين مقدرته أكثر من كل شئ لانهم سمعوا هذه الاقوال واقتبلوها لهم
واستمالوا أناسا غيرهم الى اقتبالها على انه ليس بفعل هو هذه الافعال

لكن خبث أولئك يفعلها الا انه مع ذلك يقول انه هو يعملها الان الكاتب
هذه العادة عادته لانه قد قال فى موضع آخر أعطاهم الله عيونا ما تبصر وفى
هذا الموضع قال هذا القول حتى ما سبقت فقلت اذا تدربوا بهذه الالفاظ
لا ترتجفوا اذا عيروا وشتموا فان ظان ان هذه الاقوال ثقيلة فليتذكروا
الاخبار القديمة لانه قد عرض هذا العارض فى الازمان السالفة وذلك يبين
أكثر بيانا ان العهد العتيق يناسب الجديد وان هذا هو قائلهما جميعا
الذى أمر تلك الاوامر لان فى عصر اليهود حين قتل كل منهم قريبه حينئذ
شفى غيظهم فيهم وحين اخترعوا العجل وحين عبدوا بعل فاغور فأين هم
الآن القائلون ان ذلك الاله خبيث وهذا صالح لانه قد ملا اسكرنة من
دماء المتناسبين ولكن مع هذا الفعل يوجد عمل لتعطف جزيل ولهذا
الغرض بين انه هو المقتبل تلك الافعال ويذكر بنوه وان كانت ماقيلت فى
هذا المعنى الا انها مع ذلك تظهر هذا العارض بعينه وان سألت وما هى هذه
النبوة أجبتك هى ان أعداء الانسان أهل بيته لان فى زمان اليهود عرض
عارض هذه صفته لانه كان عندهم أنبياء وأنبياء كذبة وانشق مجمعهم
وقسمت منازلهم وكان بعضهم يصدقون هؤلاء وبعضهم يصدقون أولئك
ولهذا السبب وصاهم النبى قائلا لا تثقوا باصدقائكم ولا تتكلوا على
الرؤساء الذين يقتادونكم لكن احترس من قرينتك واحذر ان تفشى
اليها سرا فاعداء الرجل الرجال الذين فى منزله فقال هذه الاقوال جاعلا
المعتزم ان يقتبل هذا القول أعلى من جميع النوائب لانه ليس رديا ان تموت
موتا رديا لهذا المعنى قال انما جئت لالقى فى الارض نارا فقال هذا
القول يبين به شدة الحب الذى يطالبنا به لانه اذا احبنا حبا شديدا فكذلك
يريد منا ان نحبه فهذه الالفاظ دهنتهم وجعلتهم أعلى من غيرهم كانه قال
ان كان أولئك المتلمذين لكم يعتزمون ان يستحقروا نساءهم وابناءهم ووالديهم

فافطنوا

فافطنوا أنتم المعلمين أية حال يجب أن يكون حالكم لان المصاعب ما تقف
عند كم لكنها تتعير الى غيركم لانى قد جئت حاملا خبرات عظيمة أطالبكم
بطاعة عظيمة و بطريقة جليلة من احب أبا أو اما أكثر منى فلا يستحقنى
ومن يحب ابنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى ومن لا يأخذ صليبه و يتبعنى فلا
يستحقنى أعرفت رتبة معلمنا أرأيت كيف قد أظهر ذاته ابنا خالصا لابيه
اذ أمرنا بترك الاشياء كلها وان نفضل حبه عليها كلها ومعنى ذكرى أصدقاء
ومجانين ان فضلت نفسك على محبتى فلست من تلاميذى ولعلك تقول
فما رأيك أليست هذه الاوامر ضد ما ورد فى العهد العتيق فأقول لك كلا فانها
موافقة له جدا لانه ما يأمر هنالك الا بمقتوا الذين يعبدون الاصنام فقط لكنه
يأمرهم مع ذلك ان يرجموهم بالحجارة واذا استجلهم فى فرائض تبين اشتراعه
قال من قال لابيه أو لامه ما رأيتكما وقال لاخوته لست أعرفكم وأنكر ابناه
فقط فقد حفظ أقوالك ولئن كان بولس الرسول يذكر فى اكرام الوالدين
أقوالا كثيرة و يأمر البنين ان يطيعوهم فى كل حال فلا تستعجب ذلك
لانه انما أمرهم ان يطيعوهم فى تلك الاوامر وحدها التى لا تضر بشرف
دينهم لان يجب ان تقدم كافة الاكرام لهم واذا طالبونا بأكثر من
الاكرام الواجب لهم فما ينبغى لنا ان نقبل منهم ولهذا السبب قال لوقا
البشير ان أتى الى أحد الناس ولا يمقت اباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته
ونفسه أيضا فلا يمكنه ان يكون تلميذا لى فما أمران يبغضهم على
ذات البغض والاصار هذا الافتراض منحرفا عن شريعته جدا لكنه
قال اذا أراد أبوك ان تحبه أكثر منى فامقته فى هذه الجهة لان هذا
الحب يهلك المحبوب بعينه والمحب فهذه الاقوال قالها جاعلا بها البنين أوفر
شجاعة والاباء العازمين ان يمنعوهم من حبه أكثر وداعة عند نظرهم
انه يمتلك قوة ومقدرة قد انتهى مبلغها الى ان فصلت منهم أولادهم اذا

ارادوامنهم مطالب ممتنعة وقد قصدوا أن ينتزحوا عنهم فكذلك ترك هؤلاء وقصد بكلامه الآخرين معلما اياهم الا يطلبوا منهم ما ارادوه مما هو ممتنع حتى لا يغتاظ أولئك ولا يستصعبون قوله انظر الى أين قدم كلامه لانه لم يقل من لا يمقت أباه وأمه فقط بل قال ونفسه أيضا لانه قال ما بالك تذكر والديك واخوتك واخواتك وامرأتك ولا يوجد شئ أخص بك من نفسك الا انك مع ذلك ان لم تمقتها ستقاسي اضداد هذه النعم التي ينالها من يحبني كلها وما أمرنا ان نمقتها على بسيط ذات المقت لكنه أوعزان نبذلها للحرب والى القتالات والى الذبحات والدماء لانه قال من لا يحمل صليبه ويجئ وراءى لا يقدر أن يكون تلميذي وما قال على بسيط ذات القول انه ينبغي له ان يستعد للموت لكنه قال يجب عليه ان يترتب للموت الغاصب وليس يستعد للموت الغاصب فقط بل لموت العار وليس يخاطبهم بعد في ذكر تألمه خطايا حتى اذا تأدبوا بأقواله هذه عاجلا يقبلون الكلام في ذكر تألمه أسهل قبولا أما ترى هذا انه موجب للتحير والذهول كيف اذ سمعوا هذه الاقوال وما طارت أنفسهم من جسمهم اذا كانت العوارض الجارية في كل مكان في أيديهم والحظوظ الصالحة في تأميلهم وقدرة الناطق بهذه الاقوال كانت كثيرة وحب سامعيه كان جزيلا فكذلك اذ سمعوا أقوالا أثقل احتمالا وأصعب من الاقوال التي سمعها أولئك الرجال المعظمون بكثير الذين هم موسى وارمياوايليا ولبثوا خاضعين لا يعاندونه بقول منها وقال من يجد نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه لاجلي يجدها أعرفت كم هو ضرر الذين يحبونها زيادة عن الواجب وكم هو ربح الذين يمقتونها لان أوامره اذا كانت ثقيلة اذ أمرهم ان يحاربوا والديهم وبنيهم وطبيعتهم ومجانستهم المسكونة ونفسهم بعينها رتب الجزء النافع لهم أخيرا لانه قال ليس عجيبا ان هذه الاوامر لا تضرك لكن أعجب من ذلك انها تنفعك أعظم المنافع

ولعمرى ان اضدادها تضرك وهذا العمل فهو يعمله فى كل مكان من الاشياء التى يشتهونها منها تفيدهم كانه قال لما تشاء ان تهاون بنفسك فانك تحبها فلهذا السبب تهاون اذابها فحينئذ تنفعها أعظم المنافع وتظهر أفعال من يحبها وتأمل فهمه الذى لا يوصف لانه ليس يريد بكلامه هذا الاعراض عن الوالدين فقط ولا عن البنين لكنه يريد به أيضا الاعراض عن نفسنا التى هى أخص الاشياء بنا حتى يصير ذلك القول غير موجب للريب والشك ويعرفون انهم على هذا الحال ينفعون أولئك أعظم المنافع مع ان هذا العارض يعرض لنفسنا التى هى أشرف الاشياء كلها وهذه الاقوال كانت كافية لاقناعهم ورضاء العتيدين ان يقبلوهم لان من الناس لا يقبل بكل فرح أولئك الصناديد الجاثلين المسكونة كسباع المحتقرين الاشياء كلها والعوارض بجملتها ليخلصوا اناسا آخرين غيرهم لكنه مع ذلك قد رسم ثوابا آخر موضحا انه يهتم اهتماما كثيرا بالذين يضيفونهم ويخولهم التكريم مقدما بقوله من يقبلكم يقبلنى ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى وهذا الحظ فما الذى يماثله ويعادله حظ من يقبل الاب والابن وقد وعدهم مع هذا بمكافأة أخرى لانه قال من يقبل نبيا باسم نبى سيأخذ ثواب نبى ومن يقبل رجلا عدلا باسم انسان عدل يستمد ثواب انسان عدل ولعمرى انه فى كلامه السالف قبل هذا يهول على الذين لا يقبلونهم بالعذاب الا انه فى هذا الكلام يرسم لهم تنعما بخيراته ولكى تعلم أنه يهتم بهم كثيرا ماقال على بسيط ذات القول من يقبل نبيا أومن يقبل انسانا عدلا لكنه استثنى بقوله باسم نبى وباسم عدل وهذا معناه من يقبل الوارد اليه ليس لاجل غاية عالمية ولا من أجل غرض آخر من الاغراض الفانية لكنه يقبله على انه نبى أو رجل عدل سيأخذ ثواب نبى وثواب رجل عدل على مثال الثواب الواجب أن يأخذه من يقبل نبيا أو رجلا عدلا

أو على حد ذو الثواب الذي توقع ذاك المقتبل ان يأخذه وهذا قد ذكره بولس الرسول فقال حتى تكون فضيلتكم لعون أولئك لتصير فضلة اولئك لعوزكم ثم لئلا يصدر احد الناس فقره قال ومن يسقي واحدا من هؤلاء الصغار كاس ماء بارد باسم تلميذ فقط اقول لكم حقا انه ما يضيع ثوابه كانه قال اعط في موضع لا يوجد لك وجه فيه ان تنفق شيا ولو قدح ماء بارد فقد ثبت لك ثواب هذا لاني من اجلكم القائلين اعمل هذه العواطف كلها اعرفت باي عواطف استمال القائلين وفتح لرسله بيوت المسكونة كلها لانه أراهم بكافة أقواله هذه انهم غرمائهم بقوله أولا ان الفاعل مستحق أجرته وثانيا بارساله اياهم لا يمتلكون شيأ وثالثا ببذله اياهم للقتال والحروب لاجل الذين يقبلونهم ورابعا بتخويله اياهم آياته وعجائبه وخامسا بايراده الى منازل الذين يقبلونهم بفمهم سلامه الذي هو علة الخيرات كلها وسادسا بتهويله على الذين لا يقبلونهم بنوائب أصعب من نوائب سدوم وسابعا باظهاره الذين يقبلونهم يقبلونه واباه وثامنا بوعده اياهم بثواب نبي وعدل وتاسعا الاقتبال لهم لقدح ماء بارد أنواعا عظيمة من المكافأة فكل صنف من هذه الاصناف فيه على انفراده كفاية ان يجتذبهم قل لي من يبصر قائدا مثخنا بجراحات كثيرة متخضبا بدمائه عائدا من الحرب والنزال بعد الظفر العظيم كثيرا ولا يقبله ويفتح له ابواب منزله

العظـــــــــــــة

ولعلك تقول ومن هو الذي هذا الحال حاله فاقول لك جوابا لهذا السؤال أضاف الى قوله باسم تلميذ ونبي وعدل لتعلم انه قد رتب الثواب ليس لرتبة الوارد لكنه اغار تبه لعزم ضايفه لانه تكلم ههنا في قبول أنبياء وعدول وتلاميذ وفي موضع غير هذا يامر بقبول المطروحين جدا ويعاقب

الذين

الذين لا يقبلونهم لانه قال اذا كنتم ما فعلتم احسانا الى واحد من هؤلاء الحقيرين فما فعلتم ذلك بي ويقول أيضا خلاف هذا القول للذين أحسنوا اليهم ان الآتي مستحقا وان كان لم يظفر ظفرا هذه صفته فهو انسان قاطن معك فى هذه الدنيا باصر هذه الشمس بعينها وله نفس شبيه بنفسك بعينها وسيده هو سيدك بعينه وهو مشارك لك فى أسرار واحدة باعيانها مدعو معك الى السماء نفسها وفقره مشتمل حجة عظيمة وحاجته الى طعامه التى تدعوه الضرورة اليه صادقة واجبة ولعمرى أن الذين ينهبونك فى أوان الشتاء بزمورهم وصفيرهم ويشتغلون شغلا باطلا مذموما يأخذون منك صلاة كثيرة وينصرفون والذين يحملون المعازف والعيدان جاثين والمستهزئون الماجنون بكل من يلتقيهم باشنع الكلام وبما كونهم يأخذون أجرة لهذه الحكاة والاقوال الكاذبة واذا قصدك فقير محتاج الى خبز ينال منك مثالبا كثيرة وصنوفا من القرف والتجنى عليه ببطلانه وضروبا من الشتائم والمهازى وما تفتكر فى ذاتك أنك أنت طالما تطلب فيعطيك الله مع ذلك أمانتك منه ولا تقل لى هذا القول انك تعمل أنت عملا لكن أرنى ذاك المطلوب ان كنت تعمل عملا من الاعمال اللازمة الضرورية فان ذكرت لى اجتهادك فى تكثير أموالك ومكاسبك واهتمامك بالموجودات لك وتضعيفها أقول لك أنا ان هذه التى ذكرتها ليست أعمالا لكن الاعمال انما هى الصدقات والصلوات والاعتناء بالمظلومين وماشابه ذلك وهذه فنحن كل حين عائشون فى البطلان منها الا أن ألهنا ما قال لنا فى وقت من الاوقات لانك بطال لست أشرق لك الشمس واذ كنت ما تعمل عملا من الاعمال الضرورية لاطفين عنك قمرى لاسدن لديك بطن أرضى لامنعن فيض بحيراتى وعيونى وأنهارى لاغيبن هوأى لاضبطن عنك أمطارى السنوية لكنه يهب لنا خيراته كلها بسعة واسعة ويهب التمتع بخيراته هذه لاناس

ليسو بطالين من الاعمال اللازمة فقط لكنهم مع ذلك عاملين أعمال الاخبيثه
فاذا رأيت اذا رجلا فقيرا واوقات أننى أختنق غيظا لان هذا حدث معافى صحيح
ليس هذا بضو به مرض يريد أن يغتذى باطلا وربما كان عبدا وقد
انفلت هاربا وأهمل سيده جائلا فهذه الاقوال التى قد ذكرتها قلها أنت
لذاتك وأفضل من ذلك أن تحول ذلك الفقير أن يقول لك هذه الاقوال
بمجاهرة ويخاطبك خطابا أبلغ احتجاجا انى أختنق عليك غيظا لانك صحيح
الجسم وأنت بطال وماتعمل عملا من الاعمال التى أمرك الله بفعلها
لكنك قد هربت من أوامر سيدك جائلا كمقيم فى غربة ثابتا فى رذيلتك
سكرانا ترتعش رأسك من الخمر سارقا خاطفا قالبا بيوت اناس آخرين
أنت تلومنى على بطالتى وأنا أذمك على أعمالك الخبيثة اذا اغتلت اذا
خالفت اذا كذبت اذا حلفت ما ليس لك اذا عملت قبايح عديدة
هذه صفتها وهذه الاقوال أقولها ليس مشترعا لكم بها أن تبطلوا لا سمح الله
لكننى أقولها مريدا أن تكونوا كلكم ثابتين فى أعمالكم لان البطالة
قد علمت كل رذيلة فاسألكم الا تكونوا عديمى الرحمة ولا تكونوا
قساة لان بولس الرسول بعد أن ذم البطالة باقوال كثيرة وقال من لا يشاء
أن يعمل عملا فلا يأكل خبزا ما وقف عند هذا القول لكنه أضاف
اليه وأنتم اذا عملتم العمل الصالح فلا تضجروا مع أن هذه
الاقوال هى اضداد لانك ان كنت قد أمرتهم الا يأكلوا فكيف يوصينا
باسعافهم فيجيب و يقول نعم قد أمرتكم ان ترتجعوا عنهم ولا تخالطوهم
وقلت لكم أيضا لا تحسبوهم اعداءكم لكن نبهوهم واعذلوهم ولست
مشترعا أوامر مضادة لكنها متفقة جدا لانك اذ كنت انت عامل للرحمة
فستخلص ذلك الفقير من بطالته سريعا وتتخلص أنت من قساوتك ولعلك
تقول الا انه يكذب كذبا كثيرا ويخترع حججا فاقول لك لكنه فى هذا الوجه

أهل

أهل لان ترحمه لانه قد تسكع فى شدة هذا تأثيرها أوصلته الى أن يتوقع بهذه
الفنون وأمثالها فنحن لا نرحمه فقط لكننا نردم عليه تلك الالفاظ
الجافية قائلين له أنما قد اخذت دفعة ودفعتين فاجيبك أنا نائبا عنه أنما
يحتاج أيضا اذ قد اغتذى دفعة واحدة فلم لا تشترع لبطنك هذه الشرائع
وتقول لها قد امتلأت أمس وأول أمس فلا تطلبن الان طعاما لكنك توعب
بطنك ايعابا زائدا على مقدار حاجته وترد هذا الفقير اذا طلب منك ما يكفيه
فلهذا المعنى يجب عليك ان ترحمه اذ تضطره الحاجة أن يتقدم اليك كل يوم
ولئن كان لا سبيل له من جهة اخرى الى أن يستعطفك فلهذا السبب سبيلك
ان ترحمه لان شدة فقره تكلفه وتلزمه ان يفعل هذه الافعال وما نرحمه
لانه يسمع هذه التقريعات وما يخجل لان شدته أقوى منها تأثيرا وأنت لست
مع ذلك لا ترحمه فقط لكنك مع ذلك تشهره فاذ قد امرك الله عز امره ان
تعطيه سرا قد وقفت تشهر من قد لجأ اليك وتعيره بالفنون التى كان يجب
عليك ان ترحمه لاجلها فان كنت ما تشاء ان تواسيه فما بالك تشكره
وتثلبه وتفتت نفسه الشقية قصدك طالبا يديك كقاصد الى المينا فما
رأيك فى ان تهيج عليه امواجا وتخترع له شيأ أصعب مراسا ما غرضك فى ان
تذم زوال خيراته وتلومها ولعله لو كان توقع ان يسمع اقوال تعييرك هذه لما
كان اقترب اليك وان كان قد تقدم علمه بها والتجأ اليك فلهذا الغرض قد
استوجب ان ترحمه وان ترتاع من جفاوتك لانك ما صرت او فرحتنا عليه
بعد نظرك الى شدته النازلة عليه المتعذر انفكاكه منها ولا ظننت ان حاجة
جوعه كافية له للاحتجاج عن توقحه لكنك تشكوه بالتوقح على انك
انت تتوقح اعظم منه فى احوال ربما هى ردية مذمومة لان توقح ذلك
فى هذا الوجه يغتفر له ونحن طالما عملنا اعمالا مستحقة لتعذيب وتوقع
وقد كان واجبا علينا اذا فهمناها ان نتذلل ولا نفتخر بها ولا الاشقياء فهم

يقصدوننا طالبين ادوية فنزيدهم جراحات فان كنت ما تشاء ان تعطيه شيأ
فاغرضك من جرحه بتعييرك ان لم تشاء ان تهب له شيأ فلم تشتمه ولعلك
تقول الا انه ما يؤثر ان يتعدعني على جهة غير هذه فاقول لك احمل اذا على
حسب ما امرك به ذلك الحكيم جاوبه بدعة ووداعة اجوبة السلامة والرفق
فانه ما يتوقع بهذه الفنون طائعا لانه لا يوجد ولا يمكن ان يتوقع انسان على
بسيط ذاته بايثاره ولو ما حكى اقوام دفعات كثيرة لما استجزت انا ان اتيقن
هذا في وقت من زماني ان انسانا عائش في سعة وثروة يختار ان يتسول فلا
يخدعنا خادع فان كان الرسول بولس يقول ان لم يشاء احدكم
ان يعمل فلا يا كل فانما يقول لاولئك وليس يقول هذا القول لنا لكنه
يقول لنا ضد ذلك اذا عملتم عملا محمودا فلا تتضجروا ونحن نعمل هذا العمل
في منزلنا اذا خاصم اثنان احدهما رفيقه ناخذ كلا منهما على انفراده
فنعدله بخلاف ما يعدله الاخر وهذا العمل فقد عمله الله عز وجل وموسى النبي
لانه قد قال لله ان صفحت عنهم خطيتهم فاصفح والا فامحني واوعز اليهم
ان يقتل بعضهم بعضا واهملهم كلهم ومع ذلك فهذان القولان ضدان
الان كلاهما قد صارا الى نهاية واحدة والله عز وجل قال لموسى واليهود
يسمعون اتركني اهشم هذا الشعب وائن كانوا ما حضروا حين قال الله
لموسى هذه الاقوال لكنهم توقعوا ان يسمعوها فيما بعد ووصى بعد ذلك
موسى على انفراده باضداد هذه الالفاظ التي قد استغاث منها موسى فيما بعد لما
اشتدت عليهم مرارتهم وقال هذا القول العلني أنا أقبلهم في جوفي لانك
تقول لي أحملهم كما تحمل المربية الرضيع على حضنها وهذه الافعال تصير
في المنازل وطالما انتهر الاب منا مؤدبا ابنه وقال له على انفراده اذا شتم
الصبي لا تكونن خشنا ولا صعب الخطاب ويقول للصبي اضداد هذه الاقوال
احتمله ولو شتمك ظلما فيحصل من القولين الضدين فعلا واحدا نافعا وهذا

الفعل

الفعل أخذ بولس الرسول قال للذين هم أصحاب الاجسام ويتسولون أذا
كان أحدكم مايشاء أن يعمل فلا يأكل وقال للذين يمكنهم أن يرحموا واذا
انتم عملتم العمل الصالح فلا تتضجروا ليقتادهم الى الصدقة وهذا المسلك
سلك فيه حين عاتب الذين آمنوا من الامم وأمرهم فى رسالته الى أهل رومية
الا يترفعوا على اليهود فى بصائرهم وأورد الى وسط كلامه الزيتونة البرية
ويستبين أنه يخاطب هؤلاء بأقوال غير التى يخاطب أولئك بها فلا تتكردس
الى الجفاء والقساوة لكن سبيلنا أن نسمع من بولس القائل اذا عملتم العمل
الصالح فلا تتضجروا ونسمع من سيدنا القائل أعط كل من سالك وكونوا
رحماء مثل أبيكم على انه قد قال أقوالا كثيرة وما قال هذا اللفظ البتة
لكنه تكلم فيما سلف فى رأفاته فقط لانه لا يوجد فعل يجعلنا معادلين لله مثل
احساننا الى المحتاجين ولعل قائلا يقول لكن لا يوجد أحد أقل استحياء من
فقير فأقول له قل لى لم قلت ذلك ويمكن أن تقول لى لانه يصيح بحاضر
فاجيبك أتشاء أن أبين لك اننا نحن أقل استحياء من اولئك الفقراء وأنقص
خجلا جدا أتذكر لى فى أوان الصوم لما قدمت لك المائدة عند
المساء واستدعيت الغلام الذى يخدمها فمشى مشيا أبطى قليلا
كم مرة قد اقتبلت كلما علمها واهنته وشتمته وثلبته بسبب ابطاء يسير على
انك قد عرفت يقينا انك وان كان ليس فى ذلك الحين بل بعد مدة يسيرة
تتمتع بالاكل ولا تسمى ذلك توقحا عند تمرك من أجل ما ليس ذنبا وتدعو
الفقير المرتاع المرتعد لاجل أعظم حوايجه وليس ذلك لاجل تأخير طعامه
لكن الخوف عنده كله بسبب جوعه قاسيا متوقحا فاقد الخجل وتثلبه
المثالب القبيحة كلها فكيف لا تكون هذه السجية من الوقاحة غاية الا اننا
ما نفطن فى عيوبنا هذه وكذلك نستثقل أولئك الفقراء لاننا لو تصفحنا عيوبنا
وقابلناها بافعال أولئك لما كنا نستثقلهم ولا ننكرهم فلا تكونن قاضيا

متنمرا لانك وان كنت متخلصا من الخطايا كلها فما أوعزت اليك شريعة آلهك هذا الايعاز ان تكون على افعال غيرك قاضيا مستقصيا لان ذلك الفريسى ان كان لاجل هذا الفعل هلك فأى اعتذار لنا نحن فان كان المشترع لم يأمر الذين قد أحكموا الفضائل ان يستفحصوا افعال غيرهم استفحاصا بليغا مكروها فأولى به كثيرا انه لم يأمر المذنبين بذلك فلا نكون اذا قساة جفاة لا نكونن فاقدى الود والرفق والمسالمة لا نكونن أشر من الوحوش لانى قد رأيت كثيرين وصلوا فى تمرهم الى هذا الحد حتى انهم بسبب كسل يسير تغافلوا عن الجياع وقالوا هذه الاقوال ما قد حضر الآن عندى غلامى نحن بعيدون من دارنا لا يوجد عندى غلام معروف يخدم مائدتى فانظر لهذه القساوة بغد ما هو أعظم وما تمم ماهو أنقص حتى تمشى أنت مسافة يسيرة يضوى ذلك بجوعه تبا لهذا التعظم وبئس لهذا الصلف لانك لو كنت تحتاج ان تمشى عشرة غلوات أوجب من ان تكسل وما تفطن ان الثواب يصير لك على هذه الجهة أعظم لانك اذا أعطيت الفقير شيئا انما تأخذ الثواب عما تعطيه فقط واذا مشيت أنت يحصل لك أيضا مكافأة عن مشيك اذ كنا لهذا الفعل نستعجب ابراهيم رئيس الاباء لانه هو حضر الى البقر وتناول العجل منها وفعل ذلك وكان يملك ثلثمائة وثمانية عشر غلاما يجلسون فى مجلسه الا أن أناسا فى وقتنا هذا مملوؤون صلفا جزيلا مبلغه قد انتهوا فيه الى ان يعملوا أعمال الصدقة بأيدى غلمانهم وما يخجلون ولعل أحدهم يقول لى أفما تأمرنى ان أتمم هذه الافعال بذاتى وكيف لست أظن معجبا بمواساتى فأقول له الا انك الآن تعمل هذا العمل لاجل الفخر والعجب فاذا خجلت ان تظهر مخاطبا الفقير لكننى لست أصرفك فى هذه الافعال فاعط اذا أما بذاتك وأما بغيرك ولا تشكون الفقير ولا تنتهره ولا تثلبه فان المستمنح يحتاج أدوية ليس جراحات ويبتغى رحمة وليس سيفا ومع ذلك فقل لى لو رمى أحد الناس بحجر

وجرح فى رأسه وترك باقى الحاضرين كلهم وبادر الى ركبتيك متخضبا
بدمه أتراك كنت تضربه بحجر آخر وتز يده على جرحه جرحا فلست أظن
أنا انك تفعل ذلك لكنى أقول انك تريد ان تتلافى جرحه وتداويه فما بالك
تعمل بالفقراء اضداد ذلك اما عرفت ما يقدر الكلام عليه ان ينهض ويهبط
لانه قال ان كلمة أفضل من عطية أوما تفتكر انك انما تدفع السيف عن ذاتك
وتكون فيك جراحه أصعب تأثيرا اذا شتمت الفقير وانصرف صامتا
متحسرا باكيا بكاء غزيرا لان الله أرسله اليك وأمرك ان تعطيه وأنت
ذلم تعطه فقط لكنك مع ذلك شتمته لما جاء اليك فان كنت تستجهل افراط
شناعة فعلك فتأمل ذاك من الناس فتعلم حينئذ علما يقينا جسامة
خطيئتك لانك ان أمرت غلامك ان يذهب الى غلام آخر فيأخذ منه فضة
كانت لك عنده فعاد ليس بيدين فارغتين فقط لكنه عاد مع ذلك مشتوما
فالذى كنت تهمل من العقوبة فلا تعاقب من شتمك من مقابلة عدله
ما كنت تقابله بها معتمدا انك أنت هو المشتوم هذا الافتكار افتكره فى الهنا
الحكيم لانه هو يرسل الفقراء الينا ونحن نعطيه الاشياء التى له ان أعطيناهم
فاذا كنا لم نعطهم بل نصرفهم مشتومين فتفطن اننا انما نعمل عملا موهلا
لصواعق كثيرة ونقم جزيلة فهذه كلها اذا افتكرنا فيها فسبيلنا ان نلجم
لساننا ونحذف زوال انسانيتنا ونمد الى الصدقة أيدينا ونسلى المحتاجين
ليس بأموالنا وحدها لكن نعزيهم معها بأقوالنا حتى نفوت
العذاب الناتج من ثلبنا اياهم ونرث الملك الناتج
من الصدقة ومن تبريكهم بنعمة ربنا
يسوع المسيح وتعطفه الذى له المجد
والعز والاكرام الى أباد
الدهور آمين

المقـــــــــالة السادسة والثلاثون

ولما استتم يسوع ترتيبه لتلاميذه الاثنى عشر انتقل من هنالك ليعلم وينـــذر فى مدينتهم

مت ١١ : ١

لعمرى انه لما أرسلهم توارى بعد ذلك عنهم وخولهم فسحة ووقتا يعملون فيه ما أمرهم به لانه عند حضوره واجتراحه الشفاء ما كان يشاء أحـد القاصدين ان يدنوا من تلاميـذه ولما سمع يوحنا فى الحبس أعمـال يسوع أرسل اليه اثنـين من تلاميذه واستخبره قائلا أنت هو الوارد أم ننتظر غـيرك وقد قال لوقا الرسول ان هؤلاء التلاميـذ أخبروا يوحنـا بالآيات وبعد ذلك أرسل اثنين منهم الان هذا القول لا يحوى من الشك صنفا لـكنه يحوى نظرا واحدا لان هـذا القول يظهر حسدهم لربنا وما يتلوا ذلك فهو من المباحث المطلوبة وهو قوله أنت هو الوارد أم ننتظر غيرك لان العارف به قبل اتيانه الى العالم من الروح السامع من الاب الذى أشار به لدى جماعـة الحاضرين يرسـل الان اليه الان مستعلما منه ان كان هو ام لا وأنا أناجيه فأقول ان كنت ما عرفت انه هو وهو معرفة واضحـة فـكيف تظن انه موهل لتصـديقه اذا أبان الجواب عن اسرار مجهولة لانك أنت الشاهد لاناس آخرين سبيلك ان تـكون موهلا للتصديق ألست أنت الذى قلت لست كفوا ان أحـل سيور حذائه ألست أنت الذى قلت انى ما كنت أعرفه لـكن الذى أرسلنى أعمد بالماء ذاك قال لى ان من ترى الروح منحدرا عليـه فـذاك هو الصابـغ بروح

القدس

القدس أفلم تبصر الروح بصورة حمامة أولم تسمع صوت أبيه ألست أنت
الذى منعته قائلا أنا شديد الحاجة ان تعمدنى أنت أفلم تقل لتلاميذك
ذاك ينبغى له ان ينمى وأنا ينبغى لى أن أنقص أو لست أنت الذى علمت الجميع كله
انه هو يعمدهم بروح القدس وبنار وان هذا هو حمل الله الحامل خطية
العالم ألست قبل اجتراحه آياته اذعت هذه الاقوال كلها لتلاميذك
فكيف حين صار الآن واضحا عند كل الحاضرين وشاع خبره فى كل مكان
وصل اليه وأنهض به أموات وطردت به شياطين وحدث اعلان آيات جزيل
مبلغها ترسل حينئذ تستعلم منه ما الذى جرى أفهل تلك الايات كلها كانت
خدعة ولعبة وحديثا وهل يصح عقلا أن تقول هذا القول لست أقول
فيك هذا يا يوحنا الذى تحركت فى أحشاء أمك والذى ناديت به قبل امخاض
الطلق به يا من البرية مدينته يا مظهر طريقة الملائكة ولكن لو كان
واحدا من الناس الكثيرين ومن المرفوضين جدا لما كان بعد شهادة هذه
مبلغها من ذاته ومن آخرين غيره ارتاب متشككا فمن هذه الجهة استبان
واضحا انه لم يرسل اليه مرتابا ولا استخبره مستجهلا لانه لا يسوغ لاحد الناس
أن يقول ذلك القول انه قد عرفه معرفة بينة وصار بسبب حبسه واعتقاله
أوفر جزعا لانه ما توقع من هذه الجهة انه يخلص ولو كان توقع ذلك لما كان أسلم
شرف عبادته وهو المترتب للميتات لانه لولا انه كان مستعدا لهذا الموت لما
كان أظهر شجاعة جزيلا تقديرها الذى جمع كامل معتاد سفك دماء الانبياء
ولا كان وبخ فى وسط مدينة وسوقها ذاك الغاصب القاسى بمجاهرة هذا
مبلغ تقديرها كمن يوبخ صبيا صغيرا اذا انتهره انتهارا شديدا وكافة الحاضرين
يسمعونه فان كان صار أوفر جبانة فكيف ما خجل من تلاميذه من الشهادات
الجزيل تقديرها التى شهد للمسيح بها لكنه استخبره بهم اذ وجب أن لا يستخبره
بغيرهم على انه قد علم علما يقينا انهم قد حسدوه وكانوا تائقين أن يجدوا

عليه علة وكيف ما استحى من محفل اليهود وقد نادى شهادات هذا مبلغها عنه
بحضرتهم وما الذى حصل له من هذه الجهة من فائدة أكثر نفعا من غيرها توصله
الى التخلص من عقالاته لانه ما كان معتقلا بسبب المسيح ولا لاجل انذاره
باقتداره لكن اعتقاله انما كان بسبب طعنه على التزويج الزائغ عن
الشريعة فلو كان عرض له ذلك من أى صبي معتوه وانسان مجنون ما كان
قد اشتمل لذاته ظنا به فان قلت فما هو هذا الاستخبار الذى اخترعه أجيبك
ان الدليل على ان هذا الاستخبار ليس هو ارتيابا من يوحنا ولا من رجل
أحقر منه ولا ينسب ولا الى انسان جاهل معتوه فواضح مما قد قيل فينبغى
الان أن نورد حل ذلك واذا قلت لى فلم أرسل مستخبرا أجبتك لان تلاميذ
يوحنا كانوا يسرعون فى تجاوزهم يسوع وهذا فهو واضح فى كل مكان
ينسب اليهم حتى قد استحود عليهم حسد اله وذلك انه بين مما قالوه لمعلمهم لانهم
قالوا له الذى كان معك جائز فى الاردن الذى شهدت أنت له ها هو يعمد وكافة
الجموع التى سمعت به يتقاطرون اليه وقد قيل أيضا ان مناظرة تلاميذ يوحنا
صارت مع اليهود من أجل التطهير وهم أيضا قد اقتربوا الى يسوع وقالوا له
لماذا نحن والفريسيون نصوم كثيرا وتلاميذك لا يصومون لانهم
ما كانوا عارفين من كان المسيح لكنهم توهموه انه مجرد انسان عظيم وظنوا
يوحنا أعظم من انسان فاذا بصروا هذا موفقا انضموا لذلك وأبصروا ذاك
كمعلمهم على ما ذكره وحامل لذكره متناقصا واعتقادهم هذا منعهم من التقدم
الى المسيح لما حجز الحسد انقيادهم اليه فالى حين كان يوحنا معهم لبث
يلاطفهم ويعلمهم كل حين وما استمالهم ولا على هذه الجهة عن غيرتهم فلما
اشرف أن يستكمل حياته حرص حرصا كثيرا فى استصلاحهم لانه خشى
الا يستبقى أصلا لاعتقاد خبيث ويلبثون منفصلين عن المسيح لانه هو اجتهد
منذ ابتدء ظهوره أن يقدم اليه تلاميذه كلهم فاذا ما أقنعهم أن يفعلوا هذا

اورد نشاطا كثيرا فى ذلك حين اشرف ان يقضى اجله لانه لو كان قال لهم
اذهبوا اليه فانه هو افضل منى لما كانوا قبلوا منه وهم يستصعبون مفارقته
ولكن اذ قال هذه الاقوال قد ظنوه انه انما يذلل ذاته وكانوا قد تشبثوا به
اكثر ولو كان صمت ايضا لما كان حدث لهم حادث أكثر نفعا فكذلك تصبر
الى ان يسمع منهم ان يخترع عجائبه فلم يعظهم على هذه الجهة ولا ارسلهم
كلهم اليه لكنه ارسل اثنين الان عرف انهما اسرع من جماعتهم قبولا
حتى يزيل التهمة عن سؤالهما وحتى يتعلموا من الافعال مقدار ما بين
يسوع وبينه وقال لهما اذهبا اليه وقولا له انت هو الوارد ام ننتظر غيرك واذ
عرف المسيح الهناء عزم يوحنا ما قال انى انا هو لان هذا القول ايضا كان قد
وقف سامعيه فى الشك على انه قد قال هذا القول فيما بعد ولكنه تركهما
يتعلمان ذلك من اعماله لان البشير يقول انه عند حضورهم اليه حينئذ شفى
اناسا كثيرين على ان هذا اى اتساق من اعماله هو لانه اذ يسال انت هو الا يذكر
عن هذا الاستخبار جوابا وان شفى فى الحين السقماء الحاضرين لولم يشاء
ان يصلح هذا العزم الذى قلته انا وذلك ان الشهادة من الاعمال اصدق من
الشهادة من الاقوال اذا يقنا انها قد زالت التهمة عنها كثيرا فاذ عرف اذ لم
يزل الاها الغرض الذى ارسلهما يوحنا اليه شفى فى الحين عميان وعرج وآخر
كثيرين ليس معرفا يوحنا ذلك لان كيف يوحنا يعرف الموقن به لكنه فعل
ذلك ليعرف هؤلاء المرتابين ولما شفى اولائك المرضى قال لهما اذهبوا اخبروا
يوحنا بما سمعتموه ورأيتموه عميان يبصرون وعرج يمشون وبرص
يتنقون وصم يسمعون وموتى يقومون ومساكين يبشرون واضاف الى ذلك
مغبوط من لا يشك فى موريا اياهم انه قد عرف اوهامهم الذى لا يمكنهم ان
ينطقوا بها لانه لو كان قال لهم انى انا هو ولكن اذ قال لهم هذا القول قد
حصاهم على ما تقدمت فقلت فى الارتياب به ولكانوا قد افتكروا وان كانوا

لم يقولوا هذه الافكار التى قالتها له اليهود انت تشهد لنفسك لهذا الغرض ما قال
هو هذا القول ومن عجائبه تركهم يتعلمون كما يجب ان يعرفوه جاعلا
تعاليمها اياهما بين التعاليم قد زالت التهمة عنه لهذا المعنى اوردتوبيخه لهما بمعنى
خفى لانهم لما ارتابوا منه اذاع ذاعزمهم وخالف هذا التوبيخ فى فطنتهم
وحدها وما جعل لثلبهما اياه هذا ولا شاهدا واحدا سوى أولئك وحدهم
العارفين هذه الظنون فيه واجتذبهم بهذا الغرض أعظم اجتذابا بقوله
مغبوط هو الذى لا يشك فى لانه انما قال هذه الاقوال مشيرا اليهم بلفظ غامض
وحتى يضع فى وسط هذا الخطاب ليس الاقوال التى قلناها نحن لكن اورد
معها الاقوال التى قالها غيرنا فجعل الصدق من وصفه الصنفين من الكلام
أبين وضوحا فيلزمنا ان نحكى أقوال أولئك اضطرارا فان سألت
وما الذى يقوله أناس فى هذه المعنى أجبتك يقولون ان العلة التى ذكرناها
نحن ليست علة ارساله لهم فانهم يقولون ان الصابغ يوحنا استجهل المعنى
وما استجهله كله وذكروا انه قد عرف انه هو كان المسيح الا انه ما عرف انه
سوف يصلب من أجل الناس ولهذا المعنى قال أنت هو الوارد ومعنى ذلك أنت
هو المزمع ان تنحدر الى الجحيم فأقول أنا لقائل هذا القول انه لا يوجد وجه لهذا
وبيان ذلك ان يوحنا قد استجهل هذا الغرض وقد نادى هو بهذا الغرض
قبل غيره وشهد به أولا لانه قال انظر الى حمل الله الحامل خطية العالم
وأوضح هذا المعنى بعينه لانه عمل هذا العمل ليس بصنف آخر لكنه عمله
بصليبه وهذا المعنى فقد ذكره بولس الرسول اذ قال والحائط الذى كان
حائلا نزعه من الوسط وذكره فى صليبه وقوله انه يعمدكم بالروح كان
قول متنبئ بافعال الروح بعد انبعاثه الا ان القائلين ذلك القول قالوا أيضا
انه قد عرف انه يقام ويعطى روحا قدسيا الا انه ما عرف انه سيصلب
فأجاوبهم أنا عن ذلك وكيف أمل ان يقام من لم يتألم ولم يصلب وكيف

هذا

هذا يوحنا أعظم من نبي وليس عالما بأقوال الانبياء والدليل على انه أعظم
من نبي فقد أوضحه المسيح بعينه وشهد به والدليل على ان الانبياء قد عرفت
تألمه فهو واضح في كل مكان ذكروه لان أشعيا قد قال سبق كالنعجة للذبح
وكحمل قدام من يجزه لا يفتح فاه وقد قال قبل هذه الشهادة سيكون أصل
يسى والقائم منه يترأى على الامم وعليه تتوكل أمة ثم عندما ذكر تألمه والمجد
الكائن منه استثنى بان قال وسيكون اراحته سلامة وكرامة وهذا النبي
لم يذكر فقط انه سيصلب فقط لكنه قد ذكر أيضا انه سيحسب في جملة
العادمين الشريعة وماذكر هذا اللفظ فقط لكنه قد قال مع ذلك انه
لا يحتج احتجاجا لانه قال انه يفتح فمه وانه سيحكم عليه حكما جائرا اذ قال بتذلله
رفع حكمه وقد قال داود قبل هذا النبي هذا القول وصور مجلس القضاء
عليه لانه قال لم ارتجت الامم وهذا الشعوب أباطيل وحضرت ملوك الارض
والتامت الرؤساء على رأي واحد بعينه على الرب وعلى مسيحه وفي فصل
آخر يذكر رسم الصليب على هذه الصورة قائلا ثقبوا يدي ورجلي وتقدم
فوصف ما اجترى عليه الجند بكافة الاستقصاء وأبلغه لانه قال اقتسموا ثيابي
فيما بينهم واقترعوا على لباسي اقتراعا وذكر في موضع آخر انهم قدموا
له خلا فقال اعطوني في طعامي مرارة وسقوني عند عطشي خلا والانبياء قبل
سنين عديدة وصفوا مجلس القضاء عليه والقضية التي حكم عليه بها
والذين صلبا معه واقتسام ثيابه والاقتراع عليها وأقوالا غير هذه أكثر منها
كثيرا لا يلزم ان أوردها كلها حتى لا نجعل مقالتنا طويلة فهذا الذي هو
أعظم من أولئك الانبياء كلهم استجهل هذه الاقوال كلها وكيف يكون
هذا الكلام مشاعا ولاجل أي غرض ما قال أنت هو الوارد على بسيط ذات الورود
واستخباره اياه هذا على رأيهم ما المنفعة من معرفة ذلك فينبغي ان نسمع أية أقوال
يقولون لانه يلزمنا اضطرارا ان نذكر كلامهم على انه أحق من هذا الكلام

يا اضحك عليه لانهم يقولون لهذا المعنى قال هذه الاقوال حتى اذا ذهب الى
الى الجحيم هنالك ينذر به فنقول لهم الجواب فى أوفق وقته يا أخوتنا
لا تكونوا مثل الصبيان فى بصائركم لكن كونوا أطفالا فى الرذيلة وذلك ان عمرنا
الحاضر هو وقت تصرف فى سيره وبعد استكمال العمر يكون القضاء
والعقوبة لانه قد قال من يعترف لك فى الجحيم ولعلك تقول فكيف
كسرت أبوابه النحاسية وفكت كراته الحديدية فاقول لك بجسد ربنا
كسرت لانه استبان حينئذ أولا جسد لا يموت فاضمحل تمرد الموت ونقول
بمعنى غير ذلك انه هذا الفعل بين قوة الموت مبطلة وما أظهر خطايا
المتوفين قبل حضوره محلولة فان لم تقولوا هذا القول بل تقولون ان ربنا
قد استخلص من الجحيم الذين كانوا فيه فيما سلف كلهم نقول فكيف قال
هزقوله ان أرض سدوم وعامورة تكون أكثر راحة من تلك المدينة فهذا
القول قيل دالا على أن أولئك أهل سدوم وعامورة معا قبين عقابا أرفق على
انهم قد قوبلوا ههنا مقابلة فى غايتها لكنهم مع ذلك ما استنقذهم عقابهم
ههنا فان كان ما خلص من عذاب جهنم هؤلاء بعد ما قاسوه ههنا من حرقهم
فاليق وأوجب انه ما خلص من العذاب الذين ما قاسوا ههنا ولا صنفا من
عقوبة ولعلك تقول فما رأيك هل الذين كانوا قبل مجيئه قد ظلموا فاقول
لك ما ظلموا البتة لان قد كان ممكنا ان يتخلصوا حينئذ ولم يعترفوا بالمسيح
لانه ما طلب منهم هذا الاعتراف لكنه طالبهم بان لا يعبدوا الاصنام وان
يعرفوا الاله الصادق لانه قال الرب الهك هو رب واحد لهذا المعنى استعجب
المقابيين لانهم تكبدوا العذاب الذى تكبدوه من أجل حفظ شريعة الله
والفتية الثلاثة وأناس كثيرون غيرهم عند اليهود أظهروا عيشة فاضلة
وحفظوا مقدار هذه المعرفة فما طولبوا باكثر من ذلك لان فى ذلك
الوقت على ما سبقت فقلت كان يكفى الانسان ان يعرف الله فقط والان

ليس

ليس يكفيه هذا لكنه يحتاج الى معرفة المسيح ولهذا المعنى قال لولم أجيء وأخاطبهم لما صار له خطية والان فما يتأتى لهم عن خطيتهم حجة وعلى هذا النحو تكون المقابلة في طريقتنا وعيشتنا لان القتل في ذلك الحين كان يهلك عامله فقط والان فاغتياظ أحدنا يهلكه وفي ذلك الوقت كان فسق أحدنا ومخالطته امرأة ليست امرأته يجلب على نفسه عذابا والان فنظره بعينين فاسقتين يوجب عليه عقابا لانه بحسب زيادة المعرفة الان بحسبها تكون زيادة السيرة فمن هذه الجهة ما أحنج هنالك في الجحيم الى سابق ويبين ذلك على نحو غير هذا ان كان الكافرون توقعوا بعد موتهم ان يؤمنوا ويتخلصوا فلا يهلك في وقت من الاوقات احد والناس كلهم في وقت القيامة ينتقلون الى معرفته ويسجدون له وبيان صدق هذا القول اسمعه من بولس الرسول القائل ان كل لسان يعترف وكل ركبة تنحني من السماويين والارضيين والسابحين تحت الارض وان الموت العدو الاخير يبطل ولكن ولا يستفاد من تلك الطاعة نفع لانه زال الاعتراف ليس من اختيار خالص الوفاء لكنه على ما يقول الان قائل من شدة الحوادث فلا تستوردفيما بعد اعتقادات بهذه الصورة مجازية وخرافات يهودية واسمع بولس الرسول ماذا يقول من أجلهم لانه قال جميع الذين أخطأوا ونقضوا الشريعة سيهلكون بفقدهم الشريعة وانما كان كلامه في ذكر الازمان التي قبل الشريعة وكافة الذين أخطأوا في شريعة فبشريعتهم يحكم عليهم وقوله ههنا في ذكر جميع الذين بعد موسى النبي وقال سيعلن سخط الله من السماء على سائر الحاد الناس وجورهم والغضب والغيظ والضغطة والضيقة على كل نفس انسان عامل العمل الردي يهودي أو وثني على ان الوثنيين قد قاسوا ههنا آفات ردية كثيرة وهذا القول يوضحه أخبار الذين خارج محلتنا والكتب التي عندنا لان من يصف مكاره الندب والعويل التي تكبدها

أهـل بابل وأهل مصر والدليل على ان الذين ماعرفوا المسيح قبـل وروده بجسمه وابتعدوا من عبادة الاصنام وسجدوا لله وحده وأظهروا طريقـة فاضلة يتنعمون بالنعم الصالحة كلها قد أوضحه بولس الرسول واسمع قوله فى ذلك قال شرف وكرامـة وسلامـة لـكل عامل العمل الصالح يهودى كان أو وثنى أرأيت ان لهؤلاء هى الصـنوف الـكثيرة من المـكافأة بالخـيرات وللذين يعملون اضدادا الصالحات عقوبات وعذابات أيضا

العظـــــة السادسة والثلاثون

فأين الذين ينكرون جهنم لان ان كان الذين قبـل مجىء المسيح الذى ماسمعوا اسم جهنم ولا ذكر الانبعاث الذين قد عوقبوا ههنا قد قوبلوا هنالك مقابلة عدلة فاليق بنا نحن وأوجب ان نعاقب كثيرا اذ قد تربينا باقاويل فلسـفة جزيل مبلغها ولعلك تقول وكيف يكون واجبا ان يسـقط فى جهنم الذين ماسمعوا خبرا ولا قولا فى نعت جهنم لانهم يقولون انك لو كنت هولت علينا بجهنم لـكنا قد ارتعـدنا وارتعنا ارتياعا كثيرا لانهم ما كانوا يعيشون مثلنا الان اذ نسمع كل يوم فى نعت جهنم ولا نصـغى اليها البتة فيبدون هـذه الاقوال يتجه لنا ان نقول ذلك القول ان من لا ينضبط عن المنـكر بالعقوبة الحاضرة لديه فاليق به الا ينضبط ولا فى تلك العقوبات المأمولة لان الذين سجيتهم هذه كثيفة بهيمية قلما تردعهم العوارض العارضة فى هـذا الوقت أ كثر من ارتداعهـم بالعقوبات التى يرتجى وفودها أخيرا بعد سـنين طويلة ولعلك تقول الان الخوف قد يعلو بنا أعظم وأولئك قد ظلموا بهذا فاقول لك لا البتة فاولا ان معارك الجهاد لم توضع لنا ولا ولئـك هى باعيانها لـكن المعارك قـد وضـعت لنا أعظم كثيرا والذين اقتبلوا اتعاب عظيمة يجب لهم ان يتمتعوا بمعونة أعظـم فتموا الخوف فينا وتزايد معونة ليست صـغيرة وان

كنا نستظهر عليهم باننا نعرف الحظوظ المأمولة فهم يستظهرون علينا باحتمالهم عاجلا العقوبات الشديدة الان أكثر المعارضين يقولون مع هذه الاقوال أقوالا غيرها فيقول أحدهم أين حكم الله المقسط اذا اخطأ مخطئ ههنا يعاقب ههنا وهنالك أيضا فاقول له أنا أتريدون ان أذكركم باقوالكم حتى لا تسببوا لنا اتعابا أيضا لكن تكونوا أنتم قد أوردتم حل سؤالكم من كلامكم انا قد سمعت اناسا كثيرين من أصحابنا متى علموا ان رجلا قاتلا للناس قد ضربت في مجلس القضاء عنقه يستصعبون هذا الحكم ويقولون هذه الاقوال هذا النجس الدنس قد اجترى على ثلاثين قتلة أو على أكثر منها بكثير فاصطبر هو على ميتة واحدة فقط فأين هو الحكم المقسط فمن هذه الجهة أنتم باعيانكم تعترفون ان ذلك ما يجزيه ميتة واحدة لتعذيبه فكيف تحكمون الان باضداد ما حكمتم به ولعمري انكم ما حكمتم على غيركم بل انما حكمتم على أنفسكم فحب أحدنا ذاته يصير مانعا حاجزا بلا تقديره يحجزه عن ان يبصر الحكم العدل ولهذا السبب اذا حكمنا على أناس غيرنا نتصفح العلل كلها بابلغ الاستقصاء واذا حكمنا على ذواتنا باعياننا تظلم بصيرتنا كما اننا متى تصفحنا هذه العلل فينا باعياننا على حدوما نتصفحها في أناس غيرنا عرفنا ان هذه القضية ليس فيها محاباة لان قد يوجد لنا خطايا يستوجب ليس ميتة وميتين لكنها موهلة لميتات كثيرة ولكي أكف عن خطايانا الاخرى سبيلنا ان نتذكر ذواتنا بكافة تجاسرنا على تناول أسرار القربان بدون استعدادها والذين هذا الحال حالهم هم مطالبون بطائلة جسد المسيح ودمه فيجب من ذلك اذا ذكرت ذاك القاتل الناس ان تحسب ذاتك قاتلا لان ذاك انما قتل انسانا وأنت قد قتلت المسيح بعينه وقد صرت مطالبا بطائلة ذبح سيدك وذاك القاتل فما تناول أسرار القربان ونحن نتمتع بمائدة طاهرة وماذا يصيب الذين يلذعون اخوتهم

ليا كلونهم ويبثون عليهم سهم جزيلا ماذا ينال من سلب الفقراء طعامهم لانه ان كان لا يواسيهم فماله حال من سلبهم والمستكثرون من المقتنايات كم هم أشر من اللصوص والخاطفون ما ليس لهم كم هم أشر من قاتلى الناس ومن نباشى القبور كم من الناس بعد ان يعروا اخوتهم من كونهم يتوقون الى دمائهم ولعلك تقول لا كان ذلك أبعد هذا الظن وأقول لك الان تقول لا كان ذلك اذا اقتنيت عدوا حينئذ قد كان ذلك وتذكر هذه الاقوال التى قد قيلت وأظهر عيشة موعبة تصونا كثيرا حتى لا تنتظرنا عقوبات أهل سلام وحتى لا نتكبد مكاره أهل صور وصيدا وأفانهم واليق ما يقال حتى لا نصادم المسيح الهنا فهذا هو أصعب الحوادث كلها واشرها الان جهنم كانت تظن عند أناس كثيرين انها مريعة الا اننى أنا لست أكف عن ان اصيح صياحا متصلا ان مقاومة المسيح اصعب من كل جهنم وارهب خوفا واسألكم ان تعتقدوا انتم اعتقادى هذا فاننا على هذه الطريقة نتخلص من جهنم ونتمتع بالمجد من المسيح الذى سيكون لنا كلنا ونحظى به بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى له المجد والعز الان ودائما والى آباد الدهور آمين

المقاله

المقـــالة السابعـــة والثلاثون

وبعد ذهاب هذين ابتدأ يسوع يقول للجموع في وصف يوحنا ماذا خرجتم الى البرية تبصرون أقصبة تهزها الرياح لكن ماذا خرجتم تبصرون انسانا متوشحا بثياب ناعمة فها الذين يلبسون الثياب الناعمة في دور الملوك ولماذا خرجتم تبصرون أنبياء نعم أقول لكم وأفضل من نبي

مت ١١ : ٧-٩

لعمري ان العزم في تلميذي يوحنا لما انعمز من اجل الايات الحادثة عاجلا على ما ينبغي وتحقق الصدق انهما انصرفا فوجب بعد ذلك ان يداوي الاوهام التي تناسب المحفل الحاضر لان هذين التلميذين ماتوهما في معلمهما توهما هذا تأثيره الان الجمع الجزيل عدده من سؤال تلميذي يوحنا توهم اوهاما شنيعة كثيرة لانهم ماعرفوا العزم الذي به ارسل تلميذيه وربما يكونون قد افتكروا في انفسهم وقالوا ايرتاب الان من قد شهد شهادات هذا مبلغها ويزوغ ايقانه ان كان هذا هو الوارد وآخر اترى ليس يقول هذه الاقوال منتقم الرأي في يسوع اترى ما قد جعله

الحدس اجبن من غيره ان اراه لم يقل اقواله الاولى باطلا وجزافا فاذ كان قد
عرض لهم على الاشياء بكونهم توهموا اوهاما كثيرة هذا تأثيرها
انظر كيف تلافى ظنهم وانتزع هذه التهم عنهم لانهم بعد انصراف هذين
التلميذين ابتدأ يقول للجموع وان سألت فلم خاطبهم بعد انصرافهما
اجبتك حتى لا يظن انه يخادع الجمع ولا يورد الى وسط البيان ظنهم لكنه
اورد حل الافكار التى ارجفتهم فى سريرتهم مورياً انه يعرف خفايا
الناس كلهم التى لم يتكلموا بها لانه خاطبهم على حذو ما خاطب اليهود
ما بالكم تفتكرون افكاراً خبيثة لانهم وان كانوا قد افتكروا هذه الافكار
من خبثهم لكنهم افتكروها من جهة استجهالهم بما قيل فلهذا المعنى
ما خاطبهم على جهة انتهار وزجر لكنه تلافى تمييزهم فقط وأصلحه واعتذر
عن يوحنا واراهم انه ما زاغ عن رأيه الاول ولم ينتقل عنه لانه ليس هو انساناً
سريع انتقاله متمائلا عزمه لكنه متمكن مستحقق وليست غريزته
الغريزة التى تنتهى الى ان يدفع ما قد صدقه وأيقن به وأصلح هذه الظنون
فى الحين ليس من قضيته لكنه أصلحها أولا من شهادات أولئك ليس
بالاقوال التى قالوها اذ أظهرهم شهوداً بثبات يوحنا وتمكنه فكذلك قال
ماذا خرجتم الى البرية تبصرون كانه قال لهم هذا القول لم تركتم مدنكم
ومنازلكم واجتمعتم كلكم الى البرية أحتى تبصروا انساناً حقيراً سهل
الانقياد الان هذا الظن ليس يحوى احتجاجاً لان حرصكم ذاك ما بين هذا
المعنى اسراعكم كلكم الى البرية لا يدل على هذا لانكم لولا انكم
توقعتم ان تعاينوا انساناً عجيباً عظيماً أصلب من الصخرة لما كان جمع
جزيل تقديره ومدن هذا مبلغ كثرت أهلها أتوا حينئذ بنشاط جزيل
مبلغه الى البرية والى الاردن لانكم ما خرجتم لتنظروا قصبة تهزها
الرياح لان السريع تقلبهم السهل ميلهم القائلين هذه الاقوال أحيانا

فى

فى تلك الاقاويل أحيانا اخرى ولا يثبتون على رأى واحد يشبهون بالقصبة أبلغ
تشبيها وأبصر كيف أهمل كل خبث ووضع هذا العزم الذى أرجفهم
حينئذ أكثر ارجافا واستأصل أصل سرعة التقلب لكن لماذا خرجتم
تبصرون انسانا متوشحا بالثياب الناعمة فها الذين يلبسون الثياب الناعمة
فى دور الملوك هم فما يقوله هذا هو معناه انه ما كان من ذاته سريع التقلب
وهذا المعنى قد أوضحتموه أنتم بمسارعتكم اليه ولا يصاغ الى أحد الناس
أن يقول هذا القول أنه قد كان فى الاول صلب العزم مكينا ولما تعبد
للنعيم أخيرا صار رخوا وذلك أن الناس منهم أقوام هم من ذواتهم هذه
الغريزة غريزتهم ومنهم قوم يصيرون هذا الحال حالهم كقولك ان منهم من
يوجد بالطبع سخوطا ومنهم من اذا سقط فى سقم طويل يقتنى سقم الغيظ
والسريع تقلبهم أيضا منهم أقوام هم طبعهم الخفة ومنهم قوم يصيرون بهذه
الصورة من تعبدهم للنعيم وتراخيهم الا انه قال ان يوحنا ما كان هذا الحال
حاله بالطبع لانكم ما خرجتم تنظرون قصبة ولا بذل ذاته للتنعم فاضاع
ما كه للفضيلة التى ملكها والدليل على أنه ما تعبد لنعيم فيوضحه ثوبه وحبسه
وبريته لانه لو كان أراد أن يلبس ثيابا ناعمة لما كان قطن البرية وألقى فى
الحبس لكنه كان قد سكن قصور الملوك لانه قد كان يمكنه بسكوته بعينه أن
يتمتع بتكريم جزيل ولئن كان هيرودس قد عظمه واحتشمه هذا الاحتشام
بعد توبيخه اياه وقبضه عليه فاليق به أنه لو كان صمت عنه لما كان عذبه
فحواهم ربنا بالفعل ان ينظروا صلابة عزم يوحنا وصبره فاذا كان عدلا فكيف
يتهمونه بهذه التهم وأمثالها واذ صوراهم غريزته من مكانه ومن ثيابه ومن
تقاطر الناس اليه اورد بعد ذلك النبى لانه قال لهم ماذا خرجتم تبصرون
أنبياء نعم أقول لكم وأفضل من نبى قال لان هذا هو الذى فى وصفه كتب
ها انذا مرسل ملاكى قدام وجهك فيصلح طريقك لديك فوضع أولا شهادة

اليهود وبعد ذلك أورد الشهادة التى تناسب الانبياء وأليق ما يقال أنه وضع أولا قضية اليهود اذ البرهان من شأنه أن يكون عظيما وضوحه اذا أوردت من الاعداء شهادتهم فيه وذكر ثانيا طريقته وثالثا وصف حكمه ورابعا أورد الشئ مبكما اياهم من سائر الجهات ثم حتى لا يقولوا خفا المعنى فى هذا فان كان حينئذ هذه السجية سجيته فهل انقلب عزمه استثنى بالاقوال التى بعد هذه بذاته وبحسبه وذكر مع هذه الاقوال النيرة ثم اذ قال أنه أعظم من نبى بين فى أى شئ هو أعظم من نبى وذلك بحصوله قريبا من الوارد لانه قال هانذا مرسل ملاكى قدام وجهك وهذا معناه هو بقربك وهذا على حسب المألوف فى ترتيب الملوك ان الذين يمشون قريبا من مركبة الملوك اولئك هم أبهى شرفا من كافة غلمانه بهذه الصورة يستبين يوحنا واردا قريبا من مجيء ربنا وأنظر كيف أظهر ههنا اسمه ومنزلته وما وقف عند هذا القول لكنه أورد بعد ذلك القضية منه قائلا حقا أقول لكم ما أقيم فى مولودين النساء أعظم من يوحنا الصابغ فما يقوله هذا هو معناه ماولدت امرأة اعظم منه وهذه القضية تكفى وان شئت ان تعرفها من اعماله فتفطن فى مائدته وفى تصرفه وفى اعماله وفى علو عزمه لانه اقام فى الفقر كانه مقيم فى السماء صابرا على حوايج طبيعته الضرورية وسلك طريقا غريبة صارفا زمانه كله فى التسابيح والصلوات مخاطبا الله وحده دائما لا يخاطب من الناس أحدا لانه ما ابصر من مواخيه فى العبودية ولا واحدا ولا ظهر لواحد منهم ولا اغتذى لبنا ولا تمتع بسرير ولا بسقف ولا بسوق ولا بشئ غير ذلك من الناس وكان مع ذلك انيسا مترفقا لطيفا واسمعه كيف يخاطب تلاميذه بوداعة وكيف يخاطب محفل اليهود بشجاعة وكيف خاطب الملك بمجاهرة فلهذا السبب قال ربنا ما اقيم فى المولودين من النساء اعظم من يوحنا الصابغ ولكن حتى لا تولد ايضا افراط مدائحه شناعة يفضله بها اليهود على

المسيح

المسيح تأمل كيف تلافى ذلك واصلحه لان على نحو ما انغمرت منفعة تلميذي يوحنا من سؤالهما وانضرت الجموع الحاضرة منه اذ توهموا ان يوحنا سريع التقلب فكذلك من الاقوال التى استشفت بها الجموع التى سمعتها منها كادت ان تتكون مضرتهم عند تحصيلهم من المدايح التى قبلت توهما من اجل يوحنا انه اشرف من المسيح فكذلك تلافى هذا الظن تلافيا مزيلا هذا التوهم بقوله والاصغر فى ملك السموات هو اعظم منه فهو اصغر من يوحنا فى سنه وفى ظن الكثيرين به لانهم دعوه اكولا وللخمر شريبا وقالوا أليس هذا هو ابن النجار وكانوا يزدرون فى كل مكان ولعل قائلا يقول به فما رايك فعلى حذو المقايسة بيوحنا هو أعظم منه فاقول أبعد هذا الظن لان ولا يوحنا اذ قال انه هو أقوى منى يقول هذا القول مقايسا ذاته به ولا بولس الرسول عند ذكره موسى النبي انه اهل بمجد اكثر وأفضل من موسى كتب ذلك مقايسا اياه بموسى وهو أيضا عندما قال وههنا أعظم من سليمان ما قال ذلك مقايسا وان سلمنا أنه يقول هذا القول على جهة المقايسة به فلنعتقد أنه قال ذلك بسياسته لاجل ضعف سامعيه وذلك أن الناس الذين كانوا هنالك كانوا مشغوفين بيوحنا كثيرا والحبس حينئذ جعله أبهى شرفا ومجاهرته الملك أيضا وكان محبوبا وقد جعله هذا الحادث مقبولا عند الكثيرين عاجلا ولعمرى أن العتيقة من عادتها أن تتلافى على هذه الجهة نفوس المخدوعين وتقومها اذ تورد فى معنى المقايسة أمثلة قد عدمت مقايستها مثلما قال داود يارب ليس يوجد فى الالهة شبيه بك وقال أيضا ليس يوجد اله مثل الهنا وقد قال قائلون ان المسيح قال هذا القول من أجل الرسل وقال غيرهم انه قاله لاجل الملائكة لان اذزاع أقوام عن الحق فن عادتهم ان ينفقوا كثيرا لانه ما الموجب لهذا القول ان يقال لاجل الرسل أو بسبب الملائكة ونقول على نحو آخر ان كان قال هذا

القول لاجل رسله ماالذى منعه ان يذكر اسمهم لانه اذ قال هذا القول من
أجل ذاته فعلى جهة الواجب ستر وجهه لاجل الوهم المستظهر على سامعيه
أيضا وحتى لا يظن ظان انه يقول عن ذاته قولا عظيما لانه يستبين فى كل
موضع من خطابه عاملا هذا العمل واسائل ان يسأل وما معنى قوله فى ملك
السموات فنجيبه فى الروحانين وفى الذين فى السماء كلهم وقوله ما أقيم فى
المولودين من النساء أعظم من يوحنا كان قولا فاصلا يوحنا عن ذاته لانه
وان كان هو مولود من أمرأة الا أنه ما كان هذا ذاته مثل ذات يوحنا لانه ما كان
انسانا ساذجا ولا ولد شبيها بانسان فى ذاته لكنه ولد ولادة مستغربة بديعة
لانه ما ولد فى الدنيا الها متجسدا سواه فكذلك كانت ولادته مستغربة لانها
من بتول والبتول لبثت بعد ان ولدته بتولا ثم قال ومنذ أيام يوحنا الصابغ
الى الان ملكوت السموات تغتصب والغاصبون يختطفونها ولعلك تقول
وأى اتفاق بين هذا القول وبين الاقوال التى قيلت قبل هذا فأقول لك
انها توافقها جدا وتنتظم معها كثيرا لانه يدفعهم ههنا يحثهم
فيما بعد الى الايمان به ومع هذا فهى تعضد الاقوال التى قالها يوحنا
كأنه قال ان كانت النبوات كلها تكلمت عن يوحنا فأنا هو الوارد لانه قال
الانبياء كلهم والشريعة الى يوحنا تنبأوا لانى لو لم أجئ أنا لما كان وقف تقاطر
الانبياء وانحسم مجيئهم فلا تتوقعوا وقتا يتجاوز هذا ولا تنتظروا أحدا غيرى
والبرهان على انى أنا هو فواضح من انحسام مجئ الانبياء ومن الذين
يؤمنون كل يوم بى لان هذا الايمان على هذه الجهة هو بين واضح قد
انتهى الارتياح اليه منذ أناس كثيرين الى ان يختطفوه وان قلت فمن
اختطف الان منه اجبتك هم جماعة الذين تقدموا اليه بحرص ثم وضع دلالة
أخرى بقوله وان شئتم ان تقبلوا هذا فهو ايليا المنتظر مجيئه لانه قال فى نبوة
ملاخيا سارسل اليكم ايليا التشبى الذى يعطف قلب الاب على أولاده فهذا

هو

هوايليا زعم ان تفحصتم ما بلغ الاستقصاء لانه قال لارسلن ملاكي امام وجهك وعلى جهة الصواب قال ان شئتم فاقبلوه موضحا ز وال الفعل الغاصب كانه قال لست ألزمكم وأنظركم هذا القول فاله ملتمسا تمييزا حسن الوفاء وموضحا ان هذا هو ذاك وذاك هو هذا لانهما كلاهما تسلما خدمة واحدة وكلاهما صارا سابقين ولهذا الغرض ما قال على بسيط ذات القول هذا هو ايليا ان تصفحتم ما قيل بتمييز حسن العزم وما وقف عند هذا القول لكنه أضاف اليه ما بين ان الحاجة بهم ماسة الى فهم يفطنون ان هذا هو ايليا المنتظر مجيئه وهو من قد حوى اذنين من يسمع فليسمع فوضع رموزا جزيلا مبلغها منهضا اياهم الى سؤاله فان كانت ولا على هذه الجهة انهضتهم الى سؤاله عن معانيها فاليق بكثافتهم كثيرا انهم ما كانوا سألوه لو كانت واضحة بينة لان ولا ذاك القول يجب لاحد الناس ان يقوله انهم ما تجاسروا ان يسألوه وانه كان يختص المدنو اليه لان الذين سالوه عن مسائل حقيرة وامتحنوه وأبكموا دفعات كثيرة وما اقترحوا كيف ما سالوه عن الفوائد والمعاني اللازمة الضرورية واستخبروه ولو كانوا اشتهوا ان يتعلموا لانهم ان كانوا قد سالوه عن فرائض شرعية وقالوا أية هي الوصية الاولى في الشريعة وما يناسب هذه المسائل على ان هذه المسائل ما كانت تدعوهم ضرورة الى ذكرها فكيف ما استفهموا منه معنى الاقوال التي قالها هو والتي كان يلزمه ان يؤدي الاجوبة عنها ولاسيما حين كان هو يحثهم الى ذلك ويجتذبهم اليه لانه يقول ان الناجين يختطفونها أنهضهم الى النشاط ويقوله من له أذان ليسمع بها فليسمع استنهضهم الى هذا النشاط بعينه ثم قال بماذا أشبه هذا الجيل وهو شبيه بصبيان جلوس في سوق يقولون زمرنا لكم فما رقصتم أعولنا لكم فما بكيتم فهذه الاقوال يظنها ظانون تنقض الاقاويل الاولى وهي تلائمها جدا لانها المتعلقة أيضا بالمعنى بعينه موضحة ان يوحنا عمل ما يلائم عمل ربنا وان كانت الافعال

الكائنة منها متضادة وهى على مثال السؤال الذى سالهم وبين بها انه
ما أهمل فعلا كان واجبا ان يكون لخلاصهم فانظره وهذا المعنى فقد ذكره
النبى فى تمثيل الكرم ما الذى وجب ان أعمله بهذا الكرم فاعملته لانه
قال بمن أشبه هذا الجيل وهو شبيه بصبيان جلوس فى سوق يقولون زمرنا لكم
فلم ترقصوا أعولنا لكم فلم تبكوا لان يوحنا جاء لا يأكل ولا يشرب فقالوا
قد حوى شيطانا جاء ابن الانسان أكلا شاربا فقالوا اذ هو انسان أكول
والخمر شرب صديقا للعشارين والخطاة والذى قاله هذا هو معناه انا
ويوحنا كل منا جاء فى طريق ضد الاخر وعملنا عملا واحدا بعينه كقولك
بمنزلة صيادين يصطادون شخصا من الحى صعب الاصطياده مأمولان يسقط
فى مقانصهما فى طريقين فسبق كل منهما فطاردوه الى احدى الطريقين
واقفا مقابل الصياد الاخر حتى يسقط على كل حال فى احدى الطريقين
وتامل لى جنس الناس كله كيف يبهت الى استعجاب الصوم ويدهشه
هذا المعاش الصعب المناسب الفليسوف ولهذا الغرض دبر هذا التدبير ان
يتربى يوحنا هذه التربية من ابتداء عمره حتى تكون الاقوال التى يقولها
ماهولة لتصديقها والقائل ان يقول فلماذا لم يختار المسيح هذه الطريق
فنقول له قد سلكها هو أبلغ سلوكا حين صام أربعين يوما وطاف فى
تعليمه لا يملك موضعا يسند اليه رأسه الا انه اخترع على جهة أخرى هذه
الطريق بعينها ودبر الفائدة منها من هذا النحو ولعمرى ان معنى ان يشهد له
السالك فى هذه الطريق قد كان مساويا لسلوكه اياها أو أعظم من
سلوكه اياها بكثير ولنبين ذلك على جهة أخرى فنقول ان يوحنا ما أظهر
فعلا أكثر من فعل طريقته وعيشته لانه قال ان ما عمل يوحنا ولا آية واحدة
وهو أعنى ربنا فقد امتلك الشهادة له من آياته ومن عجائبه فترك يوحنا
يشرق فضله من صومه وجاء هو فى طريق ضد تلك الطريق بدخوله الى

موائد

موائد العشارين و يأكله و يشربه فينبغي ان نسأل اليهود هل الصوم جيد عجيب فقد كان يجب عليكم ان تقبلوه من يوحنا وتصدقوا الاقوال التي قالها وأما أقواله تلك كانت قد استمالتكم على هذه الجهة وقدمتكم الى يسوع أفتقولون ان الصوم صعب ثقيل فقد وجب عليكم ان تقبلوا من يسوع وتؤمنوا عند سلوككم ضد تلك الطريق لانه عزم بكل طريق منها ان يحصلكم في ملكه الا ان حالهم كان حال وحش نفور الخلق فذموا الطريقين كليهما والجناية اذا لا تنسب الى الصيادين اللذين لم يصدقا لكن الثلب انما حصل الذين لم يصدقوهما لانه ما اختار في وقت من الزمان أحد من الناس ان يذم ضدين و يعيبهما بحسب ما انه ولا يختاران يمدح ضدين و يشفق عليهما مثلما أقول انه اذا اقتبل انسان بهيا مستبشرا ليس يقتبل انسانا مقطبا مستثقلا واذا مدح رجلا عبوسا ليس يمدح ضحوكا لعوبا لانه لا يمكن ان يحقق هذه القضية وتلك ولهذا المعنى قال هو زمرنا لكم فلم ترقصوا ومعنى ذلك هو انني أريتكم العيشة المطلقة الراخية فما قبلتموها وأعولنا لكم فلم تبكوا وذلك هو ان يوحنا مارس عيشة صعبة فما صغيتم اليها ولا يقال ان ذاك استعمل تلك الطريقة وأنا استعملت هذه العيشة فاذا العزم كان لكليهما واحدا فاذ كانت الطريقتان اللتان مارساهما متضادتين لذلك ذكر ان الافعال الكائنة منهما مشاعة لان الغرض في سلوك الطريق المضادة كان من موافقة زائدة ناظرة الى غاية واحدة فأي احتجاج يملكونه فيما بعد ولذلك استثنى بقوله والحكمة حقق عدلها بنوها ومعنى ذلك هو ان كنتم ما قبلتم منا الا انه لا يسوغ لكم ان تشكوني فيما بعد وهذا القول فقد قاله النبي في وصف أبيه لكي يحقق عدلك في أقوالك لان الاله ان كان ما تمم فعلا أكثر فقد استكمل من تلقاء اهتمامه بنا كافة الافعال الكائنة منه حتى لا يستبقي للمريدين

ان يتوقعوا ولا اظل من تشكيك غادر وائن كان هذان المثالان حقيرين
وظاهرا استهجانهما فلا تتعجب من ذلك فاغماق لانحو ضعف السامعين اذ
حزقيال النبي يقول أمثلة كثيرة لاتلائمهم اولائقة لعظمة الله عز ذكره
الان هذا القول أكثر من كل شئ موهل لاهتمامه وتأمل أنت انهم
قد هبطوا من جهة اخرى الى ظنون متضاددة لانهم لما قالوا عن يوحنا
ان به شيطانا ماوقفوا عند قولهم هذا لكنهم قالوا هذا القول بعينه
عن ربنا الذى أثر اضداد طريقة يوحنا فعلى هذه الجهة تقلبوا الى
ظنون يحارب أحدها الاخر دائما ولوقا البشير يصف مع أقوالهم هذه
نسبة أخرى أعظم لهم من هذه بقوله لان العشارين حققوا العدل لله
بقبولهم معمودية يوحنا حينئذ أقبل يعير المدن حين حقق العدل للحكمة
حين أظهرها كلها مملوءة من اهتمامه لانه اذا مااستمالها غيرها وأوجب
الشقاء لها وهذا هو أكثر من تخويفه اياها لانه أظهر من أقواله وتعليمه
ومن آياته واجتراحه عجائبها انه اذا البث أهلها على هذا العصيان بعينه غيرها
بعد ذلك لان البشير قال أن يسوع حينئذ بدأ أن يعير المدن التي عمل
فيها قواته الكثيرة لانهم ماتابوا قائلا الويل لك يا كورزين لك الويل
يا بيت صيدا ثم حتى تعرف انهم ما كانوا هذا الحال حالهم من طبيعتهم ذكر
اسم مدينتهم التى منها تقدم اليه الخمسة من رسله لان من بيت صيدا كان
فيلبس والزوجين المعظمين فى رسله فان القوات الحادثة فيكما لو كانت
صارت مثلا فى صور وصيدا لكانتا قدتابتا بمسح و رماد لكنني أقول لكم
ان صور وصيدا ستكونا فى يوم القضاء أريح منكما وأنت يا كفرناحوم
المستعلية الى السماء ستهبطين الى الجحيم لان القوات الكائنة فيك
لو كانت حدثت فى سدوم لكانت قد بقيت الى الان لكنني أقول لك
ان أرض سدوم ستكون فى يوم القضاء أكثر راحة منك فاستثنى بذكر

سدوم لهم على بسيط ذات الاستثناء لكنه استثنى بذلك مماثليهم وتقريعهم برهانا عظيما لرذيلتهم اذ استقبلوا شر اليس من الخبثاء الموجودين فى عصرهم لكن نكونون مع ذلك أشر من الخبثاء الكائنين فى وقت من الزمان خبثا فعلى هذه الجهة ينشى المقايسة فى موضع آخر اذ اوجب الحكم عليهم باهل نينوى وبملكة الجنوب لكنه هنالك يجعل المقايسة بالذين أحكموا الفضائل وههنا يجعلها بالمخطئين وهذا المعنى كان أثقل من ذلك كثيرا وشريعة ايجاب الحكم هذه قد عرفها حزقيال النبى وكذلك قال لاورشليم بكافة خطايا كم حققت العدل لاخواتك وفى كل موضع يعتمده من عادته أن يثبت فى العهد العتيق وما وقف قوله عند هذا الموضع لكنه أطال الخوف عند قوله انهم يقاسون عذابات أصعب من عذابات أهل سدوم وأهل صور فمن هذه الجهة يستفزهم اليه من سائر الجهات ويردعهم بالشقاء الحال عليهم ومن تخويفه اياهم

العظـــــــــــــــــــــة

فاذا سمعنا نحن هذه الاقوال انه ما جعل العقوبة للكفار وحدهم لكنه قد أوجب علينا عذابا معهم أصعب من عذاب أهل سدوم ان لم نقتبل الغرباء الواردين الينا حين أمر بنفض الغبار وذلك على جهة الواجب جدا لان أولئك وان كانوا قد أخطأوا بخطايا متجاوزة للشريعة الا انهم كانوا قبل الشريعة والنعمة ونحن نخطئ بعد اهتمام جزيل تقديره جدا فلاى عقوبة نكون موهلين اذا أظهرنا مقتا للضيافة هذا مبلغه كثيرا وأغلقنا أبوابنا لدى المحتاجين وأغلقنا دونهم اذاننا قبل أبوابنا وأولى ما يقال اننا ما نغلقها دون الفقراء فقط لكننا نغلقها دون الرسل بأعيانهم لاننا لاجل هذا الغرض نغلقها لدى الفقراء اذ كنا قد أغلقناها فى وجوه الرسل لانه اذا كنت ترى

كلام بولس الرسول ولا تصغي اليه وان نادى يوحنا وأنت ما تسمعه فتى
تقبل فقيرا اذا كنت ما قبلت رسولا فلكي تكون منازلنا مفتوحة اها
وللفقراء سبيلنا ان ننضف الوسخ والطين من اذاننا لانه على حذو ما يسد
الوسخ والطين اذاننا جسمنا فكذلك الاغاني الردية والاحاديث العالمية
وأحكام الطالع والكلام في فروض الرباء تسد سمع تمييزنا أصعب من كل
وسخ وأليق ما يقال انها ما تسده فقط لكنها مع ذلك تجعله نجسا لان الذين
يحدثونكم بهذه الاحاديث يحصلون في اسماعكم زبلا وهذا فقد هول به
الاعجمي ر بصاقوس على قاطني أورشليم قائلا تأكلون زبلكم وما يتلو ذلك
فهولاء يجعلونكم ان تصبروا على هذا العارض ليس بكلامهم فقط بل
بافعالهم وأليق ما يقال انكم تتكبدون أصعب من هذا كثيرا و بيان
ذلك ان تلك المغاني أشد كراهية من تلك الاصناف وأصعب من ذلك انكم
اذا سمعتم هذه الاغاني فلستم تكرهونها فقط لكنكم مع ذلك اذا سمعتموها
تضحكون وقد كان واجبا ان ترفضوها وتهربوا منها فان كانت هذه
الاغاني ليست مرفوضة عندك فاحذر هذه الراقصة وماثل ما تمدحه
وأليق ما يقال لك أمش فقط مع الذي يحرك ذلك الضحك الا انك ما تستجيز
ذلك فاغرضك في ان تكرمه تكريما جزيلا مبلغه ومع ذلك فالشرائع
التي كتبها أهل غلاطية تفيد ان يكون هؤلاء مهانين وأنت تقبلهم
قبول قواد لكافة المدينة وشفعائها وتستدعي جماعة الذين يطيعونك
ليقبلوا زبلا في اسماعهم وعبدك اذا نطق بسمعك بلفظ قبيح تضربه بسياط
كثيرة ولو عمل هذا العمل ابنك ولو فعلته امرأتك أو من كان من أهلك
تدعوا هذا الفعل مسبة لك واذا دعاك أناس عبيد قيمتهم ثلاثة أفلس
مسموعا ألفاظ أغانيهم القبيحة فلا تغتاظ عليهم فقط لكنك مع ذلك
تفرح بهم وتمدحهم وما الذي يكون عديلا لهذه البهيمة فان قلت انك أنت

ماتنطق بهذه الالفاظ القبيحة أقول لك وما فائدتك من استماعها وأولى ما يقال من أين يكون هذا بعينه واضحا لانك لو كنت ماتنطق بها لما كنت ولا اذا سمعتها تفرح بها ولا كنت تبادر بحرص جزيل تقديرها الى الصوت الذى يحزنك وقل لى اتفرح اذا سمعت المجدفين وماترتاع وتسد أذنيك وعلى حسب ظنى أنا انك تقول لا كان ان يقال هذا القول فى ذلك لانك أنت ماتجدف فاعمل هذا العمل فى الكلام القبيح المنكر وان شئت ان تبين لنا باوضح البيان انك ماتفرح بانك ماتتكلم أقوالا قبيحة فلا تستجيز ان تسمعها لانك متى تقتدران تكون ذا فضيلة وأنت قد ترتاب فى هذه الاغانى وأمثالها متى تؤثر احتمال الاعراق عن العفة والضحك والاغانى والالفاظ القبيحة تقتك قليلا قليلا لان عملا يحبو باهوان ننظف أنفسنا من هذه الاوساخ كلها بان تصير شريفة عفيفة لاتلبث متصرفة فى هذه المسامع وأمثالها أوما قد عرفتم اننا نهوى الى الرذيلة اذا جعلنا هذا المنكر صناعتنا وعملنا ومتى ننفلت من ذلك الاتون أما قد سمعت ماقاله بولس الرسول أفرحوا بربكم وماقال افرحوا بابليس المحتال متى يمكنك ان تسمع بولس الرسول متى تتخذ احساسا بذنوبك اذا كنت تسكر كل حين دائما من ذلك النظر ولعمرى انك اذا جئت الى ههنا فليس ذلك فعلا عجيبا عظيما وأليق ما يقال انه فعل عجيب مع انك انما تجى الى ههنا على بسيط ذات المجئ متصنعا بحضورك وتمضى الى هنالك بحرص ومبادرة وبكافة نشاطك وذلك واضح مما تجئ به الى منزلك اذا انصرفت من هنالك وبيان ذلك ان كافة المجاة التى تتدفق عليك هنالك بالالفاظ القبيحة بالاغانى والضحك حيث يجمعها كل منكم ويجيبها الى منزله وأليق ما يقال انه ما يجيبها الى منزله فقط لكنه يحصلها فى سريرته والاقوال التى لا يصح رفضها ترتجع عنها وتردها والاقوال المرذولة ماتمقتها لكنك تحبها وأناس كثيرون

استحموا بعد عودتهم من المقابر رما استحموا بعد ان عادوا من الملاعب ولا أهملوا من عيونهم دموعا ان الميت ليس هو نجسا وأما الخطية فتصنع فينا أوساخا بليغة لا يمكننا ان ننظفها ولا بعيون كثيرة من الماء الا بدموعنا وحدها او باعترافاتنا لكن ولا واحد منا يحس بهذا الوجع والوضع لاننا اذا كنا لا نخشى ما يجب ان نحذره لهذا السبب نخشى ما لا يجب ان نخافه من اجلاب الملاعب وارتجافها وجلباتها الشيطانية واشكالها المحالية لان أحد الالعاب فيما يكون شابا يحوى جمة شعره من خلفه مجموعة مؤنثا طبيعتنا بنظره وشكله وبثيابه ويريد على بسيط ذات الارادة ان ينتهى بكافة أفعاله الى صورة صبية ناعمة وغيره هذا يكون شيخا فيفعل ضد هذا الذى ذكرناه اذ يحلق رأسه بالموس ويشد حقويه قد انتزع الاستحياء قبل انتزاعه شعره قد وقف متسوما لاقتبال اللطم وللصفع مستعد الان يقول ويعمل كلما ينكر فعله ويستقبح ذكره والنساء هنالك واقفات برأس عرية مكشوفات عادمات الاستحياء واقفات يخاطبن المحفل الحاضر متدربات بزوال الخجل تدربا جزيلا تقديره دافقات على أذان الذين يسمعونهم كافة الوقاحة والزنا والخلاعة وحرصهن كله ان يقتلعن عفة الحاضرين كلها من أصولها ويخزين طبيعتنا ويوعبنها من شهوة الشيطان الخبيث لان هنالك تسمع ألفاظا قبيحة وتبصر أشكالا أقبح منها وتقصيصهن هذا حاله ومشيهن هذا النعت نعته ولبسهن هذه صورته ونغماتهن هذه القباحة قباحتها وتكسيرات الحانهن هذه شناعتها وغمزات ألحاظهن وسرعة طموحها جزيلا اختلافها والزمارات والصفارات والخيالات والموضوعات وكافة ما هنالك على بسيط ذاتها مملوءة فسقا الى أقصى غايته فقل لى متى تستفيق وقد دفق عليك ابليس المحتال من الزنا شرابا صرفا جزيلا مبلغه ومزج لك من الفسق أقداحا هذا مبلغ كثرتها لان هنالك الفسق وسرقات التزويج والنسوة

الزانيات

الزانيات والرجال الزناة والاحداث القالبين طبيعتهم الى طبيعة النساء
وكلما هنالك مما يتجاوز للشريعة وألفاظا كاذبة وغمز باوضحة أخا
تقهقهه على الجلوس فى هذه الفنون الضارة مع انه كان يجب ان تبكى عليهم
وتحسر تحسرا مرا ولعل قائلا منهم يقول فما رأيك أفتحبس الراقصة وتقلب
بقولك كلما هنالك فاقول له لعمرى ان أحوالكم كلها قد انقلبت الان
وانعكست قل لى من الذين يغتالون على تزويجهن أليسوا من جنا اللعب
هذا من اين الذين ينقبون حجلات أعراسهم أوليسوا من تلك الراقصة أو
ليس من هذا الموضع تصير الرجال مستقلين عند نسائهم أوليس من هذا المكان
يصير النساء مرفوضات عند رجالهن أوليس من هذا الموضع يصير الفاسقون
كثيرين فمن هذه الجهة صار من يمضى للملعب هو الذى يمضى ويعكس
أحواله كلها ويستورد عادة خاصة صعبة ولعله يقول لنا لا ولكن هذا
اللعب يستصوبه حسن ترتيب الشرائع فاقول له لعمرى ان اجتذاب النساء
وأمثالهن الغلمان الاحداث وقلب المنازل وعكسها هى أفعال المتوجهين الى
حصون عدم العفة ولعلك تقول ومن هو الذى من هذه المناظر صار فاسقا
فاقول لك ومن هو الذى لم يصر منها فاسقا فلو كان يسوغ لى الان أن أذكر
اناسا لكنت أريكم كم رجالا انفصلوا عن نسائهم وكم أناسا أخذهن اولئك
الزوانى مأسورين فمنهم من استنهضهم من مفرشهم بعينه ومنهم من سمحن
لهن أن يعاشروا فى عرسهم ولا مبدأ ازدواجه ولعلك تقول لى فما رأيك
قل لى انقلب الشرائع كلها فأقول لك لعمرى أن تبطيل هذه المشاهد يوجد
نقضها ليس فعلا زائغا عن الشريعة وذلك أن المفسودين فى المدن هم من
هذه الملاعب ومنها تتكون الاراجيف والمحن والفتن لان الذين يستمدون
من الراقصات طعامهم ويبيعون ببطنهم نعمتهم ويعملان الشنيعة وكل عمل
منكر قبيح هؤلاء هم باينين ودلالة على الذين يرجفون المنازل ويثيرون الفتن

وذلك أن الشبيبة المستصحبة البطالة المتربية فى أعمال قبيحة جزيلا تقديرها
تصير أشد وحشية من كل وحش ومع ذلك قل لى من أين ينشون الشجرة
أوليس من هذا المكان يوجدون حتى يطير الجميع الى الثبوت هنالك
وجعلوا الراقصات أن يقتمن بجلبات تبدو من مادحيهن كثيرة وبالنساء
العفيفات يحضرن للزانيات ويبلغن الى هذا المبلغ من سحرهم حتى أنهم
مايعجزوا ان يحركوا عظام الاموات أوليس من هذه الملاعب يخترعون هذه
الفنون اذا اضطروا أن يخترعوا فى حلقة ابليس المحتال تلك الخبيثة فنونا
كثيرة ومن أين تكون الزنا والفسق والشرور الكثيرة أرأيت انك أنت
باجتذابك الناس الى هذه الملاعب تقلب عيشتك وأنا بنقضى اياها أضمن
حياتك وأصونها ولعلك تقول افينبغى أن ننقض عادة الراقصة فاقول
ليت كان نقضها ممكنا وأليق ما يقال لو شئتم انقضتم الجزء الذى يناسبكم
وهدمتموه الا أنى لست آمر بصنف من هذه الاوامر بل اجعلوا أعمال اللعب
باطلة فمديح تبطيلها أعظم من مديح نقض مواضعها وان كنتم ماتماثلون
احدا من الناس فماثلوا العجم لانهم قد تنظفوا من هذا النظر كله
فاى اعتذار يكون لنا فيما بعد اذا كنا نحن الذين السموات مدينتنا الجائلون
مع الكاروبين المشاركون الملائكة نصير بهذا الفعل المنكر أشر من
العجم مع انه يمكننا أن نجد مطربات غير هذه جزيل عددها فان شئت ان
تتفرج فامش فى البساتين الذى يجرى حولها النهر والبحيرات تأمل
الجنان الخضرة أسمع البلابل مترنمة لازم هياكل الشهداء التى تجد فيها
عافية لجسمك ومنفعة لنفسك فليس فيها من الضرر صنف ولا تندم بعد
لذتها كالندم الحادث من هذه الملاعب قد امتلكت امرأة وبنين ماذا
يوجد عديلا لهذه اللذة قد امتلكت دارا وأصدقاء فهذه الاصناف المطربة
تفيدك المديح كثيرا مع العافية والسرور بها لان ما الذى يوجد أشد حلاوة

من

من البنين ماذا يكون أسر من المرأة عند من يشاء التعفف الذى يكون أسلى من الاصدقاء وقد قيل أن العجم اتجه لهم أن يقولوا فى وقت من الاوقات قولا عملوا فلسفة لانهم لما سمعوا وصف هذه الملاعب الزائغة عن الشريعة أن الروم على جهة تشبيه أحوالهم انما احتالوا بهذه المطربات لانهم ما يمتلكون اولادا ولا نساء موضحين بقولهم هذا ان ليس شيأ أحلى من البنين والزوجة اذ شئت أن تعيش عيشة شريفة ويوشك أن تقول لى وماذا يضرنى اذا حضرت هنالك ولا ينالنى من حضورى ضررا فاقول لك هذا الحضور مضر ضررا وأعظم من المضرات خسرانا وهو أن تفنى الوقت باطلا وجزافا وان تصير لاناس آخرين شكا لانك وان كنت أنت لم تنضر تجعل اناسا غيرك حريصين فى الحضور هنالك كيف ما تنضر أنت اذ تنتج للصائرين الى هنالك أسبابا لحضورهم ولاعمالهم لان الساحر والغلام الزانى والامراة الزانية وتلك الصفوف الشيطانية كلها يستميلون علة الاعمال الكائنة منهم الى رأسك لانه لولم يحضر الناظرون لما حضر العاملون هذه الاعمال وكذلك اذ قد حضروا فهم يقاسمونهم نار أعمالهم فمن هذه الجهة ان كنت لم تنضر فى عفتك ضررا وذلك فهو ممتنع لكنك ستتكبد عقوبات صعبة من اهلاك أناس آخرين عن الناظرين وعن الذين يجمعونهم فلو لم تذهب الى هنالك لكنت قد ربحت أعظم الفوائد فى عفتك فان كنت الآن عفيفا لكنت بهربك من النظر الى هذه المشاهد تكون أوفر عفافا فلا تعاندن معاندات زائدة ولا تخترعن حججا خالية من الفهم لان اعتذار واحد أن تنفلت من اتون أهل بابل وان تكون بعيدا من الزانية المصرية ولو احتجت أن تفلت من يديها عاريا فاننا على هذه الجهة نتمتع بلذة كثيرة اذ لا نلوم منا فطنتنا ونعيش عيشتنا الحاضرة بعفة ونستفيد النعم الصالحة المرتجاة بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى له المجد والعز الى أباد الدهور كلها أمين

المقالة الثامنة والثلاثون

وفى ذلك الوقت اجاب يسوع وقال اعترف لك يا أبي رب السماء والارض فانك اخفيت هذه الاقوال عن الحكما والفهما وأعلنتها لاطفال نعم يا أبي لان على هذه الجهة كانت المسرة قدامك مت ١١ : ٢٥ و٢٦

أرأيته بكم صنوف يقيدهم الى الايمان به أولها بمدايحة يوحنا لانه اذ أظهره معظما عجيبا أوجب أن الاقوال التى قالها كلها موهلة لتصديقها وهى التى اجتذبتهم الى معرفته وثانيها بقوله ملكوت السموات تغصب والغاصبون يختطفونها لان هذا القول قول من يحثهم ويدفعهم الى الايمان به وثالثها بايضاحه أن الانبياء كلهم قد تكاملوا لان قوله هذا أوضح أنه هو الذى تقدم الانذار به بالسن اولئك الانبياء ورابعها بايضاحه ان الاعمال كلها التى كان يجب أن تكون منه قد كانت كلها حينئذ كرمثل الصبيان وخامسها بتعييره الذين ما أمنوا به واراعته اياهم وتهويله عليهم بالعقوبات العظيمة وسادسها شكره للذين آمنوا به لان قوله ههنا اعترف لك أيها الاب انما هو أشكر لك فانك أخفيت هذه الاقوال عن حكما وفهما ولقائل يقول فما رأيك أفيفرح بهلاك أولئك وبانهم لم يعرفوا أقواله هذه فأقول لك

لاالبتة

لا البتة ما يفرح بذلك ولكن هذه طريقة فاضلة للخلاص الا يلزم الذين
لا يريدون ان يقبلوا الاقوال التي يقولها او يرفضونها لكن اذلم يصيروا عند
استدعائه اياهم أفضل مما كانوا لكنهم استلقوا على ظهورهم وتهاونوا يحصلون
بانزعاجهم في اشتهائها والشوق اليها لان على هذه الجهة نتوقع ان يصير الذين
اصغوا اليها أشد حرصا عليها لان كشفها لهم ليس موهلا للفرح لكنه مؤهل
للعبرات فهذا القول يجعله ان يبكي على المدينة فليس يفرح اذا لهذا المعنى
لكنه يفرح بان الاقوال التي ما عرفها الحكماء عرفها هؤلاء ه حذو ما قال
بولس الرسول أشكر الاهي لانكم كنتم عبيدا للخطية فأطعتم من صميم
قلبكم لرسم التعليم الذي دفعتم اليه فليس يفرح اذا ولا بولس لهذا السبب
بانهم كانوا عبيدا للخطية لكنه انما يفرح بانهم كانت هذه الحال حالهم
فتمتعوا بمواهب هذه فائدتها والحكماء ههنا يقصد بهم الكتاب الفريسيين
وانما قال هذه الاقوال جاعلا تلاميذه أوفر نشاطا مظهرا الصيادين لاية
مواهب أهلوا وهي المواهب التي خاب أولئك منها وبقوله حكماء لا يقصد
الذين قد امتلكوا الحكمة الصادقة لكنه يقصد الذين قد ظنوا انهم قد
امتلكوا هذه الحكمة من شدة تعمقهم في الفطنة ولهذا المعنى ما قال وأعلنها
للحمقى لكنه قال وأعلنها للاطفال يعني أعلنها للعادمي التصنع الخالين
من الشر وأظهر بذلك ان هؤلاء ليس انهم ما تمتعوا بهذه المواهب تمتعا خارجا
من الواجب فقط لكنه بين مع ذلك انهم تمتعوا بها على جهة الواجب ويؤدبنا
بهذه الاقوال كلها ان نجتنب التعظم وان نتمثل بالبساطة المجردة من الشر ولهذا
الغرض ذكر بولس الرسول هذا المعنى بافراط جزيل بتأكيد عندما كتب
هذه الالفاظ ان كان أحدكم يظن انه حكيم في هذا الدهر فليصر أحمق حتى
يصير حكيما لان على هذه الطريقة تتبين نعمة الله تقدس ذكره فان قلت فلم
يشكر اباه على انه هو قد عمل هذا العمل أجبتك مثلما يصلي و يتوسل الى

ابيه مظهراحبه الكثيرلنافكذلك يشكرهذا الشكرلان هذا الشكر
من حبه الكثير و بين ان أولئك ماخابوا منه فقط لكنهم قدخابوا أيضامن
أبيه لان هذا المعنى ماقاله لتلاميذه لاتلقوا الالفاظ القدسية للكلاب فسبقهم
هو وعمل هذا العمل و بين من هذه الاقوال ان له مشيئة تتقدم على فعله فان له
هو ان يشكرو يفرح بالكائن ولابيه ان يرى أن ولابنه يشكرهذا الشكر
حين سئل فيه لكنه هو من ذاته نهض اليه لانه قال على هذه الجهة كانت
المسرة قدامك وهذا معناه هو على هذه الجهة ارضاك هذا وان سالت فلم
أخفيت عن أولئك أجبتك اسمع بولس الرسول القائل انهم اذطلبوا ظنوا
ان يثبتوا عدلهم ماخضعوا لعدل الله تبارك اسمه تفطن اذاماذالاق
بتلاميذه ان يوجدوا وقد سمعوا هذه الاقوال ان المعانى التى ماعرفها
الحكماء عرفها هؤلاء واذعرفوها البثوا أطفالا وانما عرفوها اذاعلنها الله
لهم ولوقا البشيرقال ان فى تلك الساعة التى فيها جاء السبعون تلميذا فوصفوا
له أخبار أذعان الشياطين لهم حينئذ ابتهج يسوع وقال هذه الاقوال التى
بعد ان جعلتهم أوفرحرصا صيرتهم ان يتذللوا لانهم اذ كان لايقانهم ان
يتعظم فكرهم بطردهم الشياطين قمعهم فى هذا الوجه لان الحادث كان
اعلانا لهم وما كان يحرص أولئك ولهذا السبب اذتوهم الكتاب والفريسيون
انهم فهماء عند ذواتهم سقطوا بسبب صلفهم فان يكن لهذا السبب أخفيت
هذه المعانى عن أولئك فاذهبوا أنتم والبثوا أطفالا لان حصولكم أطفالا
لاجلكم ان تتمتعوا باعلان هذه المعانى لكم كما جعل أولئك ضد ذلك
ان يعدموها ولعمرى انه اذقال وأعلنها ماقال ان جملة ذلك هى لله لكن
مثلما قال بولس الرسول انه دفعهم الى عقل قدعدم توفيقه وانه قدأعمى
بصائرهم ماقال هذا القول موردا الله فاعلا بهم هذه الافعال لكنه انما قاله
متوخيا أولئك الذين أباحوا علة هذه العوارض فكذلك ذكر فى هذه الاقوال

واعلنها

وأعلنتها لانه لما قال اعترف لك لانك أخفيتها وأعلنتها الاطفال فحتى لا نتوهم
ان حاله هو حال معدوم هذه المقدرة وانه يشكر هذا الشكر اذ ليس هو
مقتدرا ان يعمل هذا العمل قال كل شئ قد دفع الى من أبي قد سلم أبي الى
أعماله كلها رادعا بذلك المسرورين بان الشياطين تخضع لهم كانه قال
ما بالكم قد استعجبتم ان الشياطين تطيعكم فالاعمال كلها أعمالي وكلها
قد سلمت الى من أبي فلا تتوهمن توهما انسانيا فانه انما رسم هذه اللفظة
حتى لا تتوهم الاهين عديمين ان يكونا مولودين والبرهان على انه كان سيد البرايا
كلها مع انه قد ولد فواضح من جهات كثيرة ومن معان مختلفة ثم قال
لفظ أعظم من هذا مقوما تمييزك وليس يعرف الابن عارف الا أبوه ولا يعرف
الاب عارف الا ابنه ثم وقد يظن هذا القول عند الذين يجهلونه ينقض الاقوال
التي قيلت قبله وهو يوافقها موافقة عظيمة لانه اذ قال قد سلم أبي الى
أعماله كلها استثنى بان قال وماذا يكون مستعجبا ان كنت أنا سيد البرايا
كلها أذا نا مالك ملكة أخرى أعظم من هذه وهي ان أعرف أبي وانني موجود
من جوهره بعينه لانه قد أوضح هذا المعنى ايضاحا خفيا من قول انه وحده
يعرف أباه على هذه الجهة لانه اذ قال ليس أحد يعرف الابن الا الاب ولا
يعرف الاب عارف الا ابنه فانما يقول هذا القول وأبصرني قال هذه
الاقوال حين حصلوا بافعاله برهان قدرته ليس لما راوه مجترحا عجائبه
فقط لكن اذ قد اقتدروا مع ذلك على آيات هذا مبلغ كثرتها باسمه ثم قال انك
أعلنت هذه المعاني لاطفال بين ان هذا الفعل موجود له أيضا لانه قال
وما عرف الاب عارف الا ابنه واذا شاء ابنه يعلنه لمن يشاء ليس اذا رسم له
ولا اذا أمر يعلنه فان كان يعلن اباه فهو يعلن ذاته لكنه أهمل هذا المعنى
من طريق أنه متعارف به ورسم ذلك المعنى وهذا الغرض فقد ذكره في كل
مكان من تعليمه مثلما قال ما يقدر أحد الناس أن يجي الى أبي الا بي وبهذه

الاقوال يصلح معنى آخر وهو أن يبين انه هو متفق مع ابيه ورأى أبيه رايه
كانه قال انى ابتعد ابعد البعد من ان احاربه وانافره لانه لا يستطيع
احد ان يجي الى ابي الابي واذ كان هذا الوهم قد رأبهم اكثر من كل شئ وهو
ظنهم انه ضد الله يستأصل هذا الظن باقواله هذه كلها ليس دون استئصاله
اياه بجانبه لكنه يسرع في تلافي ذلك باكثر سرعة واذ قال وليس يعرف
الاب عارف الا ابنه فما قال هذا القول ان الناس كلهم قد جهلوه لكنه
قال يبين ان المعرفة الذي قد عرفه هو بها ليس يعرفه عارف بها وهذا القول
يسوغ ان يقال في وصف الابن لانه ما قال هذه الاقوال في وصف الاب قد
عدم ان يكون معروفا ليس يكون معروفا عند احد كما قال مركين الكافر
لكنه انما رمز في تلك الالفاظ الى المعرفة البليغة في الاستقصاء اذ كنا ما نعرف
الاب ايضا كما يجب ان يعرف وهذا المعنى بعينه وضحه بولس الرسول اذ قال
انما نعرف بعض المعرفة ونتنبأ بعض التنبي ثم نبههم بالاقوال التي قالها
في شهوة تائقة اليه واظهر قدرته التي لا توصف فدعاهم حينئذ وقال
تعالوا الي يا جماعة المتعبين المتحملين الاوزار وأنا أريحكم أحملوا نيري عليكم
وتعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم فما دعى
فلانا وفلانا لكنه دعى كافة الذين في الهموم الذين في الغموم الذين في
الخطايا وقال تعالوا ليس حتى أطالبكم بعقوبات لكن حتى أحل خطاياكم
تعالوا ليس لاني محتاج الى تمجيدكم اياي لكن لاني محتاج الى خلاصكم
لانه قال فانا أريحكم فما قال فانا أخلصكم فقط لكنه قال ما هو أكثر من
تخليصهم جدا فانا أثبتكم في كافة الطمأنينة والراحة احملوا نيري عليكم
وتعلموا مني فاني وديع أنا ومتواضع في قلبي فتجدوا راحة في نفوسكم لان
نيري صالح وحملي خفيف لا تخافوا اذ قد سمعتم نيرا فانه صالح هو ولعلك
تقول فكيف قال فيما تقدم من كلامه ان الباب ضيق والطريق صعبة

فاقول

فاقول لك أنه انما يكون ضيقا صعبا اذا كنت دنيا واذا كنت طريحا
على ظهرك عاجزا كما انك اذا أحكمت الاوامر التى قبلت يكون الحمل خفيفا
ولهذا الغرض سماه الآن بهذا الاسم فان قلت فكيف تحكمها أجيبك
اذا صرت متواضعا متذللا وديعا ورعا لان هذه الفضيلة هى أم الفلسفة كلها
وكذلك اذا ابتدى بتلك الشرائع الالهية بدأ من هذه الفضيلة وفى ألفاظه
هذه يعمل هذا العمل بعينه ويرسم جائزتها عظيمة لانك ما تكون نافعا لغيرك
فقط لكنك مع ذلك تربح ذاتك قبل كل الناس لانه قال فتجدوا راحة
فى أنفسكم وقبل النعم المأمولة قد أعطاك المكافاة ههنا ومنحك راية الظفر
ويوضعه ذاته فى هذه الوصية فى الوسط مثالا جعل كلامه سريعا اقتباله
كانه قال ما بالك خائفا الا تنقص اذا صرت متذللا تأملنى أنا وتعلم منى أعمالى
كلها فتعلم حينئذ علما يقينا جسامة قدر هذا العمل الصالح أرأيت كيف
يقتادهم باقواله كلها الى تواضع الاب من أعماله التى عملها وهو لانه قال
عز قوله تعلموا منى لانى وديع أنا من الاعمال التى توقعوا هم أن يربحوا
فانكم تجدون راحة فى أنفسكم من المواهب التى يهبها لهم قال فانا أريحكم
جعل هذه الوصية والفضيلة خفيفة عليهم لان نيرى صالح وحملى خفيف
وهذا العمل قد عمله بولس عند قوله لان الحمل الخفيف عاجلا من
شدتكم على نحو افراطه فى اسرافه يصطنع لكم حظا ثقيلا من المجد
دهريا

العظـــــــــــــــــــــــة

فان قال قائل فكيف يكون عمله خفيفا اذا كان يقول ان لم يمقت الواحد
اباه وامه ومن لم يحمل صليبه ويلحقنى ليس يوجد موهلا لى ومن لا يتبرأ
من الموجودات له كلها ليس يقدر أن يكون تلميذا لى اذا كان يأمر أن نبذل

تفسنا بعينها نقول له فيعلمكم بولس الرسول تيسر ذلك بقوله ماذا يفصلنا من
حب المسيح أشدة أم ضيقة بلذة أم طرد أم جوع أم عرى أم تورط فى
شدة أم سيف فان الام وقتنا الحاضر وعوارضه ليست معادلة فى القيمة
للمجد المنتظر اعلانه لنا وليعلمك الذين رجعوا من محل اليهود بعد
ضربهم الكثير بالسياط مسرورين بانهم أهلوا الان يهانوا لاجل المسيح فان
أخافك وأراعك عارض اذا سمعت النير والوقر فخوفك ليس هو من طبيعة
غريزتها لكنه من توانيك وعجزك كما انك اذا كنت متسوما حاويا نشاطا
تكون العوارض كلها متيسرة خفيفة عليك لان لهذا الغرض أوضح المسيح
أنه يجب علينا أن نعمل أوامره هذه فما ذكر أوامره الصالحة وسكت فقط
ولا ذكر أوامره الثقيلة فقط لكنه اوضح الصنفين كليهما فذكر نيرا
واسماه صالحا وذكر حملا واستثنى بانه خفيف حتى لا نهرب من
أوامره كلها كانها متعبة ولا نتهاون بها كانها سهلة المراس جدا فان تقرر
الرأى عندك بعد هذه الاقوال كلها ان الفضيلة هى صعبة فافطن ان
الرذيلة أصعب منها وهذا المعنى فاذا أومأ اليه ايماء غامضا هو ما قال أولا تسلموا
نيرى لكنه قال أولا تعالوا الى أيها المتعبين المحتملون الاوزار موضحا ان
الخطية تحوى تعبا وحملا ثقيلا صعبا حمله لانه ما ذكر تعبين فقط لكنه ذكر أيضا
معهم متحملين أوحالا وهذا المعنى قد ذكره النبي اذ صور طبيعة الخطية بمنزلة
حمل ثقيل هذا قد ثقلت على اوزكريا قدمثلها وقال انها قنطار من الرصاص
وهذا المعنى فالممارسة توضحه والخبرة لان ليس يوجد ثقل يثقل على جهة التشبيه
نفسنا ويجتذبها الى أسفل مثل تذكار الخطية وليس يوجد شئ بهذه الصورة
يريشها ويجعلها متعالية مثل اقتناء العدل والفضيلة وتصفح هذا المعنى
ماذا يوجد أثقل من الا يقتنى أحدنا شيأ أو من تحويل خده الآخر للاطمه
أو من لا يضرب اذا ضرب أو من ان يموت بموت غاصب لكننا مع ذلك اذا

ثفلسفنا هذه الاصناف كلها خفيفة متيسرة واللذة مخترعة ولكن لا تزحفوا
بل ان أثرتم فلنتصفح صنفا صنفا من هذه الاصناف وان شئتم فلنتأمل الاول
منها المظنون عند أناس كثيرين انه متعب قل لي أي هذين الصنفين ثقيلا
مستصعبا ان تهتم بحاجة بطن واحد وان تهتم بحوايج بطون كثيرة ان تكتسى
ثوبا واحدا ولا تطلب شيأ أكثر منه ام ان تمتلك ثيابا كثيرة داخل بيتك وان
تنقطع فى كل نهار وليل خائفا مرتعدا بسبب خطفها متوجعا مخنوقا من أجل
خسارتها حد الاتصير للدود طعاما خائفا الا يستلبها غلامك ويهرب الا انى
مهما أقوله فليس يبين قولى قياسا بليغا فى ايضاح ذلك مما تبلغه ممارسة
الافعال فلذلك قد كنت أشاء ان أحضر لكم واحدا من الواصلين الى
دورة الفلسفة فلقد كنت حينئذ تعلم علما يقينا لذة هذه الملكة وتعرف
ان ولا واحدا من أولئك العاشقين الزهد فى القنية جنح الى ان يستغنى ولو ان
الذين يخولونه كثيرون ولعل قائلا يقول وما هذا الفعل المستغرب وهؤلاء
الاغنياء ربما عرض لهم فى وقت من أوقاتهم ان يصيروا فقراء وان يهملوا
الهموم التى لازموها فنقول له ان ايضاح غباوتهم وصعوبة سقمهم هو ان
لهذا العارض ليس يوجد حادث لذيذ عندهم وهذا العزم فيشهد به عندنا
هؤلاء المتخبون كل يوم على هذه الهموم الظانون ان حياتهم توجد عدما للحياة
الا ان أولئك الزهاد ليست هذه السجية سجيتهم لكنهم يضحكون ويرتكضون
ويتحملون بفقرهم أكثر من تحمل اللابسين التاج بزينتهم وأيضا فتحويل
أحدنا خده للاطمه أخف عند من يتأمل فائدة ذلك من ان يضرب
هو غيره لان هنالك يستمد الحرب مبدأها وههنا يستمد حلها وبذلك فعل
الضرب قد اضطرمت نار رفيقك وباحتمالك هذا قد أخمدت لهيب غيظك
ولعمرى ان تبوئك لا تحترق الذمن ان تحترق وذلك واضح لكل أحد فى
كل مكان واثن كان التخلص من الاحتراق لذيذا فى جسمنا فأولى به ان يكون

فى نفسنا الذ كثيرا وماذا يكون أخف ان يجاهد أحدنا أم ان يكل ان يلاكم
أم ان يمتلك رأيه ظفره أم ان يحتمل الامواج أم ان يثبت فى ميناسكونه ولعمرى
ان محمودا ان يموت أحدنا أفضل من ان يعيش وبيان ذلك ان موته يخرجه
من سافق أمواج الدنيا ومن اختبارها وحياته اذا طالت تجعله مديونا باغتيالات
كثيرة وتورطه فى شدائد جزيلة لاجلها وعلى ماذ كرت تكون حياته عدم
للحياة فان كنت تنكر ما قلناه فاسمع الذين انضروا وهم الشهداء فى أوان
جهادهم كيف كانوا فى حال ضربهم بالسياط وجهادهم مسرورين
مسارعين وعند طرحهم فى المقالى أبتهجوا وفرحوا أكثر من فرح المدعوين
الى غياض الورد وكذلك قال بولس الرسول اذ توقع ان يذهب من ههنا وان
ينقض حياته بموت غاصب أنا مسرور ومبتهج معكم كلكم فافرحوا أنتم بهذا
الحادث وابتهجوا معى أرأيت باى سرور مفرط يدعو المسكونة كلها الى
مشاركة سروره لانه عرف معرفة بليغة ان سفره من ههنا يكون حظا عظيما
صالحا واعتد الموت المرهوب بهذه الصورة من تمثيله مأثورا معشوقا ولذة
موهلا والدليل على ان الفضيلة لذيذ خفيق فواضح من جهة أخرى فى انحاء
كثيرة وان رأيت فلننظر فى أوقار الخطية ونقتاد الى وسط كلا منا المستغشمين
المتأجرين المصارفين من سمات وقحه ماذا يكون أشد ثقلا من هذه المتاجرة
كم غموما كم مصادمات وكم أخطارا وكم حروبا واغتيالات تفزع فى ارباحهم
هذا كل يوم كم ارتجاف واضطرابات تعرض لهم وكما ان البحر يتفق
ان يبصر فى وقت من الزمان خاليا من أمواج فكذلك ليس يتفق ان تبصر
النفس التى هذا حالها خالية من هموا كتئاب وخوف وارتجاف لكن
أمواج هموم هم الاولى تداركها الثانية ويتبع هذه أيضا غيرها وما تكون
هذه الامواج قد سكنت بعد فتعلوا غيرها فوقها وان شئت ان تبصر نفوس
المشتومين الحنقين فما الذى يكون أشر من تعذيبها المتوقد دائما ومن

لهيبه

لهيبه الذى ليس يخمد في وقت من أوقاتهم ومحبو الاجسام والمشغفون بهذه الحياة الحاضرة وماذا يكون أصعب من عبوديتهم هذه المذمومة اذ يعيشون عيش قايين مرتعشين برعدة متصلة منتحبين بخوف على وفاتهم وعلى وفاة واحد فواحد من المتوفيين من أهلهم وماذا يكون أكثر ارتجافا من المتبذخين وأشد جنونا منهم لانه قد قال تعلموا مني فانى وديع ومتواضع فى قلبي فتجدوا راحة فى نفوسكم وذلك ان احتمال النوائب أم الصالحات كلها ولا تخف ولا تطير من النير الذى يخفف عنك هذه النوائب كلها لكن ادخل تحته بكافة نشاطك فحينئذ تعرف لذته معرفة شافية لانه ليس يهشم عنقك لكنه انما وضع لحسن الترتيب وحده وليحقق لك ان تمشى خطوات حسنا تقومتها ويسوقك الى الطريق الملكية ويستخلصك من الحافتين المتطرفتين كلتيهما ويجعلك ان تسير فى الطريق الضيقة ميسرا متيسرا فاذا كان هذا النير هذه الخيرات الجزيلة قدرها خيراته وهذه الصيانة الكثير مبلغها صيانته وهذا السرور الجزيل مقداره سروره فسبيلنا ان نجز هذا النير بكافة نفسنا وبجملة حرصنا لكى نجد ههنا راحة فى نفوسنا ونتمتع بالنعم الصالحة المأمولة بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى له المجد والعز الآن ودائما والى أباد الدهور آمين

المقـــــالة التاسعة والثلاثون

فى قوله فى ذلك الحين مشى يسوع فى يوم السبت بين الزروع واذ كان تلاميذه قد جاعوا أقبلوا ايفركون سنبلا ويأكلون مت ١٣ : ١

لعمرى ان لوقاء البشير قال فى السبت الثانى من الاول وان سألت ما معنى السبت الثانى من الاول أجبتك اذا كانت البطالة من وجه فيعقبها بطالة سبت للرب و بطالة عيد آخر يسمى بهذا الاسم لانهم يسمون كل بطالة سبتا وما الذى اعتمده العارف الاشياء كلها قبل كونها اذا قتاد تلاميذه هنالك ان لم يكن يشاء أن يحل السبت فقد شاء ذلك لكنه ما أراد ذلك على بسيط ذات الارادة وكذلك لم يحله فى وقت من الاوقات خلوا من علة لكنه كان يحله اذا أورد حججا واضحا احتجاجها حتى يسكن شريعته ولا يلذع اولئك وربما يكون قد حله فى موضع على جهة تقدمه وهو بذلك ليس يعارض حله مثلما طلى عينى الضرير طينا ومثلما قال ان أبى الى الآن يعمل وأنا أعمل فيفعل هذه الافعال على هذا الوجه ممجدا اياه وفى ذلك المعنى يفعلها امتثالا فيا ضعف اليهود وهذا العمل يعمله ههنا حين أورد اضطراب طبيعتنا مع أن الخطايا المتعارف بها لا يكون فيها فى وقت من الاوقات اعتذار لان القاتل لا يقدر أن يورد غضبه احتجاجا ولا الفاسق يمكنه أن يقدم شهوته حجة يعتذر بها وأولى ما يقال أنه ما يمكنه أن يذكر ولا علة واحدة اخرى احتجاجا فيذكر ههنا جوع التلاميذ واستخلاصهم به من كل جناية واستعجب لى أنت أن تلاميذه

المتورعين

المتورعين هذا التورع الجزيل اذا ما وعدوا وما جعلوا ولا عارضا من العوارض الجسمانية حجة لكنهم جعلوا مائدة جسمهم عملا منحرفا عن معتقدهم وكانوا جياعا جوعا متصلا فما انتزحوا عنه ولا على هذا الحال لانهم لو لم يضطرهم جوعهم اضطرارا شديدا لما كانوا عملوا هذا العمل فاذا بصرهم الفريسيون قالوا له ها تلاميذك يعملون ما ليس جائزا أن يعمل في سبت في هذا الموضع ما انكروا عليهم انكارا شديدا على ان ذلك قد كان لائقا بهم الا انهم مع ذلك ما اغتاظوا عليهم كثيرا لكنهم شكوهم على بسيط ذات الشكوى وحين بسط تلك اليد اليابسة وقومها حين تنمروا عليه تنمرا أوصلهم الى أن تشاوروا في ذبحه وقتله ففي أفعال ما كان يصير فيها ز للاعظيما عندهم شهما شديدا كانوا يهدون وحين كانوا يرون اناسا مخلصين كانوا يتنمرون ويرتجفون قد حصلوا أثقل من الاوقار كلها أعداء لخلاص الناس فان سألت وكيف احتج ايسوع عن تلاميذه أجبتك قال أما قرأتم ما فعله داود في الهيكل لما جاع هو والذين كانوا معه كيف دخل الى بيت الله وأكل خبزات التقدمة التي ما كان جائزا له أن يأكلها الا الكهنة وحدهم لعمري أنه متى كان يحتج عن تلاميذه كان يورد داود النبي الى وسط خطابه واذا احتج عن ذاته أورد اباه وانظر كيف خاطبهم خطابا بالداعا وقال ما قرأتم ما فعل داود لان شرف داود النبي كان كثيرا حتى أن بطرس الرسول بعد ذلك عند احتجاجه لليهود قال هذا القول ان كان ممكنا أن يقال لكم بمجاهرة في وصف داود رئيس انه استكمل عمره ودفن ولقائل أن يقول فلاي غرض ما يلقبه بمرتبته لا في هذه الاقوال ولا في الاقوال التي بعدها فنقول له لعله فعل ذلك أذ من داود استمد جنسه ولو كانوا أقواما ساميين لكان قد أوردا لهم كلامه في عارض الجوع واذ كانوا انجسين قد زالت الانسانية منهم خبر داود وقد قرى لهم ولعمري أن مرقس ذكر أن فعله كان في عصر أبياثر رئيس الكهنة فليس

قوله مضاد للخبر لكنه أوضح أنه كان شائع الذكر واستثنى بان قال ان ذاك اعطى اود الخبز مظهرا احتجاجه ههنا عنه عظيما اذا كان أمره يا كل ذلك الخبز وما أوعز اليه بأكله فقط لكنه مع ذلك خدمه أيضا ولا تقول لى ان داود كان نبيا لان ولا على هذه الجهة كان جائزا له لكن هذه الملكة المتقدمة على غيرها كانت الكهنة وكذلك استثنى بقوله الا الكهنة وحدهم لانه وان كان مرآت كثيرة نبيا الا أنه ما كان كاهنا وان كان نبيا الا أن أصحابه الذين كانوا معه وما كانوا انبياء لانه قد اعطى أولئك من الخبزات ولعلك تقول فهل أولئك كانوا معادلين داود فأقول ما غرضك فى ان تذكر لى رتبته فى موضع يظن انه معصية للشريعة ولوان الضرورة توجد للطبيعة لان هذه الضرورة أكثر من كل شئ يستخلص هؤلاء التلاميذ من الجنايات اذا استبان المعظم داود عاملا هذا العمل بعينه ولعلك تقول وما هو هذا الاحتجاج بالاضافة الى المطلوب لان ذاك المفضل داود لم يحل السبت ولم يخالفه فاقول لك فانما تذكر لى أعظم الاحتجاج وماتبين حكمة المسيح أوضح بيانا لانك تهمل السبت وتجيب مثالا آخر أعظم من السبت لان ليس ذلك متساويا أن يتجاوز أحدنا يوما واحدا وأن يلمس تلك المائدة الطاهرة التى ما كان لائقا باحد الناس أن يدنو منها لان السبت قد حل دفعات كثيرة وأولى ما يقال أنه قد كان يحل دائما فى الختانة وفى أعمال غيرها كثيرة وقد يبصر باصر هذا الحادث كائنا فى فتح مدينة اريحا وهذا صار فى ذلك الحين فقط حين كانت الغلبة من الاكثر ولعلك تستعجب كيف ما شكى داود النبى شاك مع أن فعله هذا قد تكونت منه جناية اخرى أعظم منه وهى أن قتل الكهنة من هذا الفعل استمد مبداه الا أن ربنا ما ذكر هذا وانما قصد ما اعتمده فقط و بعد ذلك حل الشك على جهة أخرى لانه فى مبدأ كلامه اقتاد داود النبى الى وسط احتجاجه فابضاعتوهم رتبة وجه داود فلما

اصحابهم

أصعتهم وأهبط تعظمهم أورد بعد ذلك حلا أبين حقيقة من الاول وان سألت وماهو هذا أجبتك أنه قال أماقد عرفتم أن الكهنة في الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء من جناية لانه هنا لك ذكر العارض واخترع حله خلوا من عارض الا أنه ماحله على هذه الجهة في الحين لكنه حله أولا بمعنى مسامحة وبعد ذلك حله بمعاندة لانه احتاج أن يورد أخيرا الحل الاقوى من ذلك مع أن الحل الاول يحوي قوته ولا تقول لي أن احضاره الى وسط الكلام مخطئا هذا الخطأ بعينه لن ينصاع منه استخلاف تلاميذه من التبعة لان يحترم الخطأ اذا لم يشكي يصير ما اجترى عليه شريعة لاعتذاره الا أنه ما اكتفى بهذا لكنه أورد ماهو أبلغ بقوله انما عمله تلاميذه ليس يوجد خطية وهذا فكان خصوصا من غلبة بهية أن يظهر ذاته حالا شريعته عاملا هذا العمل مزدوجا من المكان ومن السبت وأولى مايقال أنه عمل ثلاثي فصل هذا الفعل مزدوجا وقد عمل هذا محلا آخر وهو أن ليس يوجد ذلك زللا لانه قال وهم ابرياء من جناية أعرفت كم معاني وضعها فاورد المكان لانه قال في الهيكل وذكر الوجه لانه قال أن الكهنة ووصف الوقت لانه قال السبت وذكر الفعل بعينه لانه قال انهم يدنسونه لانه ماقال انهم يحلونه لكنه ذكر ماهو أثقل أنهم ينجسونه وانهم مايقابلون على ذلك مقابلة عدله فقط لكنهم مخلصون من الجناية لانه قال انهم أبرياء من علة ومن جناية كانه قال لهم لا تظنوا ان هذا الفعل يشبه ذلك الفعل الاول لان فعل تلاميذي كان دفعة واحدة وما كان فعل كاهن وكان من ضرورة الجوع ولهذا السبب كانوا موهلين للعفو عنهم وهذا فعل الكهنة يكون في كل سبت وهو فعل كهنة وفي الهيكل وبافتراض الشريعة فكذلك هم مخلصون من الجرائم ليس على جهة مسامحة لكنهم أبرياء بافتراض الشريعة لانني ماذكرت هذه الاقوال شاكيا اياهم ولا مبريا

اياهم من هذه العلة يعني مسامحة لكن بحجة الحكم العدل وقد يظن انه يعتذر عن أولئك الكهنة وهو يعتق تلاميذه هؤلاء من التبعات لانه قال ان اولئك أبرياء من علة وجناية فقد قال ان هؤلاء أحق وأليق ان يكونوا أبرياء من علة وجناية ولعلك تقول الا انهم ليسوا كهنة فأقول لك انهم أعظم من الكهنة لانه هو حاضر ههنا وهو سيد الكل والهيكل وهو الحق ليس الرسم فكذلك قال أقول لكم ان يوجد ههنا أعظم من الهيكل الا انهم مع ذلك اذ سمعوا أقوالا هذا مبلغ عظمها ما قالوا شيأ لان ما كان مقصدهم خلاص انسان ثم اذ رأى بانه يكون الا يوجد ثقيلا عند الذين يسمعونه ستر هذا الوهم مريعا باستمالته أيضا كلامه الى مسامحتهم وقال هذا القول لو عرفتم ما هو معنى أشاء رحمة ولست أشاء ذبيحة لما أوجبتم اللوم على الابرياء من علة وجناية أعرفت كيف يستميلهم أيضا الكلام الى مسامحتهم أعني تلاميذه ويظهرهم أيضا أعلى من العفو عنهم لانه ما قال لما كنتم أوجبتم اللوم على الابرياء من علة وجناية ولعمري انه ضم أولا قول رؤسا الكهنة في هذا المعنى بعينه بقوله وهم أبرياء من علة وجناية ووضع من ذاته هذا القول وأليق ما يقال ان هذا القول من الشريعة لانه قرأ لفظا من ألفاظ الانبياء ثم ذكر أيضا علة أخرى لانه قال ان ابن الانسان هو رب السبت فقوله هذا من أجل ذاته ومرقس البشير قال ان هذا القول قيل من أجل طبيعتنا المشاعة لانه قال السبت انما صار لاجل الانسان وما تكون الانسان لاجل السبت ولعلك تقول فلم عوقب الذي جمع الحطب فيه فاقول لك ان شرائعه لو كانت أشرفت ان تحتقر في ابتداء اشتراعها لكانت قد حفظت أخيرا ابطاء ومدافعة وذلك ان السبت نفعهم في الابتداء منافع كثيرة عظيمة كقولك انه جعلهم رافقين باهلهم انسين متعطفين وعرفهم عناية الله عز وجل وابداعه وهذا المعنى قد ذكر حزقيال النبي انه علمهم قليلا قليلا ان يبتعدوا من خبثهم وجعلهم ان

يصغوا الى الاقوال الروحانية لانه لما أعطاهم شريعة السبت لو كان قال لهم
اعملوا فى السبت الاعمال الصالحة ولا تعملوا فيه الاعمال الردية لما كان أجابوا
الى ذلك ولكن على الاشبه بذلك قد بطل الاعمال كلها لانه قد قال
لا تعملوا فيه عملا وما ضبطوه ولا على هذه الجهة فهو أعطى شريعة السبت
وأومى الى هذا المعنى انه يريدهم ان يبتعدوا من الاعمال الخبيثة فقط لانه
قال لا تعملوا عملا ما خلا الاعمال التى تعملها انفسكم وفى الهيكل قد عملت
أعماله كلها بحرص كثير و يعمل مضاعف فعلى هذه الجهة بالرسم والظلال
فتح لهم الحق ولقائل ان يقول فالمسيح إذا قد حل فائدة هذا مبلغ تقديرها
فنقول له لا كان ذلك لكنه زاد الفائدة واغناها كثيرا لانه حان وقت
الاعمال كلها بأقوال أعلى من تلك سموا وما وجب ان تربط يدى المتخلص من
خبثه المتريش الى الاعمال الصالحة كلها لاننا ما تتعلم من هذه الجهة ان
الله خلق البرايا كلها ولا نستفيد من هذا الوجه ان يجعل المدعوين الى
التشبه بتعطف الله على الناس رفقين أنيسين لانه قال جل قوله كونوا رؤفين
كابيكم ولا ان يعيدوا يوما واحدا الذين قد أمروا ان يجعلوا عمرهم كله عيدا
لان الرسول قد قال سبيلنا ان نعيد ليس بخمير عتيق ولا بخمير رذيلة وخبث
لكن نعيد بفطائر صفا الطهارة والحق لان ليس يقف بين يدى تابوت ومذبح
ذهبى الذين قد امتلكوا سيد البرايا كلها بعينه ساكنا فيهم وقد حصلوا
يخاطبونه باقوالها كلها و بصلاتهم و بالقربان و بكتبه و بصدقهم
وبامتلاكهم اياه فى باطنهم فمن يعيد دائما المتصرف فى السماء حاجته الى السبت

العظـــــــة التاسعة والثلاثون

فسبيلنا اذا ان نعيد دائمين ولا نعمل عملا خبيثا وهذا هو العيد لكن فلتتكاثر
عندنا الاعمال الروحانية ولنصرف عنا الهموم الارضية و ينبغى ان نبطل

بطالة روحانية بابتعاد أيدينا من الاستغنام واستخلاصنا جميعنا من الاعمال الزائدة الفاقدة المنفعة التي صابرها مجمع اليهود حينئذ في مصر وبيان ذلك ان الذين يجمعون الذهب لافرق بينهم وبين العاملين في الطين والحاملين ذلك اللبن والجامعين التبن والمضروبين بالسياط وذلك ان ابليس المحتال يوعز الان بعمل اللبن مثل ما أوعز في ذلك الحين فرعون بعمله لان الذهب ما هو الا طين والفضة ما هي الا تبن والفضة كالتبن تشعل لهيب شهوتنا والذهب يوسخ مالكه كما يوسخ الطين جسمه فلذلك أرسل لنا ليس موسى من مصر لكنه أرسل لنا ابنه من السماء فان لبثت في مصر بعد مجيئه سيلحقك بالحق أهل مصر وان تركت مصر وطلعت مع اسرائيل العقلي الروحاني ستبصر العجائب كلها لكن ليس يؤهلك هذا الفعل لخلاصك لانك ما يجب عليك ان تتخلص من مصر فقط لكن ينبغي لك ان تدخل الى أرض الموعد اذا اليهود على ماذ كربولس قد عبروا في البحر الاحمر وأكلوا منا وشربوا مشروبا روحانيا الا انهم مع ذلك كلهم هلكوا فحتى لا تنوبنا نحن نوائبهم باعيانها الانكسان ولا نتباطى لكن اذا سمعت الان خبثاء يذمون ويقلبون الطريق الضيقة الضاغطة ويقولون ما قاله حينئذ أولئك الجواسيس فلا نغا ثلن الجمع الجزيل عدده لكن فلنشابه يسوع ابن نون وكالب ابن عنقوني ولا نبتعد أولا الى ان نتسلم الوعد ونسلك السموات ولا نتوهم ان السفر يوجد صعبا لاننا ان كنا صالحنا الهنا لما كنا أعداه فأليق بنا وأوجب ان نتخلص اذ قد صالحناه ولقائل ان يقول الان هذه الطريق ضيقة ضاغطة فنقول له ان الطريق الاولى التي قد عبرت فيها ليست ضيقة ضاغطة فقط لكنها مع ذلك قد عدمت السلوك فيها مملوءة وحوشا وحشية وكما ان العبور في البحر الاحمر ما كان يمكنه ان يصعد الى السماء الثابين في عيشتهم الاولى لو لم تظهر المعمودية في الوسط ولئن كان الممتنع قد صار ممكنا وأوجب من ذلك كثيرا ان يصير الصعب

العسير

العسير سهلا متيسرا ولكن ربما قال قائل الان ذاك الفعل انما كان للنعمة
فقط فأقول له فاهذا المعنى خصوصا سبيلك ان تتق اذا كنت عدلا لانه ان كان
حيث كانت نعمة وحدها سعدت فحيث قد صار معها اتعاب أفما
تسعد أكثر وأزيد وان يكن قد خاص باطلا أفليس أليق به وأوجب
ان يعين عمولا متعوبا وقد ذكروا فيما سلف ان من الاشياء الممتنعة ينبغي
لك ان تتق في الحوادث الصعبة وأنا الان أقول ذلك القول اننا اذا استفقنا
فما تكون هذه الحوادث صعبة لان أبصر الموت قد وطئ وابليس المحتال
قد انهوى ساقطا وشريعة الخطية قد أخمدت ونعمة الروح قد أعطيت
وحياتنا قد سترت الى مدة يسيرة والاوامر الثقيلة قد قطعت ولكي تعرف هذه
الاقوال تصفحها من الاعمال باعيانها كم أناس فاقوا على أوامر المسيح وزادوا
عليها وأنت قد خشيت مقدارها بعينه أي اعتذار يمتلكه اذا كان أناس
غيرك قد ظفروا وافوق ماقد فرض عليهم وأنت تجزع مما قد اشترع لك لاننا
ننبهك الى ان تعطى صدقة فما يوجد لك وغيرك فقد تعرى من كافة الموجودات
عنده ونسألك ان تعيش مع امرأتك عيش العفاف وغيرك ماقد مارس
تزويجا ونتضرع اليك الا تكون حسودا وغيرك قد بذل من أجل الحب
نفسه ونتوسل اليك ان تكون مسامحا ولا تكن على من يخطئ اليك ثقيلا
وغيرك اذا لطم أدار الفك الاخر قل لي ماذا تقول وما الذي تحتج به اذا كنا لم
نعمل هذه الاوامر وقد فاق علينا أناس آخرون فووقا جزيلا مبالغة في افتعالها
ولولا ان تيسر فعلها كان كثيرا لما كانوا تجاوزوا ما رسم فيها وزادوا عليه
ومع ذلك فمن يذوب أمن يحسد حظوظ غيره الصالحة أومن يلتذ معه بها
مسرورا ومن يهتم بالافعال كلها ويتوهم كافة الاوهام ويرتعد بداومة هل
العفيف أم الفاسق ومن يفرح بأمال صالحة أمن يختلس ماليس له أم الرحوم
الباذل للمحتاج ماقد يمتلكه فاذا تفطنا في هذه الافعال كلها فلا نتكاسل عن

الساعى فى الفضيلة لكن فلنتجرد بكافة نشاطنا بهذه الصراعات النافعة ونتعب حينا يسيرا لنحصل الاكاليل الباقية التى لاتذبل والتى ستكون لنا كلنا بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى له المجد الى آباد الدهور كلها آمين

المقالة الاربعون

فى قوله ولما انتقل من ذلك الموضع جاء الى مجمعهم واذا هنالك انسان جاء ويده يابسة

ههنا يشفى فى السبت أيضا معتذرا عما فعله تلاميذه ولعمرى ان البشيرين الاخرين قالوا بانه أقام هذا الانسان فى وسطهم وسألهم ان كان جائزا ان يفعل الخير فى السبوت وأبصر تحنن سيدنا اذ أقامه فى وسطهم حتى اذا انكسر حنقهم بابرائه ينتزعون خبثهم ويستحون من ذلك الانسان ويكفون عن تنمرهم الاان الماقتين الناس المسلوبين الاستئناس اختاروا ان يشينوا تشريف المسيح أكثر من ان يبصروا ذلك الانسان مخلصا من عاهته موضحين خبثهم من هاتين الجهتين كلتيهما بان يحاربوا المسيح وان يشكوا بخصومة جزيل تقديرها احساناته الى أناس آخرين فالمبشرون الاخرون قالوا ان ربنا سألهم وهذا البشير قال انهم هم سألوه لانه قال واستخبروه قائلين ان كان جائزا ان يشفى فى السبت حتى يتعللوا عليه وعلى ما يليق بالحال ان قد حدث السؤالان كلاهما لانهم كانوا نجسين وقد عرفوا انه يحنج فى مداواته على كل حال فسارعوا ان يسبقوه بالسؤال متوقعين ان يمنعوا الشفا بسؤالهم ولذلك استخبروه ان كان واجبا ان يشفيه فى السبت ليس لكى يعرفوا ذلك لكن لكى

يتعللوا

يتعللوا عليه لكنهم أرادوا ان يجدوا عليه علة مخترعين بسعة من
المذمات لانفسهم ولعمري ان العطوف على الناس بعمل هذا العمل
ويجاوب معلما رفقه وتحننه عاطفا اليهم اللوم كله موضحا زوال انسانيتهم
فاقام الانسان في وسطهم ليس خائفا منهم بل مسارعا ان ينفعهم ويستميلهم
الى الرحمة ولكن لم يستملهم ولا على هذه الجهة لان البشير زعم انه اغتم
واغتاظ عليهم بسبب عماية قلبهم وقال من منكم اذا كان يمتلك نعجة
واحدة وسقطت في هوة في يوم السبت أفما يضبطها وينهضها فكم
يفضل انسان على نعجة فمن هذه الجهة ممكن عمل الاعمال الجيدة في السبت
لان حتى لا يتجه لهم ان يتوقحوا ولا ينساغ لهم ان يتمسكوا عليه بمعصية اخترع
لهم بهذا التمثيل قياسا وتأمل لي أنت كيف يورد الحجج في كل مكان من تعليمه
على حل السبت بمعنى متلون متساو لانه حين شفى الاعمى ما اعتذر لهم حين
عمل الطين على انهم قد ثلبوه حينئذ لكنه أوراه حين ابداعه عينيه
لايضاحه انه سيد شريعته وعندما شفى المخلع حين حمل سريره قد شكوه بذلك
فاحتج لهم حينا احتجاجا لاهوتيا وحينا احتجاجا لائقا بانسان فاحتجاجه الذي
يناسب انسانا حين قال ان يكن الانسان يقتبل الختانة في يوم السبت حتى لا ينحل
الشريعة وما قال حتى ينتفع الانسان أفتغتاظون علي لاني جعلت انسانا
بجملته معافى واحتجاجه مثلما اذا اللائق بالله قال أبي الى الان يعمل وأنا أعمل
وقال لما شكوا من أجل تلاميذه أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين
معه كيف دخل الى بيت الله وأكل خبزات التقدمة وأورد الكهنة الى وسط
احتجاجه وقال في هذا الموضع ان عمل الافعال الصالحة في السبت محمود أكثر
من عمل الاعمال الردية من منكم يمتلك نعجة واحدة لانه عرف حبهم
القنيات لانهم كانوا محبين للاملاك أكثر من حبهم للناس مع ان البشير
الآخر قد قال انه أجال طرفه عليهم اذ سألهم هذا السؤال حتى يجتذبهم

بعينه الا انهم ولا على هذه الطريقة صاروا أفضل مما كانوا على انه ههنا
بكلامه فقط شفاه وفي موضع آخر يبرى في صنوف شتى اذ وضع يديه لكنهم
مع ذلك ولا صنف من هذه الاصناف جعلهم ورعين لكن ذلك الانسان شفى
وأولئك صاروا بعافيته أشر مما كانوا الا انه هو شاء أن يشفيهم قبل أن يبرى ذاك
وحرك في مداواته صنوفا كثيرة بما عمله وبما قاله فيما سلف واذ كانوا قد
أنسقموا اسقاما يتعذر شفاؤها توجه بعد ذلك الى الفعل اذ قال للانسان
أبسط يدك فبسطها وعادت معافاة كاليد الاخرى فان سألت فماذا فعل
اولئك أجبتك انهم خرجوا يتشاورون في قتله لان البشير قال أن الفريسين
خرجوا يتشاورون عليه ليبيدوه وتاظلموا ظلما وحاولوا أن يقتلوه وهذا
دأب ردى جزيل خبثه لانه ليس يحارب الغرباء منه فقط لكنه مع ذلك يقاتل
أصحابه دائما ومرقس قد قال أنهم تشاوروا مع أصحاب هيرودس في هذا
الفعل الا أن الهنا الانيس الرفيق الوديع اذ علم بذلك انصرف لان البشير
قال واذ عرف يسوع أوهامهم انصرف من هنالك فاين هم الآن الذين يقولون
قد كان واجبا أن تكون أيات وجرايح لانه قد بين بهذه الحوادث أن النفس
الزائل فهمها ما تخضع ولا في هذه الجهة وأوضح انهم انما شكوا تلاميذه
باطلا ويحتاج أن يراصد ذاك المعنى انهم تذمروا عند الاحسانات الواصلة
الى مواخيهم في طبيعتهم تذمرا كثيرا وكانوا اذا رأوا انسانا متخلصا أما
من سقمه وأما من رذيلته يشكونه حينئذ ويتذمرون عليه لانه حين
عزم أن يخلص الزانية ثلبوة وحين أكل مع العشارين قرفوه والآن
أيضا لما أبصروا يد الانسان معافاة خرجوا يتشاورون عليه وتأمل لي أنت
كيف ما ينتزع عن اهتمامه بالمرضى ويتلافى جسد اولئك ولحقته جموع
كثيرة وشفاهم كلهم وانتهر الذين شفاهم حتى لا يجعلوه ظاهرا عند أحد
الناس ولعمري أن الجموع يستجبونه في كل مكان ويلحقونه واولئك

فما ينتزحون عن خبثهم وحتى لا يرتجف فى الاعمال الكائنة منه وفى تمادى
جنون اولئك أورد النبى وقد تقدم فاظهر هذه الحوادث لان مبالغة الانبياء
هذا المبلغ كان مبلغها حتى انهم ما كفرا عن هذه الحوادث لكنهم تنبأوا
ووصفوا طارقة وانتقاله من موضع الى موضع وذكروا العزم الذى به عمل
هذه الاعمال اتعلم أنهم بالروح تكلموا بكل ماقالوه لان أوهام الناس
ان كانت يختاص التكلم بها ومعرفتها ممتنعة فالبق وأولى أن يكون
غرض المسيح ممتنعا أن يعرف لولم يكشفه الروح القدس وان سألت عما ذكره
النبى أجبتك ان البشير قد استثنى به وقال حتى يتم ماقيل بلسان اشعيا النبى
القائل ابنى الذى ارتضيت به حبيبى الذى به سرت نفس لاضعن روحى عليه
فيخبر الامم بانصافى مايماحك ولا يصرخ ولا يسمع سامع فى الشوارع صوته
ومايكسر قصبة مرضوضة ولا يطفى فتيلة مدخنة الى أن يبرز الى الظفر حكمة
وعلى اسمه تتوكل امه فالنبى يسبح وداعته وقدرته المقتاص وصفها
ويفتح للامم بابا عظيما فاعلا ويتقدم فيصف البلايا التى داهمت اليهود
ويبين ائتلافه بابنه اذ قالها ابنى الذى ارتضيته حبيبى الذى سرت به
نفسى فان كان قد ارتضاه فليس يحل الشريعة على انه مضاد لابيه
ولانه عدو لشرعها لكنه يحلها على ان عزمه عزم أبيه فاعلا أفعاله
ثم أذاع وداعته وقال ليس يماحك ولا يصرخ لانه هو قد شاء أن يبرى
بحضرتهم فلما دفعوه ماعاندهم فى هذا الوجه وأظهر قوته وسقم اولئك
وقال مايكسر قصبة مرضوضة لان قد كان سهلا عنده أن يكسرهم كلهم مثلما
تكسر قصبة وليس كما يكسر قصبة على بسيط ذاتها بل مثل مايكسر قصبة قد
ترضضت سالفا ولا يطفى فتيلة متدخنة فى هذا اللفظ يبين غضبهم المتوقد وان
قوته فيها كفاية أن تنقض غضبهم وتخمدة بتيسير كثير ومن هذه الجهة تستبين
دعته الكثيرة ولقائل أن يقول فما رأيك أفتكون هذه أفعالهم دائما

ويحتملهم كل حين عند جنونهم واغتيالهم هذه الاغتيالات وأمثالها فأقول له
أبعد عن هذا الرأى لكنه اذا أوضح أفعاله بعد ذلك يعمل بهم ثلاث نوازل نقمه
لانه قد بين هذا المعنى بقوله الى أن يبرز الى الظفر حكمة وعلى اسمه تتوكل
امه مثلما قال بولس الرسول نحن مستعدون أن ننتظر كل معصية اذا تمت
طاعتكم ولعلك تسأل ما معنى الى أن يبرز الى الظفر حكمة فاقول لك أنه قال
اذا تم الافعال الكائنة منه كلها بعد ذلك يورد انتصاره فيجلب انتظارا يكون
كاملا حينئذ يقاسون الشدائد اذا وقف ظفره بهما وظفرت أوامر عدله ولا
يبقى لهم حجة وفحة لمقاومتهم لانه من عادته أن يدعو عدله حكما وليس تقف
فى هذا اللفظ أفعال سياسته بتعذيبه الذين أنكروه فقط لكنه يجتذب
المسكونة كلها وكذلك استثنى بقوله وعلى اسمه تتوكل أمه ثم حتى تعلم أن هذا
الفعل هو برأى أبيه بين النبى هذا المعنى مع ما قاله سالفا فى مقدمة هذه النبوة
بقوله حبيبى الذى به سرت نفسى وذلك أن المحبوب من البين أنه فعل هذه
الافعال برأى محبه حينئذ قدموا اليه متشيطنا أعمى أصم فشفاه حتى ان
الاعمى الاصم منح ان يتكلم ويبصر فقد انساغ لى ان أقول نزحا لخبث
الشيطان لانه سد كلا المدخلين الذين بهما توقع ان يؤمن وهما بصره وسمعه
الاان المسيح فتحهما كليهما وبهتت الجموع قائلين أترى ما هذا هو ابن داود
الاان الفريسيين قالوا هذا ليس يخرج الشياطين الا ببعل زبول رئيس الجن
مع ان ما قالته الجموع مستعظما الا انهم مع ذلك ما احتملوا قولهم هذا
فعلى هذه الجهة كما قلت فيما سلف انهم كان يغيظهم دائما الاحسانات
الواصلة الى مواخيهم فى طبيعتهم وما كان يغمهم على الاشبه بحالهم شئ مثل
خلاص الناس مع انه قد انصرف وحول سقمهم ان يهدى ساكنا الاان
عزمهم الردى ترقد واذ تذكرن أيضا احسان الى انسان اغتاظوا أكثر من
الشيطان لان ذلك الشيطان خرج من جسم الرجل وانصرف هاربا لا يقول شيئا

وهؤلاء

وهؤلاء فكانوا خبثاء يريدون قتله وحينا يشنعونه لانهم اذلم يتحه ذلك الفعل المنكر لهم أثروا ان يشنعوا شرفه

العظـــــــــــــــــــة

فالحسد هذا غريزته ان يكون رذيلة أشر منه وبيان ذلك ان الفاسق وان كان يستتم لذة تناسبه الا انه يستتم خطيئته في وقت قصير فأما الحسود فيعاقب ذاته قبل محسوده ويعذبها فليس يكف عن خطيئته في وقت من أوقاته لكنه يوجد في افتعالها دائما وكما يفرح الخنزير بالحماة والجن باضرارنا فكذلك يفرح الحسود بنوائب قريبه متى ما حدث على المحسود حادث مكروه حينئذ يستبشر بذلك ويستلذه محتسبا نوائب محسوده سرورا يخصه حاسبا الخيرات الواصلة الى اناس آخرين آفات تشتمل عليه وليس يراصد حظا يحصل له مستلذا لكنه يراقب مصابا يعرض لقريبه حازنا أفما يستوجب هؤلاء ان يرجموا بالحجارة ويقتلوا من طريق انهم كلاب كلبة ومن جهة انهم شياطين خبثاء وحالهم حال الجن السابحين تحت الارض باعيانهم وكما ان الصنف من الحي الداب المسمى أبو جعران يغتذي بالزبل وكذلك هؤلاء يغتذون بضر غيرهم وبصعوبة أيامهم فقد حصلوا أعداء لطبيعتنا محاربين متظافرين والناس الاخرون يرجون البهيمة عند ذبحها وأنت اذا رأيت انسانا قد أحسن اليه تتمرو ترتعد و يصفرلونك وما الذي يكون اشر من هذا الجنون لاجل هذا السبب استطاع زناة وعشارون ان يدخلوا الى الملكوت والحاسدون كانوا داخلها فخرجوا منها لانه قال ان بني الملكوت يخرجون الى خارجها وأولئك تخلصوا من خبثهم الذي كان حاصلا في أيديهم وامتلكوا النعم التي ما توقعوها في وقت من أوقاتهم وهؤلاء الحساد أضاعوا الحظوظ الصالحة التي كانوا قد ملكوها وذلك على جهة الواجب جدا وذلك ان هذا الداء يجعل الانسان محتالا وهذا الداء يجعل صاحبه شيطانا وحشيا

وعلى هذه الجهة تكون القتل الاول وعلى هذه الطريقة استجهلت طبيعتنا
على هذا النحو وتدنست الارض على جهة الحسد هذا افتحت فيما بعد فها
وابتلعت داثن وقورح وأبيرون أحياء وأهلكتهم مع كافة مجمعهم ولعمرى
انه فعل متيسر ان يثلب ثالب الحسد ويذمه الان الواجب ان نبحث كيف
يكون التخلص من خبثه وان سألت فكيف نتخلص من هذا الخبث أجبتك
ان تفطنا انه كما انه ليس جائز للزانى ان يدخل الكنيسة فكذلك ليس
جائزا للحسود ان يدخلها وأوجب وأولى بهذا الحسود الا يدخلها وهوا كثر
من ذلك الزانى بعدا منها لان هذا الداء يظن الان انه قد زال البحث عنه
وكذلك يهمل الحذر منه فاذا استبان انه سقم خبيث تيسر لنا ان ننتزع عنه
سريعا ابك وأتحسر وانتحب متضرعا الى الله واعلم موقنا ان حالك حال طريح
فى خطية صعبة وتندم عليها اذا سلكت هذا المسلك ستتخلص من هذا
السقم سريعا ولعلك تقول ومن يجهل ان الحسد داء خبث فأقول لك ليس
يجهل ذلك أحد الناس الا انهم ما يظنون فيه هذا الظن بعينه الذى يظنونه
فى الزنا والفسق متى ذم أحدنا ذاته وذمها لما حسد حسدا مرا ومتى تضرع الى
الله ان يريحه من هذا السقم وان يكون غفورا له ما فعل ذلك أحد من الناس
الغافلين ولا فى وقت من أوقاته لكنه ان صام وأعطى فقيرا فضة يحسب
ذلك ويعتد به واذا كان حسودا فى أكثر أوقاته فليس يحتسب انه قد عمل
عملا رديا وقد حصل متقيدا بسقم أنجس أسقام الهوى كلها من أية جهة
صار قايين هذا الحال حاله من أية جهة صار بنو لابان من أين صار بنو
يعقوب من أين صار داثن وقورح وأبيرون من أين صارت مريم أخت موسى
بهذه الصورة من أين صار هرون من أين صار ابليس المحتال هذه صورته ومع
هذه الاقوال تفطن فى ذلك المعنى انك ما تظلم من تحسده ولا تضره ولكنك
انما تدفع السيف على ذاتك لان قايين ما الذى ضرها بيل لانه جهزه كارها
إلى الملكوت سريعا وشك ذاته فى بلايا جزيل تقديرها ماذا ضر عيسو

يعقوب أفما استغنى يعقوب وتمتع بنعم جزيلة كثيرة صالحة وحرم هو من منزل أبيه وجال بعد ذلك تائها في محلات غريبة وما قولك في أبناء يعقوب هذا أما قد فعلوا بيوسف أشر ما أمكنهم ووصلوا فيما ارادوه الى ذمه أما قاسى هؤلاء الحساد جوعا وتورطوا في الشدائد في عنفوان شبابهم وصار يوسف ملكا لمصر كلها لانك بقدار ما تحسد بقدار ذلك تصير لمن تحسد سببا لخيرات أعظم حظا لان الله عز تدبيره هو الناظر الى هذه الافعال فاذا أبصر من لم يظلم ظلمه اقد حصل مظلوما يرفع محله كثيرا ويجعله بهيا ويعذبك بذلك كثيرا لانه ان كان مايهمل المتلذذين بضر أعدائهم ان يعبروا ناجين من تعذيب لانه قال لاتشمت بسقوط أعدائك حتى لا يبصر الله ذلك فلا يرضيه فاوجب وأليق به ان لا يهمل الحسودين للذين لم يظلموهم ظلما ان يعبروا ناجين من تعذيبهم فسبيلنا ان نقطع هذا الوحش الكثير الرؤوس وذلك ان أنواع الحسد كثيرة لان من يحب الذي يحبه ليس يحوي فضلا أكثر من فعل العشار فمن يمقت من لم يظلمه ظلما اين يقف كيف ينجي من جهنم اذ قد صار أشر من الامميين فلهذا السبب أتوجع توجعا شديدا لا ننا نحن الذين قد أمرونا ان نماثل سيد الملائكة قد شابهنا ابليس المحتال لان الحسد في كنيستنا كثير وأليق مايقال انه في الرؤساء أكثر مما هو في المرؤسين فكذلك سبيلنا ان نخاطب ذواتنا قل لي لم تحسد قريبك لانك تراه متمتعا بتكريم وبامال صالحة ثم تفطن كم زللا ورديا تختلقه لكرامات اللذين لا يحترسون منها اذ ترفعهم الى العجب والصلف والتجبر والتغافل وتجعلهم أكثر توانيا من غيرهم ومع هذه البلايا تضمحل سريعا وتضمر بايسر مرام ولعمري ان هذه الخاصة أصعب خواصها تأثيرا ان البلايا المتولدة منها تلبث عديمة ان تكون ميتة ولذتها مع ماتظهر تزول وتغيب أفلاجل هذه البلايا تحسده ويوشك ان تقول لكنه يحوز سلطانا عند ضابط السياسة كثيرا ويصدر ويورد كلما يريده كيف شاء ويغم من يعانده ويحسن الى كل من يخاله ويحوي

مقدرة كثيرة فاقول لك هذه الاقوال ناتجة من عزائم عالية وهى أقوال الناس
المستمرين فى الارض لان عارضا من العوارض ليس يقدر ان يغم الانسان
الروحانى وما الذى يوصل اليه مكروها ان يعزل من رتبته وما هو هذا لانه
ان عزل على جهة الواجب والعدل فقد انتفع كثيرا لانه لا يوجد فعل بهذه
الصورة فى تمثيله يغيظ الله مثل التكهين بانحراف عن واجبه واستحقاقه وان كان
قد عزل على جهة الظلم فالجناية أيضا تتوجه على ذاك الذى قد عزله وما تتوجه
على هذا المعزول لان من يعرض له عارض على جهة الظلم ويحتمل ذلك
بشهامة يكون له عند الله داله أكثر كثيرا فلا تترقب هذا الغرض كيف
يكون فى اقتدارات الدنيا وفى كراماتها وسلطاتها لكن ينبغى ان نعتمد كيف
الفضيلة والفلسفة من طريق ان السلطان تستصوب اصحابها ان يعملوا
أعمالا كثيرة من الاعمال التى ليست مأثورة عند الله وتحتاج الى نفس
وافرة شجاعتها حتى تستعمل السلطان فيما يجب استعماله فيه ولعمرى ان
الخائب من السلطان يتفلسف طائعا وكارها فأما المتقلد سلطانا فيمارس عارضا
يكون حاله فيه حال ساكن مع جارية حسنة صورتها وقد اقتبل شرائع وثقها
عليه ان لا ينظر اليها فى وقت من الاوقات نظر الفسق لان السلطان هذه الصحبة
صحبته فلهذا السبب استمال أناسا كثيرين الى ان يشتموا وأناسا آخرين كارهين
ذلك وأنهض غضبهم وانتزع لجام السنتهم واختلع باب فههم وانتسف نفسهم
كانتساف الرياح وغرق سفينتهم فى قعر البلايا الاخير أفتستعجب من هو
فى خطر هذا مبلغه وتقول انه محسود فقولك هذا مماز غباوة هو
وافهم اذا معما قد قيل كم يمتلك أعداء وثالبين وكم يقتنى مخاتلين
ملاقين يحاضرونه فقل لى هذه المصائب مؤهلة لاستسعادها ومن يقول هذا
القول فاعلك تقول الا انه موفق عند شعبه فأجيبك وما هو هذا الان شعبه ليس
هو الاهه الذى يزمع ان يقوم له بما يجب له عليه فقد وجب من ذلك اذا
ذكرت شعبه فلست تذكر شيئا آخر الا أسوارا حاجزة وصخورا عالية هاوية

الى

الى البحر او مياه طائفة دون البحر تحت مصاح لانه بمقدار الحظ الذى يجعله موفقا بين الجماعة أبهى حالا بمقداره يحوى اخطاره وهمومه وغمومه أعظم تأثيرا لان من هذا الحال حاله ما يقدر البتة ان يتنفس أو يثبت هاديا اذ قدامثلك بهذه الصورة من تمثيل حاله سيدا مستمرا وما معنى قولى انه ما يستطيع ان يتنفس أو يثبت هاديا ولو ان من هذه صفته يمتلك فضائل قد أحكمها جزيلا عددها لكان باوفر صعوبة يدخل الى ملك السماء لانه ليس صنفا من عادته ان يعلى عنقنا بهذه الصورة من تشبهه مثل التشريف البادى من كثيرين فيجعلنا جبناء عبيد الهوانا مخاتلين ملاقين لم كان الفريسيين يدعون المسيح شيطان أليس انهم كانوا تائقين الى التشريف من الناس من أية جهة أوردا كثر الذين أمنوا به قضية متقومة من أجله أليس لانهم ما انضبطوا بسقم الحسد هذا الخبيث لان ليس عارضا يجعلنا حادين عن الشريعة فاقدى الفهم بهذه الصفة من تمثيله مثل تلهفنا الى تشريف الناس الكثيرين لنا وليس فعلا يصيرنا موفقين عادمين ان تتراخى قوتنا مثل اعراضنا عن هذا التشريف فكذلك يحتاج المعتزم ان يضبط هذه النهضة الجزيلة و يقهر روح الغضب الى نفس شجاعة جدا لانه اذا طابت أيامه فى الرخاء يضيف ذاته الى كلما يمارسه واذا قاسى اضدادا ما يؤثره يريد ان يدفن ذاته وهاذان العارضان عنده جهنم والملكوت اذا غرقه هذا السقم فقل لى هذه البلايا مؤهلة لحسدها أو ليست مؤهلة للنحيب والعبرات عليها فذلك واضح فى كل مكان فأنت اذا حسدت من قد وفق هذا التوفيق انما تجعل حالك حال من يبصر مكتوفا و بالسياط مضروبا تسحبه وحوشا كثيرة فتحسد جراحاته وعقور ضربه بالسياط وذلك ان مجمعه بمقدار ما يحوز أناسا بمقدارهم يحوى عقالات له بمقدارهم يملك سادة يسودونه وما هو أصعب من ذلك ان واحدا فواحدا منهم يمتلك عزما يتميز به بفضله منهم وكلهم يختارون الحوادث الحادثة على من يخدمهم وما يتصفحون حادثا منها لكن العزائم التى تهجس لفلان ولفلان ايها يتقون

فأية أمواج وأية استغاقات زوابع ليست هذه الاصناف أصعب منها لان من هذه الطريقة طريقته بتبذخه لذته بغتة و يغرقه غمه أيضا بأسر مرام فيكون فى زوال التمهيد دائما وليس يكون فى هدو فى وقت من أوقاته أصلا لانه قبل مشهد كلامه وقبل جهاداته فى تكلمه ينحصر فى جهاد ورعدة وبعد المشهد أما يموت من تلقاء اغتمامه وأما يفرح أيضا فرحا فاقدا اعتداله وهذا أصعب تأثيرا من اغتمامه والدليل على ان اللذة هى عارض ردى ليس دون عارض الغم فذلك واضح مما نؤثره فى حال نفسنا لانه يجعلها خفيفة طماحه متريشة وهذا المعنى يسوغ لنا ان نعرفه من الرجال الاولين وأنا استخبرك متى كان داود النبى جيدا أحين فرح أم حين كان فى ضيقة متى كان محفل اليهود جيدا أحين ضاقت أحواله وتضرع الى الله أم حين فرحوا فى البرية وسجدوا للعجل فكذلك قال سليمان العارف الحالات والاخلاق كلها خصوصا الخابر اللذة ماهى فى تخالف الاوقات ان الذهاب الى بيت النوح صالح أنفع من المضى الى بيت الضحك ولهذا السبب يطوب السيد المسيح النائحين بقوله طوبى للنائحين وويل للضاحكين عند قوله الويل لكم أيها الضاحكين فانكم تبكون وذلك على جهة العدل جدا وبيان ذلك ان نفسنا توجد فى التنعم أرخى وألين مراسا ونكون فى النوح منقبضة مرتعدة ويتخلص عزمها من كل عقال الادواء وتكون أعلى محلا وأقوى فعلا فاذ قد عرفنا هذه الحالات كلها فينبغى ان نهرب من التشريف الكائن من كثيرين ومن اللذة المتولدة منه لننال الشرف الحقيقى الباقى دائما الذى سيكون ولنا كلنا ترزقه بنعمة ربنا يسوع المسيح وتعطفه الذى له المجد والعز والاكرام الان ودائما والى أباد الدهور آمين

---

*(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله
المقالة الحادية والاربعون)*